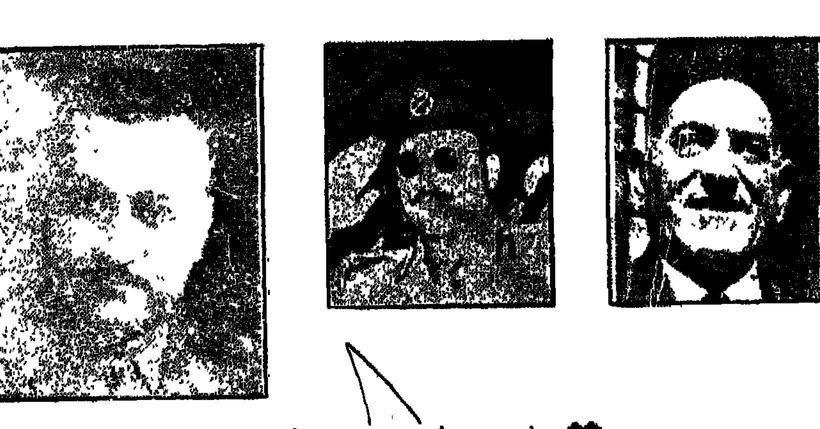
جمال الشرقاوى

حريق القاهرة



قرار اتهام جديد

دار الثقافة الجديدة

الطبعة الأولى

مارس ١٩٧٦

حريق القاهرة

"قرار اتهام جديد"

جمال الشرقاوي

الغلاف للفنان

حسن فؤاد

تقديم

كان حدثا خطيرا .. ومذهلا ..

فجأة .. وفى عز الظهر .. وأمام أعين البوليس أشعلت النار عمدا : فى ميدان الأوبر فى واحد من أشهر كازينوهات مصر : كازينو بديعة : :

وجاءت المطافى بسياراتها وخراطيمها .. لكنها عندما حاولت أن تطفىء النار منعها بعض الناس .. ومزقوا الخراطيم .. لتزداد النار اشتعالا . .

وظن البعض . . ومنهم المسئولون عن الأمن . . أنه حادث . . ويمر ، وعندما تمكنوا من العمل لاطفاء النار فى الكازينو .. تنفسوا الصعداء : وأبلغوا رؤساءهم : تمام يا أفندم .. كل شىء انتهى . . الحال أصبح « عال » !

لكن : . بينما كانت رسالة طمأنة المسئولين تبلغ لوزير الداخلية . . كانت النار تشتعل فى سينما ريفولى .. ثم تشتعل فى مكان ثالث .. فرابع .. فخامس . . فعاشر . . فمائة . . فسبعمائة !

وكان هذا شيئا مروعا .. ففيما بين الساعة الثانية عشر والنصف والسادسة

والنصف تقريبا كانت النار تلتهم ٧٠٠ محل . . بينها أكبر محلات مصر .. وأكبر فنادقها . . وأفخم دور السينما والملاهى فيها . .

اكلت النار قلب القاهرة . .

وخسرت البلاد عشرات الملايين من الجنيهات . .

وسقط عشرات القتلى . . والجرحى . .

□ □ □

شهد ذلك اليوم الرهيب — يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ — أحداثا لم يقع لها مثيل فى تاريخ مصر كله . . لا من قبل ولا من بعد . .

البوليس انضم للمظاهرات الشعبية . . بل وبدأت المظاهرات كلها بمظاهرة من رجاله خرجوا من ثكناتهم إلى الشوارع يهتفون . . ويلوحون بالبنادق . . ومن لم يتظاهر من رجال البوليس امتنع عن العمل . . ومن عمل عجز عن حماية الأمن : :

الجيش كان مأسورا داخل أسوار معسكرته . . وقياداته كلها فى قصر الملك تحتفل بميلاد ولى العهد . .

والملك يسمع أخبار الكارثة . . ويرى ألسنة النيران من نوافذ القصر .. لكنه يصم أذنيه عن طلب نجدة عاصمة ملكه . . ويستمر فى الاحتفال مع كل ضباط جيش وبوليس مصر .. يأكلون الطعام الشهى .. والحلوى . . ويتبادلون الكلمات الهادئة .. وتعزف الموسيقى السلام .. فى نفس الوقت الذى تتحول فيه أرقى أبنية القاهرة إلى رماد وخرائب ..

والحكومة « ضاعت » .. :

والقوى السياسية كلها وقفت مذهولة وهى ترى الكارثة . . لاتستطيع عمل شيء لانقاذ حضارة مصر . . وثروةمصر . . وكفاح شعب مصركله..

□ □ □

ليلتها نامت البلاد تحتكابوس ثقيل مفزع . .

الدخان الأسود يملأ السماء . .

والأحكام العرفية . . والجيش .. و « قف من أنت » تمنع الناس من مغادرة بيوتهم بعد غروب الشمس . .

والمظاهرات . . والاجتماعات السياسية. .والصحافة الحرة .. والكفاح المسلح ضد المحتلين البريطانيين . . والمطالبة بتحسين أحوال الشعب . . كل ذلك توقف . . وحل محله نقيضه . .

كان واضحا أن حدثا غير عادى قد وقع . .

وانبعثت رائحة الغدر والخيانة. . تشير إلى أن ما حدث مؤامرة مدبرة.. من أعداء مصر . .

لكن السلطات الخاضعة للملك والانجليز منعت أى محاولة لكشف .. أو اكتشاف . . الحقيقية . .

وهكذا لف الغموض أخطر حادث وقع فى تاريخ مصر . .

لكن الأمر المثير حقا أن الغموض ظل يحيط بهذا الحادث بعد ذلك . : ربع قرن كاملا . .

وفى هذا الجو . استمرت تعيش كل الأقاويل . . بينما اتخذت التلفيقات المختلقة هيئة الحقائق الثابتة . . واختلط الحابل بالنابل . .

□ □ □

وكان عدم تحقيق أكبر حادث وقع فى تاريخ مصر يشكل نقصا خطيرا فى الفكر السياسى والتاريخى المصرى.. كما كان مهينا إلى أقصى حد لعقولنا.. موجعا لضمائرنا . .

ذلك أن هذا الحادث لم يكن فقط أخطر مؤامرة سياسية فى حياة بلادنا — مما يجعله فى حد ذاته مجالا خصبا للدراسة واستخلاص الدرس — ولكنه الحادث الذى أدى إلى تغيير كل شىء فى حياة مصر .. حتى كان بحق نقطة تحول جذرية فصلت بين مرحلة وأخرى . .

لقد انتهت بهذا الحادث الحياة البرلمانية المصرية . .

وبه أطيح بحكومة الوفد..حكومة الأغلبية الشعبية منذ كان لمصر دستور.. وكان ذلك آخر عهد هذه الحكومة بالحكم . .

وفيه تعرى نهائيا الملك فاروق . . وبدأ عصر سقوطه . . ليذهب نهائيا بعد ستة أشهر فقط من ذلك اليوم . .

وفيه تحدد موقف الجيش المصرى .. فافتضح بشكل لم يسبق له مثيل سلوك القيادة .. وانتقل الضباط الشبان إلى مرحلة الاستعداد للاستيلاء على السلطة..

واهتزت مكانة الأحزاب السياسية القائمة كلها . . وتحدد حجمها .. كأجهزة لاتقدر على حماية الوطن من الخطر . . والشعب من أعدائه . . وكان ذلك هو السبب الحقيقى فى الانقضاض عليها فيما بعد ذلك بسنة واحدة..

□ □ □

ولقد ظهرت خلال السنوات العشر الأخيرة بالذات محاولات للحديث عن حريق القاهرة. . لكنها كلها كانت مجرد « مرور » سريع على الحدث.. باستثناء دراستين جادتين احداهما كتبها سعد زهران فى الطليعة (يناير ١٩٦٥)

والثانية نشرها أستاذى الدكتور محمد أنيس فى جريدة الجمهورية (١٩٧٠) ثم فى كتاب «حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة» (١٩٧٢).. ورغم أن الدراستين فى الخط الصحيح .. الا أنهما كانتا أقرب إلى «الرأى» منهما إلى التحقيق الذى يستخلص النتائج من وقائع الحدث وتفاصيله وأوراقه وشخصياته . . باحاطة وشمول يرسم ملامحه ويحدد بالدليل والبرهان المسئولية والمسئولين . . ويحمى من الأحكام الذاتية أو المبتسرة .. ويعصم من الوقوع فى حبائل مانشرته سلطات النظام القديم فلاينتهى الباحث إلى تبنى بعض الآراء التى أذاعتها تلك السلطات !

لذلك . . ومع كل التقدير للجهود التى سبقت .. فان حريق القاهرة ظل حتى الآن بلاتحقيق ..

□ □ □

وقد قررت اقتحام الموضوع . . بعد أن ظل يلح على سبع سنوات كاملة . .

وكان حافزى المباشر أن كثيرا من ملابسات ذلك الحادث يمكن أن تتكرر . . وأن بعض الأساليب التى صحبته عادت إلى الوجود بالفعل . .

وأن السبب فى ذلك هو أن الدروس لم تستخلص ولم تعمم.. بحيث يمكن ادراك الفرق بين ما هو شريف وما هو ليس كذلك من أساليب للصراع السياسى والاجتماعى . . بين ما يمكن اللجوء اليه لدعم الوحدة الوطنية بين قوى الأمة السليمة . . ومهما حدث بينها من خلافات أو تناقضات . . وبين ما لايجب استخدامه من أساليب أعداء الأمة الذين لاهم لهم الا شق صفوفها وضرب نضالها بافتعال معارك وتدبير مؤامرات والقاء اتهامات جزافيه ..

ولما كان حريق القاهرة حدثا غنيا بكل ما يفيد فى ذلك . . أقدمت على دراسته . .

□□□

لكن لأننى أدرك أنه أخطر حدث فى تاريخ مصر .. فقد كان على أن أتسلح بكل الأسلحة التى أخوض بها هذه التجربة الخطيرة ..

كان على – لأن الحادث جريمة – أن أتقمص شخصية وكيل النيابة .. الذى يضع كل الاحتمالات امامه على المائدة .. ينظر اليها ببرود .. ومساواة .. بغض النظر عن الاقتناعات الشخصية .. ويستمع إلى كل شاهد يرد اسمه .. وإلى أكبر عدد من الشهود .. ويواجه .. ويتهم بدون اقتناع .. ويشك مرة ومرتين .. قبل أن يتخذ القرار ..

وكان على – لأن الحادث تاريخ – أن ألتزم بكل أصول البحث العلمى الأكاديمى .. أراجع الوثائق .. والمراجع بدقة .. وأحلل وأقيم .. وأخضع كل شىء للاختبار والجدل .. ثم عرض كل شىء بأمانة مهما كانت دلالاته والنتائج التى يوصل اليها .. وترك الحكم للقارىء .. مع تقديم وجهة النظر التى توصلت اليها من البحث لتكون بين مايخضع لتقدير الرأى العام ..

وكان على أخيرا ، لأننى صحفى أعشق التحقيق الصحفى .. أن أعالج الموضوع كله بروح الباحث عن المتاعب .. ودفعنى ذلك لأن أرجع فضلا للكتابات ، إلى أكبر عدد من الأشخاص الذين أرتبطوا بهذا الحادث .. للحصول على مزيد من التفاصيل .. ووجهات النظر .. وتقديرات لاشك

أن الزمن لابد أثر فيها على أى صورة .. لكنها تفيد فى تقييم الحادث تقييما مجردا ..

□ □ □

واستمعت وناقشت أكثر من خمسين شاهدا ..

فاستمعت إلى فؤاد سراج الدين (باشا) الذى كان وزيرا للداخلية يوم الحريق والذى انصب عليه أكبر هجوم بسببه .. والذى لعب الدور الأساسى فى كشف دور الملك وقيادة الجيش ..

وإلى عبد الفتاح حسن (باشا) وزير الشئون الاجتماعية حينئذ .. والذى خطب فى المتظاهرين يوم ٢٦ يناير .. وربطت النيابة بين خطابه وبين حوادث الحريق ..

وإلى ابراهيم فرج (باشا) وزير الخارجية بالنيابة .. وله رأى خاص فى هذا الحادث ..

وإلى حسن يوسف (باشا) وكيل الديوان الملكى حتى يوليو ١٩٥٢ ..

وإلى المسئولين الرئيسيين عن الأمن فى العاصمة يومها : محمود البدينى المحافظ بالنيابة .. واللواء مراد الخولى الحكمدار .. واللواء محمد ابراهيم امام وكيل الحكمدار ورئيس البوليس السياسى .. وصلاح مرتجى مدير الأمن العام بعد الحوادث مباشرة ..

وإلى ضابط الجيش الوحيد الذى اشترك فى المظاهرات .. واتهم بحرق كازينو أوبرا محمد حلمى عبد الخالق ..

وإلى الضابطين اللذين ارتبط اسماهما بحادث يوم ٢٥ يناير فى الاسماعيلية مصطفى رفعت بطل المعركة وشريف العبد ضابط الاتصال بالقوات البريطانية ..

وإلى أحمد حسين زعيم الحزب الأشتراكى (مصر الفتاة) الذى قدمته النيابة للمحاكمة بتهمة التحريض على حرق القاهرة .. وطالبت برقبته..

وإلى اثنين من المسئولين عن الدفاع عنه : الدكتو محمد حلمى مراد والدكتور محمد عصفور ..

وإلى النائب العام الذى أشرف على تحقيق الحوادث عبد الرحيم غنيم .. وأحمد فتحى مرسى وكيل النيابة الذى حقق الجوانب الفنية للحوادث .. ود. جمال العطيفى ومحمد صدقى البشبيشى وكان لهما دور فى التحقيقات ..

وإلى عبده مراد عن التحقيقات العسكرية ..

وإلى جميع روساء تحرير الصحف الرئيسين : فكرى أباظه (المصور) وأحمد أبو الفتح (المصرى) واحسان عبد القدوس (روز اليوسف) وأبو الخير نجيب (الجمهور المصرى)..فضلا عن عدد آخر من روساء التحرير والصحفيين . . باعتبارهم شهود عيان ومراكز تجميع معلومات وأصحاب وجهات نظر فى الأحداث ..

وإلى ممثلين للتيارات السياسية التى كانت سائدة : الوزراء الثلاثة السابق ذكرهم عن الوفد ، وفريد عبد الخالق وصالح عشماوى وحسن دوح عن الاخوان المسلمين ، والدكتور فؤاد مرسى وفتحى خليل ومحمد صدقى عن الشيوعيين ، ورفعت الشهاوى وابراهيم يونس ــ فضلا عن أحمد حسين

طبعا – عن الاشتراكيين ، وفتحي رضوان عن الحزب الوطني ، وأحمد طه عن الحركة النقابية ..

كما أستمعت لعدد من أعضاء تنظيم الضباط الأحرار من مختلف الرتب والاتجاهات الفكرية ، خالد محيي الدين ، وكمال رفعت ، وأبو الفضل الجيزاوى ، وعبد الفتاح على أحمد ، وأحمد حمروش ، وتوفيق عبده اسماعيل ، ومجدى حسنين ، وصبرى القاضى ..

فضلا عن عدد آخر من شهود العيان .. من مختلف المهن والظروف ..

وسجلت عددا كبيرا من هذه الشهادات بأصوات أصحابها .. بينما قدم لى البعض شهاداتهم مكتوبة .. وكانت شهادات البعض الثالث محاضر للقاءات التى تمت بينى وبينهم ..

□ □ □

وبعد عرض ما استخلصته من كل ذلك .. حاولت أن أعيد تركيب الحوادث .. ثم تحليلها .. والاجابة على الاسئلة الأساسية التى يطرحها هذا الحادث الخطير .. وهى :

هل كان حريق القاهرة مدبرا .. أم حدث صدفة ؟

ومن الفاعل .. إذا ثبت التدبير ؟

واقتضانى ذلك أن أناقش كل الاتهامات سواء التى حبست فى الصدور أو التى قيلت أو فى المحاكم .. أو أوراق التحقيق .. أو خارج ذلك كله ، فى الكتب ..

وأن أحدد موقف كل قوة محلية أثير حولها كلام . .

ثم موقف كل قوة خارجية . .

ثم الختام بتلخيص لذلك كله . .

□ □ □

ولم يكن ذلك بالأمر البسيط . .

فى قضية مثل حريق القاهرة ليست الأوراق وماهو مكتوب فيها بالشيء الشافى .. فهنا نحن بازاء قضية سياسية كبرى .. يكتنف أحداثها الغموض وتخفى الفاعل وطال تخفيه حتى أصبح الامساك به متلبسا شيئا مستحيلا ..

والسلطات التى أشرفت على التحقيق لم تكن محايدة .. لذلك فأوراقها مشكوك فى صدق تعبيرها عن الحقيقة ..

والصحافة كانت مكممة فلم تكتب شيئا مفيدا .. وانما ، بالعكس ، كتبت مايضلل أى باحث ..

أما الاشخاص فكانت تقديراتهم جد متباينة . .

وكثيرا ما كنت أبرئ جهه معينة من الحادث .. ثم التقى بشخص ليفاجئنى بأنه واثق مائة فى المائة بأن هذه الجهة هى التى أحرقت القاهرة .. ويطلب منى الاستماع إلى شهادة فلان وفلان لأن لديهم معلومات خطيرة تؤكد مايقول . وأذهب إلى فلان وفلان .. وأسأل .. ويتضح أن معلوماتهم غير حقيقية .. وأقرر أغلاق ملف هذه الجهة ثم يتجدد الشك من جديد مع

الاستماع إلى شاهد آخر .. وهكذا وهكذا .. حدث هذا بالذات بالنسبة لأحمد حسين ومصر الفتاة .. كما حدث بالنسبة لجمال عبد الناصر والضباط الأحرار .

لذلك .. فقد طال بي البحث .. حتى ضاق الأصدقاء باطالتى .. « ووسوستى » .. لكننى كنت موقفا بأنى لا أكتب كتابا .. ولا أعد بحثا أو دراسة .. انما أتصدى لحدث خطير فى تاريخ الوطن .. يمس كل القوى السياسية بالبلاد ..

وكم كانت المسئولية رهيبة ..

وكم كان العناء قاسيا ..

لكن .. لعل هذا كله هو مصدر اطمئنانى الآن ..

فانى أقدم هذا العمل وأنا مرتاح الضمير .. لم أترك بابا يوصل إلى الحقيقة الا وطرقته .. ولم أعرف أن شخصا لديه شئ إلا واتصلت به وحاولت ما استطعت الاستعانه بمعلوماته ..

وللحقيقة ، فلقد قوبل سعيي وراء الحقيقة بكل معونة الذين اتصلت بهم .. وطوق كل من سعيت اليه عنقى بدين عظيم ..

وباستثناء حرص البعض على الاحتفاظ ببعض الأسرار للمذكرات الخاصة التى تتوج الحياة العامة لهم . . فان الكل حاول أن يعاوننى بصدق له فى نفسى كل التقدير والامتنان . .

ثلاثة فقط طلبت الاستماع اليهم ولم يستجيبوا . .

محمد عبد الله المحامى العام أيام التحقيق الذى طالبنى عندما حدثته

بأن أكف عن الكلام فى هذا الموضوع : ورفض بشدة أن يستجيب لرجائى بالحديث فيه . .

وحسين صبحى الذى كان مديرا للامن العام ، وأشاد به تقرير النيابة عندما ذهبت إليه فى الإسكندرية وطلبت شهادته اعتذر اعتذارا رقيقا ، وقال أرجو أن تعفينى من الحديث فى هذا الحادث الكئيب . . فأنا أعيش فى ذكرياتى القضائية . . وهذا يكفينى . . وقد قدرت مشاعر الرجل . . ورجعت :

ومصطفى أمين الذى قال لى أنه مادام الشيوعيون يقولون رأيهم فى حريق القاهرة فهذا يكفى . فلما قلت له أننى أستمع لكل وجهات النظر قال أن رأيه مسجل فى أخبار اليوم . فلما قلت له أن ذلك مضى عليه ٢٣ سنة وأنه ربما عدل أو غير فى رأيه . . قال لا . . فقلت إذن اعتبر ما جاء بأخبار اليوم شهادتك . . فقال نعم . . وانتهت المحادثة :

□ □ □

ولقد الحقت بالبحث مجموعة من الملاحق ، تتضمن البيانات التى أصدرتها الهيئات السياسية حول الأحداث فى حينها . .

كما الحقت به حكمين قضائيين لهما أهمية خاصة فى الموضوع . .

وبيانا ينشر لأول مرة للجنة التحضيرية لاتحاد عمال مصر . . ترجع أهميته إلى أنه كان الكلمة الوحيدة التى قيلت فى الحوادث . . فى نفس وقت وقوع الحوادث . . وهو يشير بوضوح إلى مدى الوعى الذى كانت تتمتع به قيادة الطبقة العاملة المصرية . . وإلى أى حد كانت فى مقدمة القوى السياسية التى تدرك حقيقة ما يحدث . .

إلا أن أهم وثيقة فى هذا الكتاب هى تقرير اللواء محمد إبراهيم امام رئيس البوليس السياسى حينئذ . . والتى تلقى الضوء على جانب خطير من أسرار هذا الحدث الكبير . .

أما الشهادات فقد آثرت تسجيلها وضمها للبحث ، ذلك أننى فى الواقع لم استخدم كل ما جاء فيها فى سياق البحث . . ولذلك أعتقد أنه سيكون من المفيد للقارىء — والباحثين أيضا — الاطلاع على التفاصيل التى تتضمنها . وكذلك لأن الشهادات تتضمن أيضا أحداثا أخرى ومعلومات فى أمور ليست فى صميم موضوع حريق القاهرة . . أو تحليلات ووجهات نظر فى ظروف مصر فى تلك الفترة . . لعلها تكون مفيدة فى دراسة تاريخ المرحلة بشكل عام . .

وأخيرا . .

أننى لا أزعم أننى بهذه المحاولة أغلق ملف قضية حريق القاهرة . .

لا . . فليس معقولا أن يظل الحادث غامضا حوالى ربع قرن . . ثم تفض كل أسراره مرة واحدة . .

وإنما أرجو اعتبار هذا العمل فتحا للملف . .

ومن هنا فان كل من لديه معلومات مدعو لأن يدلى بها للتاريخ . . ولمستقبل مصر . .

جمال الشرقاوى

القاهرة فى
سبتمبر ١٩٧٥

الباب الأول

الحادث

الارتداد !

مرقت السيارة مسرعة نحو الغرب . وكانت كلما توغلت في الاتجاه المعاكس لقناة السويس ازداد خفقان قلوب الذين بداخلها .

كانوا مجموعة من الرجال تحرروا لفورهم من أسر الإنجليز .. وحملتهم هذه السيارة الكبيرة إلى رئاستهم .. تمهيدا للعودة إلى الأهل والأحباب بعد غياب طويل .. ولحظات خطر مثيرة .. هي أقرب إلى الموت منها إلى الحياة . .

في البداية لم يكونوا يهتمون بشيء . كل منهم انغلق على نفسه .. يتصور ما سيحدث بعد وقت قصير .. ومع الصور انفعالات كثيرة .. آثر كل منهم أن يخفيها بعناية عن زملائه .. ولذلك ساد الصمت الجميع ..

ومرت الدقائق . . ثم ساعة . . وبدا أن السيارة تقترب من مكان الوصول . وأحس الرجال بخبرتهم أن السيارة دخلت بالفعل العاصمة . . ودفعهم الحنين لرؤية مدينتهم الحبيبة إلى محاولة التطلع من نوافذ السيارة . .

هنا فقط لاحظوا أن السيارة التي يركبونها عبارة عن لوري محكم الاغلاق . . من الأبواب . . إلى النوافذ !

وتلاقت عيونهم يتبادلون الدهشة . . والسؤال الغامض :

إنها سيارة مثل تلك التي ينقل فيها المسجونون الخطرون من السجن إلى المحكمة . . حتى لا يراهم أحد . . ولا يرون أحدا . . فلماذا جاءوا لنا نحن بهذه السيارة ! ؟

وتداعت الإجابات داخل كل منهم بالطريقة التي يفضلها . .

وتوقفت السيارة . وفتح الباب من الخارج . وطلب من الركاب أن ينزلوا . . فنزلوا . . ليجدوا أنفسهم فى فناء وزارة الداخلية . . فى أقرب مكان إلى باب الوزير .

كان الفناء خاليا تماما . لا أحد بالمرة موجود . .

وتلاقت عيون الرجال مرة أخرى . . ليس فى دهشة هذه المرة . . وإنما فى ذهول !

لو أنهم كانوا مساجين . . لكان فى استقبالهم عدد من المسئولين . . لكنهم ليسوا كذلك . انهم حقيقة أسروا . . لكنهم لم يقعوا فى قبضة العدو نتيجة خطأ ارتكبوه . . ولا لأنهم تخاذلوا واستسلموا . . بالعكس ، لقد جاءوا إلى قتال العدو بأرجلهم . . متطوعين . . وخاضوا معه معركة رائعة رغم عدم التكافؤ الصارخ بينهم وبينه . . وصمدوا حتى النهاية . أكثر من ذلك . . لقد أشادت صحفهم كلها . . والإذاعة . . وكل الشعب ببطولتهم . . بينما انحنى لهم قادة الأعداء أنفسهم . . فماذا حدث . . ؟

وقطع عليهم تفكيرهم صوت حاد . . بدا أنه يحييهم . . ويحسن استقبالهم فى هذا المكان الموحش . . والتفتوا ليجدوا رجلا يحتضنهم الواحد بعد الآخر . . ويقبلهم . .

كان هذا الرجل الوحيد الذى جاء يحيى مجموعة ضباط البوليس التى قادت معركة ٢٥ يناير بمحافظة الاسماعيلية ضد دبابات الإنجليز ومدافعهم الثقيلة . . هو عامل المصعد فى وزارة الداخلية .

□ □ □

وأدخل الضباط إلى الوزير . . أحمد مرتضى المراغى .

لم يتحرك من مقعده . وظل صامتا حتى اصطفوا أمامه . . ورمقهم بنظرة فيها مزيج من الاستهزاء والحنق . .

ثم نطق : انت مصطفى رفعت ؟

كان مصطفى رفعت هو اليوزباشى المصرى الذى تحدى ارسكين : : وقال له أننا لن نسلم مهما فعلتم . . ولن تخرجونا من هنا الا جثثا هامدة . .

كان بطل معركة الإسماعيلية . . وكان اسمه أصبح معروفا فى مصر كلها . . بل وفى العالم أيضا . . وصورته نشرت فى كل الصحف . : ولذلك لم يكن من الصعب أن يتعرف عليه المراغى : .

— نعم أنا مصطفى رفعت . أجاب الضابط : : وهو يتساءل بينه وبين نفسه عن سر السؤال . .

لكن الوزير لم يمهله . . فقد قال على الفور : : وبلهجة قاطعة وقاسية : أنا كفيل باخراج كل الأفكار الثورية من رأسك : :

وكبت الضابط الشاب مشاعره . . وسكت . .

وتلفت المراغى يتفحص الباقين . . ويبحث عن سبب جديد للنيل

منهم .. ووجده فى اليوزباشى مصطفى كمال عشوب .. نظر اليه وقال : هل تعلمت فى العسكرية أن تأتى لمقابلة الوزير بدون كاب ؟

وأجاب الضابط كمن وجد شعاعا يتعلق به . . وفى محاولة لتذكير الوزير بحكايتهم : إننا يا افندم بنفس الملابس التى كنا بها يوم ٢٥ يناير . . ولم تكن لدينا أى فرصة لتغييرها فى معسكر الإنجليز . . وقد خرجنا من الأسر إلى هنا مباشرة . .

ولكن الوزير بدلا من أن «يتذكر» الحكاية . . نهر الضابط بفظاعة قائلا : بس اسكت . . لا كلام . .

وشيع المراغى الضباط بنظرة ازدراء . . بعد أن أمرهم بالخروج .. والتوجه إلى بيوتهم . . والبقاء فيها . . لأنهم منذ هذه اللحظة . . فى أجازة مفتوحة !

□ □ □

كان الفرق بين تمجيد الأمس . . وإنكار اليوم بالنسبة لضباط معركة الاسماعيلية هو نفسه الفرق بين مصرين . . مصر ما قبل ٢٦ يناير . . ومصر ما بعد ٢٦ يناير . .

□ □ □

لم يكن هذا الفرق هو أول علامة على تغير الموقف فى البلد . . وإن كان أكثر مرارة وايلاما لأنه ارتبط بحاكم مصرى . .

فقد سبق أن لاحظوا شيئا غريبا . .

فى مساء ٢٥ يناير انتهت المعركة بتهدم مبنى محافظة الإسماعيلية :
وخرج من تبقى على قيد الحياة من رجال بلوكات النظام المصريين فى طابور مرفوع الرأس . . يحييه قائد القوات البريطانية فى الشرق الأوسط . وكل القوات البريطانية . . تقديرا لبسالتهم النادرة . .

ونقل الجنود إلى معسكر للاسر . ونقل الضباط إلى معسكر مجاور .
وفى هذه الليلة . . وصباح اليوم التالى — ٢٦ يناير — عامل الإنجليز المصريين الأسرى أحسن معاملة . . فى مكان الإقامة نفسه . . الأكل . . كل الوسائل المريحة للحياة . . التبجيل الواضح .

لكن عندما اقترب اليوم من منتصفه حدث شىء آخر . فى جوارهاى
وقح نقل الإنجليز أسراهم إلى معسكر بعيد . . صحراوى . . ليس فيه أى شىء مريح . الحراسة مشددة جدا ، حتى الذهاب إلى دورات المياه بالحراسة المسلحة . الأكل غاية فى الرداءة ، البرتقالة الواحدة تقسم بين أربعة . . الغذاء قشر كرنب وبصل .. !

واضطر الضباط إلى الاضراب عن الطعام احتجاجا على سوء المعاملة .
وجاءهم ضابط انجليزى يسألهم لماذا انتم مضربين ؟ . . فقالوا له لأنكم تسيئون معاملتنا بعد أن وعد قائدكم بالعكس . . فرد عليه الضابط الإنجليزى : أننا لانريدكم أصلا . . وقد طلبنا من حكومتكم أن تستلمكم ، فرفضت .

وصعق الضباط . . وأدركوا أن ما ترامى اليهم عن أحداث يوم ٢٦ يناير ترتب عليها نتائج خطيرة[1] . .

□ □ □

---

(١) راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت — الملاحق

على أى حال ، لم يكن ضباط معركة الإسماعيلية وحدهم الذين انتقلوا من النقيض إلى النقيض على هذا النحو المأسوى . . فقد تحولت مصر كلها من الانطلاق والحرية إلى الظلام والقيود . . وأصبحت صيحات : قف . . من أنت ؟ تطارد كل مواطن يسير فى الطريق بعد الغروب . وسلطت الرقابة على الصحف . . وسجن الوطنيون . . وطورد الفدائيون الأبطال . . وأصبح ضبط مخازن أسلحتهم المهمة الأساسية لجهاز الأمن . . وأقيلت حكومة الأغلبية وجاءت حكومة ممالئة للاستعمار والملك .. وأبعد وزير الداخلية الذى كان يرسل ضباط البوليس والأسلحة والذخيرة لمقاتلة قوات الاحتلال .. وأجلس مكانه وزير آخر . يرى فى ذلك «أفكارا ثورية» بالغة السوء .. يجب اخراجها من رؤوس الناس !

وكان ذلك كله هو النتائج السريعة لأحداث ٢٦ يناير . فيما أشتهر فى تاريخ مصر المعاصر بحريق القاهرة ..

السبت الأسود !

ماذا حدث يوم السبت الأسود . . يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ؟

أشعلت النار فى كازينو أوبرا . . ثم فى سينما ريفولى . . ثم انتشرت الحرائق لتغطى قلب القاهرة . . ولتشمل كل المنطقة الواقعة بين سيدان الأوبرا شرقاً والأسعاف غرباً . . وبين ميدان المحطة « رمسيس » شمالا وميدان الإسماعيلية « التحرير » جنوباً .. ولتمتد أيضا إلى الأطراف البعيدة من العباسيه والظاهر شمالا إلى شارع الهرم جنوباً ..

وفيما بين الساعة الثانية عشر والنصف تقريباً والساعة الحادية عشر مساء كانت النار قد التهمت ٧٠٠ محل وسينما وكازينو وفندق ومكتب ونادى.. فى شوارع وميادين الأوبرا ـ شارع إبراهيم « الجمهورية » وشارع فؤاد « ٢٦ يوليو » وشارع عدلى وشارع قصر النيل وشارع سليمان وشارع عبد الخالق ثروت وميدان مصطفى كامل وشارع شريف وشارع رشدى وشارع جامع شركس وشارع البستان وشارع محمد فريد وشارع عمادالدين وشارع نجيب الريحانى وشارع محمود بسيونى وشارع البورصة الجديدة وشارع توفيق وميدان التوفيقية وشارع جلال وشارع الملكة « رمسيس » وميدان الاسماعيلية « التحرير » وشارع الخديو اسماعيل «التحرير» وشارع

الشواربى وشارع الفلكى وشارع محمد صدقى وسكة المغربى وشارع الانتكخانة وشارع شامبليون وشارع الألفى وميدان حليم باشا وشارع حليم باشا وشارع قنطرة الدكة وميدان قنطرة الدكة وشارع كلوت بك وشارع دوبريه وشارع كامل صدقى وشارع الظاهر وشارع محمود فهمى المعمارى وميدان باب الحديد وشارع المهرانى وشارع المهدى وشارع خليج الخور وشارع محمد على وشارع الأهرام ..

وخلال هذه الساعات الكالحة أكلت النيران :

٣٠٠ محل بينها أكبر المحلات التجارية فى مصر كلها ..

٣٠ إدارة ومكتب لشركات كبرى ..

١١٧ مكتب أعمال وشقق سكنية ..

١٣ فندقاً كبيراً ، منها شبرد ومتروبوليتان وفيكتوريا ..

٤٠ دار سينما بينها ريفولى وراديو ومترو وديانا ومتروبول وميامى وهونولولو ..

٨ محلات ومعارض كبرى للسيارات ..

١٠ متاجر سلاح ..

٧٣ مقهى ومطعم وصالة، منها جروبى والأمريكين وجميع المطاعم والملاهى الممتازة ..

٩٢ حانة للخمور ..

١٦ نادياً ، منها نادى الترف كلوب ونادى رمسيس ونادى دار العلوم والنادى اليونانى ونادى محمد على « التحرير » ..

١ بنك هو بنك باركليز [1].

---

(١) بيان النائب العام — جميع الصحف بتاريخ ٨ مارس ١٩٥٢ .

وحاولت مطافى القاهرة السيطرة على الحرائق .. فنزلت بكل طاقاتها التى كانت معبأة بسبب إعلان حالة الطوارئ «ج» – بألف عسكرى و ٩ ضباط و ٣٦ مهندساً وميكانيكياً.. يعملون على ٤٦ وابور إطفاء.. ويلاحقون الحرائق من ٢٠ نقطة مطافى موزعة على العاصمة

واستعان محافظ القاهرة بالنيابة بمطافى الأقاليم أيضاً ..

لكن كل ذلك لم ينفع .. ولم يؤد إلى إخماد حريق واحد قبل أن يكون قد ترك آثاره المدمرة على المكان الذى اشتعل فيه . .

وكان السبب الذى قدمه القائمقام «العقيد» ابراهيم القاش قومندان مطافى القاهرة لعدم استطاعة قواته السيطرة على الحرائق :

«أنه لم يسبق حصول حرائق مثل هذه فى أى بلد فى العالم .. فى وقت واحد . . ومتعمدة[1] »

□ □ □

وأسفرت الحوادث عن ضحايا .. وخسائر كثيرة ..

فقتل ٣٦ شخصا ، احترق منهم ٢٢ شخصاً ، ١٣ فى بنك باركليز ، ٩ فى الترف ، ومات برصاص البوليس ٤ ، واحد أمام بنك باركليز واثنين أمام عمر أفندى ، وواحد عند تقاطع شريف وعدلى ..

وأصيب ٥٥٢ شخصا بجروح ، بينهم ٣٠ بأعيرة نارية و ١٠ بكسور و ١٦ بحروق ، و ٩ إغماء ، و ٤١٤ بجروح رضية وقطعية . .

وتشرد عدة آلاف من العاملين فى المنشآت التى احترقت .. قدر عددهم بمن يعولون من أسر بعشرين ألف نسمة ..

---

(١) من أقوال القائمقام ابراهيم القلش فى محضر تحقيق النيابة مع رجال المطافى .

وقدر الخبراء الأجانب الخسائر المادية بأربعين مليون استرليني .. وقدرها الخبراء المصريون بمائة مليون ..

وخسرت المطافي وحدها ، وهي تحاول الإطفاء ، خراطيم مياه ، مزقت أو احترقت ، قيمتها ١٣ ألف جنيه[1] !

□ □ □

كان الحريق فظيعا ..

وكان وقوعه على هذا النحو الواسع مفجعا للمصريين جميعا .. ذهل له السياسيون .. واندهش المراقبون الأجانب .. وحار في أمره الباحثون والمؤرخون ..

ذلك أنه لم يحدث حريق كبير مثل حريق ٢٦ يناير ، أتى على قلب عاصمة دولة ، في ساعات محدودة .. إلا في أحداث نادرة جداً .. عبر التاريخ الإنساني كله .

كما أنه لم يعرف عن شعب مصر نزوع إلى العنف والتدمير .. وإنما العكس هو الصحيح ، إذ كانت السمة الأساسية لهذا الشعب منذ بدء تاريخه المعروف حتى الآن أنه شعب مسالم .. بناء حضارة .. يميل إلى الأساليب السلمية .. حتى في ثوراته الكبرى ..

لذلك كان الحدث رهيباً .. وكان وقوعه يؤكد أن البلاد تجتاز منعطفا خطيراً .. لابد معه من حدوث شئ كبير ..

فلماذا كان لابد أن يقع هذا الحادث .. في هذا الوقت بالذات .. في ٢٦ يناير ١٩٥٢ ؟

---

(١) الاهرام ١٩٥٢/٢/١٢ — الزمان ١٩٥٢/٣/٨

سر يوم ٢٦ يناير

كانت حكومة الوفد قد جاءت إلى الحكم فى يناير ١٩٥٠ ، وكان مجيئها إنهاء لعصر حكومات الأقليات التى استبدت بحكم مصر منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أجريت أول انتخابات عامة أسفرت عن حصول الوفد على أغلبية ساحقة .

وعبرت الجماهير الشعبية التى طال كبتها عن فرحتها لنتيجة الانتخابات وخرجت مظاهراتها تهتف ضد السعديين .. وللنحاس .. أياماً عديدة ..

ومنذ اليوم الأول لظهور نتائج الانتخابات .. لم تتوقف الجماهير عن الحركة .. بصورها المختلفة ..

لكن ، شيئاً فشيئاً ، أخذ يظهر ويتبلور اتجاه جديد فى الحركة الشعبية . فهى لم تعد مجرد مظاهرات صاخبة تهتف ضد ابراهيم عبد الهادى وللنحاس .. وإنما أخذت ترفع شعارات ومطالب وطنية واجتماعية محددة ترسم بها ملامح برنامج عمل جديد للحكومة التى أسفرت عنها الانتخابات .

وأيضاً .. أخذت حركة الجماهير تنحو نحو التنظيم .. بدلا من المظاهرات العفوية ..

كما برزت التنظيمات والأحزاب الوطنية والتقدمية إلى المقدمة . . وأصبحت هى الأدوات الفعلية لتنظيم الجماهير .. وليس الوفد . . الذى بدا أن دوره التنظيمى وسط الجماهير أخذ فى التضاؤل ..

كانت الشهور الأولى من حكم وزارة النحاس فترة « جس نبض ».. فالجماهير الشعبية باتيانها بالوفد كانت فى الواقع تريد منه التصدى لحل المشاكل الكبرى التى كانت قد تجمعت بحدة فى السنوات الماضية وهى : المشكلة الدستورية التى كانت تتجسد خاصة فى استبداد الملك واستفحال نفوذه .. والفساد الذى استشرى واستغلال النفوذ واتخاذ الوظائف مصدراً للثراء وعلاقة الإدارة الحكومية بالشركات وكبار الملاك أى المشكلة الاجتماعية .. وانخفاض الأجور والمرتبات وارتفاع نفقات المعيشة أى المشكلة الاقتصادية . . ثم مطلب جلاء الانجليز جلاء غير مشروط أى المشكلة الوطنية .. والحريات السياسية والقضاء على آثار إرهاب حكومات الأقليات أى المشكلة الديمقراطية..(1)

لكن الوفد ، لأسباب كثيرة يمكن الرجوع اليها عند مؤرخى تلك المرحلة وخاصة عبد الرحمن الرافعى وطارق البشرى — لم يستطع حل أى من المشكلات الثلاث الأولى (الدستورية والاجتماعية والاقتصادية) . . بل وقدم تنازلات خطيرة فيها أدت إلى استفحالها جميعاً . . فتحولت إلى ذريعة للتهجم على حكومة النحاس من قبل أحزاب الأقلية قبل غيرهم !

بينما فى القضية الوطنية قبل دخول المفاوضات من جديد مع الانجليز

---

(1) طارق البشرى — « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ » — الهيئة العامة للكتاب — ١٩٧٠ — ص ٣٠٨ .

واستمر فيها من مارس ١٩٥٠ حتى سبتمبر ١٩٥١ .. رغم مماطلة المفاوضين البريطانيين وتعنتهم لدرجة اتخاذ موقف أكثر تشدداً من موقفهم فى مفاوضات صدقى - بيفن سنة ١٩٤٦ . . مما أعطى القوى المعارضة فرصة أخرى للتهجم على الحكومة الوفدية[١] ..

القضية الوحيدة التى فرضت طبيعة الوفد عليه أن يحلها إلى حد كبير هى قضية الديمقراطية : فقد ترك الوفد حرية الحركة للجماهير الشعبية . . وأطلق الصحافة الشعبية لتعبر عن أمانى الجماهير .. وسمح بكشف كل الأساليب المعادية للحريات العامة والكرامة الإنسانية وبالذات أساليب التعذيب التى اتبعتها أجهزة البوليس السياسى فى العهد الماضى ضد الاخوان المسلمين والشيوعيين ..

وإذا كانت القوى الشعبية قد اشتدت معارضتها يوما بعد يوم لمواقف الحكومة فى القضايا الأربع الأولى . . فانها استفادت من موقف الحكومة من قضية الديمقراطية . . واتخذت من باب الحريات الذى فتحته لها مدخلا لطرح رؤيتها لمشاكل البلاد : : وأساليبا لمواجهتها . . والضغط على الحكومة نفسها لتعديل مسلكها ازاءها : :

ومع الغاء الأحكام العرفية فى مايو ١٩٥٠ بدأت الصحافة الوطنية تفتح النار على الفساد وعمده . : فمنذ ٦ يونيو بدأ احسان عبدالقدوس على صفحات روز اليوسف حملته الشهيرة على الأسلحة الفاسدة مما الزم النيابة بالتحقيق وتوجيه الاتهام إلى القصر ورجاله المقربين من الملك . . ثم واصلت «الاشتراكية» صحيفة الحزب الاشتراكى . . وأحمد حسين بالذات

---

(١) عبد الرحمن الرافعى - مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ ، مكتبة النهضة المصرية ، ص ٢١ - ٢٧ .

الحملة على الملك نفسه . . فضلا عن الاستغلال الإقطاعى والرأسمالى . . بينما ركزت «الجمهور المصرى» وأبو الخير نجيب على فضائح البوليس السياسى . . وكشف دور المخابرات البريطانية وعملائها فى مصر . . فى الوقت الذى أخذت فيه صحف الشيوعيين وأنصار السلام « الكاتب » و «الملايين» تنبه إلى الاستعمار الأمريكى المتسلل . . وصور الاستغلال فى المجتمع [1] . .

وببداية العام الثانى للوزارة الوفدية . . انتقلت الحركة الشعبية إلى مرحلة العمل التنظيمى . .

فى ٤ أبريل ١٩٥١ نظمت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى والتنظيمات الشيوعية الأخرى مؤتمرا بنادى كلية الحقوق بجامعة فؤاد (القاهرة) حضره كثير من الاساتذة والشباب والكتاب الأحرار مثل سلامة موسى ومحمد صبرى السربونى وغيرهما . . وتحدث فيه زكى مراد (المحامى) باسم المنظمة الداعية للمؤتمر . . فانتقد الوفد لتخليه عما كان ينادى به وهو فى المعارضة من مواقف قوية . . ودعا للكفاح المسلح أسلوبا لتحقيق المطالب الوطنية . . وانتهى المؤتمر إلى الموافقة على «ميثاق وطنى» يلتزم به كل الأحرار . . ضد :

أولا : أى معاهدة أو تحالف أو دفاع مشترك فى أى صورة من صور التعاهد مع الاستعمار الأنجلو أمريكى أو التحالف الثنائى اكتفاء بميثاق الأمم المتحدة ؛

(١) طارق البشرى – المصدر السابق ، ٣١٧ ، ٣٥١ .

ثانيا : الاعتداء على الحريات العامة ، حرية الصحافة والرأى والإجتماع . . الخ .

ثالثا : الهيئة التى أقامها الاستعمار لتوطيد أقدامه لمحاربة المواطنين الأحرار وهى البوليس السياسى . .

كما أعلن الميثاق النضال من أجل :

١ – تدعيم الكفاح المشترك بين المصريين والسودانيين من أجل التحرر الكامل من براثن الاستعمار والاحتجاج على سياسة الحاكم العام البريطانى فى السودان والمطالبة بالغاء قانون الطوارىء والحكم العرفى فى السودان.

٢ – قطع المفاوضات فورا (بين النحاس والإنجليز)

٣ – نصرة قضية السلام وتأييد جميع المناضلين من أجله .

٤ – الغاء الأحكام الصادرة فى القضايا السياسية خصوصا من المحاكم العسكرية .

٥ – حق تكوين الجمعيات والهيئات والأحزاب باعتباره حقا دستوريا للمصريين جميعا ، والغاء جميع التشريعات الاستثنائية التى تحد من الحرية والمطالبة بصفة خاصة باعادة جميع الصحف الملغاة وتحريم الغاء أى جريدة فى المستقبل تمسكا بالدستور . .

وقد وقع على هذا الميثاق عدد من الكتاب منهم أبو الخير نجيب وإحسان عبد القدوس وكامل الشناوى وسلامة موسى وفتحى الرملى وإبراهيم البعثى وعبد الرحمن الخميسى وغيرهم . . [1]

---

(١) طارق البشرى – المصدر السابق ، ص ٣٥٢ .

وجاءت ذكرى ضرب الإسكندرية (١١ يوليو) فدعا الحزب الاشتركى مع غيره من الأحزب والهيئات للاحتفال بذكرى بداية الاحتلال البريطانى لمصر بالاضراب العام والتظاهر وعقد الإجتماعات.. وشكلت لجنة منه ومن الحزب الوطنى والاخوان المسلمين وبعض التنظيمات الماركسية للاعداد لهذا اليوم.. لكن الحكومة رفضت الاضراب والتظاهر . . وصرحت بالإجتماع فقط . . ثم عادت ومنعته أيضا . . ومع ذلك سارت المظاهرات . . وعقدت اجتماعات عديدة .. ثم ألغى مجلس الدولة قرار الحكومة .. لكن بعد أن مرت المناسبة .. (١)

ثم كان ٢٦ أغسطس – يوم توقيع معاهدة ١٩٣٦ – فدعت المنظمات الشعبية للتظاهر .. ومرة أخرى رفضت الحكومة .. لكن القاهرة خرجت عن بكرة أبيها – كما ذكرت جريدة المصرى – وخرجت بداية المظاهرات من حى بولاق حيث تجمع أكثر من ١٥ ألفا من عمال العنابر .. انضم اليهم بعد ذلك الطلبة وافراد الشعب .. وارتفعت فى هذه المظاهرات لافتات كتب عليها «تسقط المعاهدة» .. «عاشت مصر حرة» .. «دماؤنا رخيصة فى سبيل الوطن» .. واتجه فرع من المظاهرة إلى ضريح سعد .. بينما اتجه الفرع الآخر إلى ميدان عابدين .. واصطدم البوليس بالمتظاهرين وجرح عدد من الجنود .. ومن أفراد الشعب .. (٢)

وفى مساء نفس اليوم عقد الحزب الاشتراكى مؤتمرا حاشدا ، اشترك فيه الحزب الوطنى وحركة أنصار السلام والاخوان المسلمين والتنظيمات الشيوعية وحزب الفلاح .. وانبثقت عن الإجتماع لجنة من أحمد حسين وفتحى رضوان وأحمد كامل قطب ويوسف حلمى صاغت قرارت

---

(١) ، (٢) طارق البشرى ، نفس المصدر ، ص ٣٥٣ – ٣٥٦ .

المؤتمر وكانت تنص على بطلان معاهدة ١٩٣٦ واستنكار إبرام معاهدة أخرى مع بريطانيا وأمريكا ، ودعوة الشعب لتحرير التعامل مع الإنجليز عسكريين ومدنيين ، وعدم التعامل مع معسكراتهم ، وتنظيم منع وصول المأكولات والأدوية والأيدى العاملة إلى المعسكرات البريطانية .. (١)

ومنذ صيف ١٩٥١ لم تنقطع المظاهرات الشعبية . . والمؤتمرات السياسية الموسعة التى تدعو لها الأحزاب الوطنية . .

وارتفعت فى هذه المظاهرات والمؤتمرات كل الشعارات التى تعبر عن ارادة الجماهير فى التغيير الجذرى . . سواء فى ميدان المسألة الوطنية : أو المسائل الداخلية ..

وتحددت أكثر فأكثر ملامح حركة ثورية جديدة . . مستقلة عن القيادات التقليدية ، بما فيها قيادة الوفد . . ومالت فصائل هذه الحركة إلى العمل المشترك .. والبرامج الموحدة .. كما تشكلت فيما بينها نوايات لتحالفات محدودة كان يفترض أن تتحول إلى جبهة وطنية عريضة .. فقامت محالفة بين الحزب الاشتراكى والحزب الشيوعى المصرى كما قامت محالفة بين الحزب الشيوعى المصرى وجناح من الاخوان المسلمين : وكذلك بين الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (إحدى فصائل الحركة الشيوعية) وبين جناح فى حزب الوفد .. بينما توثق التحالف أكثر بين الطليعة الوفدية التى تكونت من العناصر اليسارية فى الوفد بزعامة مصطفى موسى وبين منظمة الديمقراطية الشعبية الشيوعية . .

وأخذت القضايا الإجتماعية تطرح نفسها بقوة سواء فى المؤتمرات

---

(١) طارق البشرى – نفس المصدر ، ص ٣٥٦

السياسية أو المظاهرات . . بينما لعبت الصحافة الشعبية دورا رئيسيا فى كشف التلاعب فى بورصة القطن . . ونشر التحقيقات عن الاقطاع المصرى . . وفضح البؤس الفظيع الذى كان يعيش فلاحو مصر فيه ..

وأدى هذا الموقف من جانب الصحافة الوطنية لملاحقتها بالمصادرة .. وسجن رؤساء تحريرها . . لكن ذلك زاد الصحافة اصرارا . . وزاد الحركة الثورية قوة وتلاحما . . لأن جلسات محاكمة الصحفيين ونظر المصادرة . . كانت تتحول إلى مظاهرات ثورية هائلة .. يتضامن فيها الصحفيون .. والمحامون . . ورجال القضاء مع حركة الجماهير . . فكانت تتحول إلى هزائم للنظام . . وانتصارات للشعب .

وفى هذا الجو تململ الفلاحون أيضا . . بعد صمت طويل . . طويل. ففى «كفور نجم» حيث كان الأمير محمد على ولى العهد يملك حوالى سبعة آلاف فدان . . كان الفلاحون يشكون من ارتفاع الإيجارات وانخفاض مستوى الحياة . . لكن بلا جدوى . فبدأت حوادث حرق المحاصيل وماكينات الرى والسواقى . ورد البوليس بحملة أرهاب فظيعة . . فاقتحم بيوت الفلاحين ونهب ما فيها . . واعتقل خمسة من قادة الفلاحين وعذبهم تعذيبا وحشيا . . ثم دبر اعتداء على زعيمهم شهيد الحركة الفلاحية والحركة الشيوعية «عنانى أحمد عواد» الذى كان عضوا بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى . . بأن تجمع عليه ثمانية من الزبانية وهو خارج من السجن وأوسعوه ضربا حتى مات . وفى «بهوت» إحدى قرى عائلة «البدراوى» اقتحم رجال البدراوى بيوت الفلاحين واستولوا على أمتعتهم سدادا لإيجار الأرض الذى عجزوا عن دفعه . . وضربوهم . فتجمع أهل القرية حول قصر البدراوى فقتل المالك أحدهم . . فثاروا . . وأشعلوا النار فى اجران

القمح . وأسرع «سيد البدراوى» عميد الأسرة إلى بهوت فهاجمه الفلاحون بالحجارة . لكن سرعان ما أرسلت الدولة قوة بوليس ضخمة مكونة من ٥٠٠ جندى . . اعملوا الضرب فى الفلاحين . . وقبضوا على ٥٠ منهم . . وألقوا بهم فى السجن . وفى قرية «أبو الغيط» كانت الأوقاف تؤجر أرضها لصغار الفلاحين . . ثم قررت أن تطرد ٥٠٠ فلاح منهم من الأرض لتؤجرها جميعها لصهر وزير التموين . . فاعترض الفلاحون . . وتدخل البوليس كما هى العادة . . ونشبت معركة سقط فيها ١٢ فلاحا صرعى . وفى «ميت فضالة» أضرب الفلاحون عن جمع القطن لما وجدوا أن المطلوب منهم سداده يفوق ثمن المحصول . . فقبض على تسعة منهم . . وسجنوا . . وعذبوا . . ومنع عنهم الطعام والشراب . . فتجمع الفلاحون ساخطين فأطلق أحد الضباط النار عليهم . . فهجموا على التفتيش . . فأحتلت القرية بواسطة ٧٠٠ جندى واعتقل كثير من الفلاحين . .[1]

وعكست الصحافة التقدمية هذه الأحداث الخطيرة فى الريف . وربطت بين كفاح الشعب فى الريف والمدن . . فى جبهة واحدة ضد الإقطاع والرأسمالية .. والسلطة التى تمثلهما وتحمى مصالحهما .. وركزت الانظار دائما على الملك . . الرمز الفعلى لكل هذه الشرور . .

وأدى ذلك كله لأن يحاول النظام تكبيل الحركة الشعبية .. بتكميم صحافتها بصفة رئيسية . . ففرض الملك على الحكومة أن تتقدم بمجموعة قوانين لتقييد حرية الصحافة . . عرفت بمشروعات اسطفان باسيلى . لكن النائب الوفدى أضطر لسحب مشروعات القوانين . . واضطرت الحكومة للتنصل من أى صلة بها . . بعد أن لاقت هذه المشروعات أعنف هجوم

(١) طارق البشرى نفس المصدر ، ص ٣٤٦ — ٣٤٧

من كل القوى الشعبية . . ومن صحفى ونواب الوفد أنفسهم وفى مقدمتهم أحمد أبو الفتح والدكتور عزيز فهمى . . ففسدت مؤامرة القصر . . وأحرزت الحركة الديمقراطية فى البلاد مكسبا جديدا . .

تحت ضغط هذه الحركة القوية من جانب القوى الشعبية الجديدة . . اتخذت الحكومة الوفدية موقفا أكثر تشددا من الاستعمار والقصر . . تمثل بصفة أساسية فى قطع المفاوضات مع بريطانيا فى سبتمبر .. ثم الغاء المعاهدة فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ .. ومفاجأة الملك بذلك القرار الخطير .

وتحت ضغطها أيضا أضطرت جميع القوى السياسية التقليدية فى البلاد لمسايرة الروح الوطنية . . وتجلى ذلك فى أوضح صورة فى مظاهرة ١٤ نوفمبر . تلك المظاهرة التى دعا اليها الوفد (فى أحد الأقوال) ، وأحمد حسين (فى قول آخر) والتى انتظم فيها حوالى مليون مواطن . . يتقدمهم مصطفى النحاس وعلى ماهر ومكرم عبيد والكثيرون من رجال السياسة والأحزاب . . وظلت تسير فى شوارع القاهرة لمدة سبع ساعات كاملة وكانت المظاهرة صامتة . . لكن اللافتات التى ارتفعت فيها كانت تعبر عن وعى رفيع . . ولم يحدث فيها حادث واحد يفسد جلال المظاهرة . .

كانت تعبر عن وعى رفيع . . وهكذا دخلت الحركة الديمقراطية للشعب المصرى سنة ١٩٥٢ ، وهى تحتل مواقع ممتازة . الحريات العامة تفرض على السلطة فرضا .. والصحافة تلعب دورها فى كشف نقائصها وتحرث الأرض للثورة . . وقوى الشعب تشق طريقها نحو التحالف والوحدة بعد أن أوشكت على وضع برنامج حد أدنى للعمل المشترك ضد العدو المشترك . .

أكثر من ذلك ، كان الشعب المصرى قد بدأ فعلا يحطم الستار الحديدى

الذى فرضه عليه الاستعمار والنظام الرجعى . . ويحقق قدرا متزايدا من الالتقاء بشعوب العالم وحركاتها التحريرية المناهضة للاستعمار العالمى . . وكانت حركة السلام المصرية بوصفها جزءا من حركة السلام العالمية إحدى صور هذا الالتقاء . . ومع مجىء عام ١٩٥٢ كان الشعب المصرى يسير فى اتجاه تحقيق صورة أرقى من الالتقاء . . بأن يفتح ذراعيه لشعوب العالم القريبة منه . . فقد تقرر أن يعقد مؤتمر لشعوب الشرقين الأدنى والأوسط وشعوب البحر الأبيض . . فى القاهرة . . وتحدد موعدا لهذا المؤتمر ما بين يناير وفبراير ١٩٥٢ . .

□ □ □

وفى تلك الفترة نفسها . . برز بصورة لم يسبق لها مثيل دور الطبقة العاملة المصرية . .

فبمجرد اعلان الحكومة الوفدية الغاء معاهدة ١٩٣٦ . . ثم رفضها مشروع الحلف الرباعى . . وأمام اتجاه قوات الاحتلال البريطانية لمواجهة الموقف بعنف . . جاءت مبادرة العمال المصريين . . ليسجلوا فى التاريخ أنهم كانوا أول من تصدى بالمقاومة فى معركة القنال المجيدة . .

فامتنع عمال السكك الحديدية المصريون عن العمل مع الإنجليز .. مما أصاب حركتهم بالشلل . .

كما امتنع عمال الشحن والتفريغ فى جميع الموانى عن التعاون مع الإنجليز . . فهامت سفنهم فى القنال . .

ثم أضرب عمال المعسكرات البريطانية نفسها . . وانسحبوا منها . . فصارت حياة الإنجليز فى هذه المعسكرات جحيما لا يطاق . .

هذه المواقف الشجاعة للعمال المصريين . . والدالة على روح التضحية العالية من جانب عمال يخسرون أجورهم المرتفعة نسبيا . . ولا يفكرون فى أى ضمانات للمستقبل ·· فى سبيل الوطن وقضيته ·· منحت الطبقة العاملة المصرية تقدير الأمة كلها ··

وفى نفس الوقت ، أحيت التقاليد النضالية للطبقة العاملة·· وفى مقدمتها العمل من أجل التضامن العمالى ·· والدفاع عن الحقوق الإقتصادية والسياسية للعمال ·· ودعم التنظيم النقابى ··

وهكذا أخذت النقابات العمالية تقوى وتتعزز ·· وتمارس دورها فى الدفاع عن أعضائها ·· وتعمل من أجل قوانين أفضل للعمل ··

لكن أبرز ما حدث فى تلك الفترة هو اتجاه الحركة النقابية المصرية لإعادة الوحدة إلى صفوفها بعد أن كانت فقدتها منذ سنة ١٩٢٤ عندما حل أول اتحاد عام للعمال المصريين ..

وهكذا بدأ العمل من أجل اعادة تأسيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر ؟ ؟

وتشكلت بالفعل اللجنة التحضيرية للاتحاد ممثلة لنقابات العمال الكبرى بدور بارز للعناصر اليسارية وللشيوعيين على وجه الخصوص .

وأخذت اللجنة التحضيرية تعد للمؤتمر التأسيسى للاتحاد بدعوة النقابات المحلية والاتحادات العمالية العالمية . . وفى مقدمتها اتحاد عمال السودان . . شقيق الحركة العمالية المصرية فى الكفاح ضد المستعمرين ..

وأيضا بدعوة النقابات لبلورة برنامجها للدفاع عن حقوق عمالها .. فى الأجور والضمانات ضد البطالة والحصانة النقابية ..

وفى نفس الوقت، بدعوة النقابات لتكوين الاتحادات النوعية والأقليمية حتى يصبح الاتحاد العام مرتكزا على قاعدة متينة من الحركة النقابية المنظمة..

وتحدد لعقد المؤتمر التأسيسى لاتحاد نقابات عمال مصر يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ (١)

□ □ □

فى ظروف هذا المد الشعبى الوطنى الديمقراطى اتخذت حكومة مصطفى النحاس قرارها التاريخى بالغاء معاهدة ١٩٣٦ يوم ٨ اكتوبر ١٩٥١ ، بعد أن كانت قد قطعت المفاوضات مع الانجليز فى سبتمبر من نفس العام ..

وأيا كان الباعث وراء هذا القرار .. وسواء أكان تنفيذا لسياسة سبق أن قررها الوفد وأعلنها النحاس قبل تشكيل الحكومة .. كما يرى الوفديون (٢) أم كان محاولة من جانب الوفد للتخلص من المأزق الذى وجد نفسه فيه ، بعد أن تشدد معه الانجليز فى المفاوضات بأكثر مما تشددوا مع صدقى سنة ١٩٤٦ ، وبعد أن اظهر الملك رغبته فى اقالة الحكومة متذرعا بفشلها فى ايجاد صيغة جديدة للعلاقات المصرية البريطانية ... (٣) فان الشئ المؤكد أن الغاء المعاهدة كان استجابة لمطلب شعبى واسع .. ومثل محاولة جديدة

---

(١) راجع شهادة احمد طه – الملاحق .

(٢) يرجع الوفديون القرار إلى نية سبق أن أعلن عنها النحاس عندما قرر فى أكثر من خطاب له أنه سيعمل على تحقيق الجلاء الكامل .. راجع ذكريات سياسية لعبد الفتاح حسن دار الشعب، ١٩٧٤ ، ص ٥٠ — ٥٢

(٣) عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ٢١ .

من جانب الوفد للالتحام بالحركة الشعبية .. قوى هذه الحركة واعطاها فرصة أكبر للانطلاق.

فقد انطلقت المظاهرات الشعبية تغطى كل مدن القطر .. تعبر عن فرحتها بالالغاء .. وتكشف عن كل عدائها للاستعمار .. وتطلب المزيد من الخطوات ضده ..

كما عقدت الأحزاب والقوى السياسة الوطنية مؤتمرات .. وكتبت صحفها تطالب باجراءات تنفيذية لقرار الالغاء ..

وطبعا واجه الاستعمار البريطانى ، والعالمى ، قرار الالغاء بالرفض .. وبمحاولة فرض مزيد من السيطرة على البلاد ..

فما كاد النحاس يعلن الغاء المعاهدة .. حتى أصدرت السفارة البريطانية – فى مساء نفس يوم الالغاء – بيانا أعلنت فيه أن الغاء الحكومة المصرية للمعاهدة من جانبها عمل غير قانونى وأن الحكومة البريطانية تعتبرها سارية المفعول وتحتفظ بحقوقها .. (١)

ثم عقد اجتماع بريطانى فرنسى ، وصدر بيان مشترك بعدم الموافقة على قرار مصر .. (٢)

وبعد ذلك بقليل عقد دين اتشيسون وزير خارجية أمريكا مؤتمرا صحفيا أعلن فيه عدم موافقة الحكومة الأمريكية على قرار الحكومة المصرية وطالبها بالتمهل .. (٣)

---

(١) عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ٢٨ .

(٢) ، (٣) حسن دوح « كفاح الشباب الجامعى على القناة » – دار القلم ، الكويت ١٩٧٣ ، ص ١٥ – ١٧ .

واتخذ موقف الرفض من جانب الاستعمار شكل المظاهرة المسلحة أيضا ..

فلم تمض ساعات على الالغاء حتى عقد ايزنهاور قائد عام حلف الأطلنطى حينئذ اجتماعا طارئا حضره عمر برادلى ورؤساء اركان حرب القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية لدراسة الموقف .. (١)

وأعلنت الحكومة البريطانية الغاء اجازة الجنود والضباط فى منطقة القنال ، كما أعلنت حالة الطوارئ فى جميع قواتها .. (٢)

ويوم ١١ اكتوبر وجهت بريطانيا انذارا لمصر تحملها فيه مسئولية أرواح القوات البريطانية فى منطقة القناة(٣) وأصدرت قراراً بأنها « ستدافع عن مصر ضد أعدائها .. حتى وأن رفضت مصر » :.. (٤)

ورد الشعب المصرى على ذلك كله بالمزيد من المظاهرات . . وأعلن بقوة عن مساندته للحكومة فى وجه الضغوط الاستعمارية . . وأعرب عن كراهيته لكل دول الاستعمار ولكل أشكاله :.

واتخذت كل فئات الشعب مواقف عملية تعبر عن هذه المعانى .. فامتنع العمال عن العمل مع الانجليز — كما سبق أن أوضحنا — وكذلك امتنع المتعهدون :. وبدأ ما عرف بحركة المقاومة السلبية :.

وواجه الاستعمار اتحاد الشعب المصرى وحكومته بعمل جماعى ، فتقدمت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا ومعهم تركيا بما

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) حسن دوح المصدر السابق .

عرف بالمشروع الرباعى ، وهو مشروع تحالف جديد يربط مصر بهذه الدول ، ينص على إنشاء قيادة مشتركة من الدول الأربع ومصر ترتبط بحلف شمال الأطلنطى ..

ورفض الشعب المصرى الهجمة الاستعمارية الجماعية بعنف .. كما رفضتها الحكومة شكلا وموضوعاً .. شكلا ، بأن أمر مصطفى النحاس وزير الخارجية الدكتور محمد صلاح الدين بألا يقابل سفراء الدول الأربع مجتمعين كما طلبوا .. وإنما يقابلهم فرادى تعبيرا عن استنكار مصر لتكتلهم ضدها .. وموضوعاً برفض مقترحاتهم .. والاصرار على الاستقلال وتنفيذ قرار إلغاء المعاهدة . . وإن الدفاع عن مصر هو من شأن مصر . . وأن لا أعداء لمصر إلا محتليها[1] ...

عندئذ لجأت قوات الاحتلال البريطانية إلى التحرش المسلح .. فهاجمت المظاهرات السلمية فى مدن القناة .. واحتلت كوبرى الفردان .. واتخذت اجراءات عديدة للتأثير على هيبة الحكومة الوفدية ..

وواجهت الحكومة المصرية هذا بأن أصدرت يوم ٢١ اكتوبر ١٩٥١ مجموعة قرارات لممارسة مزيد من الضغط على الانجليز : . وكانت هذه القرارات :

أولا : اتخاذ كل السبل المؤدية لعدم تعاون العمال مع القوات البريطانية عن طريق مكاتب مصلحة العمل ، والنقابات ، وحضرات الشيوخ والنواب والهيئات الأهلية ، على أن تصرف إليهم الحكومة أجورهم عن يوم

---

(١) راجع شهادة ابراهيم فرج — الملاحق .

توقفهم عن العمل مع القوات المذكورة وأن تدبر لكل منهم ما يناسبه من عمل .

ثانياً : عدم اتخاذ اجراء رسمى حالياً بالنسبة لموردى تموين القوات البريطانية على أن يسلك حيالهم نفس السبل السابقة لحملهم على عدم التعاون مع هذه القوات :

ثالثاً : زيادة سعر كل من سكر البطاقات والطوارىء بمقدار قرشين صاغ فى الأقة الواحدة اعتبارا من أول نوفمبر ١٩٥١ وكذلك زيادة ثمن الكسب بمقدار جنيهين فى الطن الواحد . على أن تخصص حصيلة هذه الزيادة لمواجهة تكاليف القرار الأول .

رابعا : الاذن لوزير المواصلات فى صرف استمارات سفر مجانية على خطوط السكك الحديدية المصرية للعمال المشار اليهم فى القرار الأول الذين قيدوا ويقيدون اسماءهم فى مكاتب العمل المختصة ، هم وعائلاتهم ، وكذلك استمارات سفر مجانية لأمتعتهم وتكون هذه الاستمارات صالحة لمدة شهر ، وتستخدم كاملة أو مجزاة ، ويرخص لمكاتب العمل بصرف هذه الاستمارات .

خامسا : ارجاء اتخاذ قرار يتعلق بالحاكم العام للسودان مؤقتا .

سادسا : إحالة مسألة وادى حلفا على وزير العدل .

سابعا : الجيش المصرى الموجود بالسودان لايغادر السودان اطلاقا ، مهما كانت الظروف والاحوال ، وعليه أن يقاوم بالقوة كل محاولة لاخراجه منه لآخر رجل ولآخر طلقة .

ثامنا : مقاومة القوات البريطانية إذا ما اجتازت منطقة القناة مهما كانت النتائج ، والدفاع عن القاهرة إلى النهاية .

تاسعا : ارسال برقية إلى مجلس الأمن بتحميل الانجليز مسئوليه تهديد السلام العالمى من جراء اعتداءاتهم التى تزداد كل يوم على سيادة مصر وأراضيها وأهلها ومرافقها .

عاشرا : استدعاء سفراء الدول الكبرى وتبليغهم ماذكر فى القرار التاسع .

حادى عشر : تكليف سفير مصر فى لندن بتقديم احتجاج سريع إلى وزارة الخارجية البريطانية على هذه الاعتداءات .

ثانى عشر : تكليف سفراء مصر بالخارج بعقد مؤتمرات صحفية واعطاء البيانات الصحيحة عن اعتداءات الانجليز الأخيرة .

ثالث عشر : الاتفاق مع الأمين العام للجامعة العربية للاتصال بالدول العربية لاستدعاء سفراء الدول الأربع المتحالفة (أمريكا وفرنسا وأنجلترا وتركيا) لمقابلة وزراء الخارجية فى الدول العربية واظهار استيائهم مما يقع فى مصر :

رابع عشر : عدم منح أى تصريح جمركى بادخال مواد أوعتاد للقوات البريطانية حتى فى حالة قيامهم بدفع الرسوم المقرره .

خامس عشر : منع تقديم أية معاونة من سلطات الموانى المصرية للسفن التى تحمل مواد أوعتادا للقوات البريطانية حتى فى حالة قيامهم بدفع الرسوم المقررة

سادس عشر : اخطار وزارة الداخلية ، والحربية ، والبحرية ، والخارجية بكل مايقع من السلطات البريطانية فى دائرة اختصاص أى وزارة فى نفس اليوم .

سابع عشر : تأليف لجنة مشتركة من مديرى مصالح السكك الحديدية ، الجمارك ، الموانى والسواحل والحدود ، والجوازات والجنسية لتنسيق العمل بينهم فيما يختص بالحالة التى نشأت عن الغاء المعاهدة وتفويض وزير المالية بالاشراف على اللجنة واعتماد قراراتها .

ثامن عشر : تكوين لجنة وزارية من فؤاد سراج الدين وزير المالية والداخلية ، وعبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية ، والحربية ، وعبد المجيد عبد الحق وزير الدولة وتفويضها فى اتخاذ القرارات التنفيذية المترتبة على قرارات مجلس الوزراء الخاصة بهذه المسائل [1] ورغم أن هذه القرارات كانت « سرية داخلية » فى نطاق مجلس الوزراء .. الا أنها تسربت إلى الشارع .. كما أن تنفيذ بعضها زاد من حماس الحركة الجماهيرية .. وجعلها تنطلق أكثر فى اتجاه الوصول بالمعركة مع المستعمرين إلى نهايتها ..

لكن الانجليز صعدوا من عملهم العسكرى .. خاصة وأن حركة الكفاح المسلح ضدهم كانت قد تنامت .. وبدا أن المعركة ستتخذ صورة نزاع عسكرى .. مما دفع الحكومة لمحاولة كسر احتكار السلاح .. بطلب اسلحة من خارج الترسانة البريطانية : . فأرسلت مصطفى نصرت وزير الحربية على رأس بعثة مصرية لتسوق السلاح من بلاد أوربا ..

غير أن حلف الاطلنطى حاصر هذه المحاولة المصرية . : فلم

---

(١) عبد الفتاح حسن — « ذكريات سياسية » — دار الشعب ، ديسمبر ١٩٧٤ — ص ٨٨ — ٩٠ .

يستطع وزير الحربية عقد صفقات ذات قيمة .. مما اضطر مصطفى نصرت إلى ارسال برقية يشكو فيها مما واجهته البعثه .. .[1] بينما توجه الدكتور محمد صلاح الدين إلى باريس لاجراء اتصالات مع تشيكوسلوفاكيا للحصول على أسلحة من المعسكر الاشتراكى أثناء دورة الأمم المتحدة [2]

وسارت المظاهرات الشعبية الضخمة نحو السفارة السوفيتية تهتف بصداقة الاتحاد السوفيتى .. وتطالب الحكومة بالحصول منه على السلاح .. وبعقد معاهدة صداقة مصرية سوفيتية ..

وزاد الانجليز من أعمالهم الاستفزازية .. وصعدوا العمليات العسكرية ضد الجماهير وسلطات الحكومة .. وخاصة أقسام البوليس وجنود بلوكات النظام .. فواجهت الحكومة الموقف بتشجيع تقديم مشروعى قانونين بإباحة حمل السلاح لكل أفراد الشعب بحيث يصبح التصريح بحمله هو الاستثناء .. وبتحريم التعامل مع القوات البريطانية واعتبار من يتعامل مع الانجليز خائنا للوطن .. [3]

ثم اعقبت ذلك بسحب السفير المصرى - عبد الفتاح عمرو - من لندن .. توطئة لقطع العلاقات الدبلوماسية نهائيا مع بريطانيا .. والتى تقرر أن يتخذ بها قرار من مجلس الوزراء فى جلسة يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ . .

□ □ □

---

(١) الدكتور محمد أنيس - حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة . ص٩٩ - ١٠٩

(٢) عبد الفتاح حسن - ذكريات سياسية ، ص ٨٦ .

(٣) راجع شهادة عبد الفتاح حسن - الملاحق .

لم تكد الحكومة الوفدية تلغى المعاهدة ، حتى بدأ العمل المسلح ضد قوات الاحتلال البريطانية فى كل منطقة القناة . فبدأ العمال المصريون — قبل مغادرة المعسكرات البريطانية — بعمليات تخريب واحراق محدودة .. ثم اخذوا يهربون كميات من الأسلحة من داخل المعسكرات إلى الوطنيين خارجها ..

لكن سرعان ما أخذت العناصر الوطنية فى مدن القناة الثلاث (الإسماعيلية وبور سعيد والسويس) تتجمع وتكون مجموعات من الفدائيين تهاجم جنود الاحتلال وتستولى على أسلحتهم . .

أما قوات الفدائيين الأساسية فقد تجمعت فى حرم الجامعات المصرية ، حيث أقيمت معسكرات التدريب داخل الكليات .. واستخدمت مدرجات الدراسة فى التدريب على السلاح ..

وانضم الشباب الجامعى من مختلف الاتجاهات والاحزاب لمعسكرات الفدائيين .. فى الجامعة .. بينما قاد هذا الشباب بقية فئات الشعب فى معسكرات التدريب التى أقيمت فى الكثير من احياء القاهرة والإسكندرية وبقية المدن ..

ولعب الاخوان المسلمون بالذات دورا بارزا فى حركة الكفاح المسلح سواء داخل الجامعة أو فى منطقة القناة .. بمالهم من قدرات تنظيمية وخبرات بالعمل العسكرى ..

واشترك فى تدريب الفدائيين وتخطيط عملياتهم الفدائية عدد كبير من ضباط الجيش الوطنيين ، وخاصة من أفراد تنظيم الضباط الأحرار الذين شاركوا جميعهم تقريبا فى هذا العمل الوطنى .. وكذلك من ضباط

البوليس الشبان .. الذين كانوا يتطوعون لهذا العمل بعد أن يحصلوا على أجازة من عملهم الرسمى ..

وقد شجعت الحكومة بقدر امكانياتها المساهمة فى هذا النشاط الفدائى الذى بدأ بمبادرات جماهيرية بحتة . فكانت تغض النظر عن إقامة المعسكرات وعن التدريب على السلاح فضلا عن تداوله .. ثم تطور الأمر إلى تشجيع ضباط البوليس بالذات على التطوع للعمل الفدائى .. وارسال كميات من الأسلحة إلى الفدائيين .. كما كانت تمنح قيادات المعسكرات مساعدات مالية لاعاشة الفدائيين المغتربين خاصة فى مدن القناة وفى الشرقية ..

لكن المساهمة الكبرى التى قدمتها حكومة الوفد ووزير داخليتها فؤاد سراج الدين للكفاح المسلح ضد الإنجليز كانت حشد عدد ضخم من جنود بلوكات النظام المسلحين فى منطقة القناة . برفع عددهم إلى حوالى الألف فى كل محافظة ، بعد أن كانوا لا يزيدون على بضع عشرات . . مع إصدار الأوامر اليهم بالدفاع عن المواطنين إذا ما تعرضوا لهجوم القوات البريطانية . . والتصدى لهذه القوات . . وعدم التراجع أمامها . .

وقد تعرض فؤاد سراج الدين بسبب هذا الإجراء بالذات لهجوم عنيف من مختلف الاتجاهات . . بدعوى أن هذه القوات ـ قوات بلوك النظام ـ كانت غير مسلحة بأسلحة مناسبة لمواجهة القوات البريطانية المسلحة بأحدث الأسلحة وأكثفها . . كما أنها كانت غير مكافئة من حيث التدريب لتلك القوات . . وأنها ـ نتيجة لسياسة فؤاد سراج الدين الخرقاء كما يرى المعارضون ـ تعرضت لضربات شديدة . . أدت إلى سقوط أعداد كبيرة من الضحايا . . وتعتبر مذبحة الإسماعيلية التى قتل فيها

٥٠ من جنود بلوكات النظام وجرح ثمانون . . وأسر قرابة الألف ؟ ؟ أوضح دليل . .

لكن الحقيقة كانت خلاف ذلك . فمع الاقرار بأن الحكومة لم يكن تحت يدها أى قوة حقيقية تستطيع دفعها للعمل ضد الإنجليز . . فكان الجيش تحت أمرة الملك . . وكان اشتراك عدد قليل من ضباطه فى تدريب الفدائيين يتم سرا . . كما أن الداخلية لم يكن لديها أى قوات ذات أعداد كبيرة الا بلوكات النظام . . وهكذا استخدمت الحكومة القوة الوحيدة المنظمة والمدربة التى تتحكم فيها . أما تسليح هذه القوات البسيط فكان خارج إرادة الحكومة . . لأن الجيش المصرى نفسه فى تلك الفترة كان متخلفا . . لأن السلاح كله – للجيش والبوليس – كان يأتى من مخازن الجيش البريطانى فى القنال . . ولم يكن وزير الداخلية شخصيا يستطيع الحصول على أسلحة لاعطائها للفدائيين إلا بالسرقة . [1]

مع الاقرار بهذه الظروف يلاحظ المراجع لوقائع تلك الفترة أن قوات بلوكات النظام هذه شاركت بدور رائع وبطولى فى كل معارك الشعب والفدائيين ضد القوات البريطانية . . وسقط منها شهداء فى كل موقعة . . وضربت أمثلة عظيمة فى الشجاعة والاقدام . .

كان هؤلاء الجنود من أبناء الفلاحين ، وضباطهم الشبان الوطنيون . . سندا للفدائيين فى المنطقة . . ومخزنا لاسلحتهم . . وساترا لحركتهم وقت الشدائد . . ورفاق سلاح وقت المعارك . .

وأعطى ذلك الطمأنينة للشباب المكافح . . فلم يكن يحارب الإنجليز

(١) راجع شهادات محمود البدينى ، مجدى حسنين – الملاحق .

وهو يخشى أن يطعن من الخلف من بوليس بلاده – كما كان يحدث في القاهرة – وإنما اتحد الجميع في جبهة الوطن ضد أعدائه . .

على أن الشباب الجامعي . . بوعيه الرفيع . . وتفانيه في حب وطنه كان هو روح المعركة وجسدها . :

منه تشكلت الكتائب تلو الكتائب . . كتيبة الشهيد أحمد عبد العزيز ، كتيبة خالد بن الوليد ، كتيبة محمد فريد . .

ومن الأعمال البسيطة انتقل للعمليات الكبرى . .

وشيئا فشيئا . . أصبحت منطقة القناة تشهد كفاحا مسلحا منتظما . . وثابتا . . ومخططا . . يتجه لأن يكون حربا تحريرية حقيقية . :

وتصدى للاشراف على الكتائب ضباط كبار عرفوا بتاريخهم الوطني الطويل من أمثال الفريق عزيز المصري واللواء صالح حرب وغيرهما :.

وخاض الفدائيون المصريون معارك كبرى ضد القوات البريطانية : : تحدثت عنها الصحف البريطانية وأشادت بها . . منها معركة التل الكبير التي وقعت يومي ١٢ – ١٣ يناير ١٩٥٢ : :

هاجم الإنجليز بلدة التل الكبير بدعوى أن فدائيين يهاجمون معسكراتهم يختفون بها . وقاوم رجال البوليس المصريون مع الفدائيين هذا الهجوم مقاومة جمعت بين البطولة والمهارة في القتال بعد أن كانوا قد علموا بخبر الهجوم مقدما . . وأنهم ملأوا قطارا بالذخيرة والسلاح والجنود . . وأن هذا القطار في طريقه إلى التل الكبير قادما من الإسماعيلية . : فوضعوا الالغام تحت القضبان على مقربة من مدخل معسكر التل الكبير . فلما وصل القطار انفجرت الالغام ونسفت بعض القضبان فتوقف القطار . وسمع

الإنجليز صوت الانفجار فخرجوا بقوة ضخمة تعززها الدبابات والمصفحات والطائرات وحاصرت المنطقة وأخذت تطلق نيرانها فى كل اتجاه . ولما أرادت القوة البريطانية عبور الكوبرى القائم على ترعة الإسماعيلية . . تصدى لها الفدائيون . . بينما نزل أحدهم إلى قاع الترعة وفتح الكوبرى . . وهكذا لم يستطيع الإنجليز العبور إلا فى وجه مقاومة شديدة . . وبعد أن استخدموا قوارب المطاط . .

وخسر الإنجليز فى المعركة عددا كبيرا من القتلى .. واستشهد من الفدائيين سبعة منهم الشهيد أحمد المنيسى والشهيد عمر شاهين .. وأسر سبعة عاملهم الإنجليز بوحشية ، فصلبوهم على الأشجار واطلقوا عليهم الكلاب المفترسة تنهش أجسامهم لحملهم على الإعتراف على زملائهم ، فلما أبوا أعدموهم رميا بالرصاص . . [1]

وعلقت معظم الصحف البريطانية على هذه المعركة ، فكتبت «الديلى ميرور» تقول : «لا نستطيع بعد اليوم أن نقول عن قوات التحرير المصرية المؤلفة من شباب متحمس أنها إحدى الدعايات المضحكة لقد دخلت المعركة بين مصر وبريطانيا فى دور جديد ، واستمر القتال يوم السبت الماضى يوما بأكمله ، وظل الطلبة المتحمسون يحاربون فرق الكاميرون والهايلاندرز باستماتة عجيبة » .

وقالت «النيوز كرونيكل» : «أنها أول المعارك المنظمة تنظيما جيدا ، قد ثبت المصريون فى القتال ولم يركنوا إلى الفرار حتى لقد علق أحد الضباط الإنجليز على هذه المعركة بأنها أعنف من أى معركة خاضوها أيام الانتداب البريطانى فى فلسطين » .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات الثورة ، ص ٨٤-٨٧ .

وقالت «التايمز» : «أن معظم الضباط الإنجليز الذين اشتركوا فى القتال متفقون على أن المجاهدين المصريين حاربوا ببسالة فائقة على وجه العموم وأن كثيرا منهم كانوا يصيبون الأهداف اصابة محكمة» . . و «كان من الشجاعة النادرة أن يتصدى هؤلاء المصريون لثلاث مجموعات من قوات المشاه الإنجليزية التى تعتبر من خيرة القوات والتى كانت تؤيدها الدبابات» . . (١)

وكانت الكتائب الفدائية تستند إلى حماس الشعب . . وإلى تأييد مثقفيه الوطنيين ودعمهم المادى والأدبى . . فشهدت تلك الفترة تشكيل هيئة من أساتذة الجامعات الثلاث (القاهرة والإسكندرية وعين شمس) لدعم النضال الوطنى للطلاب . . كان من أعضائها الدكتور حسن مرعى والدكتور على فتحى عميد هندسة الإسكندرية والدكتور عثمان خليل عميد حقوق القاهرة والدكتور رشوان محفوظ نقيب الأطباء والدكتور غراب استاذ العيون بالإسكندرية والدكتور سعيد النجار بطب عين شمس وغيرهم . . (٢)

وتكونت لهذه الكتائب لجنة عليا بالشرقية تنسق الكفاح على المستوى المحلى . . بينما كانت تقوم بهذه المهمة فى القاهرة لجنة أخرى تضم ممثلين عن عدد كبير من الأحزاب ، والهيئات السياسية وتجتمع بمنزل محافظ القاهرة بالنيابة . .

وكان هناك اتجاه لأن يعقد اتفاق محدد ينظم العمل بين جميع الأحزاب والهيئات فى مجال الكفاح المسلح ضد الإنجليز : يوقعه رؤساء الأحزاب

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات الثورة ، ص ٨٤-٨٧ .

(٢) حسن دوح ، كفاح الشباب الجامعى ، ص ١٠٦ .

أنفسهم . . وكان المفروض أن يتم توقيع هذا الاتفاق يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . . ! [١]

□ □ □

ورغم أن الجيش (الرسمى) كان بعيدا عن الحركة الشعبية والكفاح الوطنى فى قناة السويس . . وكانت قيادته تخضع للملك وذات صلات بالإنجليز . . إلا أن هذه الفترة شهدت تحولا خطيرا فى الجيش لم يكن متصورا . .

كانت الحركة الوطنية . . ومحاولات إيجاد تنظيم عسكرى معاد للنظام قد انتهت إلى تنظيم الضباط الأحرار الذى تبلور خلال حرب فلسطين بصفة أساسية . . واتخذ ملامحه المميزة . . وحدد برامج نضاله . . وطريقة تعامله مع بقية الأحزاب والهيئات خلال عام ١٩٥٠ . . ليصبح أحدث وأقوى تنظيم يقوم فى صفوف الجيش المصرى : :

ووجدت حركة الضباط الأحرار فى فترة حكم الوفد فرصة لنشر أفكارها . . وتجنيد المزيد من الضباط . كما كانت فترة الكفاح المسلح فرصة لممارسة العمل الوطنى ، والالتحام بالشعب والشباب الجامعى . : والحركات السياسية فى البلاد . . واكتساب قدرات على العمل النضالى : :

وباقتراب عام ١٩٥١ من نهايته قرر تنظيم الضباط الأحرار أن يختبر قوته داخل الجيش نفسه .. بعد أن ثبت وجوده ، خارجه ..

كان يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ هو موعد انتخابات مجلس إدارة نادى

---

(١) راجع شهادة محمود البدينى — الملاحق .

الضباط . وكان الملك يضع على رأس النادى عادة اتباعه من كبار الضباط .. وكان يرشح لرئاسة المجلس فى ذلك العام اللواء حسين سرى عامر قائدسلاح الحدود .. أحد اتباعه المخلصين .. وواحد من أخطر القيادات الرجعية فى الجيش ..

لكن الضباط الأحرار كانوا قد خاضوا معارك فى الأسلحة أثناء ترشيح ممثلىهذه الأسلحة فىالجمعيةالعمومية للنادى .. والتى كانت مناسباتمفتوحة لعرض أفكارهم وكشف رجال الملك .. ولف الضباط حول مرشحين وطنيين . .

وجاء يوم الجمعية العمومية .. وبعد أن توافد الضباط . . تلقت ادارة النادىأمرامن ادارة الجيش بالغاء الاجتماع وتأجيل الانتخابات لأجل غير مسمى ..

لكن الضباط الذين حضروا – وكانوا ٣٥٠ يمثلون جميع الأسلحة . . ناقشوا الموقف رغم أمر الغاء الاجتماع .. وحددوا موعدا آخر للجمعية العمومية ضاربين عرض الحائط بادارة الجيش .. بعد أن اعلنو فى الاجتماع اسماء المرشحين الذين يريدونهم .. ونالوا تأييدا جماعيا .. وكانو كلهم من الضباط الأحرار ..

ثم جاء اليوم الذى حدده الضباط ،فانعقدتالجمعية العمومية وحضرها ٥٠٠ ضابطمن مختلف الأسلحة . . واتخذت قرارا اجماعيا خطيراهو «أن الجيش المصرى جزء من مصريشعر بشعور مصر واحساسها نحو المحتل وأنه دائما فى خدمة قضية البلاد » . .

وانتخبت الجمعية مرشحى الضباط الأحرار ، فانتخب اللواء محمد

نجيب مدير سلاح المشاة رئيسا للنادي وانتخبت للمجلس البكباشي زكريا محي الدين والبكباشي محمد رشاد مهنا والبكباشي أحمد حمدي عبيد والبكباشي عبدالعزيز الجمل والبكباشي إبراهيم فهمي دعبس والبكباشي أنور عبداللطيف والأميرالاى عياد ابراهيم والصاغ جمال حماد والبكباشي عبد الرحمن أمين والبكباشي حافظ عاطف وقائد الأسراب حسن ابراهيم وقائد الجناح بهجت مصطفى والأميرالاى حسن حشمت واليوزباشي أحمد عبد الغني مرسى والبكباشي جلال ندا . . . . (١)

وكانت هذه الحادثة علامة خطيرة جدا بالنسبة للجيش المصرى وعلاقته بالنظام .. وكانت من علامات يناير ١٩٥٢ ..

□ □ □

هكذا كانت تتجمع وتتبلور الأحداث ..

حركة ديمقراطية شعبية عريضة وعميقة . . تحطم بقوة اغلال النظام القديم الاستعمارى الملكى .. ذات مضمون وطنى يتخذ طريقه سريعا ليصبح حربا تحريرية منظمة وفعالة تهدد الوجود الاستعمارى كله بالاقتلاع .. ومضمون ثورى يتمرد على الشرعية القديمة لتخليق المجتمع الجديد .. مجتمع الشعب العامل .. الذى تلعب فيه الطبقة العاملة الموحدة دورا بارزا .. والمثقفون الثوريون دور الرواد ..

وتبلغ الحركة الشعبية من القوة بالقدر الذى تستقطب فيه اجزاء من أجهزة النظام القديم .. بل وأكثر هذه الأجهزة ارتباطا بالنظام .. باكتساب قطاعات من البوليس وقطاعات أهم من الجيش . .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص ١٠٥–١٠٦ .

وتتجه الحركة الشعبية نحو التوحيد . . وتشديد الحصار على الاستعمار والملك . .

وفى المقابل تزداد عزلة النظام القديم .. وسنده الاستعمار .. وينكشف فساده بصورة لم يسبق لها مثيل .. ويتفكك ..

فالبوليس يتمزق ما بين المهمة التى يريدها منه النظام وهى ضرب الحركة الوطنية الديمقراطية فى القاهرة .. وبين الالتحام بهذه الحركة فى مواجهة اعداء الوطن فى القناة .. بل ويتهيأ للتمرد على السلطة فى القاهرة ذاتها ..

والجيش ينقسم بين قيادة رجعية منعزلة ترتبط بالقصر .. وأغلبية متزايدة من القيادات الوسطى والدنيا ترتبط بالشعب ونضاله الوطنى .. وتستعد للعمل الحاسم ضد الاستعمار والملك ..

والحكومة بحكم تاريخها الوطنى ترتبط بالحركة الشعبية .. وهى موجودة فى الحكم بضغط هذه الحركة الشعبية . . رغم أنف الملك . لكن الحكومة، بحكم تكوينها الطبقى والعقلية التى تتحكم فيها تتمسك بشرعية النظام القديم لا تريد الخروج عليها . . وهى بذلك لا تستطيع مسايرة الحركة الشعبية حتى النهاية . . مما يضطرها لمعارضتها احيانا . . لكنها من ناحية أخرى ، بمواقفها الوطنية الديمقراطية لا تماشى الملك أيضا . . وأنما تقف موقف المعارضة منه . .

باختصار . . الشعب يتحرك نحو الثورة . . وإن كان لم يستكمل بعد كل أدواتها . والنظام الاستعمارى الملكى يدافع عن نفسه فى آخر خندق . والحكومة الوفدية فى الوسط . . حائرة بين التمسك بالنظام . . وبين المساهمة فى تحطيمه . . وبناء المجتمع الجديد . .

وكانت كل الخيوط . . والمتناقضات . . تتجمع فى هذا « اليناير » المثير من عام ١٩٥٢ . .

وكان لابد من مخرج . .

لابد من حدوث شيء . . شيء كبير وخطير . . ينهى هذا الوضع القلق . .

□ □ □

فى هذه الظروف . . حدث حريق القاهرة . .

لكن . .

ما الذى حدث بالضبط يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ؟

أو ، على الأصح ، ما دلالة ماحدث ؟

إن الإجابة على هذا السؤال الهام تقتضى أن نعرف أولا هل كان حريق للقاهرة مصادفة . . أم كان عملا مدبرا . . ؟

فالمؤرخ الأستاذ عبد الرحمن الرافعى يرى أن :

« حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ كان مأساة ينفطر لها القلب حزناً وأسفاً »[١] :

أى أنه مجرد « حادث مؤسف » .. وإن كان كبيراً . وهو بالتالى ليس جريمة مدبرة من قوة ما ضد مصر وعاصمتها وشعبها .. وإنما :

« هو عمل محلى محض وأهلى صرف[٢] » ...

وأنه :

« انبعث من النفوس المريضة بين المواطنين[٣] »

(١) عبد الرحمن الرافعى – مقدمات ثورة ٢٣ يوليو – ص ١٢٤

(٢) المصدر السابق ص ١٢٤ .

(٣) المصدر السابق ص ١٢٤ .

وبذلك يعتبر عبد الرحمن الرافعي الحريق عملا تلقائياً ليس له مدبر ؟. وهو عمل مؤسف لأنه من المصريين ضد أنفسهم ..

ويمضي عبد الرحمن الرافعي يؤكد نفيه لأى تدبير للحريق : . فيقول :

« قرأت فى بعض الصحف والمجلات تلميحات تشير إلى أن الإنجليز هم الذين دبروا حريق القاهرة ، مثلما دبروا مذبحة الاسكندرية التى وقعت يوم ١١ يونية ١٨٨٢ .

« وزعم آخرون أن لفاروق يداً فى هذا التدبير .

« وكنت أود أن يسفر البحث والاستقراء عن تدبير الإنجليز أوفاروق حريق القاهرة .. ولقد مضت عدة سنين وأنا أعاود البحث لعلى أصل إلى بينات أو مجرد قرائن تثبت هذا التدبير مثلما انتهى بى البحث والتحقيق إلى ثبوت تدبير الإنجليز لمذبحة الإسكندرية »(١)

وينتهى الرافعي إلى تحميل الشعب المصرى ـ أو ما يسميه « العناصر الرديئة من الشعب » تبعة الحريق .. فيقول :

« ولكن الأمر فى حريق القاهرة جاء على خلاف مذبحة الاسكندرية ، وتبين لى مع شديد الأسف أن

---

(١) عبد الرحمن الرافعي مقدمات الثورة ص ١٢٣ .

حريق القاهرة كان عملا محلياً قامت به العناصر الرديئة من الشعب » :

ويستند عبد الرحمن الرافعى فى نفيه لأى تدبير للحريق .. وفى تحميل « العناصر الرديئة من الشعب » مسئولية إشعاله بالكامل إلى أمرين :

أولهما ، مشاهداته هو شخصياً :

« فقد عشنا فى هذه الحقبة من الزمن ، وشهدنا الحريق بأعيننا ، وأمكننا أن نتبين صورة صحيحة من حقائقه وملابساته . لقد رأينا الغوغاء يشعلون النار جزافا فى المحلات التجارية دون مبالاة أو اكتراث » .

وثانيهما ، ضبط مسروقات مع بعض الحثالات :

« وقد عثر على كثير من المنهوبات فى منازل العناصر الرديئة من الشعب . وهذا ينفى أن الحريق أو النهب كان بتدبير من الإنجليز أو القصر[1] » .

هذه هى حجج الأستاذ الرافعى لرفض عنصر التدبير . . وعدم اعتبار حريق القاهرة جريمة .. حيث لا جريمة بلا تدبير . وهى فى الواقع حجج لا تصمد للمناقشة . :

١ — فقول الرافعى أنه « عاود البحث لعله يصل إلى بينات أو مجرد قرائن تثبت هذا التدبير » وعدم وصوله إلى نتيجة : . بالنسبة للانجليز

---

(١) المصدر السابق — ص ١٢٤ .

أو الملك . . أو بالنسبة لأى طرف آخر . . قول لا يعتد به . لسبب بسيط ، وهو أن المطالع لكل ما كتبه الرافعى فى « مقدمات الثورة » وهو كتابته الوحيدة .. والأخيرة – بعد معاودة البحث (!) لأن الكتاب صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٥٧ – يجد أنه استند فى دراسته وبحثه على جانب بسيط جداً من وثائق هذا الحادث الخطير . . بل يكاد يكون مستنداً إلى بيان النائب العام وحده . ولو أنه بحث أكثر فى أوراق القضية والتحقيقات المختلفة .. ولو كان استمع إلى شهود عيان.. وإلى رأى المسئولين من رجال السياسة والإدارة الذين ارتبطوا بالحادث .. لكان بالتأكيد قد وصل إلى نتائج مختلفة .. وبالتالى فإن الاحتجاج بأن البحث ومعاودة البحث لم يسفرا عن شئ هو احتجاج لا محل له .. وفيما سنقدم على الصفحات التالية رد فى الموضوع على هذا الاحتجاج ..

٢ – ورؤية الرافعى التى أكدت أن لا أحد سوى الغوغاء هم الذين أشعلوا الحريق هى مسألة لا تصلح لحكم عام على أحداث ذلك اليوم .. من ناحية لأنها – أياً كان اتساعها ، وهو أمر مشكوك فيه – رؤية محدودة ، قد تصلح للحكم على واقعة محددة بعينها .. لكنها لا تصلح بالتأكيد لتفسير ما حدث فى ٧٠٠ حريق . ومن ناحية أخرى لأنها لا يمكن أن تكون قد تبينت تفاصيل « حركة الغوغاء » .. فهى فى النهاية لا يمكن أن تقطع بما إذا كانت مجموعة الغوغاء تحتوى على « عناصر معينة » أم لا ..

٣ – القول بأنه ضبطت منهوبات فى منازل العناصر الرديئة من الشعب ، وهذا دليل على أنها هى التى أحرقت القاهرة قول غاية فى السذاجة . لأن جميع أهل مصر يعرفون جيداً أن الذين قبض عليهم بمسروقات هم اللصوص الذين نزلوا إلى المدينة بعد أن كان الحريق قد التهمها أو التهم قلبها . . وأنه

لا رجال البوليس ولا رجال الجيش ولا النيابة ولا المحاكم تصوروا أن هؤلاء اللصوص الذين أغراهم المال السايب هم الذين أحرقوا البلد ..

أما الجزء الثانى من هذا القول وهو أن وجود المنهوبات فى « منازل العناصر الرديئة من الشعب » ينفى أن الحريق أو النهب كان بتدبير من الإنجليز أو من القصر » فهو شئ مضحك .. لأنه يفترض أنه لو كان الإنجليز أو الملك هم مدبرو حريق القاهرة لكان من المحتم أن يضبط البوليس المنهوبات فى منزل الجنرال أرسكين أو مخدع الملك فاروق ! .

عل أى حال ، سنعود إلى هذه القضية فيما بعد ..

□ □ □

والأستاذ أحمد حسين زعيم حزب مصر الإشتراكى « مصر الفتاة » والمصرى الوحيد الذى كان مفروضاً أن يدفع حياته ثمناً لعاصمة بلاده .. بعد أن اعتبر المسئول عن حريق القاهرة .. يرى أن حريق القاهرة جريمة لكنها « جريمة بالترك » .. يشترك فى مسئوليتها الملك فاروق .. ووزير الداخلية فؤاد سراج الدين ..

يقول أحمد حسين فى مذكرة دفاعه عن نفسة أمام المحكمة فى قضية التحريض التى كان هو المتهم الأول فيها :

« كان الملك يريد أن يطفئ الروح الوطنية . » ولم يكن يؤخره عن ذلك إلا الخوف ، فكان يتحين الفرصة ، فلما كانت حوادث ٢٦ يناير وجد فيها فرصته فانتهزها فبدلا من

أن يعمل مع العاملين على إطفائها .. عاون بموقفه السلبى على إشعالها فكانت النكبة التى وقعت »

« إن كل جريمة يجب أن تكون لها غاية ولها وسيلة . ووسيلة فاروق لحريق مدينة القاهرة كانت فى الحيلولة بين قادة البوليس والجيش فى السيطرة على الموقف فى الوقت المناسب . فهى جريمة بالترك »

(مذكرة دفاع أحمد حسين — ص ٨٠٧)

أما بالنسبة لوزير الداخلية .. فقد :

« كان فؤاد سراج الدين يتمنى لو استطاع أن يعلن الأحكام العرفية ليقبض فى يده على زمام السلطة كلها ويصبح الحاكم العسكرى للبلاد .. ووقوع بعض حوادث وحرائق هنا وهناك هى الفرصة وهى السند الملائم لإعلان الأحكام العرفية » .

ويستخلص أحمد حسين :

وهكذا تحالف الاستهتار والإهمال مع الأغراض غير المستقيمة على إشاعة الفوضى يوم ٢٦ يناير .. فحرقت القاهرة » .

« مذكرة دفاع أحمد حسين ص ٨٠٧ »

من هذا يتضح أن أحمد حسين يرى أن الملك وسراج الدين وجدا فى الحريق مصلحة لهما .. كل من وجهة نظره .. فاستفادا منه ..

لكنه لا يقول أن الملك ، أو سراج الدين هما اللذان دبرا أو نفذا الحريق .. إنما الحريق « كان » .. « ووقع » .. ولذلك فإن جريمة كل من الملك وسراج الدين أنهما تركا الحوادث « تكون » و « تقع » ..

إذن من الذى أحرق القاهرة .. وهل تم الحريق بتدبير أم لا ؟ ..

المفهوم من ذلك أن الحريق غير مدبر « وإن كان أستفيد منه » .. وأنه بالتالى من فعل الشعب المصرى ..

لقد سألت أحمد حسين مؤخراً – فبراير ١٩٧٥ – بعد أن كنت قد ناقشت معه نفس النقطة سنة ١٩٦٨ .. فقال :

« البلد يوم ٢٦ يناير كانت فى حالة ثورة . إن ثورة ٢٣ يوليو بدأت فى ذلك اليوم . وفى رأيى فإن هذا اليوم ينقسم إلى ٣ مراحل : المرحلة الأولى كانت «غضبة شعبية» على ما حدث فى الإسماعيلية فى اليوم السابق . . وعلى النظام القائم حينئذ بشكل عام .. هذه الغضبة بدأت من الصباح المبكر ، وتفجر غضب الشعب بحرق كازينو أوبرا .. ثم كانت المرحلة الثانية فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثالثة تقريباً .. فى هذه المرحلة تم حريق محلات اللهو ودور السينما ذات الصبغة البريطانية .. وكانت العملية فى هذه المرحلة ذات طابع وطنى ودينى .. ثم جاءت المرحلة الثالثة بعد ذلك وفيها أحرقت منشآت متنوعة ومتباينة ..

وأكمل أحمد حسين :

« وفى اعتقادى أن الحرائق التى حدثت فى المرحلتين الأولى والثانية كانت تلقائية .. قامت بها الجماهير الغاضبة. أما المرحلة الثالثة فقد عمل فيها خليط من كل نوع .. متآمرون .. ولصوص .. الكل حاول أن يصطاد فى الماء العكر[1] » .

أحمد حسين إذن يرى أن ماتم من حرائق . . على الأقل فى المرحلتين الأولى والثانية .. تلقائية .. وتمت بيد الشعب .. وليس العناصر الرديئة منه كما يرى عبد الرحمن الرافعى . أما بالنسبة للمرحلة الثالثة فيعتقد أن عنصر التدبير والتآمر ظهر فيها .. وإن كان لا يحدد — حتى الآن — جهة محددة دبرت حرائق هذه المرحلة .. ولا كيف تم التدبير .. وكيف نفذ ؟

وعلى ذلك ، فإن أحمد حسين لا يرى فيما حدث يوم ٢٦ يناير جريمة . . لأنه من غير المعقول أن يعتبر الشعب الغاضب . . الذى يعبر عن غضبه . . مجرما . وإنما المجرم هو من «ترك» الحريق يحدث . . ويصل إلى المدى الذى وصل إليه . . أى أنها جريمة تقصير من جانب السلطة القائمة حينئذ . . وبالذات من جانب الملك ووزير الداخلية[2] .

□ □ □

ولعله من الغريب أن يستمر السؤال : هل كان حريق القاهرة مدبرا أم عفويا؟ .. معلقا حتى الآن . . وبعد مضى قرابة ربع قرن على وقوع الحريق . .

---

(١) راجع شهادة أحمد حسين — الملاحق .

(٢) راجع شهادة الدكتور محمد عصفور — الملاحق .

ووجه الغرابة ناشىء من أن هناك علامات كثيرة . . تؤكد أن هذا الحادث الخطير كان مدبرا ومبيتا . .

□ □ □

□ فى الساعة العاشرة والنصف من مساء ٢٦ يناير نفسه أعلنت حكومة الوفد الأحكام العرفية ، وبررت لذلك بمذكرة تفسيرية . . جاء بها أن «دعاة الفتنة فى البلاد وفريقا من الذين فسدت ضمائرهم لم يتورعوا عن استغلال هذا الظرف فأثاروا الفتنة وأشاعوها وعرضوا مدينة القاهرة للفوضى والدمار والحريق والنهب والسلب محاولين بذلك قلب نظام الحكم فى البلاد وفقا لخطة مدبرة ومطمعين للعدو أن يتخذ من ذلك ذريعة إلى التدخل فى شئون الوطن » .

وفى التحقيق الذى أجرى مع وزير الداخلية بواسطة النائب العام ، قال فؤاد سراج الدين ، وهو يتحدث عن ظروف طلبه الجيش : « أبلغت بحريق ريفولى . . ثم مترو . . ولا مقاومة من البوليس ، فايقنت أن الأمر يسير وفى خطة مرسومة مدبرة . . وكان لابد من نزول الجيش» .

وقال فى موضع آخر : «ما حدث يوم ٢٦ يناير لم يكن نتيجة لثورة الشعور الوطنى ، بل كان نتيجة مؤامرة مدبرة مرسومة من راغبى اشاعة الفوضى والفتنة بالبلاد . . وهى بريئة كل البراءة عن الشعور الوطنى . . كما لم يكن الغرض منها السلب ، لأن يوم السبت وبعد الظهر بالذات كل المحلات تكون مغلقة[1] » (راجع شهادة فؤاد سراج الدين ــ الملاحق) . .

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة .

□ وكتب محمود البديني محافظ القاهرة وقت الأحداث فى تقرير قدمه لعلى ماهر رئيس الوزراء بعد أيام قليلة من الحريق : «وينبغى فى ختام تقريرى أن أوضح أن تنظيم هذه الاعتداءات وطريقة تنفيذها والمباغتة فيها قد تؤكد أن يدا أجنبية يمكن أن تكون قد استعانت ببعض العناصر الهدامة المخربة لإحداث هذه الفتنة» .

وأكد محافظ القاهرة فى شهادته لى ما كتبه مخففا فى التقرير نظرا للظروف التى كانت قائمة فى ذلك الوقت (راجع شهادة محمود البديني — الملاحق) .

□ وقال لى إبراهيم فرج وزير خارجية مصر بالنيابة فى ذلك اليوم أن الحريق مدبر مائة فى المائة . . وأن المخابرات المركزية الأمريكية بالذات هى التى خططت للعملية . . (راجع شهادة إبراهيم فرج — الملاحق) .

□ وقال لى عبد الفتاح حسن وزير الشئون الإجتماعية ووزير الحربية بالنيابة أن الحوادث مدبرة بالكامل . . وأنها تماثل حادث الإسكندرية فى التدبير . . وأنه أبلغ مجلس الوزراء أن الإنجليز يدبرون لمؤامرة بروفتها حريق كنيسة السويس الذى حدث فى ٤ يناير ١٩٥٢ (راجع شهادة عبد الفتاح حسن — الملاحق) .

□ وقرر على ماهر رئيس الوزراء الذى تسلم الحكم يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ فى شهادته أمام المحكمة فى قضية أحمد حسين : «الأدوات المستعملة فى الحريق ليست طبيعية ، ولا يدبرها رجل الشارع : ولابد أن الحوادث دبرت من مدبرين» .

□ □ □

كانت هذه كلمات رجال فى مستوى «حكام» للبلد فى تلك الفترة . . وكلها تؤكد أن الحريق مدبر . . أيا كانت وجهات نظرهم فى من هو المدبر . . فماذا قالت سلطات التحقيق القضائية اجابة على السؤال الجوهرى فى أحداث ٢٦ يناير ؟

□ قال عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة وممثل الإتهام فى مرافعته فى قضية التحريض على حريق القاهرة : «النار كانت تقفز من محل لمحل بذكاء وعقل وتدبير . . وحيرت رجال البوليس ورجال المطافئ» .

(ملف قضية التحريض رقم ٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا– ص٣٥٥)

□ وقال لى عبد الرحيم غنيم النائب العام الذى أشرف على التحقيق كله :

«بدأت مظاهرات غير مدبرة وتلقائية . . فلما تفاقمت المظاهرات اندست فيها عناصر استغلت الحالة وأحدثت الحرائق ، ووجهتها إلى طائفتين من المحال : محال البذخ والترف والمنشآت الرأسمالية ، ومحال الملاهى والمراقص والبارات» .

وأكد النائب العام أنه كان :

« هناك تدبير لاستغلال الظروف ، نفذ عندما تهيأت هذه الظروف .

« لكن التدبير لم يخلق الظروف » . .

□ □ □

كما تضمنت وثائق دولية رسمية قضية التدبير فى حريق القاهرة :

فجاء بمذكرة وزارة الخارجية المصرية فى ردها على الاحتجاج البريطانى على حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ :

إن الحكومة المصرية «تدحض كل اتهام بتستر الرسميين على هذه الحوادث . ومع عدم استباق نتائج التحقيق الذى يسير الآن بدقة تتطلبها خطورة الكارثة ، إلا أن المعلومات التى تيسر جمعها حتى الآن تثبت أن مثيرى هـذه الاضطرابات هم **«فئة خاصة» كانت تنتظر الفرصة السانحة لاشاعة الارهاب والخراب فى عاصمة المملكة واتيحت لها الفرصة المواتية فنفذت خطتها الإجرامية »**

وكانت هذه المذكرة ترد على الإحتجاج البريطانى الذى سلم للحكومة المصرية يوم ٧ / ٢ / ١٩٥٢ ، وتضمن هو أيضا رأيا فى موضوع التدبير . . فقد جاء بين فقراته :

« البوليس المصرى قام بمجهود ضئيل أو لم يقم بأى مجهود على الإطلاق لوقف هذه الإضطرابات التى **أعدت ونفذت** باحكام فى ظروف تنم بقوة عن تستر المسئولين عليها » .

وعن حادث الترف كلوب بالذات ، يقول الاحتجاج البريطانى :

« أحيط هذا النادى بجماعة متوحشة من الغوغاء متقنة القيادة وأقتحمت النادى واشعلت النار فيه » .

وعن الحوادث بشكل عام قال الاحتجاج البريطانى :

« وأنه لمن التكاسل التظاهر بأن هذه الاضطرابات كانت اعرابا عن مشاعر الشعب . . فتنظيم العصابات العديدة المختلفة ، ونظامهم ، والإجراء الذى قاموا به والذى أعد بعناية لايمكن الا أن يكون نتيجة لخطط أعدت قبل وقوع الحوادث . فمثلا كانت العصابة التى دهمت شركة كايرو موتورز قد احتاطت لوسائل الحماية الخاصة التى تقوم بها الشركة مثل الأبواب المصفحة فحملت معها «أجنات» وآلات رافعة تفتح بها الأبواب» .

□ □ □

أليس هذا كله كافيا لحسم السؤال المعلق منذ ربع قرن . . لنصبح متأكدين أن حريق القاهرة كان جريمة مدبرة . . وليس عملا عفويا . . قامت به العناصر الرديئة من الشعب . . أو الشعب الغاضب ؟

على أن أغلبية الباحثين الاجانب والمصريين الذين كتبوا فى حريق القاهرة لم يأخذوا بنظرية العفوية الكاملة أو شبه الكاملة فى نشوء وتطور أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ . كما لم يأخذوا أيضا بنظرية التدبير الكامل . . ومنذ اللحظة الأولى للحريق . . وانما مالوا إلى موقف وسط بين الاتجاهين ، فاعتبروا الجزء الأول من الحريق .. وبالذات حريق كازينو أوبرا . . عملا تلقائيا قامت به الجماهير الغاضبة . . دون أى تدبير مسبق . . أما الحرائق التى تلت ذلك فهى بالتاكيد مدبرة .

ومن الباحثين الذين قادوا هذا الاتجاه ، وأعتبروا مرجعا لكل من كتب بعدهم فى هذا الموضوع الزوجان « لا كوتير » اللذان كتبا « مصر على طريق التطور » .. وأفردا فيه فصلا عن أحداث ٢٦ يناير . ثم تبعهما « جورج فوشيه » مؤلف كتاب « جمال عبد الناصر ورفاقه » . . ثم نقل عنهما أيضا من الكتاب المصريين : سعد زهران فى « حركة التاريخ المصرى من الغاء المعاهدة إلى حريق القاهرة » ــ الطليعة يونيو ١٩٦٥ . محمد صبيح فى « أيام وأيام » ــ ١٩٦٨ . وطارق البشرى فى « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ــ ١٩٥٢ » ــ ١٩٧٢ .

لماذا مال هؤلاء الباحثون إلى الاعتقاد بأن حريق كازينو أوبرا . . صدفة؟

فى اعتقادى ، هناك سببان لذلك :

الأول : المكان الذى اشتعل فيه الحريق ، فكون هذا المكان كازينو للهو وشرب الخمر . ولكل حياة العبث واللامبالاة والانفصال عن واقع الحياة السياسية الملتهبة فى البلاد حينئذ . . يجعله فى حد ذاته يشكل استفزازا طبيعيا لجماهير ثائرة وغاضبة ، خاصة وأنها قدمت فى اليوم السابق أكثر من ٥٠ شهيدا فى معركة واحدة . .

فأن ينفجر الشعور الغاضب فى مواجهة مكان للعبث واللهو هو أمر مستساغ منطقيا . ويكفى أن يقال أن الجمهور رأى امامه هذا المكان فانهال عليه تحطيما ثم حرقا . . ليكون أمرا يمكن أن يصدق بسهولة . . ودون تحفظ .

لكن هناك قضية هامة فى هذا الصدد .

أن الذين يقولون بمنطقية الصدفة فى حريق كازينو أوبرا ، يعتقدون من ناحية أخرى أن حريق القاهرة « على بعضه » عمل مدبر ، وأنه فى مجمله ، وبالصورة التى تم بها ، والظروف التى احاطت به ، والنتائج التى ترتبت عليه . . يشكل مؤامرة مرسومة محددة الأهداف .

فكيف يستقيم منطقيا أن تكون كل الحرائق التى تمت بعد حريق كازينو أوبرا ، هى تنفيذ للمخطط الإجرامى لحرق القاهرة . . وحرق نضال الشعب وإسقاط حكومة الاغلبية الخ . . ويكون حريق الكازينو وحده . . هو الحريق الصدفة . . المستقل تماما عن بقية الحرائق ؟

أننا لا يمكن أن نتصور ذاك الا بفرض واحد ، هو أن يكون الشعب المصرى نفسه ، وجماهيره الغاضبة هى التى قدمت للمتآمرين الأسلوب الذى ينفذون به مؤامرتهم . . واختارت للاعداء وسيلة الحريق بالذات . .

لكى يتلقفه هؤلاء الاعداء . . ويحولونه إلى عملية كبيرة تؤدى إلى الصورة التى تمت فى ذلك اليوم !

ولا يقف ضد هذا الفرض الا وقائع الاحداث نفسها . فمعروف – حسب البيانات الرسمية – أن حريق كازينو أوبرا بدأ الساعة ١٢ر٢٧.. بينما حدث الحريق التالى (حريق سينما ريفولى) الساعة ١٢ر٥٦ .. ولم تكد الساعة تدق الواحدة حتى كانت مجموعة كبيرة من الحرائق قد اشتعلت فى دور السينما والمحال الموجودة بشارع سليمان باشا ...

وهذا يؤكد أن عملية الانتقال من الصدفة التلقائية فى حريق كازينو أوبرا .. إلى الخطة المدبرة فى الحرائق التالية لم تستغرق سوى دقائق .. لم يكن بوسع أى قوة متآمرة أن تتهيأ خلالها لاعداد مخطط شامل ، فى صورة حريق بالذات .: وأن تتولى تنفيذه على النحو الذى تم ؟؟

وليس أمام من يتمسك بالقول بعفوية حادث كازينو أوبرا إلا أن يسلم بالكامل بالقول بأن أحداث يوم ٢٦ يناير كانت عملا تلقائيا . وأن الجمهور الغاضب بعد أن أحرق كازينو أوبرا صدفة .. « أعجبته اللعبة الشيطانية » ، و« استولت عليه روح شريرة » ، و « أصيب بهوس الحريق .. و « تملكته روح القطيع » .. فراح يشعل النار بصورة جزافية .. إلى أن أتى على عاصمة بلاده . !

وفى هذه الحالة أيضا .. واتساقا مع منطق منسجم .. يجب التسليم بأن الجمهور الذى أحرق الكازينو لابد أن يكون هو نفسه الذى انتقل إلى ريفولى وأحرقها ..

ثم إلى غيرها . . وهكذا . .

أى أن القول بتلقائية حادث كازينو أوبرا يسقط تماما قضية التدبير بالنسبة لحريق القاهرة . . وكل ما يترتب عليها من استنتاجات خطيرة فى تفسير حياة مصر السياسية ، وتطورها خلال هذه الفترة والفترة التى أعقبتها . .

وليس هذا من قبيل استخدام المنطق الشكلى . كما أود أن أؤكد أنه من الجائز جدا الاعتقاد بتداخل الأحداث والتصرفات . . وأمكانية وقوع أمور متنوعة . . بل ومتضاربة . . فى يوم كيوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . .

ولكن التحفظ غاية فى الأهمية أيضا فى معالجة مثل تلك الأحداث . . خاصة ونحن نعلم علم اليقين أننا بازاء مؤامرة كبرى لم تشهد مصر مؤامرة مثلها فى تاريخها كله . . وأنه جرت فى صياغة المعلومات الخاصة بها تلاعبات كثيرة . .

ومن أمثلة ذلك ما سنناقشه فى النقطة التالية . .

فالسبب الثانى ، الحاسم ، الذى جعل الباحثين يعتقدون أن حادث كازينو أوبرا وقع بالصدفة.. هو القصة التى ارتبطت بالحادث . . واعتبرت « جواز المرور » لتلقائية الحريق الأول .

تقول القصة — التى أوردها كل الكتاب الذين أشرت اليهم من قبل ، ويذكرها الكثيرون عندما يروون أحداث ٢٦ يناير — أن شخصا كان يجلس فى الكازينو يحتسى الخمر مع احدى الراقصات فاتجه نحوه بعض المتظاهرين الذين كانوا يمرون فى هذه اللحظة أمام الكازينو وقالوا له أن ما يفعله « عيب » . . والناس يموتون فى قنال السويس برصاص العدو . . لكن الحوار انقلب لمشاجرة . . فتحول المتظاهرون إلى الكازينو وأخذوا فى اتلاف أدواته . . ثم أشعلو فيه النار . .

وفى بعض الروايات أن الشخص الذى كان يحتسى الخمر مع الراقصة لم يكن شخصا عاديا وانما ضابط بوليس (كما كتب لاكوتيروجورج فوشيه).. ضابط بوليس فى يوم استشهد فيه من رجال البوليس خمسون . . والحالة معلنة فى المدينة ج . . أى أقصى حالة طوارىء !

وفى بعض الروايات الأخرى أن هذا الشخص ضابط . . فقط ، ودون تحديد إن كان ضابط بوليس أو جيش (كما كتب محمد صبيح) . .

لكنها فى رواية أخرى : اثنين من ضباط الجيش كانا يحتسيان الخمر مع راقصتين (كما جاء فى تقرير محمود البدينى محافظ القاهرة) . . أثنان من ضباط الجيش فى يوم مدعو فيه معظم ضباط الجيش إلى مائدة الملك . . والجمهور يهتف من أول النهار مطالبا بتدخل الجيش فى المعركة إلى جانب البوليس والشعب لمواجهة الانجليز !

وتقول احدى الروايات أخيرا أن الضابط أو الشخص الذى كان يحتسى الخمر مع الراقصة عندما وبخه المتظاهرون أخرج مسدسا من جيبه وحاول اطلاق الرصاص على المتظاهرين فهجموا عليه . . ثم حدث ماحدث !

هذه هى القصة التى قدمت لتسوغ حريق كازينوا أوبرا . . وتحوله من حادث صدفة . . إلى حادث حتمى . . كان من الضرورى أن يحدث !

فما حقيقة هذه القصة . . وهل يوجد لها أى أساس ؟

لأن حريق كازينوأوبرا هو أول أحداث يوم ٢٦ يناير . . فقد حاولت أن أدرسه بتوسع أكثر . . ولأن الظروف التى أدت اليه ، والروايات التى ارتبطت به تكتسب أهمية خاصة فقد تعقبتها لأعرف أصلها . .

واقتضانى البحث أن أعايش الكازينو عدة أيام . . استمعت خلالها إلى بعض العمال القدامى : وكذلك بعض الرواد . .

وقد نفى كل من تحدثت معه القصة اياها . .

وان كانوا حكوا لى قصة أخرى فيها بعض عناصر القصة المشهورة .. مع اختلاف فى الظرف . . والتاريخ . . والنتائج . .

قبل ٢٦ يناير بأيام قليلة – ربما بيومين فقط كانت احدى جنازات شهداء المعارك ضد الانجليز تسير أمام الكازينو متجهة إلى جامع الكخيا . . فى هذه الاثناء كان صحفى من دار الهلال واقفا فى زاوية مدخل الكازينو خلف أحد الأعمدة ومعه فتاة شباك التذاكر . . يتحدثان . وحدث أن عددا من أفراد الجنازة صعد سلم الكازينو ليؤنب الصحفى والفتاة على مسلكهما الذى قد يكون تصور أنه لاينم عن احترام لجلال جنازة الشهيد . . فجرت الفتاة إلى الداخل .. مذعورة .. واختفى الصحفى . وانتهى كل شىء (١) .

ويبدو أن هذه الحادثة حرفت . . لتصل إلى الصورة التى وصلت بها .. قصة طريفة . . لبداية مأساة كبرى !

وقبل ايراد المعلومات التى تجمعت لنا حول هذه القصة . . هناك نقطتان لابد من التفكير فيهما ونحن نستعيدها .

الأولى ، أن كازينو أوبرا به دور أرضى وهنا يجلس رواد المقهى الذين يشربون الشاى والقهوة وما إلى ذلك من المشروبات العادية .. وأما شرب الخمر فهو فى الأماكن المخصصة لذلك فوق .. أو فى البار الموجود إلى الداخل . وعلى ذلك فمن غير المعقول أن يجلس شخص ويشرب الخمر فى الشرفة المطلة على الطريق .. وأن تجالسه فى هذا المكان راقصة !

---

(١) شهادة الفلكى عبد الحليم الطويل .

والثانية ، أن المظاهرة لم تظهر فجأة أمام الكازينو لتجد أمامها شخصا مستهينا بمشاعر الناس يحتسى الخمر باستخفاف . فمنذ الصباح الباكر كانت المظاهرات تجوب الشوارع وتعبر ميدان الأوبرا متجهة إلى عابدين وعائدة منه .. فأى انسان هذا الذى سيرى كل ذلك ثم يظل جالسا يحتسى الخمر .. دون أن يساوره حتى الخوف على حياته .. فيختفى عن أعين المتظاهرين ؟

ثم نمضى إلى الوقائع :

١ - أدلى أحد ضباط البوليس الذين كانوا مكلفين بمراقبة الحالة بميدان الأوبرا بشهادته أمام النيابة - فى ملف تحقيق سير المظاهرات . قال القائمقام محمود الديب ردا على سؤال المحقق عن مكان تواجده ساعة الاعتداء على الكازينو :

« كنت فى نفس الكازينو من الخارج (أى يستطيع أن يرى المتظاهرين فى الشارع .. والجالسين فى الكازينو الذين يستطيع المتظاهرون رؤيتهم من الشارع) .. **وكان الاعتداء مفاجئا .. وبدون أى مبرر .. ولم يحدث شئ فى الكازينو يستفز الجماهير » ..**

٢ - كان ضابط البوليس الثانى الذى تواجد فى الميدان هو العميد محمد حلمى صديق (الملازم أول حينئذ) وقد طلبت شهادته فقرر أن القصة المذكورة لم تحدث على الاطلاق ..

٣ - وجاء فى محضر الاطلاع الذى أثبت فيه جمال العطيفى ملخصا لحادث كازينو أوبرا أن « مظاهرة قدمت من جهة عابدين إلى ميدان ابراهيم باشا (الأوبرا) حوالى الساعة ١٢ قوامها آلاف الاشخاص المسلحين بالعصى والحديد واتجهوا إلى كازينو أوبرا وبدأوا فى الاعتداء عليه واتلاف

منقولاته وتحطيمها والقائها فى الشارع ثم اشعال النار فيها وقذفها وهى مشتعلة على الكازينو مما أدى إلى احتراقه » ... ولم يذكر أن سبب الحريق هو المشاجرة بين المتظاهرين وبين أشخاص يحتسون الخمر مع الراقصات .:

٤ — وعندما سألت اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى حينئذ ، والذى كان موجودا فى الأوبرا أيضا وقت احتراق الكازينو عن هذه القصة نفى حدوثها بالمرة (١) ..

القصة إذن لاأساس لها .. ولم تحدث فعلا ..

ومع ذلك ، فهى لم تذكر فقط فى الكتب .. وإنما ذكرت أيضا فى مناسبات رسمية .

فقد تضمنها تقرير محمود البدينى محافظ القاهرة وقت الأحداث .

كما جاءت على لسان بسيم السعيد ، أحد الشهود على أعضاء الحزب الاشتراكى فى تحقيقات النيابة .. فقد ذكر فى شهادته : « ووجدت واحد من الجماهير تقدم إلى شخص يشرب ومعه واحدة ست وقال له مش عيب قاعد تسكر والناس تموت فى القنال . فهذا الشخص قال له عيب ياولد .. ووضع يده فى جيبه وأخرج مسدس وهم باستعماله ولكنه قبل استعماله أصابته ضربة سقط بسببها على المائدة . وأثناء ذلك وجدت النار مشتعلة فى الكازينو ووجدت الجمهور يلقى بالراقصات من الدور التحتانى إلى الشارع .»

وقد سألت محمود البدينى عن مصدر علمه بهذه القصة ، فقال أنه غالبا سمعها من أحد رجال البوليس السياسى . وإن كان يستبعد حدوثها .: ويعتقد أنها ملفقة لتبرير ماحدث .. والتستر على الفاعل الأصلى ..

---

(١) راجع شهادة اللواء محمد ابراهيم أمام — الملاحق .

أما الشاهد بسيم السعيد فقد اعترف بعد ذلك بأنه لم يكن بميدان الأوبرا أصلا عند احتراق الكازينو ، وأن كل ما أدلى به من معلومات ليس أكثر من شهادة زور أملاها عليه البكباشى محمد الجزار بالبوليس السياسى .

ويبقى سؤالان يتصلان بهذه القصة ..

الأول ، إذا كان كازينو أوبرا لم يحرق بسبب « وجيه » ، كما جاء بالقصة الوهمية ، فبأى سبب إذن حرق ؟

اعتقد أن الاجابة المنطقية عندئذ أنه حرق لغير سبب خاص . أى أنه حرق لذات السبب أو الاسباب التى أدت إلى حرق أى مكان آخر .. من الـ ٧٠٠ مكان التى احترقت فى القاهرة ..

ومن ثم يصبح حريق كازينو أوبرا مساويا لأى حريق آخر تم يوم ٢٦. ليس من حقه أن يميز عن الحرائق الأخرى الا بالنقطة الوحيدة الموضوعية المستخلصة من صميم سير الحوادث .. وهى أنه الحريق رقم واحد فى سلسلة حرائق ذلك اليوم .

وبشكل محدد . . وحاسم .. فليس من حق حريق كازينو أوبرا — أو من حق الباحثين على الأصح — أن يتخذوا منه ركيزة للفصل بين مرحلة وأخرى فى أحداث يوم ٢٦ يناير .. فيكون هو حريق المرحلة التلقائية .. ومابعده حرائق مرحلة التدبير .

أما السؤال الثانى فهو : إذا كانت قصة كازينو أوبرا مختلقة على نحو مابينا فمن الذى اختلقها .. ولماذا ؟

ولنبدأ الاجابة على السؤال من الشق الثانى : لماذا اختلقت هذه القصة؟

من الواضح أنه أريد بها الايعاز بأن حريق كازينو أوبرا — على الأقل — تم بصورة طبيعية .. وحتى يختفى عنصر التآمر من بداية الاحداث بصفة خاصة .. وبالتالى أن يتوه الفاعل الأصلى .. وتلصق الجريمة بالضحية : الشعب نفسه . ولاشك أن القصة حققت نجاحا كبيرا فى تحقيق الهدف منها.. بدليل اقتناع الكثيرين بها والارتكان عليها فى تحليل الحوادث .. واضطرارنا لمناقشتها على هذا النحو الموسع .. بعد ربع قرن من اختلاقها .

وعلى ذلك ، فلابد أن يكون مختلق القصة صاحب مصلحة فى الجريمة. أو أحد عناصر التستر عليها .. فهل مجيئها عن طريق البوليس السياسى ، سواء فى تقرير محمود البدينى أو فى شهادة بسيم السعيد — يمثل علامة طريق نحو عناصر المؤامرة ؟ ..

لنتقدم فى البحث .. ونرى . .

كيف حدث حريق كازينو أوبرا ؟

كيف حدث حريق كازينو أوبرا . . ؟

حسب ما استخلصت النيابة من تحقيقها للحادث فان :

« مظاهرة قدمت من جهة عابدين إلى ميدان إبراهيم باشا (الأوبرا) حوالى الساعة ١٢ قوامها آلاف الاشخاص المسلحين بالعصى والحديد واتجهوا إلى كازينو أوبرا وبدأوا فى الإعتداء عليه باتلاف منقولاته وتحطيمها والقائها فى الشارع ثم إشعال النار فيها وقذفها وهى مشتعلة على الكازينو مما أدى إلى احتراقه»(١) . .

وقد استمعت إلى شهادة ضابط البوليس الذى كان مكلفا بالخدمة فى ميدان الأوبرا يوم ٢٦ يناير . . قال الملازم أول محمد حلمى صديق :

«حوالى الساعة ١٥ر١٢ يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ عادت جموع المتظاهرين من ميدان عابدين بإعداد كبيرة

---

(١) أجرى التحقيق الاصلى فى حادث أوبرا بمعرفة عبد الخالق علام رئيس نيابة شمال القاهرة حينئذ وأجرى التلخيص المذكور فى محضر الاطلاع الذى أجرى بمعرفة جمال العطيفى وكيل نيابة الصحافة حينئذ .

حوالى ٢٥٠٠ متظاهر قادمين من شارع إبراهيم باشا (الجمهورية) إلى ميدان الأوبرا واتجهت إلى كازينو اوبرا لتدميره . وقد تصديت والجنود لمقدمة المتظاهرين ولكنهم أحاطوا بى وحاصرونى والقوة ليمنعونا من الحركة . وقد أشرت إلى الشرطى بسيونى وهو شرطى دراجة لم يكن بداخل الحصار وقد فهم الإشارة وتوجه للقسم حيث أثبت مذكرة بذلك فى الساعة ١٢ر٣٥ تقريبا ببند أحوال .

صعدت جموع المتظاهرين إلى كازينو أوبرا وبدأ التدمير واشتعال الحرائق وقد حضرت سيارات الإطفاء لمقاومة الحرائق وقد منعها المتظاهرون بتقطيع الخراطيم»[1] ..

ويروى رجل البوليس الذى كان مكلفا بمراقبة الحالة فى مكان أقرب ، تفاصيل ما حدث . . فيقول القائمقام محمود الديب :

«كل شىء كان هادىء . بعد الساعة ٩ أتت مظاهرة من شارع فؤاد متجهة لميدان الأوبرا ، وكانت من عمال السكة الحديد . ومرت بميدان الأوبرا ، واتجهت إلى عابدين ؛ وكانت تهتف « كفى نوما يازعماء » « نريد السلاح يا نحاس » « يحيا جلالة الملك » وكان عددها حوالى ٦٠٠ »

«وبعد الساعة ١٠ جاءت مظاهرة أخرى من ميدان

---

(١) راجع شهادة العميد محمد حلمى صديق — الملاحق .

العتبة محاذية لحديقة الأزبكية وكانت من الأولاد والعمال وكان بها عساكر من بلوكات نظام مصر (لابسين أسود وخوذات على الرؤوس) ، وكان الأهالى يحملون أحدهم ويهتفون «نريد السلاح» «يحيا جلالة الملك» ، ولم تكن هتافاتهم عدائية . واتجهت إلى ميدان عابدين مرورا بشارع إبراهيم دون أن يتعرض لها أحد . وكان عدد الأهالى حوالى ١٠٠٠ وعساكر بلوكات الخفر حوالى ٢٥ . وقبل هذه المظاهرة ، وبعد الساعة ١٠ أيضا مرت مظاهرة من طلبة الأزهر وقفت عند تمثال إبراهيم باشا وهتفت «نريد السلاح يانحاس» . .

ثم اتجهت إلى عابدين ، وكان العدد حوالى ٣٠٠ .

«وهدأت الحالة فى الميدان حوالى ساعة. ثم فوجئت بمظاهرة كبيرة جداً لا أستطيع تقدير عددها ، بدايتها فى الميدان وآخرها فى ميدان عابدين .. وهى عبارة عن خليط من المظاهرات الثلاث التى سبق أن مرت على :. وبلغت هذه المظاهرة ميدان الأوبرا بعد الساعة ١٢ ، وكانت تردد نفس الهتافات ، وكانت إلى هنا سلمية . وما أشعر إلا والأولاد دخلوا الكازينو وابتدأوا فى التكسير فى الكراسى والزجاج . وحاولت الإتصال بسعادة مدير الأمن العام من الكازينو لأبلغه كما كنت أفعل فى التبليغات السابقة حيث كنت أبلغها من الكازينو ، فاعتدوا على وأخذوا التليفون وكسروه فى الأرض . اتصلت بالمدير من مكان فى نفس البناء (محل) وأبلغته أن المتظاهرين ابتدأوا يتلفوا جميع ماهوموجودبالكازينو.

لما توجهت بعد فترة قصيرة جداً كانوا قد بدأوا يشعلوا النار فى الأشياء التى كسروها وألقوها فى الشارع وأيضاً داخل الكازينو . أبلغت المدير . كان معين بالميدان ٥٠ جندى وضابطان كانوا جالسين بجوار الفسقية ولم يحركوا ساكناً . وبعضهم معه بنادق والباقى معه عصى . وكان فيه ٨ عساكر لحراسة سينما أوبرا بعصى وبنادق . أبلغت المدير أن العساكر لا يفعلون شيئاً . وأن المطافى لم تحضر والأهالى مانعينها . فأمرنى بالإتصال بالمطافى والحكمدار ومساعديه . اتصلت بالمطافى ولم أتمكن من الإتصال بالباقى . قالت المطافى أن الأهالى مانعة خروج السيارات اتصلت بالمدير طلب منى الإتصال بكبار ضباط البوليس وابلاغهم أوامر الوزير بتفريق المظاهرات بالقوة . وصل لوريان بهما عساكر قادمين من جهة عابدين ومعهما وكيل الأمن العام محمود بك جبر وابراهيم بك إمام . أطلقت بضعة أعيرة فى الهواء وبعض القنابل المسيلة للدموع ، فلم يبق متظاهر واحد ، تفرقوا فى الشوارع المحيطة بالميدان . وبدأت المطافى تعمل حتى أخمدت النار داخل وخارج الكازينو . أبلغت المدير فطلب منى أن أبلغ جبر وإمام بالتوجه إلى سينما ريفولى .

« بعد فترة عاد المتظاهرون إلى الميدان وإبتدوا يخربوا فى الكازينو مرة أخرى ، وكانوا فى هذه المرة أقل . العساكر لا يفعلون شيئاً . كلفنى المدير أن أبحث عن أحد الضباط وأكلفه بفض المتظاهرين ولو بضرب النار

فى المليان لكننى لم أجد أحداً . علمت أن النار اشتعلت بباركليز فأبلغت المدير . كانت النار أيضاً اشتعلت فى جروبى . وحضر بعض الأولاد من المتظاهرين لمحل تحت عمارة الكونت زغيب بجوار أسدية وأشعلوا فيه النار . أبلغت المدير . اشتعلت النار فى محلات كثيرة كنت أراها وأنا فى الميدان بشارع عبد الخالق ثروت .. كانت الساعة ٢٠ر٣ تقريباً[1] »

ولكن نظراً للأهمية الخاصة لحادث كازينو أوبرا .. وللظروف التى تم فيها التحقيق بشكل عام . . وللظروف التى أحاطت برجال البوليس فى هذه الفترة بشكل خاص . . كان لابد من الاستماع لشهود عيان متحررين من أى تأثيرات . .

وقد استمعت لأربعة شهود عيان ، من مهن مختلفة ، وثقافات مختلفة ، وظروف مختلفة .. أولهم — الفلكى عبد الحليم الطويل — من رواد الكازينو الذين يجلسون فيه يومياً منذ أربعين سنة .. وثانيهم — صالح أحمد على — محصل بشركة مصر للفنادق وكان وقتها بفندق الكونتننتال المواجه للكازينو ، وأشار على كل من سألتهم فى المنطقة بالإستماع إليه . . وثالثهم جلال طنطاوى — نائب رئيس تحرير جريدة الأخبار ، وكان موجوداً ساعة الحريق بمحل تملكه الأسرة هو محل أصواف المصرى بميدان الأوبرا . . أما الشاهد الرابع فهو أحمد فؤاد ندا صاحب مطبعة بمصر الجديدة حالياً ومدير تعاون القاهرة فى ذلك الحين وتصادف وجوده ساعة حريق الكازينو فى عيادة طبيب أمام الكازينو مباشرة ..

---

(١) محضر تحقيق خط سير المظاهرات — أجرى بمعرفة محمد صدقى البشبيشى ص١ — ٦ .

وهذه رواية كل من هؤلاء الشهود :

رواية الفلكى عبد الحليم الطويل :

« الساعة ٨ صباحاً يوم ٢٦ يناير كنت فى زيارة صهرى أحمد نجا مدير شيكوريل فى ذلك الوقت فى منزله بالزيتون . وبعد أن شربنا القهوة جاءت إمرأة نوبية يعرفونها . . وقرأت لى الفنجان . . وقالت العرافة : أنت بتقعد فى مكان يشبه وابور البحر .. ولكن المكان عليه دخان كثير . . قلت لها ياوليه بلاش دجل وتخريف . . وضحكنا . . ثم نزلت من منزل صهرى وتوجهت إلى مكانى المفضل الذى تعودت الجلوس فيه منذ ١٧ سنة قبل هذا اليوم . . كازينو بديعة . وعندما وصلت إلى الميدان وأصبحت فى مواجهة الكازينو وجدت الدخان يتصاعد من الكازينو . . والنار مشتعلة فيه . نظرت وتأملت فيه من بعيد لأول مرة . . وأدهشنى أننى وجدته فعلا يشبه الباخرة . . أو وابور البحر . وآمنت بأن ماقالته المرأة النوبية لم يكن تخريف .. ومن هذا اليوم بدأت أدرس علم الفلك والتنجيم . . وأصبحت فلكى . .

س — أين كنت بالضبط ساعة أن رأيت الحريق فى الكازينو ؟

ج — فى الجهة المقابلة للكازينو . . ثم أخذت أقترب شيئا فشيئا .

س — هل تبينت الذين كانوا يحرقون .. ؟

ج — جماعة من الرعاع ..

س ـ كم كان عددهم بالتقريب ؟

ج ـ كانوا لايتجاوزون ٢٠ أو ٣٠ شخص .. وطبعا بدأ الناس يتجمعوا والعدد يزيد ..

س ـ ماذا كان يفعل البوليس .. وهل جاءت المطافى وأنت موجود؟

ج ـ البوليس كان « مكتف » .. زى مايكون بيتفرج .. والمطافى جاءت بعد ذلك .. وكانت كسلانة .. والناس تمزق الخراطيم.

س ـ ألم يكن بالميدان فى هذه اللحظة مظاهرات .. أو تجمعات كبيرة تملأ المكان ؟

ج ـ لا .. لم تكن توجد أى مظاهرات .. فقط مجموعات من أولاد الشوارع تتجمع « وتهيص » ..

رواية صالح أحمد على :

« انتبهنا على دخان . بصينا من البلكون المواجه لكازينو أوبرا .. الموجود فى نص اللوكانده (الكونتننتال) كان الحريق شغال .. وحوالى ٤٠ أو ٥٠ شخص معظمهم أطفال متجمعين أمام الكازينو .. وبعدين جات المطافى وكل ماتركب خرطوم الأولاد يقطعوه ، بالموس ..

س ـ هل رأيت أحدوهو يشعل النار فى الكازينو ؟

ج ـ لا .. ماشفتش .. كنا بعيد برضه ..

س ـ هل كانت توجد أى مظاهرات فى الميدان ؟

ج ـ لا .. فى الوقت ده ماكانش فيه مظاهرات .. عشان كده احنا ما عرفناش على طول ايه سبب الحريق .. لكن فهمنا أن الحريق بقصد عشان الأولاد بيقطعوا الخراطيم ومش عاوزين النار تطفى.

رواية جلال طنطاوى :

« كنت داخل محل أصواف المصرى عندما شعرنا أن هناك شيئا غير عادى يحدث . خرجنا لنرى ، فوجدنا النار مشتعلة فى الكازينو وفى بعض المقاعد والترابيزات فى الميدان أمام الكازينو . وطبعا حدث هرج فى الميدان ، وتجمعت الناس للفرجة حتى جاءت المطافى ..

س — هل رأيت لحظة اشعال الحريق نفسها ؟

ج — لم أر نفس اللحظة . . لكن لم أتأخر كثير عنها . . لأننا نستطيع من المحل أن نلحظ بسرعة أى شىء من هذا النوع فى الميدان كله . .

س — هل كانت بالميدان مظاهرات فى هذه اللحظة ؟

ج — أبدا . . لم تكن موجودة أى مظاهرات ولا حتى شبه مظاهرات . .

س — هل كانت موجودة مظاهرات . . وعندما خرجت أنت اتفرقت بواسطة البوليس ؟

ج — بوليس مين . . هو كان فيه بوليس . . بالتأكيد لم تكن توجد مظاهرات . .

س — من اذن الذى كان حول الكازينو فى تلك اللحظة . . وماذا كانوا يفعلون ؟

ج — رعاع . . ناس شوارعية من اللذين يتجمعون عادة فى هذه المناسبات ويعملوا دوشة . .

رواية أحمد فؤاد ندا :

« كنت مدير للتعاون بالقاهرة سنة ١٩٥٢ . ويوم ٢٦ يناير كان عندى عامل مريض ، أخذته ورحنا إلى الدكتور سيد عبد العال فى العمارة المواجهة لكازينو أوبرا . .فوق محل هارون الرشيد الحلوانى . وأنا جالس فى الفراندا بالعيادة فى انتظار الكشف على العامل وجدت مجموعة مكونة من ٥ أو ٦ طلعوا كازينو أوبرا فى الدور العلوى . . ماكانش فيه حد تقريبا فى الكازينو . . لأن الكازينو عبارة عن ٣ أدوار ، الدور التحتانى المقهى ، والدور الثانى والثالث مطعم وملهى . . فى الوقت ده ماكانش حد فوق لأن وقت الغذاء أو السمر ماكانش جاء . . فوجئت بهذه المجموعة «تلم» بعض الكراسى ، وأخرج أحدهم ، وكان يلبس «حرملة» مشمع لونها أصفر برتقالى مما كان يستعمل فى أيام الغارات فى الدفاع المدنى . . ويضع على ظهره زى «مخلة» فيها بودرة . . وضع يده فيها وأخرجها «بكبشه» ورماها وولع عود كبريت . . وأطل من الفراندة العلوية لتحت ، ورش بودرة وولع عود كبريت . . بصيت لقيت النار أشتعلت بشناعة . . لما الناس تحت رأوا الكراسى المولعة بتترمى من فوق . . والنار بتولع . . جريوا للخارج . . والناس اللى فى الميدان هاجت . . فى الوقت ده المجموعة اللى اشعلت النار نزلت جرى . . واتجهت إلى الرصيف الذى أقف أنا فوقه . . أنا أخذت

العامل ونزلت ركبته فى عربتى . . وأردت أن أعرف الحكاية . . سألت بعض الناس قالوا دول بيحرقوا المحلات الأجنبية والملاهى عشان حوادث الإسماعيلية . وبصيت لقيت ناس تدخلت فى العملية . . وبقوا يشتركوا فى التكسير : . المهم الحرايق بدأت تكتر . . وعند عمارة الإيموبيليا ــ وهم كانوا توجهوا قبلها للبنك الأهلى لكن الحراسة هناك كانت قوية فجم على الايموبيليا . . فى هذا المكان التقيت وجها لوجه بالشخص الذى بدأ العملية فى كازينو أوبرا . . (لابس الحرملة وحامل جوال البودرة) . . حاولت اتكلم معه . . أريد أن أعرف هو تبع أى جهة . . وفدى . . من الفدائيين . . لم يرد على بكلمة واحدة . . وكان بيمد وأنا أمد وراه يا أستاذ . ياحضرة . . لارد . . وإنما يروح مطلع البودرة ومولع الكبريت فى صمت . . هو وأحد الناس اللى كانوا معاه . شكله طويل . . مكان ياقة القميص ظاهر فى رقبته من أثر الشمس . . مما يدل على أنه يلبس بدلة وكرافته دايما . . وجهه أحمر . . أقطع بأنه غير مصرى . .

«المهم . . الناس كانت بتجرى وراه . . وتشجع . . وآخر مكان أنا رأيت هذا الشخص فيه كان فندق شبرد .

«وطبعا أنا ماكنتش وراه على طول . . لأنى بعد فترة لاحظت أن فيه شىء خطير بحدث . . فحاولت

أقناع عدد من الأشخاص إن احنا نمنع التخريب والسرقة . . وهذا شغلنى عن ملاحقة هذا الشخص فى كل الأماكن اللى ذهب إليها . . لأن الناس بدأت تسرق .

والبوليس كان غير موجود . . وأثناء ذلك وصلت المظاهرات ميدان الاوبرا . . وفى قلب المظاهرات كان موجود عساكر من بلوكات النظام . . الناس شافت المظاهرات . . وشافت الحريق . . وشافت العساكر ماشيين فى المظاهرات . . تهيأ لهم أن العمل ده عمل وطنى . . وزادوا فى التكسير . .

س — عندما حدث المشهد الذى رأيته فى كازينو أوبرا . . كانت توجد مظاهرات فى الميدان أم لا . . ؟

ج — لا . . لم تكن المظاهرات وصلت لسه . .

س — ولامظاهرات محدودة ؟

ج — ولا أى حاجة . . الحياة كانت عادية فى الميدان . . اشعال النار . . ورمى الكراسى . . هو اللى جمع الناس . .

س — هل كانت المجموعة التى رأيتها تحرق الكازينو تردد أى هتافات؟

ج — أبدا . . لا كلام ولا حديث . .

□ □ □

كما سألت أول اثنين من المسئولين وصلا إلى مكان الحادث بمجرد اشتعال الحريق . .

أولهما عبد الفتاح حسن وزير الشئون الإجتماعية ووزير الحربية بالنيابة حينئذ . .

قال :

«توجهت إلى عابدين لمعرفة الحالة بالبلد . .
ووصلت هناك فيما بين الساعة ٣٠ر١٠ و ١١ : وجدت تجمعات فى الطريق . . لكنها لم تكن ضخمة أو كبيرة.
ذهبت إلى وزارة الداخلية . وابلغت فؤاد سراج الدين بما لاحظت . . واقترحت نزول قوات السوارى راكبى الخيل . . لأن مجرد مرورهم يمكن أن يحد من احتمالات اتجاه المتظاهرين للعنف . . مع عدم استعمال أى سلاح . .
قام بدوى خليفة وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام واتصل بعبد الحميد خيرت قائد السوارى ليبلغه بانزال السوارى بعد أن وافق وزير الداخلية على اقتراحى وبينما ذلك يحدث جاء أحد موظفى الأمن العام يبلغنا بأن حريق شب فى كازينو أوبرا . نزلت بسيارتى فورا إلى مكان الحادث فوصلت الساعة ٤٥ر١٢ . وجدت هناك اللواء محمد إبراهيم إمام الذى سارع لاستقبالى مطمئنا بأن الأمر بسيط . . وقال : اتفضل أنت . .

س – هل كانت المطافىء قد وصلت ؟

ج – نعم ، لأن المكان قريب من مركز المطافىء . وكانوا يطفئون الحريق بخراطيم مقطعة . .

س ــ هل كانت بالميدان مظاهرات . . أو تجمعات كبيرة . . ؟

جـ ــ لا . . لم تكن بالميدان مظاهرات . . ولا حتى أعداد كبيرة من الناس . . اللهم الذين تجمعوا للفرجة . .

س ــ هناك إحتمال أن يكون وصولك بعد أن تم تفريق المتظاهرين بالقوة كما قيل . .

جـ ــ لا . . لم يحدث تفريق لمظاهرات ولا حاجة .. والمدة التي وصلت فيها كانت أقل من أن ينتهي فيها مشعلو النار من مهمتهم إذا فرض أنهم تجمع كبير . . فكيف يكونوا قد فرقوا أيضا خلالها ! ؟ [1] . .

أما الثاني فهو اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسي ووكيل الحكمدار . . وأول رجل بوليس كبير يصل إلى مكان الحادث . .

س ــ التقطت صورة لضابط في كازينو أوبرا . . هل كان ضابط جيش . . أم بوليس . . ؟ . . وهل عرف من هو ؟

جـ ــ عرف أنه ضابط جيش . ولكن لأن الصورة التقطت من الخلف فلم يمكن تحديده . وقد ذكر في التحريات عدد من الضباط . . إلا أن التحريات لم تصل إلى نتيجة .

والقصة أنه قيل أن هذا الضابط هو الذى اشعل الحريق في كازينو اوبرا . . وحدث بعده هرج . . ثم اشترك آخرون في الحريق .

س ــ إذن ما حقيقة أن كازينو أوبرا احترق بسبب مشادة حدثت بين المتظاهرين وبين اثنين من ضباط الجيش كانا يحتسيان الخمر مع راقصتين ؟

---

(١) حديث شخصي مع عبد الفتاح حسن ــ خارج شهادته لي ــ تم يوم ٢٧ يوليو ١٩٧٥ .

جـ - لا . . لم يحدث هذا . . إنما البداية كانت بالهرج الذى حدث . .
وما قيل من أن ضابط الجيش هذا هو الذى بدأ الحريق . .
وقد لا يكون هذا أيضا صحيحا . . وإنما تصادف وجود هذا
الضابط مع بداية الحريق . . لا أستطيع أن أقطع [1].

□ □ □

واضح مما تقدم أن هناك خلافا جوهريا فى تحديد من الذى أحرق الكازينو . .

فبينما تقرر الخلاصة التى أوردناها من تحقيق النيابة للحادث . . وكذلك شهادة رجلى البوليس اللذين كانا مكلفين بالحراسة فى الميدان يوم ٢٦ يناير . . أن المظاهرة القادمة من ميدان عابدين هى التى اتجهت إلى الكازينو واتلفت منقولاته ثم أحرقته . .

فإن شهود العيان الأربعة الذين استمعت أنا لشهاداتهم يقررون أن الكازينو احترق بينما لم تكن توجد مظاهرة بالمعنى المعروف لهذه الكلمة . . وإنما كانت توجد تجمعات . . احتشدت للفرجة أساسا .. ولم تكن كبيرة

وقرر عبد الفتاح حسن الذى وصل إلى الميدان بعد حوالى ربع ساعة من الابلاغ عن اندلاع النار فى الكازينو أنه لم تكن توجد بالميدان أى مظاهرات ..

بينما قال لى اللواء محمد إبراهيم إمام ، الذى كان قد وصل بمجرد بدء عملية الحريق .. وقبل وصول عبد الفتاح حسن .. بل وقبل أن يستفحل الحريق فى الكازينو كما قرر العميد (الملازم أول) محمد حلمى صديق فى شهادته لى .. أن الحريق بدأ بعمل تم فى الدور العلوى .. ويقال أن الذى

(١) راجع شهادة اللواء محمد ابراهيم إمام - الملاحق .

بدأ به ضابط الجيش الذى ألتقطت له صورة وهو فى هذا المكان .. ثم حدث الهرج .. وتجمع الناس .. وبدأآخرون يشتركون فى الاحراق .. أى آنه ليست المظاهرة هى التى اشعلت النار فى الكازينو .. وانما إما هذا الضابط .. أو أشخاص آخرون ــ محدودون ــ هم الذين فعلوا ذلك ..

وأهمية هذا الاختلاف تكمن فى أن الذين يقولون أن حريق كازينو أوبرا حدث تلقائيا .. وأنه ليس جزءا من الخطة المدبرة لحريق القاهرة.. يستندون إلى وجهة النظر الأولى .. التى ترى أن المتظاهرين ــ الغاضبين ــ هم الذين اقتحموا الكازينو .. ثم تطور الاقتحام إلى اتلاف .. ثم إلى حرق مجرد اندفاع عفوى للجموع الساخطة .. « ولا مؤامرة .. ولاحاجة » !

أما الذين يتصورون أن حريق القاهرة كله هو مؤامرة مبيته .. فانهم يميلون بالمنطق إلى تصور أن تكون المؤامرة بدأت من حريق كازينو أوبرا نفسه.. . وليس من الحرائق التى تلته .. ولذلك فانهم يتوقعون أن يكون حريق كازينو أوبرا تم بطريقة خاصة .. وليس بواسطة المظاهرات ..

لكننا هنا لانلجأ إلى التعسف فى ترجيح الرواية ، أو الروايات ؛ التى تؤكد وجهة نظر على أخرى ..

ولذلك ، فقد لجأت إلى عمليات مناقشة ــ أقرب إلى المواجهة التى تجريها النيابة ــ لمناقضة كل رواية بالاخرى ..لعلى أصل إلى حقيقة ماحدث فعلا فى تلك اللحظات المعقدة من ظهر يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ..

لكننى أقرر بكل صدق أننى لم استطع زحزحة أى من أصحاب الروايات التى ذكرتها عن موقفه .. فقد أصر كل منهم على أن هذا هو مارآه بعينى رأسه .

لذلك ،فلا مفر من التسليم بعدة أمور قبل ترجيح أى رواية على الأخرى .

فهناك التعقد الشديد والتشابك فى الأحداث .. والصور.. فى ذلك اليوم الذى لم تشهد له مصر مثيلا فى تاريخها كله ..

هناك الازدحام الذى أغرق العاصمة كلها .. منذ السادسة صباحا حتى آخر يوم ٢٦ يناير .. بكل ماحواه من ضجيج وصراخ .. وعنف .. وارتباكات ..

وهناك نسبية الرؤية لكل انسان للواقعة الواحدة .. بحكم الموقع الذى كان موجودا فيه .. واللحظة التى شاهد فيها الواقعة ..

وهناك أخيرا الحالة النفسية للشاهد .. وكيفية ملاحظته للحوادث .. وفهمه لها .. الخ ..

كل ذلك ، جعلنى أبسط للقارئ كافة ماسمعته عن حادث كازينو أوبرا . بكل ما فى الأقوال المختلفة من تباين يصل إلى حد التناقض ..

فنى التحليل النهائى .. فانه ليس لدى الغالبية الساحقة من هؤلاء الشهود أى أسباب تدعوهم للاختلاق أو الكذب .

لكننا لانملك أسباب الترجيح الحاسم ..

لذلك .. فلا مجال لتحديد من الذى أحرق كازينو أوبرا بالضبط .. الا بوضع هذا الحادث ضمن السياق العام لأحداث يوم ٢٦ يناير .. يصدق عليه مايصدق عليها ..

ومن ثم .. فلنتقدم لبحث دور المظاهرات فى تلك الأحداث عموما ..

المظاهرات .. براءة !

ترددت كلمة « المظاهرات » كثيراً على ألسنة رجال البوليس وهم يتحدثون عن أحداث ٢٦ يناير .. فقد نسبوا إليها كل الحوادث والحرائق.

ويبدو أن معايشة رجال البوليس لاحداث ذلك اليوم بصخبه وضجيجه وحرائقه الخطيرة .. والاعتداءات ومحاولة رد الاعتداءات .. قد أصابت رجال البوليس « بهوس المظاهرات » حتى لقد صار كل مايرونه من ذلك اليوم هو مظاهرات فى مظاهرات ..

ولأن رجال البوليس كانوا الكتلة الاساسية فى شهود التحقيقات .. فقد نقلوا إلى النيابة ومحققيها الاعتقاد بأن الذى فعل كل شئ يوم ٢٦ يناير هو المظاهرات .

وأدى ذلك إلى اختلاط واضح فى الحوادث .. واختلال صارخ فى التحديد .. وتقويمات غاية فى الخطأ والبعد عن الحقائق ..

ولعل الفقرة الوحيدة التى جاءت فى تقرير النائب العام .. والتى تضمنت تقويما كليا لحوادث ذلك اليوم ، هى نفسها أبلغ دليل على مالاحظناه فى السطور السابقة ..

يقول تقرير النائب العام فى الجزء الأول منه (الحوادث : نشأتها — تسلسلها — خاتمة الكارثة) :

«وفى هذه الجموع الصاخبة (يقصد المظاهرات السياسية) المتجمعه فى دار الرياسه (رياسة مجلس الوزراء) ألقى وزير الشئون الاجتماعية إذ ذاك (عبد الفتاح باشا حسن) خطابا جارى فيه الشعور السائد قصد تهدئة خواطر المتظاهرين ولكن هذا القصد لم يتحقق وما كان ينتظر أن يتحقق فى وسط شعلة الحماسة المتقدة .

«تركت هذه الجموع دار الرياسة لتنساب فى قلب العاصمة معبأة نفوسهم ملتهبة مشاعرهم متحللةمناعتهم ضد كل توجيه إجرامى يستغله دعاة السوء فساروا كأنهم مخزن للبارود تحف به أعواد الثقاب — وما لبثت هذه الاعواد أن اشتعلت فدوى الانفجار وكان ذلك فى حوالى ظهر اليوم إذ انهال فريق من المتظاهرين على كازينو أوبرا بالاتلاف بعد أن أشعلوا النار فيه .

«ثم توالت حوادث الحريق والاتلاف والنهب فيما بين الظهر والغروب . . (١) »

فهذه الفقرة تعنى :

١ — أن المظاهرات التى وجدت فى ذلك اليوم هى التى ارتكبت جميع حوادث الحرائق . .

---

(١) بيان النائب العام عن حوادث حريق القاهرة — منشور فى جميع الصحف يوم ٨ مارس ١٩٥٢ .

٢ ــ وأنها على وجه التحديد هى التى أحرقت كازينو الأوبرا . .

وهما أمران لا أساس لهما من الصحة . . من واقع التحقيقات الرسمية نفسها . . لأن هذه الجموع التى خرجت من دار رياسة مجلس الوزراء بعد خطاب عبد الفتاح حسن ، انصرفت فيما بين الساعة الثالثة والنصف والساعة الرابعة إلا الربع . . بينما حريق كازينو أوبرا حدث ــ حسب البيانات الرسمية المسجلة فى مكان آخر من تقرير النائب العام نفسه ــ الساعة ١٢ر٢٧ . . وأنه حين انفضت المظاهرة الكبرى . . أو خرجت من دار رياسة مجلس الوزراء كانت معظم الحرائق قد اشتعلت بالفعل . . !

□ □ □

وهناك جانب نفسى ترك أثره على أقوال رجال البوليس فى ذلك اليوم.

لقد احترقت عاصمة الدولة التى يتحملون هم مسئولية أمنها . . وكان ذلك فى حد ذاته يضعهم فى موقف عصيب . . رغم أنهم فى الواقع لا ذنب لهم فيما سارت فيه الأحداث وفيما انتهت إليه .

ومن ناحية أخرى فقد حاصرتهم أسئلة المحققين تريد أن تلصق بهم تهمة التقصير بأى صورة .

ازاء ذلك اتخذ رجال البوليس موقف الدفاع عن النفس ..

والمتتبع للتحقيقات يستطيع أن يلمس بسهولة كيف أن رجال البوليس من أكبر الرتب إلى أصغرها ، كانوا يتنصلون بقدر الإمكان من المسئولية ويلقى كل منهم التبعة على زملائه الآخرين . .

ومن باب أولى القاء التبعة على الشعب . . فى صورة المظاهرات . .

ولذلك يلاحظ دائما كلمات التضخيم والمبالغة فى «المظاهرات التى

كانت تهاجم وتحرق المحال» . . من أمثال : «وجاءت مظاهره ضخمة جدا» . . و «مظاهرة لا يمكن تقدير عددها » و «مظاهرة أولها فى ميدان الأوبرا وآخرها فى ميدان عابدين » الخ . .

ولعل هذان المثلان المحددان يلقيان الضوء على تقديرات رجال البوليس للجماعات التى كانت تتحرك للتخريب :

فى تحقيق حريق بنك باركليز سأل المحقق مصطفى الهلباوى جنديين من جنود الحراسة كما سأل أحد الضباط برتبة ملازم أول : فقال الجندى الأول أن «المظاهرة» التى هاجمت البنك كانت مكونة من حوالى الفين ، وقال الجندى الثانى أنها كانت مكونة من حوالى ألفين أو ثلاثة آلاف . أما الضابط الذى يتحمل مسئولية أكبر . . فقد رفع الرقم إلى عشرين الفا !

أكثر من ذلك ، فقد وصل الأمر ببعض ضباط البوليس إلى تصور أشياء وهمية ، فقد قال البكباشى حسين سعيد صالح بالقسم المخصوص فى التحقيق مع رجال الإدارة (ص ٦٨ — ٧٠) أن جموعا من مختلف الشوارع المجاورة جاءت « بحالة هياج شديد » وهاجمت سينما ريفولى . . و «أن بعض المتجمهرين كانوا يطلقون أعيرة نارية فى الهواء . . سمعت أنا منها ٥ أعيرة » ! وهو مالم يحدث اطلاقا ، كما يتضح من أقوال جميع الشهود !

فرجال البوليس كانوا يبالغون فى حجم «المظاهرات» . . لأنه كلما كان هذا الحجم كبيرا ، كلما أصبح عجز رجل البوليس عن مواجهة الموقف مبررا . . فيتخلص من أى مسئولية .

□ □ □

ثم هناك نقطة عملية لابد من أخذها فى الاعتبار ونحن نقيم شهادات رجال البوليس فى ذلك اليوم . فقد كانت الأوامر لدى عدد كبير منهم — على الأقل الـ ٢٠ ضابطا الذين عينهم مدير الأمن العام لملاحظة الحالة — أن يبلغوا عما يلاحظوه . ولذلك ، كانت المسألة التى تشغل كلا منهم عند ظهور أى حركة لا أن يدقق فيها . . ولا أن يعمل شيئا لمواجهتها . . ولكن أن يهرع إلى أقرب تليفون لابلاغ المدير . وفى يوم كهذا لنا أن نتصور مدى العناء والوقت الذى يضيع حتى تتم المكالمة التليفونية . وفى أثناء ذلك تكون أشياء كثيرة قد حدثت دون أن يراها هؤلاء الضباط .

كذلك ، كثيرا ما تعرض رجال البوليس لمحاصرة ومعاكسات . . فقد ذكر القائمقام محمود الديب أنه عندما حاول إبلاغ المدير من تليفون الكازينو هجم عليه الأولاد وكسروا التليفون . وذكر الملازم أول (العميد) محمد حلمى صديق أنه عندما حاول هو وزملاؤه التعرض للذين قاموا بالاعتداء على كازينو أوبرا أن هؤلاء «حاصرونا . . واستمروا فى إشعال النار» . .

وذلك من شأنه أن يحجب عن رجال البوليس بعض تفاصيل الحوادث التى قد تكون لها أهمية خاصة . .

□ □ □

بعد هذه التحفظات الضرورية . . والتى سنعود لها عند حسم موضوع حريق كازينو أوبرا . . ماذا عن المظاهرات التى وجدت فعلا يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ؟

حصر البوليس جميع المظاهرات التى سارت فى العاصمة فى ذلك

اليوم . . وتتبع خط سيرها من البداية إلى النهاية . . وكانت هذه المظاهرات عبارة عن ٥ مظاهرات :

١ – مظاهرة بلوكات نظام الأقاليم التي تحركت الساعة السادسة صباحاً من ثكناتها بالعباسية ومكونة من ٢٠٠ أو ٣٠٠ عسكري ، بعد أن رفضوا تسلم الخدمة احتجاجا على ما حدث لزملائهم في مذبحة الإسماعيلية ، وتمردوا ، وحملوا أسلحتهم وخرجوا قاصدين الجيزة حيث يعسكر ٥٠٠ من زملائهم في مديرية أمنها . . لكنهم عندما وصلوا لم يجدوا زملاءهم هناك فاتجهوا إلى جامعة فؤاد الأول (القاهرة) واختلطوا مع الطلبة في مؤتمر وطني كبير . وبعد تبادل الخطب والهتافات . . خرج طلبة الجامعة ومعهم جنود بلوكات النظام واتجهوا إلى رياسة مجلس الوزراء ، ووصلوها الساعة الحادية عشرة والنصف تقريبا . .

وكانت حول مظاهرة بلوكات نظام الأقاليم بالذات شبهات حادة . فهي أول مرة يخرج فيها جنود بوليس في مظاهرة مسلحه في تاريخ مصر وإلى جانب ما في ذلك في حد ذاته من خطورة . . فقد كانت هذه المظاهرة هي التي ألهبت مشاعر الجماهير الساخطة بصورة لم يسبق لها مثيل . كما أنه بسببها – بعد مذبحة الإسماعيلية ذاتها – اتخذ البوليس في العاصمة – وخاصة العساكر – موقفا سلبيا . . بل ومحبذا الأعمال العنف والتخريب . لذلك قام شك في أن هذه المظاهرة مدبرة من قبل اعداء الحكومة الوفدية لاشعال الفتنة . لكن التحقيق أثبت أن جنود بلوكات نظام الأقاليم خرجوا في مظاهرتهم بصورة تلقائية دون تحريض من أحد ، تعبيرا عن سخطهم على ما حدث لزملائهم بالإسماعيلية . كما ثبت أن الضابط اليوزباشي عبد الهادي نجم الدين ، الذي كان يظن بأن له علاقات مع دوائر السعديين

المناوئة للوفد لم يكن بالثكنات وقت خروج المظاهرة ، وإنما لحق بها قرب مديرية أمن الجيزة بعد أن أمره قادته بذلك .. وأنه توجه معهم إلى الجامعة ثم إلى مجلس الوزراء . حيث نجح فى سحبهم من هناك وإعادتهم إلى ثكناتهم .

ولم يصدر عن هذه المظاهرة منذ بدأت فى السادسة صباحا وحتى عادت إلى ثكناتها أى أعمال تخريب أو حريق على الإطلاق .

كما أن طلبة الجامعة الذين خرجوا مع جنود بلوكات النظام لم يقوموا بأى عمل مخرب . .

٢ ـ مظاهرة من عمال العنابر والسكة الحديد ، وصلت إلى الأوبرا ثم عابدين فى الساعة التاسعة صباحا . . وكانت سلمية وتهتف هتافات سياسية ولم تقدم على أى عمل تخريبى . .

٣ ـ مظاهرة من طلبة الأزهر انضم إليها عدد من جنود بلوكات نظام مصر . . ووصلت إلى ميدان الأوبرا ثم ميدان عابدين فى الساعة العاشرة . . وكانت سلمية وتهتف هتافات سياسية . .

٤ ـ مظاهرة من طلبة كليات جامعة إبراهيم (عين شمس) وصلت أيضا فى الساعة العاشرة إلى ميدان عابدين . . وكانت سلمية وتهتف هتافات سياسية . .

٥ ـ ثم مظاهرات لمختلف طبقات الشعب . . وصلت فى وقت مقارب وكانت سلمية كذلك وتهتف هتافات سياسية . .

هذه هى المظاهرات التى قامت يوم ٢٦ يناير . . والتى حصرتها سلطات الدولة . . والتى تمثل فيها الوجه السياسى لأحداث ذلك اليوم . .

وكانت حركة الجماهير الوطنية الديمقراطية التى عبرت عن نفسها بهذه المظاهرات على درجة عالية من الوعى والنضج . . وكانت محددة الاتجاه والأهداف . .

ويعتبر ما حدث فى ساحة رياسة مجلس الوزراء . . والحوار الذى دار بين قادة المظاهرات وبين عبد الفتاح حسن صورة رائعة للوعى الثورى لجماهير شعبنا السليمة . . التى تنظم وتسير المظاهرات . .

وصف الزوجان لاكوتير هذا المشهد فى صورة رائعة .. قالا :

« خاطب عبدالفتاح حسن المتظاهرين قائلا : هذا يومكم ، ستثأرون لشهدائكم . وسنعرض صدورنا لرصاص العدو معكم .. بل وفى مقدمتكم . ولكنه لاحظ أنه لايملك السيطرة على الجماهير . كانت الجموع — ومن بينها جنود فكوا ازرار جاكتاتهم ووضعوا أذرعتهم فوق أكتاف اخوانهم الطلبة — تصيح فى وجهه دون اكتراث ومن حوله بالقرب من الميكروفون يقف عدد كبير من الضباط وقد أزاحو « كاباتهم » إلى مؤخرة رؤوسهم بل كان هناك بحار بجلس وساقاه متدليتان على أفريز الشرفة والكل ينظر إلى الوزير نظرات مستخفة وأثناء خطاب الوزير كانت جموع متزايدة من الشعب تفد إلى دار الرياسة وهى تحمل عددا من رجال البوليس على الاعناق وتردد البوليس مع الشعب والشعارات الوطنية .

وخلال ثلاث ساعات متصلة كان الحوار يدور ساخنا ، لكن بأعلى مستوى من الوعى السياسى ، بين

الوزير الوفدى وبين الجموع التى حددت مطالبها بمقاطعة بريطانيا مقاطعة تامة واشراك الجيش المصرى فى المعركة ضد قوات الاحتلال ، ومعاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى .

وقد استمعت إلى تفاصيل هذه المظاهرة وماحدث فى داررياسة الوزراء من ثلاثة من أبطالها هم الوزير عبد الفتاح حسن ، ورفعت الشهاوى من أعضاء الحزب الاشتراكى ومحمد حلمى عبد الخالق عضو تنظيم الضباط الأحرار وضابط الجيش الوحيد الذى اشترك فى أحداث ذلك اليوم . واتفقت رواياتهم الثلاثة على أن الجماهير كانت تطالب بموقف حاسم ضد الانجليز . يتخذ فورا . وأن المتظاهرين قرروا الاعتصام فى رياسة الوزراء حتى يجتمع مجلس الوزراء — فى نفس اليوم ، بدلا من اليوم التالى (الأحد) وهو الموعد الدورى الأسبوعى لمجلس الوزراء — على أن يأتى عبد الفتاح حسن إلى مقر المجلس (حيث كان الاقتراح أن ينعقد الاجتماع فى منزل مصطفى النحاس الذى كان مريضا فى ذلك اليوم) ويعلن القرارات ، فينتهى الاعتصام .. وخرج عبد الفتاح حسن على هذا الأساس فعلا واتصل بالنحاس وقرر النحاس دعوة الوزراء .. وتحدد للاجتماع الساعة السابعة . لكن الجماهير قررت أن تفعل شيئا فى الوقت الذى سينقضى بين ذهاب عبد الفتاح حسن وعودته بقرارات مجلس الوزراء ، فاتجهت إلى ساحة قصر عابدين لتسمع الملك صوتها ومطالبها .. وعندئذ . وفى ميدان عابدين ، وبينما طلقات رصاص تدوى فى الهواء رداعلى هتافات المتظاهرين .. وصلت أنباء الحرائق للمتظاهرين .. فادركوا بحسهم السياسى أن هناك مؤامرة .. وأنه من المحتمل الصاقها بهم .. فتفرقوا .. (١)

(١) راجع شهادة : عبد الفتاح حسن ، ورفعت الشهاوى ، محمد حلمى عبد الخالق .

هذه هى المظاهرات .. وهذا هو موقفها .. وسلوكها : العمل السياسى وليس التخريب والحريق .. والاتجاه ضد العدو رأسا ، وليس ضد الثروة القومية والقيم الحضارية ..

.. وماذا قالت سلطات التحقيق عن هذه المظاهرات .. وخط سيرها .. وماقامت من دور فى أحداث ذلك اليوم ؟

يقول تقرير النائب العام :

« ومنذ التاسعة صباحا أخذت مظاهرات عدة تتدفق على ميدان عابدين ومنه إلى رياسة مجلس الوزراء ، فمظاهرة من عمال العنابر والسكة الحديد ، ومظاهرة من طلبة الأزهر يخالطها بعض من رجال بلوكات مصر وبلوكات الاقاليم ، ومظاهرة من طلبة بعض كليات إبراهيم ومظاهرات شتى من مختلف الطبقات . وكان شعار الجميع السخط على الاعتداء الذى وقع بالإسماعيلية على رجال البوليس وطلب السلاح للسفر إلى القنال للحرب . وقد تجمعت هذه المظاهرات بدار رياسة مجلس الوزراء حيث اختلطت بالمتظاهرين من طلبة جامعة فؤاد ومن معهم من جنود بلوكات الاقاليم المتمردين . وكانت جميع أنباء هذه المظاهرات تبلغ فى حينها إلى وزارة الداخلية .

وتقرير النائب العام — بالعبارة التى نقلناها عنه — يقطع ببراءة المظاهرات من حرائق ٢٦ يناير .. بما فيها حريق كازينو أوبرا ، لأنه

ينفى شهادة ضابطى البوليس اللذين كانا بميدان الأوبرا .. الملازم أول (العميد) محمد حلمى صديق والقائمقام محمود الديب ..

لأن الضابطين قالا أن مجموع المظاهرات الثلاثة التى سبق أن اتجهت نحو عابدين (مظاهرة عمال السكة الحديد ومظاهرة العمال المختلط بها عساكر من بلوكات مصر ومظاهرة طلبة الأزهر) عادت مرة أخرى إلى ميدان الأوبرا .. وأحرقت الكازينو ..

بينما تقرير النائب العام يقرر بوضوح أن هذه المظاهرات نفسها . وغيرها من المظاهرات أيضا .. « تجمعت بدار رياسة الوزراء واختلطت بالمتظاهرين من طلبة جامعة فؤاد ومن معهم من جنود بلوكات الأقاليم المتمردين » .؟

صحيح أن تقرير النائب العام أتبع الفقرة السابقة بالفقرة التى سبق أن أوردناها والتى قال فيها أنه فى هذه الجموع خطب وزير الشئون الاجتماعية . ثم اندفعت الجماهير كبرميل بارود .. فاحرقت كازينو أوبرا . وهو مافندناه من قبل بأن هذه الجموع استمرت تتحاور مع وزير الشئون الاجتماعيه حتى الساعة الرابعة الا الربع .. مما تنتفى معه أى صلة لها بحريق كازينو أوبرا وبأى حريق آخر ..

وكان ماجاء بتقرير النائب العام يكفى تماما لاستبعاد شهادة رجلى البوليس .. وحسم قضية علاقة المظاهرات بحريق كازينو أوبرا .. بالنفى ..

هذا فيما لو أتبعنا المنطق الشكلى .. المريح !

لكن أحداث ذلك اليوم العجيب لم تكن بسيطة .. حتى تعالج ببساطة : فالحقيقة أن المظاهرات الرئيسية اتجهت بالفعل – كما جاء بتقرير النائب العام – إلى رياسة مجلس الوزراء ..

لكن هناك مايشير إلى أن أجزاء من المظاهرات أنسلخت من الكتلة الرئيسية .. واتخذت مسارات مختلفة .. أوتأخرت فى بعض النقط ..

وقد استمعت لشاهد عيان آخر .. كان من قادة احدى هذه المظاهرات .. قال فوزى جبر يوسف :

« خرجنا بمظاهرة من بولاق أبو العلا . . التقينا بعدة مظاهرات فى شوارع الملكة (رمسيس) وفؤاد (٢٦ يوليو) واتجهنا إلى ميدان الاسماعيلية (التحرير) .

« فى ميدان التحرير سمعنا أن مظاهرات قادمة من الأزهر .. فرجعنا نحو ميدان عابدين. . ثم شارع ابراهيم (الجمهورية) . . ثم ميدان الأوبرا . .

« طول الطريق كانت المظاهرة سليمة .. وسلمية .. تهتف هتافات وطنية . .

« عند كازينو أوبرا توقفت المظاهرة بلاسبب معروف . . ووقف شخص من قلب المظاهرة . . كان يلبس جلبابا . . وأخذ يثير المتظاهرين ضد البارات والكباريهات بدعوى أنها تلهى الناس عن الكفاح . .

« وأذكر جيدا أنه لم يكن بكازينو أوبرا فى ذلك الوقت أكثر من ثلاثة أشخاص كانوا يجلسون فى التراس بالدور الأرضى . . وفجأة اندفع عدد لايتجاوز خمسة أو ستة أشخاص من داخل المظاهرة إلى الدور العلوى من الكازينو .. وأخذوا يقذفون الكراسى والترابيزات إلى الشارع .. ويكسرون ..

« كانت الساعة حوالى ٣٠ و ١١ أو ١٢ .

« وقفت فوق سطح سيارة ملاكى كانت بالميدان أحاول تنبيه الناس إلى خطورة هذا العمل وضرره على كفاحنا الوطنى .. لكن صوتى ضاع ..

« بعد وقت غير كبير بدأنا نرى دخانا من داخل الكازينو .. وبدأت النار تشتعل ..

« جاءت المطافى لأنها كانت قريبة .. ولكن تصدى لها عدد من الناس وأخذوا يمزقون الخراطيم .. ويمنعوها من تأدية عملها ..

« حاولنا نحد من هذا الاتجاه .. بأخذ من نستطيع أخذه بعيدا .. نحو الاتجاه الصحيح للمظاهرة .. فاتجهنا إلى شارع فؤاد (٢٦ يوليو) ..

« سمعنا ونحن ماشين أن بنك باركليز يهاجم .. فمنعنا الناس من الاتجاه إلى هناك ..

« شاهدنا من بعيد سينما ريفولى وهى تهاجم ..

« عندئذ تفرقت المظاهرة . . لأننا شعرنا أن فى الأمر شىء خطير . .

« الجزء الذى كان معنا فى المظاهرة كان غير كبير .. حوالى ٢٠٠ أو ٣٠٠ شخص .. لأن الكتلة الاساسية من المظاهرة كانت اتجهت لمبنى رياسة الوزراء .. لذلك لم يكن ميدان الأوبرا حينما وصلناه مكتظا بالمتظاهرين .. بل كان هادئا نسبيا . . . »

إن أقوال هذا الشاهد تتفق مع أقوال ضابطى البوليس محمود الديب ومحمد حلمى صديق . . من حيث تواجد مظاهرة بميدان الأوبرا ساعة حادث الكازينو . .

لكنه يختلف معهما من حيث حجم هذه المظاهرة . . فبينما يرفعان هما هذا الحجم إلى حوالى ٢٥٠٠ شخص . . فانه ينزل بالرقم إلى ٢٠٠ أو ٣٠٠ شخص .

ونحن أميل إلى الرقم الأصغر . . لأنه يتفق مع ما جاء على ألسنة جميع شهود العيان الآخرين . وأيضا مع تقرير النائب العام الذى قرر أن الكتلة الرئيسية من المظاهرات اتجهت إلى رياسة مجلس الوزراء ..

ويبقى السؤال الهام : هل هذه المظاهرة هى التى هاجمت الكازينو ثم أحرقته ؟

أقوال الملازم أول (العميد) محمددحلمى صديق تجيب على السؤال بالايجاب .. بوجه عام .

لكن أقوال القائمقام محمود الديب (والذى كان بالكازينو نفسه) تحدد أن الذين هاجموا الكازينو هم « الاولاد » . . وليس المظاهرة أو المتظاهرين . . وأن المظاهرة تفرقت بعد ذلك عندما جاءت قوات أكثر من البوليس . .

هل نستطيع — بعد كل ذلك — أن نستنتج تصورا لما يمكن أن يكون قد حدث فى حادث كازينو أوبرا ؟

ابتداء نقول ونحن مطمئنين أن وصف الحادث كما لخص عن تحقيق النيابة ليس مطابقا لما حدث . . وقد أدى بالفعل إلى تضليل الباحثين لأنه أدخل فى روعهم أن المتظاهرين أحرقوا الكازينو . . مضفيا على الحادث رداء العفوية والتلقائية . .

والأرجح أن مدبرى الحادث — الذين هم أنفسهم مدبرو حريق القاهرة كله — قد رتبوا أمورهم على النحو التالى :

١ — يستفاد من أى تجمع أو مظاهرة تحدث فى ذلك اليوم .. وكانت المظاهرات متوقعة بشدة .. فضلا عن أن المظاهرات كانت يومية فى تلك الفترة .

٢ — يتخذ هذا التجمع أو المظاهرة ستاراً للعملية . . وجواً تتم فيه .

٣ — كان قد اختير المكان الذى تبدأ منه العملية بعناية .. فهو فى وسط المدينة .. ومنطقة تجمع ومرور كل المظاهرات .. وهو مكان للهو يمكن إثارة المتاعب ضده بسهولة ..

٤ — تفتعل حركة إثارة عنيفة فى اللحظة المناسبة .. تحول الأنظار إلى الكازينو .

٤ — ينطلق عدد قليل يكون قد اندس من قبل فى المظاهرة.. ويظهر فى صورة المستجيب للدعوة « الطاهرة » .. ويبدأ بعمل تخريبى محدود .. يجذب بدوره عدداً آخر من الموجودين دون إشعارهم بالخطر ..

٦ — بينما تكون فرقة العمل الأساسية . . التى تتولى الحـريق (أو العمـل الفنى الدقيق) قد تسللت وأدت مهمتها . . دون أن يلتفت أحد ..

٧ — تستمر عملية الإثارة . . والاستكمال . . لستر انسحاب فرقة التخريب الأساسية .. لتنتقل إلى مكان آخر ..

ونعود إلى المظاهرات .. لنقطع بأنها بريئة من جريمة حرق كازينو أوبرا .. كما هى بريئة من كل الحرائق الأخرى : ٥

لكن .. هل كان رجال البوليس يعنون « بالمظاهرات » معنى آخر غير المعنى المتعارف عليه للمظاهرات ..

وفى هذه الحالة من قصدوا .. ؟

الرعاع .. غير ممكن !

الرعاع !

إنهم أكثر الجماعات التى ورد ذكرها بالفعل يوم ٢٦ يناير ..

البعض تكلم عنهم بوصفهم « مظاهرات » .. والبعض حددهم دون تضخيم . والكثيرون اعتبرهم الفعلة الحقيقيين فى حوادث ذلك اليوم ..

واستعراض سريع لأقوال بعض الشهود فى الحوادث المختلفة تبين كم كان حضور هؤلاء « الرعاع » كثيفا .. « ومتضخما » بصورة ملفتة للنظر ..

« وما أشعر إلا والأولاد دخلوا الكازينو وابتدأوفى التكسير فى الكراسى والزجاج ... »

(من أقوال القائمقام محمود الديب عن حادث كازينو أوبرا) .

« هم جم عشرين ثلاثين مع بعض ، ثم عشرين ثلاثين آخرين .. جرى . العدد كله حوالى ٢٠٠ .. وشكلهم رعاع خالص .. وجريوا على سينما ريفولى »

(من أقوال الصاغ محمود بيومى .
محضر تحقيق خط سير المظاهرات
ص ٦ — ١١ عن حادث سينما
ريفولى) .

« أقبل بعض الرعاع ، وأقصد بالرعاع ناس يلبسون ملابس العامة عمال على جلاليب ومعظمهم من الصبية متجهين إلى سينما مترو وأخذوا يقذفون واجهاتها بالطوب ، ذهبت لأبلغ المدير . لما عدت وجدت النار مشتعلة بالسينما وبمحل اكسلسيور وأجانس فورد وسينما ميامى . وكانت المنطقة غاصة بالجماهير الذين كانوا يتفرجون .. »

(من أقوال البكباشى أمين سليم عيسى
محضر خط سير المظاهرات عن
الحوادث المذكورة — ص ١٥ — ٢١)

« أغلبهم عمال رعاع .. وربنـا يسألنى أنا ما شفتش واحد أفنـدى ولا تلميذ .. »

(من أقوال أحمد محمود قنديل —
باشجاويش مطافى محضر التحقيق مع
رجال البوليس — ص ٣١)

« أكترهم ناس من بتوع السكة ، يعنى جماعة شاق ، والكويس منهم كنا بنكلمه يقتنع ويمشى .. »

(من أقوال أحمد سليمان فراج —
بارمان — تحقيق محل جروبى — ص ٣١) .

« رأيت قلة من الغوغاء تعتدى بإشتعال النار على مرأى من البوليس »

(من أقوال الدكتور عزيز فهمى فى
محضر التحقيق مع أحمد حسين) .

« استلفت نظرى فى هذه الحوادث فتاة لونها أسمر كانت تسير فى ميدان سليمان باشا وحولها المتظاهرين وعمرها حوالى ١٥ — ١٦ سنة وتلبس جاكتة تايير بلدى وجونلة قذرة وكان معاها بنت أصغر منها .. كانت تقول للعيال المتجمعين حولها بحالة عصبية يالله يا شعب .. يالله يا شعب .. »

(من أقوال محمد حمزة بك فى
محضر تحقيق حادث جروبى —
ص ٣٥) .

هذه مجرد عينات بسيطة لما ورد عن الرعاع فى أوراق قضية حريق القاهرة التى امتلأت تحقيقاتها كلها بالكلام عنهم ..

وواضح من ذلك ، أن الذين اعتبروا فاعلين فى كل حوادث ٢٦ يناير هم هؤلاء الرعاع . وواضح منه أيضاً أن رجال البوليس عندما كانوا يتحدثون عن « مظاهرات » فهم لم تكونوا يقصدون المظاهرات المصطلح عليها فى عرف من يكتبون فى السياسة .. وإنما كانوا يشيرون إلى مجموعات من الرعاع صغرت أو كبرت ..

وإذا كان ذلك يكفى تماماً لتبرئة المظاهرات التى قامت يوم ٢٦ يناير من وزر الجريمة التى وقعت فيه .. فانه يطرح سؤالا هاماً :

هل فعلا الرعاع هم الذين أحرقوا القاهرة .. ؟

هل يستطيعون .. ؟

أنه من السهل ، وقد ظهرت براءة الجماهير الشعبية السليمة ، أن نكتفى ونترك الجريمة تمسك برقبة الرعاع .. وليذهب هؤلاء الرعاع إلى الجحيم ، لكن ذلك يكون مخلا بأبسط أصول البحث .. وإغفالا للحقائق الجوهرية فى أحداث ٢٦ يناير .. وتجنباً للتدقيق فى البحث عن الكيفية التى نفذ بها المجرم جريمته ..

□ □ □

من الثابت أن حريق كازينو أوبرا حدث الساعة ١٢,٢٧

ومن الثابت أيضاً أنه حريق سينما ريفولى (ثانى حريق) حدث الساعة ١٢,٥٦

ومن الثابت كذلك أن فيما بين الساعة ١,١٥ و ١,٣٠ .. أى فى ربع ساعة فقط كانت النار تلتهم :

١ – سينما مترو

٢ – محل اكسلسيور

٣ – أجانس فورد

٤ – نادى الترف كلوب

٥ – سينما ميامى

٦ – المفوضية السويدية

٧ – بار سيسيل

٨ – سينما ديانا

٩ – مطعم وبار الكورسال

١٠ – الباريزيانا .. ثم تواصلت الحرائق ..

فأى « رعاع » و « عيال حافيين » و« أولاد » هؤلاء الذين يستطيعون أن يشعلوا النار فى عشرة أماكن مثل هذه . . فى ربع ساعة ! ؟

ثم . .

من الثابت أيضا أن أول حريق بدأ الساعة ٢٧ر١٢ . .

ومن الثابت أخيرا أن آخر حريق وهو حريق الأوبرج والمحلات المجاورة له تم فى الساعة ٣٠ و٩ . .

فأى « رعاع » و «عيال حافيين » و« أولاد » هؤلاء الذين يستطيعون ان يشعلوا النار فى ٧٠٠ محل وناد ودار سينما وملهى . . بينها أكبر محلات وسينمات مصر كلها . . فى ٨ ساعات فقط . . ! ؟

ثم . .

من الثابت كذلك أن الحرائق شملت مناطق كثيرة .. وامتدت لاطراف العاصمة بعد أن أكلت قلبها .. فوصلت إلى العباسية شمالا .. وإلى شارع الهرم جنوبا . .

فأى « رعاع » و « عيال حافيين» و « أولاد » هؤلاء الذين يستطيعون أن يمدوا اللهب فوق هذه المساحة الشاسعة . . فى مثل هذا الوقت المحدود نسبيا ! ؟

هل يستطيع « الرعاع » أن يفعلوا كل ذلك . . ! ؟

□ □ □

جاء فى التحقيقات وشهادات شهود العيان . . والتقارير الفنية ذكر للادوات والمواد التى استخدمت فى الحرائق . .

١ — أحصى البوليس السياسى عدد السيارات التى كانت تتحرك فى ميدان الحوادث ، فقال أنها ١٥ سيارة . صحيح أنه قدم تقارير غير حقيقية عن سيارات قال أنها اشتركت فى الحوادث دون أن يحدث ذلك وأنه لم يقدم أى تقارير عن سيارات أخرى ثبت اشتراكها (!) وهذا سنعود إليه فيما بعد . . إلا أنه من المؤكد أنه كانت هناك سيارات جيب وأخرى لورى تتحرك بمواد الحريق من مكان للاخر . . وتسلمها لأشخاص . . وتصدر تعليمات بالاماكن . . وتدفع نقودا . .[1]

٢ — لوحظ أن «الجرادل» الممتلئة بالمواد السريعة الاشتعال كالكيروسين والبنزين كانت موجودة بكثرة فائقة . . وكانت تغمس بها كرات من القماش وتشعل بالكبريت ثم تلقى فى الاماكن المراد حرقها . .

٣ — استخدم فى تحطيم الواجهات الزجاجية والفاترينات كورات مغموسة فى البنزين أو الجاز . . محشوة من الداخل بمادة ثقيلة (اما قطع حديد أو مسامير أو شىء من هذا القبيل) وكانت هذه الكورات تقذف على الواجهات والفاترينات بغرض كسرها وحرق المحل من الداخل (لأن المحال كانت مغلقة) . . وقد اتبعت هذه الطريقة فى محل شيكوريل بالذات . . ومن الخلف . .

٤ — وجدت فى عدد كبير من المحال فى اليوم التالى للحريق صفائح بنزين من أحجام مختلفة . . مما يدل على استخدام البنزين بكميات كبيرة . . وبعبوات كثيرة .

---

(١) ذكر محمد عوض سليمان العامل بسينما باريزيانا فى التحقيق أنه رأى بنفسه أنه وصلت عربية لورى .. وكانوا – من فيها – بيعطوا المتظاهرين (الرعاع !) الصفائح .. ويأخدو من اللورى ويولعوا . .

وتذكر تقارير المطافى الكثير عن ذلك :

ـ فيقول تقرير المطافى عن كباريه (تايلران : «وجد عدد ٢ صفيحة كيروسين سعة ١٨ لترا وعدد ١ صفيحة صغيرة من بنزين تنظيف شركة فاكوم»

ـ ويقول تقريرها عن مطعم وسينما سان جيمس : «ووجدت صفائح صغيرة خاصة ببنزين الولاعات»

ـ ويقول تقريرها عن سينما باريزيانا : « وجدت صفائح صغيرة ملآنة بنزين »

ـ ويقول اليوزباشى عبد الفتاح يوسف العطار فى تحقيق النيابة مع رجال المطافى (ص ٤٥ ـ ٤٦) : «كنت أشوف البنزين فى أيديهم فى قزايز وعلب بنزين صغيرة من علب بنزين شل التى تستخدم لملء الولاعات

ويسأله المحقق أحمد فتحى مرسى : هل شاهدت هذه العلب مع كل المتجمهرين أو مع أشخاص بعينهم ؟

فيجيب : أنا شفتها مع كثيرين منهم . . وكان بعضهم يربط على وسطه عدة علب بفتلة دوباره أو حزام ويستخدمونها الواحدة بعد الأخرى . .

ويعود المحقق يسأل : هل تستطيع أن تقدر عدد العلب التى شاهدتها ولو على وجه التقريب ؟

فيجيب : أنا شاهدت معهم وفى أيديهم حوالى مائة علبة . . وهذا ما شاهدته بنفسى ولكن ربما كان معهم أكثر . . فان هذه العلب كانت تستخدم بكثرة » .

٥ ــ كانت منتشرة جدا فى هذا اليوم «البلط» و «الأجنات» . . ويقال أنها كانت جديدة لم يسبق استعمالها . .

٦ ــ واضح أنه استخدمت مواد شديدة الاشتعال . . وبكثرة . .

ــ فيقول البكباشى يحيى محمود وكيل إدارة الحريق وخبير المفرقعات بها فى تقريره عن حرائق سينما ديانا وسينما مترو بول وسينما باريزيانا أن «سبب الحريق مواد ملتهبة كالبنزين والكيروسين أو أى مسحوق من مادة الفوسفور القابلة للاشعال»[1] . .

ــ ويقول الاميرالاى محمود جبر وكيل إدارة الأمن العام فى تحقيق النائب العام مع رجال الإدارة (ص ١ ــ ٩) عن حريق بنك باركليز : «اعتقد أن طريقة الحريق خاصة . . أعتقد أنه استعمل فيها مادة كيماوية معينة . . لسرعة انتشار النار فى المكان»

ولإدرك قيمة هذه العبارة ، نورد بعض سطور من محضر معاينة بنك باركليز . . لنرى حجم الحريق . حدث الحريق ظهر يوم ٢٦ . ثم بدأت عملية الإطفاء . . وفى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٧ فتحت النيابة محضر المعاينة . . وأملى المحقق صلاح الدين عبد الحميد «فوجدنا أن نوافذه قد احترقت عن آخرها ما عدا الدور العلوى منها ووجدنا أن الأسقف قد انهارت بداخل البناء ، وقد احرقت الشرفات وتهدم بعض إجزاء منها بفعل النيران . . وقد حاولنا الدخول وأخبرنا رجال المطافى الذين كانوا لايزالون يقومون بعملية الاطفاء إنه من الخطر الدخول خشية سقوط بعض اجزاء البناء »

---

(١) عن البودرة أو المواد الفوسفورية راجع شهادات أحمد فؤاد ندا ومحمد صدقى وعبد الفتاح على أحمد ــ الملاحق .

واعاد وكيل النيابة فتح محضر المعاينة فى السادسة مساء يوم ٢٧ ، أى بعد مضى أكثر من ٢٤ ساعة على بدء الحريق ، وبعد استدعاء مأمور قسم عابدين وقوة خاصة من المطافى للانقاذ . . وأملى : « وقد لاحظنا فعلا أن بعض كتل الخشب والحديد أنهارت أمامنا فى داخل البنك . . »

وكانت بالبنك خزينتان ، أحداهما خزينة المدير ، استمر فتحها بالأكسيجين ساعة ونصف ووجدت محترقة من الداخل كما وجد معظم ما بداخلها محترقا . أما الخزينة الثانية فكانت بالبدروم . . وكان بها ٤٦ ألف جنيه وكسور من القطع الفضية والنيكلية . . وجدت محترقة هى الأخرى !

هل تصور هذه المعاينة كم كان عنف الحريق ؟

٧ — استخدمت أيضاً بعض الأدوات التى تساعد على انتشار الحريق بسرعة . . فقد قرر البكباشى أمين سليم عيسى فى تحقيق خط سير المظاهرات السابق الإشارة إليه أنه « لفت نظرى أن الحرائق كانت كبيرة وأخذت تلتهم هذه المنشآت بسرعة غير عادية .. فاستعلمت من بعض أفراد الجمهور الذين كانوا فى هذه المنطقة فعرفونى أن من قاموا بالحريق كانوا يلقون كرات ملتهبة ومغموسة فى البنزين والبعض الآخر كان يستخدم بخاخات حجمها ضعف حجم بخاخات الفليت . .

ونعود نسأل : من أين للرعاع بكل هذا . . وفى هذا الوقت المحدود . . ؟

ونكرر : هل يستطيع الرعاع — بل وحتى المظاهرات الحقيقية الضخمة والمنظمة — أن يقوموا بكل هذه الحرائق . . وبهذه الكيفية ؟

قبل أن نجيب معا على هذه التساؤلات . . فلنقرأ خلاصة تقييم حرائق يوم ٢٦ يناير كما جاءت على لسان الفنيين . .

فقد سألت النيابة القائمقام إبراهيم القلش قومندان مطافئ القاهرة :

هل أستطعتم أن تحددوا من الناحية الفنية كيفية اشعال النار في هـذه المحلات ؟ . . فأجاب : الذى علمته أن المتجمهرين كانوا يكسرون المحلات أولا ويخرجون منها بعض ما فيها ويشعلونها فى الطريق بواسطة مواد ملتهبة كالبنزين أو الجاز ثم يأخذون قطع من هذه المواد المشتعلة ويدخلون بها داخل المحلات ويشعلونها فى جميع أركانها وبعضهم كان يشعل النار فى الداخل بواسطة مواد ملتهبة كالبنزين أو البترول . . وأنا شخصيا وجدت داخل سينما ريفولى صفيحة بنزين مغلقة ومبرشمة على السلم بجوار المطبخ . . »

وشكلت النيابة لجنة فنية لتقديم تقرير فنى عن الحرائق من القائمقام أحمد عثمان مساعد قومندان مطافى القاهرة والقائمقام نصر فريد مساعد كبير مفتشى المفرقعات بالجيش والصاغ سالم محمد هيكل مساعد ثان القومنـدان والصاغ عبد المجيد يسرى مفتش المفرقعات بادارة الأمن العام . . وقد جاء فى البند « سادسا » من هذا التقرير :

واتضح لنا أن حـوادث الحريق والتخريب التى وقعت كانت بطريقة واحده ومتشابهة . . وهى التى سبق شرحها . . »

ومرة أخرى . . هل « الرعاع » مهيأون لمثل ذلك ..هل يستطيعون ؟

أن ما قدمناه على الصفحات السابقة . . من شأنه أن يساعد على تحديد بعض الملامح ذات الدلالة فى أحداث ٢٦ يناير . .

فأولا : فهو يقطع بأن تجهيزات عملية الحريق ، من أدوات ومواد

وخلافه كانت جاهزة وفى متناول يد المنفذين للحرائق . والاحتمال الأرجح أيضا أنها لم تكن فى مراكز توزيع ، سواء أماكن أو سيارات (باستثناء البنزين الذى كان يوزع أثناء العملية لطبيعته . .) . . وإنما بين أيدى الذين تولوا التنفيذ . ولعله أصبح الآن من السخف القول بأن هذه الأدوات والمواد كلها يمكن أن يأتى بها الناس العاديون (مع فرض أن الذين أحرقوا هم أفراد المظاهرات .. أو رعاع) .. لأن المواطن الذى يخرج من بيته للتظاهر تعبيرا عن سخطه . . أو الذى تستثار مشاعره وهو فى الشارع أو فى المقهى أو فى عمله ، لن يكون مستعدا بمثل هذه البلط والاجنات والجرادل والبنزين والجاز والمواد الفوسفورية والسكرات القماش والبخاخات وعلب البنزين الخ . .

كل هذه الأدوات لابد أنها كانت بين أيدى أصحابها قبل بدء حادث كازينو أوبرا . . لأنه منذ هذا الحادث فى الواقع لم تمض فترة انقطاع واحدة . صحيح أنه بين حادث الأوبرا والحادث التالى له فى ريفولى ٢٩ دقيقة إلا أن هذه الفترة لا تعتبر كبيرة إذا تصورنا أن نفس المجموعة التى أحرقت أوبرا هى التى أحرقت ريفولى . . فربما تكون هذه هى المجموعة الأساسية والأكثر دربة . . وإذا وضعنا فى الاعتبار أيضا احتمال أن يكون مخططو العملية قد حسبوا الوقت الذى تأخذه كل الجهات لتكون فى مكان الحادث الأول ، فانتظروا هذا الوقت حتى تتوجه كل الأجهزة وكل الأنظار إلى ميدان الأوبرا فيتهيأ مسرح العمليات الحقيقى ويتصرفون هناك بحرية أكثر .. فيضمنون نجاح عمليتهم . وقد أدركت أجهزة الأمن ذلك فعلا . . فعندما وقع حادث ريفولى أدركت أن المقصود هو تشتيت قوة البوليس فى ناحيتى قلب المدينة المتعاكسين[1] . .

---

(١) أقوال محمود بك جبر وكيل الأمن العام فى تحقيق رجال الإدارة .

أما بعد حادث ريفولى فالسرعة الفائقة فى توالى اشتعال الحرائق تؤكد أن كل الأدوات بالفعل كانت فى أيدى الحارقين ولا تحتاج لأى اثبات.

ثانيا : تثبت الوقائع التى أوردناها أن هناك جهة كانت وراء العملية تمد بالأدوات والوسائل .. وتمول بالنقود. فليس منطقيا تصور أن الذين قاموا بالحرائق (ومع فرض أنهم الرعاع كما جاء فى كل التحقيقات) كان بامكانهم - مهما بلغ بهم الحماس الوطنى أو الدينى ، وهى غير مشهورة عن الرعاع ! - أن يدفعوا من جيوبهم ثمن الأدوات والمواد التى استخدمت فى ذلك اليوم. فمن الذى يستطيع شراء البلط والأجنات وآلاف زجاجات وعلب البنزين وعشرات أو مئات صفائح البنزين والجاز الكبيرة .. فضلا عن المواد الفسفورية ؟ وإذا أراد أن يشترى .. فمن أين فى ذلك اليوم الذى أغلق فيه كل صاحب محل محله وهرب ؟ .. ناهيك عن أن بعض هذه الأدوات والمواد مما لا يتوافر أصلا فى المحلات .. ! ؟

قد يقال أن المخربين حطموا بعض المحال وأخذوا منها هذه الأدوات والمواد .. وقد يركن فى محاولة تمرير هذه الحجة القول بأن من بين المحال التى خربت وحرقت ١٠ محال للاسلحة. أشهرها محل « ماراتوس » بالاوبرا. لكن الواقع أن هذه المحال لم يكن بها الا بعض الأسلحة والذخيرة. وفعلا أخذ المخربون (أو الرعاع هنا) أسلحة من هذه المحال وكميات من الخرطوش .. ووجد بعض من هذا فى الأماكن المحترقة. لكن هذه كلها ليست أدوات حريق ولاقيمة لها فى الحوادث التى وقعت. وأكثر شيء كان يمكن أن يسرق ويستولى عليه (لو كان الفعلة غير مزودين به بالقدر الكافى) هو مستودعات ومحطات البنزين ، لكن الملاحظة الطريفة أن حادثا واحدا للاعتداء على

هذه المستودعات والمحطات لم يقع فى ذلك اليوم .. علما بأن كل هذه المستودعات والمحطات كانت تابعة لشركات أجنبية(١) .

إذن فقد كان هناك من زود العملية بالأدوات والمواد . وبكثرة .

أما النقود فدورها واضح . فقد ذكر فى شهادات الشهود وقائع عديدة عن توزيع النقود على « الرعاع » .. وأيضاً عن دفع بعض أصحاب المحال النقود « للرعاع » لكى ينجوا بمحالهم من الحريق .

وهذه النقطة بالذات تحدد دور الرعاع فى عملية ٢٦ يناير فمن الواضح أن منظمى العملية ومموليها ، استغلوا هؤلاء الرعاع فى تحركهم وذلك لاتخاذهم معاونين فى التنفيذ العملى بقدر معين . فى مقابل دفع مبالغ من النقود .. لكن لما كان أصحاب المحلات يعرضون مبالغ أيضاً مع كلمات الاستعطاف .. كانوا يفضلون أخذ المبلغين دون القيام بأى عمل . مكتفين « بالهيصة » . . وهى فى حد ذاتها مسألة مفيدة جداً فى أحداث ذلك اليوم . ولعل هذه « الهيصة » كانت المهمة الرئيسية لهؤلاء الرعاع لأنها كانت تشكل « الجو » الذى يتحرك فيه الفعلة الأصليون . والحماية التى تخفى حقيقتهم .

ثالثاً : من الواضح أنه كانت تعمل فى هذا اليوم مجموعات تخريب متعددة . فمن غير المعقول أن تكون الجماعة (أو المظاهرة أو الجموع الخ .) التى احرقت كازينو أوبرا ، ومع فرض أنها هى نفسها التى توجهت إلى ريفولى .. قامت بعد حرق السينما بحرق عشرة أماكن (منها محال كبرى تحتاج لوقت) فى ربع ساعة فقط ! ثم يفترض أن هذه المجموعة (وعلى فرض أنها كسبت معها عناصر أخرى .. ومهما كان عدد

---

(١) محمد صبيح جريدة (القاهرة) ١٩٥٧/٤/٢٦ .

من كسبتهم كبيرا ..) هى التى واصلت الحرائق الكثيرة فى وسط البلد .. فى وقت محدود كذلك !

كما لايجوز بأى منطق أن تكون مجموعة واحدة هى التى غطت بالحرائق : غمرة والظاهر والعباسية ، وشارع الجمهورية حتى ميدان رمسيس ؛ وشارع محمد على قرب القلعة ، وحاولت فى بولاق وفى مصر الجديدة ، وأكملت فى شارع الهرم ..!

ولا يصلح للرد على ذلك بالقول ؛ بأن الذى أحرق ليس مجموعة ولا مجموعات وانما الجماهير .. أو الرعاع .. وهؤلاء كثيرون .. ويكفى أن تسرى العدوى بينهم لكى يتصرفوا .. والمساحة التى حدثت بها الحرائق يمكن أن يغطيها العدد الكبير .. والوقت نسبيا الذى حدثت فيه الحرائق يعوضه تواجد هؤلاء الرعاع فى كل مكان .

لايصلح ذلك ردا .. لسببين :

١ – أنه لايمكن أن يحدث ما حدث بدون « اتفاق » بين المنفذين يجعلهم يقومون بهذه الأعمال .. ويوزعونها على بعضهم .. سواء بصورة دقيقة أوحتى بصورة غير دقيقة .. لأنه من المؤكد أن حرائق مختلفة وكثيرة .. وفى أماكن متباعدة .. تمت فى نفس الوقت .

٢ – ما قررته اللجنة الفنية عن الحرائق .. من أنها جميعاً تمت « بطريقة واحدة ومتشابهة » .. إن هذا فضلا عن أنه ينسف من الأساس الزعم بأن الذين أحرقوا هم الرعاع أو المتظاهرين .. لأنه من غير المعقول على الإطلاق أن يقوم هؤلاء الرعاع أو المتظاهرين الذين لاعلاقات بينهم ولاتعاون

والذين يتكونون من أشتات لا رابط بينها فى أى شئ . . والذين هم « عيال حافيين » و « صبية صغار » و « بتوع شوارع » إلخ ما جاء فى وصفهم على ألسنة الشهود .. يمكن أن ينفذوا أو يقوموا بعمل ٧٠٠ حريق « بطريقة واحدة ومتشابهة » ..

أن هذا لا يتأتى لأى مجموعة بشرية إلا إذا كانت :

١ ــ مجموعة تلقت تدريباً خاصاً على أبسط وأسرع طرق الحريق ..

٢ ــ مجموعة تلقت تدريباً موحدا ، اشترك فى تلقيه والتمرس عليه كل أفرادها .. (أو قيادات المجموعات على الأقل) ..

٣ ــ مجموعة تخضع فى تنفيذها للخطط المكلفة بها بصرامة وانضباط شديد . ومتلقية تعليمات غاية فى القسوة بأن تنفذ بدقة ما أمرت به .. بدون أى تصرف أو تعديل .. أو حتى ابتكار ..

وليس بغير ذلك ، كان يمكن لأى جماعة بشرية . . مهما كان حماسها .. أو جنونها .. أن تشعل فى ٨ ساعات ــ ٧٠٠ حريق .. كلها « بطريقة واحدة ومتشابهة » ! .

هى مجموعات خاصة إذن ..معدةومدربة .. وموزعة وفق خطة محددة هى التى أحرقت القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

هل كان ذلك خافياً فترة الأحداث .. وما بعدها .. بحيث يغيب عن أولئك الذين ألصقوا جريمة الحريق بالشعب المصرى .. أو بالعناصرالرديئة من الشعب .. ؟

أبداً ..

لقد تأكد من ذلك عدد غير قليل من شهود الرؤية .. وسجله عدد من الكتاب الأجانب والمصريين ..

□ لاحظ هذه المجموعة فى كازينو الأوبرا ، شاهد العيان أحمد فؤاد نداا .. الذى سبق أن أوردنا شهادته .. والتى تتطابق مع الشهادات الأخرى بما يجعلنا نطمئن إليها ..

□ وقال شاهد عيان آخر هو محمد صدقى الكاتب القصصى ، أن الذين كانوا يحرقون كانوا جماعة محدودة .. يلبسون ملابس العمال .. ولكنهم

ليسوا عمالا .. كانوا يعملون فى صمت . . وينثرون البودرة ويشعلون الكبريت بعد أن يكونوا قد حطموا الأبواب « بالبلط » التى جاءوا بها معهم[1] ..

□وقال شاهد عيان آخر هو أبو الخير نجيب رئيس تحرير « الجمهور المصرى»: الذى أحرق القاهرة ، كما شاهدت بعينى فرق من الشبان يرتدون ملابس تشبه ملابس العمال ، فى أيديهم جرادل يخرجون منها كورات ملتهبة ويلقونها داخل المنشآت وعليها . وقد تابعت عمليات الإحراق المنتظمة والمنظمة التى كانت تنتقل من منشأة إلى منشأة بطريقة دقيقة . لم يتعرض لهم أحد من رجال البوليس وكان هذا مما جعل جماعات الإحراق تؤدى عملها التخريبى فى أمان وهدوء . وقد لاحظت أن الجموع بدأت تتجمع لكى تتفرج على عمليات الإحراق ، دون أن تشترك فيها[2] .

وقرر الصاغ سالم محمد هيكل فى محضر التحقيق مع رجال المطافى رداً على سؤال المحقق : هل كان الأشخاص الذين يشعلون النار مجموعة معينة من الأهالى .. قرر أنهم : مجموعة ، معظمها حسب ما أعتقد عمال كما تدل ملابسهم وطريقة كلامهم عندما كنت أحاول التفاهم معهم . وكان بعضهم سكارى من شرب الخمور فى المحلات التى حطموها (!!) وكانت هذه المجموعة التى أقصدها تتزعم الأهالى العاديين والسوقة بأن يقولوا مثلا « يا الله على أوركو » ويسيرون فى المقدمة فيتبعهم السوقة وكان عددهم كبير جداً .. » — ص ٣٧ ، التحقيق مع رجال المطافى

(١) راجع شهادة محمد صدقى — الملاحق .

(٢) راجع شهادة أبو الخير نجيب — الملاحق .

ووصف الزوجان لاكوتير هذه المجموعات فى كتابهما السابق الإشارة إليه بهذه السطور :

« إن بضعة من الرجال يحملون زجاجات البنزين والقنابل المحرقة على الأرجل أو فى سيارة جيب ، كانوا يطوفون من دور السينما إلى المقاهى ومن المخازن إلى الملاهى و « برنامج عملهم » فى أيديهم .. كانوا يدخلون قضيبا حديديا تحت أبواب المخازن الحديدية[1] أو يقصونها بلهب الهيدروجين ، ويقذفون إلى الداخل بزجاجات البنزين والقنابل المحرقة[2] ، ثم ينتقلون إلى مكان آخر .. »

ووصف سعد زهران (الطليعة — يونيو ١٩٦٥) هذه المجموعات قائلا :

« لم يكونوا أفراداً عاديين من جمهور غاضب ، ولكنهم كانوا فرقا منظمة من محترفى الحرق والتخريب انقضت على قلب العاصمة فى سيارات جيب ، وتحمل أساليب الحرق والتدمير وأشدها فاعلية . وكانوا يتولون القيام بمهمتهم بأعصاب بارده ودون أن يبدر عنهم شعار

---

(١) جاء بالتقرير التكميلى الفنى للجنة معاينة الحرائق أن « المتظاهرين كانوا يقومون بكسر أبواب المحلات بواسطة وضع العتلة أو القضيب الحديدى فى حلقة القفل ثم يضغطون على آخر العتلة فيكسر القفل ثم يدخلون العتلة أو القضيب الحديدى بين أسفل الباب والعتلة مسافة حوالى ١٠ سم ثم يحركون العتلة من آخرها من أسفل إلى أعلى فينزلق الباب إلى أعلى وينفتح . وكانوا يفتحون بعض الأبواب بالبلط الكبيرة .

(٢) لم يستبعد تقرير المطافى استعمال قنابل حارقة فى الحرائق ..

أو تصدر عنهم كلمة أو إشارة . كان عملهم مدروساً وخريطتهم مرسومة : الأماكن التى يقصدونها محددة سلفاً. تتقدم مجموعة لاقتحام الأبواب ، اما بنسفها بقنبلة[1] عند أسفلها ، أو بعمل فجوة فيها بمواقد الأسيتيلين ، وتسرع إلى الداخل مجموعة ثانية تقذف فى جوف المبنى بالمواد الناسفة والحارقة وتندفع بعد ثوان معدودة. وفى لمح البصر يكون المبنى كله شعلة من النيران » ..

« وبعد أقل من دقيقة تكون فرق الحرق قد انتقلت إلى مكان آخر ..

وفى جميع الأماكن التى امتدت إليها النيران — نفس سيارات الجيب ، ونفس الأسلوب المحكم المدروس ، ونفس الشياطين الذين يغطيهم الهباب ويتصبب منهم العرق يعملون بنفس الإتقان والسرعة »

☐ ونشرت «أخبار اليوم» تحقيقا صحفيا عن الحوادث ، جاء فيه « على لسان رجل من رجال التحقيق » ، تحت عنوان فرعى « من الذى أحرق القاهرة » :

« انهم ليسوا أكثر من ٥٠ شخصاً على أى حال هم الذين نستطيع أن نقول عنهم : لقد كان لكل منهم هدف يسعى وراءه . . أما الجموع فلم يكن لها هدف تسعى وراءه .

« والحقيقة التى رأيتها بعينى — والكلام مستمر على لسان رجل التحقيق — تنطق فعلا بأن أحداً من الذين اشتركوا فى الحوادث لم يفكر فيما يعمل على الإطلاق ..

---

(١) نفى تقرير المطافى نفيا قطعيا استخدام أى مواد ناسفة أو مفرقعات فى اى حريق . .

« لقد كان هناك محرضون .. وكانوا قلة تعد على أصابع اليد الواحدة فى كل حادث.. وكان هؤلاء هم الذين يبدأون بدخول مكان الحادث ويشعلون النار ثم يتركونها إلى غيرها ..

« ووراء هؤلاء مباشرة كان هناك عشرات من الصبية الصغار من ذوى الجلاليب .. كان منظر النار يسعدهم وكان عدم المقاومة يدفعهم إلى زياده التحطيم ولم يكن أحد من هؤلاء – كما رأيت بنفسى – يمد يده ليسرق قبل الخامسة مساء عندما جاء إلى قلب القاهرة الأشخاص الذين تخصصوا فى السلب والنهب والذين يعيشون فى العزب والأوكار . .

« أما بقية الجموع فكانت عبارة عن متفرجين.. لا عمل لهم إلا الشغل للفرجة فقط .. فى صمت .. ودون إبداء الرأى[1] »

أليس هذا كافياً لإثبات أن الذى أحرق القاهرة ليس الشعب الغاضب ولا العناصر المريضة من الشعب .. ولا الرعاع .. وإنما « فرق خاصة » ؟

إنه بالتأكيد يكفى .. وزيادة ..

فمن هم الفاعلون الأصليون .. الذين دبروا . . وخططوا .. وبعثوا بفرقهم الخاصه لتحرق العاصمة .. ؟

---

(١) صلاح هلال – « أخبار اليوم » ١٩٥٢/٣/١٥ .

الباب الثاني

من فعلها..؟

هل هو أحمد حسين .. و"مصر الفتاة"؟

الاتهـــــام . . !

فى ١١ مايو ١٩٥٢ اتهمت النيابة العامة أحمد حسين بحرق القاهرة ..

وكان هذا هو الاتهام «الرسمى» الوحيد فى أحداث ٢٦ يناير . .

وبناء على هذا الاتهام أصبح أحمد حسين المتهم الأول فى واحدة من أكبر وأشهر القضايا السياسية فى تاريخ مصر المعاصر . . هى القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ، المعروفة بقضية التحريض على حريق القاهرة . .

ومضت ٢٤ سنة . . ولا يزال أحمد حسين فى نظر الكثيرين . . هو الذى أحرق القاهرة . .

فما السر . . ! ؟

. . .

لكن . . ماذا جاء بالاتهام الرسمى ضد أحمد حسين ؟

قال قرار النيابة :

بأنه فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ الموافق ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٧١ بدائرة مدينة القاهرة .

(أولا) المتهم الأول الأستاذ أحمد حسين اشترك بطريق التحريض والاتفاق فى ارتكاب الجنايات الآتية التى وقعت يوم ٢٦ يناير المذكور :

١ – وضع النار عمدا فى محل الدولز المملوك لعلى أحمد الدلة والمحال الأخرى المسكونة التى تناولتها قضية الجناية رقم ٤ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ، وإتلاف ونهب الامتعة من تلك المحال بالقوة الجبرية .

٢ – وضع النار عمدا فى مبنى يشتمل على محل الأمريكين بشارع سليمان باشا لمسيو سيزار جروبى والأماكن المسكونة المجاورة لها واتلاف ونهب أمتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها تحقيق الجناية رقم ٥ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ؛

٣ – وضع النار عمدا فى المبنى الذى يشتمل على محل الانجلواجبشيان بار لصاحبه تودرى كرامنيوس والاماكن المسكونة المجاورة لها واتلاف أمتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها تحقيق الجناية رقم ١٣٠ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا .

٤ – وضع النار عمدا فى مبنى يشتمل على سينما ريفولى والمحال المسكونة المجاورة لها واتلاف ونهب أمتعة دار السينما بالقوة الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى الجناية رقم ٩١ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا ؛

٥ – وضع النار عمدا فى مبنى يشتمل على بار ومطعم الباريزيانا والمساكن المجاورة لها بشارع الألفى بك واتلاف أمتعة ذلك المحل بالقوة

الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى القضية رقم ١٢٩ سنه ١٩٥٢ عسكرية عليا .

٦ — وضع النار عمدا فى محل شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية بشارع الانتكخانة رقم ٣٦ واتلاف امتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى القضية رقم ١٣٣ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا .

٧ — وضع النار عمدا بمحل شركة كوهينكا للكهرباء بشارع إبراهيم باشا رقم ٦٦ واتلاف أمتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى القضية رقم ١٣٤ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا .

٨ — وضع النار عمدا فى محل مكتبة استندرد استنشرى لجورج سعيد وآخرين والمبانى المسكونة المجاورة لها واتلاف أمتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى القضية رقم ١٣٢ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا . .

٩ — وضع النار عمدا فى محل الشركة البريطانية للسيارات هلمان موتورز بشارع سليمان باشا واتلاف أمتعة ذلك المحل بالقوة الإجبارية والتى تناولها التحقيق فى القضية رقم ١٣١ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا .

١٠ — وضع النار عمدا فى مبنى بنك باركليز المسكون مما نشأ عنه موت محمد جاد الرب سليمان وآخرين مما تناول التحقيق فى القضية رقم ١٤٣ سنة ١٩٥٢ عسكرية عليا .

. . . مما تجترئ النيابة العامة بها عن سواها فى الجرائم الكثيرة المماثلة الأخرى التى وقعت فى مدينة القاهرة بناء على هذا التحريض وهذا الاتفاق.

ويمضى قرار الاتهام ، موضحا كيف فعل أحمد حسين ذلك . .

« وذلك بأنه بدافع العداوة للنظام السياسى والإجتماعى القائم عقد النية على إحداث فتنة ترتكب فيها الجنايات والجنح ويختل فيها الأمن على نطاق واسع يشعر السلطات بضعفها وقواتها — ويحملها على الرضوخ لمشيئته . فأخذ يدفع الجمهور بإستمرار ويهدف فى هذا الطريق بالدعاية المثيرة التى دأبت الجريدتان « مصر الفتاة » و « الشعب الجديد » (لسان حال الاشتراكية) وهما المعبرتان عن سياسته الخاضعتان لنفوذه تارة على دعوة البوليس إلى العصيان وتحريض رجال الجيش على عدم الطاعة وتارة على العيب فى حق الذات الملكية المصونة وتحريض الفلاحين والعمال على الثورة .

وانتهز فرصة الغاء المعاهدة المصرية الإنجليزية مستغلا حساسية الجمهور وحماسته فى استهواء الكثيرين من العمال والصناع والطلاب وأرباب الحرف المتعطلين باسم حركة التحرير ليصل إلى إنشاء فرق خاصة لخدمة أغراضه ودفع الجمهور نحو الفتنة التى بيتها فأغراه على الإعتداء على المحال سالفة الذكر وأمثالها مما سماه محال اللهـو والمؤسسات الاستعمارية الرأسمالية . . وفى سبيل ذلك نشرت جريدتا المتهم المقالات الآتية . . »

وبعد أن يورد قرار الاتهام ١٣ نصا من مقالات نشرت فى جريدتى الحزب الاشتراكى . . يقول :

« وقد ازداد المتهم الأول تعجلا للنهاية حينما لاح له أن الفرصة أصبحت مواتية فأعلن فى مساء يوم ٢٤ يناير ١٩٥٢ فى مؤتمر صحفى ثم فى اجتماع عام ضمن خطاب أذاعه على الجمهور أنه سيطلق الجماهير على الحكومة لاسقاطها ، وأن جرائم ستقع مما يشيب لهولها الولدان . ولم يلبث الظرف

أن أسعفه اذ وقع حادث الاسماعيلية بعد ذلك بساعات وأثمر فى جوه تحريضه المتكرر فتمردت بعض قوات البوليس وتحللت مناعة الجمهور فوجد المتهم فى ذلك التفكك الفرصة التى كان يتحينها فبث عددا من اعوانه ومشايعيه كان بعضهم يرتدى زى الكتائب التابعة له ولم يصل التحقيق لمعرفة أشخاصهم وذلك لقيادة وتوجيه الجمهور الذى كان قد عبأه التحريض والتشجيع المستمران إلى التخريب وحرق ونهب محال اختيرت بالذات مما سبق لصحافة المتهم أن عينتها بنوعها أو بذاتها فى المقالات الآنفة الذكر ، وأعلنت أنها موضع نقمتها . وبأن قام هذا المتهم الأول للطواف فى ميدان الحوادث إلى وقوعها للاشراف على تطورها وتشجيع مرتكبيها على المضى فيها اذ ثبت أنه هو والمتهمان الثانى والثالث مررا فى غضون الخامسة من مساء ذلك اليوم فى شارع شريف باشا بسيارة كان يجلس فوقها المتهم الثالث حاملا علما ظاهرا وما أن بلغت بهم السيارة قرب محل الانجلو اجبشيان بار وقت أن كان الجناة يجرون اتلافه وحرقه وقد أعدوا لذلك كومة مشتعلة من الأمتعة فى وسط الشارع حتى أوقف المتهمون السيارة تنفيذا لخطة متفق عليها بينهم ونزل منها المتهمون الثانى محمد جبر حسن الحارس الخاص للمتهم الأول ومعه أيضا علم آخر رشقه فى سارية كانت معه أيضا أعدها لهذا الغرض وركز السارية على هذا النحو بجوار الكومة المشتعلة وأمالها اليها وظل على ذلك برهة أمام الجناة وغيرهم إعلانا لانتصار المتهم الأول وجماعته فى المعركة التى دبرها كما ثبت أن المتهم الأول مر بعد ذلك فى سيارة أوقفها قرب محل الشركة المصرية البريطانية للسيارات هليمان موتورز بشارع سليمان باشا حين كان الجناة يجرون تخريبه حرقا فما أن رآه بعض المتجمهرين حتى صاحوا «الزعيم .. الزعيم» ووقف بعضهم معه. كما ثبت أن المتهم الأول أيضا مر فى سيارة بشارع الملكة يركب فوقها شخص يحمل سارية طولها نحو

ثلاثة أو أربعة أمتار عليها العلم المصرى وذلك وقت اشتعال النيران فى عمارة الشواربى رقم ٧٧ وكان الجمهور يهتف « يحيا الاستاذ أحمد حسين . تحيا الاشتراكية » . وترددت هذه السيارة فى فترة قصيرة على هذا المكان عدة مرات » .

ثم يذكر قرار النيابة اتهاماته للمتهمين الخمسة الذين ضمتهم قضية التحريض . . فيقول :

ثانيا : والمتهمان الثانى والثالث (محمد جبر حسن وممدوح عبد المقصود) اشتركا بطريق التحريض والاتفاق مع المتهم الأول فى الحوادث المذكورة فى التهمة السابقة بأن صاحباه فى طوافه بميدان الحوادث على الوجه الذى تقدم بيانه .

ثالثا : ولأن المتهم الرابع الاستاذ سليمان زخارى اشترك بطريق التحريض فى ارتكاب الجرائم التى وقعت على محال سينما ريفولى وبار الباريزيانا وشركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية ومكتبة استاندرد المشار اليها (أولا) وذلك بأن اذن بصفته رئيسا لتحرير جريدتى الشعب الجديد ومصر الفتاة بنشر المقالات والاخبار التى ورد ذكرها فى (أولا) متعلقة بهذه المحال فوقعت تلك الجرائم بناء على هذا التحريض .

رابعا : والمتهمان الخامس والسادس (على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله) اشتركا بطريق التحريض والاتفاق فى ارتكاب الجرائم التى وقعت على محال سينما ريفولى والأمريكين بشارع سليمان باشا مما تجتزىء النيابة العامة من أمثالهما من المحال الكثيرة التى وقع عليها الاعتداء فى ذلك اليوم . فوقعت الجريمة بناء على هذا التحريض وذلك بأن طافا

بميدان الحوادث بسيارة عدة مرات ولمدة بضعة ساعات مع آخرين يركب أحدهما فوق السيارة حاملا علما وينفخ فى صفارة بقصد تشجيع مرتكبى الحوادث واثارة حواسهم على المضى فيها »

وانتهى قرار النيابة بطبيعة الحال إلى طلب تطبيق كل مواد قانون العقوبات . . مع التأكيد على تلك المواد التى تؤدى بالمتهمين . . وبالذات بأحمد حسين . . إلى حبل المشنقة .

وقد كان من المحتم أن يدان أحمد حسين ، وأن يشنق فعلا . . مادام قد «وضع النار عمدا» فى عشرة أماكن على الأقل « مما تجتزىء النيابة » . . خاصة وأن من بين هذه الأماكن مكان أدى فيه ذلك الوضع العمدى للنار إلى احتراق وموت ١٣ شخصا . . وهو بنك باركليز . .

كان محتما أن يدان ويشنق أحمد حسين . . بناء على قرار اتهام النيابة .. لو أن ماقام عليه هذا القرار كان سليما .. وأمينا ..

فهل قام قرار النيابة باتهام أحمد حسين — والذى لا تزال آثاره تطارد أحمد حسين حتى اليوم — على أسس سليمة وأمينة ؟

إن هذا يقتضينا أن نحلل قرار الاتهام نفسه . . من واقع ما استند إليه من شهود وملاحظات . . قبل أن نتعرض لكل ظروف قضية أحمد حسين وحزبه الإشتراكى . .

□ □ □

قدم رئيس نيابة الصحافة — عبد الحميد أبو شنيف — الذى أصدر قرار اتهام أحمد حسين للمحكمة قائمة بشهود الإثبات تتضمن ١٨شاهدا .. فالى أى حد توفر ركن «الإثبات» فى شهادات هؤلاء الشهود ؟

□ ثلاثة من الشهود قالوا أنهم «سمعوا» أن أحمد حسين تواجد فى مكان الحوادث :

ـ فقرر فكرى اسكندر تادرس أنه توجه إلى مكتبه بالعمارة رقم ٧٧ بشارع الملكة فى حوالى الساعة الثالثة فوجد أمامها جمهورا من الجناة ، اقتحم بعضهم محل زوتوس للخمور أسفل نفس العمارة . ابتعد الشاهد ليقف فى مواجهة المكان . وأثناء ذلك ، وفيما بين الساعة ٣٠ر٣ و٣٠ر٤ شاهد عربة ستروين يركب داخلها حوالى أربعة أشخاص ويركب فوقها شخصان مع أحدهما سارية عليها علم مصرى وبداخل هذه العربة شخص كان يشجع المتظاهرين ملوحا بقبضة يده ومرت هذه العربة بذلك المكان حوالى ثلاث أو أربع مرات . وكانت تقابل بالتصفيق . وسمع من بعض الجمهور أثناء ذلك أن أحمد حسين كان فى هذه العربة ..

ـ وقرر ميشيل أسحق جرجس أنه كان بمحل تجارته بجوار العمارة رقم ٧٧ بشارع الملكة وحوالى الظهر شاهد المظاهرات الأولى التى وقعت بجوار هذه العمارة فقفل متجره وشرع فى نقل أمتعته منه ولكن بعد قليل اشتلعت النار فى العمارة ، وأثناء ذلك شاهد سيارة ستروين بها نحو ثلاثة أو أربعة أشخاص وعليها شخص يحمل سارية عليها علم مصرى ومرت هذه السيارة على هذا النحو ثلاث أو اربع مرات وكان الجمهور يهتف لركابها صائحا « يحيا الاستاذ أحمد حسين .. تحيا الاشتراكية » ..

ـ أما محمد محمد الحلو فقال أنه ذهب صباح يوم ٢٧ يناير إلى دار الحزب الإشتراكى لمقابلة المتهم الثانى محمد جبر حسن ، فصحبه هذا إلى خارج الحزب ، وفى الطريق أخبره أنه ذهب إلى المتهم الأول الأستاذ أحمد حسين بناء على طلبه فى عصر يوم ٢٦ يناير وهناك ركب معه الأستاذ

أحمد حسين سيارة ومر معه على الاماكن التى وقع بها التخريب ومنها بنك باركليز وعاد المتهم الأول بعد ذلك إلى منزله .

☐ وثلاثة شهود اقتصرت شهادتهم على رؤية السيارة الستروين التى جاء ذكرها على لسان اثنين من الشهود الثلاثة السابقة الإشارة اليهم :

ـ فالملازم أول عبد السميع محمود ضابط المرور يشهد بأنه قبيل الساعة الواحدة والدقيقة العشرين شاهد سيارة ستروين سوداء قادمة من اتجاه سينما ريفولى بشارع فؤاد وقت أن كان المتظاهرون يعتدون عليها وقد لفت نظره إلى هذه السيارة أن شابا كان يركب على سلمها وقد رفع علما أخضر وأنه شاهدها بعد ذلك بحوالى نصف ساعة قادمة من شارع بستان الدكة إلى شارع فؤاد حيث وقفت قليلا عند محل بورما مع بعض المتظاهرين ثم اتجهت إلى شارع عماد الدين ووقفت أمام مخزن أدوية دلمار حيث التف حولها بعض المتظاهرين وعندما اقتربت اشتبه فى أمرها فالتقط رقمها وهو ١٦٤٤١ ملاكى مصر . وكان بها أربعة أشخاص يتحدثون مع المتظاهرين الذين يتجمعون حول السيارة .

ـ ووليم ماركو سيتون قال أنه كان يقف مع موريس أبو حريزه وبعض الأصدقاء أمام شركة اير فرانس بميدان سليمان حيث شاهد بعض المتظاهرين وهم يعتدون على محل الفن الفرنسى الحديث بشارع قصر النيل . وأنه قبيل الساعة الثالثة بعد الظهر شاهد سيارة ستروين سوداء قادمة من اتجاه ميدان الإسماعيلية (التحرير) إلى ميدان سليمان وكان بداخلها أربعة أشخاص وقد ركب عليها شخص يحمل علما ومعه صفارة ينفخ فيها فصفق له المتظاهرون وأنه لاحظ انه اشار بيده وأن بعض المتظاهرين اندفعوا بعد ذلك تجاه جروبى محاولين الاعتداء عليه ثم لفت السيارة الميدان وعادت إلى ميدان

الإسماعيلية وما لبثت أن قدمت بعد ذلك ثلاث أو أربع مرات فى خلال مدة وجيزة وكان حامل العلم يركب على سطحها هذه المرات كما لاحظ أن بعض المتظاهرين اتجهوا أثناء ذلك إلى محل روبل للاسلحة بشارع الانتكخانة واعتدوا عليه كما سار آخرون تجاه شركة الخطوط الجوية البريطانية .

ــ وشهد موريس باخور أبو حريزة بنفس الأقوال .

□ وانصبت شهادة أربعة شهود على إثبات وجود أنصار أحمد حسين ضمن جماعات التخريب :

ــ فقرر محب الدين حسانين قاسم (الدكتور محب المنوم المغناطيسى) بأنه شاهد حوالى الساعة الثالثة جمعاً من المتظاهرين يقتحمون عيادته ويلقون بأثاثها فى الطريق ويشعلون فيها النار .. فرجا الجناة أن يترفقوا به فقال له أحدهم أنه يدير ١٥ شقة للدعارة فرد عليه آخر وقال له أن حضرة الرئيس كذب ذلك . واشار الشاهد إلى أن صحيفة الاشتراكية سبق أن نشرت عنه ذلك ثم كذبته .. (ويستدل من ذلك على أن الجناة من رجال الحزب الاشتراكى) .

ــ والصاغ فريد عبد الشافى قال أنه شاهد سيارة فى يوم الحادث تحمل بعض المتظاهرين يضعون شارات على أذرعتهم ويلبسون ملابس كاكية اللون وأن هؤلاء الأشخاص ممن ينتمون لكتائب الحزب الاشتراكى بسبب لبسهم الشارة الخضراء والبريه الأخضر وبسبب الهتاف الذى كان يسمعه منهم وهو « الله أكبر والمجد لمصر » .

ــ وأنطون صايغ عبد الله شهد بأنه فى يوم الحوادث رأى ضمن

المتجمهرين شخصا يرتدى ملابس كاكية اللون وعلى رأسه طاقية خضراء مما يلبسة الأشتراكيون .

ـ وحسين الديب قال نفس الكلمات ..

☐ وجاءت شهادة كل من الصاغ يوسف عبدالله القفاص والصاغ رشدى لبيب ومصطفى صلاح الدين محروس حول المؤتمر الصحفى والخطب التى ألقيت بدار الحزب الاشتراكى بمساء ٢٤ يناير ، والاحتكاك الذى حدث بين الشباب الاشتراكى والشباب الوفدى .

☐ ثم يورد قرار الاتهام شهادات لثلاثة من كبار المسئولين ..

ـ حضرة صاحب العزة عبدالله بك أباظة . الذى شهد بأن انسحاب الاستاذ أحمد حسين من الكفاح فى الشرقية قد يثير شىء من الاستغراب فى الوقت الذى كان فيه الكفاح قائما وتشترك فيه جميع الهيئات دون نظر إلى الحزبية . وأن سعادته بصفته وكيل اللجنة العامة للكفاح رحب بانسحاب الأستاذ أحمد حسين لأنه علم أنه عند تجواله بالقرى كان يبث دعايته المثيرة بين الفلاحين ضد الملاك بل انه خطب ذات مرة وقال بأن كل موسر يجب أن يدفع مالا فى صندوق الكفاح وأن الذى يتخلف عن ذلك يجب أن يقتل .

ـ حضرة صاحب السعاده عبد الفتاح حسن باشا الذى يشهد بأنه أثناء محادثة تليفونية بينه وبين الاستاذ أحمد حسين ذكر سعادته أن الذين ارتكبوا الحوادث أولاد من ذوى الجلاليب .. وإن هذا ضار بالأمة .. فقال أحمد حسين أن هؤلاء الأولاد هم الشعب الذى لاتعترف به .. وقال « راح تفضل تقول الأمة.. الأمة مالها جرى لها إيه . . الأمة حاتفضل وياما حصل وفضلت زى ما هيه .. وهى الأمة لها إيه فى شوارع سليمان باشا وقصر النيل وغيره » ..

ـ حضرة صاحب السعادة عبد المجيد عبد الحق باشا الذى شهد بأنه فى اجتماع للجنه الكفاح تمت الموافقة على وضع الكتائب تحت اشراف الحكومة . لكن المتهم بعد أن وافق ، قال يجب أن يكون مفهوما أن هذا المبدأ ، وهو وضع الكتائب تحت اشراف الحكومة وأن كنت مؤمنا به ولكن سأهاجمه فى صحيفتى . فقال له الشاهد كيف تهاجم مبدأ أنت تقره ، فقال « أنا رجل جورنالجى أنت عايز أقول الكلام ده لبتوع الشوارع علشان يموتونى » ..

□ □ □

ما الذى يمكن استخلاصه من هذه الشهادات الستة عشر ؟

□ الشهود الثلاثة الأول ، أولهم قال أنه سمع من بعض الجمهور أثناء مرور السيارة السترون السوداء ووقوفها . أن أحمد حسين كان بها . وقال أن شخصا من ركابها كان يشجع المتظاهرين بالتلويح بقبضة يده . . وأن كان الجمهور لم يقل له إن كان هذا الشخص هو أحمد حسين أم لا .. أما ثانيهم فقد اكتفى ليس بمعرفة أن بالسيارة يوجد أحمد حسين . . وانما بأن الجمهور كان يهتف بحياة أحمد حسين وحياة الاشتراكية . . واعتبر ذلك كافيا للشهادة ضد احمد حسين . ولكن ثالثهم روى قصة أكثر قوة ومنطقية ، وهى أن أحمد حسين مرمع محمد جبر حسن فى عصر يوم ٢٦ يناير على الاماكن التى وقع بها التخريب . . مرفقط ، ليرى ، ولم يشترك ، أو يحرض ، أو يلوح بقبضته للمتظاهرين تشجيعا لهم . . ثم عاد إلى منزله .

وهى شهادات هشة كما هو واضح . . أما صدقها من عدمه . فسنعرفه بعد قليل . .

□ والشهود الثلاثة التالون ، لم يدلوا بأى معلومات عن أحمد حسين أو أحد من أعضاء حزبه .. واتهموا السيارة السترون السوداء بأنها قد يكون

لها دور فى الحوادث . . لكنهم لم يسمعوا من بعض الجمهور أن بها أحمد حسين .. كما لم يسمعوا الذين هتفوا بحياة أحمد حسين والاشتراكية .. كما حدث مع الشهود السابقين (ا .) . . ورغم أن أحدهم ضابط مرور يركب موتوسيكلا فانه لم يستطع التوصل إلى المعرفة التى توصل اليها الشهود السابقون !

□ أما الشهود الأربعة الذين أفترضت النيابة أنهم « يثبتون الاتفاق » بين أحمد حسين وغيره من أعضاء الحزب الاشتراكى والكتائب التابعة له . . فإن اثنين منهم لم يقدما أى واقعة محددة [انطون صايغ وحسين الديب] فكل منهما رأى بين المتجمهرين شخصا يلبس لبس الكتائب . . دون أن يقول ماذا كان يفعل هذا الشخص الذى كان ضمن المتجمهرين !

والواقعة التى ذكرها ثالثهم [فريد عبدالشافى] والخاصة بسيارة تحمل متظاهرين يلبسون زى الكتائب فليس فيها هى الأخرى أى واقعة تدل على اشتراكهم فى الحوادث . . وسوف نأتى إلى هذه الواقعة بتفصيل أكثر فيما بعد . .

بقى الدكتور محب الذى ذكر أن الذين هاجموا عيادته كانوا يتحدثون كما لوكانوا أعضاء فى الحزب الاشتراكى . فقد سألته المحكمة أثناء نظر القضية عن شكل « المتظاهرين » الذين خربوا عيادته ، فأجاب : « عمال لابسين عفاريت وأولاد بجلاليب » . . ولم يقل أنهم اشتراكيون . . يتحدثون عما تنشره جريدة الاشتراكية !

ولسنا ندرى لماذا جاءت النيابة بثلاثة شهود ، مرة واحدة ، لاثبات أن أحمد حسين عقد مؤتمرا صحفيا بدار حزبه يوم ٢٤ يناير ، وأنه تكلم فى هذا المؤتمر خطباء عديدون ، وهوجمت الحكومة وهتف بسقوطها . . ؟

إن ذلك كله معروف . ونشر بالصحف . وأصدر به الحزب الاشتراكى بيانا مطبوعا . . !

أما حوادث تبادل اطلاق الرصاص بين شباب الحزب الاشتراكى وشباب الحزب الوفدى الموجود بالنادى السعدى ساعتئذ فأمره معروف جيدا . . لأنه جرى فيه تحقيق تولاه عبد الحميد أبو شنيف نفسه . . !

فيما شهادة هؤلاء الشهود اذن . . وبأى منطق يعدون شهود اثبات على ارتكاب أحمد حسين والحزب الاشتراكى جريمة حريق القاهرة !

□ ونأتى إلى آخر شهود « الاثبات » . . الثلاثة الكبار . ومن الواضح أن شهادات عبد الله أباظه وعبد الفتاح حسن وعبد المجيد عبد الحق ، انما أثبتت فى قرار الاتهام لأسباب سيكولوجية بحتة ، فيبدو أن النيابة رأت فى إثبات اسماء الرجال الثلاثة ما يوحى بأن الاتهام ضد أحمد حسين صادر عن شخصيات كبيرة .. وكانت تشغل مناصب مسئولة ، مما يجعل لها قبولا لدى من يطلع عليه . وكذلك لاحاطة شخصية وسلوك أحمد حسين بالكثير من «الشوشرة» بحيث يصبح النظر إليه بوصفه «مجرما» أمرا مستساغا ، لأنه رجل « يحبذ» قتل الموسرين ويرى فى الرعاع صورة من صور الشعب ، وفيما يفعلون إرادة الشعب ، ورجل ذو وجهين يوافق على شئ ويكتب ضده !

ومع أن هذه الشهادات الثلاث بالذات خارج نطاق الإتهام . . إلا أنه من المفيد ان نستمع لرد أحمد حسين عليها . . حتى نتبين إلى أى حد عبثت نيابة عبد الحميد ابو شنيف بأصول عملها وجعلتـه شيئا يفتقد إلى الجدية ، والاستقامة .

يقول احمد حسين : «أنا الذى دعوت النيابة لسماع أقوال هؤلاء

الشهود الثلاثة كشهود فى صفى بشأن وقائع محددة . . فقد شرحت للنيابة كيف انى فى خلال أسبوعين سابقين على حوادث ٢٦ يناير اتضح لى أن الحكومة غير مخلصة وغير جادة فى محاربة الإنجليز . . ولذلك قررت الانسحاب والاعتزال والاعتكاف فى الريف بعد أن أعلن على الرأى العام هذه الحقائق . . »

استشهدت على أقوالى فى هذه الواقعة بعبد الله أباظة . . اما الواقعة الثانية التى استشهدت به عليها فهى انى ذهبت للشرقية لا قائدا أو زعيما وإنما كجندى ومواطن صغير .

«وقد ايد اقوالى بشأن الواقعتين عبد الله اباظة . . (ص٤٠٩ الجزء الخامس ملف رقم ١) لكنه كإقطاعى موتور أضاف العبارة التى أوردها رئيس النيابة فى قرار الإتهام » .

«وبالرغم من أن كلمة عبد الله أباظة لغو لا يصلح لشئ ولا علاقة له بالتهمة موضوع القضية . . فلم يقتل أغنياء فى القاهرة ، بل لم يقتل اغنياء فى الشرقية لأنهم لم يدفعوا لصندوق الكفاح ، بل لم يتقدم غنى واحد بالشكوى لجهات الاختصاص بهذا الذى زعمه عبد الله اباظة . . بل أن كل ما يقوله عبد الله اباظة هو أنه سمع «من بعض الناس» . . بينما يشهد هو أن مارآه بعينه وسمعه بأذنه هو على خلاف ذلك . فى إجتماع عقد خصيصا لجمع التبرعات اعتذرت عن الكلام فيه وقلت - أو قال جنابه - أننى جندى . وعلى ذلك لم أتكلم » .

« مذكرة دفاع أحمد حسين — ص ٧٤ — ٧٦ ».

وفيما يتعلق بكلام عبد المجيد عبد الحق ، يقول أحمد حسين :
«أستشهدت أيضا فى اقوالى امام النيابة بعبد المجيد عبد الحق بشأن ما دار

فى اجتماع بحثت فيه مسألة رغبة الحكومة فى الإشراف على كل الكتائب وكان الإجتماع بمكتب وزير الداخلية وحضره فضيلةمرشد الاخوان وصالح حرب والدكتور بلال ممثل الوفد وعزيز المصرى الذى كان رئيسا عاما لهذه الكتائب وأنا . وكان موجودا من الوزراء فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن وعبد الفتاح الطويل وسليمان غنام ومحمد الوكيل وإبراهيم فرج وعبد المجيد عبد الحق . وقد عارض الجميع الا أنا الذى قلت أن الحكومة إذا كانت تريد محاربة الإنجليز فمن الطبيعى أن تتولى هى كل شىء ونحن نضع انفسنا تحت امرها . ودار بينى وبين فضيلة المرشد جدل فى أنه يرفض ان يطلع الحكومة على نواياه.وقد أيد عبدالمجيد عبد الحق اقوالى كل التأييد . لكنه اضاف العبارة التى اجتزأ منها رئيس نيابة الصحافة »

«بقى أن أبين كيف أن ما دار بينى وبين الوزراء لا يمكن أن يتم على هذه الصورة التى قال بها عبد المجيد عبد الحق . فمن غير المعقول أن يقول انسان أنه موافق على ضم الكتائب على طول الخط ولكنه سيقاوم ذلك على صفحات الجريدة . إن من يقول ذلك بهذه الصورة لايمكن الا أن يكون مجنونا أو معتوها . . أوعلى الأقل لايمكن الا أن يفقد احترام سامعيه . . ولا جدال أننى شديد الحرص فى الحصول على هذا الاحترام».

وحقيقة الأمر أننى بينت رأيى فى موضوع الكتائب مكتوبا ، وكأنما كنت ألمح بعين المستقبل أنستجىء لحظات تزيف فيها أقوالى بهذه الصورة.. وهذا هو رأيى فى موضوع الكتائب كما قدمته للوزراء مكتوبا على ورق مكتب وزير الداخلية وكما نشر بالجريدة الاشتراكية (مصر الفتاة) عدد رقم ٢٨٤ الصادر فى ٢ ديسمبر ١٩٥١ :

(رأى الحزب الاشتراكى فى موضوع الكتائب)

١ ـ الحزب الاشتراكى لايهدف من وراء انشاء الكتائب الا العمل جهد الطاقة لمحاربة الانجليز ، فاذا شاءت الحكومة أن تحارب الانجليز فان الحزب يضع نفسه وكل كتائبه تحت تصرفها كسائر المصريين . وفى هذه الحالة فان الحزب سيراقب جهد الحكومة فى هذا السبيل . .

٢ ـ أما إذا شاءت الحكومة أن تضع يدها على الكتائب وتتولى بنفسها التدريب والتوجيه النهائى فان الحزب لن يقاوم بطريقة مادية استيلاء الحكومة على هذه الكتائب ، ولكنه سيحملها المسئولية من الناحية السياسية وسيعارضها لاتخاذها هذه الخطوة ، الا إذا كانت ستحارب بها الانجليز بالفعل . .

« هذا هو قولنا مكتوبا ومسجلا ومنشورا ، وهو تفسير لهذا الخلط الذى وقع فيه عبد المجيد عبد الحق . .

(مذكرة دفاع أحمد حسين ص ٧٦ ـ ٨١)

أما بالنسبة لأقوال عبد الفتاح حسن.. فيقول أحمد حسين : «استشهدت بعبد الفتاح حسن فى عدة وقائع وحقائق . وقد جاءت أقواله كما هى العادة تكاد تكون تكرارا لأقوالى بذات الألفاظ والعبارات ، وشهد كيف كنت أحقق معه عقب حوادث ٢٦ يناير وأناقشه الحساب على مافعله فى هذا اليوم ومافعله سراج الدين ... كما شهد عبد الفتاح حسن فى الموضوع شهادة نفى قاطعة بالنسبة للاتهام الموجه إلى ، اذ قال ، وهو الذى كان يطوف الشوارع طيلة يوم ٢٦ يناير ويقوم بعمل وزير الداخلية الفعلى « فقال لى ـ يقصد أحمد حسين ـ دول بيقولوا على انى أنا كنت فى الطريق ، فقلت له ـ عبد الفتاح حسن الذى يتكلم ـ هذه مسألة لاأستطيع أن أؤيدها لأننى لم اتصل بأحد كما أن أحد ممن شهدوا الحادث لم ينقل إلى شيئا » . . هذه الشهادة التى أدلى بها عبد الفتاح حسن إلى جانبى ، حولها عبد الحميد

أبو شنيف بقدرة قادر إلى شهادة أثبات ضدى ، بالتقاط عبارة عابرة من أقوال عبد الفتاح حسن . .

والحقيقة أن عبد الفتاح حسن – فى العبارة التى أخذها عنه رئيس نيابة الصحافة – خلط عامدا بين معنيين أحدهما قلته من غير شك والثانى كان هو قائله . فاما المعنى الذى قلته فهو أن الأمة ستبقى بخير بالرغم من كل هذا الذى حدث . . وأن مصر ستبقى للأبد حية خالدة على الرغم من الكوارث . . أما عبارة « الأمة لها ايه فى شوارع سليمان باشا وقصر النيل وغيره » فقد كان هو صاحبها ، فقد قال لى أنه كان يسمع بأذنه وهو فى ميدان الأوبرا الناس من حوله وهى تقول « احنا لنا إيه فى شارع سليمان باشا أو قصر النيل » . .

(مذكرة دفاع أحمد حسين ص ٨١ – ٨٦)

□ □ □

ويبقى فى قائمة شهود النيابة شاهدان هما أهم شهود الاتهام على الاطلاق . لأنهما الوحيدان اللذان قالا أنهما شاهدا بنفسهما أحمد حسين فى مسرح الاحداث . .

حضرة وفيق بدر أفندى ، الشاهد الأول فى القضية ، والذى شهد بأنه حوالى الساعة الرابعة مساء ٢٦ يناير ١٩٥٢ أحس باشتعال النار فى بعض المحال بأسفل عمارة الإيموبيليا حيث كان بمكتبه فيها فنزل من مكتبه إلى الطريق متجولا بالطرق المجاورة فشاهد جمعاً من الناس يشعلون النار فى العمارة المقابلة للمقهى ويضعونها فى وسط الطريق ويشعلون فيها النار أيضاً فوقف على مقربة من هذا الحادث وحوالى الساعة الرابعة والدقيقة ١٥ وصلت سيارة وصفها بأنها ستروين سوداء شاهد فوقها المتهم الثالث.

ممدوح عبد المقصود يحمل علماً وشاهد المتهم الأول الأستاذ أحمد حسين راكباً بجوار قائدها وما أن اقتربت هذه السيارة من كومة الأمتعة المشتعلة حتى أوقفها قائدها ونزل منها المتهم الثانى محمد جبر حسن ومعه هو أيضاً علم آخر وضعه فى سارية كانت معه أعدها لهذا الغرض وركز السارية على هذا النحو بجوار الكومة المشتعلة وأمالها إليها وظل على ذلك برهة أمام الجناة وغيرهم وبعد ذلك سارت العربة فى اتجاه شارع فؤاد الأول .

□ حضرة جلال أحمد لطفى أفندى ، الشاهد الثانى فى القضية والذى شهد بأنه كان يتجول فى ميدان الحوادث فى ذلك اليوم بشارع سليمان باشا وحوالى الساعة الرابعة والنصف كان يقف على مقربة من كلوب محمد على وقت أن كانت النار تشتعل فى محل الشركة المصرية هيلمان موتورز فى مواجهة الشاهد ، وعندئذ سمع صياح بعض المتظاهرين بقولهم « الزعيم . الزعيم أحمد حسين » فالتفت فإذا به يرى المتهم الأول الأستاذ أحمد حسين راكبا عربة « جيب » بجوار قائدها ويرى بعض من كانوا فى الطريق ينتقلون اليه ويقفون بجواره وبعد برهة انصرف المتهم بعربته فى إتجاه ميدان الاسماعيلية (التحرير) .

هذان هما الشاهدان اللذان قالا أنهما شاهدا أحمد حسين . . وقد قدمتهما النيابة وهى مقدرة أن شهادتهما المباشرة ، ستكون — إلى جانب الشهادات الأخرى غير المباشرة التى سبقت — حاسمة فى إثبات الجريمة على أحمد حسين . .

لـكن . .

لقد تبين أثناء سير القضية أن الشاهد الأول ، حضرة وفيق بدر أفندى (ويلاحظ أن القاب « حضرة » و « أفندى » لم تسبق أسماء أى شهود

آخرين – فيما عدا الباشوات الثلاثة) الذى قدمه عبد الحميد أبو شنيف فى مرافعته أمام المحكمة على أنه « مهندس ناجح يدير مكتبا للمقاولات والهندسة وقد بلغت عمائره التى يبنيها فى الجهة التى يوجد بها حزب المتهم ثلاث عمارات ضخمة » . . وهذا الشاهد تبين أنه صاحب سبع سوابق . فقد صدرت ضده ٤ أحكام فى جرائم « شيك بدون رصيد » ، وحكمين فى جريمتى « تبديد » وحكم فى جريمة « تزوير ونصب » !

وقد اطلعت أنا على حافظة الأحكام الخاصة بوفيق بدر هذا ضمن أوراق القضية وكانت عبارة عن أربعة أحكام واردة من نيابة مصر الجديدة وحدها . .

كما سجلت بمحضر جلسة المحكمة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٢ ملحوظة تقول : « وهنا وردت صورة من كشف سوابق وفيق بدر باحكام غيابية سبعة وأرفق بالاوراق » (ص ٣٥٥) .

وتبين أيضا أن هذا الشاهد لم يقدم شهادته لوجه الله والحقيقة . . وإنما قدمها بوصفه عميلا للبوليس السياسى . . يقول الشهادة المطلوبة . . مقابل ثمن معلوم .

فقد سجلت فى الصحيفة ٧٠٤ من أوراق القضية الملحوظة التالية :

> « النيابة قالت أن الاستاذ أحمد حسين أثار أن وفيق بدر حصل على مبلغ ١٠٠٠ جنيه من محمد ابراهيم إمام . وقد كتب النائب العام لمعرفة نصيب هذه الواقعة من الصحة فافادت بأن محمد ابراهيم إمام استلم مبلغ ١٠٠ جنيه فى ١٩٥٢/٦/١٧ على ذمة مهمة سرية أمامها حرفى

[و . ب] وسئل اللواء محمد ابراهيم إمام فقرر أن الشاهد وفيق بدر استلم مبلغ مائتين جنيه لاستعمال سيارة لتنقلاته » . . !

وقد أطلعت أنا على الصورة الفوتوغرافية لايصال تسلم وفيق بدر للمبلغ ..

وهكذا تسقط شهادة الشاهد الأول . . فلا تستحق المناقشة . . فقط نود أن نثبت ملاحظتين : الأولى ، أن شهادة هذا الشاهد فى الواقع ليس فيها أى جديد . . اللهم الا أنه قال أنه شاهد أحمد حسين بنفسه . . بينما الشهود الآخرون لم يصلوا إلى هذا المستوى اليقينى [ا] . أما الثانية ، فهى أن البوليس السياسى قدم وفيق بدر هذا ليدلى بشهادته المزورة المدفوعة الثمن أمام عبد الحميد أبو شنيف [الذى لم يكن يتولى التحقيق فى القضية عندئذ] يوم ٥ فبراير ، لكن رئيس نيابة الصحافة لم يعرض أقواله على أحمد حسين الا يوم ٢٣ ابريل ولم يواجههما ببعض الا يوم ٢٤ بريل . ورغم أن ٧٩ يوماً بين الادلاء بالشهادة المزورة وبين عملية المواجهة كانت تكفى لأن يدرب هذا الشاهد الزور على التعرف على أحمد حسين من كل الزوايا.. وحتى لو تنكر . . فانه عند العرض أشار إلى أحمد حسين وقال أنه « يشبه الشخص الذى كان يركب السيارة يوم الحوادث » !

(محضر التحقيق ص ٣٠٨ - ٣٠٩)

على أى حال . . فان وفيق بدر هذا لم يكن شاهد الزور الوحيد الذى ساقه البوليس السياسى لكى يقول أنه رأى أحمد حسين وهو يرتكب الجرائم يوم ٢٦ يناير . .

فأول شاهدين قدما للنيابة قدما يوم ٢ فبراير . .

الشاهد الأول [حضر مع اليوزباشى زهدى] «خواجه» اسمه « أوجينو انطونيو رومولى » قرر أنه شاهد أحمد حسين فى السيارة الستروين إياها ..

وسأله المحقق — عبد الحميد لطفى رئيس نيابة جنوب القاهرة — وهل تعرف الاستاذ أحمد حسين جيدا ؟

فقال الشاهد [المنتقى بعناية] : « أنا كنت معتقل من سنة ٤٠ إلى سنة ٤٣ . وكنت موجود أثناء الاعتقال فى مستشفى الدمرداش لأنى كنت مريض . وفى سنة ٤٢ أدخل المستشفى الاستاذ أحمد حسين وكان معتقلا أيضاً . وكنا بنخش عند بعض وقعدنا مختلطين مع بعض خمسة عشرة يوماً ..

وطلب رئيس النيابة اجراء العرض . لكن أحمد حسين اعترض وقال أن هذا اجراء غير مقبول لأنه رجل عام وصوره تنشر كل يوم .. وأى إنسان يراه سيعرفه . فرجاه المحقق قائلا ، إذا تعرف عليك الشاهد من العرض فإنى أقدر الاعتبارات التى تذكرها . لكن ماذا لو لم يتعرف عليك .. أليس ذلك لمصلحتك ؟

وازاء هذه اللهجة الودية قبل أحمد حسين . وأجلس المحقق أحمد حسين ضمن عدد من موظفى النيابة ، كلهم عارى الرؤوس ، ويلبسون بدلا ثم أدخل الشاهد وطلب منه أن يتعرف على الشخص الذى كان بالسيارة الستروين .. فتفرس فى الوجوه جيداً ثم أشار إلى « محمد سامى حناته أفندى » من موظفى النيابة وقال أنه هو الذى رآه .. فقدم له رئيس النيابة أحمد حسين محددا إياه .. فقال الشاهد لا .. ليس هذا الذى كان يركب السيارة . وتمسك بموظف النيابة !

وجاءوا بالشاهد الثانى محمد فضل الله السودانى الذى قرر أنه رأى أحمد حسين يحرق بنفسه كازينو البوسفور .. وكان أيضاً يركب سيارة

وطلب رئيس النيابة اجراء العرض مرة أخرى .. لكن أحمد حسين رفض باصرار هذه المرة ، وقال أن هذا اهانة له لا يمكنه أن يقبلها .. وأضاف أن كل النوبيين يعرفونه جيدا لأنه سبق أن رشح نفسه فى دائرتهم .. واستطاع رئيس النيابة بعد جهد أن يقنعه بقبول اجراء شكلى.. هو عرض إسمى .. لكن بدون الظروف التى يعتبرها أحمد حسين مهينة فأجلس أحمد حسين إلى جواره على المكتب ومعه سكرتير النيابة .. فقط وأدخل الشاهد ، وسأله المحقق هل تستطيع التعرف على أحمد حسين من بين الموجودين .. فقال الشاهد أنه غير موجود بالحجرة . فأعاد المحقق السؤال وهو مندهش .. لكن زادت دهشته عندما قال الشاهد : وهل أنا عبيط .» ما فيش فى الحجرة الا سعادتك والسكرتير والبيك الذى يجلس إلى جانبك فأشار المحقق إلى أحمد حسين بالتحديد وسأل الشاهد إن كان هو الشخص الذى رآه فى السيارة عند كازينو البسفور . فنفى الشاهد نفيا قطعيا ..

وفشلت الخطة .. خطة ايجاد شاهدى اثبات مباشرين ضد أحمد حسين .. واضطر البوليس السياسى للبحث عن شهود آخرين .. بثمن أكثر .. كالمهندس وفيق بدر !

□ □ □

شاهد واحد فى هذه القضية كلها يمكن اعتباره شاهدا صحيحا .. حسن النية .. يصدر فى شهادته عن اقتناع حقيقى .. هو جلال لطفى ..

فهذا الشاهد رأى واقعة محددة . وكان إلى حد كبير على معرفة واضحة بشخص أحمد حسين .. كما كان يعرف جيدا أحد الأشخاص الذين قرر أنه رآهم فى السيارة وقت الحوادث .

وقد عانى هذا الشاهد قبل أن يدلى بشهادته .. فتوجه إلى واحد من

رجال السياسة البارزين ، ومن أنبل وأخلص من أنجبتهم مصر فى تلك المرحلة .. وهو الدكتور عزيز فهمى .. وأدلى له بمعلوماته أولا .. وبعد أن اطمأن إلى سلامة ملاحظاته .. توجه ليدلى بشهادته للسلطات ..

وأستدعت النيابة الدكتور عزيز فهمى فأكدَ أن جلال لطفى قص عليه مارآه .. ولما راجعه فى احتمال أن يكون من تصور أنه أحمد حسين ليس هو عاد وأكد أنه واثق مما يقول[1] ..

وكان من الممكن — بل المحتم — اعتماد شهادة هذا الشاهد . . لاتهام أحمد حسين . . لولا أمرين :

أولهما ، موقف أحمد حسين يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . .

وثانيهما ، مصادفة مثيرة وقعت فى ذلك اليوم . . وتركت آثارا بعيدة المدى على صورة الأحداث فيه . .

لكن . . قبل الكلام فى هذين الأمرين . . لنبحث بقية عناصر اتهام الحزب الاشتراكى بحرق القاهرة . .

---

(١) تراجع تحقيقات نيابة جنوب القاهرة التى أجريت بواسطة عبد الحميد اطفى . ملف القضية . المتحف القضائى .

اتفاق .. ولامتفقين !!

لم يكن من الممكن أو المعقول أن يتهم فرد واحد بحرق قلب القاهرة .. حتى لو كان هذا الفرد هو أحمد حسين !

ولذلك قالت النيابة أن الجريمة .. أو الجرائم .. تمت بالتحريض والإتفاق ..

وإذا جاز أن يكون التحريض موجهاً إلى الجمهور عموماً .. فمع من يتفق أحمد حسين ؟ ..

طبعاً مع الحزب الاشتراكى .. بقيادته .. وأعضائه ومنظماته .. وخصوصاً « الكتائب الاشتراكية » ..

وهكذا راح البوليس السياسى يثبت التدبير .. وراحت سلطات التحقيق تجرى التحقيقات ..

□ □ □

جاءوا بشهود يقولون أنهم شاهدوا أعضاء من الكتائب يرتكبون الحوادث ..

□ الصاغ فريد عبد الشافى (بالقسم المخصوص) قال أنه شاهد سيارة تحمل بعض المتظاهرين يلبسون لبس الكتائب . وكان الصاغ فريد عبد الشافى قد قدم تقريراً بذلك لخصه تقرير اللواء محمد إبراهيم إمام، وجاء فيه على لسانه « أنه –الصاغ– شاهد هذه السيارة بذاتها الساعة ٦ر٣٠ تحمل بعض المتظاهرين وترفع علماً مصرياً كبيرا وصورة لحضرة صاحب الجلالة الملك وتنتقل بين شارعى جامع جركس وقصر النيل ثم ميدان سليمان باشا حيث استوقفها فوجدها فى قيادة أحد جنود الجيش المصرى. كما تبين له أن بين ركابها بعض الأفراد من كتائب التحرير الخاصه بحزب مصر الإشتراكى » ..

وأجرى تحقيق فى هذه الواقعة المعروفة بواقعة السيارة رقم ٩٠٩٦ جيش مصرى تولاه أحمد فؤاد سرى .

سأل المحقق الملازم أول فؤاد البسطويسى بسلاح الإشارة (التابعة له السيارة) والذى رأى السيارة ومن فيها فى ميدان الاسماعيلية (التحرير) الساعة ٥ر٣٠ يوم ٢٦ يناير ..

س – ألم تتبين إن كان أحد ممن استولوا على السيارة مسلحا ؟

جـ – ماشفتش ظاهر فى يدهم سلاح .

س – ألم تلحظ فى السيارة أفرادا لهيئات نظامية (كتائب) غير سائقها (عسكرى جيش) ؟

جـ – لا .. وكلهم كانوا مدنيين ..

س – قيل أنه كان يعتلى هذه السيارة ثلاثة أشخاص يلبسون الكاكى ويرفعون علما أخضر وصورة لجلالة الملك ..

جـ – إللى متأكد منه الصورة لأنها لفتت نظرى أما مسألة علم أوناس فما أخدتش بالى منها ..

وعلى فرض أن من كانوا بهذه السيارة من كتائب الحزب الاشترا كى :: فلا شك أنه كان يوجد بالشارع فى ذلك اليوم كل أنواع الناس .. فماذا كانوا يفعلون ؟

سأل المحقق السيد حسن حسب النبى وكيل الامباشى الذى كان يقود السيارة ، فقال أن المتجمهرين ركبوا السيارة عنوة - وكان قد وصل رئيسه إلى المائدة الملكية وأخذ يبحث عن مكان ينتظر فيه لأن المكان كان مزدحما - وفرضوا عليه أن يتحرك بهم إلى حيث يريدون ..

وقال العسكرى أن المتجمهرين أرغموه على التوجه بهم إلى محطة بنزين فاكوم بشارع فاروق ، حيث أخذوا من هناك بالقوة .. ولما سأله عن هذا البنزين قال أخذوا جالون حتى امتلأ « تنك » العربية .. ثم أخذوا ينقلون المصابين إلى الإسعاف ..

س - وكيف كانوا يعلمون بوجود الجرحى حتى يذهبوا إلى أماكنهم ؟ (كان المحقق يحاول معرفة ما إذا كانت هناك علاقة بين ركاب السيارة وبين الحوادث ومرتكبيها)

ج - بقوا يلفوا فى الشوارع إللى فيها الهيصة ولما يقابلوا منصاب يقولوا لى أقف وياخذوه على الإسعاف ..

س - هل حملوا فى السيارة مواد ملتهبة أو ناسفة أومفرقعات ؟

ج - لا ..

س - هل كانوا يحملون أجنات أو أدوات أخرى مما يستعمل فى اغتصاب أبواب المحلات ؟

جـ – لا ..

س – ألم يشتركوا فى عمليات التخريب والإحراق ؟

جـ – لا والله وشرف النبي ماعملوا حاجة غير شيل المجاريح بس .

وهكذا انتهت الواقعة التى أراد بها الصاغ فريد عبد الشافى إثبات اشتراك كتائب الحزب الاشتراكى فى الحوادث إلى لا شئ .

□ وحسين أحمد الديب ، جاء بشهادته التى اعتمد عليها قرار الإتهام أنه شاهد بين المتجمهرين شخصا يلبس لبس الكتائب . ورغم أننا أوضحنا فيما سبق أن هذه الشهادة عارية من أية قيمة ، إلا أننا لاحظنا أن هذا الشخص نفسه أدلى بأقوال مختلفة فى التحقيقات عن تلك التى جاءت بقرار الإتهام .. اختلافا يبلغ حد التناقض .

وهذه أقوال الشاهد حسين أحمد الديب . مراقب بشركة إجيكو ، فى حادث محل جروبى كما جاءت بمحضر التحقيق [ص ٧٩ – ٨٠] .

« شفت عيال صغيرين بجلاليب ما بين ١٣و١٤
سنة بيضربوا فى باب جروبى بقطع حديد وأزاميـل
حديد حتى انكسر الباب فنفذ منه الأولاد إلى الداخل
وبعد حوالى ١٠ دقائق وجدت النـار خارجة من
الشبابيك .. »

وسكت الشاهد . لكن المحقق أراد أن يحصل على وصف محدد للمخربين – لعله يكون بينهم أحد اشتراكى .. فعاد يسأل الشاهد :

س – وما شكل الأولاد الذين دخلوا جروبى بعد كسره ؟

جـ — أولاد حافيين مش نضاف ولا كانش فيهم ولا واحد أفندى .

هذه أقوال حسين أحمد الديب .. فمن أين جىء له بهذا الشخص الذى يلبس لبس الكتائب ؟

□ □ □

والحقيقة أن محاولات إلصاق الجريمة بأفراد كتائب الحزب الاشتراكى اتخذت فى بعض الأحيان صورة أكثر إيجابية ..

وماحدث مع هذا الشاهد نموذج لذلك ..

الشاهد اسمه عدلى سليمان سليمان ، مهندس مبانى . أقواله مسجلة فى صفحتى ٧٦–٧٨ من محضر التحقيق . . على النحو التالى :

س — وماذا كان يفعل أولئك الاشخاص الذين رأيتهم أمام سينما كايرو بالاس ؟

جـ — كانوا بيهتفوا هتافات مختلفة

س — كم كان عددهم ؟

جـ — حوالى ٢٥ شخصا . كانوا معظمهم يرتدون الملابس البلدية . أستطيع أن أقول أنهم كانوا حفاة .

ولما لم ينطق الشاهد بالمعلومات التى تصور المحقق أنه سيدلى بها . . أضطر لاتخاذ موقف « أكثر إيجابية » للحصول على هذه المعلومات . .

س — تقدم تقرير من اليوزباشى فاروق كامل عن هذا الموضوع أنك ذكرت له أن على أذرعتهم شارات خضراء . .

جـ – هو قال لى أن أعضاء الحزب الاشتراكى يضعون علامات خضراء على أذرعتهم فأنا قلت له أنا ما أعرفش إن كان الجماعة اللى شفتهم على أذرعتهم أو أكتافهم علامات أم لا . .

وهكذا فضح الشاهد محاولة اليوزباشى فاروق كامل ضابط البوليس السياسى الذى يبدو أنه لعب دورا كبيرا فى « عملية » الحزب الاشتراكى كما سيأتى . .

□ □ □

واهتم البوليس السياسى بحصر كل سيارة يملكها شخص له صلة بالحزب الاشتراكى . . وقدم تقارير تؤكد أن هذه السيارات كان لها دور فى الاحداث . .

□ قالوا أن سيارة محمد حلمى الغندور العضوالبارز فى الحزب الاشتراكى شوهدت أثناء الحوادث . . واقترن وجودها بالذات بحادث حريق محل بنزايون . وأجرى تحقيق طويل عريض . . لم يثبت منه شىء مما جاء بتقارير البوليس السياسى .

□ وقدم البكباشى محمد الجزار تقريرا بأن السيارة الجيب رقم ٣١٧٣٠ ملاكى مصر والسيارة الستروين رقم ٣٧٥ ملاكى مصر اشتركتا فى الحوادث. وحقق الواقعة على نور الدين . واتضح فى التحقيق أن السيارة الجيب مملوكة لطالب عمره أقل من ١٦ سنة . . وأن هذا الطالب تردد على مقر الحزب الاشتراكى بغرض الانضمام لكتائب التحرير ولكنه ليس عضوا بالحزب. وأنه كان عندالميكانيكى محمود حسن بشارع يعقوب الساعة ٣٠و١٢ يوم ٢٦ يناير ، وأن السيارة الجيب كانت فى جراج واحد اسمه عباس

بشارع يعقوب ومفاتيحها كانت مع والده ؛ وأن السيارة لم تستعمل فى هذا اليوم على الاطلاق .

وصدق محمد عبد المنعم خليل على ما قاله إبنه خليل . أما بالنسبة للسيارة الستروين ٣٧٥ ، والتى يملكها الوالد نفسه فقد قرر انها فى عطل منذ أوائل يناير وانها منذ ١٦ يناير سلمت مفاتيحها لميكانيكى اسمه محمود بشارع يعقوب . وصدق السائق والميكانيكى والبوبجى والجيران على كلام الطالب ووالده .

وبذلك انتهى التحقيق إلى نتيجة سلبية . وثبت أن ماجاء بتقرير الجزار مختلقا .

□ وقدم البكباشى محمد الجزار تقريرا آخر عن شخص اسمه عزمى عزام ، قال عنه أنه عضو فى الحزب الاشتراكى ويميل للعنف وانه كان من بين قادة مظاهرات ٢٦ يناير ، وانه كان من الذين اشتركوا فى الاعتداء على المحلات العامة قبل ٢٦ يناير . وقال الجزار أنه كان يوم ٢٦ يناير يركب سيارة مكشوفة من نوع اللورى مع آخرين . وقد التقط له «مصرف» المصور صورة الساعة ١٠ر٤٠ فى ميدان الإسماعيلية (التحرير) وهو يقود المتظاهرين . وحقق جمال العطيفى الواقعة . وقال المتهم فى التحقيق أن اسمه عزمى محمد سامى سعيد عزام وسنه ٢١ سنة وطالب بكلية الحقوق بجامعة فؤاد وموظف بوزارة الحربية . وقرر أنه يوم ٢٦ يناير كان بمكتبه بالوزارة . وانه وقع حضور وانصراف فى المواعيد المقررة وأن الصورة التى التقطها «مصرف» عرضها على اللواء محمد إبراهيم إمام فقلت له انها ليست لى .

وقد تثبت المحقق من توقيع المتهم بالحضور والانصراف كماشهد زملاؤه

فى المكتب بأنه لم يغادر المكان فى هذا اليوم . أما بالنسبة للصورة فقد قرر «أن ملامح الشخص المشار إليه على أنه عزمى عزام غير واضحة وانه من العسير مطابقتها على ملامح الطالب عزمى عزام » . .

وانتهى تقرير البكباشى محمد الجزار إلى مصير التقارير السابقة !

□ وقدم البكباشى محمد الجزار تقرير رقم ... عن السيارة الجيب رقم ٢٢٦٩٢ ملاكى مصر «التى شوهدت وقد تكون اشتركت فى حوادث ٢٦ يناير » . . والمملوكه باسم أحمد حسين من ١٢ / ١٢ / ١٩٥١ . وقد عثر فى اوراق الدكتور محمود زيتون على مبايعة لنفس السيارة من التاجر احمد عبد العاطى إلى احمد حسين . وان الدكتور محمود زيتون يقودها بنفسه .

واتضح من التحقيق أن هذه السيارة كانت تعمل فى الشرقية لخدمة الكتائب . وقرر سائقها عبد القادر أحمد الفيومى أنه لم يحضر بهذه السيارة إلى مصر أبدا .

وسأله المحقق : أين كانت هذه السيارة يوم ٢٦ يناير

وأجاب السائق : الساعة ٨ ص أخذتها من الجراج . الدكتور محمود زيتون ركب سيارته . مرينا على عبد العظيم بك أباظة ٠ ذهبت بسيارتى الساعة ١٥ر٩ إلى مقر الهيئة العليا للتدريب العسكرى ٠ حضر سعادة صالح حرب باشا وعبد الغنى باشا مرسى ومحمود بك أباظة ، وعقدوا اجتماع حتى الساعة ٣٠ر٢ ٠ عزمهم محمود بك أباظة على الغداء ٠ ذهبت إلى مقر الحزب الإشتراكى الساعة ٣ ثم لمحل السست حيث تركتها حتى الساعة ٧ أخذت السيارة وعدت إلى الحزب وكانت الساعة ٣٠ر٧ ٠ الساعة ٨ أخذ منى المفتاح عوض افندى متولى ٠

وثبتت صحة أقوال السائق الذى لم يكن عضوا بالحزب الإشتراكى -
وضاع تقرير البكباشى محمد الجزار !

□ □ □

كل هذا كان يسير فى وقت واحد مع خطة «تلبيس» أعضاء الحزب الإشتراكى جرائم محددة .. واثبات صلاتهم بحوادث بعينها ..

وكانت الخطة من ثلاث شعب ..

الأولى ، الصاق تهمة حريق بنك باركليز باعضاء الحزب بشكل عام .. وباحد اعضائه القياديين بشكل خاص ..

روى لى العميد محمد حلمى صديق القصة التالية :

كنت أحد المكلفين بمقاومة الاعتداء على بنك باركليز يوم ٢٦ يناير أنا ومجموعة من الضباط والعساكر .. وبعد معركة استخدمنا فيها الرصاص فى المليان أصيب فيها ١٥ ، وبعد ١٠ دقائق من المقاومة نفذت خلالها ذخيرة العساكر .. حدث الاعتداء على البنك ..

وأثناء التحقيق فى الحادث بواسطة الأستاذ مصطفى الهلباوى ، حضر اليوزباشى فاروق كامل بالقسم السياسى وطلب منا أنا وزميلى أحمد سليم وكان كلانا برتبة الملازم أول أن نعطى فى التحقيق أوصافا للمجرمين تقريبية لأشخاص سيعرضهم علينا . . ثم حضر الينا فى قسم عابدين وطلب منا التعرف بالتحديد على كامل نصحى أحد أعضاء الحزب الإشتراكى البارزين . لكننا رفضنا الطلب الأول وهو الإدلاء بأوصاف تقريبية تنطبق على أشخاص يعنيهم البوليس السياسى . . كما رفضنا الطلب الثانى بالشهادة ضد كامل نصحى لأن ذلك مخالف للضمير والامانة فى العمل .

وأوهمنا ضابط البوليس السياسى بأن هذه هى رغبة « الجهات العليا » يقصد الملك — وأن عدم الاستجابة ليس للصالح العام . .

وطلب اليوزباشى فاروق كامل بالفعل كامل نصحى من سجن قسم السيدة وهدده بأن الضباط — أى نحن — سيشهدون أنه هو — الذى قاد حريق بنك باركليز ..

ورفضنا الادلاء بالشهادة الزور . . لكننا طبعا لم نشر فى التحقيق إلى شىء من ذلك . . خوفا من انتقام البوليس السياسى الذى كان كل شىء فى هذا الوقت . .

لكننا فوجئنا يوم ٢٦ مارس ١٩٥٢ بتوقيع جزاء بخصم ١٥ يوما من الماهية ، والنقل خارج القاهرة ، ونقلنا فعلا إلى المنيا بقرار من وزير الداخلية . . بدون تحقيق ، وبدون إعلان بالجزاء . . ثم قدمنا تظلمات لكن لم يعبأ بنا أحد . . (١)

والثانية من شعب الخطة ، كانت إثبات وجود أكبر عدد من كوادر الحزب فى ميدان الحوادث . . وهـذه تولاها الشاهد بسيم السعيد . .

وبسيم السعيد هذا له قصة مثيرة . فقد كان عضوا بالحزب الاشتراكى وضغط عليه البوليس السياسى لكى يعمل معه مرشدا داخل الحزب. وعرض الأمر على الحزب فوافق حتى لا يعرض للمخاطر . وبدأ نسيم بالفعل يكتب التقارير عن نشاط الحزب ويقدمها للبوليس السياسى بعد أن يكون قد عرضها على الحزب ، وطبعا كان يكتب كلاما لا ينفع ولا يشفع . .

---

(١) راجع شهادة العميد محمد حلمى صديق — الملاحق

ووقعت حوادث ٢٦ يناير . واعتقل جميع أعضاء الحزب فيما عدا الذين تمكنوا من الهرب . ووجد بسيم نفسه فى مأزق بطبيعة الحال فى هذا الجو الإرهابى الجديد . وهنا التقطه محمد الجزار رجل البوليس السياسى النشط ، وأخذ يعده للدور الكبير الذى تصور أنه به سيوجه الضربة القاضية للحزب الإشتراكى . قدم له المال بكميات لا يحلم بها .. واغراءات أخرى كثيرة مما يسيل له لعاب أى شاب . ثم أملى عليه أقوالا معينة ليدلى بها أمام النيابة ..

وبالفعل وقف بسيم السعيد – أو جلس – أمام عبد الحميد أبو شنيف يدلى بهذه الأقوال المملاة . . بينما أخذ رئيس نيابة الصحافة يشجعه على الاستمرار . ماذا قال بسيم السعيد ؟

بعد رواية الراقصة والشخص الذى يحتسى الخمر فى كازينو أوبرا . . قال :

« . . وبعد كده الجمهور خرج من الكازينو مرددا يالله سيبوه يتحرق . . يالله على سينما ريفولى . . » ولم آخذ بالى من الاشخاص الذين أشعلوا النار فى الكازينو.. وانما بعد أن سرت فى ميدان الأوبرا قليلا شاهدت أشخاص كثيرين من رجال الحزب الاشتراكى بين هذا الجمهور ، أذكر منهم عبد العزيز متولى ، وعبد العزيز نجيب ، وعبد المنعم أمين ، وفؤاد عبد الرازق ، وصلاح سلامة ، وعباس الاسوانى ، ومحمد رأفت ، ومحمد القمارى ، وموسى عبد الوهاب ، ومحمد حسن محمد ، وابراهيم نصحى ، وفؤاد نصحى ، وكامل نصحى ،

وابراهيم يونس ، وابراهيم فؤاد ، وابراهيم أحمد
يوسف ، وكمال حسنين ، وفؤاد السيد عويس ،
ومصطفى محمود مصطفى ، وأحمد عبده غنيم ، وصلاح
الصاوى ، وصلاح الشريف ، وعبده سلطان ،
وعبد الحميد حسين ، وأنور حسن الدخاخنى . .
شاهدتهم منتشرين بين الجماهير فى الميدان . .

(ص ٢٥ – تحقيق أبو شنيف)

وفى مكان آخر . . يحدد بسيم السعيد المسئولية على أعضاء الحزب . . فيقول :

« ووجدت من بينهم كلا من عبد العزيز متولى ،
وصلاح سلامه ، وعباس الاسوانى ، ومحمد رأفت
شكير ، وصلاح الصاوى ، وعبد الحميد حسين ،
وأنور حسن الدخاخنى . . وهم يعطون الأوامر للباقين
بقيادة بعض المتجمهرين إلى مختلف المناطق والأماكن ..

وحدد بسيم السعيد فى أقواله ان أعضاء الحزب الاشتراكى بالذات هم الذين ارتكبوا حوادث ريفولى ومترو وميامى والترف كلوب ..

(ص ٢٥ . . .)

ويسأل المحقق « الشاهد » :

س – هل تعرف الادوات التى استعملها الجناة فى حرق الاماكن التى شاهدتها ؟

ج – أنا فهمت من الجمهور أثناء وقوفى لمشاهدة هذه الحوادث أن

الفدائيين القادمين من منطقة الشرقية كان معهم قنابل حارقة وكانوا يلقونها فى هذه المحال بمجرد فتحها . . وكان الفدائى الذى يحمل هذه القنبلة يختفى وسط هذه الجماهير حتى لايعرفه أحد ..

(ص ٣٦)

على أساس هذه الشهادة الملفقة . . جرى اعتبار أعضاء الحزب الاشتراكى الخمسة والعشرون الذين ورد ذكرهم فاعلين . . ومحرضين ومدبرين . . .

ويحكى ابراهيم يونس أنه قد أعد قرار اتهام باسماء هؤلاء الـ ٢٥ .. بواسطة عبد الحميد أبو شنيف . . وأن هذا القرار سرقه مصطفى سنان الذى كان يعمل كاتبا بنيابة الصحافة حينئذ .. وسلمه لصديقه أحمد يونس الذى سلمه بدوره لشقيقه إبراهيم يونس[1] . .

ورغم أن التحقيقات مع هؤلاء الـ ٢٥ (وقد اطلعت على بعضها) لم يؤيد ماجاء بالشهادة المزورة . . الا أنه كان من الممكن أن يقف هؤلاء أمام المحكمة كما حدث مع أحمد حسين . . لولا حادث لم يكن فى حسبان البوليس السياسى . . والنيابة . .

كان البوليس السياسى قد قرر أن يستفيد من بسيم السعيد أقصى استفادة فى الايقاع بأعضاء الحزب الاشتراكى . . خصوصا بعد أن أدلى بأقواله أمام النيابة وأصبح فى قبضة البكباشى محمد الجزار . . وبعد أن فبركا معا « لعبة » لكسب ثقة أعضاء الحزب . فحتى لايشكو فى إخلاصه بسبب عدم القبض عليه . . أدخله الجزار حجز قسم السيدة فترة بسيطة

(١) راجع شهادة ابراهيم يونس – الملاحق .

ذرا للرماد . . ثم كلفه بالوقوف فى ميدان باب الحديد . . فاذا رأى أحد أعضاء الحزب الهاربين . وكان يعرفهم جميعا — اتجه نحوه وحياه بحرارة واحتضنه وقبله . . ثم بعد أن يتركه يتعقبه رجال البوليس السياسى الذين يكونون واقفين بعيدا . . ويقبضون عليه بطريقة لايفهم منها أن بسيم السعيد هو الذى سلمه . .

واستمر بسيم السعيد يقوم بهذه المهمة القذرة عدة أيام . .

لكن فجأة استيقظ ضمير بسيم هذا . . واستكثر فعلته . . وفى ذات يوم وبينما هو واقف بميدان المحطة كالمعتاد . . بحث عنه رجال البوليس السياسى فلم يجدوه !

هرب بسيم السعيد من البوليس . ولم يظهر له أثر حتى قامت الثورة فى يوليو ١٩٥٢ . .

لكنه لم يكتف بالهروب . . وفى هذا مافيه من متاعب للبوليس السياسى وللنيابة على السواء . . ولكنه أرسل من مخبأه خطابا إلى اسماعيل عامر عضو الحزب الاشتراكى . . فضح فيه كل شىء . . وحكى القصة من أولها إلى آخرها فى ١٥ تقريرا . . !

ووصل الخطاب . . والتقارير . . إلى أحمد حسين فى السجن . . فطلب التحقيق فيها . . وكان ذلك فى مارس ١٩٥٢

ووقع المحقق عليها بالنظر يوم ١٩٥٢/٥/١٦ . . ولم يحقق فيها !

لكن نتج عن هروب بسيم السعيد . . العدول عن قرار الاتهام ذى الـ ٢٥ متهما !

□ أما الركن الثالث من أركان خطة إحكام تهمة التدبير والاتفاق على

رقبة الحزب الاشتراكى . . فقد كان تصوير ماحدث يوم ٢٦ يناير على أنه كان تنفيذا « لمؤامرة كبرى » معدة من قبل . . بغرض إحداث شيء أقرب إلى الانقلاب العسكرى المسلح . : تشترك فيه « قوة من الجيش » .. مع كتائب الحزب الاشتراكى باعتبارها الجناح العسكرى للحزب !

ورتب ذلك أيضاالبوليس السياسى ، اللواء محمدابراهيم إمام والبكباشى محمد الجزار . . وكان الدليل الوحيد الذى اصطنع لإثباته . . هو الجزء الأخير من الشهادة الملفقة على لسان بسيم السعيد . . الشاهد السابق . . يقول بسيم فى أحد تقاريره موضحاخطة البوليس السياسى للايقاع بالحزب الاشتراكى :

« ان الحزب الاشتراكى يفكر من قديم فى قلب نظام الحكم ولم يجد أمامه الا فتح المعسكرات عقب الغاء النحاس رئيس الوزراء السابق للمعاهدة ففتح معسكرا كبيرا فى الشرقيه واستعان بفريق من ضباط الجيش يكونون جماعة اسمها « جماعة الضباط الاحرار » وأن هذه الجماعة كانت لحساب الحزب الاشتراكى فى معسكرات الجيش المصرى فكانت تحرض العساكر على الفرار إلى معسكر الشرقية الذى انشأه الحزب الاشتراكى ، وعندما يفر الجنود اليه يتكون جيش ضخم للحزب ومن ثم يتيسر له قلب نظام الحكم . ولقد كان مقررا أن يفر ليلة ٢٦ يناير ١٩٥٢ أى ليل الجمعة عدد كبير من الجنود .

وكانت الخطة عندما تحترق القاهرة (بواسطة الحزب

طبعا) . . يتحرك جيش المعسكر الاشتراكى للسيطرة على الموقف ، فى حين يظل فريق جمعية الضباط فى صفوف الجيش العامل للتحريض على الانضمام لجيش الثورة الاشتراكى وفى نفس اللحظة يتم الاعتداء على الاحياء الارستقراطية كجاردن سيتى والزمالك وغيرها ؛ ثم يتم قلب نظام الحكم وتعلن الحكومة المحلية فى مديرية الشرقية ويشترك فيها عزيز المصرى » . . .

ورغم السذاجة الواضحة فى خطة البوليس السياسى لحبك « مؤامرة خطيرة » ينفذها الحزب الاشتراكى .. ورغم أن ذلك لم يكن مطابقا لواقع الحال بأى صورة من الصور .

فإن النيابة « تأثرت » جدا بحكاية الكتائب هذه . .

فحرصت على ترصيع قرار اتهامها لأحمد حسين ببعض أفرادها . . على لسان هذا الشاهد أوذاك . . حتى يتأكد فى الذهن أن انسحاب كتائب أحمد حسين من الشرقية قبيل حوادث ٢٦ يناير . . إنما كان تنفيذا لخطة ستقوم بها فى العاصمة وهى حرق القاهرة ..

وأكد عبد الحميد أبو شنيف فى مرافعته التى ألقاها أمام المحكمة فى ١٦ أغسطس ١٩٥٢ هذا المعنى ، فقال :

« فالفدائيون التابعون للمتهم كانوا قد انسحبوا إلى القاهرة قبل يوم ٢٦ يناير بأيام تبلغ عشرة أو أقل أو أكثر . أما أسباب هذا السحب أو هذه العودة التى يرددها أنصار المتهم فلانقف عندها الآن وانما نطمئن

المحكمة إلى أنها لا تمثل الحقيقة كما سنبينه فيما بعد ، هو أن المتهم كان قد قرر استعادة هذه الكتائب إلى القاهرة لأنه انتوى أمرا ترتبت آثاره يوم ٢٦ يناير لتحقيق أهداف سياسية قوامها إحداث تغيير أساسي لاداة الحكم يقفز من خلاله إلى الوزارة لينفذ سياسته الخاصة وهى العمل على فتح باب التفاهم ، بعد إبطال الكتائب والمقاومة المسلحة ».

وهكذا حددت النيابة أبعاد « مؤامرة أحمد حسين » كما تصورتها :

١ - يسحب أحمد حسين كتائبه من الشرقية فى النصف الأول من يناير . .

٢ - تتولى هذه الكتائب حرق القاهرة . .

٣ - يستغل أحمد حسين الظروف التى تترتب على الحريق ويستولى على الحكم . .

٤ - يتفاهم أحمد حسين مع الانجليز (!) بعد أن يوقف الكفاح المسلح ضدهم . . .

رد أحمد حسين فى التحقيق على هذا الاتجاه من جانب النيابة ، بأن كتائب الحزب الاشتراكى ليست شيئا حقيقيا . . أو بالقدر الذى يسمح لها بالقيام بأى عمل كبير . .

وكذبت النيابة أحمد حسين بالطبع . واعتبرت تقليله من شأن كتائبه مناورة والتواء . . ورغبة منه فى التنصل من الجريمة . .

عندئذ طلب أحمد حسين سماع أقوال كل المسئولين عن هذا الموضوع . فماذا قالوا ؟

أقوال مدير الشرقية اللواء صادق الملا :-

س — هل تعرف عدد أفراد الكتائب من الاشتراكيين ؟

ج — كنت أسمع من الاشتراكيين أن عددهم خمسة وعشرين . ويتغيرون من آن لآخر بغيرهم من الحزب الاشتراكى ، بمعنى أنه لم يكن الاشخاص بذاتهم دائمين ، ولكن العدد هو الذى كان ثابتا ، وكان حوالى خمسة عشر أو عشرين شخصا . .

س — هل تذكر متى انسحب الأستاذ أحمد حسين من الشرقية ؟

ج — أذكر أنه انسحب فى شهر يناير قبل يوم ٢٦ يناير ولا يمكننى أن أورد اليوم الذى انسحب فيه بالذات لمضى المدة ، والذى سمعته أن الاشتراكيين انقطعوا عن العمل فى التدريب وفى الكتائب حوالى منتصف شهر يناير وأعتقد أنه لم يكن انقطاع نهائى لأن بعضهم كان يعود .

(ص ٤٠٥ — جـ ٥ — ملف ١).

أقوال عبد الله أباظه وكيل لجنة الكفاح :

س — هل تعرف سعادتك عدد الاشتراكيين الذين بمديرية الشرقية للاشتراك فى أعمال الكفاح قبل انسحاب الاستاذ أحمد حسين ؟

ج — كل الذين أعرف لهم نشاط فى لجنه الكفاح من الاشتراكيين هم الدكتور محمود زيتون والاستاذ حسين حمدى سالم ، أما عدد الاشتراكيين الذين كانوا فى الكتائب فلم يكونوا معروفين لى بالدقة . ولوأن النظام الذى كان موجودا فى اللجنة كان يدل على أن كل فريق من فرق الكتائب كان يبلغ نحو العشرين وكان الاشتراكيون يكونون كتيبة من هذه الكتائب وأوراق صرف

الاعانات للكتائب بسكرتارية اللجنة لدى الدكتور مصطفى متكيس سكرتير اللجنة » (ص ٤٠٩)

أقوال اللواء عبد الغنى مرسى المشرف على التدريب فى الشرقية :

س — هل تذكر بالتقريب عدد الافراد الذين كانوا منتمين لكل فريق من الهيئات التى أشرتم اليها ؟

ج — للاخوان حوالى خمسين متطوع على ما أعلم وأما الاشتراكيين فقد ذهبت إلى معسكرهم مرة وكان هذا المعسكر بأحد المنازل فكان به حوالى ١٥ شخص وانما كان يصرف لهم مصروفات لما يوازى عشرين شخص على ما أذكر .

س — هل كان لدى الاشتراكيين مدافع وبنادق ؟

ج — أنا شفت عندهم مدافع قديم وبنادق أقدرها بسبعة أو ثمانية.

س — هل تذكر اسم رئيس جماعة الاشتراكيين فى ذلك الوقت ؟

ج — رئيس الجماعة الفعلى كان الدكتور محمود زيتون وكان أحمد حسين لا يمكث فى الزقازيق يومين أو ثلاثة .

(ص ٤٠٠)

أقوال البكباشى جلال ندا المشرف على تدريب الكتائب الاشتراكية ، ثم كتائب الشرقية كلها :

س — متى بدأت صلتك بالحزب الاشتراكى ؟

ج — من حوالى ٢٢ أكتوبر ١٩٥١ بعد الغاء المعاهدة مباشرة .

س — وما العمل الذى كنت تقوم به بحزب مصر الاشتراكى ؟

ج ـ كنت مشرفا على تدريب المتطوعين ودى مسألة عامة تولتها جميع الهيئات والاحزاب فى بداية الشهر الأول أى فى شهر نوفبر .
كان عملى فى القاهرة وبعد ذلك انتقلنا إلى الشرقية وانضممنا إلى لجنة الكفاح فى الشرقية وندبتنى اللجنة لتولى تدريب المتطوعين فى مديرية الشرقية .

س ـ ماهى أعمال التدريب التى كنت تقوم بها فى القاهرة ؟
ج ـ احنا كنا بنعلم المتطوعين شيئا من النظام فى الوقوف والمشى فى معسكر العباسية الذى تسلمه الحزب الاشتراكى من الحكومة .
وأنا كان لى رأى أن انتهز هذه الفرصة لأعود المتطوعين على سلوك النظام فى أعمالهم الخاصة مثل ركوب الترام والاتوبيس .
(ص ٤٣٢)

س ـ هل تذكر عدد المتطوعين الذين كانوا بالعباسية ؟
ج ـ كان فيه ابتداء حوالى ١٥٠٠ وبعدين فضلوا يتناقصوا إلى أن وصلوا ييجى ٦٠ ولما أعلن فؤاد باشا سراج الدين عن الكتائب أنا طردتهم وقلت لهم روحوا معسكر الحكومة .

س ـ ألم تدرب المتطوعين بمعكسر العباسية على استعمال أى نوع من الاسلحة . . ؟
ج ـ ماكانش عندنا أسلحة وكان عندنا ستقنابل يدوية فارغة كنا نفهمهم كيفية استعمالها . وكنا ندربهم بالطوب . (ص ٤٣٨)
س ـ هل كان الاشتراكيون فى الزقازيق كتيبة فى هذا الوقت ؟
ج ـ الاشتراكيون ماكانش لهم كتيبة وانما كان لهم حوالى أربعة

أشخاص منضمين إلى الفدائيين فى الشرقية وكان فيه جماعة متطوعين معاهم وكان مجموع الافراد اللى فضلوا إلى النهاية الذين كانوا تحت راية الاشتراكيين حوالى ١٣ أو ١٤ واحد. وحضر من اسكندرية حوالى خمسين أو ستين واحد على اعتبار أنهم حيشتغلوا مع الاشتراكيين فى الشرقية ولكنى رفضت وأرجعتهم لعدم الاحتياج اليهم. (ص ٤٣٤)

س — تبين أن الافراد المنتمين للحزب الاشتراكى كان عددهم عشرين شخصا وانهم تناولوا المبالغ المخصصة لهم فى يوم ٧ يناير وفى يوم ١٤ يناير وفى يوم ٢١ يناير مما يدل على وجود كتيبة للاشتراكيين فى ذلك الوقت عدد أفرادها عشرون شخصا.

جـ — إللى أعرفه بالضبط أن دول مش اشتراكيين وإنما طلبة بجامعة فاروق بالإسكندرية بيشتغلوا مع الإشتراكيين ووصلوا فى بعض الأوقات إلى رقم يبلغ الثلاثين وأنا أخذت حسابهم من عبد الله أباظة بنفسى وكان ذلك قبل ٧ يناير. (ص ٤٤٠)

أقوال الدكتور محمود زيتون :

س — هل كنت ضمن أعضاء لجنة الشرقية العامة للكفاح الوطنى ؟

جـ — نعم، وكانت اللجنة تقوم بأعمال الكفاح فى الشرقية وفى القنال.

س — متى انضممت إلى هذه اللجنة ؟

جـ — بمجرد إلغاء المعاهدة شكلت لجنة الكفاح وكان القائم بها فى أول

الأمر شبان صغيرين من ممثلي الأحزاب والنقابات وكنت ممثل الحزب الإشتراكي في هذه اللجنة وبعد حوالي شهر تقدمت الشخصيات الكبرى وتولت الإشراف على هذه الأعمال وأصبح رئيسها الفعلي سعادة عبد الله أباظه وشكلت اللجنة لجاناً مختلفة وانتخبت أنا رئيساً للجنـة الكفاح عن الشرقية والقنال . وكان القائمين بأعمال الكفاح الفعلي ينتمون إلى ست فرق كل فرقة عشرين واحـد . وهذه الفرق هي الإشتراكيون والوفديون والإخوان المسلمون وفرقة الجامعة وفرقة عزيز المصري وكان فيه فرقة تحت قيادة ضباط من الجيش كنا عاطينها اسم مستعار . .

س — هل تذكر أسماء المتطوعين من الحزب الاشتراكي في لجنة الكفاح ؟

ج — كانوا حوالي عشرين متفرقين ساعات يبقوا ١٥ وساعات يبقوا أكثر من عشرين . . (ص ٤٤٦)

س — جاء في محضر التفتيش أيضاً بيان بالقلم الحبر تحت رقم ٩ من ذلك المحضر به أسماء ٢٢ شخص (وعرضناه عليه) فمن هم هؤلاء الأشخاص ؟

ج — أيوه دول كانوا من الفرقة بتاعتنا وجزء منهم كان يبيت في دار الحزب وجزء منهم كان يبيت في بيوتهم لأن بعضهم كان من الزقازيق والباقي كان بالمعسكر وعلى ما أذكر معسكر الحزب بالزقازيق اتقفل في اوائل يناير ولا أذكر التاريخ بالضبط :

س — هل يمكنك أن تحدد من من هؤلاء الأشخاص كانوا يبيتون دار الحزب ومن كانوا يبيتون فى منازلهم ومن فى المعسكر ؟

جـ — الدمرداش أحمد وفتحى عمران كانا يبيتان فى دار الحزب وناس غيرهم كتير كانوا يبيتون فى دار الحزب . وأما جبر حسن فكان يبيت بمنزلى هو والأستاذ أحمد حسين وأما الأستاذ جمال طولان فكان يبيت فى بعض الأوقات فى لوكاندة وأما الأشخاص الذين من الزقازيق وكانوا يبيتون بمنازلهم فهم محمد أبو زيد وعباس الطحان وفؤاد درويش وعبد الحكيم الكيال وأحمد زغلول وابراهيم محمود السيد وسيد حامد وسعد اسماعيل ومحمد أمين وأما الباقون فكانوا يترددون على دار الحزب .

س — متى حلت هذه الفرقة ؟

جـ — أوقف عمل هذه الفرقة لفترة بعد أن أرسلنا الإنذار لأرسكين لأننا ما كناش لاقيين ذخيرة فأبديت هذا الأمر للأستاذ أحمد حسين وجلال ندا فوافقوا على هذا الأمر وقالوا لى اعرض الأمر على لجنة الكفاح فعرضت الأمر على اللجنة فطلبت منى الانتظار وبعد فترة جاءت الذخيرة فعدلنا عن التوقف واستمرينا فى الكفاح حتى يوم ٢٦ يناير .

س — قرر الأستاذ أحمد حسين أن فرقة الكفاح من الإشتراكيين انفضت وانسحب قبل يوم ٢٦ يناير .

جـ — فعلا الأستاذ أحمد حسين والبكباشى جلال ندا أبدوا هذا الرأى ولكن أنا بصفتى المباشر للحركة لم أوافق .

س — ألم ينسحب الأشخاص الذين كانوا من خارج مدينة الزقازيق ؟
جـ — لا واستمر معنا جمال طولان والدمرداش أحمد وفتحي عمران وجمعة عبد النبي .

س — ألم يذهب جبر حسن وابراهيم فؤاد وكيلانى صادق ومتولى زكي الشنوانى وخميس زيدان ويوسف المصرى وابراهيم أبو العينين مع الأستاذ أحمد حسين عندما رأى الانسحاب ؟
جـ — الأستاذ أحمد حسين ترك الزقازيق حوالى يوم ١٠ يناير وانصرف معه جبر حسن لأنه كان دايما يلازمه وأما الباقون فلا أعرف عنهم شيئا . (ص ٤٤٨)

تفتيش منازل من ذكرت أسماؤهم . يكتب للقلم السياسى لتفتيش منازل كل من (٢٢ اسما) وهم أفراد كتيبة الحزب الاشتراكى التى كانت بالزقازيق وبعضهم من الزقازيق وبعضهم من القاهرة وذلك لضبط جميع الأوراق التى توجد لديهم وعمل محضر بذلك بالنسبة لكل منهم (٤٥٣)

هذا ما جاء عن كتائب الحزب الإشتراكى بالشرقية .. بأوراق التحقيق وهو يدل دلالة واضحة على أن الكتائب كانت متواضعة للغاية.. بما لا يسمح لها أن تقوم بعملية كبرى تبدأ بحرق العاصمة . . وتنتهى بالإستيلاء على الحكم .

ولعل هذا هو التفسير الوحيد ، لأن يحدث كل ما حدث يوم ٢٦ يناير .. مع ما تبعه من تحقيقات وتفتيشات .. ثم « لا يصل التحقيق لمعرفة أشخاص أعضاء مع الكتائب » هؤلاء .. إذ لا معنى له إلا أحد أمرين : أن تكون هذه الكتائب شيئا وهميا مفتعلا .. أو تكون محصنة تحصينا سحريا ضد تحريات البوليس السياسى .. وذكاء رجال النيابة !

بعد ذلك كله ..

ولأن الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف عندما أصدر قرار إتهامه ضد أحمد حسين ومن معه .. كان قد راجع كل هذه التحقيقات ..

.. هل كانت النيابة جادة فى توصيف الجريمة بأنها تمت بالتدبير والإتفاق الجنائى . .

لا . . بكل تأكيد !

وإلا .. لوجهت الإتهام إلى مجلس إدارة الحزب الإشتراكى . . أو إلى الكوادر القيادية فى هذا الحزب .. أو إلى العناصر الأكثر حركة ونشاطا من بين أعضائه .. على الأقل .

ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ..

أكثر من ذلك .. لم يكن هناك أى علاقة سابقة على الحوادث تشير إلى التدبير والإتفاق .. كما لم تسفر التحقيقات عن أى إثبات لذلك التدبير والإتفاق ..

ومن الأيام الأولى للتحقيق ، نبه أحمد حسين سلطات التحقيق إلى هذه المسألة حتى تتجنب التورط .. فأرسل إلى النائب العام خطابا بتاريخ ١٦ فبراير ١٩٥٢ ، جاء فيه — بعد الديباجة — :

« .. تقدمت للنيابة العمومية ليس فقط للدفاع عن نفسى باعتبارى متهما ، بل للدفاع فى نفس الوقت عن الحزب الذى اتشرف برئاسته وهو الحزب الاشتراكى . فقد سولت نفس وزير الداخلية الراحل له أن يلصق التهمة الشنيعة بالحزب الإشتراكى . والآن وقد قطع التحقيق شوطا

كبيراً فقدحانت الساعة لتبديد هذه التهمة بالنسبة للحزب الإشتراكى وذلك بتحقيق المسائل الآتية :

١ – قيل فى البلاغات الرسمية أن أشخاصا قتلوا بمعرقة البوليس والجيش فى خلال يوم السبت . فهل هناك واحد من هؤلاء ينتمى للحزب الاشتراكى. والجواب بالنفى .

٢ – أصيب بعض الأشخاص باصابات ذهبت بهم إلى المستشفيات وحققت معهم النيابة فهل من أولئك شخص واحد اشتراكى . والجواب بالنفى .

٣ – قبض البوليس خلال الحادث على أشخاص ثم وهو يفتش بيوتا ويعثر على منهوبات. فهل هناك اشتراكى واحد من بين هؤلاء .. والجواب بالنفى .

٤ – فتش البوليس بيوت الأعضاء الكبار من الحزب ودار الحزب. وذكر على لسان الحكومة رسميا أكثر من مرة أن الحادث كان مدبراً من قبل . فهل لدى الحكومة علم سابق أن الحزب الاشتراكى سيقوم بهذا العمل . والجواب بالنفى.. وإلا لاتخذت الاحتياط ضد هذه الحوادث واتخذت إجراءات وقائية ضد الحزب » ..

غير أن سلطات التحقيق لم تعبأ بهذا التنبيه المبكر . . وصدر قرار الاتهام مرتكزا على الاتفاق الجنائى الوهمى . . والذى لم يكن أدعى لهدمه أكثر من الاسماء التى تضمنها . .

فإلى جانب أحمد حسين ليس هناك سوى ثلاثة من أعضاء الحزب الاشتراكى :

١ – محمد جبر حسن الذى قيل أنه ياور أحمد حسين الذى لايفارقه..

٢ ــ ممدوح عبد المقصود والذى لايعرف عنه أنه من زعماء الحزب...
(والاثنان كل تهمتهما أنهما صحبا أحمد حسين فى ذلك اليوم . . فقط) .

٣ ــ سليمان زخارى بصفته رئيس تحرير جريدتى « الشعب الجديد » و « مصر الفتاة » (وتهمته أنه أذن بنشر مقالات تتضمن تحريضا على الجرائم التى حدثت فى ذلك اليوم) .

٤ ــ على عبد الحليم هاشم

٥ ــ على محمد عبد الرحمن جاد الله

(وهما شخصان لاعلاقة لهما بالحزب الاشتراكى على الاطلاق) .

ولذلك . . . لم يكن غريبا أن تضطر النيابة . . والاستاذ عبد الحميد أبو شنيف شخصيا لأن يرفع المادة ٤٨ الخاصة بالاتفاق الجنائى من قرار الاتهام . . وأن يعترف بأنها غير مؤسسة على سند جدى . . عندما وقف فى ساحة القضاء !

الصدفة العجيبة

أصبح أحمد حسين هو المتهم وحده . . يحرق القاهرة !

فبراءة بقية أعضاء الحزب . . والافراج عنهم جميعا [1] . . لم يبدد الكارثة . . ولكنه ألقى بها كلها على رأسه واحده !

وهناك شاهد رآه يشترك فى أحداث يوم ٢٦ يناير . .

وقد اعترفنا فيما تقدم بأننا نحترم شهادة هذا الشاهد . . لأنها شهادة جدية . . ولذلك . . فلابد من مناقشتها . .

قال الشاهد جلال لطفى أنه رأى أحمد حسين يركب سيارة ويتجول فى ميدان الحوادث . . بينما الجمهور يهتف يحيا الزعيم . . يحيا الزعيم . .

---

(١) كان الاتهام موجها بشكل محدد إلى : ابراهيم شكرى ، حلمى الغندور ، فخرى أسعد ، نظمى حسين ، محمد الأمير موسى ، محمود المليجى ، كما اعتقل على ذمة التحقيق : محمد ثريا ، رأفت شكير ، فؤاد نصحى ، عباس الاسوانى ، ابراهيم نصحى ، كامل نصحى ، زكريا حنفى ، ابراهيم فؤاد ، صلاح شريف ، محمود القمارى ، أحمد نديم ، ابراهيم السيد على ، خليل عبد المنعم ، صلاح سلامه ، رمزى علام ، عبد الحميد حسين ، أنور حسن ، أحمد غنيم ، ابراهيم يوسف ، عبد المنعم أمين . وقد انتهى التحقيق معهم بالسلب وأعتقلوا عسكريا فى ١١ مايو ١٩٥٢ .

فهل حقا كان احمد حسين فى المكان الذى رآه فيه هذا الشاهد : ء فى هذه الساعة . . من يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ؟

طبعا حاولت النيابة . . واجتهد الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف لإثبات ذلك !

وكانت حجة النيابة بالذات . . شهادات شهود الرؤية .. وعلى الأخص جلال لطفى .

ونفى احمد حسين . وقدم أدلته التى تثبت انه لم يكن بالشارع . . وإنما كان بمنزله :

قال انه كان مريضا فى ذلك اليوم .. ملازما للفراش .. لم ينزل من بيته .

وابتسم عبد الحميد أبو شنيف !

قال ان إسماعيل عامر زميله فى الحزب زاره . . ثم نزل اشترى له أدوية وعاد بها إليه ..

وزادت ابتسامة المحقق . . ورغم أنه سأل اسماعيل عامر . . وأن إسماعيل عامر صدق على رواية أحمد حسين . . الا أنه أعتبر ذلك من ضمن الخطة . . وليس حجة لإثبات المرض وملازمة الفراش . .

وعاد احمد حسين يحاول تأكيد أنه كان بمنزله . . فقال للمحقق . . لقد اتصلت بشخصيات عديدة . .

وسأل المحقق : من . . ؟

فقال : اتصلت برفعة على ماهر باشا . . واتصلت بادجار جلاد . . واتصلت بمصطفى امين . .

واستوضحه المحقق . . فأضاف : اتصلت بعلى ماهر بعدما سمعت الأخبار وطلبت منه ان يبذل جهوده لكى يقيل الملك وزارة الوفد . . لأنها سبب كل الكوارث التى تحدث الآن . . وأن يؤلف هو وزارة تنقذ البلاد . وبعد ذلك اتصلت بادجار جلاد وكان فى الإسكندرية فكلمت حسين فهمى رئيس تحرير الزمان وقلت له رأيى ليبلغه لادجار باشا . . ثم كلمت ادجار نفسه وقلت له نفس ما قلت لعلى ماهر . . وبعد ذلك اتصلت بمصطفى امين فى اخبار اليوم فلم اجده بمكتبه فكلمت محمد حسنين هيكل ثم كلمت مصطفى أمين بعد ذلك . .

وبدا ذلك كله غير كاف فى نظر المحقق . . لأنه من الجائز أن تكون كل هذه المكالمات بين احمد حسين وبين الشخصيات التى ذكرها من تليفونات مختلفة . . خارج بيت احمد حسين . . وأن تكون أيضا للتمويه . . وتضليل التحقيق !

كلام معقول . . .

لكن احمد حسين أضاف : وقد اتصل بى على ماهر باشا بعد ذلك . .

هنا انتبه المحقق . . وبدا كما لو كانت ظهرت أمامه معضلة !

ولأنه بطبيعة الحال كان يشك . . فقد استدعى كل الذين قال أحمد حسين أنه اتصل بهم . وجاءوا جميعا . . وقالوا أن احمد حسين اتصل بهم فعلا . . وان كانوا طبعا ازاء الاسئلة التى تنطوى على الاتهام . . والجو السائد فى البلد . . ضمنوا أقوالهم عبارات من نوع : والحقيقة انا اندهشت لماذا يطلبنى احمد حسين . . وفى الواقع هو شىء غريب انه يتصل فى هذا اليوم . . وكانوا دائما يقولون : ولا نعرف من اين يكلمنا . . لأنه هو الطالب .

وجاء دور على ماهر . وقال ان احمد حسين اتصل بى فى الصباح ، حوالى الساعة ١١ أو ٣٠ر١١ فى العوامة . . وأبلغنى بأخبار المظاهرات وخصوصا مظاهرة بلوكات النظام . وطلب منى الاتصال بالقصر لاتخاذ اجراءات بتغيير الحكومة .

– ثم ماذا يارفعة الباشا . . ؟ سأل المحقق بلهفة . .

– اتصلت بالقصر فلم اجد حافظ عفيفى .

وعاد عبد الحميد ابو شنيف يسأل : يقول احمد حسين ان رفعتك اتصلت به بعد ذلك فى بيته . . فهل حدث هذا ؟

وقال على ماهر : فعلا . . أنا اتصلت به فى بيته لكى ابلغه انى لم اجد حافظ عفيفى . . وايضا لأعرف آخر الأخبار . .

ثم اضاف رفعة الباشا : وكان عندى سبب آخر دفعنى للاتصال به . . هو ان اتأكد إذا كان يتحدث من بيته ام من مكان آخر .

وكان هذا يكفى لكى يقنع رئيس نيابة الصحافة بأن احمد حسين كان فى بيته . . وان على ماهر نفسه هو الذى حقق الواقعة !

لكن عبد الحميد أبو شنيف فكر . . وحسب المواعيد . . فوجد أن أحمد حسين اتصل بعلى ماهر حوالى الساعة ١١ أو ٣٠ر١١ . . وأن على ماهر اتصل به بعد ساعة تقريبا . .

ووجدها : ان الحرائق حدثت بعد ذلك . قد تبرئ هذه الشهادة احمد حسين من حريق الأوبرا . . لكن الحرائق الأخرى حدثت بعد ذلك . . إذن هناك احتمال أن يكون احمد حسين قد نزل واشترك فى الحوادث

بعد مكالمة على ماهر .. التى قد يكون رتبها .. وتوقع ميعادها .. وفق الخطة التى رسمها لابعاد الشبهة عن نفسه ..

وعاد يوجه الاسئلة .. بحثا عن ثغرات جديدة ..

وقال احمد حسين ان بعض الأشخاص الذين قرأوا خبر مرضى فى الصحف .. اتصلوا بى ليطمئنوا على ..

– مين ؟ . . ومتى ؟

– اتصل بى حافظ محمود رئيس تحرير جريدة «القاهرة» . . واتصل بى الشيخ على الغاياتى رئيس تحرير جريدة «منبر الشرق» ..

واستدعى المحقق الرجلين للتحقيق . . فأيدا أقول أحمد حسين .

وكانت المواعيد التى ذكرت بالنسبة للمكالمتين تثبت أن أحمد حسين بقى فترة الظهيرة أيضا فى البيت .. وتضيع على المحقق عـدة حرائق أخرى . . !

« ولو » ... كان هذا هو شعور رئيس نيابة الصحافة وهو يسأل أحمد حسين : وكيف قضيت بقية اليوم ؟

أجاب أحمد حسين : جولى ناس يزورونا .. زيارة عائلية ..

واشرأب عنق المحقق .. ماهذا الغموض ؟ . . أى زيارة عائلية .. فى مثل هذا اليوم .. لابد أن فى الأمر سر .. آه .. هذه هى ساعات العمل !

لكن أحمد حسين أوضح .. قال : جاء لزيارتنا جماعه أصحابنا

الشيخ الجوهرى محمد ابراهيم والست حرمه . لما وجدونى مريض قضوا معانا اليوم .. اتغدينا سوى .. وفى المغرب تقريبا خرجوا .. حتى أنا تركتهم فى البيت ونزلت ..

وأحضر رئيس النيابة الشيخ الجوهرى ، الرجل البالغ من العمر ٦٠ سنة .. والذى لايعرف شيئا عن السياسة .. واستجوبه .. فقال أنه حضر ومعه زوجته لزيارة الاستاذ الذى كان قد أدى خدمة لابنه وصارت معرفة .. وأنهما تناولا الغداء مع أسرة الاستاذ .. وعند الغروب أستاذنا وعادا لبيتهما ..

وسأل المحقق زوجة الشيخ الجوهرى فأفادت بمثل شهادة زوجها .. لكن وجد رئيس النيابة ثغرة هامة فى شهادات أحمد حسين والشيخ الجوهرى وزوجة الشيخ الجوهرى ..

فأحمد حسين قال أنه استأذن ونزل وهما بالبيت ..

والشيخ الجوهرى قال نحن استأذنا وخرجنا ..

و زوجة الشيخ الجوهرى قالت أن الاستاذ سبقنا ..

ما هذا ، .. أيوجد هنا اللغز ؟

وأجرى المحقق مواجهة بين الزوجين الشيخين .. لكى يكذب أحدهما الآخر !

لكن اسقط فى يده عندما اتضحت الحكاية . فقد استأذنا من الاستاذ .. فى نفس اللحظة التى كان الأستاذ يستعد فيها هو أيضا للنزول . و كعادة الشرقيين حيا أحمد حسين ضيوفه المغادرين وودعهم ..

وبينما هم يتخذون طريقهم نحو باب الشقة .. وكان هو قد تهيأ للنزول تأخر قليلا حتى خرجا من بيته .. ثم نزل على السلم بخطوات سريعة .

وهكذا .. خرج الضيوف من شقة أحمد حسين أولا .. لكنه سبقهم فى الخروج من باب المنزل ..

ولم يعد أمام رئيس النيابة الا أمل واحد .. أن يتضح أن مسألة النزول فى هذا الوقت المتأخر من النهار – وكان أحمد حسين قد حدد الموعد بالساعة الخامسة الا الربع – غير صحيحة ..

– وكيف خرجت من منزلك ؟

– نزل ابنى مصطفى الشارع .. احضر تاكسى .. وقف التاكسى أمام البيت .. فخرجت وركبته .. وكانت الساعة ٤,٤٥ ..

وجاء المحقق بمصطفى ليستجوبه . ولد عمره ١٢ سنة .. أبوه فى السجن وجو التحقيق الرهيب يحيط به .. والاسئلة كبيرة .. لكن الطفل قال الحقيقة .. وكانت بسيطة جداً .. « نزلت دورت على تاكسى .. لقيت .. نزل بابا وركبه .. ومشى التاكسى بيه .. وكانت الدنيا المغرب .. » بس !

كل هذا جرى على يد عبد الحميد أبو شنيف نفسه .. وقد قرأته أنا فى محاضر تحقيقاته .. وكان يكفى جداً لاثبات أن أحمد حسين كان فعلا بمنزله يوم ٢٦ يناير حتى الغروب ..

وكان هناك شىء آخر يمكن أن يجعل النيابة مرتاحة الضمير إلى وجود أحمد حسين بمنزله ..

لكن يبدو أنها لم تكن راغبة فى ذلك .. بعد ..

فقد أعاد رئيس نيابة الصحافة قراءة أقوال الشهود .. و كتب أمام مواعيد المكالمات التليفونية .. والزيارات .. فى جانب ، ومواعيد الحرائق فى جانب آخر .. وا كتشف أنه توجد فواصل بين مواعيد المكالمات والزيارات .. يمكن أن تقع فيها مواعيد الحرائق .. أى أن أحمد حسين تكلم .. واستمع .. وقابل الناس .. وحرق أيضاً ..

وقذف عبدالحميد أبو شنيف باكتشافه الجهنمى فى وجه أحمد حسين .. لكن أحمد حسين الذى كان قد ضاق بتعسف المحقق ، صرخ ساخرا فى مرارة :

« غير معقول أن تتم مكالمة تليفونية ، ثم أنزل من بيتى فى الروضة لاحرق محلا ، ثم أعود إلى بيتى لا تلقى مكالمة أخرى ، ثم أنزل أحرق محلا اخر .. هذا لايتفق مع أبسط قواعد فهم الأمور » — ص ٣١٧ — على أن الاثبات الأخير جاء من عندهم هم ..

فقد كان البوليس السياسى يخصص أحد مخبرية واسمه محمد حسن الشوربجى لمراقبة منزل أحمد حسين . فلما وقعت الحوادث .. وخرج أحمد حسين من بيته دون أن يقبض عليه — وأوامر القبض لم تصدر الا فى المساء بعد اعلان الاحكام العرفية وكانت كلها أوامر اعتقال — استدعى هذا المخبر بالاشارة رقم ٢٥ عن طريق قسم بولاق لمقابلة البكباشى على أبو وافية يوم ٢٧ يناير ، الذى أجرى معه التحقيق التالى :

س — أين كان أحمد حسين أمس (٢٦ يناير) . . ومتى غادر منزله ؟

ج – لم يخرج من منزله إلا الساعة ٤٥ر٤ مساء . وركب تاكسى، وانصرف إلى حيث لا أعلم .

س – وما نمرة التاكسى ؟

ج – لبعدى عن المنزل لم اتبين نمرة التاكسى .

س – ولم لم تأخذ تاكسى وراءه ؟

ج – لم اكلف بهذا .

□ □ □

لم يعد أمام النيابة بد فى التسليم بوجود احمد حسين فى منزله طول يوم ٢٦ يناير . . حتى الغروب .

لذلك انتقلت إلى خط الدفاع . . الأول .

فقالت : أن احمد حسين تمارض . . حتى يدير العمليات . . وينفى الشبهة عن نفسه فى آن واحد .

وللحقيقة . . فان يتمارض . . أو حتى يمرض زعيم سياسى فى يوم كيوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . . هو أمر يحتاج للتحقيق . .

فما حكاية مرض أحمد حسين فى هذا اليوم الخطير ؟

فى الواقع ان احمد حسين لم يكن مريضا يوم ٢٦ يناير . . وإلا لكان ذلك مرضا مفتعلا . . وهذا ما صوره الأستاذ عبد الحميد ابو شنيف فى مرافعته أمام المحكمة . لكن حقيقة الأمر ان احمد حسين كان مريضا منذ يومين قبل يوم ٢٦ يناير .

فكل الذين حضروا المؤتمر الصحفى الذى عقده احمد حسين فى البيت الأخضر يوم ٢٤ يناير يعرفون ان احمد حسين كان بادى الاعياء فى ذلك اليوم ، وأن حرارته ارتفعت ارتفاعا خطيرا ، وان أعضاء حزبه حملوه إلى الدور العلوى حيث أرقدوه على مائدة الإجتماعات فى غرفة مجلس الإدارة . . وانهم حملوه فى سيارة قرب فجر يوم ٢٥ يناير إلى منزله فى حالة شديدة من المرض(١) . .

فهل من غير الطبيعى ان يستمر رجل احترقت اعصابه أياماً طويلة . . وبذل مجهودات شاقة ومكثفة خلال ساعات عصيبة كانت ظروف البلاد فيها غاية فى التأزم . . ان يستمر محموما حتى يوم ٢٦ يناير . . أى يوم ٢٥ الذى وصل فيه بيته عند الفجر . . ثم يوما واحدا بعده ؟

لقد حاول رئيس نيابة الصحافة جاهدا أن يثبت عدم جدية مرض احمد حسين يوم ٢٦ يناير . . فأجرى التحقيقات المطولة مع أخت زوجته التى انتقل إلى بيتها بعد ان مكث بعض الوقت فى منزل شقيق زوجته الدكتور حلمى مراد عندما خرج من بيته مساء يوم ٢٦ . . وكان السؤال الذى يلح عليه : هل طلبتم لأحمد حسين طبيبا . . وما هى الأدوية التى تعاطاها ؟

وكأن النيابة كانت تتصور ان رجلا يستشعر بحسه السياسى أن حياته نفسها فى خطر — وهو ما قد تأكد بعد ذلك — ثم يهرب من بيته ليبحث عن طبيب ودواء . . أو يكون مدعيا المرض ! ؟

الشئ العجيب حقا فى هذه المسألة أن يتحدث كثيرا الأستاذ عبد الحميد

---

(١) راجع شهادة رفعت الشهاوى وشهادة ابراهيم يونس — الملاحق .

أبو شنيف عن تمارض احمد حسين . . بينما هو نفسه متأكد من مرضه . فعندما حدث الاحتكاك المسلح بين شباب الحزب الإشتراكى وشباب الوفد وتبادل الجانبان اطلاق النار جاء البوليس والنيابة . . . وحوصر البيت وأحصر واحتجز جميع من كانوا يحضرون المؤتمر الصحفى . . وحقق معهم . . وجرى استجواب احمد حسين وهو محموم يرقد على مائدة اجتماعات مجلس إدارة الحزب . . وكان المحقق الذى تولى استجوابه هو نفسه رئيس نيابة الصحافة . . الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف !

ولم تستطع النيابة إحراز مكاسب من الضغط على مسألة تمارض احمد حسين يوم ٢٦ يناير . . لأن هذه المسألة كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بجريمة الحرق الجنائى . . التى سقطت . . واضطرت النيابة لسحب المادة الخاصه بها من قرار الاتهام . .

وهكذا تراجعت إلى خط الدفاع الثانى .. فركزت على « التحريض » !

□ □ □

انصبت التحقيقات فى هذه المرحلة على كتابات احمد حسين وما كان ينشر بجريدتى الحزب الإشتراكى من مقالات وأخبار . . اعتبرت الدافع لإرتكاب جرائم حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير . .

وكانت النيابة بذلك تسلم بأنها فشلت فى إثبات جريمة التحريض المباشر من احمد حسين . . واكتفت بالتمسك بالتحريض غير المباشر . .

ما الذى كتبه احمد حسين ونشرته صحفه ، واتخذته النيابة دليلا على التحريض على حرق القاهرة ؟

يقول قرار الإتهام أن جريدتى المتهم نشرتا :

١ ــ مقالا تحت عنوان «الثورة الثورة الثورة» من تأليف المتهم الأول فى العدد ٢٧٥ من جريدة مصر الفتاة بتاريخ ١٩٥١/٩/٢٣ جاء به « ثورة طاغية عارمة هى التى تعمل لها الحكومة بالليل والنهار وبهمه لاتعرف الكلل ونحن الذين أخذنا على عاتقنا أن نبصرها بالخطر المحدق وأن ننصحها ونندرها لنشعر من يوم لآخر ومن ساعة لأخرى بأن الأمل فى تفادى هذه الثورة أصبح ضعيفا ويوشك أن يتلاشى نهائيا ستقع حتما بحيث يمكن أن نحدد لها موعدا على وجه التقريب وهو نوفمبر أوديسمبر من هذا العام » إلى أن قال « ولقد سئمنا نحن من ناحيتنا أن نلعب هذا الدور فإن هذا الشعب يجب أن يجد متنفسا من أى نوع كان ، حتى يستفرغ غضبه بالطريق الطبيعى حتى لايحدث الانفجار الذى لامعدى عنه ولامحيص مادامت هذه خطط الحاكمين وهذا عنادهم وهذا استهتارهم بهذا الشعب » وغير ذلك من عبارات الحض على الثورة التى تضمنها هذا المقال .

٢ ــ مقالا منشورا بجريدة الشعب الجديد بالعدد ١٤ بتاريخ : ١٩٥١/٩/٢٧ من تأليف المتهم الأول تحت عنوان « خلاص أيها المصريون اتعدلت » جاء به تعليقا على تعديل فى هيئة الوزارة تم فى تاريخ مقارب لصدور هذا العدد « عايز أقول أنها لم تعدل بعد وان تعدل الا إذا أدركتم أنكم فى واد ، وأن الشعب والأمة فى واد ، وأن الثورة التى نحذركم منها تقترب وتقترب ، وأصبح دويها يصم الآذان » . . . .

٣ ــ مقالا فى العدد ٢٨٢ من جريدة مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/١٨ فى هيئة خطاب من تأليفه تحت عنوان « الحزب الاشتراكى يحتفل بذكرى الشهداء » جاء به « لم تحتشد هذه الجموع وتقضى الساعات فى الزحام

الشديد لتسمع خطابا أو كلمة وانما لتعرف الاتجاهات والخطط لكشف المعركة بين الشعب واعداء الشعب - وعلى هذه الصفحات يطالع الشعب الخطوط الرئيسية لهذه الخطط وهذه السياسة - أيها الشعب لقد حطمت بالأمس قيودك فلاانحناء للرأس بعد اليوم . واسمعى أيتها الحكومة لاتتخذى قراراتك ولاتتخذى قوانينك من هنا ولا من هناك ، ولكن اتخذيها من هناك ، من الشارع ، من الشعب . ان الذى ينظم كفاح الشعب هم عمال القنال هؤلاء الحدادون هؤلاء النجارون وهؤلاء الذين يحاربون اليوم الانجليز لاليعودوا عبيدا لهؤلاء الباشوات ولا ليعودوا تحت هذه القيود ، انما نطلب منك أن تضحى أيها الشعب من أجل نفسك ولقد اتيحت لكم الفرصة لتتسلحوا وتنظموا صفوفكم . فلا تسمحوا للتفكك والخيانة والغدر أن تندس بين صفوفكم » . . . .

٤ - مقالا فى جريدة مصر الفتاة العدد ٢٦٧ بتاريخ ١٩٥١/٧/٢٢ وقبل الغاء المعاهدة بمدة طويلة تحت عنوان « صيحة التحرير » جاء به بصدد الدعوى إلى تأليف كتائب خاصة بمحاربة الانجليز «وحين تتألف هذه الكتائب جهرا أو سرا لن يكون هناك خطر من وقوف الطابور الخامس فى صفوفها والحيلولة بينها وبين لقاء الانجليز وجها لوجه . ان الجيش المصرى لن يقف فى طريق الكتائب المصرية لأن الضباط والجنود الشرفاء يؤمئذ لن يقتلوا اخوانهم وأولادهم فى سبيل الانجليز . وأن البوليس المصرى لن يقف فى وجه الكتائب الزاحفة ؛ ذلك أن الضباط والعساكر الشرفاء يومئذ لن يقتلوا أبناءهم واخوانهم فى سبيل الانجليز » . .

٥ - مقالا بالعدد ١٦ من جريدة الشعب الجديد فى ١٩٥١/٨/٢ تحت عنوان « فى ساحة الشرف » جاء به « لقد جردت القيصرية الروسية

جيوشها لتقاتل جميع الشعب . . ولكن هذه الجيوش ذاتها انضمت إلى معسكر الشعب عندما جد الجد . ولقد ذهب نابليون بجنوده لاخماد الثورة ولكنه انضم بجنوده إلى الثورة . وكذلك ذهب قره بكير ليقبض على مصطفى كمال والثائرين معه فى الأناضول فكانت القوة التى كانت معه هى نواة جيوش التحرير بقيادة مصطفى كمال » . . . .

٦ — مقالا فى العدد ٢٦٩ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/٨/١٢ من تأليف المتهم الأول تحت عنوان « انصبوا المشانق ولكن الشعب سينتصر » .. « انتهى العهد الذى يظن فيه الحكام أنهم قادرون على البطش بالشعب عن طريق البوليس والجيش والنيابة وأصبح الجيش يحس أنه من الشعب والبوليس يحس أنه من الشعب والنيابة تحس أنها من الشعب. وستأتى ساعة تتكتل فيها هذه القوى الثلاث ضد الحاكم نفسه . فى يوم من الأيام بينما يدعو النيابة إلى قطع رقبة انسان ، إذا بالنيابة تتحول نحو الحاكم نفسه لتقول له : بل رأسك أنت التى سوف تقطع ، تماما كما حدث أيام روبسبير فقد وقف يطالب القضاة بقطع رقبة بعض الخونة فإذا بالقضاة يصدرون حكما بقطع رقبته هو لأنه الخائن الاعظم . فلاشك عندنا فى نتيجة هذه المعركة التى تدور بيننا وبين الحكام والنتيجة المحتومة هى الهزيمة والوبال لمعشر الحكام » ...

٧ — مقالا تحت عنوان « انها إرادة الله » فى العدد ٢٨١ من الشعب الجديد بتاريخ ١٩٥١/١١/٢٢ جاء به «والكلمة الآن لهذا الشعب . للشعب كله. شعب القاهرة والاسكندرية والدلتا والصعيد . إن القاهرة مازالت عامرة ودور السينما مازالت عامرة . وهذا ينبىء عن أن أعصاب هذا الشعب لم تعبأ بعد . وهذا ما يجب على الطبقة الواعية من الشعب أن تنهض به . إن دوريات من الشعب الواعى المنظم يجب أن تتولى ايقاظ

«الملطوعين على المقاهى والسكارى فى البارات والكباريهات والغارقين فى دور السينما . أما السادة الذين لايريدون أن تسيل أموالهم تبرعات فلهم حساب غير هذا الحساب » ...

٨ ـ مقالابالعدد ٢٨٣ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/٢٥ تحت عنوان « لماذا تبقى الكباريهات والسينمات والمقاهى مفتوحة إلى منتصف الليل » جاء به « على أى أساس تظل السينمات تستقبل عشرات ومئات الألوف من رواد اللهو وقطع الوقت كأن ليس هناك حرب فى منطقة القنال » ثم طلب من الحكومة صدور أمر منها بمنع اطالة السهر وعلق ذلك بالقول « فإن لم تفعل الحكومة ذلك فإنها ستكون مقصرة . سترتكب نفس الجريمة التى ارتكبتها حكومة مصر ابان حرب فلسطين . كان فريق يجود بدمائه من أجل فلسطين والوطن وباقى الشعب هنا فى الكباريهات والحفلات الماجنة الخليعة مما أفقد الضباط والجنود روحهم المعنوية فحدث مما يكفى أن نشيرإليه ومالا نريد أن يتكرر » ...

٩ ـ مقالا فى العدد ٢٨٥ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١٢/٩ تحت عنوان « وأمرنا المحافظ أن يقاوم أى اعتداء » من تأليف المتهم الأول جاء به «هل ستظلون أيها السادة الوزراء . هل ستظل يامصطفى النحاس تعيش فى الهانك والرنك ، والأفراح والزينات . وهل ستظل حفلات الغناء والهناء تشنف الآذان ونوادى القمار تجرى لمستقرها . إن شعور الغضب الذى تملك الشعب الآن لاأول له ولا آخر وهو يبحث له عن منفذ لينطلق منه : والأبخرة والحمم والمتفجرات تبحث دائما عن أضعف نقطة لتنفجر منها ؟ ولواستمرت الحكومة أسبوعا واحدا على أسلوبها الذى سارت عليه حتى الآن فان الانفجار سيتم ضد الحكومة نفسها وينسفها نسفا . هل تسمعنى الحكومة . انى أقول أسبوعا واحدا . لاأقول شهرا أو شهرين ولكنى أقول أسبوعا واحدا أو سبعة أيام » . . . .

١٠ – مقالا فى العدد ٢٦ من الشعب الجديد فى ١٩٥١/١٠/١٨ تحت عنوان « قاطعوا سينما ريفولى الإنجليزية الاستعمارية » ومقالا آخر فى العدد ٢٨٠ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/١٤ تحت عنوان « سينما ريفولى تعترف بأنها انجليزية وكل مصرى يدخلها يعد خائناً للوطن » . ومقالا ثالثاً فى العدد ٢٨١ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/١١ تحت عنوان « سينما ريفولى يجب أن تغلق وكفى تحذيراً للشعب » . ومقالا فى العدد ٣١ من الشعب الجديد فى ١٩٥١/١١/٢٢ تحت عنوان « خائن حقير كل من يدخل سينما ريفولى » سينما انجليزية ، ولا تدفع قرشاً لإخوان جعفر – معلومات وحقائق . ومقالا سادساً فى العدد الآنف الذكر تحت عنوان « ومأمور قسم الأزبكية لا يزال يظن أنه فى عهد الجاهلية » . ومقالا سابعاً فى العدد ٣٢ من الشعب الجديد فى ١٩٥١/١١/٢٩ تحت عنوان « حول سينما ريفولى . نحن نتهم بعض رجال البوليس بأنهم لا يعملون لحساب مصر ولا يصدعون لأوامر الحكومة » . ومقالا ثامناً فى العدد ٢٨٦ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١٢/١١ تحت عنوان « مجرم وعدو الشعب كل من يدخل سينما ريفولى ، وعلى الشباب أن يقوم بواجبه» . ومقالاتاسعاً فى العدد ٢٨٨ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/١٨ تحت عنوان « إنذار لسينما ريفولى ورواد سينما ريفولى » ومقالا عاشراً فى العدد ٢٨٩ من جريدة مصر الفتاة فى ١٩٥١/١٢/٢٣ تحت عنوان « حول حادث سينما ريفولى ، هذا ما خشينا وقوعه » . وقد جاء فى هذه المقالات من عبارات التحريض على تلك الدار أنه « لا يكفى أن تقف الغالبية موقفاً سلبياً إذا كانت هناك أقلية مستهترة عابثة . ولسنا نطالب بإغلاقها أو تدميرها ولكنا نطالب أبناء الشعب المخلصين أن يقفوا على أبوابها صفاً واحداً وأن يحولوا بتكتلهم فى كردونات منظمة دون الدخول إليها » . و « أن أخوف ما نخاف إذا استمر البوليس يتعرض لهذا الأسلوب السلبى الذى يلجأ إليه

الشبان الذين ينفذون تعليمات محددة أن يفلت الزمام ويتغلب الغضب فإذا ببعض الشبان ممن لا ينتمون إلى أحزاب أوهيئات منظمة يعمد إلى أعمال مخالفة للقانون . هذه آخر مرة سنتحدث فيها عن هذا الموضوع وبعدها سنرفع يدنا عن الاشتراك فى هذه المهزلة تاركين سينما ريفولى لمصيرها وننذر البوليس أنهم إذا لم يسمحوا للمتطوعين النظاميين أن يقوموا بالمقاطعة القانونية فسوف يسحبهم الحزب الاشتراكى ويخلى بين السينما والجمهور وبين الشعب ليعبر عن سخطه على السينما وعلى روادها الأنذال بما يعن له من تعبير » و « لفتت الاشتراكية الأنظار إلى أن بقاء هذه السينما مفتوحة سيؤدى إلى أوخم العواقب » ...

١١ — مقالا فى العدد ٢٧ من الشعب الجديد فى ١٩٥١/١٠/٢٥ تحت عنوان « شركة كوهنكا اليهودية تستغل » جاء فيه « أما آن لمصر أن تتخلص من هؤلاء اليهود أصدقاء البريطانيين والقراصنة » وغير ذلك من العبارات التى تحرض على مؤسسات الرأسمالية .

١٢ — بياناً فى العدد ٢٨١ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١١/١١ تحت عنوان « مخابرات الكتائب الاشتراكية تعمل . معلومات عن الشركات والمؤسسات التى تتعاون مع الأعداء » . وبياناً فى العدد ٢٨٣ من مصر الفتاة فى ١٩٥١/١٠/٢٥ تحت عنوان « مخابرات الاشتراكية تزيح الستار عن خونة جدد » . وقد تضمنت هذه البيانات قوائم بأسماء بعض الشركات والتجار الذين قيل أنهم يتعاملون مع الإنجليز . ودعت إلى تحذيرهم وأمهلتهم أسبوعاً واحداً لكى يثبتوا أنهم قطعوا كل علاقة بينهم وبين أعداء البلاد وإلا طبق عليهم قانون الشعب وهو إعدام كل خائن .

١٣ — ونشرت الشعب الجديد فى العدد ٢٧ فى ٢٥ أكتوبر ١٩٥١

تحت عنوان « بنك باركليز الانجليزى ــ اسحبوا أموالكم منه » . وفى العدد ٢٨ فى أول نوفمبر تحت عنوان « بنك باركليز الانجليزى يصفى شئونه ويستعد للإغلاق » . وفى العدد ٣١ فى ٢٢ نوفمبر تحت عنوان « إلى عملاء بنك باركليز من المصريين » . وفى العدد ٣٤ فى ٢٣ ديسمبر تحت عنوان « بنك باركليز . جمدوا أمواله وضعوه تحت الحراسة » . وفى العدد ٢٨٢ من مصر الفتاة فى ١٨ نوفمبر تحت عنوان « بنك باركليز يبدأ فى طرد موظفيه المصريين » مقالات تضمنت التحريض على هذا البنك .

وكانت هذه المقالات والمواد الصحفية تنقسم إلى قسمين ، أحدهما كتابات لأحمد حسين نفسه . . والآخر مواد يتحمل مسئوليتها رؤساء التحرير . . وقد تحمل أحمد حسين مسئوليته عن كل ما كتبه . .

وكانت نيابة الصحافة قد قدمت أحمد حسين وعبد الخالق التكية للمحاكمة أمام محكمة الجنايات فى القضية رقم ٦ صحافة سنة ١٩٥٠ لكتابة الأول مقالات وسماح الثانى بنشرها فى جريدة الاشتراكية تتضمن « تحريضاً علنياً ومباشراً على ارتكاب جنايات القتل العمد والحريق العمد » و « تحريضاً علنياً على بغض طائفة الرأسمالية وعلى الازدراء بهم ، تحريضاً كان من شأنه تكدير السلم العام » .

ونظرت القضية بعد حريق القاهرة . . وصدر الحكم فيها فى ٢٧ مارس ١٩٥٢ .

وحضر أحمد حسين وعبد الخالق التكية وهما مقبوضاً عليهما على ذمة قضية التحريض على حرق القاهرة . .

وتتضمن الحكم إشارة إلى ماوقع فى البلاد من حوادث ٢٦ يناير . .

وقرر براءة أحمد حسين وعبد الخالق التكية . ورفض ما ادعته النيابة من أن هذه المقالات تمثل تحريضاً للناس على ارتكاب الجنايات « لأن التحريض هو حض الجماهير على أن يقوموا ويحرقوا وينهبوا » . . وهو ما لم يحدث .

وكان ذلك الحكم فى الواقع حكماً على ما جاء بقرار الاتهام فى قضية التحريض على حرق القاهرة خاصاً بمقالات التحريض المنسوبة لأحمد حسين . .

ولذلك ركزت النيابة على القسم الآخر . . وهكذا جرى فيه التحقيق بتوسع :

□ التحقيق مع أحمد حسين :

س : سبق أن سألناك عن رأيك فى استمرار الجريدة على مهاجمة دور اللهو ووقوع الحوادث على الصورة التى جاءت فى أعداد الجريدة ومقالاتها . .

ج : قلت أننى أرجو أن لا توجه إلى النيابة كلاماً بصدد الجريدة فقد انقضت منذ ألغيت المعاهدة إلى حين حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ أربعة أشهر أو ثلاثة على الأصح قضيت الشهر الأول منها فى السجن ولم يكن لى علاقة بالجريدة ، وقضيت الشهر الثانى أطوف فى البلاد والشهر الثالث كنت فى مديرية الشرقية . وما بقى بعد ذلك من الوقت صودرت فيه الجريدة ، فلا صلة لى بالجريدة طوال هذه الفترة : وللسؤال على الصحف والتحقيق فى قضاياها طريق ليس فى مصر كلها من يحذقه كحضرة المحقق الفاضل . فالتحقيق

فى الصحف لا يكون بالجملة ولا يوجه على هذه الصورة فى تحقيق جنائى (ص ٥٢٥ ج ٦ — ملف ١)

□ التحقيق مع الامير موسى :

س : هل كنت رئيساً لتحرير العدد رقم ٢٦ الصادر فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ ؟

ج : نعم كنت رئيس تحرير هذا العدد

س — جاء فى هذا العدد مقال تحت عنوان قاطعوا سينما ريفولى . . فهل اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره ؟

ج — نعم اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره لأننى لم أر فيه ما يخالف الشعور العام الذى كان موجوداً فى ذلك الوقت خاصة وأن الحكومة القائمة قد سلكت سبيل مقاطعة الانجليز والمفهوم أن المقاطعة كانت فى حدود النظام والقانون

س — هل كنت أيضاً رئيس التحرير لجريدة الشعب فى العدد رقم ٢٧ الصادر فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩٥١ ؟

ج — نعم

س — جاء فى هذا العدد أيضاً تحت عنوان « بنك باركليز الانجليزى — اسحبوا أموالكم منه » وهذا المقال يدعو فيه محرره المصريين إلى مقاطعة هذا البنك فهل اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره ؟

ج — نعم اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره ولا لوم ولا تثريب على كل من كان يدعو لمقاطعة الإنجليز أو إلى حربهم فى القنال خاصة وأنه قد ورد فى هـذا المقال المشار إليه ما نصه « ولسنا نطالبه

الشعب بالاستيلاء على البنك وإنما هذه الأموال المودعة به هي أمانة في عنق الحكومة . وكل الصحف والمجلات في ذلك الوقت كانت تدبج المقالات بمثل هذا المعنى .

س — هل اطلعت على مقال شركة كوهنكا اليهودية وأذنت بنشره ؟

ج — نعم اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره حيث أنه لا يتضمن شيئا

س — هل كنت تشترك في وضع سياسة الجريدة فيما عدا المقالات؟

ج — لم أكن مشتركاً في سياسة الجريدة لأنه ليست هناك هيئة بذاتها تشرف وتهيمن على توجيه سياسة الجريدة . وكل ما في الأمر أنني مسئول بوصفي رئيس التحرير عن نشر هذه المقالات المشار إليها . .

☐ التحقيق مع محمود المليجي :

س — هل كنت رئيساً لتحرير جريدة مصر الفتاة العدد رقم ٢٢٧ ؟

ج — نعم كنت أنا رئيس التحرير ولكن هذا العدد صودر . .

س — هل كنت أيضاً رئيساً للتحرير في العدد ٢٨٠ الصادر في ٤ نوفمبر ؟

ج — نعم .

س : جاء بهذا العدد تحت عنوان : سينما ريفولي تعترف بأنها انجليزية فكل مصري يدخلها يعد أنه خائن لوطنه ، فهل اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره ؟

ج — نعم

س — هل تذكر كاتب هذا المقال ؟

ج ـ لا

س ـ ما الذى دعاك للإذن بنشر هذا المقال ؟

ج ـ هذا المقال يعبر عما كان يخالج نفس كل مصرى من مقاطعة الانجليز والمؤسسات الانجليزية وليس فيه ما يعد خروجاً على القانون

س ـ ألم تأخذ رأى أحد من رجال الحزب قبل أن تأذن بنشر هذا المقال ؟

ج ـ لا . .

☐ التحقيق مع عبد الخالق التكية :

س ـ هل كنت رئيساً لتحرير مصر الفتاة فى العدد ٢٧٤ الصادر فى ١٦ سبتمبر ؟

ج ـ نعم

س ـ هل اطلعت على المقال الوارد بهذا العدد تحت عنوان « ضباط الجيش ينزلون الميدان » ؟

ج ـ نعم .

س ـ جاء فى هذا المقال ما يعد تحريضاً على إثارة الجند ؟

ج ـ ليس فى هذا المقال أى تحريض وإنما فيه إشادة بالجيش ضباطاً وجنوداً

س ـ جاء فى هذا العدد أيضاً مقال تحت عنوان « انصفوا جنود البوليس فإنهم من أبناء الشعب » وفى هذا المقال ما يعد تحريضاً ، فهل اطلعت على هذا المقال وأذنت بنشره ؟

جـ – نعم اطلعت على هذا المقال وهو لا يتضمن بدوره أى إثارة بل إن الكلام فيه موجه إلى الحكومة ووزير الداخلية . .

(ص ١٠٣ وما بعدها – جـ ٦ – ملف ١)

□ مَن أقوال سليمان زخارى :

« لم يعرض على هذا المقال إذ أن المقالات التى توقع باسم الأستاذ أحمد حسين سواء كان هو الذى كتبها ووقعها باسمه أم كتبها غيره ووقعها باسم أحمد حسين ، ويحصل أحياناً أن يكتب أحد المحررين غير الأستاذ أحمد حسين كالأستاذ ابراهيم الزيادى المشرف الفعلى على تحرير الجريدتين ويوقعها باسم الأستاذ أحمد حسين لا مانع من ذلك ، وعلى كل حال فمقالات الأستاذ أحمد حسين تسلم مباشرة للأستاذ ابراهيم الزيادى المشرف على التحرير فإن شاء عرضها على وإن شاء لم يعرضها . . (ص ٥٧٩)

وهكذا كشفت التحقيقات عن عدم مسئولية أحمد حسين عن القسم الآخر من مادة التحريض فى قرار الاتهام . وأن رؤساء تحرير صحف الحزب الاشتراكى تحملوا مسئوليتهم عن هذه المادة . .

أما أحمد حسين فقد دافع عن نفسه وهو يدفع تهمة التحريض بأنه :

« قد دلت التحقيقات فى حوادث ٢٦ يناير على أنه لم يقبض على اشتراكى واحد بتهمة ارتكاب حادث من هذه مع أنهم كان يجب أن يكونوا فى الطليعة ، بل لم يقبض على أى شخص طالع الاشتراكية أو مقالات الاشتراكية ، بل أن تسعة وتسعين فى المائة من مرتكبى

الحوادث كانوا أميين لا يعرفون القراءة أو الكتابة
ولا صلة لهم بالسياسة أو الأحزاب عن قرب أو بعد »

(مذكرة الدفاع – ص ٤٣)

فهل بقى شيء مما يسمى بالتحريض . . يتهم به أحمد حسين ! ؟

□ □ □

هل معنى ذلك أن أحمد حسين برىء من جريمة حريق القاهرة ؟

لا . . ليس بعد .

فلا يزال هناك شاهد يقول أنه رأى أحمد حسين فى مسرح الحوادث يوم ٢٦ يناير . ؟

ونحن نعتقد أنه شاهد صادق .

لكن . . ألم يتضح بجلاء . . ويثبت ثبوتاً يقينياً أن أحمد حسين كان بمنزله ذلك اليوم حتى الساعة الخامسة إلا الربع . . وهو موعد يتجاوز الموعد الذى قال الشاهد جلال لطفى أنه شاهده فيه ؟

فما هذا اللغز ؟

فعلا هو لغز مثير . . صنعته صدفة عجيبة . . !

فى صباح يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ خرج مواطن يعمل مزارعاً من منزله بمصر الجديدة . . ومر على صديق له بمنشية البكرى . . وأخذه معه فى سيارته . . وتوجها إلى البلد بغرض النزهة .

كانا ممن لا يعملون بالسياسة . . ولا الشئون العامة . . ولذلك فقد كانا خاليي البال من أى شيء غير طبيعى يمكن أن يصادفهما فى ذلك اليوم ..

لكنهما عندما أصبحا فى وسط البلد . . وجدا نفسيهما فى وضع صعب : الحوادث بدأت . . التجمعات تملأ الشوارع . . المرور مضطرب وأخذا يحاولان الخروج من الحصار . . لكنهما كانا كلما اتجها إلى مخرج وجداه مغلقا . . فعادا يحاولان من الناحية الأخرى . .

وهكذا اضطرا للتردد على مناطق وسط البلد أكثر من مرة . .

ولفت تكرار مرور السيارة التى يركبها هذان الشخصان نظر البعض ممن كانوا سعداء جداً بجو الفوضى فى ذلك اليوم العصيب . . فأخذوا يستوقفونها . . بالذوق مرة وبالإرغام مرة أخرى . .

واستطاع البعض أن يركب فوق السيارة . . واستطاع البعض الآخر أن يتعلق على « الرفارف » . . وتمكن البعض الثالث من فتح الأبواب والجلوس بداخل السيارة . .

ورأى المنظر بعض المواطنين الذين تصادف وجودهم بالاماكن التى مرت بها السيارة . .

كما لاحظها ضابط المرور محمود عبد السميع وسجل رقمها على خزان الموتوسيكل الذى كان يركبه . . وكان ١٦٤٤١ ملاكى مصر . .

وكانت ماركة السيارة ستروين . . سوداء !

وبالبحث فى المرور اتضح أن مالك السيارة اسمه على عبد الحليم هاشم

وجىء به . فقال أنه مالك السيارة . وأنه كان فعلا فى الأماكن التى قال الشهود أنهم رأوه فيها . وأن الشخص الوحيد الذى يعرفه وكان معه من الذين ركبوا السيارة ذلك اليوم هو صديقه على محمد عبد الرحمن جاد الله .

وتولى التحقيق جمال العطيفى. فاستمع إلى الشهود : الملازم عبد السميع

محمود ضابط المرور ، ووليم ماركو سيتون : وموريس باخور أبو حريزة ، ومحمد هادى إسماعيل ويوسف موسى ليفى وجلال لطفى . . الذى كان على معرفة عائلية بعلى محمد عبد الرحمن جاد الله !

وطلب المحقق تقريراً عن الشخصين من البوليس السياسى — فكتب البكباشى محمد الجزار تقريرا عن تحرياته عنهما قال فيه أنهما « ليس لهما لون سياسى ، ولا ينتميان لأى هيئة حزبية وأنهما ليس لهما أى تاريخ سياسى سابق »

من هذا التقرير . . ومن المتهمين . . والشهود . . استخلص المحقق رأيا واضحا ، واتخذ بالفعل قرارا بأن .

« يخلى سبيل المتهمين ، مالم يكونا محبوسين لسبب آخر وتسلم لكل منهما السيارة الخاصة به والأوراق المتعلقة بها »

(ص ١٦ من محضر التحقيق)

لكن قرار وكيل النيابة لم ينفذ . . وضم البريئان على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله إلى قائمة المتهمين . . ليصبح قرار أحمد حسين مليئا بعض الشىء . .

وأيضا لأن الواقعة الوحيدة التى ذكرت فى شهادات الإثبات ضد أحمد حسين كانت هى واقعة التجول بالسيارة فى أماكن الحوادث . . وهى نفسها واقعة السيارة التى كان يمر بها على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله . .

لكن . . من أين جاءت نسبة واقعة واحدة إلى هذين الشخصين مرة . . وإلى أحمد حسين ومحمد جبر حسن وممدوح عبد المقصود مرة أخرى ! ؟

هذه هي الصدفة العجيبة ..

فقد كان على عبد الحليم هاشم هذا شبيها بأحمد حسين !

وكان البوليس السياسى يعرف هذا .. ولذلك لم يسمح بتصوير على عبد الحليم هاشم ونشر صوره فى الصحف .. حتى لايدرك الرأى العام السر !

وعندما بدأت المحاكمة شاءت الظروف أن لايجتمع أحمد حسين وعلى عبد الحليم هاشم فى مكان واحد . فأثناء نظر القضية أمام المحكمة العسكرية كان أحمد حسين يحتج على المحاكمة بالاضراب عن الطعام وعدم حضور الجلسات . وعندما حضر وترافع عن نفسه كان ذلك أمام محكمة الجنايات عند نظر التظلم من عدم شموله بالعفو .. لم يحضر على عبد الحليم هاشم .. لأنه لم يكن من المتظلمين .. !

أخيرا .. إن جلال لطفى هو الشاهد الوحيد فى القضية كلها الذى قال أنه شاهد أحمد حسين فى مسرح الحوادث . . ولم تجر النيابة عرضا يتعرف فيه على أحمد حسين ..!

وفى نفس الوقت عندما أجرى جمال العطيفى عرضا لعلى عبد الحليم هاشم وعلى جاد الله .. تعرف جلال لطفى على على جاد الله لأنه كان يعرفه معرفة عائلية كما سبق أن قلنا .. وقال أنه هو الذى رآه فى السيارة فى مسرح الحوادث .. وأن الشخص الآخر – على هاشم – هو الذى كان يركب معه .. والذى ظنه أحمد حسين !

هل وضح سر الصدفة العجيبة .. فى حوادث ٢٦ يناير ! ؟

رغم كل ماتقدم .. صدر قرار الاتهام المذكور ..
وسيق أحمد حسين ومن معه إلى المحاكمة ..

□ □ □

استغرق التحقيق مع أحمد حسين وأعضاء الحزب الاشتراكى ، منذ بدأ فى ٢ فبراير حتى صدر قرار الاتهام حوالى مائة يوم .

وتحدد لنظر القضية يوم ١٨ مايو .. أى بعد صدور قرار الاتهام بخمسة أيام فقط . بعد أن أحيلت إلى محكمة عسكرية برياسة حسين خليل طنطاوى .

وحتى تتم المحاكمة فى هذا الموعد الفلكى .. أشر رئيس المحكمة على ملف القضية بأعجب تأشيرة سجلها تاريخ القضاء المصرى . فقد أمر بأن :

« يعلن قرار الاتهام للمتهمين اليوم .. وينتدب
الاساتذة الظاهر حسن أحمد للدفاع عن المتهم الأول ،
و .. ويخطر حضراتهم بهذا الانتداب اليوم ..
وينسخ دوسيه القضية اليوم .. » (١)

(١) أحمد حسين قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة ومقدمات ثورة ٢٣ يوليو — مقالات . تقارير اتهام . أحكام — القاهرة ١٩٥٧ . ص ٣٥٠

لماذا كان هذا الاستعجال ؟

كانت القضية قد قدمت إلى حسين طنطاوى . وكان هذا القاضى ممن عرفوا بالقسوة .. والذين اكتسبوا خبرة واسعة فى محاكمة السياسيين بصفة خاصة .. وتوقيع أشد العقوبات عليهم .. كما كان موضع ثقة خاصة من القصر والدوائر الحاكمة ..

وكان حسين طنطاوى يوشك أن ينهى مدة خدمته .. ليحال إلى المعاش يوم ٧ يونيو ١٩٥٢ .

وكان مطلوبا أن ينظر هذه القضية ويصدر فيها الحكم .. خلال المدة المتبقية له .. وهى لاتزيد عن ٢٤ يوما من صدور قرار الاتهام .. و١٩ يوما من تحديد موعد أول جلسة للمحاكمة !

وبدا ذلك لأحمد حسين .. ولهيئة الدفاع عنه .. أمرا مثيرا للشكوك وإشارة واضحة لما يراد بهم .

ودارت بين الطرفين (المحكمة وحسين طنطاوى من ناحية ، وأحمد حسين ومحاميه من ناحية أخرى) مبارزة من أعنف .. وأروع المبارزات التى شهدتها ساحة القضاء المصرى عبر تاريخه كله ..

فمثلما راهنت السلطات على أن ينظر حسين طنطاوى القضية .. راهن أحمد حسين على تفويت هذه الفرصة ذاتها .. بالإفلات من قبضة حسين طنطاوى !

وبدأت المبارزة ..

طلب أحمد حسين من المستشار حسين طنطاوى أن يتنحى عن نظر القضية .. لأنه سيحال إلى المعاش بعد أيام معدودة .. لاتكفى لنظر القضية بصورة طبيعية ..

ولم يستجب حسين طنطاوى طبعا . . وأيدته فى تمسكه بنظر القضية هيئة المحكمة . : وطلبت من أحمد حسين ، إن كان لايريد أن يحاكم أمامها أن يلجأ إلى الطريق القانونى لذلك .. وهو طلب « رد » المحكة ..

وفعل أحمد حسين . وتقدم بطلب رد هيئة المحكمة المكونة من المستشار حسين طنطاوى والمستشار محمود مرسى والمستشار صلاح الدين حسن والأميرالاى أحمد حسين شاهين والأميرالاى مصطفى حسن محمد ..

وكانت أسباب الرد هى :

١ — أن هذه الهيئة نفسها سبق لها أن أبدت رأيها فى القضية المطروحة عليها ، عند إصدارها للأحكام فى القضايا الخاصة بحوادث حريق القاهرة بأن عزت تلك الحوادث إلى المقالات التى كانت تنشرها بعض الصحف مقررة بذلك أن الحوادث وقعت نتيجة التحريض . . « وعينت نوع هذا التحريض بأنه جاء عن طريق نشر هذه المقالات وهى أمور لم تحققها المحكمة ولم يطلب إليها الفصل فيها وإنما تبرعت بإبداء رأيها بشأنها » . . ومعنى ذلك أن الهيئة قطعت سلفا برأى فى مسئولية ناشرى المقالات التى اعتبرتها مادة التحريض .. وبينهم طالب الرد ..

٢ — وجود عداوة بين هيئة المحكمة وبين طالب الرد . فقد ثار نزاع بينه عندما كان يدافع عن المتهمين فى قضية « الأوكار » فى القضية رقم ٧٨ شبرا عسكرية عليا سنة ١٩٤٩ وتمسك بحق من حقوق موكليه ، فرمته المحكمة بأنه يعمل على تعطيل العدالة وأجلت القضية إلى أجل غير مسمى . وقد اضطر الطالب إلى نشر بيان فى الصحف اتهم فيه المحكمة بأنها تهدد مصلحة المتهمين لخلاف بينها وبين الدفاع .. مما لابد أنه ترك أثراً فى نفس المحكمة لايسمح لها بأن تكون بريئة من الهوى . .

وذكر أحمد حسين أنه التقى يوما بحسين طنطاوى فى مبنى نيابة الصحافة فسأله : كيف تبقى مطلق السراح حتى الآن ؟ وهدده إن هو وقع فى يد. متهما فى أى شيء . وقال أنه لايتصور أن يحاكم أمام قاض هذه هى نيته إزاءه !

٣ — وجود مصلحة شخصية لرئيس الهيئة فى نظر القضية ، فقد نشر حسين طنطاوى فى الصحف (المصرى — ١٣/ ٥/ ١٩٥٢) و (المصور — ١٥/٥/١٩٥٢) أنه ينتظر أن يفصل فى هذه القضية وينتهى منها قبل احالته إلى المعاش فى ٧ يونيو . وأن رئيس المحكمة أرجأ الفصل فى بعض القضايا المتداولة أمامه والتى كانت محددة لها جلسات فعلا . . لكى يتفرغ لنظر قضية أحمد حسين .. وهذا الحرص لابد أنه يخفى وراءه مصلحة شخصية يبتغيها المستشار حسين طنطاوى . .

ودلل أحمد حسين على هذا الحرص بما لجأ اليه رئيس المحكمه من استعجال شديد لايتناسب مع ظروف قضية مطلوب فيها الحكم بإعدام رئيس حزب سياسى .. لأول مرة فى تاريخ مصر . والمبادرة إلى انتداب محامين حتى يضمن عدم تأجل القضية منذ الجلسة الأولى ، بأن يحتج المتهمون بأنهم يريدون فرصة لتوكيل محامين ..

وبسبب هذا الاستعجال اضطرت المحكمة إلى اتباع أساليب شاذة فى نسخ ملف القضية البالغ أكثر من عشرة آلاف صفحة .. فلم يقم بنسخه موظفو المحكمة المختصون والذين حلفوا اليمين القانونية على القيام بهذا العمل بذمة وأمانة ، وإنما انتدبت جيشا من موظفى وزارة الداخلية للقيام بهذه العملية ليل نهار . . مما يجعل العمليه كلها موضع شك .. بل واضطرت

النيابة — للسرعة — أن تأمر بنسخ بعض التحقيقات التى أجرتها .. وليس كل التحقيقات[1] ..

□□□

ونظر طلب رد هيئة المحكمة . لكنه بدلا من أن ينظر أمام هيئة أخرى محايدة ، نظر أمام نفس هيئة حسين طنطاوى !

وأصدرت المحكمة حكمها يوم ٢٢ مايو برفض الدفع بعدم اختصاصها بنظر الرد .. وقررت نظر الرد نفسه فى جلسة ٢٥ مايو .. وصدق الحاكم العسكرى على الحكم .

لكن أحمد حسين كان قد كسب أسبوعا من مدة خدمة حسين طنطاوى المتبقية !

وجاء يوم ٢٥ مايو . لكن أحمد حسين لم يحضر المحاكمة لأنه كان قد أضرب عن الطعام ..

وحضرت هيئة الدفاع عنه ، والتى كانت تتكون من عبد المجيد نافع ومحمد عزمى ومحمد عصفور وإبراهيم الشواربى وطاهر الخشاب وأحمد كامل قطب وإبراهيم طلعت وإبراهيم عبد الغنى وعمرو لاشين وسمير حيدر وجبريل شحاته معوض .. والذين تقدموا للدفاع عن أحمد حسين متطوعين يعاونهم الدكتور محمد حلمى مراد صهر أحمد حسين[2] .

---

(١) يحكى أن الأستاذ عبد الحميد أبوشنيف كان يشرف بنفسه على عملية النسخ .. وكان يمشى وسط الناسخين جيئة وذهابا ، يده فى وسطه . . يستعجلهم بين الحين والآخر قائلا : « يالله .. شدوا حيلكم .. مولانا مستعجل »

(٢) كان الدكتور حلمى مراد حينئذ استاذا للاقتصاد بكلية حقوق عين شمس (ابراهيم).

وقالت المحكمة أنها انتدبت ثلاثة أطباء للكشف على المتهم الأول ، وأنهم أرساوا تقاريرهم . . وتلت النيابة تقارير الأطباء . . فطلب الدفاع مناقشة الأطباء . .

وعقدت جلسة أخرى يوم ٢٨ مايو ناقش فيها الدفاع الأطباء . . انتهت بأن طلب الدفاع نقل المتهم إلى مستشفى السجن .

وعقدت جلسة أخرى يوم ٣١ مايو ، لمناقشة القرار الذى أصدرته المحكمة باعتبار أحمد حسين متخلفا عن حضور الجلسات بدون عذر . . وجواز محاكمته غيابياً . . ولما أبدى الدفاع دفوعا عديدة . . أخذ يناقشها مع المحكمة دفعا دفعا . . قررت المحكمة تأجيل الجلسات لليوم التالى . . لكى يقدم الدفاع كل دفوعه مرة واحدة !

وتحددت دفوع الدفاع فى ثلاث نقط :

١ ـ أن بين عضو اليسار وبين أحد ممثلى النيابة فى القضية قرابة إلى الدرجة الثالثة . .

٢ ـ أن بين عضو اليمين ووزير العدل صلة الأخوة . .

٣ ـ أن المادتين ٧٢ و ٧٥ من قانون الأحكام العسكرية تجعلان هذه المحكمة غير صالحة للنظر فى طلب ردها . . (المادة ٧٢ تقول أن اعتراض متهم على أحد الضباط يسقط صوته ولا يجيز احتسابه ، وبالتالى بأن الإعتراض على الهيئة كلها يعنى اعتراضا على كل فرد من أعضاء الهيئة)

ولكن المحكمة انتهت إلى الحكم برفض كل ذلك . وباختصاصها فى نظر طلب ردها . . وحددت لنظر موضوع الرد جلسة ٩ يونيو . .

وكسب أحمد حسين . . وكسبت له هيئة دفاعه كل الفترة المتبقية من مدة خدمة المستشار حسين طنطاوى . .

غير أن أحمد حسين ومحاميه لم يكونوا فى الميدان وحدهم . . فكما كانوا هم يعملون على كسب الوقت للتخلص من حسين طنطاوى .. كانت السلطة ترتب لبقاء حسين طنطاوى فترة تتجاوز كل مناورات دفاع أحمد حسين ..

فقدمت الحكومة قانون استقلال القضاء لمجلس الوزراء لإصداره بعد إجراء بعض التعديلات .. وتضمن القانون رفع سن المعاش لرئيس محكمة الاستئناف ووكلائها . وكان ذلك معناه أن يبقى حسين طنطاوى فى الخدمة خمس سنوات أخرى ..

وحدث مالم يكن فى حسبان السلطات . فقد ثار رجال القضاء لهذا التعديل بالذات .. واجتمعوا بناديهم .. وقرروا رفض القانون بصورته المقدمة . . واعتبروه قانونا لاهدار استقلال القضاء .. وأشاروا إليه باعتباره رشوة لقاض بعينه حددوه بالاسم .. وهو حسين طنطاوى ..

وانهالت برقيات الاحتجاج على مجلس الوزراء من المستشارين والقضاة .

واضطر وزير العدل محمد كامل مرسى لإنكار أى صلة بين التعديل وبين الرغبة فى مد خدمة حسين طنطاوى .. واضطر إلى إرسال خطاب الإحالة إليه فى الموعد المحدد .. وهو ٧ يونيو ١٩٥٢ .

□ □ □

ذهب حسين طنطاوى .. وخلفه فى رئاسة المحكمة المستشار حسن عبد الوهاب يس ..

لكن الاستعجال فى نظر القضية ظل كما هو .. فقد كانت هذه رغبة السلطات العايا ..

وأصدرت المحكمة قرارا برفض الرد . وبتحديد موعد لبدء المحاكمة .. هو ٢٨ يونيو..

أثناء هذه المعركة مع حسين طنطاوى . . كان أحمد حسين وهيئة

دفاعه : . يخوضون معركة أخرى ضد ممثل الاتهام . . الاستاذ عبد الحميد أبو شنيف ..

فنى ١٨ مايو ، وهو نفس اليوم الذى تحدد لنظر القضية . . قدم أحمد حسين دعوى مخاصمة ضد الاستاذ عبد الرحيم غنيم النائب العام والاستاذ عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة ..

واستند أحمد حسين فى دعوى المخاصمة إلى خمسة أسباب :

١ ــ أن الاستاذ أبو شنيف عين فى الحركة القضائية الأخيرة رئيسا لمحكمة المنصورة ، وقد نفذ المرسوم ، وصرف له المرتب . . وما كان يجوز له وهو رئيس محكمة أن يتولى التحقيق باعتباره رئيسا للنيابة تحت إشراف النائب العام ، وهذا خطأ مهنى جسيم .

٢ ــ أن التهمة الكبرى الموجهة للمتهم هى مسئوليته عن حوادث ٢٦ يناير استنادا إلى المادة ١٧١ من قانون العقوبات وهى الخاصة بجرائم النشر وقد تجاوز رئيس نيابة الصحافة فوجه التهمة إلى المتهم عن مقالات كتبها آخرون ولم يكن هو لارئيس تحرير ولاصاحب للجرائد التى نشرت فيها وهذه محاوله كيدية عمدية للإضرار بالمتهم توصلا لإعدامه .

٣ ــ أن المتهم تقدم من تلقاء نفسه للنائب العام يوم ٢ فبراير . واستشهد بشهود أثناء الادلاء بأقواله . لكن لم يحقق دفاعه مما أضطره للإضراب عن الطعام عشرة أيام خلال شهر مارس . . بينما كانت النيابة تزيف ضده التهم مع البوليس السياسى .. فأجأته بها فى أول مايو . . مما يدل على أن التحقيق كان مشوبا بمحاولات الغش والتدليس والغدر ..

٤ ــ أن جرائم التحريض تتطلب ، لكى تتحقق أركانها ، أن تعتبر الجرائم التى ارتكبت جزءا منها .. لا يتجزأ . وأن تقدم النيابة الدليل على أن مرتكب الجرائم قد ارتكبها وهو تحت تأثير هذا التحريض . وقد

أجرت النيابة عملية استعراف عامة عرضت فيها كل من تصورت أنه ينتمي إلى حزب المتهم (الحزب الاشتراكى) على الشهود والمجنى عليهم فلم يستعرف أحد عليهم . وبدلا من أن تقتنع النيابة بذلك ، أقدمت على إجراء غريب وهو تقديم التحقيق الخاص بالمتهم منفصلا عن باقى التحقيقات ..

٥ – أن المتهم متهم فى قضية صحفية منظورة أمام محكمة الجنايات وتهمته فيها محاولة قلب نظام الحكم . وقد تأجلت مرارا لتقديم التحقيقات التى تجريها النيابة فى حادث حريق القاهرة وكان ذلك لآخر مرة فى جلسة ٥ مايو ، ولكن النيابة بدلا من ذلك أحالت هذه التحقيقات إلى المحكمة العسكرية العليا وضربت عرض الحائط بتعهدها لمحكمة الجنايات وهذا من جانبها تصرف ينطوى على الغدر والغش والتدليس ..

وحكم برفض هذه المخاصمة .. فى ١٨ يونيو ..

وهكذا لم يعد ممكنا الا مثول أحمد حسين أمام المحكمة العسكرية العليا فى الجلسة التى حددتها لنظر القضية .. أى يوم ٢٨ يونيو ..

□ □ □

لم ييأس دفاع أحمد حسين ..

بل لعله آثر أن يواجه الأمر كله .. من أصله ، بالطعن فى إحالة القضية إلى المحاكم العسكرية ..

وقدم الدكتور محمد عصفور واحدة من أروع صور الدفاع عن سيادة القانون .. فتقدم إلى مجلس الدوله يطلب :

أصليا — الحكم بصفة مستعجلة بإيقاف تنفيذ الأمر العسكرى رقم ١٠ الصادر فى ٣٠ يناير ١٩٥٢ فيما أجاز فيه من إحالة جرائم القانون العام (التى ارتكبت قبل إعلان الأحكام العرفية) إلى المحاكم العسكريه .

واحتياطيا — وقف تنفيذ قرار النيابه العسكريه الصادر فى ١١ مايو ١٩٥٢ باحالة المدعى إلى محكمة الجنايات العسكرية العليا استنادا إلى الأمر العسكرى رقم ١٠ .

ودفع الحاضر عن الحكومة بعدم جواز سماع الدعوى برمتها .. وبعدم قبول الطلب الأصلى لرفعه بعد الميعاد القانونى . أما بالنسبة للطلب الاحتياطى فقد دفع بعدم اختصاص المحكمة .

وتحدد لنظر القضية الدائرة الثانية بمحكمة القضاء الأدارى بجلسة ٢١ مايو .. ونظراً لخطورة النزاع وأهميته قررت الدائرة إحالته — إلى دوائر المحكمه مجتمعه . وهكذا انعقدت محكمة القضاء الإدارى بدوائرها المجتمعة فى أول يونيو ١٩٥٢ برئاسة الدكتور عبد الرازق السنهورى وعضوية المستشارين السيد على السيد ومحمود صابر العقارى وحبشى ابراهيم سمرى ومحمد عفت ومحمد عبد السلام وعبد المجيد التهامى وعبد الرحمن محمد الجبرى وبدوى ابراهيم حمودة وسيد على الدمراوى وحسين أبو زيد والسيد ابراهيم الديوانى وعلى على أبو الغيط وعلى على منصور ومحمد ذهنى وكامل بطرس المصرى وعبد العزيز البيلاوى والدكتور عبد الحكيم فراج وحسن أبو علم ..

وبعد المداولة قررت :

١ — بالنسبة للطلب الأصلى ، برفض الدفع بعدم جواز سماع الدعوى .. وسماعها . وبعدم قبول هذا الطلب لرفعه بعد الميعاد .

٢ – بالنسبة إلى الطلب الاحتياطى ، بعدم اختصاصها بنظر هذا الطلب .

وهكذا أتاحت هيئة الدفاع عن أحمد حسين – وخاصة الدكتور محمد عصفور – المناسبة لارساء قاعدة متينة من قواعد الديمقراطية فى مصر باستصدارها هذا الحكم الذى أكد للقضاء المصرى حقه فى مراقبة دستورية القوانين من حيث الشكل والموضوع . والامتناع عن تطبيق أى قانون لم يصدر طبقا لأحكام الدستور شكلا أو موضوعا . وأخضع تصرفات الحاكم العسكرى وقراراته لمراقبة محكمة القضاء الإدارى .

شخص واحد فقط هو الذى لم يستفد من ذلك كله .. هو الشخص الذى رفعت بسببه الدعوى : أحمد حسين ..

لأن الدعوى رفعت بعد الـ ٦٠ يوما التى يحددها القانون .. !

□ □ □

استنفدت هيئة الدفاع كل الفرص القانونية .. ولم يعد أمامها الا المثول بين يدى المحكمة العسكرية العليا ..

وانعقدت المحكمة فعلا يوم ٢٨ يونيو . . وبدأت اجراءات المحاكمة .. لكن بدون المتهم الأول . فقد كان أحمد حسين مصراً على عدم محاكمته أمام محكمة عسكرية بأى ثمن . . فلجأ إلى الإضراب عن الطعام . .

واستمعت المحكمة إلى شهود الإثبات . . حتى انتهت منهم . وبدأت فى سماع شهود النفى ..

ولم يحضر المتهم الأول كل ذلك ..

أكثر من ذلك فقد أعلن جميع المحامين عن أحمد حسين الانسحاب من القضية ، بحجة أنهم لا يستطيعون الدفاع عن متهم يرفض هو نفسه الدفاع عن نفسه .. لأنه يرفض المحكمة ..

وتوتر الموقف توتراً شديداً . واعتبرت المحكمة تصرف المحامين محاولة لعرقلة سير القضية .. وأصدرت قراراً بتغريم كل منهم خمسين جنيهاً .. !

لكن المحكمة وجدت نفسها فى موقف لا تحسد عليه . فوسطت المحامى المنتدب عن أحمد حسين الطاهر حسن أحمد لإقناعه بالعدول عن موقفه والحضور .. مقابل تقديم تنازلات تطمئنه ..

وبالفعل جاءت النيابة فى إحدى الجلسات وأعلنت تنازلها عن المادة ٤٨ الخاصة بالاتفاق الجنائى .. واكتفاءها بتهمة التحريض بطريق النشر ..

وضمت المحكمة بعض الأوراق التى كان الدفاع يطلب ضمها .. وكانت ترفض ذلك من قبل ..

ثم أجلت المحكمة جلساتها لليوم التالى .. وكان يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

□ □ □

وطبعاً تأجلت المحاكمة .. فكان يوم الثورة .. بيوم مثل هذه الأمور ..

وبدا كأن كل شيء قد انتهى بالنسبة لأحمد حسين وقضية التحريض .. فقد أطيح بالملك . وقبض على ضباط البوليس السياسى . وأفرج عن جميع

أعضاء الحزب الاشتراكى . وسقطت أحكام الحبس فى قضايا العيب فى الذات الملكية .

لكن ظلت الأمور على ما هى عليه بالنسبة لقضية التحريض على حرق القاهرة . فقررت حكومة على ماهر الاستمرار فى المحاكمة ، بعد أن اقنعت رجال الثورة بأن حريق القاهرة حدث عالمى خطير ، وأن الرأى العام العالمى يتابع باهتمام ما يحدث فى أمره .

وهكذا انعقدت المحكمة العسكرية العليا من جديد فى ٣٠ يوليو . . ورفض أحمد حسين الحضور أمام المحكمة مرة أخرى . . واستأنف الإضراب عن الطعام . .

وذهبت حكومة على ماهر . . ورأس محمد نجيب الوزارة . . واستمر الاتجاه لمواصلة محاكمة أحمد حسين . . بعد أن أقنع سليمان حافظ الرئيس الجديد . . بأن براءة أحمد حسين مؤكدة . . لكن من الأفضل أن تأتى البراءة من المحكمة . . بدلا من أن يخرج أحمد حسين من القضية بقرار من مجلس قيادة الثورة . . فهذا أفضل أمام الرأى العام العالمى . .

وتغيرت هيئة المحكمة . فقد تنحى المستشار حسن عبد الوهاب يس عن نظر القضية . وحل محله المستشار يحيى مسعود . واعتقل العضوان العسكريان وجاء من يحل محلهما ، واستقال المستشار صلاح حسن عضو اليسار من القضاء وتنحى المستشار محمود مرسى عضو اليمين . . لكن ظل أحمد حسين عند موقفه من رفض المحاكمة أمام محكمة عسكرية . .

وصدر قانون العفو السياسى . وشمل جميع الجرائم السياسية باستثناء الشيوعيين . كما تضمن القانون — الذى صاغه أيضاً سليمان حافظ — استثناء

المواد التى يحاكم بها المتهمون فى قضية حريق القاهرة .. وهى المواد ٢٥٢ و ٢٥٧ ..

وكانت هذه المواد المستثناة تمس بعض المسجونين من الإخوان المسلمين . فأصدر مجلس قيادة الثورة مراسيم خاصة للعفو عنهم .. ولم يحدث نفس الشيء فى قضية التحريض ..

فى هذه الظروف انعقدت المحكمة . . فحضر أحمد حسين . . وطلب الإفراج له ولزملائه . . وبالفعل أصدرت المحكمة قراراً بالإفراج وكان ذلك فى أول نوفمبر ١٩٥٢ . . أى بعد أكثر من ثلاثة أشهر من قيام الثورة .

واستقال الثلاثة الكبار الذين أشرفوا على تحقيقات حريق القاهرة : الأستاذ عبد الرحيم غنيم النائب العام والأستاذ محمد عبد الله المحامى العام والأستاذ عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة . .

□ □ □

وقدم أحمد حسين تظلماً من استثنائه من قانون العفو . . باسمه وباسم الثلاثة الأول معه . .

ونظرت محكمة الجنايات التظلم وكانت برئاسة المستشار أحمد ثابت وكيل المحكمة وعضوية المستشارين أحمد مختار ومحمد كامل البنهاوى بمحكمة الاستئناف ، ومثل النيابة الأستاذ حسن مهران . وأصدرت حكمها فى ٢٧ إبريل ١٩٥٣ بقبول التظلم ، وإدراج أسماء أحمد حسين وسليمان زخارى ومحمد جبر حسن ومحمود عبد المقصود ضمن قوائم من يشملهم العفو السياسى[١] .

---

(١) لأهمية هذا الحكم أثبتناه بنصه فى قسم الملاحق ..

وبقى إثنان من المتهمين لم يقدما تظلماً من استثنائهما من العفو السياسى فلم تكن لهما صلة بالسياسة تجعلهما يفعلان ذلك . .

وهكذا انتظرا المحاكمة التى كانت مستمرة . . حتى وقفا أمام المحكمة العسكرية العليا يوم ٢٦ مايو ١٩٥٣ . . يستمعان إلى الحكم . .

وفى هذا اليوم أصدرت المحكمة برئاسة المستشار يحيى مسعود وعضوية المستشارين محمد الديوانى واسماعيل أبو الفتوح ، والضابطين العظيمين البكباشى رياض سالم رحاب وعبد الرحمن محمد أمين ، وممثل النيابة الأستاذ حسن مهران . . حكمها ببراءة كل من على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله مما أسند إليهما[1] . .

وفى الواقع ، فإن ذات التهم التى كانت النيابة تسندها إلى على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله . . هى التى كانت تسندها إلى أحمد حسين والمتهمين الآخرين . . ولذلك فان حكم البراءة الذى أصدرته المحكمة العسكرية بالنسبة لعلى عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله . . هو فى نفس الوقت حكم بالبراءة بالنسبة لأحمد حسين والمتهمين الثلاثة الآخرين . .

□ □ □

وهكذا انتهت قضية التحريض على حريق القاهرة . .

وواضح بعد ذلك أن أحمد حسين . . والحزب الاشتراكى . . ليسا هما اللذين أحرقا القاهرة . . أو شاركا فى حرقها . .

. . فمن إذن . . الذى أحرق القاهرة ! ؟

---

(١) ولأهمية هذا الحكم أيضا أثبتناه بنصه فى قسم الملاحق . .

حكاية الفاشية .. !

رغم كل ما تقدم . . هناك من يصرون على اتهام أحمد حسين ومصر الفتاة بحرق القاهرة . .

لكن الاتهام هنا فى الحقيقة ليس اتهاماً مادياً أو قانونياً ، يستند على وقائع مادية محددة . . بقدر ما هو اتهام سياسى . . يربط بين فكر أحمد حسين وحزبه . . وسلوكهما فى التطبيق . . وبين ما حدث يوم ٢٦ يناير . .

وأبرز المعبرين عن هذا الاتجاه هو الدكتور محمد أنيس . . وفى كتابه « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة » . . يوضح الدكتور أنيس وجهة نظره التى يبنيها « على ضوء عدة حقائق لا تحتمل لبساً أو تأويلا » . . هى :

١ ــ أنه قبيل حريق القاهرة كان رئيس حزب مصر الفتاة الذى تحول إلى حزب مصر الاشتراكى وغيره من رجالات حزبه يشنون حملة ضارية فى صحافة الحزب على الوفد والقصر والمصالح الأجنبية على السواء . وأن ضراوة . هذه الحملة زاد استعاراً عشية الحادث أو قبل حدوثه بقليل .

٢ ـ أن تلك المقالات المتأججة كانت تشحذ الجماهير وتحرضهم على إحراق وإزالة أماكن بعينها . وليس من قبيل الإتفاق أو محض الصدف أن تكون تلك الأماكن هي التي أحرقت يوم ٢٦ يناير . .

٣ ـ أنه في ذلك اليوم شوهد رئيس الحزب يتنقل في شوارع القاهرة في عربة ستروين وقد رفع عليها العلم المصري ، وما أن لمحته الجماهير التي كانت تناديه بهتافات مدوية (الزعيم . . الزعيم . .)

٤ ـ ومن الثابت أيضاً أن كثيراً من قيادات حزب مصر الاشتراكي كانت تجوس في شوارع القاهرة بشكل مريب في يوم الحريق . .

هذه وتلك من الشواهد لا تدع مجالا للشك في أن رئيس حزب مصر الفتاة كان هو وحزبه ضالعين في جريمة ما حدث في ذلك اليوم المشئوم . . »[1]

والحقيقة ، فإن إدانة الدكتور محمد أنيس لأحمد حسين وحزبه ، بناء على النقاط الأربع المذكورة . . ليست مطابقة للواقع . . وإنما هي ترديد لما ذكر في قرار اتهام عبد الحميد أبوشنيف . . والذي يبدو أن الدكتور أنيس عامله كوثيقة قضائية صادقة . . بينما هو لم يكن كذلك بحال من الأحوال . .

فكما سبق أن أثبتنا ، ليست صحيحة واقعة « تنقل » أحمد حسين في سيارة ستروين يوم الحوادث . . « وعلم مصري » . . « والزعيم . .

---

(١) الدكتور محمد أنيس ـ « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة » ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٣٩ ـ ٤٠

الزعيم » . . لأن أحمد حسين كان بمنزله طول اليوم . . ولأن الذى كان يتنقل بالسيارة الستروين — ودون أن يكون له دور فى الحوادث أيضاً — هو على عبد الحليم هاشم وصديقه على جاد الله . . وأن الشهود الذين قالوا أنهم شاهدوا أحمد حسين فى هذه الواقعة كانوا شهود زور أتى بهم البوليس السياسى ليشهدوا ضد أحمد حسين . . بينما أحدهم اختلط عليه الأمر — جلال لطفى — وتعرف فى تحقيقات النيابة على على هاشم باعتباره الشخص الذى كان بالسيارة الستروين مع على جاد الله الذى كان على معرفة عائلية به . .

ونفس الشىء بالنسبة لقيادات حزب مصر الاشتراكى التى « كانت تجوس فى شوارع القاهرة بشكل مريب » . . فذلك ليس حقيقياً ، لأن هذا أيضاً كان مضمون شهادة مزورة أخرى هى شهادة بسيم السعيد أمليت بمعرفة البكباشى محمد الجزار رجل البوليس السياسى . . أما ما كان يفعله رجالات الحزب فى ذلك اليوم فهو الاشتراك فى المظاهرة السياسية الكبرى التى توجهت إلى مجلس الوزراء . . مع غيرهم من قيادات وأعضاء الهيئات السياسية السليمة التى لم تكن لها أى علاقة بحوادث الحريق . .

وأما اتهام أحمد حسين بكتابة مقالات متأججة تحرض على إحراق وإزالة أماكن بعينها . . فذلك أيضاً اتهام النيابة لأحمد حسين . . بل إنه الاتهام الرئيسى ضده . . لأن النيابة قدمته للمحاكمة بتهمة التحريض على حرق القاهرة . . بتحديد أماكن معينة . . هى نفسها تقريباً التى أحرقت يوم ٢٦ يناير . .

وفى هذه النقطة نشير إلى الحقائق التالية :

أولا : ليس صحيحاً أن حملة أحمد حسين وصحفه تركزت على الأماكن التى أحرقت دون سواها . . بل إن الحملة شملت الهجوم على الاستعمار القديم والجديد وعلى الاستغلال الرأسمالى وعلى الإقطاع . . وعلى فساد الأوضاع الداخلية عموماً . .

ولم يكن هجوم أحمد حسين وصحافة الحزب الاشتراكى على دور اللهو والمؤسسات الرأسمالية الاستعمارية (كبنك باركليز أو سينما ريڤولى) كما يبدو بوضوح لأى مراجع مدقق ومنصف . حملة غوغائية كما يقال ببساطة . . لكنها فى الواقع كانت تتم ضمن الاتجاه لحث الشعب والحكام على مواجهة الموقف بجدية ، تحت شعار أنه من غير المعقول أن يموت ويستشهد مصريون فى القناة . . بينما يعيش مصريون آخرون حياة لهو واستخفاف ومجون فى كباريهات القاهرة . .

ويمكننا تقدير هذه الحملة تقديراً عادلا إذا ما استرجعنا ما كتبه كتابنا فى أعقاب هزيمة ٥ يونيو . . وكم سودوا من صفحات تندد بمظاهر الترف والاستهلاك . . وشارع الهرم . . تحت نفس الشعار : غير معقول أن يعيش جنود مصر وضباطها على الجبهة عيشة الحرب الخشنة . . بينما يتنعم أهل القاهرة بكل صور الرفاهية ابتداء من راقصات شارع الهرم حتى مستوردات شارع الشواربى . . !

أما الدعوة لمقاطعة المؤسسات الاستعمارية ؛ بدعوة المصريين لعدم دخول سينما ريڤولى لأنها ترفض عرض أفلام مصرية . . ومطالبة المصريين بسحب ودائعهم من بنك باركليز حتى لا يعززوا الاقتصاد الاستعمارى . . فهى دعوة وطنية لا غبار عليها . . وكانت جهات كثيرة غير أحمد حسين وحزبه وصحفه تتبناها . . وقد حدث أن قام شباب وفديون ومن الحزب

الوطنى بنزع اللافتات الأفرنجية من على المحلات . . كما قادت الدكتورة درية شفيق بمجموعة من عضوات حزب بنت النيل واعتصمن أمام بنك باركليز احتجاجاً على تعامل المصريين معه . .

ثانياً : ليس صحيحاً أيضاً أن كل الأماكن التى هاجمها أحمد حسين وصحفه تعرضت للحرق . . وأبرز مثل على ذلك هو عدم المساس بشركة البيبسى كولا رغم الحملة الشهيرة التى شنتها الاشتراكية عليها .. وغيرها ..

ثالثاً : أن النيابة قدمت أحمد حسين وعبد الخالق التكية للمحاكمة بتهمة التحريض على الحرق والقتل والإتلاف . . بسبب ما نشر بصحف الحزب . . وتمت المحاكمة أثناء اعتقال أحمد حسين وأعضاء الحزب على ذمة قضية حريق القاهرة . . لكن المحكمة برأتهما من التهمة . . وأثبتت فى حكمها أنها لا ترى علاقةسببية بين كتابات المتهمين وبين حوادث الحريق والإتلاف . . (سبق الإشارة إلى هذه القضية) . .

إذن . . هل هناك سبب آخر يدعو الدكتور محمد أنيس ، وآخرين ، إلى إقامة علاقة بين أحمد حسين وبين حوادث الحريق .. غير هذه الوقائع المادية . . أو مسألة التحريض بالكتابة ؟

نعم . فالدكتور أنيس وكثيرون من السياسيين ، يرون أن أحمد حسين كان زعيما لحزب فاشى ..

وهذا ما جعل الدكتور أنيس يقول فى كتابه ، بعد الفقرة التى سبق ذكرها :

«لكن ترى هل كان يدور بخلد رئيس الحزب أن يستولى على السلطة بعد الحريق كما استولى الحزب النازى عليها بعد حريق الرايشتاغ ؟ . . وهل هذا نوع نمطى فى استراتيجية الأحزاب الفاشية فى الوصول إلى الحكم ؟

أغلب الظن أنه لابد أن يكون قد تأثر بهذه الأفكار .. لكنه حقيقة لم يكن مدركا لخطورتها ، ولم يكن قادراً على تنفيذها بتدبير وإحكام . لقد كان كغيره من زعماء الفاشية زعيما ديماجوجيا موهوبا ، لكن موهبته انصرفت إلى أساليب التهييج والإثارة ولم تتجاوزها قط وتشهد بذلك خطبه ومقالاته التى كانت تندد بمفاسد القوى المتسلطة على مقدرات البلاد ، لكنه لم يعمل على إيجاد بديل ثورى وطنى فى مقدرته الإطاحة بهذه القوى أولا ثم الانفراد بالسلطة فى شكل نظام وطنى ثورى جاد . .

وتدل ملابسات ووقائع يوم ٢٦ يناير على أن ما حدث من إحراق المحلات والأماكن التى ادعى رئيس الحزب أنها أوكار للهو ومؤسسات للاستعمار والرأسمالية على أنه حقيقة لم يتبع أسلوباً مجدياً ومفيداً فى محاربة معاقل الإقطاع والرأسمالية والاستعمار الحقيقية . إن ما حدث لم يزد عن كونه بثا للفوضى والابتزاز والنهب والتخريب وإعطاء الفرصة للقوى المتسلطة على تشديد تسلطها ، والتحالف على ضرب الحركة الوطنية فى تعاون مشترك . .

ولو كان رئيس الحزب زعيما ثوريا حقيقيا لتخلى عن تلك السياسة الجوفاء وانصرف إلى تنظيم قوى الشعب العاملة تنظيما يضمها جميعاً فى وحدة حقيقية وينطلق بها فى طريق النضال لإعادة بناء مصيرها . لكنه استغل الموقف لصالحه فقط وإشباع حبه للزعامة فجمع حوله بعض العمال والفلاحين والطلبة تلاعباً بحماسهم الثورى وزجهم دون تنظيم فى وجه قوى ضاربة ليلقوا المصير المحتوم . . »[1] . . . . .

فالفكرة الأساسية فى كلام الدكتور أنيس . . والتى هى سبب اتهام أحمد حسين الفعلى هو أنه زعيم حزب فاشى . .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠ – ٤١ .

والحقيقة ، فإن هذه الفكرة تستند إلى أساس تاريخى على الأقل .

فقد بدأ حزب أحمد حسين تحت اسم « مصر الفتاة » . وكانت « الفتاة » هذه ترديداً « لإيطاليا الفتاة » حزب موسولينى و « تركيا الفتاة » حركة مصطفى كمال أتاتورك . وكان شعار « مصر الفتاة » .. « مصر فوق الجميع» ترديداً لشعارات « إيطاليا فوق الجميع » و « ألمانيا فوق الجميع » . .

وكان ذلك — من حيث الشكل — يربط حزب أحمد حسين بحركة الفاشية العالمية التى كانت صاعدة فى تلك الفترة . .

كما تلازمت الفترة الأولى من حياة « مصر الفتاة » بنزعة متسامية . . تدعو الشباب للعودة للدين . . والابتعاد عن أماكن اللهو والفساد . . لم تلبث أن اتخذت صورة حملة عنيفة على الكازينوهات والبارات . . ثم بعمليات تكسير وإتلاف . . وبقضية شهيرة نظرها القضاء . .

هاتان الظاهرتان (الدعوة الوطنية المتطرفة والاتجاه للعنف فى مواجهة مظاهر فساد النظام) جعلت الكثيرين يعتبرون مصر الفتاة تنظيما فاشيا . . وعزز من هذا اتجاه مصر الفتاة إلى تكوين التشكيلات شبه العسكرية بما عرف بالقمصان الخضر . .

لكن الواقع أن هذا التحليل لمصر الفتاة ليس واقعياً . حيث لا أساس مادى ولا تاريخى كان يسمح بقيام تنظيم فاشى فى مصر فى الظروف التى نشأ فيها الحزب . . وإنما الصحيح أن مصر الفتاة نشأت كتجمع للشباب الوطنى المتحمس الذى يريد أن يشق لمصر طريقاً أكثر ثورية من الطريق الذى كان يسير فيه حزب الوفد فى ذلك الحين . . باعتباره القيادة الوطنية الوحيدة . .

ولم تكن شعارات « مصر أولا » و « مصر فوق الجميع » و « المجد لمصر » إلا التعبير عن حب الوطن . . واستنهاض المشاعر الوطنية . . لمواجهة الاستعمار والاحتلال . . بتمجيد الماضي وبعث مفاخره . . وهى على أى حال كانت استمراراً للرومانسية الوطنية التى أذكاها مصطفى كامل . . وكان لها فضل عظيم فى إحياء الوطنية المصرية . . وحفزها على تحدى أعدائها الاستعماريين . .

كما لم تكن دعوة الشباب للرجوع للدين والتسامى عن الرذائل . . وتنظيمه فى تشكيلات شبه عسكرية . . سوى محاولة لإيجاد جيل جديد سوى . . يستطيع أن ينهض بعبء الكفاح . .

ولذلك ؛ فليس غريباً أن يلتف حول راية مصر الفتاة خيرة شباب البلد فى تلك الفترة . .

ومع ذلك .. فقد تطور أحمد حسين مع الزمن .. وتطور حزبه معه .. ليأخذ - ككل فصائل البرجوازية الصغيرة التى تجتهد فى إيجاد طريق للتحرر فى البلاد المستعمرة وشبه المستعمرة - بالأفكار الاشتراكية الديمقراطية . .

وهكذا تحولت مصر الفتاة إلى حزب مصر الاشتراكى ..

هل كان حزب مصر الاشتراكى حزبا فاشيا ؟

برنامج الحزب يقول . . لا ..

فقد كان برنامجه يطالب بتحديد الملكية الزراعية بخمسين فدانا ، بأن تبتاع الدولة أطيان جميع الملاك الذين تزيد ملكيتهم على خمسين فدانا ، أو الذين تقل ملكيتهم عن هذا القدر ولا يعملون فيها مقابل سندات

على الخزينة المصرية تستهلك فى خمس وعشرين سنة وتحول لحاملها ربحاً سنوياً وقابلة للتداول ، ثم توزع هذه الأرض فى حدود خمسة أفدنة على من يرغب فى شرائها ممن يملك أقل من خمسة أفدنة ومن اعتادوا على العمل فيها أو استئجارها ، مقابل أقساط صغيرة طويلة الأجل — وبأن يحل الإنتاج الجماعى محل الإنتاج الفردى . . لكى يمكن أن يتم الإنتاج سواء فى الزراعة أو الصناعة أو التبادل التجارى وفق خطط مدروسة ومشروعات شاملة تضعها الدولة لعدة سنوات متتالية — ويجوز للأفراد فى مرحلة الانتقال امتلاك المصانع وإنشاؤها وإدارتها بشرط أن يتفق وجودها وانشاؤها مع البرنامج الذى تضعه الدولة — أما الصناعات الكبرى والرئيسية وكل الصناعات التى تتصل بالمنفعة العامة كالمياه والنور والمواصلات التى التى ستقوم الدولة بإنشائها وفق مشروعاتها الموضوعة فهذه كلها لا يمكن أن تكون محلا للاستغلال أو الكسب أو لأهواء الفرد بل تكون مملوكة للدولة أى المجموع — وتضمن البرنامج التأمين الاجتماعى وحق التعليم والحق فى العمل مع إعادة توزيع الثروة بواسطة نظام للضرائب التصاعدية على التركات وغيرها ووضع حد أقصى للدخول[1] .

وفى مجال القضية الوطنية والعربية تضمن برنامج الحزب العمل على تحرير وادى النيل من ربقة الاستعمار الأجنبى . . ووحدة مصر والسودان مع المناداة بحق الشعب السودانى فى اختيار شكل حكومته بعد جلاء الانجليز وفى تحديد الصورة التى يراها للتعاون بينه وبين الشعب المصرى . . والعمل على توحيد الشعوب العربية كلها فى ظل دولة واحدة هى « الولايات المتحدة العربية » مع احتفاظ كل عربى فى ولايته بشخصيته وطابعه واستقلاله بشئونه الداخلية . . مع تنظيم الإنتاج والتوزيع فى الدولة العربية الواحدة بما يطابق النظم الاشتراكية . . مع تأليف جيش واحد يقف ضد عدوان

(١) طارق البشرى — الحركة السياسية ، ص ٣٩٠ — ٣٩١ .

الدول الأخرى عليها وضد محاولات استغلال هذه الدول للعرب والتحكم فيهم . . . [1]

قد يقال أن هذا فعلا برنامج عظيم . . ولا يدل أبداً على أن مصدريه جماعة من الفاشست الذين لا يؤمنون بالشعب وقضاياه . . لكن ، إن معظم الأحزاب والجماعات الرديئة ترفع شعارات براقة وبرامج عظيمة . . إن العبرة ليست بما يقال . . وإنما بالعمل . .

وهو قول سليم . . ولذلك ؛ لابدمن اختبار برنامج الحزب الاشتراكى فى التطبيق .

فى انتخابات سنة ١٩٥٠ فاز ابراهيم شكرى عن الحزب الاشتراكى بعضوية مجلس النواب . وكانت هذه فرصة يضع فيها الحزب برنامجه فى التنفيذ . . فماذا فعل ابراهيم شكرى ؟

قدم مشروعات بقوانين لتحديد الملكية بخمسين فدانا ، وبالغاء الرتب والألقاب ، وبتنظيم اتحادات للفلاحين والعمال ، وبحق العمال فى الأضراب [2]

وفى نفس الفترة طالبت صحف الحزب بتأميم مصادر الإنتاج الكبرى مثل قناة السويس وشركات البترول والمياه والمواصلات . . وبتحديد دخل الفرد بما لا يزيد عن ٥٠٠ جنيه شهريا . .وتوزيع حاجات الشعب بالبطاقات التى تحدد الكمية المستحقة والثمن حسب الدخل . . وإيجاد عمل لكل مواطن . . ومنع استيراد الكماليات والقضاء على مظاهر الترف . . وبتقشف الحكام . . وخفض المرتبات العالية . . وتقرير الضرائب المباشرة . . ونزع ملكية

(١) ، (٢) طارق البشرى — الحركة السياسية ، ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

١١ الف مالك تزيد ملكيتهم عن ٥٠ فدانا . .وتقرير أسلوب الإنتاج التعاونى فى الريف مع إمداد الدولة للفلاحين بالآلات . . وتحديد إيجار الأرض الزراعية . . ووضع برنامج سنوات خمس لكهربة مصر . . وتأميم الطب . . وتخطيط القرى . . والقضاء على الأمية . . [١]

كما خاض الحزب فى صحفه ومؤتمراته المعركة الوطنية على أساس رفض مبدأ المفاوضة مع الإنجليز . . ورفض مبدأ توقيع معاهدات مع الدول الاستعمارية أو الدخول فى اتفاقيات الدفاع المشترك . . وضد حلف الاطلنطى . . والاستعمار الأمريكى ومشروعاته كالنقطة الرابعة . . كما استنكر العدوان الأمريكى على كوريا . . وطالب بتأييد الصين الشعبية .. [٢]

هل هذه أفكار ، وممارسات ، حزب فاشى ؟

الجواب المنطقى . . لا ٥

ومع ذلك ، فان الدكتور أنيس يشير إلى قضية فى غاية الأهمية :: وهى قضية تعبئة وتنظيم الجماهير من أجل أهداف ثورية . . وينتقد أحمد حسين فى أنه لم يحقق شيئا فى هذا السبيل..وإنما اكتفى بعملية تهييج فوضوية أدت إلى الكارثة . .

ولابد من تحفظ هنا . . ذلك أن الأحزاب الفاشية تهتم عادة بعملية التنظيم والتعبئة . صحيح فى اتجاه الثورة المضادة . . لكنها تخلق قوة تنظيمية متعصبة تسير وراءها . . وهو ما لم يفعله أحمد حسين وحزبه . . مما يجعله تنظيما لا يتمتع بالخواص النمطية للتنظيمات الفاشية . .

لكن . . هل صحيح أن أحمد حسين وحزبه لم يبذلا جهدا من أجل

---

(١) ، (٢) المصدر السابق .

تنظيم وتعبئة الجماهير . . وإيجاد جبهة وطنية متحدة للكفاح الوطنى الديمقراطى فى تلك الفترة ؟

يقول طارق البشرى فى كتابه التاريخى الجامع « الحركة السياسية فى مصر » :

«كان الحزب الإشتراكى من أكثر التنظيمات السياسية استجابة لمطلب تكوين جبهة تضم التنظيمات الثورية والوطنية جميعا . وجهد فى نشاطه العملى فى الدعوة لها . كتبت صحيفة الإشتراكية تقول : «لينضم إلى صفوف الإشتراكية من يطمئن إلى أنها عاملة لتحقيق مايصبو إليه. ولينضم للإخوان المسلمين من يراها فى نظره أقرب إلى تحقيق بغيته . ولينضم لأنصار السلام من يراهم أكثر الجميع تحقيقا لرغباته . . ولتتكتل هذه الهيئات كلها لتعرب عن غضب الشعب» . . وكتبت تدعو إلى التقارب فى الصفوف وإلى أن يتجمع الشعب ضد الاستعمار وأذنابه والإقطاع . ويلحظ ذات الاتجاه فى حرص الحزب على أن يدعو إلى مؤتمراته من يمثلون التيارات السياسية المختلفة ، وفى أن يتخذ مواقف التأييد والدعم لنضال التنظيمات الأخرى ضد إجراءات القمع التى تفرضها عليها الحكومة سواء بمصادرة صحفها أو بالقبض على أعضائها . كما كان للحزب ورئيسه حركة نشيطه بين التنظيمات المختلفة فى صحفها ومؤتمراتها وفى العمل الجماهيرى اليومى حتى بدا بمثابة القاسم المشترك لها ، وحتى بدا أكثرها تمتعا بالعلاقات القوية بغالبيتها . .

«وقوى التفكير فى صيف ١٩٥١ بين الحزب الإشتراكى والتنظيمات الماركسية فى الدعوة لتكوين الجبهة . وعقد اجتماع لتكوين ما أسمى «بالجبهة الشعبية» فى يونيو ١٩٥١ من الحزب الإشتراكى والتنظيمات الماركسية

والحزب الوطنى وأنصار السلام ومنظمات العمال والإخوان المسلمين . .
وفور الغاء المعاهدة أذاعت الإشتراكية بيانا للجبهة الشعبية يقول أن «الطريق الوحيد لتحرير بلادنا هو توحيد صفوف الشعب وتضامن أحزاب وهيئات الأحرار والوطنيين والديمقراطيين وجميع الهيئات الشعبية فى جبهة شعبية حول برنامج شعبى . »

«وبالنسبة للإخوان المسلمين أيد الحزب إلغاء قرار حل الجماعة، وبذل نشاطا لدعم حقها فى العمل السياسى العلنى المشروع . وهاجم قانون الجمعيات الذى أصدرته الحكومة ليقيد حرية الجماعة عند عودة نشاطها ، وكان إبراهيم شكرى هو من وزع داخل مجلس النواب — عند مناقشة القانون — المذكرة التى أعدتها الجماعة تعليقا على القانون .. وكان الحزب ينظر إلى الجماعة كحركة إسلامية تكافح الاستعمار ، ودعا الشيوعيين لأن ينظروا إليها بهذا المنظار مذكرا إياهم بأن حركة فدائيان إسلام وآية الله كاشانى فى إيران قد استطاعا مع حزب توده الشيوعى أن يحيلا تأميم البترول الإيرانى إلى حقيقة واقعة .. »(١)

إذن . . ليس صحيحا أن أحمد حسين وحزبه لم يبذلا جهدا لتوحيد القوى الوطنية . . وإنما على العكس ، أنه بذل جهدا أكبر من غيره . .

صحيح أن هذه الجهود لم تؤت ثمارها المرجوة . . لكن ذلك راجع إلى عوامل كثيرة . . منها الطبيعة البرجوازية الصغيرة للحزب . . وتأثيرها على تكوينه بحيث يظل حزبا للطلبة والمثقفين أساسا . . وعلى أسلوب عمله

---

(١) ص ٤٠٠ — ٤٠٣ .

حيث التركيز على الخطابة والمؤتمرات والنشاطات الدعائية والتهييجية دون أن يتحول إلى حزب كادر قادر على التنظيم والعمل الطويل النفس . .

وهى على أى حال كانت سمات غالبة على كل الهيئات والمنظمات التقدمية من الحزب الوطنى إلى أنصار السلام . . حتى المنظمات الشيوعية والتى يفترض أنها أكثر وعيا بنظرية الثورة وأكثر خبرة فى مجال التنظيم ..

كما أن موقف أكبر حزب جماهيرين من قضية الجبهة الوطنية المتحدة كان سلبيا . .

فالوفد لم يكن يضع فى برنامجه أبدا مسألة الاتحاد مع أى تنظيمات أخرى : ولم يكن يستجيب لنداءات التنظيمات الشعبية فى هذا الاتجاه . .

أما الإخوان المسلمون ، وبرغم الأعمال المشتركة المحدودة ، فكانوا أقرب إلى العزلة والرغبة فى الإنفراد لأسباب كثيرة تتعلق بأيديولوجيتهم ونظرتهم للآخرين . .

فلماذا نحمل أحمد حسين وحزبه مالا طاقة لهما به .. ونصمهما بالفاشيه لأنهما لم ينظما الجماهير — رغم كل ما بذلاه — بينما لا نطلق ذات الأوصاف على الآخرين .. رغم أنهم كانوا أقل جهدا فى هذا الصدد . . أو رافضين بالمرة ! ؟

لا شك أنه ظلم لا مبرر له .

نقطة واحدة لمسها الدكتور أنيس كانت خطأ أحمد حسين الفادح .. وهى مساواته فى الهجوم بين الاستعمار والملك . . وبين الوفد . . ودعوته

لإسقاط حكومة الوفد دون أن يوجـد بديل ثورى أفضل منها يتسلم زمام البلاد . .

وهى سقطة سياسية بكل المقاييس . .

لكنها أيضا لا تبرر اتهام أحمد حسين وحزبه بالفاشية . . وليست دليلا ولا قرينة على أنه أحرق القاهرة . .

وليس هذا رأينا فقط . . ولكنه رأى الوفد نفسه . . [1]

(١) راجع شهادة فؤاد سراج الدين — الملاحق .

.. الإخوان المسلمون ؟

لم يذكر الإخوان المسلمون بكلمة فى ملف حريق القاهرة .

وليس بين أيدينا أى شىء يشير إلى اتهامهم ، سواء بالتنفيذ أو بالتحريض .

ولم يقبض على واحد منهم .. أو يحقق مع أحدهم ..

ويبدو ذلك أمرا غريبا . لأن سلطات التحقيق اعتبرت كل « الجماعات المتطرفة » مسئولة عما حدث . ومن هنا كان الاتجاه نحو الحزب الاشتراكى والشيوعيين .. واعتبرت ما كان يكتب فى صحف هذه الجماعات .. وما كان يقال فى مؤتمراتها .. ومايسمع فى مظاهراتها .. يمثل « الجو » الذى تولدت فيه الحوادث . .

وقد كانت جماعة الإخوان المسلمين تعتبر بكل المقاييس جماعة متطرفة بل والجماعة الوحيدة التى تتبع العنف ، أحيانا ، للتعبير عن تطرفها .. وهو مادفع النظام القديم ، والملك فاروق شخصيا ، لتدبير حادث اغتيال الشيخ حسن البنا .. كطريقة لمواجهة العنف بالعنف ..

كما كانت جريدة الإخوان « الدعوة » تنشر الكثير مما يتفق مع ماتنشره بقية الجماعات المذكورة .. من انتقادات للأوضاع .. وتنديد بالاحتلال .. والانحلال .. وإشادة بالكفاح المسلح فى القنال ..

وكان بعض أقطاب الجماعة يحضرون مؤتمرات الحزب الاشتراكى .. ويجتمعون مع الشيوعيين وأنصار السلام .. ويكتبون المقالات فى الصحف اليسارية ، كالاستاذ سيد قطب بصفة خاصة . بل وقامت فى تلك الفترة نواة الجبهة متحدة تضم الاشتراكين والشيوعيين والإخوان المسلمين !

لكن الواقع أن ملف قضية حريق القاهرة كله جاء خاليا تماما من أى أثر لأتهام الإخوان المسلمين ..

ومع ذلك .. فقد ترددت ، ولاتزال تتردد بعض وقائع تحمل الإخوان المسلمين مسئولية حريق القاهرة .. أو مسئولية مافى هذا الحدث الخطير .

فما هى هذه الوقائع ؟

□ □ □

الواقعة الأولى :

غلبة المسحة الدينية على الحوادث . فتدمير البارات والكباريهات وغيرها من دور اللهو مما يعكس اتجاها دينيا يستنكر وجود هذه المحال .. وهو مايشير إلى نوعية القائمين بعمليات الاتلاف والحرق .. باعتبارهم أشخاصا ذوى نزعة دينية متعصبة ..

يضاف إلى ذلك ماتردد من عبارات تكشف عن نفس النزعة .. مثل « الله أكبر » .. و« احرقوا محال الكفار » .. وماإلى ذلك من عبارات

وأيضا : ظهر أشخاص يرتدون الزى الدينى .. وملتحين .. بين الجموع التى اشتركت فى الحوادث ..

كل هذا جعل البعض يعتقد أن الإخوان المسلمين — أو بعضهم — كانوا يشاركون فى إحراق القاهرة ..

بل إن أحد كبار المسئولين عن تحقيق الحوادث ، قال لى أنه يعتقد اعتقادا أكيدا أن الإخوان شاركوا فى الحوادث بنسبة النصف . . وأنهم يتحملون مسئولية كل الحوادث التى وقعت لدور اللهو والسينمات والمراقص بينما يتحمل مسئولية النصف الآخر — وهو المؤسسات الرأسمالية كالشركات والبنوك وما إلى ذلك — الحزب الاشتراكى ورئيسه أحمد حسين . .

وقد رد من يمثل رأى الإخوان المسلمين على ذلك بالآتى :

١ — لم أسمع أن أحدا اتهم الإخوان المسلمين بحرق القاهرة ولا حتى المشاركة فى أحداث الحريق والتخريب لامن جهة التحقيق ولا خلال المحاكمة ولا من المعلقين على هذه الأحداث سواء من الصحفين أو الكتاب أو الأجانب .

٢ — لاأهداف الجماعة ، ولا أساليبها ووسائلها ، ولا ماضيها يسوغ ذلك الظن أو الاتهام . ولو كان هناك شبهة لما أفلتهم التحقيق ..

٣ — أما عن دعوى مشاهدة بعض الملتحين أو الذين يهتفون الله أكبر فى ذلك اليوم فهى دعوى داحضة من أساسها لأن إطلاق اللحية أو مجرد ترديد « الله أكبر » لايصلح أن يحمل أى دليل ضد الجماعة . فالملتحون من غير الإخوان أكثر من الملتحين من الإخوان أنفسهم .. والهتاف بالتكبير ماأكثر مارددته حناجر عامة المسلمين .. بل وحناجر معادية للجماعة عداء عقائديا بقصد التستر والتضليل ..(١)

(١) راجع شهادة فريد عبد الخالق - الملاحق .

وهو فيما أعتقد ، رد منطقى .. ينفى الشبهة العامة عن الإخوان المسلمين

□ □ □

الواقعة الثانية :

قيل على وجه التحديد .. أنه فى حادث حريق كازينو أوبرا بالذات ــ وله ماله من أهميته الخاصة باعتباره الحريق الأول ــ شوهد « ابراهيم كروم » وكان من الإخوان المسلمين البارزين .. يقود عملية الحريق والتخريب

لكن أى تأكيد لهذه الرواية لم يمكن العثور عليه .. ولم يتضمن تحقيق كازينو أوبرا شيئا يؤيد هذه الرواية ..

□ □ □

وقد سألت المسئولين عن الأمن فى تلك الفترة عن رأيهم فى موقف الإخوان ..

قال سراج الدين ، وزير الداخلية .. أنه يستبعد أن يكون الإخوان لهم دور فى العملية ..

وقال اللواء محمد ابراهيم امام أن تحريات البوليس السياسى لم تتوصل إلى مايثبت اشتراك أحد منهم فى الحوادث . . مالم يكن ذلك تم بصورة غاية فى التخفى !

وذكر لى محمد فريد عبد الخالق أن جمال عبد الناصر اتصل بأحد قادة الإخوان وسأله إذا كان الإخوان هم الذين ينفذون عملية الحريق . . وأنه ــ جمال عبد الناصر ــ سأل عما إذا كان الإخوان فى حاجة إلى أى مساعدة وأن الشخص الذى كان يتصل به أجاب بأن الإخوان ليس لهم دور فيما حدث .. وأنهم مفاجأون بالحوادث ..

وفى رأى فريد عبد الخالق أن جمال عبد الناصر كان بهذا الاتصال يجس النبض .. لمعرفة ماإذا كان الإخوان هم الذين يحرقون القاهرة .. أم لا وأن ذلك فى حد ذاته شهادة نفى تباعد بين الإخوان وحريق القاهرة .

□ □ □

وتبقى نقطة هامة تثار فيما يتعلق بالإخوان المسلمين وحريق القاهرة .

ذلك أن هذا الحريق عاد بالوبال على كافة القوى الوطنية . فالوفد أطيح به ، وحمل مسئولية التقصير الذى أدى إلى الكارثة .. وشوهت صورة أكبر قادته . والحزب الاشتراكى سيق للمحاكمة بعد أن قبض على جميع أفراده .. وكان مقررا أن يشنق رئيسه . والشيوعيون وأنصار السلام . . وكافة العناصر اليسارية والديمقراطيه أدخلت إلى المعتقلات وبقيت خلف أسوارها حتى قامت الثورة . .

أما الإخوان المسلمون فلم يصبهم أى شىء من ذلك كله ..

ماتفسير ذلك ؟

إن اتجاه النظام الملكى الاستعمارى لضرب الحركة الوطنية المسلحة كان يفترض أن يوجه ضربة للإخوان .. لاتقل ، بل تزيد ، عن بقية القوى الوطنية .. لأنهم كانوا أكثر من غيرهم مشاركة فى الكفاح المسلح .

والقول بأنه لم يفعل بهم مثلما فعل بالآخرين لأنهم لم يشتركوا فى الحوادث قول مردود ، لأن النظام كان يعرف جيدا أنه لا الحزب الاشتراكى ولا المنظمات الشيوعية واليسارية اشتركوا فى الحوادث .. ومع ذلك فقد وجه لهم الضربات ..

فلماذا لم يحدث نفس الشىء مع الإخوان .. ؟

هناك تحليل واحد يبدو معقولا ..

فقد كان الهدف الأساسى من وراء مؤامرة حريق القاهرة هو التطويح بالوفد باعتباره محور الحركة الشعبية .. ومركز الثقل فى الجبهة الديمقراطية

وآثر النظام الملكى الاستعمارى أن يتهاون ويتملق الإخوان المسلمين . . حتى لايوجه ضربته لأكبر حزبين شعبيين فى آن واحد .

ومن هنا وجه الضربة للوفد .. وأبقى على الإخوان(١)

على أن هذا أيضا لايلقى شبة إشتراك الإخوان المسلمين فى حريق القاهرة ..

---

(١) راجع شهادة صالح عشاوى – الملاحق

.. الشيوعيون ؟

كذب !

أول إشارة باتهام الشيوعيين فى حوادث ٢٦ يناير جاءت على لسان اللواء محمد ابراهيم إمام رئيس البوليس السياسى . فقد ذكر ضمن أقواله فى التحقيق الذى أجراه معه النائب العام أن وزير الداخلية سأله — فى حديث تلفيونى من مكتب حافظ عفيفى بقصر عابدين — عن القائمين بالحريق.. فقال له « الاشتراكيون والشيوعيون » (١)

وجاءت الاشارة الثانية على لسان مصطفى أمين رئيس تحرير أخبار اليوم .. فقد ذكر أثناء الإدلاء بأقواله فى محضر تحقيق النيابة عن واقعة إتصال أحمد حسين به يوم ٢٦ يناير .. أن أحمد حسين — الذى كان قد اتصل به أثناء النهار ولم يجده — عاد واتصل به فى الساعة السادسة مساء ، وأنه — مصطفى أمين — قال لأحمد حسين أن أمامه خبرا بأن « وزير الداخليه أبلغ ولاة الأمور أنكم — أى الاشتراكيين — والشيوعيين ، الذين ارتكبتم الحوادث » (٢)

(١) تحقيق النائب العام مع رجال الادارة — (ص ٩٢ — ٩٧)
(٢) تحقيق رئيس نيابة الصحافة فى قضية أحمد حسين — (ص ١٠٥ — ١٠٦)

. ولما كان وزير الداخلية هو محور هاتين الإشارتين ، حيث جاءت إحداهما فى صورة تبليغ إليه ، والأخرى تبليغ منه .. كان من الضرورى تحقيق موقف فؤاد سراج الدين من هذا الإتهام بشكل عام .. وتلك الاشارتين على وجه التحديد ..

هل اتصل رئيس البوليس السياسى بوزير الداخلية . . لإبلاغه بأن الشيوعيين والاشتراكيين هم الذين يحرقون القاهرة .. ؟

أما منا وثيقتان حدد فيهما فؤاد سراج الدين ماذا فعل بالدقة يوم ٢٦ يناير . . وعمن اتصل ومن اتصل به . . وماذا قال . . وماذا سمع فى ذلك اليوم ..

الوثيقة الأولى هى البيان الذى أصدره عن أحداث اليوم .. ونشر فى « المصرى » يوم ١٠ فبراير . والوثيقة الثانية هى أقوال فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام ..

أما البيان فلم يرد فيه أى ذكر لشيء يتصل من قريب أو بعيد لمن الذين أحرقوا القاهرة أو شاركوا فى حرقها . وتركز كله على كشف عملية تأخير إنزال الجيش ، مكتفيا بما يشير إليه ذلك من دلالات على موقف الملك .

لكن فؤاد سراج الدين فى تحقيق النيابة كان أكثر تحديدا .. وتناول التفاصيل ..

ويستفاد من أقوال فؤاد سراج الدين أنه ينفى نفيا قطعيا أن اللواء محمد ابرهيم إمام اتصل به أصلا فى ذلك اليوم كله .. وكان فى معرض إستنكار موقف رئيس البوليس السياسى من أحداثه .. قال وزير الداخلية :

« لم يتصل بى – اللواء ابراهيم امام – طوال اليوم على جسامة ماوقع فيه ، رغم أنه كان دائم الاتصال بى ليل نهار ، ولأتفه الأمور » ..

وهذا يعنى أيضا أن رأى رئيس البوليس السياسى ، أو اتهامه المبكر للاشتراكيين والشيوعيين ، لم يبلغ لوزير الداخلية .. وإن بقى الاتهام قائما .. من وجهة نظر اللواء محمد ابراهيم إمام ..

أما ماذكره مصطفى أمين من أن سراج الدين أبلغ ولاة الأمور بأن الاشتراكيين والشيوعيين هم القائمون بالحريق .. فالأرجح أنه غير صحيح .

فطيلة يوم ٢٦ يناير كانت اتصالات وزير الداخلية منحصرة بين رجال وزارة الداخلية من ناحية ، ورجال الجيش والسراى من ناحية أخرى .. وبالذات محمد حيدر باشا وعثمان المهدى باشا وحافظ عفيفى باشا .. وكان هؤلاء هم أكبر « ولاة الأمور » الذين اتصل بهم وزير الداخلية .. وخاصة رئيس الديوان .. أما الملك نفسه فلم يحدث بينه وبين سراج الدين أى اتصال ..

ولم يرد على لسان فؤاد سراج الدين فى إعادته للاحاديث التى دارت بينه وبين رجال الملك الثلاثة أى إشارة لأنه يوجه إتهاما معينا للاشتراكيين أو الشيوعيين . وإن كان قد أشار بصورة ملحة إلى أن البلاد تشهد « مؤامرة مدبرة » يجرى تنفيذها فى العاصمة ..

ولسنا ندرى من أين جاء مصطفى أمين بهذا الخبر المنسوب لوزير الداخلية. ١
هل كان مصدره القصر .. الذى كان قد صاغ إتهاما محددا .. وقبل أى تحقيقات .. وربما كان معدا إعدادا مسبقا ! ؟

□ □ □

لكن ماذا قال فؤاد سراج الدين عن « الفاعلين » فى حوادث يوم ٢٦ يناير .. ؟

قال سراج الدين فى محضر تحقيق النائب العام ، الذى بدأ يوم ١١ فبراير .. أى بعد ١٦ يوما من الحوادث :

« الانجليز وراء هذه الحوادث .. ولعل الهيئات الهدامة استغلت مادبره البعض فسارت بالحوادث المشئومة إلى أبعد مدى » .

وهذا الرأى مختلف تماما عما نسب إلى فؤاد سراج الدين فى الخبر المزعوم لمصطفى أمين . لأنه فيه لا يتهم الاشتراكيين والشيوعيين بأنهم هم الذين يرتكبون الحوادث ولكنه يتهم الإنجليز بصفة أساسية ..

بل أكثر من ذلك ، فإنه اتهم – ومنذ هذا الوقت المبكر ، ورغم الظروف الصعبة التى كان يمر بها – الملك ورجاله فى البوليس .. وبالذات فى البوليس السياسى . . بأنهم المدبرون والفاعلون الأصليون . . يقول فؤاد سراج الدين فى نفس التحقيق . . وقبل أن يذكر العبارة التى سبقت الإشارة إليها :

« إن استعراض الحوادث التى مرت فى ذلك اليوم ومسلك بعض الرؤساء والضباط بالذات الذين أشرت إليهم يجعلنى أعتقد أن يدا دبرت معهم هذا الموقف الذى اتخذوه واتفقت معهم على اتخاذ هذه الإجراءات التى أشرت إليها والتى ترتب عليها انتشار الفوضى » .

كل هذا يرجح أن فؤاد سراج الدين لم يتبن الرأى الذى نسبه إليه مصطفى أمين ، والذى قال أنه أبلغه لولاة الأمور ..

وحتى ما ذكره فى التحقيقات عن الهيئات التى سماها بالهدامة .. فإنه من الواضح أنه لاينطوى على اتهام أصلى .. وإنما اشتباه فى أنها ربما تكون شاركت فى الحوادث بعد أن كانت قد دبرت بواسطة الإنجليز و «البعض»–

وكان سراج الدين يقصد بكلمة « البعض » هذه الملك ورجاله — وانتقلت من مرحلة التدبير إلى مرحلة التنفيذ..

ويمكن اعتبار هذا المقطع من كلام فؤاد سراج الدين جزءاً من الصراع السياسى الذى كان محتدما بين وزير الداخلية وبين التنظيمات والأحزاب ذات البرامج التقدمية ؛ والتى كانت من ناحيتها تعارض فؤاد سراج الدين بعنف .. بينما كان هو يعتبرها تهدد مركزه ومركز حكومته .. وليس اتهاما جنائيا محدداً ..

□□□

والمؤكد أن اتهام الشيوعيين بالذات لم يكن له أى أساس عند فؤاد سراج الدين .. بحيث يمكن تفسير وصف « الهدامة » الذى اتبع به الهيئات التى قال أنها ربما تكون قد سارت بالحوادث إلى أبعد مدى ، بأنه وصف ينطبق على الشيوعيين .. ويقصدهم .

من ناحية لأنه كان يستطيع أن يحدد من يقصدهم صراحة .. ولم يكن فى ذلك ما يحرجه أمام سلطات التحقيق ، وأمام الملك ..

ومن ناحية أخرى لأننى عندما سألته عما إذا كان يعتقد أن الشيوعيين دبروا أوشاركوا فى حريق القاهرة نفى نفيا حاسما .. واستبعد إمكانية حدوث ذلك . وعزز رأيه بأن الشيوعيين — ومهما كانت خلافاتهم مع حكومة الوفد ، أو معه شخصياً كوزير للداخلية — لم يستمتعوا بقدر من حرية الحركة ، مثلما حدث فى فترة حكومة الوفد الأخيرة .. وكان سقوط هذه الحكومة يعنى ضرب نشاطهم قبل أى جماعة أخرى فى البلاد .. ولم يكن من المعقول أن يقدموا على عمل يعود بالضرر عليهم ..(١)

(١) راجع شهادة فؤاد سراج الدين — الملاحق .

وقد سألت فؤاد سراج الدين بشكل مباشر عما إذا كان قد أبلغ ولاة الأمور بأن الشيوعيين والاشتراكيين هم الذين أحرقوا القاهرة .. وعما إذا كان الخبر الذى أبلغه مصطفى أمين لأحمد حسين بهذا المعنى صحيحاً . . فأجاب بأنه غير صحيح مائة فى المائة .. وكذب . وأنه لم يكن فى ذلك اليوم كله يهمه تحديد المسئولية عما يحدث .. وإنما وقفه بأى طريقة . كما أكد أنه لم يقل بهذا الاتهام أيضاً بعد يوم ٢٦ يناير .. وإلا لذكره فى بيانه الصادر فى ١٠ فبراير أو بعد ذلك .. وهو مالم يحدث .

كذلك من الواضح أن اتهام اللواء محمد إبراهيم إمام للشيوعيين — وأيضاً للاشتراكيين — لم يكن قائماً على أساس جدى ..

فرئيس القسم السياسى لم يقدم تقريرا لاقبل الحوادث .. ولا فى يوم ٢٦ يناير نفسه .. ولا بعد ذلك ، يبرر اتهامه للشيوعيين بأنهم شاركوا فى حريق القاهرة . وحتى عندما أدلى بأقواله أمام النائب العام فى ١١ فبراير .. وبعد حوالى ١٦ يوما من وقوع الحوادث . . لم يقدم أى قرينة أو حتى اشتباه يسند هذا الاتهام .. واكتفى بالقول بأنه أبلغ وزير الداخلية يوم الحوادث.. بأن الشيوعيين مع الاشتراكيين هم الذين يقومون بالحوادث ..

يؤكد ما نقول أيضاً ما أدلى به اللواء محمد إبراهيم أمام نفسه إلى . . فقد قال أنه يستبعد تماماً الشيوعيين من العملية . . وإن كان بقى على اتهامه للاشتراكيين [1] ...

□ □ □

ويبقى رجل ثالث يجب الاستماع إليه فى قضية الاتهام العام للشيوعيين فى حوادث ٢٦ يناير .

---

(١) راجع شهادة اللواء محمد إبراهيم امام — الملاحق .

إنه اللواء عمر حسن الرجل الذى عمل بالقسم المخصوص منذ سنة ١٩٢٩ ، ورأسه من سنة ١٩٤٧ . . وظل رئيساً له حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ :

وصف اللواء عمر حسن عمل القسم المخصوص فى تحقيق النائب العام[1] بأنه « مقاومة المبادىء الهدامة ، بالبحث عن أوكار الشيوعية والخلايا وما تصدره من منشورات ، وكذلك نشاط الهيئات الأخرى كالاشتراكيين وأنصار السلام ونشاط الطلبة الضار بالأمن العام » .

وسأله النائب العام كرئيس للقسم المخصوص ، عما إذا كان قد توقع حدوث شىء مثل الذى حدث يوم ٢٦ يناير . . فأجاب :

« نشاط الاشتراكيين وكذلك الشيوعيين وأنصار السلام . . وا نتشارهم جعلنى أتوقع عدم استقرار الأمن العام . . وإن كنت لم أتوقع حصول شىء فى يوم ٢٦ يناير بالذت » . .

لكن حدث شىء فى يوم ٢٦ يناير بالذات . . فلماذا لم تتوقعه أو تشعر بمقدماته . . هكذا عاد يسأل النائب العام الرجل الذى أمضى ٢٣ سنة فى مكافحة الشيوعية . . فأجاب عمر حسن :

« القسم بوسائله الحالية لم يكن فى استطاعته الوقوف على ذلك — يقصد توقع أحداث ٢٦ يناير . . . »

أما لماذا لم يكن فى استطاعته ذلك . . فيقول :

« . . . خصوصا وأن معظم نشاطه — أى نشاط القسم المخصوص — ينصب على الحركة الشيوعية . . »

---

(١) تحقيق النائب العام مع رجال الإدارة — (ص ٦٣ — ٦٥) .

ثم ألقى عمر حسن المسئولية على البوليس السياسى ، وقال أنه الجهة التى يفترض أن تعلم بمثل هذه الأحداث مقدما . . وأن تتحرى عنها وتصل إلى فاعلها بعد وقوعها . .

وأكد فى نهاية التحقيق أنه «ليس لديه معلومات عن تلك الحوادث»

هذه شهادة رجل مكافحة الشيوعية الأول فى العصر الملكى . إنه يقول أن عمل قسمه ينصب على الحركة الشيوعية ، ولذلك فإنه لم يستطع أن يتوقع شيئا عن حوادث ٢٦ يناير . . لأن هذه الحوادث تدبيرا وتنفيذا لم يقم بها الشيوعيون وإنما جهات أخرى ليست من اختصاصه !

وهى شهادة تقطع بأن الشيوعيين كانوا بعيدين كل البعد عن حريق القاهرة . .

بل إن العلاقة الثابتة بينهم وبين هذه الحوادث . . هى أنهم الوحيدون الذين حذروا منه . . ومنذ فترة غير قصيرة . . عندما نبهوا القوى الوطنية بأن أعداء الشعب يعدون لمؤامرة لضرب النضال الوطنى المصرى . . فكتبت جريدة «الكاتب» الأسبوعية لسان حال حركة أنصار السلام التى كان للشيوعيين دورا بارزا فيها :

« مؤامرة خطيرة »

«راجت فى هذه الأيام فى الأوساط السياسية وفى النوادى الحزبية أخبار تفيد اشتراك البوليس السياسى المصرى مع السفارة الإنجليزية فى إثارة الشعب فى مناسبة هامة مقبلة .

وتفيد الأخبار أنه سيقبض على عدد ضخم من الوطنيين الأحرار متهمين باثارة هذا الشعب وتهم أخرى تلفق لهم فى حينها . كما تفيد أن سجن مصر العمومى قد أخلى من المسجونين السياسيين القدامى ليستقبل المسجونين السياسيين الجدد» (١) . .

وظل الشيوعيون يحذرون الجماهير الشعبية والاحزاب والهيئات الوطنية من مؤامرات القوى المعادية للحركة الوطنية باستمرار . .

ولعل هذا التحذير من جانب الشيوعيين . . والذى يدل بطبيعة الحال على حصولهم على معلومات عن نوايا وخطط أعداء الوطن والشعب . . لعله يفسر ظاهرة غريبة ارتبطت بالحريق . .

فمن الثابت أنه لم توجه للشيوعيين كاتجاه سياسى أو كحركة عملية ، أى اتهامات . فلم يشر إليهم فى أى بيان رسمى على لسان البوليس أو النيابة .. كما لم يقبض على شيوعى واحد أثناء الحوادث . . أو على ذمتها . . ولم يدخل شيوعى واحد فى أى قضية من قضايا الحريق بأى مستوى كان . .

لكن لوحظ أن الحملة الإعلامية تركزت على الشيوعيين أكثر من أى جهة أخرى . . وأكثر حتى من أحمد حسين والحزب الإشتراكى ، الذين اتهموا رسميا — وأيا كان زيف الاتهام — بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة !

فقد ظهرت ملصقات ، علقت فى الشوارع ، تحمل صورا للمدينة المحترقة . المخربة تتصاعد منها السنة اللهب وأعمدة الدخان . . ومكتوب عليها : «الشيوعيون فعلوا هذا» . . وكان هذا بمثابة رد مسعور على كشف الشيوعيين للمؤامرة منذ وقت بعيد . .

وعلى أى حال فإن لهذه الملصقات قصة . . سنأتى اليها . .

---

(١) مجلة «الكاتب» صاحبها يوسف حلمى المحامى، رئيس التحرير سعد كامل عدد ٥ مايو ١٩٥١

على أن عدم توجيه اتهام عام للشيوعيين — فيما عدا الاتهام الإعلامى اياه ! — بأنهم مسئولين عن حريق القاهرة . . لم يمنع قيام السلطات بمحاولات «لجر رجلهم» . . بأى طريقة . .

والطريف فعلا أن أول هذه المحاولات تمت فى أول لحظة للحوادث ..!

حدث حريق كازينو أوبرا . .

وعلى الفور تقدم شاهدان وقررا أنهما « شاهدا شخصا اسمه محمدعبدالمنعم تمام يدخل مبنى الكازينو ويقذف بمنقولاته فى النار المشتعلة أمامه[1]

وطبعا لم يكن من الممكن لأى شهود آخرين أن يروا ما رآه هذان الشاهدان . . فقد كانا من مخبرى القسم السياسى !

المهم أن المخبرين السياسيين محمد جمال شبلى ورضوان عبد الباسط

(١) محضر الاطلاع على حوادث : سينما مترو — كازينو أوبرا — سينما ريفولى — الترف كلوب — محل كوداك — سينما ميامى — محل بنزايون — ص ٤ تحقيق الأستاذ جمال العطيفى .

أسرعا وأخبرا اللواء محمد إبراهيم امام والبكباشى محمد عبد المنعم اللذين كانا بالميدان . . فكلفاهما بضبط عبد المنعم تمام هذا . . لكنهما عندما عادا لضبطه . . لم يجداه !

وجاء المخبران أمام رئيس نيابة شمال القاهرة الأستاذ عبد الخالق علام وأدليا ببقية شهادتهما . . قالا أن محمد عبد المنعم هذا معروف لديهما «بميوله» الشيوعية . . وإحداث الاضطرابات . . وأنه سبق اتهامه فى قضايا مظاهرات . .

وأيد أقوالهما اللواء محمد إبراهيم امام والبكباشى محمد عبد المنعم . . .

وجىء بمحمد عبد المنعم تمام . . فنفى أنه فعل ما ذكره المخبران.

وثبت أنه ليس شيوعيا . . وإن كان من الطلبة النشطين فعلا . .

ورغم أنه حبس فترة على ذمة التحقيق ، الا أن النيابة أفرجت عنه لعدم ثبوت اتهام المخبرين السياسيين عليه !

وفشلت أول محاوله للصق تهمة اشتراك شيوعيين فى الحوادث !

□ □ □

وقبل هذه المحاوله المباشرة ، كانت تتم محاوله أخرى . . جاء ذكرها فيما بعد . . الغرض منها إيجاد «جو عام» لاتهام الشيوعيين . .

فيوم ٢٦ يناير الساعة ١١٫٣٠ أو ١٢ . . شاهد أحد الضباط المكلفين بمراقبة الحالة . .

«مظاهرة قادمة من عابدين ومتجهة فى شارع إبراهيم . .إلى الأوبرا»

حسنا ؟ . . إنها مظاهرة تتخذ نفس المسار الذى قيل أنه اتخذته المظاهرة التى دمرت وأحرقت كازينو أوبرا فى بعض الروايات .. !

ثم . . أنه نفس التوقيت الذى قيل أنه تم فيه تحرك مظاهرة إحراق الأوبرا . . !

وماذا قال الضابط أيضا ؟

«كانت تهتف بهتافات تقريبا شيوعية . . مثل روسيا . . روسيا . . نريد روسيا» . .

وأضاف :

«وكان عددها حوالى ١٥٠ ومكونة من العمال الذين يقودهم طلبة» . .

كان اسم الضابط الذى رأى المظاهرة الشيوعية : اليوزباشي محيي الدين عارف . . بالقسم المخصوص[(١)] !

وللحقيقة ؛ فإن ما ذكره هذا الضابط وليس فيه أى شىء غير عادى فالمظاهرات التى ينظمها ويقودها الشيوعيون كانت كثيرة .. وطبيعية جدا

كما كانت الهتافات الثوريه — التى يصفها ضابط القسم المخصوص بالشيوعية — ملء سماء مصر كلها . .

أما شعار تعزيز العلاقات بالإتحاد السوفيتى ، فى صورة إقامة معاهدة صداقة وعدم اعتداء . . أو اللجوء إليه للحصول على السلاح . . فكان مطلبا شعبيا ووطنيا عميقا . . وكان هتافا لكل المؤتمرات والمظاهرات الوطنية فى تلك الفترة . .

---

(١) تحقيق خط سير المظاهرات — (ص ١٣ — ١٥) . تحقيق الاستاذ محمد صدقى البشبيشى .

لكن المسألة فى شهادة هذا الضابط أنها كانت شهادة مفتعلة: ومختلقه من أساسها . . بهدف عمل شوشرة على موقف الشيوعين . .

وليس أدل على ذلك من أن هذه المظاهرة لم يرها . . ويسمع هتافاتها «الشيوعية» إلا ضابط القسم المخصوص . . وحده !

فقد سأل المحقق القائمقام محمود الديب ، الذى كان يقف بميدان الأوبرا أيضا :

س – ألم تمر عليك مظاهرة تهتف «روسيا روسيا . . نريد روسيا..»؟

ج – لم أسمع هتافات بذاتها لروسيا .وإنما سمعت هتافات ضد انجلترا وفرنسا وأمريكا . . أثناء الحريق وبعد الحريق[1] . .

وسأل المحقق البكباشى عبد المنعم رشدى مأمور قسم عابدين، والذى كان متواجدا طول الوقت بميدان عابدين :

س – ألم تسمع بعض المتظاهرين يهتفون روسيا روسيا . . نريدروسيا ؟

ج – لا . .

كما نفاه أيضا القائمقام عبد العزيز على[2] .

ولم تسفر محاولة ضابط القسم المخصوص عن القاء أى شبهة على الشيوعين.. !

□ □ □

وكانت المحاولة الثالثة . . اتهام إحدى السيدات بقيادة المظاهرات . . المخربة .

---

(١) تحقيق خط سير المظاهرات (ص ١ — ٦) . .
(٢) التحقيق السابق .

قال أحد الشهود أنه رأى فتاتين تقودان المتظاهرين فى ميدان سليمان باشا..

واجتهد البوليس حتى «عثر» على اسم سيدة . . وقدمه للنيابة . . ومع الإسم تقرير عنها : انها شيوعية ، سبق اتهامها فى قضية شيوعية سنة ١٩٥٠ . ولها نشاط . . وتتردد على نادى السيارات . . وجاءوا بشاهد «خواجة» ليقول أنها فعلا يحتمل أن تفعل شيئا .

وجاءوا بالسيدة ، فقالت أنها فعلا اتهمت فى قضية شيوعية ، وأنها تعرف هذا الخواجة . . لكنها لم تشترك فى أى عمل يوم ٢٦ يناير . . لسبب بسيط وهو أنها لم تنزل إلى الشارع فى ذلك اليوم . فقد كانت تعد مع خياطتها فساتين جديدة . . لها ولأختها . . وكان ذلك كله فى منزل طبيب قريب لها

وتطابقت شهادات الأخت والأقارب ..

وتبخرت المحاولة .. التى كانت أقل من أن تصمد أمام أول تحقيق !

□ □ □

لكن المحاولة الرابعة كانت أطرف المحاولات كلها ..

فقد تبنتها « أخبار اليوم » بطريقتها الشهيرة .. فنشرت يوم ١٥ مارس ١٩٥٢ تحقيقا كبيرا على الصفحة الثالثة تحت عنوان ضخم هو :

« سر نوال التى قادت مظاهرات يوم حريق القاهرة »

ونشرت اشارة للتحقيق على الصفحة الأولى ، مع صورة « لنوال » هذه .. فى المساحة المخصصة للصورة الرئيسية للعدد .

وكانت أهمية نوال بالنسبة لأخبار اليوم — وأخبار اليوم وحدها كما سيتضح فيما بعد — أوسرها .. يكمن فى أمرين :

١ — أنها تعمل فى صحيفة متطرفة ..

٢ — أن دوائر التحقيق تقول — هكذا زعمت أخبار اليوم — « أنه إذا اتضح أن خيط النور الذى جاء مع نوال يؤدى إلى أحد أبواب التحريض فسوف يستفيد كثيرا من هذا الضوء الذى سيلقى على دور الشيوعيين فى حريق القاهرة » .

هكذا .. !

ولاتتوقف أخبار اليوم عند هذا الحد .. وتترك الأمر للتحقيق يبحثه مادام لم يصل إلى شىء محدد ، ولكنها تواصل ..

فتقول — على لسان رجل من رجال التحقيق — « لم يكن هناك تدبير سابق لحرق القاهرة . . ولم يثبت أن هناك أشخاص اجتمعوا وقرروا أن يحرقوا القاهرة يوم ٢٦ يناير . . لأن أحدا غير الله لم يكن يعلم أن الاسماعيلية ستدك وأن مظاهرات ستخرج فى اليوم التالى وسينضم اليها بلوكات النظام ..

« أما الشىء الذى أثبته التحقيق فهو التحريض السابق على يوم الحوادث فى بعض ما كتب وما حدث لبعض البارات والكباريهات .. وتحريض فى يوم الحوادث نفسها بدأ بعد حريق نادى الترف مباشرة . . وكان مجرد تحريض بالفم حتى الساعة الثانية تقريبا .. ثم تطور بسرعة رهيبة إلى تحريض باليد ابتداء من الساعة الثانية إلى آخر اليوم الأسود .. »

وتمضى أخبار اليوم فى التحديد :

« والذى يعتقده المسئولون أنه حدث من وراء الستار هو اجتماعات

سريعة لعدة خلايا شيوعية ، وشيوعية بالذات ، لأنه ليس فى القاهرة هيئة أكثر تنظيما من الشيوعيين وأكثر اتصالا بحيث يستطيع جميع أفراد الخلية الواحدة أن يجتمعوا فى أقل من ساعة . تقرر فيه استغلال الشغب الذى وقع ، وتوجيه الضربة بعنف وقسوة وقوة . وانفضت هذه الاجتماعات بسرعة ، وخرج كل أربعة أو خمسة يدبرون أنفسهم .. فاحضروا سيارة وأعدوا « البلط » و « الأجنات» الحديدية وكرات القماش المشبعة بالبترول أو مادة الفوسفور الحارقة التى تشتعل أحيانا بمجرد تعرضها للهواء .. ثم انتشروا فى القاهرة »

وتستدرك أخبار اليوم .. حتى تعطى لكلامها مسحة موضوعية .. بعد كل الذى قالته وأفاضت فيه . .

« لكن هذا لايعنى — كما يقول رجل التحقيق —
أن الشيوعيين وحدهم هم الذين حرضوا على حرق القاهرة
فهناك — قطعا — أيد أخرى يهمها أن يتم حرق القاهرة
لصالح العدو » ..

ورغم مافى كلام أخبار اليوم من أحكام مطلقة وقاطعة . . تكشف عن « رغبتها » فى اتهام الشيوعيين .. والشيوعيين وحدهم .. بحرق القاهرة ..

فمن ناحية لم يثبت أنه كان هناك تدبيرا مسبقا .. حتى تنتفى الشبهة عن أى جهة أخرى !

ومن ناحية ثانية فإن « التحريض » الذى ثبت وجوده قبل الحوادث.. فهو التحريض « بالكتابة » . . و « ماحدث لبعض البارات والكباريهات »

أما تحريض اليوم نفسه .. فهو التحريض الخطير .. وهو « بالفم » و « اليد » ..

وما كان ذلك ليحدث الا بواسطة الشيوعيين .. وليس أى جهة أخرى غيرهم .. « لأنه ليس فى القاهرة هيئة أكثر تنظيما من الشيوعيين وأكثر اتصالا بحيث يستطيع جميع أفراد الخلية الواحدة أن يجتمعوا فى أقل من ساعة ، تقرر فيه استغلال الشغب الذى وقع ، وتوجيه الضربة .. »

وليس هناك أدنى شك فى رغبة « أخبار اليوم » فى اعتبار الشيوعيين هم الذين فعلوا كل شيء فى ذلك اليوم .. الأسود !

فقد « انفضت الاجتماعات بسرعة .. وخرج كل أربعة أوخمسة – حتى لايقال أن قلة عدد الشيوعيين فى القاهرة تجعل من غير المنطقى أن يقوموا بكل ماحدث ! – يدبرون أنفسهم (!) فاحضروا سيارة وأعدوا البلط والأجنات الحديدية وكرات القماش المشبعة بالبترول أو مادة الفسفور الحارقة التى تشتعل أحيانا بمجرد تعريضها للهواء . ثم انتشروا فى القاهرة .. »

المدهش حقا أن تكتشف « أخبار اليوم » كل هذا .. أى لغز حريق القاهرة كله .. وتضع يدها على « الفاعلين الحقيقيين » من خلال « نوال » ..

فكيف كانت « نوال » هذه مفتاح السر الخطير ؟

لم تقدم « أخبار اليوم طبعا أى اجابة على هذا السؤال البديهى جدا .. واكتفت بالقول بأنها « تعمل » – ولاحظ كلمة تعمل هذه وتذكرها عندما نعود اليها بعد قليل – فى جريدة « متطرفة » .. !

ولم تكن « أخبار اليوم » تستطيع أن تذكر معلومات إضافية عن « نوال » هذه تؤكد بها صلتها بالشيوعيين .. فضلا عن قيادتها لهم .. بحيث يصبح

تقديمها فى صورة قائدة للمظاهرات . . ومحرضة خطيرة على الحرائق . . ومفتاح سر تدبير وتنفيذ الشيوعيين لأخطر مؤامرة شهدها تاريخ مصر الحديث والمعاصر كله . .

فقبل أسبوع من نشر تحقيق أخبار اليوم « المفبرك » كانت الصحف الأخرى قد نشرت معلومات عن « نوال » هذه ، ليس فيها شيئا يتفق من قريب أو بعيد مع مانشرته أخبار اليوم . . بل انها ذكرت العكس تماما عندما قالت « أن البوليس السياسى قرر أنها — أى نوال — ليس لها أى نشاط سياسى »[1] . .

لكن . . إن الشيء الخطير فى موضوع نوال فى أخبار اليوم . . أنه قدم باعتباره تصريحات منسوبة لسلطات التحقيق .

وهو محض افتراء . . مزيف بالكامل !

لقد شمل نوال هذه تحقيق النيابة فى حادث محل جروبى سليمان باشا . . وتولاه الأستاذ عادل نور ، وبدأ يوم السبت ٢٦ يناير . . وهذا ماخص نوال فى هذا التحقيق منذ البداية . . إلى النهاية :

□ بدأت قصة نوال عندما تقدم محمد بك حمزة ليدلى بشهادته ، ويذكر فيها أنه لفت نظره أن بنتا تقود المتظاهرين وهى تهتف « يا الله ياشعب » . . (سبق إثبات هذه الشهادة فى موضوع آخر) . .

□ فى اليوم التالى تعرف عليها أحد الكونستابلات . . فقبض عليها وسلمها لقسم قصر النيل . وقد سأله رئيسه البكباشى حسن طلعت عما إذا كان قد

---

(١) جريدة « الزمان » — ٨ مارس ١٩٥٢

واجهها بالاتهام عند القبض عليها ، فقال أنه فعل ذلك ، وأنها اعترفت له بأنها كانت مع المتظاهرين فعلا .. وإن كانت نفت أنها كانت تقودهم .

وقدم البكباشي حسن طلعت نوال إلى النيابة مع هذه البيانات :

□ اسمها نوال أحمد أبو قورة

□ تعمل بقسم الاعلانات بجريدة « المعارضة »

□ تقيم بلوكاندة الجنينة بشارع كلوت بك ..

وسألها وكيل النيابة :

س — ماعلاقتك بحوادث ٢٦ يناير .. ؟

ج — .. يوم السبت رحت القصر العيني الصبح الساعة ٨ عشان أغير على رجلي . . مالحقتش قطع التذاكر . . قعدت للساعة ٢ — ركبت الترام .. ولقيت الشوارع كلها مظاهرات فمشيت وسط الزحمة لغاية ماوصلوا العتبة وأنا ماشية معاهم ..

س — هل كنت تهتفين أو تحرضين المتظاهرين على الاعتداء ..

ج — لا .. لأنهم كثير . ومش معقول رايحين يسمعوا كلامي أنا ..

وسألها المحقق إذا كانت تعرف شيئا عن الجريدة التي تعمل فيها فقالت أنها لاتعرف حتى اسم صاحبها أو رئيس تحريرها . وأنها تعمل مع المسئول عن الإعلانات . . بأن تذهب إلى المحلات وتطلب منها أن تعلن في الجريدة فإذا وافق صاحب المحل عادت إلى الجريدة وأبلغت مدير الاعلانات ليذهب لأخذ الاعلان . .

وثبت أن الفتاة « الخطيرة » لاتعرف القراءة والكتابة ، وأنها « تبصم » في مكان التوقيع في محاضر النيابة !

وثبت أنها لم تفعل أى شيء الا أنها عندما سارت مع الجموع « تحمست » بعض الشيء .. ولما سألها وكيل النيابة عن سبب حماسها :: قالت أن لها أخا ضمن قوات النظام بالاسماعيلية .. وهى تعتقد أنه اما جرح أو مات فى مذبحة الاسماعيلية . . وأنها كانت تتذكر أخاها وهى تمشى بين المتظاهرين .. « فتنفعل » .

ولم تذكر كلمة واحدة فى التحقيق كله تشير إلى انتساب نوال إلى أى جهة سياسية أو غيرسياسية .. لم تذكر كلمة عن الشيوعية أو الشيوعيين .. قط !

وانتهى التحقيق فى حادث محل جروبى .. بحصره فى ثلاثة متهمين .. بينهم نوال أبو قورة . . وشخص آخر تعرفت عليه نوال نفسها . . وشخص ثالث .

وبعد عرض التحقيق على الاستاذ أحمد فؤاد سرى رئيس النيابة العسكرية قرر قيد الجناية رقم ٣٩٦ عسكرية عليا ضد مجهول .. وحفظها بالنسبة للمتهمين الثلاثة ..

هذه قصة نوال كاملة .

هل وضح منها كيف سقطت المحاولة الرابعة لاتهام الشيوعيين بحرق القاهرة .. على يد « أخبار اليوم » ! ؟

□ □ □

من الذى أحرق القاهرة إذن .. ؟

جمال عبد الناصر والضباط الأحرار؟

اتهام .. أحمد أبو الفتح !

ونأتى لأخطر الاتهامات ..

اتهام جمال عبد الناصر .. والضباط الاحرار — أو بعضهم — بحرق القاهرة .. وهو اتهام قديم .. لايقل عمره عن ٢٠ سنة .. ولا يزال يجد قبولا عند بعض المثقفين من رجال القانون والصحافة .. ورجال السياسة القدامى ..

وقد ظل هذا الاتهام خافتا طول السنين الماضية .. يتهامس به من يرد ذكر حريق القاهرة على ألسنتهم عرضا ..

حتى توفى جمال عبد الناصر .. وبدأت الهمسات بالاتهام تكتسب قوة أكبر .. ليدخل هذا الاتهام ضمن الحملة السياسية المعادية لجمال عبد الناصر والضباط الأحرار .. وثورة يوليو كلها ..

وبين من يوجهون الاتهام بحرق القاهرة لجمال عبد الناصر من يقطعون .. ومنهم من يسوقه فى صورة أسئلة مفتوحة .. تحوم بالشبهة

حول جمال عبد الناصر دون أن تتورط فى أصدار حكم .. حتى يكون طريق التراجع مفتوحا ..

ومن ناحية أخرى ، من الواضح أنه لاجمال عبد الناصر ولا أجهزة الثورة حاولت أن ترد على هذا الاتهام .. على الرغم من أنه سجل مكتوبا ، وأن جمال عبد الناصر لابد قد قرأه ..

وقد ساعد ذلك التجاهل للاتهام ، إلى استمرار بقائه كل هذا الزمن كما أنه ترتب عليه أن عددا كبيراً من الضباط الأحرار أنفسهم لم يعرف به أصلا .. حتى أنه فوجىء به تماما عندما بدأت تحقيقه !

وبما أن هناك اتهاما من هذا النوع .. فلابد من تحديد معالمه .. ومناقشته .. واخضاعه للبحث ..

لكننى واجهت وأنا أبحث هذا الاتهام اتجاهين ، أولهما يرى أن الاقتراب من هذه النقطة .. هو اقتراب من الخطر . وهذا الاتجاه يريد أن يوحى بأن كون جمال عبد الناصر والضباط الأحرار أحرقوا القاهرة هى مسألة مؤكده .. وثابته . لكن لأن الثورة قائمة ، ورئيس الجمهورية — **الرئيس أنور السادات** — هو أحد الضباط الأحرار .. فإن البحث فى هذه النقطة سيكون حرجا ومحرجا .. فضلا عن أنه محفوف بالمخاطر .. لأن تأكيد الاتهام يعنى دمغ جمال عبد الناصر والثورة بالاجرام .. وبأنها — أى الثورة — عمل غير شرعى تأسس على التآمر ..

بينما يرى الاتجاه الثانى — وهو فى صفوف الضباط الاحرار وأنصار ثورة يوليو — أن الاتهام تافه .. وغير منطقى ومغرض ، لأنه صادر من مجاميع أعداء الثورة وجمال عبد الناصر .. الذين أضيروا اجتماعياً .. وارتبطوا بعلاقات وثيقة بأجهزة المخابرات العالمية .. فراحوا ينفثون سمومهم وأكاذيبهم ضد الثورة وزعيمها .. ومن ثم فإنه اتهام غير جدير بالمناقشة ..

على أننى رأيت غير ذلك ..

فما دام قد وجد اتهام ما .. فى حدث خطير كحريق القاهرة .. فإن هذا الاتهام يجب أن يدرس بموضوعية وتحرر .. أى يناقش فى حد ذاته .. كواقع أو أقاويل أو شبهات .. ليتضح ماذا كانت كل واقعة أو مقولة أو شبهة أم لا .. ثم يكون تحليل الاتهام ودوافعه ..

على هذا الأساس .. وبدون حرج ، أو خشية من أى نتائج .. وبدون استخفاف أو تبسيط للأمور .. سنتطرق إلى اتهام جمال عبد الناصر والضباط الأحرار .

□□□

ما هى الوقائع التى يستند إليها من يتهمون جمال عبد الناصر والضباط الأحرار ؟

لنستمع إلى ممثل الادعاء الأساسى فى هذه القضية ، والذى أخذ عنه كل من يتهم رجال الثورة بحرق القاهرة ..

فقد كتب أحمد أبو الفتح نصلا عن حريق القاهرة فى كتاب أصدره فى الخارج سنة ١٩٥٤ .. تحت عنوان « جمال عبد الناصر »[1] .. جاء فيه :

« وإن كان التحقيق قد فشل فى تحديد الاتهام فإنه قد نجح فى إثبات حقائق تقرر أن حرق القاهرة قد جاء نتيجة خطة منظمة وأنه لم يتم ارتجالا . فالقاهرة لم تشتعل فيها النيران نتيجة هياج الشعب أو تخريب الدهماء ..

(١) « المصرى » — جمال عبد الناصر — بقلم أحمد أبو الفتح — عن « لجنة مصر الحرة » — ص ١٦٨ — ١٩٠ .

« وكان حسن العشماوى[1] فى صبيحة يوم ٢٦ يناير قد سافر إلى إحدى مدن الصعيد ليترافع فى إحدى القضايا ؛ فلما عاد بعد ظهر اليوم التالى أخبرته زوجته أن بعض الضباط قد أحضروا صناديق وضعوها بجراج منزله . وتوجه حسن العشماوى إلى الجراج فوجد به عدة صناديق مليئة بمادة « ت . ن . ت » و « جلجينيت » ..

« واتصل حسن العشماوى بعبد الناصر فأخبره بأن هذه هى بقية المواد التى كان فى النية إرسالها إلى منطقة المعسكرات البريطانية ليستعملها الفدائيون ضد الجيش البريطانى . وأنهم — أى الضباط — رأوا نقلها إلى منزله لأنه بعيد عن الشبهات ، وأنهم يخشون لو بقيت فى منازلهم أن تضبط .

« وعلم حسن العشماوى أن مواد حارقة وناسفة أخرى قد أودعها جمال عبد الناصر وبعض زملائه الضباط منازل آخرين من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين . فاتصل العشماوى بعبد الناصر وأخبره أنه وإن كانت الشبهات لاتدور حول الإخوان المسلمين ، يوجد خطر نتيجة وجود هذه المواد الحارقة والناسفة فى منازل بعض أفراد الإخوان ، واقتنع عبد الناصر

---

(١) عضو مكتب الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين وممثل الجماعة فى لجنة الكفاح المسلح ضد الانجليز .

بذلك وعاد بعد أيام وقد وضع تصميما لبناء مخزن تخزن فيه هذه المواد ، وتم الاتفاق بين عبد الناصر والعشماوى على أن يتم بناء المخزن فى بلدة الأخير بعزبة والده . وقام العشماوى بنقل جميع صناديق المواد إلى عزبة والده بسيارته التى كان يقودها بنفسه ، وذهب سرا فريق من ضباط سلاح المهندسين إلى العزبة حيث تم بناء المخزن وتخزين الصناديق بداخله .

« وفى الخامس من شهر مارس اتصل عبد الناصر بحسن العشماوى وعرض عليه فكرة القيام بانقلاب عسكرى وهى الفكرة التى زارنى من أجلها وشرحتها . فى أول هذا الكتاب ، وعاود الاتصال بالعشماوى فى مساء ٢٢ يوليو وأخبره بعزمه على القيام بانقلاب وطلب منه تأييد جماعة الإخوان المسلمين .

« وأصدرت جماعة الاخوان تعليمات مكتوبة صبيحة يوم الانقلاب إلى جميع شعب الإخوان بالمحافظة على الهدوء وتأييد الوضع الجديد وتقديم كل مساعدة ممكنة لحركة الجيش » .

« وفى ٢٣ يوليو قام الجيش بحركته فكان فى مقدمة القرارات التى أتخذها قرار يقضى باطلاق سراح أحمد حسين ووقف المحاكمة الخاصة بحرق القاهرة بدعوى أن السلطات ستجرى تحقيقاً دقيقا جديداً فى الأمر .

« ومرت السنين .. ولم تقم سلطة قضائية أو عسكرية بالتحقيق . . رغم تحقيق جميع القضايا الأخرى » . .

« حتى قال عبد الناصر فى خطاب افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦٠ : « لقد كان حريق القاهرة أول بادرة للثورة الاجتماعية على الأوضاع الفاسدة . وحريق القاهرة هو تعبير شعبي عن سخط الشعب المصرى على ما كانت ترزح فيه مصر من إقطاع واحتكار ورأس المال » . . « لقد أذهل هذا المقطع من خطاب عبد الناصر الشعب المصرى ، ذلك لأن المصريين كانوا ولا يزالون يعتبرون حرق القاهرة جريمة من أبشع الجرائم التى ارتكبت فى حق مصر فى عهدها الحديث .

« ولقد بارك عبد الناصر حريق القاهرة ، ولكنه لم يجد فى نفسه الشجاعة الكاملة ليعلن على المصريين أنه هو الذى دبر ونفذ بمعونة بعض زملائه أكبر عملية إجرامية تمت فى مصر منذ الاحتلال البريطانى إلى يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

« وقد آن الأوان ليعلم الناس فى مشارق الأرض ومغاربها أن عبد الناصر هو الذى حرق القاهرة وأدلتنا على ذلك :

١ — أن حريق القاهرة قد تم بصفة منظمة وطبقاً لخطة موضوعة .

٢ ـ أن حرق القاهرة قد استعملت فيه مواد ناسفة وحارقة لم يكن بالإمكان أن تتوفر لأى شخص أو هيئة بهذه الكميات الهائلة إلا لضباط الجيش .

٣ ـ أن جمال عبد الناصر كان قد عقد عدة اجتماعات سرية قبل حرق القاهرة مع فريق من الضباط الأحرار المعروفين بميولهم الشيوعية أو اليسارية ، ومن بينهم مجدى حسنين وكذلك خالد محيي الدين ومحمد احمد وبحث معهم هذا الأمر .

٤ ـ عندما تألفت وزارة على ماهر باشا تولى أحمد مرتضى المراغى باشا وزارة الداخلية فجمع أكبر عدد من الصور التى التقطها مصورو الصحف المحلية والخارجية لعمليات حرق القاهرة ويثبت من مراجعة هذه الصور وجود ضباط من أعوان عبد الناصر بين مشعلى النار .

« وإذا أضفنا إلى كل ذلك الأحاديث التى سبقت الحريق بين جمال عبد الناصر وحسن العشماوى عن ضرورة تحويل المعركة ضد الانجليز إلى معركة ضد فاروق ورجال الأحزاب وعن ضرورة القيام بعمل يحقق سيطرة الجيش على القاهرة لوضح لنا أن عبد الناصر هو الذى دبر ونفذ حرق القاهرة . وجدير بى أن أوضح أن عبد الناصر عندما حرق القاهرة لم يستعن إلا بالفريق من الضباط الأحرار المعروف بميوله الشيوعية

ذلك لأنه كان يعلم أن الضباط ذوى الميول الوفدية أو نحو
الإخوان المسلمين لا يوافقون على تنفيذ هذه الجريمة
الكبرى إذ كانوا سيعتبرونها عملية إجرامية تقضى على
نضال الشعب المصرى ضد قوات الاحتلال البريطانية
فضلا عما فى حرق العاصمة من همجية ووحشية . »

□ □ □

هذه هى عريضة اتهام أحمد أبو الفتح . . ضد جمال عبد الناصر وضباطه . . فلنبحثها واقعة واقعة . .

الواقعة الأولى :

[إن ضباطا من طرف جمال عبد الناصر نقلوا عدة صناديق مليئة بمادة «ت. ن. ت.» و «جلجنيت» إلى منزل المرحوم حسن العشماوى . . وإلى منازل غيره من أفراد جماعة الإخوان المسلمين . . خلال يوم ٢٦ يناير...]

ماذا يقصد أحمد أبو الفتح — أو ماذا كان يقصد — عندما أورد هذه الواقعة ؟

بالتأكيد هو لم يكن يقصد أن ذلك عملية حماية لبعض المواد.. وللضباط الذين كانوا يخزنون هذه المواد . .

إنما قصد أحمد أبو الفتح أن يقول أن جمال عبد الناصر وزملاءه هم الذين أحرقوا القاهرة . . واستخدموا فى الحريق مواد ناسفة ومتفجرة . . وأن ما نقلوه إلى منزل حسن العشماوى وغيره كان بقية هذه المواد التى استخدمت فى الحوادث . . أرادوا اخفاءها حتى لا تنكشف جريمتهم . .

ويؤكد أحمد أبو الفتح هذا الاستنتاج فى الخلاصة التى ينتهى إليها بعد

العرض عندما يقول «ان حريق القاهرة قد تم بصفة منظمة وطبقا لخطة موضوعة» . . أى قامت به جماعة عسكرية . . أو تنظيم عسكرى. وعندما يضيف «أن حريق القاهرة قد استعملت فيه مواد ناسفة وحارقة لم يكن بالإمكان أن تتوفر لأى شخص أو هيئة بهذه الكميات الهائلة إلا لضباط الجيش » . .

فما قصة صناديق الأسلحة والمتفجرات هذه ؟

لقد تحريت حقيقتها لدى الطرفين المشتركين فى الواقعة . . الإخوان المسلمين . . والضبابط الأحرار . .

قالت مصادر الإخوان[1] :

□ استنجد جمال عبد الناصر بالإخوان المسلمين يومها — يوم ٢٦ يناير — للتعجيل بنقل ذخيرة وأسلحة من مدرسة التدريب على الأسلحة الصغيرة إلى مكان مأمون توقعا لحركة تفتيش فى وحدات الجيش . وقد تم ذلك فعلا .

□ وعن كيفية النقـل ، بدأت العملية باتصال من مجدى حسنين بجمال عبد الناصر ، وكلامه فى ضرورة التعجيل بنقل ما لديه من مدرسة التدريب إلى خارجها ، شعورا منه بالخطر الذى قد ينجم عنه امتداد يد البحث والتحقيق اليها . وقد تم نقلها بمعرفة الإخوان المسلمين الذين كان يتعاون معهم فى أعمال الفدائيين بالقنال وتدريبهم واستغرق نقلها بضعة ساعات فى نفس اليوم بواسطة أربع سيارات وعلى مرتين إلى منزل أحد أفراد الجماعة بالجيزة . . وليس إلى منزل حسن العشماوى . .

---

(١) راجع شهادة محمد فريد عبد الخالق — الملاحق .

□ بعد أن هدأت الحالة فى العاصمة ، بعد حوالى عشرة أيام ، تم نقل الأسلحة والذخائر فى صناديقها إلى عزبة والد حسن العشماوى ، ووضعت فى مخابئها التى أعدت حسب مواصفات جمال عبد الناصر نفسه ، وإن لم يحضر هو بشخصه ولا غيره وان كان على علم دقيق بكل التفاصيل .

هذه روايه المصادر العليمة فى الإخوان المسلمين . . وهى تختلف فى بعض النقط عن الرواية التى أوردها أحمد أبو الفتح . .

ولأن بعض هذه الاختلافات بالغة الأهمية بالنسبة للنتائج المستخلصة من هذه الواقعة . . فلابد من التوقف عندها :

١ — يقول أحمد أبو الفتح أن الصناديق نقلت إلى منزل حسن العشماوى بينما يقول الإخوان أنها لم تنقل إلى منزل حسن العشماوى وإنما إلى منزل أحد الإخوان بالجيزة .

٢ — يقول أحمد ابو الفتح أنها نقلت إلى منزل حسن العشماوى الذى لم يكن به ، وإنما كان بالصعيد . . وأن الصناديق أودعت بجراج المنزل الذى لم يكن به إلا زوجة المرحوم حسن العشماوى . .

وينفى الإخوان هذه الواقعة من أصلها . ليس فقط بأن الصناديق نقلت إلى منزل شخص آخر . . ولكن بأن المرحوم حسن العشماوى كان بالقاهرة يوم ٢٦ يناير . . ولم يكن بمقر عمله بالصعيد حيث كان وكيلا للنيابة بالمنيا .

٣ — يقول أحمد أبو الفتح أن زوجة حسن العشماوى «أخبرته أن بعض الضباط قد احضروا صناديق وضعوها بجراج منزله» . .

وينفى الإخوان ذلك . . ويقولون أن الصناديق نقلت « بمعرفة بعض

الإخوان المسلمين الذين كان يتعاون معهم – مجدى حسنين – فى أعمال الفدائيين بالقتال وتدريبهم » . .

٤ – يقول أحمد ابو الفتح أنه «ذهب سرا فريق من ضباط سلاح المهندسين إلى العزبة حيث تم بناء المخزن وتخزين الصناديق بداخله» . .

بينما يقول الإخوان أن الصناديق «وضعت فى مخابئها التى أعدت حسب مواصفات جمال عبد الناصر نفسه . وان لم يحضر هو بشخصه ولا غيره ، وان كان على علم دقيق بكل التفاصيل»

واهمية هذه الاختلافات أنها تعطى كل من الروايتين الروح الخاصة بها . . والدلالة المستفادة منها . .

فقصة أحمد أبو الفتح على النحو الذى وردت به فى كتابه ، تريد أن تقول أن ضباط جمال عبد الناصر كانوا منغمسين فى حريق القاهرة بواسطة المواد الحارقة والناسفة . . وعندما تبينوا أنهم «انكشفوا» . . أو أن المؤامرة التى دبروها ونفذوها قد تمت بالصورة التى أرادوها ، على حد سواء ، هرعوا بصناديق المواد الناسفة والحارقة إلى أقرب منزل يعرفون صاحبه ولم يمنعهم من التخلص من جسم جريمتهم (الصناديق) عدم وجود رب البيت . . فتركوها لزوجته وذهبوا . .

ولأنهم كانوا يحرقون بأنفسهم . . فقد ذهبوا هم أنفسهم ليتخلصوا من الصناديق .

وبعد أن عاد حسن العشماوى – حسب رواية أحمد ابو الفتح – اتصل بعبد الناصر مستفهما عن سر الصناديق . . كما لو كان ذلك أمرا يمكن

أن يغيب عن حسن العشماوى الذى كان ممثل الإخوان فى لجنة الكفاح المسلح . . وكانت عمليات نقل الأسلحة والذخائر تتم على يديه بانتظام . . من الضباط الأحرار إلى الإخوان — وغير الإخوان — ثم ترسل إلى الفدائيين منطقة القنال . . لكن الغرض هنا هو الاتهام بأن هذه العملية كان لها طابع خاص . . غير كل عمليات النقل السابقة . .

ورد عبد الناصر على حسن العشماوى بأن «هذه هى بقية المواد التى كان فى النية إرسالها إلى منطقة المعسكرات البريطانية ليستعملها الفدائيون ضد الجيش البريطانى » . . يترك معلقا . . لا يعقب عليه أحمد أبو الفتح بما يؤكده — وهو الحقيقة — ليفهم منه أن جمال عبد الناصر قال ذلك لحسن العشماوى من باب التضليل . .

وسبب بناء مخزن للصناديق فى عزبة والد حسن العشماوى ليس التأمين لهذه الصناديق وإخفاءها بعيداً عن أعين البوليس والمخابرات الملكية .. ولكن الخطر من وجودها فى البيوت ..

وتستبعد رواية أحمد أبو الفتح على لسان حسن العشماوى وجود شبهات حول الإخوان المسلمين . وطبعا الشبهات المستبعدة هنا ليس المقصود بها الشبهات بسبب الكفاح المسلح .. لأن كل السلطات كانت تعرف جيداً أن الإخوان المسلمين كانوا يلعبون دوراً كبيراً فى الكفاح المسلح .. وبالتالى ، فلا بد أن تكون لديهم أسلحة وذخائر ومفرقعات . . فإذا كان هذا كله مما لا يثير الشبهات حول الإخوان .. فلا يبقى إلا شبهات الاشتراك فى حريق القاهرة .. هو المقصود فى الرواية .

لكن هذه الشبهات غير موجودة . . وإنما المشكلة هى الخطر . ولماذا

هذه الصناديق خطيرة إلى هذا الحد ؟ .. لأنها مادة « ت . ن . ت » و « جلجنيت » .. أى أن المشكلة هى الخشية من تفجيرها وتحطيم البيوت التى أودعت فيها .

وبديهى أنه يراد بهذا التحديد للمشكلة ، نفى أن بالصناديق أسلحة وذخائر .. لأن الأسلحة والذخائر لا يخشى من انفجارها بالصدفة .. وانما الذى يخشى منه هو المتفجرات والمواد الحارقة .. التى استخدمت فى حريق القاهرة ..

هذه هى الايحاءات التى تشير إليها تفاصيل رواية أحمد أبو الفتح ..

فما هى دلالات تفاصيل رواية مصادر الإخوان المسلمين .. ؟

لقد استنجد جمال عبد الناصر يومها بالإخوان .. لماذا ؟ .. ليعجلوا بنقل ذخيرة وأسلحة . وهذا هو الطبيعى ، فقد كان الضباط الاحرار يجمعون الأسلحة والذخائر من وفورات ضرب النار فى الوحدات ، ومما يستطيعون الحصول عليه من مخازن الجيش .. لاستخدامة فى تدريب الفدائيين بالذخيرة الحية .. وليرسلوه إلى الفدائيين بمنطقة القنال .

فما الذى يفعله الضباط الاحرار ، الذين تجمعت لديهم كميات كبيرة من الاسلحة والذخائر .. ماذا يفعلونه وقد رأوا العاصمة تحترق ، ونذر الشر تحيط بالحركة الوطنية وبالنشاط الفدائى .. اليس الطبيعى أن يلجأوا إلى شركائهم فى الكفاح المسلح .. لكى يأخذوا عندهم هذه الأسلحة والذخائر .. ؟

لماذا .. مرة أخرى ؟

لتكون هذه الأسلحة فى « مكان مأمون » .. « توقعا لحركة تفتيش فى وحدات الجيش » .. خاصة وأن ضباط الجيش ، والضباط الأحرار

بالذات كانوا غارقين لآذانهم فى الكفاح المسلح ضد الانجليز . وكانت احتمالات أن تطاردهم السلطة احتمالات واردة وقوية .

وذلك لايشير الى أى شبهة حول موقف جمال عبد الناصر ، بل إنه موقف يتسم بالحذر .. والمسئولية .

ولأن الأمر كان أمر احتياط ، لصالح النضال الثورى ، فقد لجأ جمال عبد الناصر إلى الهيئات المتعاونة فى المعركة .. لكى تتحمل معه المسئولية .. وواضح أن الاتصال تم مع أجهزة هذه الهيئات المسئولة .. لتكون الاجراءات على قدر المهمة المطلوب انجازها ..

فمن الثابت أن جمال عبد الناصر ورفاقه اتصلوا بزملائهم الضباط ونقلوا إلى أماكن أخرى — داخل معسكرات الجيش نفسها — بعض الأسلحة والذخائر .. كما اتصلوا بالإخوان ونقلوا عندهم كميات أخرى .. واتصلوا كذلك بالشيوعيين ونقلوا عندهم كميات ثالثة .. وهكذا[1] ..

ولم يهرع جمال عبد الناصر ورفاقه كالمجرمين المطاردين بصناديقهم ليودعوها فى بيت ليس به سوى امرأة زوجها غائب . إنما انتقلت سيارات شركاء الكفاح إلى مدرسة التدريب ، حيث كان مجدى حسنين يشرف على أكبر عمليات للتدريب ومد الفدائيين بالمعدات ، وهناك حملت صناديق الأسلحة ، وخرجت بها ، إلى الأماكن التى اختارتها كل جماعة بمعرفتها .

وشتان ما بين الروايتين !

لكن تبقى نقطة فى رواية أحمد أبو الفتح . فقد ركزت على أن هذه

---

(١) راجع شهادة مجدى حسنين ، وشهادة خالد محيى الدين — الملاحق .

الصناديق – التى نقلت يوم ٢٦ يناير كانت تحتوى على مادة ت. ن. ت وجلجنيت .. أو « مواد حارقة وناسفة » .. وليس أسلحة وذخيرة. حتى يقر فى الأذهان أنها هى نفسها المواد التى استخدمت فى حريق القاهرة.

على أن وقائع أحداث يوم ٢٦ يناير تنفى ذلك أيضاً. فالجلجنيت مادة متفجرة .. وكذلك الت. ن ت. وليس لأحدهما خواص المواد الحارقة.

فهل استخدمت مواد متفجرة أو ناسفة أصلا فى حريق القاهرة ؟

تقول اللجنة الفنية التى عاينت حرائق ٢٦ يناير :

« ونقرر بصفة قاطعة بأنه لم تستخدم فى هذه الحوادث أى قنابل شديدة الانفجار أو مواد ناسفة مثل الجلجنيت أوالديناميت لأنه لواستخدمت احداها لأثرت على المبانى المجاورة تأثيرا ظاهرا ولتهشم جميع الزجاج فى المبانى المجاورة. لم نجد أى آثار لشظايا بالحوائط أو تطاير اجزاء من المبانى ومحتوياتها إلى الخارج. وأما من جهة استعمال القنابل الحارقة فى احداث الحرائق فنرى أنه لايمكن الجزم باستعمالها لعدم وجود آثار ظاهرة تدل على استعمالها. وحتى إذا فرض وأن هذا النوع من القنابل قد استعمل فى اشعال النار فى بعض المحلات فإن نتيجته تكون احداث حرائق فقط دون احداث انفجار أو تدمير فى المبانى[1] ».

□ □ □

(١) التقرير الفنى عن الحرائق. البند سابعاً.

الواقعة الثانية[1] .

[التى تقول أنه بعد حركة الجيش فى ٢٣ يوليو .. كان فى مقدمة القرارات التى اتخذتها قرارا يقضى باطلاق سراح أحمد حسين ووقفه المحاكمة الخاصة بحرق القاهرة ..] .

وهذه الواقعة أيضاً غير صحيحة . فمن الثابت – كما سبق أن بينا بالتفصيل – أن مجلس قيادة الثورة لم يصدر أى قرار باطلاق سراح أحمد حسين أو بوقف المحاكمة بل العكس هو الذى حدث . فقد تقرر استمرار المحاكمة حتى النهاية . وحتى عندما صدر قانون العفو السياسى فإنه لم يستثن الا أحمد حسين ومن معه فى قضية التحريض على حرق القاهرة . ولم يخرج أحمد حسين الا بقرار افراج من المحكمة ، أثناء نظر تظلمه من عدم شموله بالعفو . وكان قرار المحكمة بالإفراج عنه فى ١ نوفمبر ١٩٥٢ ، أى بعد قيام الثورة بأكثر من ثلاثة أشهر . بينما لم ينته نظر القضية نفسها الا بصدور حكم بالبراءة عن المتهمين الباقين – اللذين لم يكونا قد تظلما من استثناء العفو لهما – وكان ذلك من المحكمة العسكرية العليا التى شكلت لنظر القضية .. بتاريخ ٢٦ مايو ١٩٥٣ .

□ □ □

الواقعة الثالثة

[إن حريق القاهرة هو الحدث الوحيد الذى لم

---

(١) ما ذكره أحمد أبو الفتح عن حديث جمال عبد الناصر مع حسن العشماوى ومعه شخصيا حول القيام بانقلاب عسكرى ، وكذلك رأيه – رأى عبد الناصر – فى ضرورة تحويل المعركة من معركة ضد الانجليز إلى معركة ضد فاروق ورجال الأحزاب . . . هى وجهات نظر ، وليست قرائن ضد عبد الناصر تسلق لاتهامه بحرق القاهرة .

تحققه الثورة . . رغم أنها حققت جميع القضايا . . مما يفسر على أنه رغبة فى التستر على الجريمة . . وطمس معالمها . . لأن رجال الثورة أنفسهم هم مرتكبوها..]

والحقيقة أن هذه الواقعة ليست صحيحة .كذلك . فقد أجرت الثورة تحقيقا فى حريق القاهرة . . تم تحت إشراف سليمان حافظ . وقد أبلغ جمال عبد الناصر مجلس الثورة بالنتيجة التى انتهى إليها سليمان حافظ . . وهى عدم امكان وضع اليد على المدبر والفاعل الحقيقى للحوادث[1] ..

فمن حيث أنه جرى تحقيق من جانب سلطات الثورة لقضية حريق القاهرة . . فان هذا حدث بالفعل . . مما لا يجوز معه القول بأنه «مرت السنين . . ولم تقم سلطة قضائية أو عسكرية بالتحقيق» . .

أما مدى جدية هذا التحقيق . . ففيها كلام . فى تصورى ؛ وقد خضت فى هذا التحقيق ، أنه لو قام تحقيق جدى . لاستطاع أن يصل إلى نتائج أكثر تحديدا . فعند قيام الثورة كانت قد مضت ستة أشهر فقط على الحريق . . ولم تكن أحداثه قد تقادمت وتهايل عليها التراب . كذلك كان كل ما يتصل به من أوراق ووثائق فى متناول اليد . وأيضا كل الذين يتصلون به من كل الزوايا . كان كل رجال البوليس . . الجيش . . النيابة . . القصر . . رجال السياسة والأحزاب . . كل هؤلاء كانوا موجودين . . وكان يمكن اعادة فتح التحقيق كله . . ثم تقديم تقويم محدد ومكتوب لما حدث . . فى وثيقة تبقى للتاريخ . . حتى لو لم تصل هذه المحاولة لكل الحقيقة . .

---

(١) راجع شهادة خالد محيى الدين – الملاحق

لكن يبدو ان الذين تولوا الأمر لم يفعلوا أكثر من مراجعة التحقيقات التى سبق اجراؤها فى ظل النظام الملكى . .فسارت على نفس خطوطها .. وانتهت إلى نفس نتائجها . . ولا شئ بعد ذلك .

وللحقيقة فان ذلك الموقف من جانب الثورة كان موقفا قاصرا أو مقصرا.

لكننا لا نشارك الذين يستخلصون من هذا الموقف القاصر والمقصر قرينة على تواطئ عبد الناصر والضباط الأحرار . . وإنما يجب إرجاع هذا الموقف إلى ظروفه التاريخية حتى يمكن الحكم عليه حكما سليما .

فمن البديهى أن الثورة حين قامت كانت مواجهة بمهام كثيرة . . خطيرة . كما كانت تواجه مشاكل لا حصر لها . وليس من الانصاف تصور أن تعطى — أو يعطى قائدها — لحدث تاريخى ، وقع فى الماضى .. مهما كانت أهميته . . جهدا ووقتا ، على حساب الجهد والوقت الذى تتطلبه مشاكل الحاضر . . وآفاق المستقبل .

ومن الوقائع المعروفة أن الثورة أوكلت هذه المهمة — ضمن كل المسائل القانونية والتشريعية وما اليها — إلى سليمان حافظ المستشار القانونى لرئيس مجلس الثورة ، ونائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية فى حكومة محمد نجيب التى تألفت بعد حكومة على ماهر مباشرة . . والذى كان قبل ذلك كله وكيلا لمجلس الدولة . .

ومن الثابت أن هذا الرجل كان محافظا . . وأنه لعب دورا خطيرا فى ترسيخ التقاليد الديكتاتورية فى أوساط قيادة ثورة يوليو . وأنه كان معاديا للوفد — الذى دبر حريق القاهرة للاطاحة بحكومته — وللحزب الإشتراكى ورئيسه أحمد حسين — المتهم الأول فى قضية التدبير لحرق

القاهرة من قبل النظام الملكى — وللشيوعيين . . ولذلك ، فليس غريبا أن تتحكم طبيعة هذا الرجل فى نظرته للقضية . . وأن يصل فيها إلى نفس ما وصل اليه محققو النظام السابق عنى الثورة . . وأن يترك القضية — بعد إعادة بحثها — على نفس الوضع الذى تركها عليه أسلافه . . لتظل كما كانت . . وحتى الآن ، جريمة غامضة . . الاتهامات فيها على المشاع . . وموزعة على كل القوى الوطنية والرجعية . . على السواء !

□ □ □

الواقعة الرابعة :

[من مراجعة الصور التى التقطها المصورون يوم ٢٦ يناير . . ثبت وجود ضباط من أعوان عبد الناصر بين مشعلى النار . .]

ومن الواضح أن صياغة هذه الواقعة تتضمن أولا مبالغة . . إذ تتكلم عن صور . . تثبت وجود ضباط من أعوان عبد الناصر . . فالحقيقة الثابتة تاريخيا أن مصورى ذلك اليوم لم يلتقطوا سوى صورة واحدة . . لضابط واحد . . فقط . وليس هناك صور . . لضباط . . بحيث يبدو أن ضباط عبد الناصر كانوا منتشرين فى الشوارع . . بل وفى قلب الحوادث . . يشعلون النار . . وتلتقط لهم الصور .. !

فما حكاية صورة الضابط التى التقطت يوم ٢٦ يناير .. ونسجت حولها قصة اشتراك جمال عبد الناصر والضباط الأحرار فى حريق القاهرة .. بعد أن دبروه طبعا .. ؟

التقطت هذه الصورة لضابط جيش (وليس بوليس) برتبة يوزباشى (نقيب) وهو بالدور العلوى بكازينو أوبرا .. أثناء اشتعال النيران بالكازينو

وكانت الصورة نصفية .. وليست كاملة . كما كانت جانبية «بروفيل» أكثر ميلا لأن تكون من الظهر منها إلى المواجهة ..

فامن كانت هذه الصورة ؟

سألت صلاح الدين مرتجى مدير الأمن العام الذى تولى منصبه بعد الحريق مباشرة . فقال أن الصورة عندما كبرت لم تعد الملامح فيها واضحة .. مما أدى إلى عدم التوصل إلى شخصية صاحبها .

وسألت اللواء محمد ابراهيم إمام رئيس البوليس السياسى ، فقال : أنه أجرى تحريات واسعة . . وتعقب عددا من الضباط الذين اشتبه فى أن يكون من بينهم صاحب الصورة . . لكنه لم يصل إلى نتيجة تسمح له بتقديم تقرير إيجابى إلى النيابة أو السلطات[1] . .

وسألت عبده مراد الذى كان فى هذه الفترة مساعد مدير ادارة المستخدمين العسكريين لشئون التحقيق ، والمسئول عن جميع تحقيقات الجيش ، وكافة أعمال الضبط والتفتيش والمحاكمة ، وتتبعه إدارة البوليس الحربى . فقال :

« لقد أخطرتنا النيابة للقبض على الملازم أول محمد حلمى عبد الخالق لأنه وجدت صورة لضابط جيش وقت احتراق كازينو اوبرا . . كما طلبوا من البوليس الحربى التحرى عن صاحب الصورة . . لكن التحريات لم تصل إلى نتيجة لأن الصورة كانت بروفيل ومن الظهر . . بحيث يصعب تمييز الملامح . .

---

(١) راجع شهادة اللواء محمد ابراهيم امام — الملاحق .

وأضاف عبده مراد :

«أن الضابط الوحيد الذى قبض عليه فى تلك الفترة وأودع السجن الحربى . . وحتى طول الفترة السابقة على ثورة يوليو . . هو الضابط محمد حلمى عبدالخالق ولو كان تم القبض على أى ضابط آخر لتم بواسطتى ، كما حدث فى حالة محمد حلمى عبد الخالق حيث قمت بالقبض عليه وتفتيش منزله . . »

وبالفعل ، فان سلطات التحقيق لم تحقق مع أى ضابط جيش إلا محمد حلمى عبد الخالق . . الذى وجه اليه فؤاد سرى رئيس النيابة العسكرية الاتهام بأنه هو الذى أحرق كازينو أوبرا . . وأنه صاحب الصورة إياها .

وقد كان محمد حلمى عبد الخالق واحدا من الضباط الاحرار . .

لكن التحقيق مع محمد حلمى عبد الخالق لم يسفر عن ادانته . لأنه لم يكن صاحب الصورة الذى تواجد فى كازينو أوبرا عند احتراقه . . رغم تشابههما من الظهر !

وأثبت محمد حلمى عبد الخالق براءته من التواجد فى كازينو أوبرا ساعة احتراقه بصورة أخرى التقطت له هو أيضا . . فى نفس يوم ٢٦ يناير . . ووقت احتراق كازينو أوبرا . .

فقد كان محمد حلمى عبد الخالق هو ضابط الجيش الوحيد الذى خرج مع مظاهرة جامعة فؤاد (القاهرة) التى انضم اليها جنود بلوكات النظام . . واستمر مع المظاهرة حتى وصلت إلى مقر مجلس الوزراء . . واشترك فى الحوار الذى دار بين قادة المظاهرة وبين عبد الفتاح حسن . .

وأثناء وجود المظاهرة بمجلس الوزراء التقطت صور . . بينها صورة لمحمد حلمي عبد الخالق . .

وكان من السهل نفي إحدى الصورتين بالأخرى . .

. وهكذا قال محمد حلمي عبد الخالق للمحقق :

□ كيف يمكن أن أكون أنا نفسي في كازينو أوبرا . . وفي مجلس الوزراء . . في وقت واحد . . وتلتقط لي صورة هنا . . وصورة هناك ؟!

□ ثم . . إن صورتي في مجلس الوزراء تصورني كما أنا فعلا . . الملازم أول محمد حلمي عبد الخالق . . تحمل كتفي نجمتين . . فقط .. بينما الضابط الذي يظهر في صورة كازينو أوبرا يحمل رتبة اليوزباشي (النقيب) . . بنجومها الثلاثة . . فضلا عن أن نجومي من القماش . . بينما نجومه نحاسية تلمع في ضوء الشمس . . والنار ! ؟

ولذلك انتهى فؤاد سري إلى اعتبار التحقيق الجنائي في جريمة حرق كازينو أوبرا . . أو في حريق القاهرة ، غير ذي موضوع بالنسبة لمحمد حلمي عبد الخالق . . واحالته إلى السلطات العسكرية لتتخذ بشأنه الاجراءات التي تراها لارتكابة الجرائم العسكرية ، ابتداء من السير في المظاهرات إلى الهتاف بهتافات معادية إلى غير ذلك مما هو وارد على لسانه في شهادته التفصيلية [1] . .

وبذلك تنتهي أيضا واقعة «الصور التي تثبت وجود ضباط من أعوان جمال عبد الناصر بين مشعلي النار» . .

لكن تبقى صورة ذلك الضابط الذي تواجد في كازينو أوبرا ساعة

(١) راجع شهادة محمد حلمي عبد الخالق - الملاحق

احتراقه . . من هو . . وإلى من ينتمى . . وماذا كان دوره فى ذلك الحدث الخطير ؟

سألت اللواء محمد إبراهيم امام عن الدور الذى قام به هذا الضابط . فأجاب :

«قيل أن هذا الضابط هو الذى بدأ اشعال حريق كازينو أوبرا . . ثم اشترك آخرون . . وحدث الهرج فى الكازينو . . »

لكن رئيس البوليس السياسى استدرك قائلا :

«وقد لا يكون هذا صحيحا ايضا ..وانما تصادف وجود هذا الضابط فى الكازينو . . مع بداية الحريق»..

واختتم بأنه :

«لا يستطيع أن يقطع بما إذا كان فعلا هذا الضابط قد بدأ أو شارك فى حريق الكازينو[1]» .

ولم أحصل على أى إجابات محددة .. وقائمة على المشاهدة أو التحريات.. حول هذه النقطة . . من أى مصدر آخر يمكن اعتماده فى هذا الصدد .

أما فيما يتعلق بهوية هذا الضابط . . فهى أيضاً لم تنكشف حتى اليوم .. حيث لم تعرف شخصية هذا الضابط طيلة السنوات الماضية . .

وبالتالى فإنه لم يصنف ضمن أى حركة عسكرية أو سياسية معينة . .

لكن . . ما قيمة ذلك كله ؟

---

(١) راجع شهادة اللواء محمد ابراهيم إمام – الملاحق

فالبحث فى قضية هذا الضابط يقتضى حل مشكلتين أساسيتين :

الأولى ، هل — إذا جاز أن هذا الضابط ينتمى إلى تنظيم ، مثل تنظيم الضباط الأحرار ، أو الحرس الحديدى الملكى ، أو المخابرات البريطانية ، أو المخابرات الأمريكية .. الخ ، هل يجوز أن ينفذ وحده كل العملية التى تمت فى القاهرة يوم ٢٦ يناير .. بل حتى عملية إحراق كازينو أوبرا وحده ؟

غير معقول !

ولذلك ، فان افتراض أن تنظيما عسكريا هو الذى دبر ونفذ حرق القاهرة ، يستلزم افتراض وجود عدد معقول من أفراد هذا التنظيم بالشارع فى ذلك اليوم . وبالتالى ، يكون احتمال ظهور عدد منهم فى الصور .. أو حتى فى ملاحظات شهود الرؤية .. موجودا . وهو ما لم يحدث فعليا .

والثانية ، هل من الحكمة ، وحسن التدبير والتخطيط ، أنه إذا قرر تنظيم عسكرى ما .. أن يقوم بتنفيذ عملية مثل حريق القاهرة .. أن ينفذها وهو يرتدى بدلته الرسمية .. علماً بأنه خطط لأن لا يترك أى أثر دال عليه ، تستطيع بواسطته سلطات التحقيق ، أو الجماهير الشعبية — مع افتراض أن سلطات التحقيق يمكن أن تتستر عليه ، إذا كان تنظيما ملكيا كالحرس الحديدى . . مثلا — أن تصل إليه ، وتكشف مؤامرته . . فيفسد عليه كل شىء ؟

ليس بوسع أى باحث أن يستسلم لمثل هذه السذاجات .

لذلك ، لا يمكن الأخذ بمثل هذه الحالات الفردية . .حتى مع افتراض أن أصحابها اشتركوا بالفعل فى الحوادث . .

لقد ذكر لى اللواء مراد الخولى حكمدار العاصمة أنه شاهد بنفسه جنديا من جنود الحرس الملكى يقوم بنقل النيران من مكان لآخر فى سيمار يقولى .. وأنه – أى الحكمدار – أخرج مسدسه وهدده باطلاق النار عليه . ولكنه لم يذعن للتهديد وواصل توسيع دائرة الحريق[1] . .

كما ذكر اللواء على نجيب قائد قوات الجيش التى نزلت إلى الشوارع فى مساء ٢٦ يناير ، أن قواته ضبطت أحد جنود المطافى (!) وهو يقوم باشعال النيران فى محل بنزايون[2] . .

فهل تعنى هذه الحوادث . . أن الحرس الملكى هو الذى دبر ونفذ حرق القاهرة . . أو أن رجال المطافى هم الذين زادوها اشتعالا . . ؟

طبعا لا .

ولكن ذلك معناه أن هستريا الحريق قد جرفت فى تيارها الفظيع بعض الأفراد من كل نوع . . دون أن يكون لذلك أى دلالة تشير إلى اشتراك النوع كله .

وبالمثل يمكن النظر لقضية ضابط كازينو أوبرا الذى التقطت صورته من الخلف . . والذى لا يقوم أى شاهد على اشتراكه فى الحريق . . إذا كانت الصورة فى حد ذاتها هى الدليل الوحيد بالنسبة له . والذى قد يكون تصادف وجوده فى هذا المكان لأى سبب بعيد عن الحريق . والذى قد يكون استهواه منظر الحريق . . أو دفعه الفضول عند مشاهدة الحادث . . لكى يصعد ويرى ماذا يحدث . . ولا شئ أكثر من ذلك !

□ □ □

(١) راجع شهادة اللواء مراد الخولى – الملاحق

(٢) تحقيقات النائب العام مع رجال الجيش ، أقوال اللواء على نجيب .

الواقعة الخامسة :

[أن جمال عبد الناصر كان قد عقد اجتماعات سرية قبل حرق القاهرة مع فريق من الضباط الأحرار المعروفين بميولهم الشيوعية أو اليسارية ومن بينهم مجدى حسنين وخالد محيي الدين ومحمد أحمد . . وبحث معهم الأمر أمر حريق القاهرة]

ولسنا ندرى لماذا الشيوعيين واليساريين بالذات . . الذين يجتمع بهم جمال عبد الناصر ويدبر معهم — دون سواهم — مؤامرة حريق القاهرة؟

ربما لأنها مؤامرة ؟ . . ولأن المؤمرات لا يجب أن يقوم بها إلا الشيوعيين واليساريين . . أو على الأقل من لهم ميول شيوعية ويسارية ؟

لا معنى لما يقوله أحمد أبو الفتح إلا ذلك !

ومع ذلك ، فان هذا التحديد يثير سؤالين مبدئيين :

الأول ، هل كان جمال عبد الناصر شيوعيا أو يساريا — فى يناير ١٩٥٢ (!) — حتى يجعل هذه المهمة — والتدبير لها . . قاصرة على الشيوعيين واليساريين ؟ أم هل كان لا يثق بأحد غير الشيوعيين واليساريين بحيث لا يأتمن غيرهم على عمل كبير مثل حريق القاهرة . . ؟

والثانى ، أن حريق القاهرة كان يفترض — حسب نظرية أحمد أبو الفتح — أنه مقدمة للاستيلاء على الحكم . . وليس مؤامرة لوجه الله . .

فهل تصور أحمد أبو الفتح — أو يتصور أى انسان لديه أدنى معرفة بحقائق الأمور — أن جمال عبد الناصر قصر ترتيب الانقلاب العسكرى

بغرض الإطاحة بالنظام الملكى . . وإقامة «سيطرة الجيش» . .على الشيوعيين واليساريين فقط . . من بين جميع الضباط الأحرار ؟

وكم كان عدد الشيوعيين واليساريين فى تنظيم الضباط الأحرار حينئذ؟ خالد محيى الدين يجيب :

«كانوا عددا قليلا جدا . وكان عدد منهم تحت مسئوليتى أنا شخصيا . . يقومون بمهمة اعداد وطبع وتوزيع المنشورات ويقومون بالدور الفكرى والدعائى لأهداف التنظيم . ولم يكن جمال عبد الناصر يعرف أشخاص هذا العدد ، ولا يتصل به ، اكتفاء بمسئوليتى عنهم . . .[1] . . .

لكن أحمد أبو الفتح يذكر أسماء معينة ، اشتركت فى التدبير لحرق القاهرة : مجدى حسنين ، خالد محيى الدين ، ومحمد أحمد . .

وخالد محيى الدين معروف . .

ومحمد احمد لم يعرف عنه فى يوم من الأيام أنه شيوعى أو يسارى أو كان كذلك .

أما مجدى حسنين فهو مشكلة ! . . فمن خلال احداث الثورة . . ومن واقع التجربة الذاتية للرجل . آمن بأن الشعب ، وجماهير الكادحين هى القوة التى ينبغى الوقوف إلى جانبها . وأن أى نضال ثورى واصلاحى ناجح لابد أن يتخذ موقفا معاديا للاستغلال والطبقات المستغلة . وأن

(١) راجع شهادة خالد محيى الدين — الملاحق .

أنصار التقدم وأصدقاء الشعب فى العالم هم المعسكر الإشتراكى والاتحاد السوفيتى . . ولذلك اعتنق مجدى حسنين الفكر التقدمى اليسارى . . واصبح يساريا . .

لكنه فى الوقت الذى يتحدث عنه أحمد أبو الفتح — سنة ١٩٥٢ وما بعدها — كانت أفكاره معادية للشيوعية وكان مناوئا للمعسكر الإشتراكى والاتحاد السوفيتى . . بل كان من غلاة الإخوان المسلمين . . حتى أن جمال عبد الناصر اعترض على دخوله اللجنة القيادية للتنظيم لفرط تشدده فى معاداة الشيوعية . . رغم أنه كان عضوا بارزا . . وأمينا لصندوق التنظيم[١] !

وهكذا لا يبقى من الشيوعيين أو ذوى الميول اليسارى إلا خالد محيى الدين . .

فهل يدخل عقل أحمد أبو الفتح . . أن اجتماع جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين — بعيدا عن الآخرين جميعا — يمكن أن يسفر عن تدبير وتنفيذ «أكبر عملية اجرامية فى تاريخ مصر منذ الاحتلال البريطانى حتى ٢٣ يوليو ١٩٥٢» !؟

واضح أن الكلام ليس جدا . . وإنما هو مجرد عملية تشهير سياسية لا أكثر . .

وليس أدل على أنها لعبة سياسية . . من «الحساب» الملعوبة به ..

فان أحمد أبو الفتح يجتهد فى «فرز» فرق الضباط . . بعد تصنيفهم إلى اتجاهات سياسية مستقلة — وكان هذا فى حد ذاته قد تجاوزه الضباط

(١) راجع شهادة مجدى حسنين — الملاحق

الأحرار اذ كان شرط الانضمام للتنظيم هو التخلى عن الانتماء إلى أي حزب أو تنظيم سياسى خارج الجيش – وإثارة التنافس بينها . . يقول :

«والجدير بى أن أوضح أن عبد الناصر عندما حرق القاهرة – هنا يستخدم أبو الفتح كلمة « حرق » وليس «دبر» – لم يستعن فى ذلك الا بالفريق من الضباط الأحرار المعروف بميوله الوفدية أو نحو الإخوان المسلمين، لا يوافقون على تنفيذ هذه الجريمة الكبرى . إذ كانوا سيعتبرونها عملية إجرامية تقضى على نضال الشعب المصرى ضد قوات الاحتلال البريطانية فضلا عما فى حريق العاصمة من همجية ووحشية . . »

□ □ □

ولا يبقى فى كتاب الإتهام الذى يحمل اسم أحمد أبو الفتح الا نقطتين :

الأولى ، أن جمال عبد الناصر كان يلح فى القيام بانقلاب عسكرى .. بفكرة أن المعركة ضد فاروق يجب أن تسبق المعركة ضد الإنجليز . .

والثانية ، أنه قال فى خطاب افتتاح مجلس الأمة ما يفهم منه أنه يستحسن ما حدث فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وأنه يعتبر حريق القاهرة «أول بادرة للثورة الإجتماعية على الأوضاع الفاسدة ، وأن حريق القاهرة كان هو التعبير الشعبى عن سخط الشعب المصرى على ما كانت ترزح فيه مصر من اقطاع واحتكار واستبداد رأس المال » ..

وبالنسبة للنقطة الأولى ، أثبت التاريخ أن وجهة نظر جمال عبد الناصر — وهى وجهة نظر قطاعات كثيرة فى الحركة الوطنية المصرية حينئذ — كانت سليمة . وان التطويح بالملك والنظام القديم هو الذى فتح الطريق لاجلاء الانجليز ، بعد أن حرر الجيش المصرى من القيود واشراكه بفاعلية أكبر فى معركة القنال الثانية بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

أما بالنسبة لما ذكره أحمد أبو الفتح فى كتابه منسوبا إلى جمال عبد الناصر فى خطاب له فى افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦٠ .. يستحسن فيه حريق القاهرة ويباركه .. مما جعل احمد أبو الفتح يعتبره قرينة على اتهامه لجمال عبد الناصر .. فاننى قد راجعت كل خطب جمال عبد الناصر .. فلم أجد بينها كلمة واحدة تفيد مباركة عبد الناصر لحريق القاهرة .. أما خطاب افتتاح مجلس الأمة الذى القاه عبد الناصر بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦٠ ، والمنشور فى مجموعة خطب عبد الناصر الصادرة عن هيئة الاستعلامات والذى يحتل الصفحات من ٢٠٧ إلى ٢١٤ .. فلم ترد فيه أى أشارة لحريق القاهرة .. بالمرة !

ولست انهى من أين جاء احمد ابو الفتح بهذا الكلام الذى أسس عليه اتهاما خطيرا لجمال عبد الناصر .. وكيف اعتمد دون أن يرجع إلى نصوص خطب عبد الناصر .. وهذا أضعف الإيمان بالنسبة لشخص يريد توجيه اتهام فى جريمة كبرى كحريق القاهرة .. ! ؟

لأنه من المؤسف حقا ، أن يلجأ كاتب مثل احمد ابو الفتح — أيا كانت ملابسات عدائه للثورة ولجمال عبد الناصر — إلى الاختلاق والتزوير !

□ □ □

لقد التقيت باحمد أبو الفتح بعد عودته من الخارج .. وناقشته فى اتهامه لجمال عبد الناصر والضباط الأحرار ..

ـ قال أحمد أبو الفتح :

□ «ما أشرت اليه من اتهام لجمال عبد الناصر أو بعض زملائه ، مجرد تخمينات واستنتاجات .. وجمع مظاهر معينة قد تدل دلالة معينة .. انما لا يستطيع أى إنسان أن يقطع بأن فلان أو فلان هو المسئول عن حريق القاهرة »

ـ وقال :

□ «الشئ الذى يمكن أن يكون قاطعا فى هذه الحالة هو مراجعة الصور التى نشرت عن عمليات الحريق ومحاولة التعرف على الأشخاص ، مع أن الكثيرين ممن اشتركوا فى العمليات اشتركوا بدافع الوطنية .. فالكثيرين اشتركوا مع المدبرين بدون وعى متصورين أنها عملية وطنية» ..

ـ وقال ..

□ «فاتهام جمال عبد الناصر واتهام الضباط الأحراو هو فى نظرى ـ وقد سبق أن اشرت اليه متهما جمال عبد الناصر وليس الضباط الأحرار ـ أتهام لا يمكن أخذه على سبيل الجزم .. إنما كان بصدد بحث معين تجمعت فيه مظاهر .. أوردت المظاهر ، دون أن أورد الحكم..»

ــ وأضاف أحمد أبو الفتح :

□ « ويجب أن يكون معلوماً أنني كتبت هذا الكتاب سنة ١٩٥٤ خصوصاً الأجزاء الأولى منه . وكتبت الأجزاء السياسية الأخيرة بعد ذلك . الجزء الأول كتبته بعد خروجي من مصر مباشرة كنوع من الدفاع عن الديمقراطية في مصر وتحليل لما تسير عليه السياسة في مصر في هذه الحقبة »

ــ وقال :

□ « وأعود إلى مسألة الكتاب . هذا الكتاب أنا أصدرت النسخة الأصلية بالفرنسية . ويوجد فرق كبير جداً في هذه الواقعة بالذات . . واقعة حريق القاهرة . . بين ما نشر في اللغة الفرنسية وما نشر في اللغة العربية . ما نشر بالفرنسية أدق بكثير ومتخذ فيه كل وسائل الحذر . . وما نشر باللغة العربية لم يكن لي إشراف عليه لأني كنت في وضع لا أستطيع فيه أن أتصل وأباشر بانتظام . . فكانت العملية أن الناشر يحول بعض الأجزاء إلى إثارة لتأدية عملية سياسية معينة . . وهي الدفاع عن الديمقراطية »

ــ واختتم أحمد أبو الفتح شهادته لي قائلا :

□ « الشيء المهم الذي أحب أن أسجله أن جمال عبدالناصر كان يسلح الفدائيين ويدربهم . . فغير معقول

أن يدبر حريق القاهرة وينفذه لإنهاء هذه العمليات .

لأنه كان من الواضح والمؤكد أن هذه العملية (حريق القاهرة) كانت ستقضي على الحركة الفدائية . وأعيد وأكرر أن ما ورد فى كتابى عن جمال عبد الناصر كان مجرد تجميع شبهات لا أكثر ولا أقل »[1] .

ومفاد شهادة أحمد أبو الفتح أثناء مناقشتى له ؛ سواء بالفقرات التى ذكرتها هنا أو بقية فقرات الشهادة ، أنه ينفى الاتهام الذى سبق أن وجهه إلى جمال عبد الناصر . . ويضع ما كتبه فيه فى حدوده الحقيقية باعتباره مجرد « تخمينات » . . كان « يخوض بها معركة الديمقراطية ضد جمال عبد الناصر » . . وأنه أصبح يرى أن حتى هذه التخمينات غير معقولة . .

وقد أكبرت لأحمد أبو الفتح هذا العدول . . باعتباره رجوعاً إلى الحق . .

وكان يمكن أن أورد الاتهام الذى تضمنه كتابه . . ثم أورد الفقرات التى ذكرتها من شهادته لى . . وأكتفى .

وقد فكرت طويلا فى أن يكون ذلك هو موقفى فى هذا الجزء من البحث . .

لكننى واجهت أمراً لم يكن من الجائز إهماله . ذلك أن ما كتبه أحمد أبو الفتح — أو ما حرف عما كتبه — قد تسرب سراً إلى مصر . وقرأه مئات الأشخاص . . وحكوه لآلاف الأشخاص الآخرين . . وجميعهم من المثقفين والمهتمين بالسياسة والأمور العامة . . ممن لهم تأثير كبير فى تكوين الرأى العام . .

(١) راجع شهادة احمد ابو الفتح — الملاحق

وقد أصبح كل هؤلاء مقتنعين بما جاء بكتاب أحمد أبو الفتح . بل وأصبح ماكتبه أحمد أبو الفتح عقيدة لديهم . . منفصلة عن مصدرها الأصلى . .

وحدث أننى استمعت إلى أحد هؤلاء الأشخاص ، وهو ممن تحمل لهم البلاد تقديراً عالياً جداً .. فساق لى الإتهام الموجه لجمال عبد الناصر والضباط الأحرار ..

ثم قرأت ما كتبه أحمد أبو الفتح .. واستمعت إليه بعد ذلك .. وهو ينفى إتهامه ..

وعدت إلى الشخص الذى حدثنى عن الإتهام أولا .. ونقلت إليه ما قاله أبو الفتح لى ..

وذهل الرجل .. وبدا حائراً .. يتساءل بمرارة : وكيف إذن كتب أحمد أبو الفتح كتابه .. دون أن يكون واثقا ممايقول؟.. أين مسئولية الكاتب ؟

وعندما ذكرته بأنما كتبه أحمد أبو الفتح فعلا ليس إلا تخمينات ومعلومات مليئة بالتناقضات .. ولا تصمد أمام أول بادرة للبحث .. وأنه لو أعاد قراءتها لتبين ذلك على الفور .. أطرق الرجل .. وراح فى تفكير عميق !

إزاء ذلك قررت أن أعتبر ما جاء بكتاب أحمد أبو الفتح شيئاً منفصلا عن شخص كاتبه .. اكتسب قوة مستقلة ..أصبح من الضرورى مواجهتها وفاء للبحث .. وبعيداً عن العواطف الشخصية .

وقائع أخرى ..

لم يكن أحمد أبو الفتح هو صاحب الإتهام الوحيد ضد جمال عبد الناصر والضباط الأحرار .. رغم أنه صاحب الإتهام الرئيسى .. المكتوب . كما لم تكن الوقائع التى أوردها فى كتابه هى كل الوقائع المطروحة فى هذا الإتجاه . .

فهناك جهات أخرى تتهم جمال عبد الناصر وزملاءه بحرق العاصمة ..

ومن الوقائع التى تدلل بها هذه الجهات على إتهامها :

١ ــ أن الحريق تم بطريقة منظمة . . ومستوى فنى لا يتسنى إلا المتخصصين .. أى فرق من الضباط .. وبما أن الضباط الأحرار كانوا فى ذلك الوقت هم التنظيم المهم الموجود فى الجيش .. فإن ذلك يجعلهم موضعا للإتهام . .

☐ وكون الحريق تم بطريقة منظمة .. وبمستوى فنى لا يتسنى إلا لمتخصصين من الفرق المدربة .. وهو أمر حقيقى وثابت .

لكن أن تكون هذه الفرق بالضرورة من ضباط الجيش .. هو تعسف لا مبرر له فضلا عن أنه لم يقم عليه دليل كما سبق أن بينا . حيث لم يقبض إلا على ضابط واحد (محمد حلمى عبد الخالق) لم تكن له أى علاقة بالحرائق .. وصورة لضابط كازينو أوبرا لم يعرف .. ولم يثبت أنه كان يحرق كذلك .

وحتى إذا كان ولابد أن تكون فرق الحريق من الضباط .. فقد كان موجودا فى تلك الفترة الحرس الحديدى الذى كان يعمل لحساب الملك .. وهو من ضباط الجيش بصفة أساسية.. ولو أن كل الشهادات التى استمعت إليها نفت أن يكون هذا الحرس الحديدى هو الذى نفذ مؤامرة حريق القاهرة .. لأنه لم يكن مثل ذلك العمل من مهامه .. حيث قصر الملك دوره على العمليات الخاصة المحدودة للتخلص من الأفراد الذين يرغب فى التخلص منهم . ولأن حريق القاهرة باتساعه وخطورته كان أكبر من هذا الحرس .

إلا أن هذا التصور لحتمية أن تكون فرق الحريق المدربة من الضباط « المصريين » .. والضباط الأحرار بالذات ــ الذين لا ينكر أحد فى مصر على أقل معرفته بمجريات الأحوال الدور الوطنى الكبير الذى لعبوه فى دعم معركة الكفاح المسلح ضد الإنجليز فى قنال السويس ــ وهو تصور قاصر لا يستطيع أن يرى أساليب أدوات وقوى أعداء الوطن .. من عصابات المخابرات العالمية ، و الفرق التى تعدها هذه المخابرات لمثل هذه العمليات .. وهو ما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

أن أصحاب هذا الاستنتاج يتوقفون عند نصف الحقيقة ــ اكتشاف أن الذى أحرق القاهرة فرقاً مدربة وفنية ــ ولايستطيعون اكتشاف النصف

الآخر .. وهو أن هذه الفرق يمكن أن تكون من إعداد الاستعماريين الذين كان من صالحهم ضرب نضال الشعب .. رغم أنهم على المستوى السياسى يقررون أنها مؤامرة استعمارية مدبرها الرئيسى هو مخابرات الإستعمار . .

وخطورة هذه النظرة أنها تنتهى إلى موقفاً متناقض وغير منطقى .. فتتهم المخابرات الاستعمارية كلاماً .. وتدين قوى محليه — لاتقول أنها عميلة ! — فعلا .. وفى التحليل الأخير ، تتستر على المجرم ، وتميع أدانته فى نفس الوقت الذى تفتعل فيه إتهاما لقوة وطنية سليمة ..

٢ — يؤكد إتهام القوة العسكرية .. التى هى الضباط الأحرار أيضاً .. — ولسنا نعرف لماذا مرة أخرى — وجود « سيارات جيش » فى مسرح الحوادث يوم ٢٦ يناير ..

□ وقد حصرت النيابة (من التحقيقات المختلفة ، ومن واقع شهادات الشهود وتقارير . المرور والبوليس السياسى) السيارات التى أمكن رصدها فى يوم ٢٦ يناير وكانت فى جملتها ١٥ سيارة من مختلف الماركات ..

ومن هذه السيارات — التى يفترض أنه قد تكون لهاعلاقة بالحوادث — رصدت سيارتان جيش .. فقط .

— السيارة الأولى هى السيارة رقم ٦٠٥٩ جيب جيش من السلاح الطبى التى رآها الصاغ (الرائد) التونسى المصرى أمام شبرد .. وكل المعلومات التى ذكرت بالنسبة لهذه السيارة أنها تابعة للسلاح الطبى أما ماذا كانت تفعل .. وماذا كان بها .. فلا معلومات على الإطلاق.

ولما كانت النيابة لم تجر أى تحقيق حول هذه السيارة ، مما يدل على أنه

لم يكن هناك شيء يستحق التحقيق بالنسبة لها .. فلا نرى أنها ذات دلالة بالنسبة للواقعة التي نحن بصددها ..

– أما السيارة الثانية فهي السيارة رقم ٩٠٩٦ .. فعن هذه السيارة قدم اللواء محمد إبراهيم إمام تقريراً خاصاً ذكر فيه أنه تلقى تبليغين عنها ، أحدهما من الصاغ (الرائد) فريد عبد الشافي بالقسم المخصوص ، والثاني من وحيد بهادر سكرتير فؤاد سراج الدين وزير الداخلية .. يقولان .. أن السيارة المذكورة كانت تحمل متظاهرين يلبسون الملابس الكاكية .. ويقودها جندي جيش .. وأنها استولت بالقوة على بنزين من محطة بنزين شل بشارع فاروق (الجيش) ..

وقد أجرى تحقيق بشأن هذه السيارة تولاه فؤاد سرى رئيس النيابة العسكرية ، واستمع فيه إلى أقوال الضابط الذي كانت بحوزته هذه السيارة ..

قال اليوزباشي (نقيب) فؤاد عبد القادر حمزة – الضابط بسلاح الإشارة :

« هذه السيارة مخصصة لخدمتي .. ولا تستعمل إلا بإذني .. » وقد حضرت بها المائدة الملكية .. ولما خرجت من المأدبة تعذر على العثور عليها لوجود عربات جيش كثيرة ... » علمت في الساعة السابعة لما استدعيت للطوارئ . . أن سيارتي استولى عليها المتظاهرون ..

« بعد ثلث ساعة وصلت السيارة .. وعلمت من الملازم أول فؤاد البسطويسى أن سائق السيارة قابله قرب ميدان الإسماعيلية وجرى عليه وقال له أن هؤلاء الناس ماسكين فى غصب عنى ..

« حققت مع سائق السيارة فقال إن بعض المتظاهرين ركبوا معه بالقوة وأجبروه على البقاء معهم .. وأنهم أرغموا محطة شل شارع فاروق على ملء السيارة بالبنزين ونقل الجرحى من الشوارع للاسعاف . وأنهم أخلوا سبيلة الساعة ٦٫٤٥ » ..

— (ص ١٨ — تحقيق النيابة) —

وقد سبق أن بينا كيف أن البوليس السياسى قدم هذه السيارة على أنها كانت تحمل اشتراكيين من حزب أحمد حسين .. وهو ما لم يثبت فى تحقيق النيابة .

والآن تكتمل الصورة ليتضح أن هذه السيارة دخلت مسرح الحوادث صدفة .. و « غصب عنها » . . ولم تمثل بحال من الأحوال حضور « الجيش » فى الحوادث .. وقد حفظت النيابة أوراق تحقيقها على أى حال ..

فهل يجوز بعد ذلك أن نقول أنه ثبت وجود سيارات جيش يوم الحريق .. وأن هذا الوجود لسيارات الجيش (الوهمى !) دليل على « دور » جمال عبد الناصر والضباط الأحرار .. فى حريق القاهرة ! ؟

٣ ــ أنه ليست فقط سيارات الجيش هي العلامة على وجود هيئه عسكرية منظمة ــ لابد أن تكون هى هيئة الضباط الأحرار ٠٠ ! ــ ودورها فى الحوادث ٠٠ وإنما الوسائل والإمكانيات غير العادية التى استخدمت فى الحريق فى ذلك اليوم ٠٠ مما لا يتوفر لأى شخص أو هيئة غير عسكرية ..

وفى هذا أيضاً بعض الحق . فبالفعل ــ وبشهادة جميع الشهود ٠٠ ومما سبق أن حصرناه من الوسائل والمواد ــ لا يمكن أن يتوفر كل هذا للافراد العاديين ٠٠ ولا لهؤلاء الأفراد مجتمعين فى صورة مظاهرات . ولا للإحزاب السياسية التى كانت موجودة حينئذ ٠٠ مع فرض أنها ، أو أحدها ــ كالحزب الإشتراكى الذى وجه إليه الإتهام ــ بمثل هذه الكثرة . .

حتى كميات الجاز والبنزين ٠٠ لم يكن من السهل أن يجمعها أى أفراد بمثل الكميات التى استخدمت فى الحرائق .. خاصة إذا تذكرنا أن البنزين كان موجوداً فى صورة صفائح وعلب من أحجام مختلفة .. وبأعداد ضخمة .. وليس « كيزان » أتى بها الناس من بيوتهم ..

لكن حتى كميات الجاز والبنزين من الصعب تصور أن منظمة عسكرية يمكن أن تحصل عليها دون أن يلفت ذلك نظر المخابرات وأجهزة الأمن . .

ولعلنا نذكر كيف « مون » الحرس الجمهورى سياراته قبيل حركة ١٥ مايو ١٩٧١ . فرغم أن هذا الحرس كان تنظيماً عسكرياً رسمياً يتبع رئيس الجمهورية .. ورغم أنه لابد لديه مخازن واحتياطات من البنزين

لسياراته وموتوسيكلاته .. ورغم أنه إذا طلب المزيد من كميات البنزين فإن طلبه لن ينظر إليه باعتباره شيئا غير عادى . فقد اقتضى أمر المحافظة على سرية حركته أن تمون سياراته من محطات البنزين العادية المنتشرة فى العاصمة .. وأن لا يتم ذلك مرة واحدة . . وإنما بصورة متقطعة .. حتى لا يلفت تموين السيارات — مجرد تموين السيارات — الانظار .. وتتم المفاجأة ..

أما إذا كانت قد استخدمت قنابل حارقة فى ذلك اليوم — وهو أمر غير مؤكد — فإن هذه القنابل توجد فعلا لدى الجيش المصرى .. لكنها أيضا توجد لدى فرق التخريب التابعة لأجهزة المخابرات .. فضلا عن أن كل أسلحة وذخائر الجيش المصرى فى ذلك الوقت كانت تأتيه من مخازن الجيش البريطانى فى منطقة قنال السويس .. أى أن أصل كل هذه المواد كان هناك .. عند الانجليز .

المادة التى يؤكد الجميع مشاهدتها — وملاحظة آثارها فى سرعة انتشار الحرائق وشدتها — هى « البودرة » .. أو المواد الفسفورية . . وهى على مايبدو من كلام الشهود وتقارير المطافى كانت من أكثر المواد التى استخدمت فى حريق القاهرة ..

فهل كانت هذه المادة موجودة ومتوفرة لدى الجيش المصرى أصلا ولدى الضباط الأحرار .. باعتبارهم المتهمين بأنهم الفصيلة من هذا الجيش التى أحرقت القاهرة ..؟

لا .. لايبدو أن هذه المادة كانت لدى الجيش المصرى .. ولا يبدو حتى أن ضباطه — بما فيهم الذين كانوا فى ذلك الوقت عائدين من بعثات فى

انجلترا أو الذين حصلوا على فرق خاصة — كانوا يعرفون شيئا عن هذه المادة الفسفورية .

سألت عبد الفتاح على أحمد ، نائب وزير الحكم المحلى حاليا ، واليوزباشى (النقيب) بسلاح الفرسان يوم ٢٦ يناير . وكان أول ضابط جيش ينزل الشارع فى ذلك اليوم .. والذى كلف باخلاء ميدان الأوبرا من المتظاهرين من أول بنك باركليز حتى شارع ٢٦ يوليو ..

— هل شاهدت مع الاشخاص الذين كانوا بهذه المنطقة أى ماده حارقة بودرة مثلا ؟

— نعم . لكننا لم نأخذها . كانت مادة ذات لون سنجابى فى صورة بودرة.. وقد شاهدتها عند باركليز بالذات . . وعند ماراتوس .. وجروبى عدلى .. وفى عبد الخالق ثروت .. كانت فى الأرض . .

— هل رأيتها مع أى أشخاص ؟

— طبعاً رأيتها مع أشخاص لكن لم نستطع القبض عليهم . . لأنهم جريوا ..

— كانت لديكم مثل هذه المواد . . فى الجيش ؟

— لا[1] .

٤ — ورد فى شهادة بسيم السعيد فى قضية أحمد حسين اسم « الضباط الاحرار » على وجه التحديد . . باعتبارهم مشتركين مع أحمد حسين فى « مؤامرة » حرق القاهرة .. تمهيداً للاستيلاء المشترك على الحكم .. وهى اشارة مادية محددة لوجود الضباط الأحرار فى الأحداث . .

---

(١) راجع شهادة عبد الفتاح على أحمد — الملاحق

□ ونعود نذكر بما جاء بشهادة بسيم السعيد فى تحقيقات النيابة .. والتى سبق أن أوردناها بالكامل فى موضع آخر :

- استعان - الحزب الاشتراكى - بفريق من ضباط الجيش يكونون جماعة اسمها « جماعة الضباط الاحرار » .. وأن هذه الجماعة كانت لحساب الحزب الاشتراكى فى معسكرات الجيش المصرى ..

- كانت هذه الجماعة تحرض العساكر على الفرار إلى معسكر الشرقية الذى انشأه الحزب الاشتراكى ..

- عندما يفر الجنود إلى معسكر الشرقية .. يتكون جيش ضخم للحزب ومن ثم يتيسر له قلب نظام الحكم ..

- كان مقرراً أن يفر عدد كبير من الجنود ليلة ٢٦ يناير ، وينضموا لمعسكر الشرقية ..

يحرق الحزب القاهرة .. ويتحرك جيش المعسكر الاشتراكى للسيطرة على الموقف .. فى حين تبقى جمعية الضباط الاحرار فى صفوف الجيش العامل للتحريض على الانضمام لجيش الثوة الاشتراكى ..

- يتم الاستيلاء على الحكم .. وتعلن الحكومة المحلية فى مديرية الشرقية ويشترك فيها عزيز المصرى[1] ..

والمسألة الأساسية التى تحتاج لتوضيح فى هذا الكلام كله هى علاقة تنظيم الضباط الاحرار بالحزب الاشتراكى وبغيره من الأحزاب السياسية .

(١) تقارير بسيم السعيد — ملف قضية التحريض .

كان الشرط الأساسى الذى وضعه جمال عبد الناصر لانضمام أى عضو فى التنظيم هو أن يوافق على أنه فى هذا التنظيم ليس ممثلا لأى حزب سياسى خارج الجيش .. أى أن يوافق على عدم ازدواج عضويته فى تنظيم الضباط الأحرار وأى حزب آخر .

ولم يكن معنى هذا أن يلغى أعضاء التنظيم اعتقاداتهم .. وميولهم السياسية والفكريه .. لكن يجندونها — كلها — على اختلافها — فى خدمة تنظيمهم العسكرى . . وأن يكون ارتباطهم التنظيمى به وحده . . وولاءهم الأول والأخير له دون سواه ..

وبذلك انتفت من الجيش التنظيمات السياسية للضباط ، التى كانت موجودة بالفعل من قبل (حتى سنة ١٩٥٠) .. عندما كان هناك تنظيم للاخوان المسلمين وآخر للشيوعيين وثالث للحزب الاشتراكى وهكذا ، .. وحل محلها التنظيم الموحد للضباط الأحرار الذى لايعرف أى تقسيمات فى هيئاته إلا تلك الموجودة فى الجيش نفسه .. فأصبح : لجنة الضباط الأحرار بالمدفعية .. لجنة الضباط الأحرار فى الإشارة .. لجنة الضباط الأحرار فى الفرسان .. وهكذا[1] ..

المراجع لتاريخ الفترة من ١٩٥٠ إلى يوليو ١٩٥٢ .. يلاحظ بالفعل الاستقلالية الواضحة لتنظيم الضباط الأحرار عن الأحزاب السياسية المدنية . كما يلاحظ أن هذا المبدأ لتنظيم الضباط الأحرار منحه قوة واضحة ، أتاحت له وضعا متميزا فى الحركة للسياسية فى البلاد .. ذلك أنه صارت له قدره

---

(١) راجع شهادة محمد أبو الفضل الجيزاوى — الملاحق

على التعامل المرن مع جميع الأحزاب . . والحصول بينها جميعا على مركز ممتاز وفريد ..

والسر أن جمال عبد الناصر عندما وضع هذا المبدأ للتنظيم كان قد نجح في إقامة الشيء الذى افتقدته الحركة الوطنية المدنية . . وهو الجبهة الوطنية المتحدة للعسكريين من مختلف الاتجاهات والأفكار . . صحيح أنها كانت جبهة « معسكرة » .. فيها فكرة « الذوبان » فى واحد.. وهى الفكرة التى استمرت مع جمال عبد الناصر طول عمره .. وتركت آثارا سلبية خطيرة على تجربة الثورة كلها إلا أنها فى تلك الفترة من (١٩٥٠ – ١٩٥٢) منحت تنظيم الضباط الأحرار مركزا ممتازا فى الحركة الوطنية . .

من هنا كانت كل الأحزاب تنشد ود الضباط الأحرار .. وتحرص على توثيق صلاتها به ..

لكن من الواضح أن تنظيم الضباط الأحرار لم يدخل فى كنف أى حزب قائم حينئذ . . لاالوفد وهو أكبر الأحزاب وأكثرها جماهيرية .. والحزب الحاكم . ولا الإخوان المسلمين والشيوعيين الذين كان لهما وجود عضوى قوى داخل التنظيم . ولا الحزب الاشتراكى الذى كانت له تأثيرات هامة على الجماهير .. وعلى ضباط الجيش أيضا فى تلك الفترة . . وبديهى أن أحزاب الأقليات كانت مستبعده أصلا . أما الحزب الوطنى فكان منعزلا نسبيا . وإن كان أفراد منه قد حصلوا على مراكز كبيرة بعد الثورة ..

كانت جميع الأحزاب تستعين بالضباط الأحرار فى تدريب فدائييها .. ومدهم بالاسلحة والذخائر . . وكان هذا يمنح الضباط الأحرار نفوذا معنويا كبيرا بين هذه الأحزاب ..

بينما كان تنظيمهم يستخدم الأحزاب وأمكانياتها فى تدعيم كيانه المستقل وتهيئة الظروف لسيطرته – هو – على الموقف فى البلاد . .

ومن هنا فإن أى كلام عن خطة – من جانب أى جهة – تؤسس على أن هذه الجهة «تستعين» بتنظيم الضباط الأحرار فى عمل شئ ما . . فضلا عن عملية كبرى تبدأ بحرق العاصمة . . وتنتهى بالاستيلاء على الحكم . . هو كلام أبله !

أما القول بأن «جماعة الضباط الأحرار» كانت تعمل لحساب الحزب الإشتراكى . . فهو قول أكثر بلاهة . . ويدل دلالة قاطعة على أن البوليس السياسى لم تكن لديه بعد أى صورة واضحة عن تنظيم الضباط الأحرار . .

بينما القول بأن مهمة جماعة الضباط الأحرار – فى مخطط حرق القاهرة وقلب نظام الحكم – هى تحريض العساكر على الفرار من معسكرات الجيش والالتحاق بمعسكر الحزب الإشتراكى بالشرقية . . حتى يصبح لهذا الجزب «جيش ضخم» .. ثم الانتظار فى المعسكرات حتى يحرق الحزب الإشتراكى العاصمة . . وتستولى كتائبه على السلطة .. والاشتراك بعد ذلك فى الحكومة التى ستقام فى مديرية الشرقية بعزيز المصرى . . هو نوع من «كلام العيال» . . الذى لا يصلح للمناقشة . . فضلا عن أنه لم يقم أى شئ يؤيده من قريب أو بعيد ..

وما كان بإمكان البوليس السياسى – والبكباشى محمد الجزار بالذات – أن «يفبرك» مؤامرات أفضل من ذلك . . وأكثر تماسكا ومعقولية . . يلقنها لمرشده بسيم السعيد .. فقد كانت هذه حدود معلوماته . . وخياله !

لكن . . أن هذه المؤامرة المدسوسة كان الهدف منها الإيقاع بأحمد

حسين والحزب الاشتراكى أولا وأخيرا . ولذلك لم يقدم البوليس السياسى أى شيء على الإطلاق يحاول به إثبات دور جماعة الضباط الأحرار الذى قدمه كركن مهم فى المؤامرة . . فلماذا إذن أقحم « الضباط الأحرار » فى العملية ؟

لأن الدوائر الحاكمة كانت قد بدأت تحس بوجود وخطر الحركة الثورية فى صفوف الضباط . . وتدرك تزايد اقبال الضباط على العمل السياسى الوطنى ضد الاستعمار والأوضاع السائدة فى البلاد ..

وكانت منشورات الضباط الأحرار قد أخذت تنتشر . . موقعة باسم تنظيمهم ..

فى هذه الظروف نشرت جريدة مصر الفتاة (الاشتراكية) مقالا بعنوان « منشور فى الجيش » — ٢٢ سبتمبر ١٩٥٠ — يعلق على أحد منشورات الضباط الأحرار ..

وأكمل البوليس السياسى العلاقة بين جماعة الضباط الأحرار — ولاحظ استخدام كلمة جماعة للتقليل من شأن التنظيم — وبين الحزب الاشتراكى وأحمد حسين .. الذى نشرت صحيفته مقالات حول منشورات الضباط الأحرار .. وهكذا تمت الفبركة الساذجة . من ناحية ، حتى يبدو دور الكتائب الاشتراكية أهم . . ومن ناحية أخرى لإرهاب ضباط الجيش.. وتخويفهم من « جماعة الضباط الأحرار » التى تقوم بتدبير وتنفيذ مؤامرة لحرق العاصمة .. حتى يمكن للحزب الاشتراكى الاستيلاء على الحكم ..

لكن هذه المحاولة على أى حال فشلت فشلا ذريعا .. لفرط سخافتها !

٥ — تواجد بالفعل . . بعض الضباط الأحرار . . يوم ٢٦ يناير .

فلماذا تواجد هؤلاء الضباط أن لم يكن لدور معين رسم لهم أن يؤدوه فى أحداث ذلك اليوم ؟

وهذا صحيح . فقد تواجد عدد من الضباط الأحرار بالقاهرة .. أثناء الأحداث .

فمنذ أول النهار ظهر على المسرح أحدهم : الملازم أول محمد حلمى عبد الخالق .

كان محمد حلمى عبد الخالق مكلفا من قيادة التنظيم بتدريب طلبة كلية هندسة فؤاد (القاهرة) . ويوم ٢٦ يناير توجه إلى كلية الهندسة كالمعتاد.. لكنه هناك وجد مؤتمرا وطنيا وخطباء .. وجنود بلوكات نظام ثائرين . . وحضر المؤتمر . ثم خرجت الجامعة فى المظاهرة الشهيرة متوجهة إلى مجلس الوزراء .. فسار مع زملائه فى المظاهرة وتحمس المتظاهرون .. وكان هو ضابط الجيش الوحيد فى المظاهرة .. فحملوه على أكتافهم وهتفوا . . وأخذه هو نفسه الحماس فهتف كذلك . ولما ظهر عبد الفتاح حسن فى شرفة مجلس الوزراء اشترك فى الحوار معه .. وقال – كما قال لى عبد الفتاح حسن – الجيش ليس للاستعراض . عار علينا أن يفعل الإنجليز ما يفعلونه بالقنال ونحن هنا نمشى فى « المحمل » . وعندماانفضت المظاهرة – الساعة ٣٠ر٣ من مجلس الوزراء ، وحوالى الساعة ٤ أو ٣٠ر٤ من ميدان عابدين – انصرف إلى قشلاقه وسلم نفسه لقائده (وكان من الضباط الأحرار أيضا) وقص عليه كل ما حدث . ولما وجد القائد (البكباشى مصطفى راغب) أن الأمر خطير ويمكن أن تترتب عليه عواقب وخيمة فى كشف التنظيم .. أحال الموضوع إلى رئيس أركان سلاح المدفعية القائمقام (العقيد) رشاد مهنا (من قيادة التنظيم) الذى حقق مع محمد حلمى عبد الخالق .. ثم أخذ اجراء سريعا لحمايته ، فأصدر أمره بتعيين محمد حلمى عبد الخالق

أركان حرب لقوات الطوارىء من سلاح المدفعية التى نزلت إلى القاهرة بعد وقت قصير .

هذه هى حكاية الضابط محمد حلمى عبد الخالق . . كما رواها لى.. لكن وجود أحد الضباط الأحرار فى الشارع فى يوم مثل يوم ٢٦ يناير . . وأشتراكه فى احداثه الخطيرة . . لابد أن يثير شكوك الباحث .

سألت محمد حلمى عبد الخالق :

ـ لما توجهت للجامعة يوم ٢٦ . . وانضممت للمظاهرة . . هل فعلت ذلك بقرار شخصى بحت . . أم كان لديك توجيها من التنظيم بعمل شئ ما ؟

□ كان هذا خط سيرى اليومى ، فلما سارت المظاهرة تطور موقفى تلقائيا . . بدون أى توجيه أو قرار من التنظيم . .

ـ لكن اشتراكك وأنت بالزى الرسمى كانت فيه خطوره . .فكيف جازفت . . ما لم تكن هناك أسباب قوية تدفعك لهذا العمل ؟

□ لقد وجدت الطلبة الذين بينهم وبينى علاقة وطنية مضربين وخارجين.. وكان مستحيلا أن انصرف بطريقة غير لائقة . فمن غير المعقول أتحدث كل يوم معهم بنبرة وطنية . . ثم أهرب ساعة الجد .

وعندما حملنى الطلبة لم يكن أمامى الا واحدة من اثنين : أما أن «أرفس» واصرخ وأقول نزلونى . . أو أن أجارى الطلبة وانطلق بما فى قلبى . . وليحدث ما يحدث . .

ـ هل كان يوجد أى ضابط من الضباط الأحرار فى المظاهرة التى كنت فيها . . أو فى أى مكان آخر . . ؟

□ فى المظاهرة التى كنت فيها لم آر احدا غيرى. ولم اسمع عن وجود أى ضابط من التنظيم فى الشارع فى ذلك اليوم . . بالنهار . . طبعا بالليل نزل عدد ضمن قوات الطوارئ . .

هذه هى قصة محمد حلمى عبد الخالق .. عضو تنظيم الضباط الأحرار الذى ظهر على مسرح الأحداث يوم ٢٦ يناير . . وهذا هو دوره فى الأحداث .. وهو كما هو واضح دور ضابط وطنى انفعل مع الشعب .. وعبر – ضمن مظاهرة سياسية واعية ومنظمة – عن مشاعره الوطنية ضد الاستعمار والنظام الملكى .. ولم يقم بأى عمل تخريبى يؤخذ عليه .. ويشير بالإتهام للتنظيم الذى ينتمى إليه .. فضلا عن أنه كان فى هذا كله يصدر عن ارادته الفردية البحتة .

ويبقى غير هذا الضابط الصغير .. ضابطان كبيران من الضباط الأحرار شوهدا يوم ٢٦ يناير أيضا .. سنحقق موقفهما بعد قليل ..

٦ – قالت مصادر الاخوان المسلمين أن جمال عبد الناصر اتصل بأحد قادتها ، وسأله : هل الإخوان المسلمون هم الذين يقومون بالحوادث . . وعرض المساعدة فيما يحدث .. إلا أن الزعيم الاخوانى نفى أى صلة بين الجماعة والحوادث .. فانتهى الحديث عند هذا الحد ..

□ وأهمية هذه الواقعة أنها دليل على أن جمال عبدالناصر كان مستعدا – على الأقل – للاشتراك فى حرق القاهرة .. مع الموافقة على حرقها .. إذا كان الإخوان المسلمون هم الذين يتولون حرقها ..

وهى واقعة ذات دلالة خطيرة جدا .. لو كانت كذلك فعلا ..

الا أن المصادر التى تروى الواقعة – الإخوان المسلمون أنفسهم – يقولون :

أولا ، أن هذا التساؤل من جانب عبد الناصر ينفى صلته بالحرائق .. لأنه يعنى أنه لم يكن يعرف بالضبط من الذى يحرق القاهرة ..

ثانيا ، أنه لا يعنى أن عبد الناصر يريد حقيقة الإشتراك فى الحريق .. وإنما أراد أن «يجس النبض» . . ليعرف ما إذا كان للإخوان المسلمين صلة بالحوادث (١)

ويضيف خالد محيي الدين أن من يعرف شخصية جمال عبد الناصر يدرك معنى هذا التصرف . لقد كان جمال عبد الناصر غاية فى الذكاء والحيوية .. وكان عمليا جدا .. يريد أن يكون فى قلب الأحداث . .وليس معزولا عنها . وهو لم يكن يعرف حقيقة ما يحدث : هل هو عمل تخريبى سينتهى بتدمير البلد وتركها تبيت تحت كابوس الاحكام العرفية .. فى قبضة أكثر حديدية للملك ونظامه .. أم أنها عملية تستهدف زعزعة مركز السلطة .. تمهيداً للانقضاض عليها والتطويح بها .. وإقامة نظام جديد؟ .. وبديهى أن جمال عبد الناصر سأل نفسه : ومن هى القوة التى يمكن أن تنفذ الاحتمال الثانى ؟ .. ولابد أنه وجد نفسه يتجه ناحية الإخوان المسلمين . ولابد أنه فكر : وإذا فرض أن الإخوان المسلمين يفعلون ذلك .. فماذا يكون موقفهم من تنظيم الضباط الأحرار .. وماذا يكون موقف الضباط الأحرار منهم . . وقرر أن يسألهم حتى يستطيع أن يحدد . .

لكن — والكلام لايزال لخالد محيي الدين — إذا سألهم : هل انتم الذين تحرقون القاهرة . . لتلقى اجابة يعرفها مقدما . . وهى : لا . أما إذا وجه سؤاله فى صيغة تبين أنه لا يستنكر ما يحدث . . وأنه مستعد للتعاون

---

(١) راجع شهادة محمد فريد عبد الخالق — الملاحق

أيضا . . لحصل على الإجابة الحقيقية . وهكذا وجه سؤاله . . وعندما نفى الإخوان انتهى الأمر . . وأدرك أن الجانب الآخر — الملك والاستعمار — هم الذين وراء الحوادث . . وبدأ يتصرف على هذا الأساس .

٧ — شوهد جمال عبد الناصر وصلاح سالم يتجولان فى شوارع القاهرة يوم ٢٦ يناير . .

□ والذين يرددون هذه الواقعة . يتصورون أن جمال عبد الناصر وصلاح سالم كانا يتجولان للاشراف على تنفيذ الحريق..واعطاء التعليمات . .

وتجول جمال عبد الناصر وصلاح سالم فى القاهرة فى ذلك اليوم ثابت من شهادات عديدة . لكن هل لا بد أن يكون هذا التجول . . للاشراف على المؤامرة وقيادة تنفيذها ؟

كل الذين سألتهم ، من مختلف الاتجاهات . . أجابو بالنفى . وقالوا أنه من الطبيعى أن يتحرك أى قائد سياسى لمعرفة ماذا يحدث . . ليقيمه . . ويحدد موقفه منه . . ويرتب تصرفاته المقبلة على ضوء مشاهداته وملاحظاته . .

وهذا ما فعله عبد الناصر وصلاح سالم فى يوم ٢٦ يناير . .

فلم يقل أحد أنهما كانا يحرقان . ولم يقل أحد أنهما كانا يلقيان بالتعليمات لأحد . . لأنه لم يكن هناك أحد من أنصارهم يتلقى مثل تلك التعليمات . .

التعليمات بدأت تلقى منهما فعلا فى المساء . . عندما نزل الجيش . فقد أخذ جمال عبد الناصر وصلاح سالم يمران على أنصارهما ليقولا لهم : لا تضربوا الشعب . فقد اتضحت المسألة . . البلد أحرقت ، وأنزل الجيش لاحكام قبضة الملك ..

وقد ذكر عبد الناصر نفسه هذه الواقعة .. فقال :

«يوم ٢٦ يناير نزلت بالليل فى عربتى ومررت على وحدات الجيش هنا فى القاهرة وكانت النار مندلعة وكان التجول ممنوعا . وكان معى فى العربة صلاح سالم . كان عندنا اجتماع يومئذ لما سمى بعد ذلك بمجلس قيادة الثورة . وبعد الإجتماع نزلنا لنتصل بأكبر عدد من الضباط لنقول لهم على قدر الأمكان لا تضربوا فى الشعب[1]» وقد أكد لى جميع الضباط الأحرار الذى التقيت بهم أنهم تلقوا هذه التعليمات .. وعمموها ..

هذا هو ما فعله جمال عبد الناصر وصلاح سالم يوم ٢٦ يناير . . فهل يحسب عليه . أم له . . ؟

□ □ □

وهكذا تنتهى كافة الوقائع التى تقال هنا وهناك فى محاولة للصق جريمة الحريق بجمال عبد الناصر وتنظيم الضباط الأحرار . . إلى لا شئ!

(١) مجموعة خطب وتصريحات جمال عبد الناصر ، اصدار هيئة الاستعلامات – القسم الثالث ، فبراير ١٩٦٠ – يناير ١٩٦١ – ص ٦٣٨

والآن . . لابد من بحث قضيتين أساسيتين . . قبل اغلاق ملف.
اتهام جمال عبد الناصر والضباط الأحرار بحرق القاهرة . ..

□ □ □

القضية الأولى :

هل كانت مبادئ واهداف الضباط الأحرار . .
مما يمكن أن يؤدى بهم إلى القيام بتدبير وتنفيذ مؤامرة
حريق القاهرة . . . ؟

أن البعض يتصور هذا التنظيم بصورة معينة . فيعتقد أنه تنظيم عسكرى سرى . . معزول عن حياة البلاد السياسية . . يعمل فى الظلام . . ويعد خطط التآمر التى تحقق أهدافه . . بأى وسيلة . . وخاصة بالأعمال الإرهابية .

ويذكر أحمد أبو الفتح فى نفس الكتاب الذى سبقت الإشارة إليه أن جمال عبد الناصر هو الذى قام بمحاولة نسف بيت النحاس باشا . .

ليدلل على الاتجاهات الإرهابية له ولزملائه . . مما يجعل اقدامهم على مؤامرة من نوع حريق القاهرة أمرا مستساغا ، ومتمشيا مع طبيعتهم وأساليبهم فى العمل . .

كما يشير البعض الآخر إلى أن تنظيم الضباط الأحرار كان يضم بين تشكيلاته لجنة للارهاب تتولى تنفيذ «العمليات الخاصة» ذات الطابع التآمرى . . وأنه لذلك ليس مستبعدا أن تتم عملية مثل حريق القاهرة بواسطة هذا الجهاز السرى للارهاب . . بمعرفة عدد محدود من أعضاء التنظيم . . الذين لا يتصلون بأحد سوى جمال عبد الناصر شخصيا . . ودون علم بقية أعضاء التنظيم . .

ولا يفوت البعض الثالث أن يذكر بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر . . قائد سلاح الحدود قبل ٢٣ يوليو . . واعتراف جمال عبد الناصر بأنه وراء هذه المحاولة وهو دليل إيجابى على اتجاهات ارهابية تآمرية . . تسمح بالشك فى تنظيم الضباط الأحرار . . وتجعل حضور هذا التنظيم فى دائرة الاتهام فى حريق القاهرة أمرا جائزا . .

وللحقيقة ، فان تنظيم الضباط الأحرار . . وجمال عبد الناصر نفسه . . لم يكن بعيدا عن فكرة الإرهاب فى مرحله من مراحل حياته ونشاطه .

يقول جمال عبد الناصر فى «فلسفة الثورة» :

«جاءت الحرب العالمية الثانية وما سبقها بقليل على شبابنا فالهبته ، وأشاعت النار فى خلجاته ، فبدأ اتجاهنا اتجاه جيل بأكمله ، يسير إلى العنف .

«واعترف — ولعل النائب العام لا يؤاخذنى بهذا

الاعتراف — أن الاغتيالات السياسية توهجت فى خيالى المشتعل فى تلك الفترة على أنها العمل الإيجابى الذى لامفر من الاقدام عليه إذا كان يجب أن ننقذ مستقبل وطننا.

«وفكرت فى أغتيال كثيرين وجدت أنهم العقبات التى تقف بين وطننا وبين مستقبله، ورحت أفند جرائمهم وأضع نفسى موضع الحكم على أعمالهم، وعلى الاضرار التى الحقتها بهذا الوطن، ثم أشفع ذلك بالحكم الذى يجب أن يصدر عليهم .

«وفكرت فى اغتيال الملك السابق وبعض رجاله الذين كانوا يعبثون بمقدساتنا .

«ولم أكن وحدى فى هذا التفكير [1] .. »

لكن للحقيقة أيضا ، أن هذا الاتجاه للارهاب ، من ناحية كان فى فترة مبكرة . . وقبل أن يصل التنظيم إلى أفكار وخطط لتحقيق مايريد . . ومن ناحية أخرى ، كان أحد الاجتهادات التى فكر فيها اناس يتعاملون بالسلاح . . خبرتهم بأساليب العمل السياسى محدودة نسبيا . . وهو اجتهاد اشترك فيه كما يقول جمال عبد الناصر فعلا جيل كامل من أبناء مصر ، فى فترة بدا فيها أن تغيير الأوضاع السيئة التى تعيش فى ظلها البلاد بالوسائل الطبيعية ، أمرا مستحيلا . .

وكان هذا الاتجاه فى التحليل النهائى ذا مضمون وطنى . . فلم يكن هؤلاء الضباط الأحرار يبتغون فى تلك الفترة مصلحة شخص معين . .

---

(١) «فلسفة الثورة» — هيئه الاستعلامات ص ٣٤ — ٣٥ (الجزء الثانى) .

أو هيئة بذاتها . . ولا الهيئة التى ينتمون اليها هم أنفسهم ، فلم يكونوا يفكرون مطلقا ، فى تلك الآونة ، فى السيطرة على البلاد . كما لم تكن بهم رغبة لإشاعة الفوضى والخراب فى البلاد . . لنزعات هستيرية تسيطر عليهم. وإنما كانوا يرون فسادا مستشريا . . وأشخاصا معينين — على رأسهم الملك وكبار رجاله — يمارسون هذا الفساد ويحمونه — فكانوا يرغبون فى تخليص البلاد من الفساد والمفسدين ، بتخليصها من هؤلاء الاشخاص . .بقتلهم..!

ومع كل ذلك ، فالثابت أن هذا الاتجاه سرعان ما أنحسر وتلاشى من عقلية وسلوك الضباط الأحرار.. مع تزايد معاناتهم لقضايا مجتمعهم . . وتزايد ارتباطاتهم بشعبهم خارج الجيش . . وارتباطهم وتفاعلهم بالاحزاب والهيئات والجمعيات السياسية الموجودة . . وانفتاحهم على أساليب عمل . . وبرامج كفاح أكثر مرونة وخصوبة . . وأكثر جذرية من حيث النتائج..

ولعل أكبر دليل على ما نقول . . أن الاتجاه الإرهابى . . مع كل المشروعات التى رسمت لتنفيذه ولتحويله إلى نشاط عملى واسع . . لم يتحول إلى واقع أبدا . . وظل مجرد ذكريات يكتبها رجال التنظيم ويذكرونها . . عندما يكونون فى معرض تسجيل التاريخ.. والارهاصات الأولى للثورة . .

عملية واحدة فقط هى التى احتفظ لنا بها التاريخ . . هى محاولة اغتيال اللواء حسين سرى عامر قائد سلاح الحدود ، والذى يقال أنه كان من أذكى وأخطر العسكريين فى ذلك الحين . ومع ذلك فان المحاولة لم تؤد إلى قتل حسين سرى عامر . . بل أدت إلى اقلاع جمال عبد الناصر وتنظيم الضباط الأحرار نهائيا عن الاتجاه الإرهابى فى الصراع . .

لنستمع إلى جمال عبد الناصر نفسه وهو يحكى هذه التجربة المثيرة .. اليتيمة . .

«أذكر ليلة حاسمة فى مجرى أفكارى وأحلامى فى هذا الاتجاه . كنا قد أعددنا العدة للعمل . .وأخترنا واحدا قلنا أنه يجب أن يزول من الطريق . ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ، ووضعنا الخطة بالتفاصيل . وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد إلى بيته فى الليل . ورتبنا فرقة الهجوم ، ورتبنا فرقة تنظيم خطة الافلات إلى النجاة بعد تنفيذ العملية بنجاح . .

وجاءت الليلة الموعودة وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ . . وسار كل شئ طبقا لما تصورناه. كان المسرح خاليا كما توقعنا وكمنت الفرقة فى أماكنها التى حددت لها . وأقبل الواحد الذى كان يجب أن يزول وانطلق نحوه الرصاص . وانسحبت فرقة التنفيذ وغطت انسحابها فرقة الحراسة ، وبدأت عملية الافلات إلى النجاة ، وأدرت محرك سيارتى وأنطلقت أغادر المسرح الذى شهد عملنا الإيجابى الذى رتبناه .

«وفجأة دوت فى سمعى أصوات صراخ وعويل ولولة أمرأة ورعب طفل ، ثم استغاثة محمومة .

«وكنت غارقاً فى مجموعة من الانفعالات الثائرة ، والسيارة تندفع بى مسرعة . »

وبعد أن يصور لنا جمال عبد الناصر كيف أمضى ليلة مشحونة بالانفعالات . . والصراع مع النفس . . حتى إذا جاء الصباح :

«هرعت فى لهفة إلى إحدى صحف الصباح ..
وأسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله .. قد كتب له النجاة»

ويعلن عبد الناصر كيف استخلص الدرس من هذه التجربة ..

«ولكن تلك لم تكن المشكلة الاساسية . وإنما المشكلة الاساسية . . هى العثور على العمل الإيجابى .. ومنذ ذلك الوقت بدأ تفكيرنا الحقيقى فى شئ أعمق جذورا وأكثر خطورة وأبعد أغوارا .

«وبدأنا نرسم الخطوط الأولى للصورة التى تحققت مساء ٢٢ يوليو ..

«ثورة منبعثة من قلب الشعب ، حاملة لامانيه ، مكملة لنفس الخطوات التى خطاها من قبل على طريق مستقبله» .. (١)

عدل الضباط الأحرار إذن عن تكتيك العنف الفردى .. واتخذ جمال عبد الناصر موقفا حازما فى هذا الصدد ..

فعندما اقترح صلاح سالم فى فورة من فورات الحماس .. واليأس من النظام الملكى ، أن يتكفل كل واحد من أعضاء لجنة قيادة التنظيم (١٢ ضابطا) بواحد من عمد النظام القديم . . فيقتله ويخلص البلاد منه . . رفض

---

(١) جمال عبد الناصر ، فلسفة الثورة ص ٣٦ ، ٣٩ .

عبد الناصر ذلك . . وقال أن هذا لن يحل مشكلة البلد . . لأن الأشخاص سيذهبون . . أما النظام الفاسد فسيبقى !

ويذكر أنور السادات قصة اقتراح نسف السفارة البريطانية وموقف عبد الناصر منه . . يقول :

«ذهب النقراشي – رئيس الوزراء – إلى السفارة البريطانية فقابله كيلرن (السفير) على سلم السفارة (!) ..

وكانت هذه القصة حديث مصر ..

فقد كانت قصة بغيضة فاضحة . . ولم يكن فى البلاد مصرى واحد يحتمل سماعها ، دون أن تفور الدماء فى عروقه ، ويهم بأى عمل يمكن أن يسمى من أعمال الجنون . فقد كان خلاصة هذه القصة أن النقراشى لم يكن يشير إلى مطالب مصر ، حتى هز ذلك اللورد كتفيه فى استهتار وسخرية وقال للنقراشى ، دعك من هذا الكلام . . فان حديث الجلاء والوحدة ليس إلا حديث خرافة . .

« وكانت لطمة قاسية أردنا أن نردها . . وذهبت إلى جمال . . وفى يدى خطة من التشكيل الشعبى لنسف السفارة البريطانية على كل من فيها .

« واستمع لى جمال طويلا ، وناقش خطتى مناقشة كاملة وأقر كل أطرافها وعناصرها ..

« ولكنه فى آخر الأمر .. هز رأسه وقال : لا .

« كان يستعرض فى ذهنه الإجراءات التى يستطيع الانجليز اتخاذها عقب نسف سفارتهم ، وكان يستحضر فى ذهنه مصرع « لى ستاك » سردار السودان ..

« وقال : لا .. نحن لا نريد أن نعيد مأساة السودان التى وقعت منذ عشرين سنة ..

« وكان على حق .. فعشرون عاما فى عمر أمة مكافحة ، ينبغى لها أن تغير من أساليب كفاحها بما تتضمنه من تجارب ومن دروس ..

« ولم تتم هذه الخطة .. ولكن بدأ الصراع من نوع آخر .. جديد[1] » .

أما القصة التى رواها أحمد أبو الفتح فى الطبعة العربية « السرية » من كتابه « والتى قال فيها أن جمال عبد الناصر هو الذى دبر ونفذ حادث نسف بيت مصطفى النحاس . . فهى قصة ملفقة ولا أساس لها .. لأنه معروف تماماً أن الملك فاروق هو الذى دبر ونفذ كل محاولات اغتيال مصطفى النحاس[2] ..

□ □ □

لم يكن تنظيم الضباط الأحرار اذن تنظيما ارهابيا يتبنى أسلوب العنف الفردى الفوضوى ، وإنما الاتجاهات نحو العنف « والعمليات الخاصة »

---

(١) أنور السادات — اسرار الثورة المصرية ، كتب قومية ـ ١٩٦٥ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٢) راجع شهادة محمود البديني ـ الملاحق

ظهرت بين صفوفه كارهاصات للاسلوب الثورى .. وكانت دائما لدوافع وطنية نبيلة تستهدف مصلحة الوطن وقائمة على التضحية بالنفس .. وهى فى النهاية لم تتحول أبدا إلى طابع عام لسلوك التنظيم ، أو عقيدة فكرية تسيطر على قيادته .. كما كانت محدودة جداً من حيث الفترة التى وجدت فيها والنطاق الذى امتدت إليه ..

ظل تنظيم الضباط الاحرار محتفظا بجوهره الوطنى السليم .. حتى جاءت الظروف التى أتاحت له أن يفرغ – أو يحاول أن يفرغ – طاقاته الثورية فى موضعها الصحيح .. فى صدر أعداء الوطن والأمة .. وكانت هذه الظروف هى الاختيار الحقيقى للتنظيم .. سواء من حيث امكانيات الالتحام بالحركة الوطنية العامة فى البلاد . . أو من حيث اكتشافه لنفسه وتحديده لشخصيته ودوره فى الحياة السياسية ..

كان الظرف الأول هو حرب فلسطين – ١٥ مايو ١٩٤٨ ..

وكشف هذا الظرف عن الحماس الوطنى المتأجج فى صفوف شباب ضباط الجيش المصرى ، وفى مقدمتهم الضباط الأحرار . فقبل إعلان الحكومة المصرية دخول حرب فلسطين قرر التنظيم المبادره بتقديم العون للمجاهدين الفلسطينيين ، وقابل بالفعل جمال عبد الناصر الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين وعرض عليه خدمات الضباط ، ولم يحل دون التنفيذ الا طلب المفتى التأجيل لحين موافقة الحكومة المصرية على تطوع الضباط المصريين . وقدم جمال عبدالناصر استقالته من الجيش للانضمام إلى كتائب المجاهدين . لكن الاستقالة رفضت . أما كمال الدين حسين فقد نجح فى تمرير استقالته ، وألتحق بكتيبة أحمد عبد العزيز الذى كان قد سبق إلى التطوع ، وقام بدور بارز فى قتال الصهاينة حتى لقى مصرعه

برصاصة مصرية خائنة سددها إلى قلبه عميل من قبل الملك فاروق !..
واتصل حسن ابراهيم بفوزى القاوقجى قائد قوات التحرير العربية ، ووضع بالاشتراك مع عبد اللطيف بغدادى خطة للانضمام بالطائرات المصريةللمساهمة فى المعركة إلى جانب قوات التحرير . . وان كانت هذه الخطة لم تنفذ لأنه بعد فترة وجيزة اعلنت الحكومات العربية دخول المعركة رسميا[1] ..

وفى ميدان القتال بفلسطين أبلى الضباط الأحرار بلاء حسنا . وكان جمال عبد الناصر نفسه نموذجا للشجاعة وحسن التصرف .. أما عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وكمال الدين حسين فقد حصلوا على ترقيات استثنائية بسبب أعمالهم البطولية[2] .

وفى معركة فلسطين استطاع الضباط الأحرار أن يلامسوا عن قرب حقيقة المؤامرات التى تحيط بوطنهم العربى .. وأبرزها مؤامرة زرع قاعدة جديدة للاستعمار العالمى ، تحت راية الصهيونية وباسم الدولة اليهودية فى فلسطين ..

لكن الأهم من ذلك أنهم اكتشفوا بصورة مريرة حقيقة الاوضاع فى مصر نفسها ..

فاكتشفوا أن قيادتهم ، وحكومتهم ، لم تكن جادة ، فى خوض معركة فلسطين .. اذ بعد كل الضجة الاعلامية ، والهستريا الخطابية ، أرسلتهم إلى الحرب وهم مجردين من أهم سلاحين يجب أن يتسلح بهما محارب ، وهما المعلومات الحقيقية أو شبه الحقيقية عن العدو .. والاطمئنان إلى حسن استعداد الجيش الذى ينتمون إليه[3] .

---

(١) طارق البشرى ـ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٤٦٤ .

(٢) جمال عبد الناصر ـ فلسفة الثورة ، هيئة الاستعلامات ، ص ٢٤ .

(٣) أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، كتب قومية ، ص ٢٤٠ .

أما فساد قيادة الجيش نفسها . فقد تجلت لهم بصورة مفزعة . . إبتداء من سوء تخطيط وقيادة المعارك، إلى انحطاط مستوى الخدمات والإمدادات، إلى رداءه الخدمة الطبية فى الميدان والمستشفيات العسكرية[1] .

على أن أخطر ما صدمهم هناك كانت جريمة الأسلحة الفاسدة . .فقد رأوا رأى العين كيف يضحى الملك ورجال «حاشيته وكبار قواده بارواح الجنود والضباط الذين أرسلوهم للحرب بأسلحة فاسدة . . مقابل عمولات ضخمة ، تتحول إلى بذخ فى القاهرة ، وخسائر على موائد القمار فى أوربا، وأرصدة هائلة فى البنوك العالمية . .

وتعلم جمال عبد الناصر والضباط الأحرار الدرس جيدا . فعرفوا أنه من بين الأعداء جميعا . . يجب مواجهة الملك أولا . لأن تصفية ركيزة النظام الفاسد فى القاهرة تتيح تصفية بقية الاعداء . .

وتعلموا — وكانوا يدركون ذلك تماما — أن المعركة ضد الملك والإنجليز معركة واحدة . .

وعادوا إلى الوطن . . يخوضون معركة الاسلحة الفاسدة من وراء الصحافة الوطنية التى مثلها فى تلك الفترة إحسان عبد القدوس . . وكانت هذه المعركة فى الحقيقة أخطر أسفين دق فى عرش الملك فاروق . .

وأدى ذلك ، مع كفاح الشعب والحركة الديمقراطية العامة فى البلاد ، إلى تخلخل النظام . . وأضطروا إلى طرد حكومات الأقلية ، والسماح باجراء انتخابات جاءت بالوفد . . حزب الاغلبية الشعبية . .

(١) جورج فوشيه ، جمال عبد الناصر وصحبه .

وهكذا تهيأ لتنظيم الضباط الاحرار الظرف الثانى الذى كشف عن معدنه الوطنى الاصيل . . وانتماء ابنائه إلى الحركة الثورية السليمة والواعية للشعب المصرى . .

فقد نشبت معارك الكفاح المسلح ضد الإنجليز فى مناخ الديمقراطية الذى سمح به حكم الوفد . . وإذا بالضباط الاحرار يتقدمون لكى يلعبوا دورا بارزا فى هذه المعارك ، فقد جندوا أنفسهم لتدريب الفدائيين من كل أبناء الشعب الراغبين فى قتال الإنجليز المحتلين .. ومن مختلف أعضاء الاحزاب والهيئات السياسية . وفتحوا معسكرات الجيش نفسها لتكون ميادين تدريب بالذخيرة الحية وبكل الاسلحة . ووفروا الاسلحة والذخائر لأبناء الشعب من مخازن الجيش .

وخططوا للكثير من العمليات الهامة التى نفذها الفدائيون [1]

«كتب ثروت عكاشة يقول أنهم كانوا أشبه بخلية نحل تساعد الانصار وتوزع السلاح كما كان وجيه أباظة من أعضاء كتيبة خالد بن الوليد التى تكونت باشراف عزيز المصرى ، وكان يخفى مع لطفى واكد بالشرقية الاسلحة والذخائر للفدائيين ، وأصدر أحمد حمروش كتابا عن حرب العصابات كما كان كمال رفعت وحسن التهامى يقومان بالتدريب فى معسكر بصحراء الفيوم . ويذكر أنور السادات قصة اللغم «القتيل» إذ كان هو وبعض زملائه فى رفح واتفقوا مع عبد الناصر على إعداد لغم حربى كبير ووضعه بقناة السويس ليصطدم بأحدى السفن البريطانية فتتعطل القناة ، وبدأ تنفيذ العملية فعلا لكنها لم تتم . ويذكر كمال رفعت أنه بذلت محاولات ثلاث لإغلاق

(1) راجع جميع شهادات الضباط الأحرار المثبتة فى آخر الكتاب ، ومذكرات كمال رفعت (حرب التحرير الوطنية)

القناة بهذا اللغم ، وحال دون نجاح المحاولة الاولى أن كان اللازم لإنجاح العملية إخلاء المنطقة الجنوبية من خفر السواحل .ولكن بدلا من أن أقول للصاغ عبد الستار عرنسة باخلاء المنطقة جنوبا قلت له شرقا ، وحين ذهبنا باللنش إلى المنطقة ووصلنا إلى المنطقة المحددة للعملية خرج علينا رجال خفر السواحل من كل جانب وقبضوا علينا . ثم حال دون تحقيق المحاولة الثانية مرور سفينة هولندية بدلا من السفينة الإنجليزية المطلوب نسفها ، وحال دون تحقيق الثالثة أنه لم يمكن فنيا تغطيس اللغم تحت المياه قبل مرور إحدى سفن البترول الإنجليزية . ثم ما لبثت الحركة (الضباط الاحرار) أن أعدت مشروعاً لعملية فدائية أشمل تطوع لها ضباط كثيرون قسموا إلى مجموعات.. وكان نسف جميع المعسكرات البريطانية فى القنال وكذلك الطريق بين القناة والقاهرة . ولكن الاحداث تلاحقت حتى حدث حريق القاهرة فلم تنفذ العملية وظلت سرا[1] . . »

ولم يكن الضباط الاحرار يقومون بهذه العمليات الفدائية الواسعة منفردين ، وإنما كانوا يعملون كجزء من الجبهة الوطنية . . ولم أقابل شخصية سياسية من أى حزب أو هيئة إلا وذكر لى اسماء ضباط أحرار كانوا يتصلون به وينسقون العمل معه . وهكذا قال لى الوفديون والوطنيون والاشتراكيون والشيوعيون والإخوان المسلمون » وكانوا ممثلين فى لجان الكفاح المسلح فى القاهرة والشرقية » »

.. قبل ذلك كانوا قد حددوا واجباتهم داخل الجيش نفسه ، على النحو التالى : :

(١) طارق البشرى ، تاريخ الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ، ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

□ خلق رأى عام قوى بين ضباط الجيش : .

□ أشعار الضباط أن عليهم مسئولية كمواطنين لا تقل عن مسئولية أفراد الشعب العاديين . .

□ رفع الوعى السياسى للضباط ، حتى يكون للجيش نفسه دور فى أنقاذ البلاد وعدم ضرب الشعب[1] . .

ثم أخذوا يبلورون فى « صوت الضباط الأحرار » برنامجهم العام ، والذى بدأوه فى تلك الفترة بفقرتين أساسيتين هما :

□ أن تكون مهمة الجيش تحقيق استقلال البلاد ، لا أن يستعمل فى القضاء على الحركات الوطنية ..

□ تقوية الجيش وتسليحه من أى دولة شرقية كانت أو غربية ..

وتابع الضباط الأحرار فى منشوراتهم بعد ذلك النشاط العام فى البلاد ، فأيدوا إلغاء النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ ، وانتقدوا الحكومة لعدم اتخاذها الإجراءات اللازمة لحماية خط مواصلات القوات المصرية شرقى القناة وراء القاعدة البريطانية ! كما انتقدوها لعدم توزيع السلاح على الشعب . ولعدم تعبئة الإحتياطى ، وتكاسلها فى استيراد الأسلحة من جميع الدول التى تقبل بيعه لنا .. وهاجموا الحكومة كذلك لمواقفها من ضباط الجيش عندما ضيقت عليهم فى الإتصال بالشعب لتدريبه ، ولرفضها طلباتهم بالإحالة على الإستيداع التطوع فى العمل الفدائى؛ وكانت حكومة الوفد فى الواقع تضطر لهذه المواقف السلبية حتى لا تغضب الملك وقياده الجيش :

---

(١) أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، ص ٢١٥ .

كما إهتمت منشورات الضباط الأحرار بفضح قادة الجيش من أذناب الملك والإستعمار .. مما كان له أبعد الأثر فى هز ثقة الجيش بقيادته الرجعية المتعفنة .. وتشجيع القوى الوطنية على التقدم على طريق زعزعة ركائز النظام القديم كله .

□ □ □

هذه هى طبيعة تنظيم الضباط الأحرار .. وهذا هو نشاطه ..

فهل يمكن تصور أن يقدم تنظيم هذه طبيعته .. وهذا نشاطه .. على مؤامرة حرق عاصمة بلاده .. ؟

المنطق يقول لا ... !

□ □ □

لكن . . .

هناك قضية فرعية لابد من مناقشتها بصراحة مطلقة . . قبل أن نصبح متأكدين من براءة جمال عبد الناصر والضباط الأحرار من جريمة حرق القاهرة ..

فكون جمال عبد الناصر والضباط الأحرار عناصر وطنية صادقة الوطنية .. هذا مسلم به .. غير مشكوك فيه بالمرة ..

وكونهم معادين للصهيونية تحمسوا لمحاربتها على أرض فلسطين ..

وكونهم معادين للفساد الداخلى الذى تمثل فى الملك فاروق وحاشيته وكبار رجاله فى الجيش والحياة المدنية .. مما جعلهم يندون به .. ويسعون لإسقاطه ..

وكونهم من أشد أعداء الاحتلال البريطانى الذى كان يمس كرامتهم كعسكريين فضلا عن مشاعرهم الوطنية .. مما دفعهم لأن يلعبوا دوراً رئيسياً فى مقاومتهم ..

كل هذا صحيح . . ومنطقى . . ولا يجعلهم يقومون بأى عمل غير طبيعى . .

إلا أنه كانت على المسرح المصرى فى تلك الفترة من التاريخ .. قوة أخرى مهمة .. غير الإنجليز .. والصهاينة .. والملك ..

كانت توجد الولايات المتحدة الأمريكية ...

وكانت الولايات المتحدة الامريكية التى خرجت من الحرب أقوى وأغنى دولة فى العالم ، تعمل جاهدة للسيطرة على العالم كله . . والحلول محل الدول الاستعمارية الاخرى (انجلترا وفرنسا خصوصا) التى انهكتها الحرب . . فى مناطق نفوذها . .

وكان الصراع فى المنطقة العربية يدور خفيا لكن عنيفا بين أمريكا من ناحية ، وبين حليفيها الاقل قوة . . فبعد معركة البترول والإطاحة بحكومة الدكتور مصدق فى إيران . . وسلسلة الانقلابات فى سوريا . . كان من الواضح أن مصر أصبحت المركز الرئيسى لهذا الصراع [١] . .

وتزايد بالفعل الوجود الامريكى فى مصر . . وأصبحت للسفارة الامريكية فى القاهرة كلمة . . ورجال . . وصحف تدعو للسيد الجديد . .

---

(١) راجع شهادة الدكتور فؤاد مرسى — الملاحق

واتخذت أمريكا فى تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر . . والدقيقة جداً فى تاريخ الصراع مع بريطانيا موقفاً مزدوجاً . . ذا وجهين : فمن ناحية كانت تضغط على مصر بكل الوسائل ، إذا ما ظهر أن اتجاه مصر هو الخروج نهائياً من فلك المعسكر الاستعمارى . . وتتصدى للضغط بنفسها كما فعلت فى حادث الممرضة الأمريكية « انطونى » . أو على رأس الدول الأخرى كما فعلت عند تقديم الانذار الرباعى لارغام مصر على الارتباط بحلف البحر المتوسط ! ومن ناحية أخرى ، كانت تتعمد احراج موقف بريطانيا . . وتتدخل فى المشكلة بينها وبين مصر بوصفها «حكما» . . فترسل لجان تقصى الحقائق . . التى ترى عادة أن على بريطانيا أن تسحب قوات احتلالها من مصر . . أما إذا أصبحت انجلترا فى مركز صعب — كما حدث بعد مذبحة الإسماعيلية — فانها «تكثر من السكاكين» .

ولم تكن أمريكا معجبة بالملك فاروق . . لأن هذا النموذج للحاكم الاقطاعى الاوتوقراطى الفاسد ، لم يكن هو الجواد الذى تلعب به . . وتسيطر به على الحكم . .

كان النموذج الذى تقدمه أمريكا فى تلك الفترة — كصورة لها ، وهى الدولة الفتية التى تتظاهر بالحداثة والديمقراطية — رجل جاد ، نسبياً ، يستحسن أن يكون من « تحت » وليس من الأغنياء جداً . وحبذا لو كان من رجال الجيش ، ليحسم الأمور بسرعة . . ودائماً برفع شعارات براقة ترضى الجماهير ، مثل الاصلاح الزراعى ، والتطهير وما إلى ذلك . .

وهكذا كانت أمريكا تعمل فى تلك الفترة . . فى مصر .

تريد طرد بريطانيا . .

وخلع الملك ..

وتبشر بنظام أكثر تقدما من النظام القديم ..

وتبحث عن حاكم ، أو حكام جدد .. يقومون بالمهمة .. لحسابها .. وبمساعدتها ..

وهناك عنصر هام كان يستدعي أمريكا للعمل فى مصر فى تلك الفترة ..

ذلك هو المد الثورى الجماهيرى ، الذى كان قد تجاوز المعسكر الاستعمارى كله .. يرفض كل ارتباط بهذا المعسكر .. والاتجاه لخلق أو اصر صداقة مع معسكر الشعوب . . ومع الاتحاد السوفيتى بصفة خاصة ..

كما كان هذا المد الثورى الجماهيرى قد تجاوز أيضاً المضمون البرجوازى للثورة الوطنية ، وبدأ يلح على شعارات ذات طابع اشتراكى تعبر بدورها عن تزايد نفوذ الشيوعيين والقوى الاشتراكية الأخرى ..

ومن هنا يثور ، بقوة ، احتمال أن تكون أمريكا — منفردة أومع غيرها — هى التى دبرت ونفذت حريق القاهرة . . كوسيلة لتوجيه ضربة قاصمة للاوضاع القديمة . . تمهيداً لقطف الثمرة (مصر) . . واحلال نظام أمريكى كامل محل النظام الملكى الموالى للانجليز ..

والقضية هنا هى .

هل اشترك جمال عبد الناصر والضباط الأحرار ، أو بعضهم فى هذه العملية مع أمريكا ..

أن مايجعلنا نطرح هذا السؤال هو احتمال غير مستبعد فى أن يقدم

جمال عبد الناصر والضباط الأحرار على عملية ما .. بفكرة أن ذلك يمكن أن يطيح بأعدائهم (الملك والانجليز) . . ويخلق نظاما جديدا . . أفضل ينقذ البلاد من الهاوية التي كانت تتردى فيها بسبب النظام القديم . .

فطرح الأمر بهذه الصورة . . لا يجعل العملية – حتى لو كانت اشعال حرائق بالعاصمة – عملية وطنية .. أو مجرد تخريب بلا معنى . . ينفر منه أي وطنى . . وإنما يزينها باعتبارها جزءا من الخطة للخلاص الوطنى . .

أنه احتمال . . استبعاده بحجة وطنية جمال عبد الناصر وزملائه . . ودورهم العظيم الذى سبق أن استعرضناه لايمثل موقفا علميا موضوعيا . خاصة وأنه ثبت تاريخيا أن جمال عبد الناصر وتنظيم الضباط الأحرار أقام علاقة فعلا بأمريكا عن طريق رجال مخابراتها قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ... وأنه تعاون تعاونا وثيقا مع السفير الأمريكى بالقاهرة (مستر جيفرسون كافرى) منذ اليوم الأول لحركة الجيش ولفترة غير قصيرة بعد ذلك اليوم . .

ما الحقيقة فى هذه القضية .. ؟

وجهت هذا السؤال إلى خالد محيى الدين ، الزميل القديم لجمال عبد الناصر والذى انضم معه ، ومع كمال الدين حسين ، إلى الأخوان المسلمين فى فترة من حياتهم . . والذى صار ماركسيا بعد ذلك ، ثم اختلف مع جمال عبد الناصر بسبب الديمقراطية .. واستقال من مجلس قيادة الثورة منذ عام ١٩٥٥ .. والذى كتب عن علاقة أمريكا بثورة يوليو ورجالها .. وكل هذا يجعله صالحا لتقديم اجابة موضوعية ..

قال خالد محيي الدين : صحيح أنه قامت علاقة بين جمال عبد الناصر وأمريكا .. وقد أحسسنا بها ، نحن الضباط الشيوعيين ، فورا .. فقد أظهر جمال عبد الناصر وقتها بعض التراجعات الفكرية . . وكان حساسا ازاء الهجوم على الاستعمار الأمريكي . . كما أبدى بعض التحفظ على كتابتنا للمنشورات إلى الحد الذى طلب معه أن يتولى بنفسه كتابة المنشورات .. وقد فعلها مرة أو مرتين ثم عاد وتركها لى ..

وأضاف خالد محيي الدين : كل ذلك جعلنا نتساءل ماذا حدث لعبد الناصر ؟ .. وكانت قد حدثت واقعة معينة ، فقد فوجئنا ذات مرة بحضور جمال سالم اجتماع اللجنة القيادية للتنظيم . . بدون أى مقدمات . وكان جمال سالم يتكلم بروح الاعجاب بأمريكا .. وبلغة العداء للشيوعية .. وتصورنا عندئذ أن ما يحدث لجمال عبد الناصر هو من تأثير علاقته بجمال سالم ..

وقال خالد محيي الدين : لكن ثبت بعد ذلك أنه كان قد اتصل بالفعل بالمخابرات الأمريكية .. وبدأ يتأثر بدعاية الأمريكان ..

سألته : ومتى كان ذلك ؟

أجاب : فى مارس ١٩٥٢ .

وأضاف : وعندما كتب « مايلز كوبلاند » « لعبة الأمم » بعد ذلك ذكر فيه أنه التقى بجمال عبد الناصر فى مارس ١٩٥٢ . أى فى نفس الوقت الذى أحسسنا نحن فيه بتغير فى اتجاهات عبد الناصر ..

سألته : أليس من المحتمل أن يكون الاتصال تم قبل ذلك .. والتأثير

ظهر فى مارس :. أى أليس هناك أى احتمال أن يكون الاتصال بين أمريكا وعبد الناصر تم قبل ٢٦ يناير ..

أجاب : قطعا لا ..

وقال خالد محيي الدين : وعلى فرض أنه حدث كما تقول .. وأن عملية القاهرة كانت عملية أمريكية .. وأن عبد الناصر ضالع فيها .. فكيف .. وبمن من الضباط الأحرار نفذها ..

وقال : هل يمكن تصور أن يحرق جمال عبد الناصر .. وحده ؟

هل كان ذلك ممكنا ؟

السؤال الذى أنهى به خالد محيى الدين كلامه يثير « الجوانب العملية » فى الموضوع .. مثل :

— إذا كان عبد الناصر قام بهذه العملية ، عملية حرق القاهرة ، بالتعاون مع أمريكا .. فمع من من زملائه رسم الخطة ؟

— بعد رسم الخطة .. من هم الذين نفذوها من أفراد تنظيم الضباط الأحرار ؟

— هل كانت لدى التنظيم ، بشكل عام ، القدره والامكانيات التى تسمح بتنفيذ مثل هذه العملية ؟

— ما الذى قاله جمال عبد الناصر عن الحريق للجنة القيادة للتنظيم . . وهل يمكن استنتاج أى دور له فى المؤامرة من أقواله وتصرفاته بعد الحريق ؟

— هل تفضح تصريحات وخطب عبد الناصر بعد الثورة الدور الذى قد يكون قام به .. وعلى فرض أنه أخفاه قبل الثورة — خوفا من ملاحقة

السلطة — أو فى السنوات الأولى منها — عندما كان لا يزال ضعيفاً — بحيث يمكن الامساك بأى خيط يوصل لهذا الدور .. ؟

□ □ □

□ بديهى أنه من غير المعقول أن يخطط ويدبر عبد الناصر وحده لحرق القاهرة . وقد نفى أحمد أبو الفتح فى كتابه احتمال أن يكون قد فعل ذلك مع الفريق من الضباط الأحرار الميال للوفد . . أو للاخوان المسلمين . وأثبتنا أنه ليس محتملا كذلك أن يكون قد فعل ذلك مع الضباط الشيوعيين واليساريين . . فضلا أنه من غير المنطقى أن يدبر جمال عبدالناصر حريق القاهرة ، ضمن مخطط أمريكى ، بالتعاون مع الشيوعيين واليساريين .. أعدى أعداء أمريكا . ! ..

وبعد ذلك ، فليس تحت أيدينا ؛ أو أيد أى جهة فى مصر أوخارجها ، أى واقعة تثبت حدوث مثل هذا التدبير مع شخص أو أشخاص آخرين ، ضمن تنظيم الضباط الأحرار أو خارج التنظيم . .

وما ذكره خالد محيى الدين عن جمال عبد الناصر وملاحظة عن إعجابه بالنمط الأمريكى وعدائه للشيوعية .. وارتباط توثق العلاقة بينه وبين جمال عبد الناصر وبين اتصال عبد الناصر بالمخابرات الأمريكية . . لا يصلح لأن نخرج منه باحتمال أن يكونا — جمال وجمال — هما اللذان دبرا للمؤامرة . .

فضلا عن أنه من العسير تصور أن يقوم أثنان فقط من الضباط الأحرار بتدبير مثل هذه المؤامرة ..

— على أننا إذا سلمنا بالعدو الأمريكى . . فانه يكون من السذاجة

تصور أن يلقى كل عبء تدبير مثل هذه المؤامرة والإعداد لها بالتجهيزات والمواد اللازمه.. على عاتق الجانب المحلى.. أو الشريك الأصغر..الذى يفترض أنه هنا تنظيم الضباط الأحرار . فالمنطقى أن يقوم رجال المخابرات الأمريكية بدور كبير .

عند هذا الحد يمكن أن نسلم باحتمال أن يكون جمال عبد الناصر وحده.. أو هو وجمال سالم فقط .. كانا جهاز التخطيط والتدبير من ناحية تنظيم الضباط الأحرار ..

لكن .. ماذا بعد ؟

من الطبيعى أن يتبع التدبير . تنفيذ . . وإذا جاز ضيق دائرة التخطيط والتدبير .. فلابد من أن تتسع الدائرة عند التنفيذ . .

وحتى لو كان جمال عبد الناصر يدرك ويعى أنه يدبر وينفذ مؤامرة لايتقبلها الرأى العام .. وأنه لا يريد أن « ينكشف » أمام جميع زملائه ، سواء فى قيادة التنظيم أو قواعده ..

فان ذلك سيدفعه لأن يضيق إلى أقصى حد ممكن دائرة الذين يعرفون.. ويشاركون ..

لكنه كان بالضرورة سيستخدم عدداً مناسباً لتنفيذ العملية .. من بين الضباط الذين كان يضمهم التنظيم ..

فعلى من اعتمد جمال عبد الناصر فى تنفيذ حريق القاهرة ؟
سألت عشرة من الضباط الأحرار ..

خالد محيى الدين الزميل القديم لجمال عبد الناصر ·· ومرشح التنظيم بالأغلبية لتولى رئاسة حكومة الثورة سنة ١٩٥٤ ·· والذى يتمتع بنظرة شاملة وإطلاع واسع ··

ومجدى حسنين أمين صندوق تنظيم الضباط الأحرار ·· وكبير المعلمين فى مدرسة التدريب على الأسلحة الخفيفة ..

وأحمد حمروش الذى لعب دوراً هاماً فى أحداث يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ عندما قاد عملية حصار قصر رأس التين ·· ومؤرخ حركة الضباط الأحرار وكاتب قصة ثورة يوليو من خلال محاضر مناقشات مع أكبر عدد من صانعيها .

وعبد الفتاح على أحمد وتوفيق عبده اسماعيل وصبرى القاضى من ضباط سلاح الفرسان ·· الذين لعبوا دوراً خطيراً فى أحداث مارس ١٩٥٤ ··

وكمال رفعت ، ولطفى واكد ، اللذين لعبا دوراً بارزاً فى الكفاح المسلح ضد البريطانين قبل وبعد الثورة ·· وتوليا أعمالا هامة فى جهاز مخابرات الثورة فضلا عن مناصب أخرى هامة وعديدة ··

ومحمد أبو الفضل الجيزاوى ومحمد حلمى عبد الخالق من سلاح المدفعية ·· وأولهما كانت له أهمية خاصة فى أحداث ٢٣ يولية .. أما الثانى فهو الذى ارتبط اسمه على وجه التحديد بأحداث حريق القاهرة ··

وهم فى مجموعهم يشكلون عينة ممثله لكل حركة الضباط الأحرار ·· فهم من مستويات مختلفة فى التنظيم ·· كما أنهم من رتب متباينة ··

وعقليات ومعتقدات متمايزة من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مروراً بكل درجات الوسط .. وكلهم ممن اتفقوا مع عبد الناصر واختلفوا أيضا .. ويكادون جميعاً أن يكونوا قد طردوا من الجيش بناء على قرار من عبد الناصر .. وبعضهم دخل فى صراع حاد مع عبد الناصر أدى بهم إلى السجن أيضا ..

ماذا قال هؤلاء الضباط ؟

لقد نفو أى علم مسبق بالحريق ..

وأكدوا أن أحداً منهم لم يكلف بأى مهمة لتنفيذه ..

وأجمعوا على أنهم لم يسمعوا أن أحداً غيرهم من أعضاء التنظيم .. أو حتى من الضباط غير المنظمين فى الحركة ، اشترك فى الحريق ..

وقالوا أنه لو كان واحد منهم فقط — مجرد واحد — اشترك فى الحريق .. لكان ذلك عرف حتما .. على الأقل فيما بين الضباط وبعضهم .. ولكان هذا الواحد تكلم لحظة من لحظات الخلاف الكثيرة والمريرة بين كل أعضاء التنظيم وبين جمال عبد الناصر .. أو من باب المباهاة بالقيام بمهمة خاصة جداً .. وهو ما لم يحدث قط [1] .

☐ لكن .. أن الاشتراك فى عملية كحريق القاهرة ، بالصورة التى تمت بها ، والتى سبقت الإشارة إليها ، تستلزم ان تشترك الجهة المساهمة فى العملية « بقوات » فعالة ، تستطيع أن تنفذ .. وتغطى ..

(١) راجع شهادات الضباط الأحرار المذكورة أسماؤهم . .

وكما يقول محمد حلمى عبد الخالق :

« على الأقل، كل حريق سيشعله إثنان أوثلاثة ..ولابد من وجود أشخاص آخرين لحمايتهم .. وهذا لم يكن متوفراً للضباط الأحرار[1] .. »

فقد كان عدد أفراد التنظيم قليلين .. لايمكن عمل شيء كبير بهم حتى ذلك الوقت ..

ويذكر توفيق عبده اسماعيل أنه حدث أن فكر التنظيم فى عمل مظاهرة تسير إلى الملك وتطلب بعض المطالب كما فعل عرابى مع الخديو توفيق ورفع الإقتراح إلى اللجنة القيادية ، فأرسل جمال عبد الناصر يطلب عدد الضباط الذين يمكن أن يشتركوا فى مثل هذه المظاهرة .. ولما قدر العدد بشكل محدد ، اتضح أنه قليل جدا .. واكتشف التنظيم من هذه التجربة أن مجموعات عديدة من تنظيماته كان تجنيدها محدودا .. فأحدث تغييرات كثيرة بتنزيل بعض الأفراد من اللجنة العليا وتصعيد البعض الآخر[2] .

ومن المعروف أن عدد الضباط الأحرار وصل ليلة ٢٣يوليو إلى التسعين فقط .. جند جزء لابأس به منهم بعد حريق القاهرة .. بعد أن اتضحت نوايا الملك فى الاستبداد بالحكم .. وظهور حكومات الأقليات غير المعمرة على مسرح السياسة المصرية مرة أخرى .. والعودة إلى مفاوضة الإنجليز من جديد بعد ضرب حركة الكفاح المسلح واعتقال الفدائيين والوطنين ..

---

(١) راجع كيف تحدث جمال عبد الناصر عن عملية اغتيال حسين سرى عامر . . وكم فرقة اشتركت فى تنفيذها . . مع أنها مجرد اغتيال فرد واحد . . فى ظلام الليل !

(٢) راجع شهادة توفيق عبده أسماعيل .

فقد دفع ذلك كلة اعدادا متزايدة من الضباط للانخراط في سلك العمل السياسى والانضمام للضباط الأحرار ..

فإذا لم يكن تنظيم الضباط الأحرار فى يناير ٥٢ قوة قادرة على عمل شيء .. وإذا كان فى غير مقدور جمال عبد الناصر أن يجند حتى كل هذه القوة المحدودة .. أو الجزء الأساسى منها .. فكيف يمكن تصور أنه كان أداة لامريكا لتنفيذ حريق القاهرة .. ؟

□ □ □

حتى هنا نكون قد ناقشنا كل ما أثير من وقائع واحتمالات حول علاقة جمال عبد الناصر والضباط الأحرار بحريق القاهرة ..

ويبقى أن نستعرض ما حدث فعلا .. لنحدد دلالاته من حيث تأييد الاتهام أونفيه ..

من الواضح أن تنظيم الضباط الأحرار – شأنه شأن بقية فصائل الحركة الوطنية – فوجىء مفاجاة تامة بالمؤامرة .. مما يؤكد عدم وجود أى علاقة بينه وبين مدبريها ..

يقول أنور السادات :

« فجأة تغيرت الظروف جميعا بالمؤامرة الكبرى..
حريق القاهرة . حدث هذا الحريق الذى أكل
اقتصاديات البلاد ، وأطاح بسمعتها ، ومكن القوى
الرجعية من الانتكاس بانتفاضتها فى لحظة واحدة ..
دون أنتظار ولا توقع من أحد .. وكيف كان لنا أن

نتوقع حادثا كهذا .. لقد فوجئنا به .. واعترانا
الوجوم أياما ... ثم بدأت جميع حواسنا المعنوية والمادية
تعمل معاه بصورة لم يسبق لها مثيل فى تشكيلنا[1] .. »

وفضلا عن المفاجأة بالحريق .. فمن الواضح أن الحريق أصاب التنظيم بصدمة عصبية عنيفة .. مما دفعه ، أودفع أفرادة للقيام بعدة ردود أفعال .. أو محاولة القيام بها ..

- فظهر اقتراح بالقيام بعملية لاغتيال الملك فاروق والتخلص منه .. كرد على مؤامرته بحرق القاهرة وضرب النضال الوطنى .. وكان صاحب هذا الاقتراح هو توفيق عبده اسماعيل بوحدة الدبابات بسلاح الفرسان[2] .. وقد رفضت القيادة الفكرة لأنها لاتؤدى إلى تحقيق اهداف التنظيم والشعب ..

- وطرحت فكرة المظاهرة المسلحة ، التى سبقت الاشارة إليها ، كبديل لعملية اغتيال الملك .. لكن حال دون تنفيذها ضآلة عدد الضباط الذين يمكن أن يشتركوا فيها ..

- واقترح عبد اللطيف بغدادى فى اجتماع الهيئة التأسيسية الذى انعقد فى مساء ٢٦ يناير نفسه أن يقوم التنظيم بحركة للاستيلاء على الحكم فوراً .. مستفيداً من وجود الجيش فى المدينة .. ردا على الملك .. لكن جمال عبد الناصر بقية أعضاء الهيئة رفضوا القيام بأى عملية رد فعل .. وقرروا أن الوقت

(١) أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، ص ٢٨٤ .
(٢) راجع شهادة توفيق عبده اسماعيل — الملاحق

غير مناسب للاستيلاء على السلطة بعد .. وقد غضب عبد اللطيف بغدادى من النتيجة التى توصلت إليها المناقشات وانسحب ، ورفض حضور أى اجتماعات بعد ذلك ، وقال « اننى سألزم بيتى .. وإذا قررتم القيام بالحركة فى أى وقت .. استدعونى[1] » ..

— وعادت للظهور فكرة العمل المشترك مع الوفد (وكانت موجودة قبل الحريق مباشرة[2]) فطلب خالد محيي الدين من جمال منصور أن يرسل رسالة إلى النحاس باشا عن طريق ابن أخيه محمد النحاس الذى كان ضابطا معهم بسلاح الفرسان يبلغة فيها أن ضباط الجيش مستعدين للعمل من أجل الغاء آثار الحريق واعادة الوفد إلى الحكم . . الا أن النحاس لم يقبل التعاون مع ضباط الجيش ، وفهم رده أنه يأمل فى عودة الوفد إلى الحكم على ايدى الأمريكان[3] ..

☐ افترض كل من اتهم جمال عبد الناصر والضباط الاحرار بحرق القاهرة سواء لحسابهم الخاص ، أو بالتعاون مع أمريكا .. أن يكون الحريق وسيلة لاشاعة الفوضى .. مما يضطر السلطة إلى انزال الجيش .. فيتمكن التنظيم من القيام بانقلاب يستولى به على الحكم ..

فهل حدث الجزء الثانى والأهم من الخطة .. على فرض أن الحريق كان الجزء الأول منها .. ؟

أبداً ..

---

(١) راجع شهادة أحمد حمروش ـ الملاحق

(٢) أنور السادات ، أسرار الثورة المصرية ، ص ٢٦٨

(٣) راجع شهادة خالد محيى الدين ـ الملاحق

فقد احترقت المدينة .. وشاعت الفوضى .. وظهر لكل ذى عينين أنه لاتوجد سلطة فى البلاد تمسك بزمام الأمور ..

ونزل الجيش إلى الشوارع .. وسيطر على الموقف وحده ..

وكان بين الضباط الجيش الذى نزل كثيرون من الضباط الأحرار ..

وكان الكثيرون منهم ضباط عظام فى وحداتهم فى ذلك اليوم .. كما تولى مركز اركان حرب العديد من الوحدات أفراد منهم ..

ومع ذلك ، فلم يسيطروا .. ولم يقوموا بعمل انقلاب ..

لماذا .. ؟

للسبب البسيط الذى سبق ذكرة .. وهو أنهم لم يكونوا يعرفون أن ذلك سيحدث .. فى ذلك اليوم بالذات .. فأخذتهم المفاجأة .

والسبب الثانى ، أنهم لم يكونواهم مدبروه .. ولذلك ، فلم يكن جزء أول من خطة ، يليه جزء آخر يجب تنفيذه ..

أما السبب الجوهرى ، فهو أنهم لم يكونوا بعد مستعدين للعمل .. فلم تكن فكرة الانقلاب والاطاحة بالنظام و .. و .. من ذلك الذى حدث فيما بعد ، قد ظهر بشكل محدد فى برنامجهم ..

وقد قال جمال عبد الناصر أنه حتى تلك الفترة لم تكن هناك خطة للثورة أو استعداد لها (١) .

---

(١) خطب وتصريحات عبد الناصر . هيئة الاستعلامات ، القسم الثالث فبراير ٦٠ ــ يناير ٦٢ ص ٦٣٨ .

.وذكر لى خالد محيى الدين أن أول تفكير فى القيام بحركة للاستيلاء على الحكم كان بعد حريق القاهرة بعدة شهور فى مارس ١٩٥٢ .. وليس قبل ذلك بحال من الأحوال[١] ..

كما صرح جمال عبد الناصر للصحفى البريطانى دين مورجان سنة ١٩٦٢ ، أن الحركة كان مقرراً لها أن تحدث سنة ١٩٥٥ .. وأن تقديم الحركة جاء نتيجة سباق مع الزمن بين الضباط الأحرار وبين الملك .. فتمت الحركة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأن الملك كان قد بدأ ينتبه ويرتب لاصطياد الضباط الأحرار .. وأن الخطة النهائية للحركة وضعت ونفذت خلال ٧٢ ساعة فقط .. بعد أن أبلغه محمد نجيب عن طريق محمد هاشم (وزير الداخلية فى حكومة حسين سرى) أن أخطاراً تهدد الضباط الأحرار.. وتبليغ أحمد أبو الفتح لصهره ثروت عكاشة لنفس المعلومات[٢] ..

ولأن التنظيم لم يكن مستعدا للعمل فى يناير ١٩٥٢ .. فقد تركز جهده فى حماية نفسه .. بالحذر والترقب .. وتضليل الملك حتى لا ينتهز الفرصة ويوجه ضربته .. كما فعل مع القوى الوطنية الأخرى .. وهكذا مرر جمال عبد الناصر ــ عن أحد أقرباء الملكة ناريمان ــ رسالة إلى الملك .. فحواها أن البلاد كانت فى حالة فوضى .. وأن الضباط الأحرار كان بامكانهم السيطرة على الموقف ، لولا أنهم حريصين على أن يظل الملك فى مكانه ، وأنهم أصدروا توجيهاتهم للضباط بالمحافظة على النظام (!)[٣] ..

(١) راجع شهادة خالد محيى الدين ــ الملاحق

(٢) راجع شهادة أحمد حمروش ــ الملاحق

(٣) راجع شهادة خالد محيى الدين ــ الملاحق .

أما فى الشارع ، فقد تركز جهد التنظيم على اقناع الضباط بأن لايتحول نزول الجيش إلى إداة للارهاب وضرب الشعب(١) ..

□ □ □

ونستمع إلى كلمات جمال عبد الناصر عن حريق القاهرة .. لعل فيها ماينير الطريق ..

لقد كتب أحمد أبو الفتح فى كتابه أن جمال عبد الناصر « بارك حريق القاهرة » .. فى خطابه فى افتتاح مجلس الأمة سنة ١٩٦٠ .

وقد سبق أن أوضحت ان ما ذكره أحمد أبو الفتح كان مختلقا ولا أساس له ..

لكن جمال عبد الناصر تكلم فى سنة ١٩٦٠ عن حريق القاهرة فى مناسبة أخرى .. وباتجاه ليس فيه أى « مباركة » بالحريق ..

قال جمال عبد الناصر فى افتتاح المؤتمر العام للاتحاد القومى للجمهورية العربية المتحدة ، بتاريخ ٩ يوليو ١٩٦٠ :

« وأنكم أيها المواطنون لتذكرون جميعا حريق القاهرة الشهير فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ . ولقد كان منظر العاصمة العظيمة وهى تحترق من أبشع المناظر فى كفاحنا . ولكن الواجهة البشعة لم تكن الا الستار الخارجى . وكانت الحقيقة أن الجماهير التى اشتركت

---

(١) راجع منشور الضباط الأحرار الصادر يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

فى هذا المشهد البشع أنما عبرت عن غير وعى عما يعتمل فى نفسها من الغضب والحقد[1] » ..

كما جاء ذكر حريق القاهرة فى الميثاق ، الذى يعتبر الوثيقة الفكرية لجمال عبد الناصر .. بهذه الكلمات ..

« وحريق القاهرة .. مهما يكن وراءه من تدبير المدبرين كان يمكن اطفاءوه . لكن ثورة السخط الشعبى زادته اشتعالا ..

« إن الفئه المحتكمة فى العاصمة لم تكن تشعر باحتياجات الشعب وكانت غارقة فى حياتها المترفة لا تشعر بعذاب الجموع أو آلامها ..

« إن شرارة الغضب اشعلت من الحرائق فى القاهرة أكثر مما أشعلت يد التدبير الخفية التى بدأت عملية الحريق[2] » ..

هل يتضمن هذا الكلام أى مباركة لحريق القاهرة ؟

بالعكس . انه يتضمن « استبشاع » جمال عبد الناصر للحريق .. ويعتبره كارثة المت بكفاحنا .. ويؤكد أنه مدبر بواسطة أيد خفية .. لكن يفسر اشتراك بعض جماهير الشعب فى تنفيذ المؤامرة وتوسيع

(١) مجموعة خطب عبد الناصر ص ١٩٦ .

(٢) درس النكسة ، الباب الرابع ، ميثاق العمل الوطنى ٢١ مايو ١٩٦٢ .

نطاقها .. بما كانت تعانيه من حرمان .. وما كانت تشعر به من ترفع الطبقات الحاكمة .. واستئثارها بكل الثروة ..

وكله كلام سليم .. بكل المقاييس .

وهو لا يلقى أى شبهة على جمال عبد الناصر .. وإنما يكشف عن ذكاء عبد الناصر فى أدراك مغزى حريق القاهرة .. فانه لم يعتبره علامة على أزمة البلاد السياسية فحسب .. وإنما أيضا علامة على الأزمه الاجتماعية التى كانت قد بلغت الذروة .

□ □ □

ولا تبقى سوى كلمة واحدة فى هذه القضية ..

لو أن جمال عبد الناصر ، والضباط الأحرار ، قد اشتركوا فى تدبير وتنفيذ حريق القاهرة .. ضمن المخطط الأمريكى .. ألم يكن من الضرورى أن ينكشف ذلك فى يوم من الأيام خلال السنوات العشرين الماضية ؟

فخلال هذه السنوات دب أخطر خلاف بين حاكم دولة صغيرة فى العالم كله وبين أمريكا . وفعلت أمريكا المستحيل لاسقاط عبد الناصر بالحرب النفسية ومحاولات الاغتيال بالرصاص ودس السم .. والعدوان المسلح بواسطة اسرائيل .. والحصار والتجويع . .

كما كان كتاب مايلزم كوبلاند «لعبة الأمم» أيضاً محاولة لضرب نفوذ عبد الناصر بمحاولة تصويره فى صورة العميل الأمريكى الذى قام بدور المنفذ لخطط المخابرات المركزية ..

فلماذا لم تحاول أمريكا الإعلان عن دور عبد الناصر فى حريق القاهرة — أن كان هناك مثل هذا الدور — وكان ذلك كفيلا « بحرق » عبد الناصر بالنسبة للحركة الوطنية المصرية والعربية ..

أليس عدم حدوث ذلك هو فى ذاته أبلغ دليل على عدم وجود مثل ذلك الاحتمال .. ؟

□ □ □

* ثم نغلق ملف اتهام جمال عبد الناصر والضباط الأحرار بحرق القاهرة ..

ونقرر بكل اطمئنان — ونود أن تقرر كل القوى الوطنية معنا — أن جمال عبد الناصر والضباط الأحرار .. أبرياء من جريمة حريق القاهرة ..

حتى نستطيع تحديد المجرم الحقيقى .. فلا يفلت أكثر مما أفلت ! !

واخيراً .. اتهام « الدغيدى »

بعد أن انتهيت من تحقيق كافة وقائع اتهام الضباط الأحرار بحرق القاهرة .. وبينما كنت أستعد لتسليم البحث كله للناشر .. تجدد مرة أخرى الحديث عن حريق القاهرة .. وظهر أحدث اتهام فى هـذا الحادث الخطير . . وكان موجها لجمال عبدالناصر والضباط الأحرار أيضاً .

فقد نشرت « الأخبار » يوم ٣١ أغسطس ١٩٧٥ خطابا موقعاً من اللواء طيار متقاعد عبد الحميد الدغيدى .. جاء فيه :

« قد شاءت لى الأقدار أن أعايش أحداث مصر الجسام فى ربع القرن الأخير من الزمان ، وكان أبرزها بترتيب تواريخها ثلاثة ، الأول حريق القاهرة ، والثانى الاعتداء على العدالة الموقرة وهى فى واقعة ضرب رأسها للسنهورى ممثلها ، والثالث هو هزيمة ٦٧ المرة والمنكرة . وللأسف المر ، والأسى والغم ، أن تلك الأحداث رغم جسامتها

البالغة ، قيدت جميعها ضدمجهول وهو أمر فى تاريخ مصر مريب وشائن بل فى تاريخ سائر الأوطان بلااستثناء .

فحريق القاهرة بالبديهة الساذجة ، والعقلية البدائية غير المتعمقة جناية ما من شك مدبرة ، وجريمة عن يقين مخططه بدليل أعلى من الجدل والسفسطه إذ أن النار أشعلت فى عشرات الأماكن على اتساعها فى وقت واحد ، وبأسلوب متماثل ، مما يقطع بأن الفاعل أكثر من واحد ، وأن من ورائهم أيدى آثمة مدبرة .

كما أن تحقيقا جرى ، وأدان نفرا ، ثم توارى وأختفى ، وبمرور الزمن وتدبير من يخشى نسى وانتهى .

إن من قام بهذا الجرم مهما ذاع صيته ، وعلت من بعد ذلك مكانته آثم فى حق الوطن مهما كانت حجته أو تسبيبه لما حدث ، وهو أمر لابد من تعريته ، فالتكتم عليه وأخفاءوه وصمة فى جبين الكل ، ومصدر دائم للبلبلة وعدم الثقة ، فوق أنه ربما قد تكون وراءه خيانة والعياذ بالله أو مؤامرة ، وقد يكون نفر ممن تآمر أوخان ، وهم إلى اليوم أحرار طلقاء ، يحتل مركزا يمكنه عند أول فرصة له تتاح ، أن يكرر ما فعل ، ويعمل مثل ما عمل وهو أهل لذلك ، من الممارسة السابقة وملابسات التكتم

المطمئنة ، وأساليب الاخفاء والتمويه المشجعة ، ووسائل التدمير المتطورة والعاتية .

وسوف لا أخوض فى هذا الموضوع وأذكر أسماء دار من حولها لغط ، أو وقائع قد يكون لها بالغ الأثر فى كشف الجناة ، وتعرية الطغاة لأن أحدا لم يطلب منى ودائماً ما يئول التطوع فى هذا الجو المحموم إلى نزعة صيت وطنطنة ، وهواية مبالغة ، الأمر الذى من بعد التجربة يحجمنى عن المصارحة؛ إلا أن دعيت ، أو طلبت لتحقيق ، يومها سأقول ، ساعتها سأصول ، وفى حينها سأجول ... »

وكانت الأمانة تقتضى أن أتوقف تماماً .. وأن أبحث الاتهام الحديث لأنه يمكن أن يسفر عن نتائج تغير كل اتجاه بحثى ..

وبالفعل ، وضعت كل جهدى السابق جانبا .. وآليت على نفسى أن أخوض تجربة السعى وراء الحقيقة كما لوكنت لم أتوصل إلى أى نتائج ..

والتقيت باللواء طيار متقاعد عبد الحميد الدغيدى ..

ابتدرنى الرجل بطرح قضية هامة .. قال : كنت أتصور أننى عندما كتبت ما كتبت فى خطابى «للاخبار» .. وهو يتضمن اتهاما .. أو اشارة إلى اتهام معين فى حادث خطير أن استدعى للتحقيق وسماع معلوماتى من أى جهة رسمية .. النائب العام.. .. وزير العدل .. أو أى جهاز آخر .. لكن شيئا من ذلك لم يحدث ..

ووافقته على أن ذلك كان يجب فعلا أن يحدث .. وأضفت : على أى حال

فقد جئت أنا إليك ربما لأنني — بالصدفة — أحقق هذا الحادث . . وربما أنني الانسان الوحيد الذى أهتم بما كتبت فارجو أن تدلى إلى بمعلوماتك ..

قال : أنني لا أعرفك . . ومع ذلك ، وتقديرا منى لجهدك فأنني سأعطيك مفتاحين يوصلانك إلى الحقيقة .. ولا تطلب منى أى مزيد .. لأنني لن أقول أكثر من ذلك إلا أمام جهة تحقيق رسمية .

وقدرت للرجل الاعتبارات التى دعته للتحفظ . . وسمعت منه النقطتين ..

كانت الأولى أنه سمع أنه عندما قبض على فؤاد سراج الدين (باشا) بعد الثورة . . توجه أشقاء فؤاد سراج الدين إلى منزل جمال عبد الناصر . . وكان مما قالوه له أنهم يخشون أن تكون الثورة قبضت على فؤاد باشا بسبب حريق القاهرة . . فرد عليهم جمال عبد الناصر قائلا : لا . . أن حريق القاهرة كان هو البداية الحقيقية للثورة .. لقد قبضنا عليه لأسباب أخرى ..

أما الثانية فكانت معلومات عن مجلس تحقيق عسكرى عقد بسبب حوادث ٢٦ يناير .. وأدان ضابطا أو أكثر .. من الضباط الأحرار ..

واتضح من « المفتاح الأول » أن الدغيدى يستنتج من رواية ذهاب أشقاء فؤاد سراج الدين لبيت جمال عبد الناصر وكلمته إليهم . . أن جمال عبد الناصر هو مدبر حريق القاهرة . . وأن هذا العمل كان بداية الحركة التى تمت فى ٢٣ يوليو ..

لكن هذا الاستنتاج مردود عليه فى الحقيقة . . من ناحية لأنه وارد فى رأى كثيرين ممن يرون أن هناك صلة بين حريق القاهرة وحركة ٢٣ يوليو خاصة أولئك الذين يعتقدون أن أمريكا هى صاحبة اليد الطولى فى الحدثين

(الحريق – والحركه) .. ومع ذلك فإن أحدا من أصحاب هذا الرأى لم يقل بأن هذا كافيا لاتهام جمال عبد الناصر والضباط الأحرار بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة . . بينما لايقوم أى دليل أو قرينة تسند مثل هذا الاتهام . . فضلا . . عن أن معظم القائلين بهذا الرأى استبعدوا تماما فى شهاداتهم لى مثل هذا الاتهام .. وسموا بوطنية جمال عبدالناصر والضباط الأحرار عن النزول إلى مستوى أرتكاب جريمة حريق عاصمة بلادهم فى سبيل أى هدف[1] ..

وأما أن يقول جمال عبد الناصر لاشقاء فؤاد سراج الدين – وعلى فرض صحة الرواية على علاتها – أن حريق القاهرة كان بدايه الثورة . . فهذا لايعنى أن جمال عبد الناصر يعترف بأن الحريق كان جزءاً من خطة الثورة .. ولكنه يعنى – وهو رأى منتشر جدا بين السياسيين – أن يوم ٢٦ يناير بكل أحداثه السياسية . . وحريق القاهرة . . كان يوماً فاصلا فى حياة مصر . . أنهى مرحلة أخرى . لقد كشف بالكامل عن فساد النظام الملكى القديم وتآمره . . وانتهاء مشروعيته . . وألح فى الاستعداد للتغير الذى تحقق فى ٢٣ يوليو ..

وقد بحثت طويلا مع فؤاد سراج الدين أى شبهة لديه فى أن يكون للضباط الأحرار دور فى حريق القاهرة .. فنفى ذلك نفيا قطعيا . .

لذلك ، تركز بحثى فى كلام اللواء الدغيدى على « المفتاح الثانى » . . وقد حاولت فى الجلسة الأولى أن أعرف منه تفاصيل ما يعرفة عن عمل مجلس

---

(١) راجع شهادات ابراهيم فرج ، وفتحى رضوان ، وفؤاد سراج الدين نفسه – الملاحق .

التحقيق .. والوقائع التى بحثها .. وأسماء الضباط الذين حقق معهم وأدانهم .. وأسماء أعضائه ورئيسه .. لكنه رفض نهائيا أن يدلى بأى معلومات .. وطالبنى بأن أبحث ذلك كله بمعرفتى ..

واتصلت بعبده مراد الذى كان بحكم وظيفته مسئولا عن كافة أعمال الضبط والتحقيق بالجيش المصرى فى ذلك الحين . أكد لى عبده مراد ما سبق أن قرره بأنه لم تجر أى تحقيقات تتصل بحوادث ٢٦ يناير إلا مع محمد حلمى عبد الخالق .. ولم يودع السجن الحربى قبل الثورة سوى هذا الضابط وضابط آخر هو محمد رياض (ياور اللواء محمد نجيب بعد الثورة) .. وهما حقيقة من الضباط الأحرار ، لكن أولهما برأته النيابة المختصة .. والثانى لم يكن على ذمة حوادث ٢٦ يناير .. ولم يستطع تذكر أسماء أعضاء مجلس التحقيق الذى أشار إليه الدغيدى ..

وعدت إلى اللواء الدغيدى .. وقلت له بشكل محدد : لقد وجهت اتهاما خطيرا .. وعليك إذا لم تشاء أن تفصح عن كل ما عندك أن تساعدنى بأن تذكر لى أسماء أعضاء المجلس .. وأنا على الباقى ..

وأجاب الرجل بأنه يقدر فعلا أصرارى فى البحث .. لكنه لسبب خاص يتعلق بعدم رغبته فى إحراج الآخرين .. لن يستطيع ذكر أسماء رئيس وأعضاء المجلس .. وإنما على أن أسال فى أمر هذا المجلس عبد الفتاح حسن (باشا) .. لأنه سئل أمام هذا المجلس .

وسألت عبد الفتاح حسن (باشا) .. وقال الرجل أنه تذكر فعلا أنه استدعى إلى مبنى قيادة الجيش فى كوبرى القبة للادلاء بأقوله أمام مجلس تحقيق عسكرى .. بالذات حول واقعة وجود محمد حلمى عبد الخالق

فى مظاهرة رئاسة الوزراء يوم ٢٦ يناير .. وأكد أن شهادته أمام هذا المجلس هى نفس شهادته التى سبق أن أدلى بها إلى .. وليس هناك أى شىء اخر .. وقال أنه ربما يكون الذى استقبله هناك هو الدغيدى نفسه .

وسألت محمد حلمى عبد الخالق ، فقال أنه جرى معه تحقيقات .. أحدهما تولته النيابه ورئيسها أحمد فؤاد سرى وكان صاحب الصورة التى التقطت أثناء حريق كازينو أوبرا .. وأنه نفى ذلك بأسباب أقنعت رئيس النيابة العسكرية بحفظ الاتهام بالنسبة له (سبق ذكر التفاصيل) أما التحقيق الاخر فجرى أمام مجلس عسكرى ووجه أثناءة بعبد الفتاح حسن (باشا) .. وقد انتهى هذا التحقيق إلى توجيه اتهامات عسكرية نظامية إليه .. لأنه سار فى مظاهرة وهتف ضد النظام مما يتنافى مع سلوك الضباط .. وقدم بناء على ذلك لمجلس عسكرى للمحاكمة .. وأنه أودع السجن الحربى انتظارا لهذه المحاكمة .. غير ان الثورة قامت .. واشتراك فيها .. وانتهى الموضوع . وقال أنه يذكر أن رئيس هذا المجلس كان الدغيدى وأن أحد أعضائه كان صلاح توفيق (مشاة) والاخر من الطيران ولايذكر أسمه .

وقدمت كل هذه المعلومات للواء عبد الحميد الدغيدى فى الجلسة الثالثة فقال ضاحكا : لقد حاصرتنى إذن فلتعلم أن الدغيدى الذى حدثك عنه عبد الفتاح حسن محمد حلمى عبد الخالق ليس أنا .. وأنما اللواء عبد الحليم الدغيدى .. وهو لواء طيار أيضاً .. وعمى ..

واتصلت باللواء عبدالحليم فى رقم التليفون الذى أعطانى إياه اللواء عبد الحميد بعد أن ألح على ألا أذكر أنه الذى عرفنى به ..

ورحب اللواء عبد الحليم بالكلام معى . وحدد موعداً .. لكننى عندما

ذهبت إليه لم أجده . فقد استدعى فجأة للسفر إلى دمنهور لعيادة أخيه المريض .. وحدثته مرة أخرى .. فقال الآتى :

١ ـ أنه لا يكاد يذكر تفاصيل ما حدث بعد مضى كل هذا الزمن ..

٢ ـ أنه منذ عشرين سنة قرر إغلاق هذا الموضوع نهائياً ..

قلت له ، هناك فارق كبير بين أن تكون أغلقت الموضوع لأنك لا تذكر .. وبين أن تكون محتفظا بسر لا تريد أن تذيعه لأسباب معينة .. فعلى أساس أى من الأمرين تتخذ موقفك ؟

وبدا من كلامه أن لديه شيئاً لا يريد الكلام فيه حتى لا تترتب عليه مشاكل .. ونصحنى بترك الماضى وشأنه ..

وعدت أقول له ، أننى كباحث فى التاريخ مهمتى هى بالذات هذا الماضى .. وألحت إلى أنه ليس من حق أحد أن يحتفظ بوقائع تاريخية لنفسه .. لأن التاريخ تاريخ الأمة .. ومن حق الأجيال القادمة أن تعرفه كاملا .. وأنه فى هذا العمر ليس أمامه ما يخشاه من قول الحق ..

وسألته بشكل محدد عن الوقائع التى حققها المجلس فلم يذكر سوى واقعة محمد حلمى عبد الخالق .. وسألته هل أدان المجلس هذا الضابط بسبب حريق القاهرة فقال لا .. وذكر أن سبب عدم الأدانة كان الرغبة فى عدم تشويه سمعة الجيش !

وقال لى أن العضوين الآخرين بالمجلس كانا صلاح توفيـق (اللواء)

من المشاة والقرموطى (اللواء محمد صادق القرموطى) من الطيران .. وطلب منى سؤالهما .. فربما يذكره كلامهما ..

ورجعت مرة أخرى للواء عبد الحميد الدغيدى أسأله عن التفاصيل التى سمعها .. ربما أفادت فى تذكير عمه بالأحداث ، فلم يضف جديداً .. وأكتفى بأنه لا يزال عالقا بذاكرته أن هذا المجلس أثار ضجة كبرى فى الجيش لأنه - لأول مرة - وضع اثنين من الضباط فى السجن الحربى ، وكان ذلك شيئاً غير مألوف .. فلما قلت له أن معلوماتى أن الضابطين الوحيدين وضعا فى السجن الحربى حتى قيام الثورة هما محمد حلمى عبد الخالق ومحمد رياض .. وهذان أمرهما معروف .. ولم يدانا من قريب أو بعيد فى حريق القاهرة .. قالا لا .. بل أدينا ..

فعدت إلى اللواء عبد الحليم الدغيدى الذى أكد لى أن المجلس لم يتخذ أى قرار إدانة ضد محمد حلمى عبد الخالق .. إلا فيما يتعلق بالسلوك النظامى وأنه لا يذكر إذا كان التحقيق قد شمل ضابطا آخر أم لا .. وعاد يلح على إغلاق هذا الموضوع ..

هنا اضطررت لأن أقول له : هناك اتهام خطير نشره على صفحات « الأخبار » اللواء عبد الحميد الدغيدى .. وهذا الاتهام مؤسس على تحقيق المجلس الذى كنت أنت رئيسه فما رأيك ؟

قال : أنا ليس لى شأن بما يقوله عبد الحميد الدغيدى .. وعليه هو أن يثبت ما يقول .

□ □ □

وعلى ذلك .. نخلص من تحقيق اتهام الدغيدى للآتى :

١ ــ أن صورة الضابط التى التقطت فى أثناء احتراق كازينو أوبرا .. والتى كبرت فى سلاح الطيران .. لم يعرف صاحبها لا فى حينه .. وحتى الآن ..

٢ ــ أن اتهام الملازم أول محمد حلمى عبد الخالق بأنه صاحب هذه الصورة لم يثبت صحته .. وأنه برىء من الاتهام بواسطة النيابة العسكرية المختصة . .

٣ ــ أن ضابطاً آخر لم تمسه تحقيقات حريق القاهرة ..

٤ ــ أن انتفاء الاتهام بالنسبة للضابط محمد حلمى عبد الخالق (وكان من الضباط الأحرار) ينفى أى اتهام لجمال عبد الناصر وتنظيمه ..

٥ ــ أنه لم يعقد أى مجلس عسكرى للتحقيق مع ضابط فى الحريق إلا المجلس الذى رأسه عبد الحميد الدغيدى ..

٦ ــ أن هذا المجلس لم يحقق إلا مع محمد حلمى عبد الخالق .. ولم يدنه إلا فى الجرائم النظامية ..

٧ ــ أن الاتهام الذى ساقه اللواء طيار متقاعد عبد الحميد الدغيدى على صفحات «الأخبار» يوم ٣١ أغسطس ١٩٧٥ ، مشيراً إلى أن جمال عبد الناصر ــ أو رجاله ــ هم الذين أحرقوا القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. لا أساس

له .. ولا سند .. وهو ليس أكثر من « اختلاط » حوله العداء السياسى إلى « وهم » بجريمة لم تحدث .

□ □ □

ونعود فنؤكد براءة جمال عبد الناصر والضباط الأحرار من جريمة حريق القاهرة .. ونمضى لتحديد المجرم الحقيقى ..

الباب الثالث

أصحاب المصلحة!

من المجرم إذن ؟

فيما تقدم أثبتنا أن حريق القاهرة لم يكن حدثاً عفويا .. وإنما جريمة مدبرة ..

ولما كان من الضرورى أن يكون لكل جريمة فاعل .. فقد بحثنا عن هذا الفاعل ..

ولم نستبعد من دائرة البحث .. أى جهة .. أو شخص أشير إليه بأصبع الاتهام .. سواء بصورة رسمية .. أو فى صورة شبهات متداولة بين الناس .. وبدأنا بالقوى المحلية .. التى اتهم بعضها بالفعل .. والتى ظل اتهام بعضها فى صدور البعض زمناً طويلا .. وكما اتضح فى الباب السابق فإننا بحثنا بالتفصيل جميع الوقائع المنسوبة إلى أحمد حسين وحزبه الاشتراكى .. وإلى الإخوان المسلمين .. وإلى الشيوعيين .. وإلى جمال عبد الناصر والضباط الأحرار ..

وثبت بما لا يدع مجالا لأى شك أن أحداً من هؤلاء جميعاً لم يكن هو مدبر ومنفذ حريق القاهرة ..

ولم يكن هنالك أى اتهام للحزب الوطنى بكل أقسامه .. كما أن أحزاب الأقلية (السعديين والأحرار الدستوريين وحزب الكتلة) مستبعدة أصلا ..

لذلك يبقى السؤال قائماً : من هو المجرم إذن ؟

هنا لابد أن نسأل : من هى الأطراف الأخرى .. التى كانت موجودة. على المسرح السياسى المصرى فى تلك الفترة ؟

ونجيب :

كانت توجد انجلترا ..

وكانت توجد أيضا أمريكا ..

وكان القصر وملكه فاروق موجوداً كذلك ..

لذلك .. لابد من بحث موقف كل من هذه القوى .. لتحديد مركزها..

الفصل الأول

بريطانيا .. متلبسة !

جميع المحاولات .. فشلت !

منذ اليوم الأول .. يوم ٢٦ يناير نفسه . . أشارت أصابع الاتهام إلى الانجليز باعتبارهم مدبرى ومنفذى حريق القاهرة .

□ □ □

الأساس الأول لهذا الاتهام ، هو أن الانجليز كانوا أكثر القوى تضرراً من الأوضاع التى سادت مصر فى السنتين السابقتين على يوم ٢٦ يناير . .

□ فالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، واتفاقيتى السودان ،جعل الوجود البريطانى فى البلدين غير مشروع ، من الناحية القانونية ، ومن جانب الدوائر الرسمية متمثلة فى الحكومة والبرلمان والملك فى مصر . . والأحزاب السياسية فى السودان . .

وبذلك أصبحت قوات الاحتلال ، وكل مراكز القوى البريطانية فى مصر التى كانت منكرة من جانب القوى الوطنية والجماهير الشعبية ، منكرة أيضاً على المستوى الرسمى ..

كما أصبح المركز الدولى لبريطانيا حرجاً . .

□على أن الأمر لم يتوقف على الرفض القانونى للاحتلال البريطانى ، ولكن تبع ذلك إجراءات عملية كانت بالغة الأثر على الوجود الانجليزى فى مصر . .

فقد صحب إلغاء المعاهدة إلغاء الملحقات وأحكام الاتفاق الخاص بالإعفاءات والميزات التى تتمتع بها القوات البريطانية الموجودة فى مصر ، وترتب على ذلك إلغاء جميع الاعفاءات المالية التى كانت ممنوحة للسلطات العسكريه البريطانية ، وتشمل الرسوم الجمركية على المهمات والأسلحة والعتاد ومواد التموين وما إلى ذلك ، والرسوم المستحقة على السفن التى تمر بالمياه المصرية لخدمة القوات البريطانية ، وأجور النقل والاتصالات البرقية والتليفونية الخاصة بهذه القوات . وامتنعت الجمارك عن بذل التسهيلات الجمركية الأخرى الخاصة بأولية المرور والشحن والتفريغ إلا بعد استيفاء جميع الاجراءات القانونية المفروضه على جميع السفن الأجنبية . وامتنعت السكك الحديدية عن آداء أى خدمة للقوات البريطانية أو نقل أى مهمات أو عتاد لها ، وامتنعت الحكومة عامة عن أداء التسهيلات والخدمات التى كانت تؤديها للسلطات العسكرية البريطانية ومنها التموين ، ومنعت وصول ضباط وأفراد القوات البريطانية إلى داخل البلاد ، وحرمت دخول البلاد على الرعايا البريطانيين المدنيين الذين كانوا يعملون فى خدمة القوات البريطانية القادمين من الخارج ما لم يكونوا حاملين لجوازات سفر معتمدة من السلطات القنصلية المصرية فى البلاد القادمين منها ، وأنهت تصاريح الاقامة للبريطانيين الذين كانت إقامتهم فى البلاد لسبب الخدمة فى القوات العسكرية البريطانية أو لصالحها ، وألغت

العمل بالتصاريح التى كانت ممنوحة من قبل بموجب المعاهدة للسلطات البريطانية أو لأفرادها ومنعت هبوط الطائرات العسكرية البريطانية بالمطارات المصرية أو تزويدها بالبيانات الجوية الفنية أو بأى نوع من التسهيلات(1) ..

□ وفى اليوم التالى لإلغاء المعاهدة مباشرة (٩ أكتوبر ١٩٥١) ، حمل اثنان من وزارة الحكومة هما عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية والعمل ووزير الحربية بالنيابة ، وعثمان محرم وزير الأشغال معولين وقادا عملية هدم ثكنات قصر النيل وسط مظاهرة وطنية حماسية . وكانت هذه الثكنات التى بنيت بالطوب الأحمر ، على شاطىء النيل أمام المكان الذى يحتله هيلتون القاهرة حاليا أحد رموز الاستعمار البريطانى فى مصر .. ففيها حوكم أحمد عرابى زعيم أول ثورة وطنية ضد الاستعمار والخديوية .. وفيها كان يعتقل المجاهدون من ثوار ١٩١٩ .. ومن نوافذها كان جنود الاحتلال يطلقون النار على المظاهرات الوطنية .. فكان هدم هذه الثكنات ـ رغم أن الانجليز كانوا قد أخلوها منذ مدة عندما جلوا عن القاهرة وتمركزوا فى قنال السويس ـ مظاهرة لبث الشعور الوطنى ضد الانجليز . وأظهرت للانجليز أن الحكومة عازمة على اتخاذ خطوات تحطم هيبة الاستعمار البريطانى وتشجع على مقاومته .

وبعد أيام قليلة . . اتخذ العمال المصريون موقفهم الرائع ، ضاربين المثل فى التضحية ونكران الذات .

فامتنع عمال ومستخدموا السكك الحديدية عن نقل الجنود البريطانيين ومهماتهم .

(١) عبد الرحمن الرافعى ـ مقدمات ثورة ٢٣ يوليو ، ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) عبد الفتاح حسن ـ ذكريات سياسية ، ص ٦٨ .

وعند ما عززت بريطانيا قوات احتلالها ، بارسال ثلاث ناقلات جنود مشحونة ، وصلت ميناء بور سعيد يوم ١٣ اكتوبر ، تحمل ثلاثة آلاف جندى وضابط . . رفض عمال السكك الحديدية تزويد قطار نقل القوات الجديدة بالماء والوقود كما امتنعوا عن اعداده للسير ، ورفض سائق القاطرة ومساعده العمل فى القطار . . ورفض سائقو وعمال القطارات الأخرى التى كانت مخصصة لنقل القوات البريطانية العمل فى تلك القطارات . . مما أضطر السلطات البريطانية إلى نقل جنودها وضباطها وعائلاتهم إلى المعسكر فى سيارات ولوريات الجيش البريطانى .. ورفض عمال القطارات أيضاً نقل مهمات الجيش البريطانى ، فاضطر البريطانيون لنقلها بالسيارات واللوريات كذلك . . .

وفى الأيام القليلة التى أعقبت إلغاء المعاهدة امتنع عمال الشحن والتفريغ فى موانى القناال عن تفريغ حمولة البواخر البريطانية التى ظلت من ١٧ باخرة تهيم فى القنال دون أن تستطيع الاستقرار وإنزال ما عليها من جنود وعتاد بعد أن أضرب العمال المصريون عن تفريغها ..

وخسر البريطانيون فى أسبوع واحد أكثر من مليونى جنيه نتيجة للمقاطعة التى واجههم بها عمال القنال(١) . .

□ وفى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥١ فتحت الحكومه مكاتب لتسجيل أسماء عمال معسكرات القنال الذين يرغبون فى تركها والالتحاق بأى عمل فى مصالح الحكومة المصرية . وكانت استجابة العمال المصريين مذهلة .. ففى أيام قليلة كانت السجلات قد امتلأت بأسماء ٩١٥٧٢ عاملا هجروا العمل

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ٤٢ – ٤٣

مع الإنجليز .. كانوا هم كل العمال والمستخدمين العاملين فى المعسكرات البريطانية تقريباً .

وقد أورد الدكتور محمد أنيس فى كتابة الوثائقى « حريق القاهرة » أن جهاز التقاط الاشارات بوزارة الداخلية المصرية التقط ٣٠ نوفمبر ١٩٥١ إشارة من إلى تتضمن تقريراً عن حالة العمل فى ذلك اليوم نصه :

« نسبة الغائبين ١٠٠ ٪ .. عدا كاتب واحد » ! ..[1]

ولما كان بين هؤلاء العمال من يؤدون كل الخدمات اليومية والحيوية للانجليز .. (فقد كان بينهم كتبة ومخزنجيه .. وسعاة وفراشين وطباخين وسفرجية وعمال كى الملابس والحلاقة والمخابز .. وبنائين ونقاشين ومبيضين وسمكرية وسباكين .. وميكانيكية وكهربائيه وبرادين وخراطين وحدادين وعمال لحام بالأوكسجين ولحام كاوتشوك وبرشمجية ونجارين وسروجية وعمال أسلحة .. وسائقى سيارات .. وترزية وخيمية وعمال أحذية وتومرجية .. وعمال طباعة .. وبحريين .. وعمال حاذقين فى الصناعات الدقيقة وملاحظين وعتالين وترابيين وخفراء وجنايني‌ه ..[2]) فقد صارت المعسكرات البريطانية فى حالة شلل تام .

وكان ترك عمال المعسكرات ، لأعمالهم بالذات هو أصعب عملية سلمية

---

(١) د. محمد أنيس – « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة » ، ص ١٢

(٢) عن تقرير مصلحة العمل المصرية الصادر فى ٤ فبراير ١٩٥٢ ، والمنشور فى كتاب الدكتور محمد أنيس .

تمت فى مواجهة الإنجليز .. لأنها حولت حياتهم فى منطقة القنال الى عذاب دائم .. بحيث أصبحت لا تطاق ولا تحتمل[1] ..

واكتملت عملية المقاومة السلبية فى تلك المرحلة بمنع التموين والإمدادات المختلفة عن قوات الاحتلال .. فأخذ المتعهدون والموردون الذين كانوا يمدون القوات البريطانية بمواد التموين يمتنعون عن توريد ما تعاقدوا عليه من قبل ، وينقضون عقودهم مع هذه القوات ويلغونها رغم ما فى ذلك من خسائر مادية احتملوها من جراء هذا الإلغاء ، واضطر الإنجليز إلى جلب ما يحتاجون إليه من الخارج مما كبدهم خسائر فادحة[2] ..

وقد التقط جهاز وزارة الداخلية المصرية إشارة يوم ١١ ديسمبر ١٩٥١ ، تصور ما كان يعانيه الإنجليز فى تلك الفترة نتيجة للمقاطعة المصرية .. فهى تتضمن أن ما يلزم أسبوعيا هو ٤٠ طنا من البصل و ٢٠ طنا من الخضر .. وطلب سلفة قدرها ٦٠٠ ألف جنيه أن أمكن من تركيا أو من رأس مال الجهة المرسلة إليها هذه الإشارة[3] ..

ثم قررت الحكومة الاستغناء عن خدمات الموظفين الإنجليز فى المصالح الحكومية[4] .. كما قررت نقل المكتب الهندسى المصرى من لندن إلى سويسرا وكانت مهمة هذا المكتب استيراد ما يلزم الحكومة من معدات ولوازم كالقاطرات والسيارات والآلات الحربية وجميع الأدوات الحكومية

---

(١) راجع شهادة اللواء شريف العبد — الملاحق .

(٢) عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٦ ،

(٣) الدكتور محمد أنيس — حريق القاهرة ، ص ١٢

(٤) كان لبريطانيا حينئذ ٣٥ ألف شخص ، بعضهم مدرسون والبعض الآخر فنيون والباقى رجال أعمال ..

مما كان يساعد فى زيادة ربط مصر بالصناعة البريطانية دون سواها[1] ....

كما قرر عبد الفتاح حسن وزير الحربية بالنيابة الاستغناء عن ١٩ خبيرا عسكريا بريطانيا كانوا يعملون بالجيش المصرى .. وأرسل اشارة عاجلة باستدعاء جميع مبعوثى وزارة الحربية من العسكريين والفنيين الذين يدرسون فى معاهد انجلترا .. وتم احضارهم فعلا فى أفواج متلاحقة بالطائرات[2] .

□ ولم تلبث الحكومة أن أصدرت مرسوما بالاستيلاء على نادى الجزيرة (١٤٦ فدانا) لتحويله إلى ستاد رياضى وطنى . وكان نادى الجزيرة قد انشىء مع بداية الاحتلال .. ونص عقد انشائه على أن الغرض منه هو « الترفيه عن جنود الاحتلال البريطانى فى مصر » ولم يكن يمكن لمصرى دخوله .. وكان الانضمام اليه مشروطا بتزكية اثنين من الأعضاء الانجليز .. وكان السفير البريطانى فى القاهرة هو رئيس النادى . وقد نفذ من مكان الترفيه المفضل لديهم فى عاصمة مصر[3] ..

وتوجت وزارة الوفد نشاطها المعادى للانجليز سنة ١٩٥١ ، باصدار قرارها باستدعاء السفير المصرى فى لندن عبد الفتاح عمرو تمهيدا لقطع العلاقات الدبلوماسية نهائية بين مصر وانجلترا .. وتقديم مشروعين للبرلمان أولهما خاص بمعاقبة كل مصري يتعاون مع السلطات العسكرية الاجنبية (أى البريطانيين) . والآخر بتعديل قانون حمل السلاح بحيث يصبح حمل السلاح لجميع المواطنين هو القاعدة ، والتحريم هو الاستثناء ..

---

(١) عبد الرحمن الرافعى – مقدمات الثورة ، ص٧٣ .

(٢) عبد الفتاح حسن – ذكريات سياسية ص ٧٦– ٧٧ .

(٣) عبد الفتاح حسن – ذكريات سياسية ص ٦٤ – ٦٦ .

□ وفى يوم ١٤ يناير ١٩٥٢ أصدر مجلس الوزراء قرارا بالغاء جمعية « اخوان الحرية » التى انشأها الانجليز فى مصر لتنفيذ مخططاتهم « الخاصة » بعد أن قدم عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية تقريرا يتهم فيه هذه الجمعية بحرق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢ .. وكانت هذه ضربة خطيرة إلى نشاط البريطانيين فى مصر .. وفى وقت كان يرسم لهذا النشاط دورا أكبر فى محاولة تغيير الأوضاع المتردية بالنسبة لبريطانيا فى المنطقة[1] ..

□ □ □

هذه بعض معالم المقاومة السلبية التى أخذ يواجهها الانجليز فى القنال يوما بعد يوم .. وبصورة متلاحقة .. فى الفترة من ٨ اكتوبر ١٩٥١ حتى يناير ١٩٥٢ .. أى فى مدة لاتتجاوز ٧٠ يوما ..

لكن المقاومة السلبية لم تكن هى المقاومة الوحيدة للاحتلال الانجليزى لمصر .. فقد كانت المقاومة المسلحة تتصاعد هى الأخرى .. لتتحول ، فى هذه الفترة الوجيزة ، من عمليات فدائية محدودة ومتقطعة .. إلى حرب تحرير منظمة ومتصلة ، تشارك فيها كل فئات الشعب وإحزابه .. وتسهم فيها الحكومة وضباط الجيش ..

وتعكس مجموعة التقارير التى سجلتها مصلحة الرقابة المصرية ، عن نصوص الاذاعات الموجهة من « باتريك سميث » مندوب الاذاعة البريطانية فى القاهرة فى الفترة من ٢١ ديسمبر ١٩٥١ إلى ١٩ يناير ١٩٥٢ .. تعكس مدى المخاطر التى كانت تعانى منها بريطانيا فى منطقة القنال ..

---

(١) راجع شهادة عبد الفتاح حسن ــ الملاحق

يقول باتريك سميث[1] :

« طلبت الدوائر البريطانية من الجهات الرسمية اعلان حالة منع التجول ابتداء من غروب الشمس إلى الفجر لحين صدور أوامر أخرى وذلك فى المنطقة المحصورة بين بحيرة التمساح والترعة الحلوة حيث وقعت المصادمات بين القوات البريطانية والبوليس المصرى .

« وترى الدوائر البريطانية ضرورة هذا الإجراء نظراً لإلقاء قنابل واطلاق رصاص القناصة وإيقاع القوات البريطانية وعرباتها فى الكمائن .

ويقول البلاغ الرسمى البريطانى هذه الليلة أن دورية بريطانية من المهندسين الملكيين فاجأت جماعة من المصريين يقومون بنزع إحدى مواسير المياه من منطقة تكرير المياه فى السويس فى الليلة الماضية . . كما أطلقت النيران ليلة أمس على جماعة استكشاف من الكتيبة الرابعة والسابعة من فرقة رويال دراجون جاردز على بعد عشرة أميال غرب الاسماعيلية .

« ويعتبر إعلان حالة منع التجول تشدداً من الجانب البريطانى ضد الارهابيين المصريين وكان هذا الإجراء منتظراً عقب القرار الذى أصدره مجلس الوزراء — المصرى — منذ أسبوع والذى أعلن فيه أنه قد يرحب بالموافقة على قانون يبيح التسليح للمدنيين » — ٢١ دسمبر ١٩٥١ —

« فى منطقة القنال ، وفى جو يسوده التوتر يحتفل رجال القوات البريطانية وعائلاتهم بعيد الميلاد فى مخيمات عسكرية محاطة بالأسلاك الشائكة يقوم على حراستها حراس لا يغفلون خوفاً من هجمات الارهابيين .

— ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ —

(٢) الدكتور محمد أنيس — حريق القاهرة ، وثيقة رقم ١ : ص ٥٧ — ٩٦ .

« لم تهدأ حدة الهجمات الارهابية التى شنت على القوات البريطانية ومنشآتها بمنطقة قنال السويس خلال الأسبوع . وفى الحقيقة أن الأحداث فى هذه المنطقة تبرز الملاحظة التى أبداها القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ليفتنانت جنرال أرسكين يوم الاثنين الماضى من أن الحالة تنساق إلى حالة خطيرة جداً .. وقد رجا المصريين فى فترة هدوء ..

وقد رد المصريون بعد بضعة ساعات على اقتراح الجنرال أرسكين بأن أوقع الارهابيون دورية من البوليس الحربى البريطانى فى الاسماعيلية فى كمين وتسببوا فى قتل ضابط وجرح ثلاثة جنود . وقد استمر خلال الأسبوع إلقاء القنابل وإطلاق الرصاص من القناصة على القطارات الحربية والدوريات والمنشآت .. — ٢٢ ديسمبر ١٩٥١ —

« يصرح البلاغ الحربى أن الحالة العامة فى منطقة القنال هادئة على العموم . وقد ألقيت قنبلة فى صباح اليوم المبكر على سيارة عسكرية خارج الاسماعيلية فأصيب السائق بجروح بسيطة من الزجاج المتطاير .. ويضيف البلاغ أن القوات البريطانية استولت على كمية من المواد الشديدة الانفجار وجدت فى مراكب راسية فى خليج السويس .. وقد اضطرت القوات البريطانية إلى ذلك نظراً لما تدل عليه التقارير التى لديها عن قيام أشخاص مجهولين بسرقة مواد مشابهة منها ، وأن أرواح وأملاك القوات البريطانية تتعرض بذلك للخطر .. — ٣١ ديسمبر ١٩٥١ —

« بعد مطلع اليوم الأول من السنة الجديدة بدقائق أطلق الارهابيون النار على مراكز الحراس البريطانيين ، وعلى حاملة بنادق مدرعة أثناء قيامها بدوريتها بالاسماعيلية مستخدمين فى ذلك بنادق وأسلحة أتوماتيكية وإستمر اطلاق النار لمدة ثلاث ساعات ..

« ويقول البلاغ الحربى البريطانى أن النار أطلقت على محطة تكرير المياه خارج السويس أثناء الليل .. — ١ يناير ١٩٥٢ —

« ذكر البلاغ الحربى البريطانى الأخير أن الموقف العام فى منطقة قنال السيويس تغير تغيراً بسيطا وقد كان الهجوم الذى وقع على المنشآت العسكرية خلال الأربعة والعشرين ساعة الماضية ينحصر فى القنص على مستودع الأنوار الكشافة بالتل الكبير ، وقد فاجأت الدوريات بعض المصريين وهم يقطعون أسلاك الاشارة بالقرب من الاسماعيلية ثلاث مرات أثناء الليل .. وكانت الدوائر الحربية البريطانية قد أبلغت قبل ذلك عن حوادث أرهابية أخرى وجهها المصريون إلى العمال بمنطقة القنال كما أبلغت بأن أثنين من اليونانيين اللذين يعملان فى ورشة للجيش البريطانى بالقرب من الاسماعيلية قد أختفيا من ثلاثة أيام ..

— ٣ يناير ١٩٥٢ —

« وقع اشتباك اخر بين الجنود البريطانيين والمصريين فى منطقة القنال ويقول البلاغ الحربى البريطانى أنه فى الصباح الباكر أطلق المصريون الرصاص من أسلحة أوتوماتيكية صوب منطقة تكرير المياه وكشك اشارات السكة الحديدية خارج السويس .. ويقول بلاغ الليلة أن اطلاق النار ازداد شدة ، وأن القوات البريطانية استعملت مدفع الهاون ، بوصة ، ويضيف البلاغ أن اطلاق النار استمر فترات متقطعة طول اليوم ، وقد أصدرت القوات البريطانية بلاغا مفصلا لحوادث اليوم التى وقعت أثر اشتباك الأمن فى نفس المنطقة والتى جرح فيها ضابطان بريطانيان جروحا بسيطة . ويتضح من البلاغات البريطانية أن هناك قوات

تستخدم لتطهير منطقة تكرير المياه من القناصة المصريين فقد كانت هذه المنطقة مصدر قلق طيلة الاسابيع الماضية ..

« ونظرا لاستمرار أعمال القناصة اليوم أستعملت دبابات السنتريون التابعة لفرقة الدبابات الملكية الرابعة .. وقد زاد رئيس لواء المشاة رقم ٣٩ فى عدد الفرقة التى تحرس منطقة تكرير المياه حتى بلغ عددها ٦٠ رجلا عصر اليوم . وعلى كل فقد استمرت أعمال القناصة المصريين حتى بعد أن أطلقت الدبابات البريطانية ثلاث طلقات على مصدر النار فاستخدم مدفع الهاون ٣ بوصة للرد .. وقد جرح ضابطان بريطانيان وأحد ضباط الصف وجندى وبذلك يكون مجموعة الجرحى منذ عصر أمس ستة ..

« وعلقت جريدة الاهرام المحايدة فى مقال رئيسى أن بريطانيا اليوم لم تعد ذلك المارد المخيف ، فظهر القوة الزائفة فى قنال السويس لايرهب المصريين لان مثل بريطانيا العظمة كمثل عملاق يترنح قبل النقطة الاخيرة » .. — ٤ يناير ١٩٥٢ —

« تسير القوافل البريطانية وفق خطوط السير المقررة لها على الطريق الواصل بين التل الكبير والاسماعيلية ذلك بعد الهجمات التى شنها الارهابيون هناك أمس ، وقد قسموا إلى قوافل بطيئة وأخرى سريعة ، كما عززت قوات الحراسة وتواصل السلطات الحربية البريطانية تفتيش جميع المواصلات المؤدية إلى مدينة السويس ..

« وقد نشرت جرائد مصر اليوم كما كان متوقعا خبر الهجوم على القوافل البريطانية فى طريق السويس بخطوط واضحة . وتشير جريدة

الحكومة المسائية « البلاغ » باغتباط إلى ما عانته القوات البريطانية من هزيمة على يد رجال الكوماندوز الشجعان .. — ١٠ يناير ١٩٥٢ —

« قام أربعمائة رجل من الآلاى الثانى من جنود المظلات فى فجر اليوم بتفتيش قريتين جنوب الطريق الممتد بين الاسماعيلية والتل الكبير . وتقع هاتان القريتان فى المنطقة التى شن منها الارهابيون هجماتهم يوم الأربعاء الماضى على القوافل البريطانية فقتل ضابط وعسكرى بريطانيان . وقد عبر جنود المظلات البريطانيون يصحبهم بعض وحدات من الميدان الترعة الحلوة التى تمتد على طول الطريق بواسطة قوارب الاقتحام وقاموا بحصار أهالى القريتين وفتش الرجال فقط ثم تولت بعض الوحدات تفتيش المنازل كلها تفتيشاً كاملا بواسطة كاشفات الالغام فأسفر هذا التفتيش عن العثور على القنابل اليدوية المضادة للدبابات وكمية من الذخيرة والجلنجنايت كما عثر على بندقية بريطانية وكمية من النشرات العربية ضد بريطانيا .

— ١١ يناير ١٩٥٢ —

« صرح البلاغ البريطانى الأخير الصادر من منطقة قنال السويس بوقوع نشاط آخر للارهابيين ورد الجانب البريطانى على هذا النشاط . وقد أطلقت صباح اليوم النار على دورية استطلاع من كوينز أون كاميرون هايلاندرز من جهات مختلفة أثناء وجودها فى موقع مكشوف فى جنوبى التل الكبير وقد أصيب جندى كان يحرك مدفع برن برصاصة فى رأسه وتوفى وعندئذ أمسك ضابط دورية الكاميرون بالمدفع ولكن الرصاصة أصابته أيضاً وتوفى بعد الآخر بثوان ، وقد عبرت الكتيبة الثالثة (الجرنادير

جاردز) قناة الترعة الحلوة لتنفذ الدورية التى وقعت تحت الأعيرة النارية وردوا على نيران الارهابيين بأسلحة أثقل منها إلى أن تمكن الرجال السبعة الباقين من الدورية من الانسحاب إلى موقع أمين ..

— ١٤ يناير ١٩٥٢ —

« استخدم البريطانيون لأول مرة اليوم مدافع الميدان ضد الارهابيين فى منطقة القنال الذين قاموا فى الساعة الواحدة بعد الظهر بهجمات أخرى على القوات البريطانية التى كانت تقوم بحراسة موقع ترشيح المياة لمخزن التل الكبير الذى يقع على بعد حوالى أربعين ميلا شمال شرقى القاهرة على حافة الدلتا . ولما فشلت البنادق ومدافع الماكينة البريطانية فى اسكات النيران المصرية أطلقت المدافع عشر طلقات من عيار ٢٥ رطلا عبر الترعة الحلوة والطريق الذى يمتد بمحاذاتها .

« وتستعمل القوافل البريطانية مؤقتا الطريق الذى يصل مابين المخزن « أوردينانس » بالتل الكبير شرقا والاسماعيلية على قنال السويس . ويقع هذا الطريق على بعد خمسة أو ستة أميال شمالى الطريق الرئيسى بعيداً عن القرى التى يحتمى بها الأرهابيون. وسيكون هذا الطريق القديم أقسى مسلكا لعربات الجيش البريطانى إذ أن هذا الطريق عبارة عن مسافات كبيرة من الرمل الصلب فيما عدا بعض أجزاء ممهدة . وسوف تستعمل القوافل البريطانية هذا الطريق الصحراوى إلى أن يعلن أن الأمن يسود مرة أخرى الطريق الرئيسى . . وصرحت الدوائر العسكرية البريطانية اليوم أن الهجمات التى وقعت خلال الأيام الماضية تنبىء عن وصول وحدات جديدة من الكوماندوز إلى منطقة القنال . وصرح متحدث بلسان القوات البريطانية أن بعض رجال الكوماندوز (الفدائيين) يأتون من الأعمال مايدل

على عظم ماتلقوه من تدريب فى فن الرماية . . وبين الشبان المصريين الذين حجزوا على أثر أصطدامات آخر الأسبوع عدد كبير من طلبة الجامعات بالقاهرة .

— ١٥ يناير ١٩٥٢ —

« وجه السير رالف ستيفنسون السفير البريطانى فى مصر نظر المسئولين المصريين إلى المقالات التى نشرتها أخيراً الجريدة الأسبوعية « الجمهور المصرى » المعادية لبريطانيا وذلك فى مذكرة رفعهـا أمس إلى وزير الخارجية بالنيابة ونشرت اليوم . فى ٣١ ديسمبر ١٩٥١ ، نشرت هذه الجريدة مكافأة ألف جنيه لرجل الكاومندوز الذى يقتل الجنرال أرسكين قائد القوات البريطانية فى مصر ، ومائة جنية عن كل قائد بريطانى يقتل فى منطقة القنال . وقد بعث السفير بمذكرة إلى الحكومة المصرية ليلفت نظرها إلى خطورة هذه الاساءة التى أقترفها صاحب ومحرر هذه الجريدة والتى يعاقب عليها قانون العقوبات المصرى . ولم تذهب الحكومة أبعد من تأنيبها لصاحب الجريدة ورئيس التحرير[1] . وفى نفس الوقت تواصل جريدة الجمهور المصرى هجومها العنيف ضد القوات البريطانية . . ولكن ليس هناك مايدل على أن مكافأة قد طلبت بالرغم من أن ضابطا بريطانيا قد قتل بمنطقة القنال بعد نشر خبر هذه المكافأة الأول : .

— ١٧ يناير ١٩٥٢ —

(١) قال لى أبو الخير نجيب رئيس تحرير « الجمهور المصرى » أن النيابة استدعته فعلا للتحقيق ، لكنه دفع بأنه يحرض وسيظل يحرض على قتل الانجليز الذين يحتلون بلادنا بدون أى سند من الشرعية . . وأن ما أقدم عليه هو من قبيل دفاع المصريين عن أنفسهم وكرامتهم وأرضهم . . ولم تملك النيابة اتخاذ أى اجراء ضده .

« أعلن البلاغ البريطانى الليلة أن النشاط الأرهابى فى منطقة القنال قد ازداد لدرجه كبيرة هذا الصباح ، وذلك عندما وقعت ثلاث قوافل بريطانية مختلفة فى كمائن فى نقط ثلاث مختلفة على طول الطريق بين التل الكبير والاسماعيلية . . وقتل جندى وضابط بريطانيان وجرح جندى آخر . وقدر متحدث بريطانى عدد الفرق التى اشتركت فى عمليات اليوم بمائة وخمسين . . ووصفت الهجمات المصرية بأنها تنم عن تحسن كبير فى خطط العمليات عما كانت عليه سابقا . . وقال أن الأيام القلائل القادمه عما إذا كانت هجمات اليوم ستفتح مرحلة جديدة من الهجوم المتزايد على القوات البريطانية ومنشآتها . .

ـــ ١٩ يناير ١٩٥٢ ـ

وأخذت الصحافة البريطانية تصور حالة اليأس التى وصلت إليها بريطانيا وقوات احتلالها فى مصر . .

فنشر مراسل صحيفة « التايمز » فى منطقة القنال مقالا فى عدد ٢٧ ديسمبر ١٩٥١ وصف فيه حالة المعسكرات البريطانية ، واعترف بفداحة الضربة التى أصابت القاعدة الانجليزية فى القنال حين أجمع العمال المصريون على الانسحاب منها ، وما اعقب هذا الانسحاب من اشاعة الفوضى والارتباك فيها ، واعترف بفشل المحاولات التى اتخذت لجلب العمال من الخارج ، وقال أن الأعمال الحيوية فى المعسكرات أصيبت بارتباك خطير ، وأصبح من المتعذر صيانة المقادير الهائلة من المعدات العسكرية . . وأشار إلى أن أعمال الفدائيين المصريين قد أقضت مضاجع الجنود البريطانيين ، وأن الحياة العادية أختفت فى المعسكرات على طول القنال ، كما أن كثيراً من المؤسسات التى قامت لضمان صلاحية القاعدة العسكرية والسهر على

صحة الجنود ورفاهيتهم قد عطلت ، وأنقلبت الأمور فى منطقة القنال بالنسبة للجيش البريطانى رأسا على عقب ، فبدلا من أن يركز قواته فى الاحتفاظ بالقاعدة والنهوض بها من كافة الوجوه ، أصبح يركز جهوده فى حماية نفسه من هجمات الفدائيين والاحتفاظ بمواقعه وبلغ من شدة التوتر أعصاب الجنود البريطانيين أنهم « باتون يتساءلون عن جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية فقدت قيمتها نتيجة الشعور الوطنى المعادى ، وعما إذا كان من الأوفق تجنب احتكاكات سياسية جديدة بالبدء فى إنشاء قاعدة أخرى فى جهة تعرب حكومتها عن رغبتها فى الانضمام إلى قيادة الشرق الأوسط ، أو على الأقل فى منطقة لايكون وجود القوات الانجليزية فيها مدعاة للسخط ولاستنكار » . . [1]

واضطر أحد ممثلى الاستعمار البريطانى المخضرمين لأن يدعو حكومة بلاده للاستغناء عن وجودها فى مصر .. فقد أعلن اللورد ستانسجيت ، رئيس وفد المفاوضات البريطانية فى المفاوضات بين مصر وانجلترا سنة ١٩٤٦ أمام اسماعيل صدقى . . أعلن فى مجلس اللوردات : « أن القاعدة البريطانية فى منطقة القنال أصبحت لا تصلح عسكريا ، وأن الكرة الذى يحلف بها يجعلها مهددة ، فلا معنى لبقائها »[2] ...

□□□

وهكذا كانت بريطانيا أكثر القوى تضرراً من تصاعد الحركة الوطنية المصرية ، التى كان يشجعها ويغذيها وجود وزارة الوفد فى الحكم . .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ــ مقدمات الثورة ، ص ١١١

(٢) المصدر السابق ، ص ١١٠

وكان كل يوم جديد تنمو فيه الحركة الوطنية . . وتبقى فيه وزارة النحاس فى الحكم يعنى تقليصا جديداً للنفوذ والوجود البريطانى بمصر . .

وإزاء ذلك ، لم يكن أمام بريطانيا إلا أحد أمرين :

أما الانسحاب ، والجلاء عن مصر . . والرضوخ لارادة الشعب المصرى . .

وأما التشبث بالاستعمار . . والقاعدة العسكرية . . واستخدام كافة الوسائل لقهر الارادة الوطنية المصرية . . وفى مقدمتها القوة المسلحة . .

واختارت بريطانيا ، فى ظل حكومة تشرشل – إيدن التى كانت قد جاءت للحكم ، أن تبقى فى مصر . . بالقوة . .

وعبرت الصحافة البريطانية نفسها عن هذا الاتجاه . . فكتبت مجلة « نيوستيتسمان » تقول :

« إن أهم الأخبار التى وردت إلينا من مصر نبأ إباحة حمل السلاح للمواطنين هناك ، فمن هذا النبأ ، ومن الطريقة التى يسلكها الجنرال أرسكين فى مصر يبدو واضحا أن خطر قيام حرب العصابات فى مصر بات على الأبواب . ويتبين من سياسة الحكومة البريطانية أنها تود انقاذ موقف بريطانيا بطريق القوة المسلحة . . » (١)

كيف نفذت بريطانيا خطة استخدام القوة المسلحة فى مواجهة الحركة الوطنية المصرية ؟

هذا سؤال مهم جداً لفهم دور بريطانيا فى مؤامرة ٢٦ يناير . .

فلقد كانت بريطانيا تعرف جيداً ظروف مصر تلك الأيام ..

تعرف أن النحاس ألغى المعاهدة رغم أنف الملك ، وأن الملك اضطر للتصديق على مراسيم الالغاء تحت الضغط الشعبي ، فانه ينتهز كل فرصة مواتية للتخلص من هذا المأزق . . بل ومن النحاس نفسه . . وواضح أن الملك والانجليز كانوا متفاهمين فى ذلك تماماً ..

وتعرف أن الجيش فى يد الملك ورجاله .. وليس للنحاس أو حكومته أى سيطرة عليه .. وأنه لذلك لا يمكن أن يستخدم فى معركة عسكرية مع قوات احتلالها .. ومن ثم فان الحكومة الوفدية ستكون مجردة من أى قوة حقيقية فى مواجهة هذه القوات . .

وتعرف أن الأحزاب السياسية القديمة — أحزاب الأقليات — وإن كان نوابها وشيوخها قد أيدوا بالاجماع إلغاء المعاهدة . . إلا أنها لا تفتأ تعلن شكوكها فى إجراء الحكومة ، بدعوى أنها أقدمت على الالغاء بدون استعداد كاف . . وأن هذا يشكل دعوة انهزامية فى الجبهة الداخلية فى مصر . .

وتعرف أن القوة الوحيدة المنظمة التى تسيطر عليها الحكومة هى قوات البوليس . . وأن هذه القوات كانت قليلة العدد . . محدودة الكفاءة . . هزيلة التسليح .

السند الفعلى للحكومة . . هو الشارع . الجماهير الشعبية من العمال والفلاحين والموظفين والحرفيين . . ومن شباب الطلبة . . خاصة طلبة الجامعات .. لكن انجلترا كانت تعرف جيداً أن الشارع السياسى المصرى

موزع على أحزاب عديدة وتنظيمات كثيرة .. من الحزب الوطنى إلى الاخوان المسلمين إلى الشيوعيين إلى الاشتراكيين .. حتى الوفد . وكانت تعرف أن بين هؤلاء من الاختلافات والشكوك ما يسمح لها بثغرات كثيرة .. لا بد من تجد بينها واحدة تستطيع أن تنفذ منها ..

واستفادت بريطانيا من ذلك كله فى رسم خطتها ..

لذلك ، لم تلجأ إلى العمل العسكرى المباشر والشامل .. أى احتلال القاهرة .. وتغيير الحكومة بالقوة .. ربما خوفاً من اتحاد كل القوى فى مواجهتها .. وانضمام الجيش المصرى للشعب ، خاصة بعد أن اتضحت الاتجاهات الوطنية فيه .. وربما أيضا لأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن لتوافق على ذلك ، بعد أن أصبحت تتدخل بصورة متزايدة فى السياسة المصرية .. وتتحين الفرصة لتخليص النفوذ البريطانى لحسابها .. لازيادته تحت سمعها وبصرها !

وإنما اتبعت انجلترا أسلوب استخدام القوة « بالقطاعى » . أى تنفيذ عمليات عسكرية محدودة .. لكن فى غاية العنف .. ويطبعها الاستفزاز المقصود دائماً ..

والهدف واضح : أن تظهر حكومة الوفد دائماً بمظهر العاجز عن مواجهة القوات البريطانية . مما يؤكد أنها أقدمت على عمل ليست فى مستوى الدفاع عنه . مع إثارة المشاعر الوطنية للجماهير بصورة متلاحقة.. ودفعها للاصطدام بالحكومة نفسها .. مما يعمق التناقضات فى صفوف الجبهة الداخلية .. وتقديم مادة يومية لدعاة الهزيمة من رجال الأحزاب.

الرجعية .. وإعطاء الملك مبررات التهجم والتهكم على الحكومة .. حتى تتهيأ له فرصة الإطاحة بها .

والمتأمل فى نشاط وعمليات القوات البريطانية منذ بداية التوتر فى أكتوبر ١٩٥١ حتى تنفيذ المؤامرة .. يتبين كيف كانت كل النشاطات والعمليات البريطانية تسير فى هذا الاتجاه ..

أن البعض يظن أن عملية ٢٥ يناير فى الإسماعيلية هى الجزء الأول من الخطة .. مع فرض أن هذا البعض أصلا مقتنع بذلك .. لأنه حتى اليوم لايزال الكثيرون فى مصر يتصورون أن عملية ٢٥ يناير كانت رد فعل بريطانى لتزايد نشاط الفدائيين .. وأن الإنجليز – حتى فى تلك المرحلة – حتى فى تلك المرحلة المتأخرة – كانوا يدافعون عن النفس .. وأن عملية ٢٥ يناير هى صورة من صور الدفاع عن النفس..فهى عملية مبررة .. ولذلك فهى صدفة .. أو عملية مستقلة اضطر الانجليز إليها بعد أن وجدوا أن بقاءهم صار مستحيلا مع وجود الفدائيين ومن يحمونهم من جنود بلوكات النظام بالإسماعيلية ..

هذا التصور ينسفه تماماً سلوك الإنجليز منذ البداية ..

فكل عملية أقدموا عليها – فيما عدا الرد على هجمات الفدائيين بشكل مباشر عندما كانوا يهاجمونهم – كانت لامبرر معقول لها ..

كما كانوا دائما هم الذين يبدأون بالعنف ..

ولنستعرض – مع عبد الرحمن الرافعى ، المؤرخ التسجيلى ،المعروف بتحفظه .. والذى برأ الإنجليز كما سبق أن بينا ، من تدبير أو تنفيذ حريق

القاهرة .. مما يجعل تسجيله للاحداث فى تلك الفترة موضوعيا .. غير متحيز — لنستعرض معه عمليات القوات البريطانية خلال الفترة من أكتوبر ١٩٥١ إلى يناير ١٩٥٢ :

□ يوم ١٦ أكتوبر — وهو نفس يوم التصديق على إلغاء المعاهدة .. ولم يكن بدأ أى كفاح مسلح ضد الإنجليز بعد — قامت مظاهرات شعبية فى مدينة الإسماعيلية ابتهاجا بالغاء المعاهدة .. وكانت مظاهرات سلمية ..

فماذا فعل الإنجليز ؟

قابلت قواتهم المظاهرات بالتحرش والاستفزاز .. فسيرت فى شوارع المدينة سيارات مصفحة محملة بالجنود المسلحين بالبنادق والمدافع الرشاشة وأطلقوا الرصاص على المتظاهرين .. فقتل ٧ من المواطنين المصريين وأصيب ٤٥ آخرون .. من بينهم بعض رجال البوليس المصرى الذين كانوا يحاولون السيطرة على الموقف ..

ثم احتلت القوات البريطانية المدينة (مخالفة نصوص المعاهدة) بدعوى المحافظة على الأمن وحماية أرواح الرعايا البريطانيين . واستباحت لنفسها اقتحام مساكن الأهالى بدعوى تفتيشها . كما أخذت فى تفتيش القطارات والسيارات الداخلة إلى المدينة والخارجة منها ...[1]

□ وفى نفس اليوم — ١٦ أكتوبر — حدث نفس الشىء فى مدينة بورسعيد .. فواجهت القوات البريطانية المظاهرات السلمية باطلاق النار جزافا .. وسقط ٥ شهداء .. مما اضطر أهالى المدينة الغاضبين إلى مهاجمة مخازن البحرية البريطانية (النيفى) وأشعلوا فيها النار[2] ...

(١) عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٤٦

(٢) المصدر السابق ص ٤٧ .

□ وفى اليوم التالى – ١٧ أكتوبر – احتل الإنجليز مكاتب الجمارك والجوازات والحجر الصحى ، والحجر الزراعى فى الإسماعيلية وبورسعيد بعد أن اقتحموا أبوابها بالقوة ، واعتقلوا بعض الموظفين ، وجردوا الحراس من أسلحتهم .. واستولوا على خط السكك الحديدية وأكشاكها من نفيشة إلى الإسماعيلية واستولوا على مرافق الاسماعيلية كوابور المياه والكبارى[1] ..

□ وفى يوم ١٧ أكتوبر أيضاً شنت قوة بريطانية هجوماً مفاجئاً على كوبرى الفردان الذى كان فى حوزة الجيش المصرى ، وكان يحرسه عدد قليل من الجنود المصريين .. فاستولت عليه بالقوة بعد أن قتلت جنديين مصريين وجرحت خمسة وأسرت ضابطاً مصرياً وأربعة وعشرين جندياً وكان هذا الكوبرى هو الوسيلة البرية الوحيدة التى تصل مصر بسيناء عبر قناة السويس بواسطة خط سكة حديد .. وبذلك عزلت القوات البريطانية البلاد عن بعضها . كما فصلت بين قوات الجيش المصرى الموجودة بسيناء وغزة والعريش من ناحية وبين قواعدها وخطوط إمداداتها داخل الوادى[2]

وهذه العملية بالذات – وفى الوقت المبكر الذى نفذها فيه البريطانيون – أثارت الكثير من الانتقادات للحكومة الوفدية خاصة بين ضباط الجيش ، فأصدر الضباط الأحرار منشوراً يحملون فيه الحكومة مسئولية تمكين البريطانيين من عزل قوات الجيش فى الشرق والغرب .. لأنها لم تتخذ الاحتياط اللازم ولم تدعم أو تنبه إلى تدعيم حراسة الكوبرى .. وكان ذلك بالتحديد هو مايريده الإنجليز من العملية .. لأنهم لم يكونوا يتصورون أن الجيش المصرى الذى على رأسه قيادة موالية لهم والذى يستمد كل تسليحه وذخائره من مخازنهم يمثل أى خطر عليهم .. وإنما أرادوا تأليب الجيش على

(١) المصدر السابق – ٤٧ .

(٢) المصدر السابق – ٤٩ ، ٥٠ .

الحكومة .. وإعطاء القيادات المعادية للكفاح الشعبي ذريعة للتنديد بالوزارة الوفدية ..

□ واحتلوا منطقة المعدية على بعد ميل شمال الإسماعيلية، والقنطرة .. واستولوا على كل وسائل التعدية إلى البر الشرقى للقنال .. وفعلوا نفس الشيء بالسويس ، فاستولوا على المعدية الموجودة على ضفة القنال المقابلة لصحراء سيناء .. كما احتلوا جمرك السويس يوم ٢٠ أكتوبر ، ونصبوا المدافع الرشاشة على سطحه تهديداً للمدينة [١] ..

□ وشيئاً فشيئاً أعتبر الإنجليز منطقة القنال منطقة بريطانية .. تحكم عسكرياً بواسطة الجيش البريطانى ..

وتجاهلوا السلطات المصرية . وأخذوا يقبضون على الموظفين المصريين .. وبعض ضباط البوليس وضباط الجيش .. ويبعدوهم عن المنطقة بحجة أنهم غير مرغوب فيهم ..

واغتصبوا بعض مساكن الأهالى وأسكنوا فيها جنودهم وضباطهم ..

وأخذت الدوريات الإنجليزية المسلحة تجوب شوارع بورسعيد والإسماعيلية والسويس تستفز مشاعر الجماهير ..

واحتلوا مداخل المدن أيضاً .. وهددوا السيارات .. وأخذوا يستولون على كل ما تحمله من مؤن ومواد غذائية ..

وأوقفوا المواصلات بين مدن القناة وبقية القطر ..

وأخذوا يجرون تفتيشاً مهينا .. إرهابيا .. لكل من يدخل أو يخرج من

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ـ مقدمات الثورة ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

المنطقة .. وشملت هذه الإجراءات الغاشمة رجال القضاء والنيابة .. وكثيراً ما كان جنود الاحتلال يتعمدون إهانة القضاة إمعانا فى الاستفزاز.. ومنعوا تسيير القطارات فى منطقة القنال فشلت حركة النقل إليها وداخلها وعطلوا الإجراءات الصحية بسبب العقبات التى لقيها الموظفون الصحيون فى أداء واجباتهم ..

ومنعوا جنود خفر السواحل وسلاح الحدود من أداء مهمتهم فى حراسة النقط المعينين عليها على شواطىء وطرق منطقة القنال ..

وامتنعوا عن دفع أى رسوم جمركية للسلطات المصرية .. وبلغت الرسوم المستحقة عليهم فى الفترة من ١٦ أكتوبر حتى آخر نوفمبر ١٩٥١ حوالى مليون ونصف مليون جنيه .. رفضوا دفعها لجمرك بورسعيد وحده ..

وعززوا وجودهم فى الشرقية أيضا — رغم مخالفة ذلك لنصوص المعاهدة — فدعموا معسكرهم فى التل الكبير ، وأقاموا نقطا حربية أخرى بجانب أبى حماد وحول القرية والعباسية وغيرها ..

وهددوا بمنع وصول مواد البترول والمازوت والبنزين من السويس إلى بقية مدن القطر .. لكى يشلوا حركة البلاد تماما[1] ...

□ □ □

كل هذا حدث فى الشهر الأول من إلغاء المعاهدة (١٦ أكتوبر — ١٦ نوفمبر ١٩٥١) ..

وكان الهدف منه إثبات — من جانب الإنجليز — أن ألغاء المعاهدة عمل

---

(١) عبد الرحمن الرافعى - مقدمات الثورة ، ص ٥٤ .

عديم القيمة عمليا .. وأن الاحتلال البريطانى لمنطقة القناة قائم .. بل ويمتد إلى مناطق أوسع من المناطق السابقة على الإلغاء ..

وأيضاً .. أن الحكومة الوفدية لاتملك — ليس فقط إمكانية فرض قرارها على السلطات البريطانية فى القناة — وإنما ولاحتى حماية سلطاتها المحلية من الأهدار والإهانة .. فضلا عن عجزها عن حماية رعاياها من سكان مدن القنال الثلاثة والشرقية .

وكان أمل بريطانيا فى تلك المرحلة إشاعة اليأس فى نفوس المصريين وإرغام الحكومة على العودة إلى المفاوضات من جديد ..

ولذلك صحبت الإجراءات التعسفية التى أتبعتها فى تلك الفترة محاولات الوساطة سواء عن طريق الأمريكان ، أو نورى السعيد رئيس وزراء العراق الموالى للإنجليز .. أو الملك سعود ملك السعودية ..

إلا أن ماحدث فى مصر كان مخالفاً لما توقعه الإنجليز ، ومخيباً لآمالهم ... فقد التفت كل القوى الوطنية حول حكومة الوفد .. رغم أى انتقادات لمسلكها وإجراءاتها ..

وانتظمت وتصاعدت حركة الكفاح المسلح .. وشاركت فيها كل الأحزاب الوطنية وكل العناصر النشطة .. وعدد كبير من الضباط الأحرار .. على النحو الذى سبق ذكره ..

وارتفعت حرارة النضال السياسى فى البلاد فى مناخ الديمقراطية الذى أتاحته الحكومة للحركة الشعبية .. فتبلورت الحركة العمالية واتجهت لإقامة اتحادها العام .. واتسعت حركة أنصار السلام .. وظهرت اللجان الوطنية ولجان الكفاح المسلح فى كل مكان .

ولعبت الصحافة الوطنية دورها فى تعبئة الشعور الوطنى ضد الاستعمار وجرائمه .. فازداد الشعب استبسالا فى مواجهة الإرهاب البريطانى ..

هنا انتقلت بريطانيا بتخطيطها إلى مرحلة جديدة ..

ركزت ضرباتها – العمدية – لتمريغ هيبة هذه الحكومة العنيدة فى التراب ..

واختارت أن تكون عملياتها المذلة – والقاسية فى نفس الوقت – موجهة إلى الرمز الرسمى للدولة المصرية فى منطقة القنال .. والذى هو أيضاً السلاح الوحيد فى يد الوزارة .. والذى يشرف عليه أقوى وزرائها .. وسكرتير عام حزب الوفد .. فؤاد سراج الدين : البوليس ..

وبدأت العمليات الخاصة .. المركزة ضد البوليس ..

إن هذا لايعنى أن البوليس لم يكن يدخل فى العمليات السابقة .. لا .. فكل معركة حدثت فى الشهر الأول لإلغاء المعاهدة كان لرجال البوليس المصرى دور .. وكان يسقط منهم شهداء .. لكنهم كانوا يدخلون المعركة بالظروف .. أما لأنهم تجاوبوا مع مواطنيهم العزل أثناء هجوم الإنجليز عليهم .. فدافعوا عن أهلهم وقتلوا معهم ومثلهم ..

لكن فى هذه المرحلة كانوا هم على وجه التحديد هدف الاستفزازات البريطانية ..

□ ففى يوم ١٧ نوفمبر قام الجنود البريطانيون باطلاق النار على رجال بلوكات النظام فى الإسماعيلية .. وهم فى ثكنتهم .. فأصيب أثنان منهم فى البداية بجروح خطيرة إلا أن زملاءهما ردوا باطلاق النار على البريطانيين دفاعاً عن أنفسهم ..

ولم يعجب الإنجليز هذا الصمود من جانب عساكر البوليس المصريين..وكان ذلك فى حد ذاته داعياً لضرورة اتخاذ إجراءات انتقامية .. فاستنجدوا بقوات أكبر .. وحاصروا ثكنة بلوكات النظام وأمطروها بوابل من الرصاص ..

وإمعاناً فى العدوان ، اشتركت بعض الدبابات والمصفحات البريطانية فى « المعركة » .. بينما حلقت الطائرات الحربية البريطانية على ارتفاع منخفض فوق الثكنة .. لتلقى الرعب فى قلوب العساكر ..

وفى ظهر اليوم التالى عاود الإنجليز إطلاق النار على الثكنة مع محاولة إقتحامها .. لكن عساكر بلوكات النظام قاوموا .. فاحتل الإنجليز مبنى الإسعاف المجاور ليسيطروا عليها .. وطردوا رجال الإسعاف .. وحاولوا دون إسعاف جرحى المعركة ..

وقتل فى هذه العملية ثلاثة عشر مصرياً بينهم ثمانية من رجال البوليس .. وجرح ثمانية عشر من رجال البوليس وخمسة عشر من المدنيين ..

بينما قتل من الإنجليز ثمانية منهم خمسة ضباط وجاويش .. وجرح عدد آخر [1]

□ وفى ٣ ديسمبر وقع العدوان الثانى على البوليس المصرى ، فى مدينة السويس كانت إحدى سيارات البوليس تقل قوة من جنود بلوكات النظام تسير قرب مدخل المدينة آتية من الطريق الصحراوى .. فتعطلت ، مما اضطر الجنود للنزول ريثما يتم إصلاحها..وفجأة أخذ الجنود البريطانيون الموجودون فى معسكر قريب يطلقون النار على القوة دون أى إنذار ..

---

(١) عبدالرحمن الرافعى - مقدمات الثورة ص ٥٧

بينما خرجت قافلة من السيارات المسلحة البريطانية مكونة من سبعين سيارة ووجهت نيرانها إلى البوليس والمدنيين فى المدينة كلها ..

واستشهد فى هذه المعركة ٢٨ بينهم ٧ من رجال البوليس .. وجرح ٧٠ بينهم ١٢ من رجال البوليس ؛ .

وقتل ٢٢ من البريطانيين وجرح ٤٠ آخرون(١) .

□ وفى ١٧ ديسمبر هاجمت سيارة مصفحة بريطانية دار محافظة الإسماعيلية .. بدون إنذار .. وبلا أى سبب .. وأطلقت عليها نيران البنادق ومدافع الهاون .. فتهدم جزء من سور المبنى ، وأصيب حائط مكتب مأمور القسم .. وقد رد العساكر المصريون بإطلاق النار ..

وقتل فى هذه العملية جنديان مصريان .. وأربعة بريطانيون(٢) ..

وهكذا لم تفلح الخطة الثانية للإنجليز ..

فالتركيز على قوات البوليس .. بتوجيه الضربات المقصودة .. أو باستغلال أى فرصة لاصطياد رجاله .. أو حتى بأسر أعداد كبيرة منهم كما حدث على أثر احتلال التل الكبير .. عندما أسروا ٣٠٠ جندى وضابط على رأسهم ضابط كبير، هو اللواء محمد عبد الرؤوف كل هذا لم يعد على الإنجليز بالنتيجة التى تصوروها ..

فلم يهرب عساكر البوليس المصريين .. وإنما ازدادوا بسالة وتمسكاً بمواقعهم وواجبهم . حتى أنهم كانوا يرفضون « الغيار » أى ترك القتال

---

(١) المصدر السابق ، ص ٦٠ .
(٢) المصدر السابق ص ، ٦٤ .

كل مدة لتحل محلهم قوات جديدة[1] .. بينما كان ضباط البوليس يتطوعون للخدمة فى منطقة القنال ولايعودون بعد انتهاء المدة التى حددوها لتطوعهم !

وتلاحمت قوات البوليس مع جماهير الشعب .. لأول مرة فى تاريخ مصر كلها .. بعد أن أصبح الجميع يواجهون عدوهم المشترك .. ويقاتلونه معاً .. ويستشهدون برصاصة معا ..

وأصبح الشباب الفدائى .. ورجال البوليس .. وضباط الجيش الأحرار .. شيئا واحداً ..

ورغم أى ملاحظات أو انتقادات أصبح لحكومة الوفد الفضل فى ذلك كله .

واكتسبت – الحكومة – واكتسب وزير داخليتها قوة أعصاب فى مواجهة المخطط البريطانى لضرب الحكومة فى بوليسها .. وأصبح الصمود .. والمواجهة .. والقتال حتى آخر طلقة شعاراً مطبقا كل يوم .. يقرره مجلس الوزراء .. ويأمر به وزير الداخلية .. ويستجيب له الرجال ببطولة نادرة !

وكان لابد لإنجلترا العريقة فى الاستعمار .. ولجهاز مخابراتها العتيد فى التآمر .. أن يبحث عن حل آخر .. عن مخرج سريع ، ينقذ ماء

---

(١) ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام أن وزارة الداخليه كانت تواجه مشكلة مع عساكر بلوكات النظام الذين يذهبون إلى منطقة القنال ، لأنهم كانوا يرفضون العودة وترك المعركة . . بينما زملاؤهم الآخرون يريدون الذهاب إلى هناك . وأكد نفس الشىء اللواء شريف العبد فى شهادتيهما لى .

وجه الإمبراطورية العجوز الذى بدأ أنه أخذ يراق تحت أحذية عساكر البوليس المصريين الثقيلة !

وكانت موقعة الإسماعيلية فى ٢٥ يناير ١٩٥٢ ...

□ □ □

ماذا حدث فى الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير ؟

يقول البكباشى (اللواء فيما بعد) شريف العبد ضابط الاتصال المصرى مع القوات البريطانية :

« طلبنى الجنرال أكسهام الساعة الرابعة صباح يوم الجمعة ٢٥ يناير .. فتوجهت لمقابلته فى مبنى تابع لشركة القناة .. وكان بملابس الميدان وحوله ضباط أركان حربه .. وأخرج من جيب سترته خطابا تلاه على .. وكان نصه :

(مقر القيادة البريطانية)

(الآلاى الثالث مشاة)

قوات الشرق الأوسط البرية !

عهد إلى أن أبلغكم مايلى :

أن البوليس الاحتياطى المصرى (بلوكات النظام) فى الإسماعيلية أو أى أشخاص خارجين على القانون يهاجمون القوات البريطانية ، وهذا الموقف يشكل تهديداً . ومن هنا فقد أمرت بأبعاد كل البوليس الاحتياطى عن المنطقة . والتأكد من تنفيذ هذا الأمر

فوراً يجرى الآن حصار ثكنات البوليس الرئيسية .
وإنى أطلب إلى كل قوات البوليس النظامية
والاحتياطية أن تتجمع فوراً بدون أسلحتها أمام
ثكناتها على أن يتقدم أكبر الضباط رتبة فى كل
ثكنة إلى المدخل لتلقى التعليمات فى الساعة ٦,٢٥ صباحاً
وإذا لم يتم ذلك أو فى حالة إطلاق النار على قواتى
فإنى سأستخدم القوة المتاحة لى لتنفيذ أوامرى .
وعليكم إبلاغ هذا الأمر فوراً إلى كبار ضباط
البوليس وكل القوة الموجودة ....

واستمر « البكباشى » شريف العبد يروى ماحدث :

« قلت للجنرال أكسهام أن هذا الأمر لا يمكن تنفيذه ، أولا لأننى لست قائدا لهذه القوات ، وثانيا لأننى لو كنت قائدا لها وأصدرت مثل هذا الأمر إليها . فانها لا يمكن أن تستجيب .. علاوة على أننى لا يمكن أن أصدر مثل هذا الأمر أيضاً حتى لو كنت قائدا لها ..

عندئذ أعطانى الجنرال أكسهام الإنذار .. وحملنى مسئولية ونتائج رفض الإنذار[١] ..

ثم يصف تطور الأحداث بعد ذلك :

« كان مبنى المحافظة قديما ، وكنت أسخر كلما أدخله من أنه كلما أدى لى جندى التحية العسكرية بقوة فان جزءا من بياض الحائط يسقط .. وكان

---

(١) راجع شهادة اللواء شريف العبد . الملاحق .

المبنى يقع على شارع محمد على وهو الشارع الرئيسى فى الإسماعيلية . وأمامه حديقة .. وفى الحديقة التى لم تكن تبعد عن المبنى أكثر من ٣٠ أو ٤٠ مترا كان هناك أكثر من ٢٠ دبابة بريطانية متراصة بجوار بعضها البعض مستعدة للضرب بمدافعها .. بينما احتلت خمس دبابات أخرى الشارع الموجود على يمين المحافظة وصوبت مدافعها إلى المبنى وفى الشارع الأيسر كانت تقف خمس دبابات أخرى تصوب مدافعها إلى مبنى المحافظة فى الجانب الآخر .. وعلى الطريق الخلفى تكرر نفس الموقف .. وحول مبنى ثكنات بلوك النظام كان الحصار بنفس الطريقة وبنفس النوع من الدبابات .. ووجدت أن الدبابات قد حطمت جميع أعمدة النور والتليفونات التى كانت مصنوعة من الخشب ..

ولم يكن أحد من كبار المسئولين بالمحافظة فى مبناها .. ولم يكن هناك غير عساكر البوليس وعدد من صغار الضباط .. بل أن بعض ضباط بلوكات النظام كانوا ينامون فى اللوكاندات لضيق الثكنات وعدم وجود مكان مناسب بها . وتوجهت إلى منزل وكيل المحافظة وأطلعته على الانذار البريطانى فعلمت منه أن عساكر البوليس فى المحافظة وبلوك النظام قد أخذوا سلاحهم وذخيرتهم المحدودة .. وأنهم يحتمون وراء شبابيك المبنى المتهالك .. وأنهم مصممون على القتال » .

« وكانت الساعة قد وصلت ٦ر٣٠ صباحا .. وأستطعنا عن طريق القيادة البريطانية تدبير اتصال تليفونى بين منزل وكيل المحافظة ومدير الأمن العام بالقاهرة ، وأستطعنا أن نوقظه من النوم وأبلغناه بالانذار البريطانى وانتظرنا الرد .. لكن أحدا لم يرد علينا .

« وفى الساعة السابعة صباحا بدأت المذبحة الأولى .. وسمعنا صوت أول طلقة مدفع أطلقتها الدبابات البريطانية .. ورد عليها رجال البوليس

المصرى بوابل من الرصاص .. وانطلقت المدافع البريطانية بعد ذلك تدك مبنى المحافظة القديم .. كان دوى المدافع لا ينقطع بينما رجال البوليس المصرى الابطال يقاومون ببنادقهم هذه القوات الضخمة .. واستمر الضرب .. هنا جحيم وفى القاهرة لا أحد من المسئولين يحس ولا يرد ولا حتى كلف أحد خاطره أن يستيقظ من النوم مبكرا بينما الدماء الطاهرة تسيل على جدران مبنى المحافظة . . دماء ضباط وعساكر البوليس المصرى[1] ...

« واستمر الضرب مدة ١٠ دقائق ثم عادت القوات البريطانية تطلب من قوة البوليس المصرى التسليم .. وأعطتهم مهلة ١٥ دقيقة للخروج إلى حديقة المحافظة رافعين الأيدى وبدون أسلحتهم ..

« وكانت المعركة غير متكافئة ونتيجتها معروفة مقدما .. فلم يكن من الممكن أن تهزم قوات البوليس المصرى المسلحة بالبنادق فقط الجيش البريطانى بدباباته ومدافعه . ولكن الروح القوية .. روح الوطنية والفداء جعلت الحياة رخيصة ، وجعلت التضحية هى الواجب المقدس وجعلت قوات البوليس المصرى ترفض أن يتسلمهم الانجليز الا جثثا هامدة[2] ...

---

(١) روى لى فؤاد سراج الدين أنه عندما أمكنه الاتصال بالاسماعيلية كان على الطرف الآخر من الخط اليوزباشى مصطفى رفعت . وقد سأل وزير الداخلية الضابط عن الموقف فقال بحماس : حديد .. فعاد الوزير يسأل : وهل إذا قلت لكم قاوموا .. تستطيعون ؟ .. فأجاب الضابط : أؤمر يا أفندم . فقال الوزير : ربنا معاكم .. شدوا حيلكم .. وأضاف فؤاد سراج الدين : ووضعت سماعة التليفون .. وبكيت .. لأول مرة فى حياتى !

(٢) صور اللواء مصطفى رفعت ، بطل معركة الاسماعيلية ، المعركة من الداخل . . راجع شهادته .. الملاحق .

« ومرت المهلة المحددة ، ورفض رجال البوليس التسليم .. وعادت مدافع الدبابات البريطانية تدك مبنى المحافظة هذه المرة بقوة .. بينما قوات البوليس تطلق النار من بنادقها وتصيد كل جندى بريطانى يقف على مرمى نيرانها » ..

« ولكن الذخيرة مع قوات البوليس المصرى كانت محدودة ونفذت بعد حوالى ساعة من بدء المعركة ..

« واتصل الضابط المسئول بالمحافظة بوكيل المحافظة بمنزله باللاسلكى وأخبره أن ذخيرة القوات قد نفذت ، وأن عددا كبيرا من رجال البوليس قد قتل وجرح خلال المعركة غير المتكافئة ..

« وطلب منى وكيل المحافظة أن اتصل بالقيادة البريطانية لوقف اطلاق النار حيث أن ذخيرة القوة المحدودة بالمحافظه قد نفذت .. ورفعت سماعة التليفون لاتصل بالقياده وكان هذا هو التليفون الوحيد الذى يعمل فى الاسماعيلية فى ذلك الوقت . .

ووجدت معى على الخط اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام وعرفنا منه أن المعركة مع بلوك النظام لم تبدأ .. وأن القيادة البريطانية قررت أن تركز هجومها أولا على المحافظة لأن مبناها قديم والقوات الموجودة فيها قليله . . . عسى أن يؤدى هدم مبنى المحافظة وأسر قواتها إلى اضعاف روح قوات بلوك النظام بحيث تستسلم للقوات البريطانية أو على الأقل تقاتل بروح معنوية ضعيفة ..

« وتحدثنا مع اللواء رائف الذى اقترح الاتصال بوزير الداخلية لا بلاغة بما حدث وابلاغنا رأى الوزارة فيه .. ولكن فشلت جميع الجهود للاتصال بوزير الداخلية .

« وبدأت المعركة مرة أخرى مع قوات بلوك النظام التى كان قد استطاع بعض أفرادها الدخول من مبنى الثكنات إلى مبنى المحافظة . . بينما أخذت الدبابات تطلق نيران مدافعها على ثكنات قوات بلوك النظام التى قاومت بشدة وقوة واستماتة أدهشت القيادة البريطانية . . وقد استطاعت قوات بلوك النظام أن تقتل حوالى ١٢ جندياً بريطانياً وهم يحاولون اقتحام الثكنات مستغلين الفجوات التى أحدثتها مدافع الدبابات فى حوائط الثكنات وأسوارها . . وقد آثار ذلك القيادة البريطانية التى — رغم الاحتياطيات الشديدة — لم تكن تتوقع من عدد من رجال البوليس المصرى المسلحين بالبنادق فقط أن يقاوموا قوات الامبراطورية البريطانية بمثل هذا العناد والاصرار والفداء . .

« وكانت الساعة قد بلغت حوالى التاسعة والنصف صباحاً .. وعاودنا محاولة الاتصال بوزير الداخلية .. واستطعنا أن نتصل به ، وكان معنا فى الاتصال اللواء أحمد رائف قائد قوات بلوك النظام الذى دخل فى الخط وأخبر وزير الداخلية أن القوات الموجودة رغم الجرحى والقتلى والخسائر .. ورغم رفض القوات البريطانية السماح للاسعاف بالخروج من مبنى المحافظة وثكنات البوليس لنقل الجرحى للمستشفيات فهى مصممة على القتال ..

« وفى مبنى المحافظة المتهدم وفى فنائه كان مصطفى رفعت يقف ويصيح : لن تتسلمونا إلا جثثا هامدة .. لن تتسلمونا إلا جثثا هامدة .. وانطلقت المدافع ودوى الرصاص مرة أخرى . .

« قاتل جنود البوليس إلى آخر طلقة معهم . . حتى أن قواد العدو اعترفو بأنهم لم يتوقعوا هذه المقاومة العنيدة .

« واقتحمت الدبابات الأماكن المحاصرة .. واستسلم الأحياء من جنودنا بعد أن فقدوا خمسين شهيداً .. وأصيب منهم ثمانون .. وكان عددهم ٧٠٠ جندى مع ضباطهم برئاسة اللواء أحمد رائف .. واعترف الانجليز بأنهم خسروا ١٣ قتيلا و١٢ جريحاً .. وأن كان يظن أن خسائرهم أكثر من هذا العدد[١] .

هذا تصوير لما حدث يوم ٢٥ يناير بالاسماعيلية .. وهو ما أصطلح على وصفة بمذبحة الاسماعيلية .. والتى تشير كل الظروف التى احاطت بها إلى أنها كانت عمليه ذات طبيعة خاصة .. أريد بها تحقيق أهداف محددة تخدم بدورها مخططا محددا لضرب الحركة الوطنية المصرية .. وتثبيت دعائم الاستعمار البريطانى فى مصر ..

□ فهذه العملية هى العملية العسكرية الوحيدة من بين جميع العمليات التى نفذتها القوات البريطانية .. التى قرر مجلس الوزراء البريطانى الموافقة عليها والإعلان عن هذه الموافقة .. كما أعلن فى جميع الصحف بعد ٢٥ يناير[٢] .. مما يؤكد الطابع السياسى للعملية .. وأنها لم تكن مجرد عملية تقتضيها الضرورة العسكرية ..

ولم يكن القرار السياسى بالتصديق على هذه العملية لأنها عملية كبيرة ..

---

(١) مذكرات اللواء شريف العبد . . إعداد أحمد زين . . « الأخبار » ، يناير ١٩٦٧ ..

(٢) نشرت موافقة مجلس الوزراء البريطانى على مذبحة الاسماعيلية جميع الصحف المصرية يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ نقلا عن الصحف البريطانية .

فمن قبل قامت القوات البريطانية بعملية كبيرة .. بل أكبر من هذه العملية بكل المقاييس .. هى عملية كفر عبده فى ٨ ديسمبر ١٩٥١ .. ففى تلك العملية كان على هذه القوات أن تزيل من الوجود نهائيا حياً سكنيا بأكمله .. به ١٥٦ منزلا ونحو ألفى نسمة .. ومع ذلك ، فلم يجتمع مجلس الوزراء البريطانى للموافقة على ازاله كفر عبدة .. وحتى عندما أستشعر السفير البريطانى فى القاهرة بشاعة ماستقدم عليه القيادة البريطانية ، وتدخل يطلب من الجنرال أرسكين ارجاء تنفيذ انذاره الخاص بتجديد ساعة الصفر لتنفيذ الازالة .. حتى يمكن الوصول إلى حل أقل خطورة مما طلبه .. أمر أرسكين على انذاره .. ورد على السفير البريطانى بأن ذلك تقتضيه الضرورة العسكرية البحتة[1] ..

ولم يكن القرار السياسى من مجلس الوزراء البريطانى بمذبحة الاسماعيلية كذلك بسبب ضخامة القوات التى تقوم بتنفيذها .. ففى « معركة » كفر عبده اشتركت قوات بريطانية تكاد تقترب فى الحجم من القوات التى كانت تواجه روميل فى الصحراء الغربية ، فقد حشد لها — لكفر عبده ! — أرسكين : سته آلاف جندى و٢٥٠ دبابة و ٥٠٠ مصفحة و ٥٠ سيارة اشارة .. وعدد من الطائرات أيضاً ! .. بينما وقفت البوارج البريطانية تصوب مدافعها نحـو السويس مستعدة للضرب .

□ كانت موافقة مجلس وزراء الامبراطورية — التى لم تعرف الا بعد المذبحة — تشير أذن إلى أن هذه العملية بالذات لها طابع خاص ..

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، مقدمات الثورة ، ص ٦٧ .

ويؤكد ذلك أيضاً التمهيد الذى قامت به بريطانيا كلها — جيشا ، ورئيس وزراء ، وصحافة .. ومخابرات — لاتمام العملية ..

ولنقرأ ماكتبته أخبار اليوم حول التمهيد البريطانى للمذبحة :

« علامات هامة »

« توقع المطلعون هدوء نسبيا فى الموقف السياسى فى انتظار نتيجة مسعى الملك سعود وجاءت أنباء من أمريكا تبشر بقيام خلاف بين ترومان وتشرشل ، وتؤكد أن الولايات المتحدة لاتريد أن تتحمل حماقات الانجليز فى القنال .. وفجأة قتلت الراهبة انطونى . وقام الانجليز بحملة دعاية واسعة مدعين أن المصريين هم الذين قتلوها . واستطاعوا أن يثيروا الرأى العام الأمريكى ضد مصر . وقيل أنهم بهذا قصدوا أن يؤثروا فى ترومان .. فانه سيتقدم للانتخابات فى نوفمبر المقبل .. وولاية نيويورك هى المرجحة فى الانتخابات ، وأقوى العناصر فيها هم اليهود والكاثوليك .. فأراد تشرشل أن يكسب اليهود بتصريحة لمصلحة اسرائيل وأرادت الدعاية البريطانية أن تستغل الكاثوليك باثارة مقتل الراهبة أنطونى وإذاعة الأكاذيب عن جريمة قتلها [1] وشعر المطلعون بأن هذا الضغط على ترومان

(١) الراهبة انطونى أمريكية كانت موجودة بدير سان فانسان دى بول فى الاسماعيلية وقد قتلها الانجليز يوم ١٩ يناير ١٩٥٢ ، واتهموا المصريين بقتلها . . وثارت الصحف الأمريكية بسبب قتلها .. لكن التحقيق أثبت أنها قتلت بأيدى الانجليز ورصاصهم ..

مقصود به التمهيد لحركة عسكرية إنجليزية فى القنال وفعلا تطورت الأحداث فى القنال بعد قتل الراهبة أنطونى ، وأريد استغلال قتلها كقميص عثمان للتمهيد لارتكاب جرائم ضد المصريين فى القنال وفى الوقت نفسه ضربت فرنسا بشدة فى تونس ودقت نيويورك تايمز أجراس الخطر فى مقال افتتاحى وتحدثت عن الخطورة الحالية فى مصر .. وعن كارثة توشك أن تقطع . وتحدثت عن سياسة « المزيد من القوة » وأحس السياسيون أن شيئاً مايطبخ ، وأنه يراد اتخاذ وسائل عنيفة ضد مصر وأن تشرشل مصمم على أن ترتدى ملابس الاستعمارى رقم واحد من جديد ..

« مجزرة مدبرة »

« ولم تمض ساعات على كل هذا حتى وقعت جريمة الإسماعيلية أمس ...[1] »

«وماذا قالت القيادة البريطانية فى تبريرها للمذبحة ؟

قالوا أن ثكنات بلوك النظام ومبنى المحافظة على طريق تمر به القوات البريطانية[2] .. وأنهم يريدون أخلائهما ، أو هدمها ، لتأمين طريق قواتهم .. !

هذا .. وكأنهم اكتشفوا فجأة فجر ٢٥ يناير وجود هذه المبانى على الطريق .. أو كأن هذه المبانى ظهرت بصورة شيطانية فى طريقهم .. !

---

(١) أخبار اليوم .. أنوار كشافة ، ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

(٢) حسن دوح .. « كفاح الشباب الجامعى على القناة » .. ، ص ١١١ .

أما فى الإنذار الرسمى فقالوا « أن البوليس الاحتياطى المصرى أوى أشخاصاً خارجين على القانون » أى فدائيين ..

وكان هذا زعماً سخيفاً لأن القيادة البريطانية كانت فى كل معركة مع المصريين .. تجد هذا البوليس الاحتياطى المصرى .. فقد كان رجال البوليس المصريين يقومون بواجبهم فى حماية مواطنيهم .. ومن بينهم — بل وفى مقدمتهم — أولئك الذين تطوعوا للموت دفاعا عن الوطن نفسه ..

وهى بديهيات لاتغيب على الإنجليز الذى كانوا خارجين منذ سنوات قليلة من حرب عالمية ثانية .. لاتزال قصص مقاومة الشعوب أثناءها للاحتلال الفاشى والنازى تملأ صفحات الصحف والكتب .. ويحتل فيها تضامن البوليس الوطنى مع الشعب مكانا بارزا .. دائما ..

لكنها كانت قصة الذئب والحمل .. تعود من جديد .. على ضفاف قنال السويس !

□ وكان ماطلبه الإنجليز مما يستحيل قبوله ..بل ومما لايتصور أى إنسان عاقل أن أحدا يمكن أن يقبله ..

فى عملية كفر عبده قالوا أنهم يريدون شق طريق مباشر بين معسكرهم شمالى مدينة السويس وبين وابور تكرير المياه .. وأنهم يطلبون إخلاء كفر عبده .. لإزالته .. لأنه يقع بين المعسكر ووابور تكرير المياه .

مطلب وحشى .. لكنه مفهوم .. وجائز !

إما أن يطلب الإنجليز من بوليس البلد أن يذهب .. ويكف عن آداء واجبه ..

كيف ؟

يلقى سلاحه .. ويرفع أيديه ، يعقدها فوق الرؤوس المنحنية .. ويخرج ليسير منكسراً بين صفين من الدبابات البريطانية .. ويعود إلى وزير داخليته في القاهرة ..

وأن يشير الجنرال أكسهام بأصبعه موجها الحديث إلى أحد ضباط البوليس المصريين ويقول له بصلف .. ولشمئزاز : انزع ذلك الشيء الرث .. من هذا المكان .. مشيراً إلى علم مصر المرفوع على مبنى المحافظة[1] .

فهي مطالب معدة بعناية .. لكي ترفض .. ومهما كان ثمن الرفض !

□ ولم تكن القوات التي أعدها الإنجليز لعملية محافظة الاسماعيلية بالشيء الطبيعي ..

عشرات الدبابات .. والمصفحات .. ومدافع الميدان الثقيلة .. وثمان فرق كاملة (كما أعلنت القيادة البريطانية في اليوم التالي) .. لماذا كل هذا ؟

ومرة أخرى نقول أن القوات أو المعدات التي اشتركت في « معركة » كفر عبده كانت كبيرة جداً .. لكن المبرر كان موجوداً .. فقد كانت المهمة الأساسية القوات هي تهديم حي بأكمله .. وتسويته بالأرض . .

أما مبنى المحافظة المتهالك .. وثكنة بلوكات النظام الأكثر قدماً . . فكانت تكفيها دبابة واحدة ..

---

(١) راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت .. الملاحق .

وعساكر البوليس الذين لم يكن عددهم يزيد عن ٧٠٠ أو ٨٠٠ .. المسلح نصفهم ببنادق « لى أنفليد » العتيقة .. والنصف الآخر بالعصى [١] .. فما كانوا بحاجة إلى ٨ فرق بريطانية مدججة بكل أنواع الأسلحة .. !

ومن الواضح أن هذا لم يكن من قبيل « مظاهرات القوة » .. وإلا لاتخذت الأمور مساراً غير الذى سارت فيه .. وإنما كان المقصود — وهو ما حدث فعلا — القيام بمذبحة قاسية .. يفوق عدد الضحايا فيها أى عدد سابق .. فتكون الإثارة أعنف ما تكون .. ومختلفة عن أى رد فعل حدث قبل ذلك .

□ روى لى اللواء مصطفى رفعت أنه أوقظ هو وزملاؤه فى الصباح المبكر ليسمع أن الحصار مضروب على المحافظة فعلا .

وقال له من أوقظه أنه هو الآخر فوجىء بالدبابات البريطانية تحيط بالمحافظة والثكنة ..

وتصورت أن مصطفى رفعت .. ومن أبلغه .. معذوران . لأنهما كانا نائمين فى أماكن لا تسمح لهما بالمعرفة المسبقة ..

لكن ماذا بالنسبة للبكباشى شريف العبد .. ضابط الاتصال المصرى .. الذى كان مقر إقامته داخل المعسكرات البريطانية ؟

سألته : متى عرفت بالحصار ؟

أجاب : بعد أن أحاط بالمدينة والمحافظة والثكنات !

وعدت أسألة : كيف وأنت قريب جداً منهم ؟

---

(١) راجع شهادة اللواء مصطفى رفعت .. الملاحق .

قال : لقد تكتموا بشكل كامل .. ولم يبد عليهم أنهم يعدون لأى شيء وعرفت فيما بعد أن الدبابات والمصفحات قد حركت تحت جنح الظلام ·· وتخفت فى الأشجار ·· حتى تكون المفاجأة تامة بالنسبة لنا ··

مرة أخرى : لماذا كل هذا ؟

هل كان الإنجليز يتصورون ، مثلا أن عساكر بلوكات النظام إذا علموا بالهجوم قبل وصوله بساعة . . كانوا سيستعدون بأكثر مما هم مستعدين به ؟

أم كانوا يتوقعون أن يتحرك الجيش المصرى لقتالهم دفاعاً عن إخوانه عساكر البوليس ؟

لا هذا ولا ذاك طبعاً خطر ببال القيادة البريطانية ··

شيء واحد كانت تريد تحقيقه : أن تصيب المصريين بشلل فى المخ : حتى ترتبك صفوفهم .. فيكون موقفهم أكثر حرجاً ·· ولايكون أمامهم أى مجال للتفكير فى كيفية مواجهة الموقف ·· !

□ وأخيراً يأتى دور التوقيت فى خطة المذبحة — المؤامرة ··

لقد اختار الإنجليز لعمليتهم صباح يوم الجمعة · وهم يعرفون أنه يوم أجازة رسمية فى مصر · إذن فهناك احتمال عدم وجود ضباط مع العساكر وبالفعل لم يكن بالثكنات وقت إلتفاف الدبابات البريطانية حول المبنيين أى ضابط وأن الضباط قد التحموا بجهودهم فور علمهم بالموقف بدافع من حماسهم الوطنى وتقديرهم للمسئولية ··

وهناك احتمال آخر .. أن لا يتمكن الجنود من الحصول على مسئول كبير يرجعون إليه .. وبالفعل تصور مذكرات شريف العبد كيف أنهم وجدوا صعوبات جمة فى الاتصال بوزير الداخلية — خاصة بعد قطع الأسلاك وتحطيم أعمدة التليفونات — وكان الاتصال بعد أن احتدمت المعركة .. ولم يعد ثمة فائدة منه .. فيما يتعلق بهل تواجه قوات البوليس فى الاسماعيلية الجيش البريطانى أم لا .. لأن المواجهة كانت قد حدثت ..

وعدا اختيار يوم الجمعه ..

يلاحظ المواعيد المبكرة جداً .. وهى المواعيد التى يعرف الإنجليز أن المصريين يصعب عليهم إيقاظ مسئول كبير فيها .. وأن أقدموا فان ذلك عادة يحتاج لوقت غير قليل ..

ثم يلاحظ المهلة الصغيرة جداً بين تسليم الإنذار .. وبدء تنفيذه (الرابعة والسادسة والربع !) ..

فى عملية كفر عبده وجه أرسكين إنذاره للمحافظ يوم ٥ ديسمبر .. وقال أنه سينفذ يوم ٧ ديسمبر .. أى بعد ٤٨ ساعة .. لكنه عملياً لم يهدم الحى إلا يوم ٨ ديسمبر ..

لكن الإنجليز هذه المرة لم يكونوا يريدون منح المصريين أى وقت ففى عملية كفر عبده أتاح الوقت للمصريين فرصة لعقد مجلس الوزراء .. واتصالات متبادلة عديدة بين وزير الداخلية ومحافظ السويس .. واجتماعات لأعيان السويس ونوابها .. وانتهى الأمر بإخلاء الحى بقرار من السلطات المحلية .. وتراجع قوات بلوكات النظام عن المواجهة .. رغم قرار وزير الداخلية بعكس ذلك ..

أما اليوم ٠٠ يوم ٢٥ يناير فقد كان المطلوب هو توجيه الضربة ٠٠ بسرعة ٠٠ ودون إعطاء أى احتمال بالتراجع فرصة مهما كانت ضئيلة ٠٠ ٠٠ ولذلك كان الإنذار ٠٠ والمهلة فيه ٠٠ ليس أكثر من « برافان » لإخفاء النية المبيتة ٠٠ لتنفيذ المذبحة — المؤامرة ٠٠

فقد كان اليوم التالى هو ٢٦ يناير ٠٠

وكان كل شىء يجب أن يمضى بالكيفية التى رسم بها.. ويتم بالدقة.. يوم ٢٥ ..

حتى يتهيأ المسرح تماما .. للفصل الثانى ..

□ وتبقى ملاحظة ختامية تتعلق بسلوك الإنجليز يوم ٢٥ يناير .. يوم المذبحة ، ويوم ٢٦ يناير ٠٠ يوم حريق القاهرة .

قال لى اللواء شريف العبد أن الجنرال أكسهام قال له مساء ٢٥ يناير بعد إتمام المذبحة : أن هذه القوات — قوات البوليس المصرى — قاتلت ببسالة رغم ضعف تسليحها ٠٠ ولذلك فلها مناكل الاحترام ٠٠ وسوف نعاملها أفضل معاملة . ثم أضاف أكسهام — أن هذه العملية سوف تغضب الرأى العام الإنجليزى والرأى العام العالمى ٠٠ لأن الإعتداء على رجل البوليس ليس بالأمر الهين ٠٠

ويلاحظ شريف العبد ملاحظة هامة ٠٠ هى :

« أن يوم ٢٥ يناير بدأ بتوتر شديد ٠٠ وانتهى بشعور واضح على الإنجليز بالخزى والعار ٠٠ أما يوم ٢٦ ظهراً فقد اختلف الحال ٠٠ بدأ

الإنجليز يشعرون بالأمان وأخذوا يجمعون عملاءهم ·· والرعاع ·· ويمرون فى مظاهرات صاخبة ·· بين تصفيق العملاء ·· »

ما الذى بدل حال الإنجليز فى القنال بين عشية وضحاها ؟

بديهى أنهم لم يكونوا بحال من الأحوال يتوهمون أنهم انتصروا فى معركة ٢٥ يناير · فعلى المستوى العسكرى كانت المعركة هزيمة بالنسبة لهم ، لأن فقدهم ١٣ قتيلا ومثلهم جرحى ليس بالخسارة البسيطة نظراً لتسليحهم الثقيل ·· ولتفوقهم العددى الكبير ·· كما أن إصرار رجال البوليس على المقاومة حتى آخر طلقة كان صدمة عنيفة لهم ·· بينما صار موضع تقدير وإعجاب الجميع فى مصر والعالم ··

كما كانت الجريمة الإنجليزية بالفعل موضع استنكار الرأى العام العالمى والإنجليزى نفسه ·· وظهر ذلك فى كثير من تعليقات الصحف صباح اليوم التالى ··

إذن ·· ما الذى غير مشاعر الإنجليز ظهر يوم ٢٦ يناير ؟

قبل الاجابة ·· لنستمع إلى ملاحظة أخرى سجلها اللواء مصطفى رفعت ··

قال :

« مساء يوم ٢٥ يناير ·· وصباح يوم ٢٥ يناير عاملنا الإنجليز أحسن معاملة ·· أكل ممتاز ·· كل وسائل الراحة ·· تكييف ·· لكن ظهر يوم ٢٦ يناير حدث شيء عجيب : نقلونا إلى معسكر صحراوى

الحراسة مشددة .. الأكل ردىء .. باختصار كل شيء
انقلب إلى عكسه .. »

واضح أنهم فى اليوم الأول كانوا يعاملون أسراهم من رجال البوليس كأبطال .. فهل كف هؤلاء .. بعد ساعات فقط .. عن أن يستمروا أبطالا فى نظر الانجليز ..

أم أن شيئا ما كان قد تغير فتغيرت معه نظرتهم للمسألة كلها ! ؟

وطبعاً حتى ظهر ٢٦ يناير لم تكن حكومة الوفد قد استقالت أو أقيلت .. ولم يكن الجيش البريطانى احتل القاهرة .. ولم يكن تم القبض على الفدائيين .. وأعلن استنكار عمليات الفدائيين ومقاومة رجال البوليس للانجليز فى القناة ..

كذلك المظاهرات التى كانت فى القاهرة لم تكن تندد بالحكومة المصرية .. أو تحمل وزير داخلية مسئولية قتل عساكر البوليس فى الاسماعيلية .. وإنما كانت مظاهرات معادية لبريطانيا .. وتطلب السلاح لتوسيع نطاق القتال ضد قواتها فى القنال ..

هل كان فى ذلك شيء يبهج الإنجليز فى القنال .. ويدعوهم لتغيير معاملتهم لأسراهم ؟

لا نظن ..

إذن لابد أنه كان يتم شيء يعرفون أنه لصالحهم .. بل ويعرفون — منذ وقت مبكر — نتائجه.. ولدى القيادة البريطانية فى منطقة القنال صورة محددة عنه ..

ولم يكن يحدث فى مصر فى ذلك الوقت من ظهر يوم ٢٦ يناير إلا شىء واحد . . سينتهى . . وقد انتهى بالفعل .. لصالح الإنجليز ..

كان الشىء .. هو حريق القاهرة ..

المؤامرة التى نفذت المرحلة الأولى منها القوات البريطانية فى القنال .. وأوكل تنفيذ المرحلة الثانية منها لجهات أخرى ..

ووشت تصرفات الانجليز فى القنال — مبكراً — عن تواطئهم فيها !!

الوقود .. والكلاب !

مما تقدم وضح أن الإنجليز كانوا أكثر القوى تضرراً من التطورات السياسية التى تحدث فى مصر .. خاصة منذ إلغاء معاهدة ١٩٣٦ ..

وبالتالى ، كان الإنجليز هم أصحاب المصلحة الأولى فى قلب الأوضاع التى كانت قائمة .. وإيجاد ظروف سياسية أفضل .. بالنسبة لهم ..

وتوالى الحوادث .. وسلوك الإنجليز طيلة الفترة من ١٦ أكتوبر إلى ٢٤ يناير ، يبين بجلاء أنهم كانوا يدفعون الأمور بكل قوة فى اتجاه التغيير .. لصالحهم ..

كما يظهر بدون أدنى ريب أن عملية ٢٥ يناير .. أو مذبحة الإسماعيلية .. كانت عملية خاصة جداً .. مرسومة بحيث تترتب عليها نتائج معينة فى اليوم التالى .. تكون — بالتحديد — هى « الجو » الذى تتم فيه العملية الكبرى .. المؤامرة .. الحريق .. بأنسب وأبسط الطرق .. وبأحكم صور التدبير وأنجح فرص التخفى .. بل والحصول على كباش فداء جاهزة ..

واحتمالات هائلة لالصاق الجريمة بالجماهير المصرية٠٠ وبالأحزاب والهيئات الوطنية ٠٠ وبالحكومة الوفدية « اللعينة » نفسها !

□□□

لكن ٠٠ كيف ؟

كيف ينفذ الإنجليز عمليات حرق فى القاهرة٠٠ ؟

من أين لهم الذين يتولون التنفيذ ٠٠ ؟

هل سينزل الجنود والضباط الإنجليز ٠٠ليحرقوا القاهرة ؟ لا٠٠لا٠٠

هذا غير معقول !

هكذا يقول البعض ٠٠ مستنكرين أن تكون بريطانيا هى التى دبرت ونفذت حريق القاهرة ٠٠ لأنها لا تملك أجهزة تنفذ بها مثل هذه العملية ٠٠

بينما الحقيقة غير ذلك٠٠

□ فقد كان للانجليز فى مصر منظمة خطيرة إسمها «جماعة إخوان الحرية »

ويقال أن هذه الجمعية أنشأتها آنسة إنجليزية إسمها مس « فريا ستارك» سنة ١٩٣٢ ٠٠ وكانت هذه الإنجليزية من المهتمات بشئون الشرق الأوسط. وأن الأهداف التى أنشئت لها هى « نشر تفسيرات واضحة للديمقراطية ٠٠ وتشرح للناس أخطار الديكتاتورية وخاصة أخطار الشيوعيين» وكانت الجمعية سنة ١٩٥٢ تحت رئاسة ، ونالد فاى « تضم أكثر من ستة آلاف عضو فى مصر »[١] ٠٠

---

(١) من رسالة المذيع البريطانى باتريك سميث ، « حريق القاهرة » – الدكتور محمد أنيس ، ص ٨٨ .

وتشير المعلومات التى تجمعت لدى أجهزة أمن الثورة بعد يوليو ١٩٥٢ أن هذه الجمعية تمركزت فى فترة ماقبل وأثناء الحرب العالمية الثانية فى كلية آداب جامعة القاهرة .. فى هذه الكلية كان يرأس قسم الآداب الإنجليزى مستشرق بريطانى إسمه البروفيسور «سكيف» . وكان ذكياً ولماحاً .. وواسع الصلات والصداقات . هذا الأستاذ استطاع أن يجند عدداً كبيراً جدا من طلاب قسمة لجمعية إخوان الحرية . ثم دفع الإنجليز بهم بعد تخرجهم إلى كل المراكز التى استطاعوا دفعهم إليها .. وخاصة فى الشركات البريطانية أو الخاضعة للنفوذ البريطانى .. ومنحوهم امتيازات مادية وأدبية كثيرة .. تكفلت بضمان ولائهم للانجليز لفترة طويلة بعد ذلك ..

وأصبح من أعضاء الجمعية — مع الزمن — الكثيرون من أصحاب المراكز الوسطى فى العديد من الشركات والهيئات الكبرى .. عندما كان الإنجليز أنفسهم لايزالون يحتفظون بمناصب الإدارة العليا .. ثم عندما قل ثم انتهى تواجد الإنجليز .. أصبح أعضاء الجمعية هم المتربعين على مقاعد الإدارة العليا ..

ومن بين الشركات التى كانت تعتبر مراكز هامة وأساسية لجمعية إخوان الحرية ، شركة شل للبترول[1] .. والمكتب الدولى لتوزيع الشاى وهى الشركات التى لها فروع ووكلاء فى مدن وقرى القطر المترامية .. والتى تستلزم طبيعة عملها وجود شبكات توزيع .. تنتشر فى كل مكان ..

وفى مراكز هذه الشركات كانت تدبر الخطط .. ويجد عملاء المخابرات البريطانية الغطاء دائماً لكل تحركاتهم واتصالاتهم .. ونشاطاتهم فى جميع

(١) راجع شهادة توفيق عبده اسماعيل - الملاحق .

المعلومات .. وتجنيد الأنصار .. وبث عناصر الفتنة والتخريب عندما يقتضى الأمر ..

كما كانت هذه الجمعية تعمل على استمالة الكتاب ، وتصطنع لهم المشروعات ذات الطابع الثقافى .. وتقدم لهم التسهيلات فى الطباعة والنشر .. لأنها كانت تمتلك مطبعة فى شارع محمد على تعد فيها مطبوعاتها[1] ..

وكانت لهذه الجمعية نشرة دورية .. توزع بالمجان على الأعضاء والأصدقاء تحتوى مواد تحبذ استمرار وتوثيق العلاقات بين مصر وانجلترا ..

وكان لهذه الجمعية رئيس إنجليزى هو المستر «فاى» .. كما كان لها رئيس مسلم هو «الشيخ الزواوى» .. الذى أعده الإنجليز – فيما يبدو – لمواجهة المرحوم الشيخ حسن البنا على رأس جماعة الإخوان المسلمين ..

وقد شنت « الجمهور المصرى » حملة واسعة على هذه الجمعية .. وكشفت دورها فى الفترة من مايو ١٩٥١ إلى أن احترقت القاهرة[2] ..

واستطاعت الجريدة أن تنظم فى منتصف مايو ١٩٥١ عملية لضرب هذه الجمعية قادها فتحى الرملى المحرر بالجريدة .. الذى استطاع أن يدخل ثلاثة من الشبان فى « بيت السنارى » الأثرى بالسيدة زينب ، والذى كان مقر هذه الجمعية .. وتمكن هؤلاء الشبان من الاستيلاء على ماكينات الكتابة والأحبار السرية التى كانت تستخدمها الجمعية .. وسجلات أعضاء الجمعية .. ثم أضرموا النار فى أثاثها . .

---

(١) راجع شهادة محمد فهمى عبداللطيف - الملاحق

(٢) راجع « الجمهور المصرى » - ١٥ مايو ١٩٥١ ، وشهادة أبوالخير نجيب - الملاحق

وعلى أثر هذه العملية فر «الشيخ» الزواوى من مصر نهائياً .. لترتب له بريطانيا فى مكان آخر .. حيث أصبح حالياً « مفتيا » فى إحدى البلاد الآسيوية ..!

وتبين من سجلات الجمعية أنها تحتوى على ٥٠ ألف إسم .. من المصريين !

وقد احتفظ أبو الخير نجيب بهذه السجلات حتى قامت الثورة .. بحيث قام يوسف فكرى المحرر بالجمهور المصرى بتسليمها لرجالها ..

وفى هذه الفترة — وبعد كشف جريدة الجمهور المصرى للجمعية — إجتمع أعضاء اللجنة المركزية المصريون لها .. وأعلنوا استنكارهم للجمعية .. وحلهم لها .

لكن الجمعية استمرت .. فقد كان لايزال أمامها الكثير لتؤديه .. وأيضا لأن المصريين فى قيادتها لم يكونوا إلا « كمالة عدد » .. أما القيادة الحقيقية فكانت فى يد المخابرات البريطانية فى مصر ..

ثم حدثت حادثة حريق كنيسة السويس يوم ٤ يناير ١٩٥٢.. وأثارت الحادثة مشاعر المسيحيين .. حتى لقد انهالت البرقيات من الصعيد خاصة على إبراهيم فرج الوزير المسيحى فى حكومة الوفد تطالبه بالاستقالة فورا .. وتدعو المسيحين لعدم التعاون مع الحكومة ورفض أى معونة منها لإصلاح الكنيسة ..

وأما نذر الفتنة الطائفية التى بدأت تشتد فى وقت عصيب جدا .. سافر عبدالفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية إلى السويس .. وتحرى عن كيفية وقوع الحادث ..

وقد اتضح أن القوات البريطانية هاجمت السويس فى ذلك اليوم. — يوم ٤ يناير — وغطت بهجومها العملية التى قام بها أحد عملاء المخابرات البريطانية .. حرق كنيسة السويس ..

ثم قدم وزير الشئون تقريرا شفويا لمجلس الوزراء يوم ١١ يناير .. قال فيه أن « جماعة إخوان الحرية » العميلة للانجليز وراء حادث الكنيسة.. بغرض إثارة فتنة طائفية تلهى البلاد عن عدوها الحقيقى وهو الاستعمار البريطانى وقوات احتلاله ..

وقال الوزير للمجلس أن ماحدث فى السويس ليس إلا « بروفة » لمؤامرة كبرى يدبر لها الإنجليز .. وطالب بحل جمعية إخوان الحرية رسميا .. إغلاق نواديها فى أى مكان بمصر . وقد أصدر مجلس الوزراء قرارا بذلك فعلا فى نفس الجلسة[1] ..

وطبعا لم يتوقف نشاط « إخوان الحرية » .. خاصة عندما كان هذا النشاط ذا طابع تآمرى .. يجرى بالضرورة فى سرية تامة..!

وكانت مصر فى تلك الفترة .. وخاصة منطقة قنال السويس مركزا رئيسيا لنشاط المخابرات البريطانية المباشر[2] ..

وهذا جانبا بسيط مما كان يظهر من هذا النشاط .. فى جريدة واحدة.. نشرت جريدة « الجمهور المصرى » يوم ٢٩ يناير ١٩٥١ :

« اتصلت قيادة القوات البريطانية بفايد بضابط الاتصال الإنجليزى بالقاهرة — ومقره بشارع مريت

---

(١) راجع شهادة عبد الفتاح حسن ـ الملاحق

(٢) راجع شهادة كمال رفعت ـ الملاحق

باشا — وطلبت إليه الإسراع فى استئجار أكبر عدد من المنازل الخالية بالقاهرة .. فى الزمالك وجاردن سيتى .

« وقد استطاع ضابط الاتصال البريطانى أن يستأجر ١٢٠ شقة بالقاهرة حتى الآن ..

« وقد لوحظ أنه فى أيام الخميس والسبت والأحد من كل أسبوع تصل إلى القاهرة إحدى سيارات النقل الكبيرة التابعة للجيش البريطانى حاملة عددا من الجنود الإنجليز يتراوح بين ٥٠ ، ٦٠ ينزلون عادة بفندق الناسيونال بشارع سليمان باشا .. ورقم السيارة التى ينتقلون بها ٥١١ مصر وقائدها جاويش بريطانى .

وقد صرح أحد المطلعين على بواطن الأمور بأن هؤلاء الجنود لا يقيمون طويلا فى الفندق .. ولا يعودون إلى معسكراتهم بفايد .. وإنما يذهبون إلى أماكن غير معروفة لأسباب أو مهام غير معروفة أيضا ..

وبتاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ نشرت نفس الجريدة :

الإسماعيلية — من يوسف فكرى ومحمد الجبلاوى —

لم تعهد منطقة القنال نشاطا للجاسوسية الإنجليزية كالنشاط الذى يغمرها فى هذه الأيام . فقد ضاعف قلم المخابرات البريطانية من عيونه وآذانه ، وبثهم فى كل مكان . وتقول تقارير المخابرات المصرية

أن ٥٠ ٪ من أعوان الإنجليز وجواسيسهم يعملون الآن فى مكاتب الشركات الإنجليزية فى بورسعيد والسويس والقاهرة والإسكندرية وأكثرهم ممن عاشوا فى مصر مددا طويلة ..

« وهؤلاء جميعا يكونون شبكة محبوكة الأطراف تمتد من السفارة البريطانية فى القاهرة حتى مدينة الإسماعيلية حيث يجلس الميجور « كروك سكيف » خلف مكتبه المعد لعميد الجواسيس .

« وهذه معلومات عن ثلاثة جواسيس بريطانيين :

« سكيف » ..

□ مستشرق يتكلم العربية كأحد أبناء الأزهر . كان يسكن فى حى الحسين ويسهر فى الفيشاوى ..

□ بدأ يعمل سنة ١٩٤٦ ..

□ إنتقل إلى الإسماعيلية فى نوفمبر ١٩٥٠ ..

□ أول مهمة أداها للقوات البريطانية فى القنال الإرشاد عن ثلاثة عمال مصريين بتهمة بلشفة العمال . كان البوليس السياسى المصرى يطاردهم وهم أمام على أحمد، وزكى إبراهيم حسيب ، وسعد عبدالله حسين ..

□ منح لقب سير وأصبح رئيسا للمخابرات .

الجاسوس رقم ٢ : ميناء حبيب خليل ، مهمته :

الإرشاد عن حركات الكتائب، وترجمة خطب الجمعة.

عمله : المذيع الأول بمحطة فايد .

الجاسوس رقم ٣ : هديسون جراى ، مهمته الاتصال بموظفى الشركات البريطانية والبنوك والمؤسسات وجمع المعلومات منهم .. »

ونشرت « الجمهور المصرى » كذلك بتاريخ ١٤ مايو ١٩٥١ :

فى شهر ديسمبر ١٩٥٠ أعلن الضابط البريطانى روبرت فوس جلاسبرو عن حاجته إلى بعض الشبان المصريين للعمل بمكتب المخابرات البريطانية ..

وقد تقدم بعض الشبان بالفعل ..

ويجرى للشبان المتقدمين امتحان ، يتضمن أسئلة من نوع : كم لغة تعرف ؟ .. هل لك أقارب يقيمون بالخارج ؟.. هل استخدمت فى حياتك مسدساً ؟.. ماميولك السياسية ؟ ..

كما يجرى لهم من اختبار لقياس قوة الملاحظة....

وقال لى اللواء شريف العبد ، وكان بصفته ضابط اتصال يقيم داخل المعسكرات البريطانية يحتك بالإنجليز كثيراً من الداخل .. أنه كان يلاحظ أن بعض الأماكن يوجد بها مصريون .. لكن الإنجليز كانوا يحرصون حرصا كاملا على ألا أعرف شيئا عنها .. وألا أقترب منها .. وعندما كنت أقترب بالصدفة .. كانوا لايتورعون عن وقفى !

وعلى وجه التحديد .. كان الإنجليز يعدون « خبراء تخريب » على درجة عالية من الكفاءة والقوة ..

ويذكر الفدائيون أنه كان يوجد فى « كسفريت » بمنطقة القنال معسكر خاص تحيطه إجراءات معينة تعزله عن العالم الخارجى عزلة تامة . وكان تابعاً لقسم خاص من المخابرات البريطانية وقد جمعت المخابرات فى هذا المعسكر خليطاً غريباً من عتاة القتلة والمغامرين والمجرمين المحترفين ، أشد غرابة وأبشع تكويناً من الفرقة الأجنبية ذات السمعة السيئة ، وكان يجرى فى هذا المعسكر المعزول تدريب هذا العدد القليل من القتلة المختارين تدريباً عنيفاً متصلا ، بدنياً وفنيا على كافة أعمال العنف والنسف والتخريب والتجسس . كما كانوا يلقون مناهج سياسية خاصة ودروسا فى لغات ولهجات للبلاد التى تدخل فى دائرة عملهم . وكان مما يسهل المهمة أن معظمهم ليس غريبا عن المنطقة . وقد بلغ من حرص المخابرات البريطانية على عزل هذه الفرق عن العالم الخارجى أن كان معسكرهم معداً مجهزاً تجهيزاً كاملا للاكتفاء الذاتى ، بما فى ذلك كافة وسائل تزجية الفراغ والترفيه .. حتى الجنسية ! ..

وكان من المحظور تماما دخول هذا المعسكر ، كما كان المتعين على من فيه الإقامة الدائمة وعدم مغادرته إلا للقيام بمهمة يكلف بها . وما كان نزلاء هذا المعسكر العجيب ليقبلوا تلك الحياة اللاإنسانية الغريبة لولا أن أحكام الإعدام أو تأبيدات الليمانات أو انتقام المخابرات تنتظرهم فى خارجه[1] ..

---

(١) سعد زهران – حركة التاريخ المصرى من إلغاء المعاهدة إلى حريق القاهرة – الطليعة يونيو ١٩٦٥ .

كل هذا يؤكد أن الإنجليز كانوا يملكون « القوات » اللازمة لتنفيذ عملية كبرى مثل حرق القاهرة ..

□ □ □

الحجة الثانية التى يستبعد على أساسها البعض أن يكون هم الذين دبروا ونفذوا حريق القاهرة تتمثل فى السؤال التالى :

إذا كان الإنجليز هم الذين فعلوها .. فقد كان من الضرورى أن يكون الحريق مقدمة لعملية أوسع .. تصفى الوضع القائم نهائيا .. بما يزيل كل العقبات من طريقهم ..

وليس متصوراً أن تكون تلك العملية إلا تحرك القوات البريطانية من القنال غربا .. واحتلال القاهرة .. وفرض شروطهم[1] ...

وقد فكر الإنجليز كذلك فعلا !

وإذا كانوا لم يستطيعوا التنفيذ .. فان ذلك لايلغى وجود الخطة .. يقول أنطونى إيدن وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الحين فى مذكراته :

> وقع اشتباك دام فى ٢٥ يناير فى منطقة القناة بين قواتنا وبين مركزين للشرطة المصرية..ولحقت بالمصريين خسائر فادحة فى الأرواح ..
>
> وقامت فى اليوم التالى مظاهرات عنيفة فى القاهرة .. واغتنمت الفرصة عصابات صغيرة من الرجال فانتشرت

---

(١) راجع شهادة حسن يوسف – الملاحق .

فى قلب المدينة وبدأت تشعل النار ببعض الأبنية بصورة منظمة .. وقد أجمع شهود العيان أن العصابات كانت منظمة تمام التنظيم ..

« وبينما كانت القاهرة تحترق ، بدأت الرسائل تصل إلى وزارة الخارجية من سفارتنا هناك ، وإلى وزارة الحربية من القياده العسكرية فى القناة ..

« وكنا قد أعددنا خطة لتدخل قواتنا بمقتضاها فى القاهرة والاسكندرية لحماية الرعايا البريطان بما فى ضمنهم المالطيون ..

« ومع ذلك فقد وصلتنا يوم السبت نفسه رسالة من القيادة البريطانية فى مصر تعزب عن القلق من المقاومة التى بدت فى القتال الأخير الذى نشب فى مركز الشرطة وظهرت شكوك خطيرة عما إذا كانت القوات المتوافرة فى منطقة القناة قادرة على اداء مهمتها أم لا ..

« وقد ترك الخوف من أن قواتنا ستأتى للقاهرة أثرا فى اليوم التالى ، عندما أقال الملك النحاس باشا فى ذلك اليوم[1] ..

وكلام ايدن واضح .. لايحتاج لأى تعليق.!

وهو ينسف الحجة الثانية .. من الأساس .

□ □ □

---

(١) مذكرات ايدن ، ص ٥٤ ، ٥٥ .

أما الحجة الثالثة التى تستنكر حرق الانجليز للقاهرة .. لأنه من غير المعقول أن يلجأ الانجليز – فى سبيل تحقيق أى أهداف سياسية – إلى تدمير ممتلكاتهم .. وقتل مواطنيهم فيها .. كما حدث فى التيرف كلوب وبنك بار كليز ..

أما هذه الحجة فمردود عليها بتاريخ الانجليز فى هذه اللعبة .. ووارد فيه كلام كثير فى الشهادات المثبتة فى أخر الكتاب ..

فضلا عن أن ماخسروه فى حريق القاهرة هو شىء تافه ومحدود جدا .. بالمقارنه بما قدروا أن يكسبوه لو أن المؤامرة نجحت .. وتوقف نزيف الدم البريطانى فى منطقة القنال بتوقف النشاط الفدائى .. وبعدم فقدهم كل مزايا وجودهم واحتلالهم لمصر .. إذا ما أطيح بحكومة الوفد .. وأعيد النظر فى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ .. وعادت مصر تدور فى فلك الاستعمار البريطانى .

□ □ □

على أن هذا كلة شىء .. واقامة الدليل على أن الانجليز هم الذين أحرقوا القاهرة بالفعل .. شىء آخر ..

هذا هو الكلام الجد !

وعلى الرغم من أنه من المسلمات أن المؤامرات التى تعدها وتشرف على تنفيذها أجهزة المخابرات الكبرى .. من العسير اثبات أدلة الاتهام فيها .. لأن هذه الأجهزة تدرس خططها بعناية .. وتجتهد أكثر ما تجتهد فى الا تترك أثرا وراءها ..

الا أننا سنورد قدرا من أدلة الاتهام .. معقول ..

ونبدأ بما هو شائع :

□ فقد ذكر فى المحكمة أثناء نظر قضية أحمد حسين أنه قبض على شخص مالطى والده يعمل بالسفارة البريطانية .. كان يتجول فى ميدان الحوادث (شهادة عبد الفتاح حسن)

□ وفى ٤ فبراير كتب احسان عبد القدوس فى روزاليوسف ، يقول :

« قد يصل المحققون إلى تحديد المسئولية .. والمسئولين .. وقد لا يصلون إلى شىء .. ولكن أى تحقيق عادل نزيه لا يمكن أن ينتهى إلى تعميم المسئولية على عاتق الغوغاء كما تسميهم الصحف الانجليزية ..

ثم يتحدث عن سلسلة الحوادث التى وقعت فى تلك الفترة ، فيقول :

« .. وكلها حوادث غريبة على مصر وعلى الثورة المصرية .. حادث كنيسة السويس وماأعقبه من محاولة اثارة الفتنة بين المسلمين والاقباط .وحادث قتل الراهبة الأمريكية ومحاولة اتخاذها سلاحا ضد مصر : ثم حوادث ٢٦ يناير ..

« كل هذه الحوادث ، ووقوعها متعاقبة فى فترات متقاربه ، والطريقة الواحدة – تقريبا – التى ارتكب بها ، لا تدع مجالا للشك فى أن مرتكبيها هم الانجليز واعوان الانجليز ، أو على أكثر تقديرهم

هؤلاء الذين كان يهمهم احباط الثورة المسلحة التى قامت فى وجه الانجليز ، والذين كانوا يخشون أن تنقلب هذه الثورة عليهم (يقصد الملك) ..

« والذى يستمع إلى أصحاب السعادة الوزراء السابقين وهم يروون قصة الأسابيع الأخيرة من عهد حكومتهم يسمع عجبا مما لا يتأتى نشره فى هذه الظروف » ...

وفى ١٨ فبراير نشرت روز اليوسف مرة أخرى تحت هذه العناوين :

« الاصابع الانجليزية فى حوادث ٢٦ يناير »

« موظفو الشركات الانجليزية يغادرون مكاتبهم قبل الحريق بثلاث ساعات »

« بنك باركليز ينقل دفاتره قبـــل الحريق بيوم »

« الانجليزى الذى اندس بين المتظاهرين »

تحت هذه العناوين نشرت المجلة رسالة من مراسلها الخاص من باريس (والارجح أن حكاية الرسالة الخاصة من باريس هذه حيلة لجأت إليها المجلة لتنشر مالديها من معلومات .. دون أن يكون فى ذلك حرج.. أو تدخل فى سير التحقيق الذى كانت تجريه النيابة .. قالت :

« اتهمت أكثر من صحيفة فرنسية السفارة البريطانية فى القاهرة بتدبير حوادث ٢٦ يناير . وذكرت صحيفة (سوسوار) أن الوسائل المعروفة التى يلجأ إليها دائما قلم المخابرات البريطانية التضحية ببعض الأرواح والممتلكات البريطانية فى سبيل الوصول إلى هدف سياسى أهم يوازى

أضعاف الثمن الذى دفع فى سبيله . . كما حدث أن ضحت وزارة الخارجية البريطانية برأس غوردون باشا لتتخذ من رأسه حجة لاستعمار السودان ، وكما حدث عندنا استغل حادث مقتل السردار لاملاء الشروط البريطانية على مصر ، وكان أهمها سحب الجيوش البريطانية من السودان وهو شرط لم يكن له علاقة مطلقا بقتل السردار .

(واستشهدت الجريدة على تدبير الانجليزية :

١ ــ صدرت الأوامر إلى موظفى الشركات البريطانية الكبرى ومن بينها شركة شل وشركة الصناعات الكيماوية . بمغادرة مكاتبهم فى الساعة العاشرة من صباح يوم ٢٦ يناير .. وقد أقفلت أبواب هذه الشركات فى الساعة العاشرة والربع تماما ..

٢ ــ أعلن بنك باركليز عن نقل جميع معاملاته إلى فرع الموسكى . . وفتح أبوابه لعملائه فى اليوم التالى للحريق . ومعنى هذا أن جميع دفاتره ومستنداته ــ وهى أهم ماتحرص عليه البنوك ــ قد نقلت من فرع قصر النيل إلى فرع الموسكى قبل حوادث الحريق ربما بيوم كامل . ولو لم تنقل هذه المستندات لما استطاع البنك الاستمرار فى معاملاته وكانت خسارته كبيرة ..

٣ ــ كان الترف كلوب يزدحم كل يوم ابتداء من الساعة ١٢ ظهرا بالأعضاء الذين أعتادوا تناول الخمورقبل الغذاء (٤٠ ــ ٥٠ عضوا) . ولكن يوم الحريق لم يكن فيه سوى ١٠ من عجائز الانجليز بالمعاش . ويبدو أنهم لم يحذروا ..

٤ — يدير سينما ريفولى مديران أحدهما أنجليزى . يوم الحريق لم يحضر المدير الانجليزى .. وترك رسالة لزميله بأن يقابله الساعة ١١ فى السينما .. وانتظر المدير المصرى فى الموعد المحدد .. لكن المدير الانجليزى لم يحضر ..

٥ — لو روجعت سجلات شبرد لاتضح أن اثنين انجليز حضروا قبل الحادث بيومين .. وأختفيا يوم الحادث ..

٦ — شاهد البعض مستر . د (جمال الدين الدن) مندسا بين المتظاهرين أثناء حريق كازينو أوبرا . ومستر . د انجليزى أسلم وتزوج مصرية ويتكلم العربية بطلاقة. ويعتبر من أنشط رجال المخابرات البريطانية . وكان مستر كاينون قد قدم تقريراً إلى لندن يشتكى فيه من نشاطة .. ويصفه بأنه (نشاط أكبر مما نحتاج إليه) .. فسحبته لندن من القاهرة ثم أعيد بعد الغاء المعاهدة ..

٧ — الممتلكات البريطانية أقل الممتلكات خسارة فى الحرائق .

(ذكر فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام أن عبد الوهاب غنايم رئيس تحرير جريدة صوت الأمة قدم له مذكرة تفيد المعلومات التى وردت بها — أن صحت — أن الانجليز كانوا يعلمون بحوادث ٢٦ يناير قبل وقوعها بعدة أيام ..

ونظرا لأن النائب العام لم يثبت المذكرة فى أوراق التحقيق .. ولم يلخصها .. ولم يستدع عبد الوهاب غنايم لسماع أقواله بشأن ماجاء فيها .. فقد حاولت الحصول على هذه المذكرة .. أو فحواها .. من فؤاد سراج

الدين أو عبد الوهاب غنايم .. لكننى لم أعثر على المذكرة .. بينما محت السنين محتوياتها من ذاكرة من طلبتها منهما ..

□ □ □

فيما عدا ذلك .. وفى حدود ما انكشف من أدلة .. توجد بأوراق التحقيق التى أجرتها النيابة واقعتان على جانب كبير جداً من الأهمية .. لد لالتهما الواضحة على دور الانجليز فى أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ ..

□ الواقعة الأولى وجود كميات هائلة من البنزين فى أيدى منفذى الحرائق .. وبالذات عبوات البنزين فى صورة علب من أحجام مختلفة ..

وانتشار بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة .. الذى يسهل نقله .. وحمله .. والتحرك به .. بصورة واضحة ..

فذكرته تقارير المطافىء فى معظم الأماكن التى أشعلت فيها النيران .

كما تحدث عنه كل رجال المطافىء الذين أدلوا بأقوالهم فى تحقيق النيابة على النحو التالى الذى أوردناه فى الباب الأول ..

من أين كل هذا البنزين . وهذه العلب بالذات ؟

قرر الجميع أن شركة شل هى منتجة هذا البنزين . . وهذه العلب ..

فكيف حصل المخربون عليه ؟

هل أخذوه عنوة من محطات البنزين المنتشرة فى المدينة .. أم من المحلات التى تبيعه . أو تستعمله بأى طريقة ؟ .

من الثابت أنه رغم كل حوادث ذلك اليوم فان أحداً لم يشعل عود ثقاب واحد فيها .. رغم أنها كلها انجليزيه وأمريكية ..

ويذكر محمد صبيح أن ضابط البوليس الذى كان مكلفاً بالحراسة فى وسط المدينة قال له أن أحداً لم يحتك بهذه المحطات على الإطلاق[1] .؛

كما لم يذكر أن البنزين انتزع بالقوة من أى محال أو متعهد توزيع فى ذلك اليوم .. أو قبله ..

لذلك اتجه الشك لأن تكون شركة شل هى الجهة التى قدمت المادة المشعلة الرئيسية التى استعملت ذلك اليوم .. بطريقة خاصة ..

وقد ساور هذا الشك المحقق الذى استمع إلى أقوال رجال المطافى — أحمد فتحى مرسى — الأمر الذى دفعه لأن يرسل لشركة شل يستعلم عن ظروف توزيع بنزين التنظيف والكميات التى كانت موجودة منه بالشركة .

وردت شل بخطاب يوم ١٣ فبراير ١٩٥٢ .. قالت فيه :

« نتشرف بأن نؤيد لسعادتكم بهذا أنه لم يكن هناك أى مخزون من بنزين التنظيف المعبأ فى علب صغيرة بمحطات التموين فى شهر يناير ١٩٥٢ . وكان ذلك راجعاً إلى عدم وجود أى توريدات من هذا الصنف بمستودعنا بغمرة فى ذلك الشهر . والواقع أن مخزوننا من بنزين التنظيف بغمرة نفذ من ١٨ ديسمبر ١٩٥١ . وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .

---

(١) محمد صبيح — أيام وأيام ، ص ٤١٩ .

وفى الوقت الذى كانت لدينا مقادير متوفرة من بنزين التنظيف لم يكن هناك ما يدل على ازدياد الطلب عليه بشكل غير عادى ، ولا علم لنا بأية محلات سجائر تشترى هذا الصنف فى صفائح ، إذ أن المبيعات التى تجرى لمثل هؤلاء المستهلكين تكون على أساس الدفع نقدا . . . »

وكان من الطبيعى .. والضرورى .. أن تنفى .. شركة شل أى صلة لها بالبنزين الذى احترقت به القاهرة .. فهى ليست شركة عادية ، ولكنها المركز الرئيسى لنشاط المخابرات البريطانية وجمعية إخوان الحرية حينئذ..

لكن يلفت النظر فى رد شل العبارة التى نؤكد فيها :

« أن مخزوننا من بنزين التنظيف بغمرة نفد منذ ١٨ ديسمبر ١٩٥١ »

« وقد وزعنا جميع الكميات التى كانت موجودة منه على المتعهدين الذين يقومون عادة بالبيع بالقطاعى .. »

فلماذا نفد هذا البنزين بالذات من مخازن الشركة يوم ١٨ ديسمبر .. ولماذا حرصت شل على توزيع « جميع الكميات » على المتعهدين ؟

طبعا هنا احتمال أن تكون كل البيانات الواردة فى الخطاب كاذبة .. حتى لا تعطى الشركه للنيابة أى فرصة للبحث ..

لكن حتى مع افتراض أن الشركة قررت فى ردها واقع ما حدث فعلا .. فلماذا تخلصت من كل كميات البنزين المعبأ .. قبل الحوادث بستة أسابيع فعلا.. وكيف تبقى مخازن الشركة خالية من هذا النوع من البنزين كل هذه المدة .. إن لم يكن ذلك لتحقيق مخطط خطير ؟

إن رد شركة شل فى ذاته يثير شكوكا كثيرة .. ويمسك بها متلبسة بتوزيع بنزين حريق القاهرة .. فلا تفسير لتعبير «المتعهدين» الذين وزعت عليهم كل ما لديه من كميات إلا أنهم المجرمون .. من عصابات الحريق .. الذين كانوا يتلقون مع البنزين - التعليمات أيضا .. من شركة شل نفسها !

وقد رجعت للمستشار أحمد فتحى مرسى مؤخراً لاستوضحه فى هذه النقطة .. فأكد لى :

١ ـ أن الكميات التى استخدمت من علب بنزين شركة شل كانت من الكثرة بحيث لا يمكن توفرها لا للافراد .. ولا للمحلات أو الأكشاك .

٢ ـ أن هذه العلب بالذات هى التى قرر معظم الشهود أنها السبب الرئيسى فى سرعة اشتعال الحرائق .. ولولاها لما كان حريق القاهرة بالاتساع الذى حدث به

٣ ـ أن الكمية التى استخدمت يوم ٢٦ يناير فى الحرائق لا يمكن جمعها إلا فى وقت طويل .. أكثر من يوم . وبواسطة أشخاص كثيرين (أو تكون واردة من المنبع بالجملة) ..

٤ ـ أن بعض المحلات والأكشاك التى سئلت قررت أنه اشتريت أعداد

من العلب فى يوم ٢٦ واليوم السابق .. لكن هذا العدد أيضاً يظل أقل من الكميات التى استخدمت ..

٥ – أنه لم يكن بوسعه التحقيق من بيانات شركة شل باكثر من الاعتماد على ردها الرسمى ..

٦ – أن العلاقة بين شركة شل والمخابرات البريطانية لم تكن واضحة لهم أثناء التحقيق .

٧ – أن احتمال وجود دور المخابرات البريطانية – وشركة شل – فى الحريق جائز جداً .. لكنه لم يكن مطروحاً فى التحقيق فى ذلك الحين .. (١)

□ وماذا عن الواقعة الثانية ؟

صباح ٩ فبراير ١٩٥٢ ورد **خطاب من مجهول** خاص باسم **حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا** – رئيس الوزراء .. نصه :

« بعد التحية ، أحيط رفعتكم بأنى أثناء تجوالى بسيارتى يوم ٢٩ يناير الماضى بالقرب من فندق شبرد وجدت سيارة بها سيدة متوسطة القامة والعمر وبجوارها رجل متوسط العمر قصير القامة قليلا يبدو عليهما أنهما أجنبيان ، ورأيت غلمانا مصريين يحومون حول هذه السيارة ، وكانت السيدة والرجل يوزعان نقوداً على هؤلاء الغلمان ، وكان البعض راكباً دراجة والبعض على الأقدام

---

(١) راجع شهادة المستشار أحمد فتحى مرسى – الملاحق .

إلى أن أتت سيارة جيب ووقفت بجوار السيارة التى بها السيدة والرجل وأخذ أحد ركابها الخمسة رزمة أوراق مالية من السيدة .. .. وانصرفت السيارة الجيب إلى شارع فؤاد الأول وتلتها السيارة الأخرى ، ثم انحرفت على شارع الملكة .. وقد تبعتها بسيارتى فوجدتها ذهبت إلى ضاحية مصر الجديدة ووقفت أمام المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد فنزلت السيدة منها وصعدت إلى الدور العلوى بالفيلا، وأن الرجل انصرف بالسيارة فتتبعته ، وفى أثناء الطريق حاولت أن أعرف رقم السيارة التى كان بها والسيدة المذكورة فوجدت أنه رقم هيئة سياسية ومطموس الرقم .. ولم أتمكن من قراءته للأسف .. ولكنه تابع سيره إلى السيارة البريطانية .. ورجعت أنا بسيارتى .

« وهذه هى معلوماتى أردت أن أدلى بها لرفعتكم وأرجو إعفائى من ذكر إسمى ، وتحرون رفعتكم بمعرفة السلطة المختصة لتظهر الحقيقية جلية واضحة »

« ملحوظة : سيارة الجيب المذكورة أعلاه بعد أخذ النقود من السيدة التى بالسيارة الأخرى اندفعت بشارع فؤاد ورمت مواد ملتهبة على محلات شيكوريل والعروسة .. »

ويبدو أن هذا الخطاب « المجهول » أخذ مأخذ الجد .. ربما لأن كاتبه « المجهول » كان شخصية لها احترامها لدى السلطات وخاصة رئيس

الوزراء .. وربما لأن ما جاء به بالخطاب كان وقائع محددة .. ولها أهمية خاصة فى الكشف عن حقيقة ما حدث يوم ٢٦ يناير ..

المهم أن على ماهر أحال الخطاب على مرتضى المراغى وزير الداخلية وأن هذا بدوره أحاله على البوليس السياسى لتحرى حقيقة ما جاء فيه ..

وأخذ البوليس السياسى الموضوع مأخذ الجد أيضا .. وفرض رقابة دقيقة على المنزل ٤٣ شارع سعيد بمصر الجديدة .. وعلى كل علاقات هذا المنزل ابتداء من يوم ١٠ فبراير ولمدة ٣٥ يوما ..

وفى ١٥ مارس ١٩٥٢ قدم اللواء محمد ابراهيم إمام رئيس البوليس السياسى تقريرا بحصيلة المراقبة ..

قال رئيس البوليس السياسى :

« — بمراقبة الشقة العليا بالمنزل ٤٣ شارع سعيد شوهد شخص أجنبى وسيدة أجنبية وسيدة أخرى وفتاتان .

تبين أن الشخص هو جيمس فوخت : وله سكن خاص برقم ٧ شارع مريت بمصر الجديدة ، اعتاد الاقامة مع السيدة بروكسى صاحبة المنزل ٤٣ ..

— وفى ٢/١٠ تردد جيمس فوخت على المنزل ٧ شارع مريت ولم يبق بداخله سوى دقائق . كما تردد على المنزل ٤٣ سيدة أجنبية ومعها شخص أجنبى يقيمان بالمنزل رقم ١ شارع ابراهيم سكن السيدة مارى مسيرلى الإيرانية ، كما ترددت مس كاترين وكان الجميع مجتمعين بالمنزل المراقب من الساعة ٧ — ٩ م .

– يوم ١١ / ٢ خرجت من المنزل الفتاتان إلى المنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة دقائق . وبعد خروجهما قابلتهما السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وركبتا وكانت تقودها سيدة أجنبية إلى المنزل ٤٣ شارع سعيد . واستمرت السيدة حتى شارع الروضة بمصر الجديدة ووقفت أمام المنزل رقم ٥ وتحدثت مع ثلاثة شبان لبرهة وجيزة ثم اتجهت إلى طريق السويس . تبين أن السيارة باسم مارجورى كاميل جاش وسكنها ٤ شارع السلطان سليم .

– الساعة ٩٫٣٠ م خرجت السيدة التى تقيم بالمنزل رقم ١٩ شارع ابراهيم مس كاترين ، وتوجهت لمنزلها ، ويوم ١٢ ظهراً حضرت للمنزل السيارة رقم ١٤٣٥٢ ملاكى مصر يقودها سائق نوبى وصعد إلى الشقة المراقبة ، وبعد ١٠ دقائق انصرفت السيارة إلى المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا بجاردن سيتى . وهذه السيارة مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية .

– الساعة ١٫٣٠ حضرت السيارة رقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر قيادة شخص أجنبى صعد إلى الشقة المراقبة وصعد بعد ثلث ساعة وانصرف بالسيارة إلى شارع عبد الخالق ثروت ، تركها ودخل المنزل رقم ٣ شارع عبد الحميد سعيد سكن شخص أرمنى يعمل بالجيش البريطانى ، ويتغيب مددا عن سكنه تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام . وتبين أن السيارة ٧٧٤٢ باسم جرانتيينو كابورالى .

– بتاريخ ١٣ /٢ حضرت السيارة ١١٤٥٢ بالمنزل ٤٢ ش سعيد قيادة السائق النوبى ومعه شخص أجنبى مكث بالمنزل حوالى ساعة ونزل مع جيمس فورخت ، وانصرفوا .

- يوم ١٤ / ٢ تردد جيمس فورخت ومدام بروكسى على المنزل رقم ٧ ش مريت .

- يوم ١٥ / ٢ حضرت السيارة ٧٧٤٢ يقودها نفس الشخص ومكث بالشقة المراقبة شارع سعيد ثلث ساعة ، وخرج جيمس وبروكسى وعرج على بنك باركليز بمصر الجديدة ثم انصرفت السيارة إلى القاهرة ..

- بتاريخ ٢٦ / ٢ حضر للمنزل المراقب موتوسيكل رقم ٢٨٢٧ مصر يقوده شخص مصرى دخل لحظة وعاد منصرفاً بالموتوسيكل . الموتوسيكل لشركة مصر الجديدة .

- حضرت سيارة رقم ٧٦٩ ملاكى مصر فيات وركبت الفتاتان من المنزل المراقب . تبين أن السيارة باسم عبد المقصود أحمد باشا ..

- الساعة ٧ حضرت السيارة ١٣٤٤١ ملاكى اسكندرية بها شخصان أجنبيان فتح أحدهما باب المنزل رقم ٤٣ ش سعيد بمفتاح كان معه ولم يكن بالمنزل . أحد وتبين أن السيارة باسم ماكس رولو باسكندرية باعها إلى جرانتيينو ..

- يوم ٢٥ / ٢ حضرت السيارة ١٢٩٥٩ ملاكى مصر ، جيب مقفوله ومكتوب عليها الخطوط الجوية البلجيكية ، وبها ثلاثة رجال أجانب نزل أحدهم وتكلم مع مدام بروكسى ٥ دقائق وانصرفوا .

- يوم ٢٦ / ٢ عاد جيمس فورخت بعد غياب ١٠ أيام .

— سبق أن ذكرت أن السيارة ١١٤٥٢ ملاكى مصر ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد ثم توجهت إلى المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا بجاردن سيتى . وقد تبين من التحريات ان المنزل الأخير مؤجر للسفارة البريطانية وكانت تشغله بعض الأدارات البريطانية فالدور الأول كان به مكاتب جمعية إخوان الحرية بعد نقلها من بيت السنارى بالسيدة زينب ، وباقى الأدوار بها مكاتب مخلفات الجيش . وقد ابتدأ اخلاء هذه العمارة يوم ١٧ / ٢ / ١٩٥٢ ونقلت الإدارات التى كانت بها إلى المنزل رقم ١٠ ش الطلمبات .. ماعدا جمعية اخوان الحرية التى قيل أنها ألغيت .... »

ثم أورد رئيس البوليس السياسى قائمة بأسماء ١٢ شخصا استدل عليهم من عملية المراقبة .. فى ملحق للتقرير يحتوى على معلومات عنهم :

١ — جيمس فورخت : بريطانى الجنسية يقال أنه موسيقى ولم يلاحظ أنه يمارس هذه المهنة . يقيم بشارع مريت باشا رقم ٧ بمصر الجديدة لكنه قليل التردد عليه . اعتاد الإقامة مع السيدة بروكسى فى المنزل ٤٣ ش سعيد .

٢ — السيدة بروكسى : بريطانية .

٣ — مس كاترين : بريطانية .

٤ — السيدة مارى مسيرلى : إيرانية لها علاقة بالآخرين .

٥ — مارجورى كاميل جاش : بريطانية بشارع السلطان سليم . متزوجة من الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة

للسيارات، موظفة بسويتش السفارة البريطانية تستعمل سيارة ستروين سوداء رقم ٧٠٥٩ • دائمة التردد على الآخرين وخاصة الأولى والثانية ••

٦ ـ السيارة ١١٤٥٢ مصر: مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية بالشرق الأوسط • ترددت على المنزل ٤٣ ش سعيد •

٧ – جرانتيينو كابورالى : صاحب سيارات بشارع شريف باشا رقم ١٧أ بمصر الجديدة • تردد مرات على سكان المنزل ٤٣ ش سعيد • يملك سيارات منها ٧٧٤٢ ملاكى مصر ورقم ١٣٤٤١ ملاكى اسكندرية ورقم ٥٣٧٤٣ مصر •

٨ ـ أ• أوهانيان : أرمنى • يعمل بالجيش البريطانى • تردد على جرانتيينو عدة مرات •

٩ ـ السيارة ٢٣٧٨٠ مصر: مقيدة باسم الفريد يوسف حاج بشركة النقل والهندسة زوج مدام الفريد حاج. تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد.

١٠ـ السيارة ١٦٦٤٣ مصر: باسم مستر سيدنى آرثر وليم المفتش بحكومة السودان • تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد.

١١ـ المستر تلوك : بريطانى. موظف بالسفارة البريطانية. تردد على المنزل ٤٣ ش سعيد.

١٢- مستر فردريك هيوجل: بريطانى . موظف بشركة شل . تردد على المنزل ٤٤ ش سعيد . وترددوا عليه مراراً .

هذا ما كتبه اللواء محمد إبراهيم إمام عن مراقبته للمنزل الذى جاء ذكره فى الخطاب المجهول الذى وصل إلى رئيس الوزراء ..

ما الذى أراده رئيس البوليس السياسى من خلال تقريره وملحق هذا التقرير ..

واضح أنه استطاع أن يكتشف شبكات كاملة من شبكات المخابرات البريطانية فى مصر ..

وأنه حدد أفراد هذه الشبكة .. وألقى الضوء على نشاط كل منهم ..

وانه رد هؤلاء الجواسيس إلى مصادرهم.. ومراكز نشاطهم .. السفارة البريطانية ، والجيش البريطانى ، وشركة النقل والهندسة ، وشركة شل .. وجمعية أخوان الحرية !

وأكد رئيس البوليس السياسى بذلك صدق ملاحظة صاحب الخطاب . .

لذلك فاننا نعتقد ان الواقعة التى ذكرت فى الخطاب المجهول .. والتى أيدتها معلومات البوليس السياسى عن أصحابها .. هى دليل ثابت يؤكد دور بريطانيا بوصفها مدبرة ومنفذة حريق القاهرة .. بواسطة مخابراتها فى مصر .. وجماعة إخوان الحرية التابعة لهذه المخابرات ..

لقد ضبطت بريطانيا .. متلبسة !

الفصل الثانى

.. وأمريكا!؟

وامريكا .. ؟

هل كانت بعيدة عن هذا الحدث الخطير فى حياة مصر السياسية .. أم كان لها دور فيه ؟

هذه قضية هامة .. وصعبة فى دراسة حريق القاهرة ..

فبالنسبة لبريطانيا هناك شبه اجماع على أنها وراء أحداث ٢٦ يناير .. على النحو الذى بيناه فى الفصل السابق .. وكما هو وارد فى معظم شهادات رجال السياسة والإدارة والصحافة ..

ذلك أن مصلحة بريطانيا فى أن يحدث ماحدث .. كانت شيئا ملموسا كما أن تحقيق بريطانيا لنتائج لصالحها صار شيئا مرئيا رأى العين ..

كما أن وجود أجهزة وأدوات تنفيذية تحت يد الإنجليز .. تستطيع تنفيذ مثل هذه الحوادث كان مما لايخفى على أى مشتغل بالسياسة والشئون العامة فى مصر ..

لكن بالنسبة لأمريكا الأمر مختلف ..

فالكثيرون كانوا — ولا يزالون — يعتقدون أن أمريكا لم يكن لها

وجود وتداخل له وزن فى الحياة السياسية المصرية .. وبناء على ذلك يبادرون إلى نفى واستبعاد أى دور لأمريكا فى حريق القاهرة ..

فهل صحيح أنه لم يكن لأمريكا وجود .. ومساهمة فى الصراع الدائر فى مصر فى ذلك الحين ؟

الواقع يقول لا ..

فالحقيقة أن أمريكا منذ الحرب العالمية الثانية وبعدها بدأت تتحرك بنشاط . كأقوى وأغنى دولة فى عالم ما بعد الحرب .. وقائدة المعسكر الاستعمارى العالمى .. لتحل محل الاستعمار القديم (البريطانى والفرنسى بالذات) فى مراكز نفوذه التقليدية .. مستفيده من سيطرتها على الدول الاستعمارية القديمة ذاتها بعد أن خرجت هذه أما مهزومة (فرنسا) أومدمرة تماما (بريطانيا) .. ومن الصراع الذى بلغ ذروته بين هذه الدول وبين الحركات الوطنية المعادية لها فى بلاد المستعمرات .. ومن الوعود البراقة التى منت بها شعوب العالم — سواء بالشعارات المعسولة عن الحرية والديمقراطية ، أو بالمساعدات المادية وغيرها — موهمة إياها بأنها الأمل الذى تستطيع أن تتعلق به وهى تسعى للتخلص من المستعمرين القدامى وتحقق حياتها المستقلة الجديدة ..

لكن أمريكا لم تلبث بعد سنوات من انتهاء الحرب أن منيت بثلاث هزائم كبرى .. من وجهة نظرها الاستعمارية . فخلال عامى ١٩٤٨ — ١٩٤٩ : انتصرت الثورة الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا بوصول الحزب الشيوعى سلميا إلى السلطة فى فبراير ١٩٤٨ .. وكانت تشيكوسلوفاكيا بلدا رأسماليا له وزنه من ناحية كونه مركزا صناعيا وموقعا جغرافيا

معازا .. وفى سبتمبر ١٩٤٩ أعلن الاتحاد السوفيتى عن امتلاكه للقنبلة الذرية بعد نجاح تجربة تفجيرها فى أراضيه فى يوليو من نفس السنة .. وكسر بذلك احتكار الولايات المتحدة الأمريكية للقنبلة الذرية واستغلال ذلك فى ارهاب شعوب العالم .. ثم انتصرت الثورة فى الصين .. وقامت فى هذا الجزء الخطير من العالم جمهورية شعبيه بقيادة الحزب الشيوعى .. بعد أن أوقعت قوات موتسى تونج أفدح الخسائر وافظع الهزائم بقوات كاى شيك وحلفائه الأمريكيين[1] ..

ازاء ذلك لجأت أمريكا إلى سياسة الاحلاف العسكرية ، لتجمع بها قوى المعسكر الاستعمارى وتوابعه .. ولتحاصر الثورات الاشتراكية والتحررية التى اندلعت فى كل ركن من أركان الأرض ، بعد أن أكسبتها انتصارات الشعوب بقيادة الاتحاد السوفيتى على النازية والفاشية قوة هائلة .. وزادتها انتصارات الثورات الاشتراكية فى أوربا الشرقية واسيا تطلعا إلى افاق أكثر ازدهارا ..

وهكذا أقامت الولايات المتحدة حلف الاطلنطى فى أوائل ١٩٤٩ .. لمواجهة المعسكر الاشتراكى فى أوربا .. ثم شرعت فى العمل لتنفيذ حلفين اخرين أحدهما هو حلف جنوب شرقى اسيا لمحاصرة الحركة الثورية فى الصين وأندونسيا وكوريا والهند الصينية والهند .. الثانى فى الشرق الأوسط لأحكام سيطرة الغرب الرأسمالى على منابع البترول ومصادر المواد الأولية الاستراتيجية .. ولأحكام الحصار على الاتحاد السوفيتى عن الجنوب واغلاق البحر المتوسط فى وجهه[2] ..

---

(١) طارق البشرى – الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ، ص ٢٨١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

وكانت أمريكا قبل ذلك وأثناءه قد حققت بالفعل مكاسب ضخمة على حساب حلفائها الاستعماريين القدامى .. فنجحت فى التغلغل فى تركيا واليونان .. واصبحت الدوله ذات المركز الأول فى فلسطين بعد أن عملت على ازاحة النفوذ البريطانى وتكوين دولة اسرائيل تحت سيطرتها الكاملة ..

ثم انتقلت إلى العالم العربى .. بادئة بسوريا .. بضرب النفوذ الفرنسى عن طريق انقلاب حسنى الزعيم عام ١٩٤٩ .. بعد سنتين كاملتين من المؤامرات التحتية التى قام بها جهاز المخابرات الأمريكية(١) ..

ثم أخذت أمريكا تركز على مصر ..

لأن أمريكا أدركت أن مصر هى مفتاح العالم العربى كله .. وأن أى نشاط فيها سيكون له تأثير على جميع الدول العربية(٢) ..

كانت أمريكا تدرك من خلال متابعة الحركة الوطنية والديمقراطية فى مصر أن الوجود البريطانى فى مصر أصبح محكوماً عليه بالزوال .. وأن تشبث بريطانيا ببقاء قوات احتلالها لأن يؤدى إلى تقوية مركزها .. بل إلى تمرد المصريين الكامل على أشكال الاستعمار ..

كما تبينت فى المحتوى الاجتماعى للحركة الوطنية خطراً داهما .. استمراره سيؤدى إلى خروج مصر – بكل مالها من وزن وتأثير فى المنطقة العربية – من دائرة المعسكر الرأسمالى نهائيا .. فقد أخذت الطبقة العاملة المصرية

---

(١) مايلز كوبلاند .. لعبة الأمم ، ص ٧٣ (الطبعة العربية) .

(٢) مايلز كوبلاند .. لعبة الأمم ، ص ٨٢ .

والجماهير الكادحة والمثقفون الثوريون يفرضون نظريتهم النابعة من المصالح الحقيقية للشعب على مسار النضال الوطني ..

وتمثل ذلك بصفة أساسية في الدور المتزايد للقوى التقدمية بشكل عام .. وللشيوعيون بشكل خاص .. ذلك الدور الذى ازدهر كما لم يزدهر من قبل في الجو الديمقراطى الذى شاع في البلاد في ظل حكومة الوفد ..

ومن الواضح أن الدور النشط لأمريكا في مصر كان قد بدأ قبل ذلك .. منذ أيام الحرب نفسها ..

«فمايلز كوبلاند» يذكر أن الملك فاروق كان معجبا بكيرميت روزفلت حفيد الرئيس الأمريكى الراحل تيودور روزفلت منذ أيام الحرب العالمية الثانية .. عندما كان البريطانيون يضغطون عليه بالسلاح للتخلص من العناصر المؤيدة للمحور واستبدالها بوجوه تختارها بريطانيا[1] .. وقد وقف روزفلت أبان تلك الأزمة إلى جانب الملك .. وتوقع له نظاما مستقلا ذا سيادة بعد الحرب الثانية[2] ...

وهذا يؤكد أن أمريكا بدأت تلعب دوراً مؤثراً في الأحداث السياسية المصرية منذ السنوات الأولى للحرب .. وليس بعد الحرب كما يظن البعض.

لكنه يوضح طبيعة اللعبة الأمريكية أيضا .. باعتبارها لعبة مزدوجة .. تكشف عن سياسة ذات وجهين ..

---

(١) أشارت إلى حادث ٤ فبراير ، عندما حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين وأرغمت فاروق على تشكيل وزارة يرأسها النحاس باشا لضمان تأييد المصريين للحلفاء في الحرب ضد الألمان .

(٢) مايلز كوبلاند ــ لعبة الأمم ، ص ٨٥ .

فحادث ٤ فبراير الذى يقول كوبلاند أن أمريكا وقفت أثناءه مع فاروق ضد الإنجليز .. كان عملا لصالح الحلفاء ، ولتأمين جبهة أفريقيا فى مواجهة هجمة خطرة من جانب القوات الألمانية ..

وكان ذلك مما يؤيده الأمريكيون .. وإلا لقاوموه بأى صورة ..

لكنهم من ناحية أخرى كانوا يظهرون عطفهم على فاروق ليكسبوه .. مع تأجيل المساندة الإيجابية له للاستقلال عن بريطانيا إلى مابعد الحرب !

وظل هذا هو موقفهم باستمرار .. الاتحاد مع القوى الاستعمارية الأخرى فى مواجهة الحركة الوطنية .. ونزع الشعب للتحرر من النير الاستعمارى . وفى نفس الوقت القيام بعمليات مكشوفة أو سرية لإحراج القوة الاستعمارية القديمة وزعزعة مركزها .. لصالح انفرادهم هم بكل النفوذ ..

على أى حال .. من الثابت أن الوجود الأمريكى فى مصر زاد بعد الحرب الثانية .. لكنه اتخذ صورة مكثفة بالذات بعد تأزم العلاقات المصرية البريطانية قبيل وبعد إلغاء المعاهدة ..

فقد تخوفت أمريكا — شأن بريطانيا — من تطور الحركة الوطنية المصرية .. ولذلك حاولت من جانبها أيضا ممارسة ضغط عنيف على حكومة الوفد ..

وقد ذكر لى إبراهيم فرج أن أمريكا بالذات هى التى قادت محاولة فرض الحلف الرباعى (حلف الشرق الأوسط) على مصر .. وضغطت كثيراً لكى تجر مصر وراءها فى حرب كوريا .. كما استغلت حادثة مقتل الراهبة الأمريكية أنطونى فى عملية الضغط ..

ولذلك ، فمن رأى إبراهيم فرج ـ وكان وزيراً للخارجية بالنيابة فى تلك الفترة ـ أن أمريكا هى التى كانت تقود كل عمليات الإطاحة بالوزارة الوفدية .. من ناحية لمعارضتها لسياستها الاستعمارية .. ومن ناحية أخرى خشيتها مما تصورته من أن هذه الوزارة تفتح الباب واسعاً أمام الاشتراكية .. والنشاط الشيوعى .. وكان «على أمريكاعفريت إسمه الخطر الشيوعى »[1] ..

ويذكر طارق البشرى أنه تردد فى تلك الأيام أيضاً أن النحاس باشا صرح لبعض ثقاته أن هناك اتجاها لأحداث انقلاب وزارى فى مصر لمصلحة الإنجليز والأمريكيين وأن أيد أمريكية تدفع الأمور فى هذا الأتجاه ، وأنه حسب معلومات النحاس فان دور حافظ عفيفى قد درس فى واشنطن لافى لندن ، « وأن منصب رئيس الديوان الملكى سوف يكون مهيأ لاستقباله بعد مضى ستة أشهر كخطوة أولى فى مؤامرة طويلة تهدف إلى « كلفتة » القضية الوطنية .. « ونشر هذا الخبر فى عدد أول سبتمبر من مجلة « الكاتب » .. ثم نشرت صحيفة «أخبار اليوم » فى الأسبوع الأخير من ديسمبر ١٩٥١ خبراً يقول أن وزارة الخارجية البريطانية واثقة من أن وزارة الوفد سوف تستقبل خلال الثلاثة أسابيع القادمة .. وستتلوها وزارة مرشح لرئاستها حافظ عفيفى .. وقد نشر نفس الخبر فى مجلة «الكاتب» فى عدد ٢٩ ديسمبر ١٩٥١[2] ..

وقال لى فتحى الرملى المحرر فى جريدة « الجمهور المصرى» حينئذ

---

(١) راجع شهادة إبراهيم فرج ـ الملاحق .

(٢) حسن دوح ـ كفاح الشباب الجامعى ، ص ١١٤ .

أنه علم فى حينه أن أحد الصحفيين الأجانب كان يجلس مع فريد شحاته سكرتير الدكتور طه حسن (وزير المعارف فى وزارة الوفد فى ذلك الوقت) فى محل جروبى ، قال له أنه لديه معلومات أكيدة عن الأمريكان يعدون حاليا لعمل كبير .. سيغير كل الأوضاع القائمة فى مصر .. بل وخريطة الشرق العربى كلها ..

كل هذا يشير إلى أن أمريكا كانت فى قلب الأحداث فى مصر قبل ٢٦ يناير .. وفى حرب القناة على وجه الخصوص كانت تمارس لعبتها المدروسة جيداً ..

فكانت تساعد البريطانيين عمليا على ضرب العمل الفدائى .. حتى أن جريدة « الأهرام » (المحايدة) اضطرت لأن تكتب يوم ١٤ يناير ١٩٥٢ :

« لاندرى هل يقف العالم متفرجا على سلسلة من المجازر آخرها مجزرة التل الكبير وإعدام سبعة من الأسرى .. التى تستخدم فيها بريطانيا الألوف من جنودها الذين جمعتهم من أربعة أركان الأرض .. وأسلحتها التى كتب عليها :

صنع فى للولايات المتحدة الأمريكية !؟ »

وكانت تشارك فى ملاحقة قادة العمل الفدائى من الوطنيين .. يذكر حسن دوح زعيم الاخوان المسلمين فى الجامعة عندئذ أنه تلقى رسالة ذات يوم من احدى الطالبات تحذره فيها .. وتقول :

أخى حسن

السلام عليكم ورحمة الله .. وبعد

أرجوك بحق الأخوة أن تأخذ حذرك من شخص يدعى حسين على المخبر السرى بالسفارة الإنجليزية والمحرر بالسفارة الأمريكية لأنه سوف يقتفى أثرك أينما كنت ، وأعلم أنه يعمل لحساب الإنجليز والأمريكان .. فاحترس .

والسلام عليكم ورحمة الله ــ زميلة ...[1]

ولعل هذا الإنغماس فى الصراع فى مصر من جانب أمريكا .. يجعل الكثيرين ممن لايزالون يستبعدون أى دور لأمريكا فى حريق القاهرة .. يعيدون النظر فى هذه الفكرة ..

ولعله مما يدعو لذلك بقوة .. أن الرجلين الذين توليا الشئون الخارجية لمصر فى عهد وزارة الوفد يعتبران الولايات المتحدة المتهم الأول فى هذا الحادث الخطير ..

فهكذا قال لى إبراهيم فرج وزير الخارجية بالنيابة .. الذى اتهم المخابرات الأمريكية بأنها صاحبة الدور الرئيسى فى المؤامرة ..

وكتب حسن دوح فى «كفاح الشباب الجامعى »(ص١٠٢ــ١٠٣) :

أذكر أننى التقيت بالدكتور محمد صلاح الدين وزير

---

(١) مايلز كوبلاند ــ لعبة الأمم ، ص ٨٢ .

الخارجية فى حكومة الوفد — بعد حريق القاهرة ..
قال لى الرجل أنك لايمكن أن تتصور مدى الكسب الذى احرزناه فى أوروبا وأمريكا بعد معارك القناة والتل الكبير بالذات .. ولكن خسرنا الكثير بعد حريق ٢٦ يناير الذى شوه بدخانه سمعتنافى الخارج ..
وقال لى الدكتور صلاح الدين فى لقاء آخر وهو يشير بأصبعه إلى القارة الأمريكية أن الولايات المتحدة هى المتهم الأول فى إحراق القاهرة ..

فقلت له أن الأمر يحتاج إلى إيضاح .. قال :

إن الولايات المتحدة كانت المحرك الأول للأحداث التى جرت قبل وبعد حريق القاهرة .. ويرجع السبب فى هذا إلى عدة أمور .. منها :

١ — أن أمريكا أرادت أن تصفى النظم الديمقراطية فى مصر حتى يتسنى لها ضرب الحركات الوطنية ..

٢ — إمتناع مصر عن التصويت فى مجلس الأمن إلى جانب الولايات المتحدة فى مشكلة كوريا .. وكانت توجيهات مصر لمندوبها فى الهيئة الدولية أن المشكلة لاناقة لنا فيها ولاجمل ولا نحب أن نزج بأنفسنا فى نزاعات دولية .. ويكفينا الاهتمام بمشكلتنا ..

٣ — حرص أمريكا على تصفية ماأسمته بالحركة الشيوعية فى مصر ، ولذلك بادرت باتهام الشيوعيين بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة ..

□ □ □

أمريكا إذن موجودة .. ولها مصلحة مزدوجة فى ضرب الحركة الوطنية من ناحية .. والحلول محل إنجلترا من ناحية أخرى .. وهناك شواهد عديدة على دورها فى إعداد المسرح لأحداث ٢٦ يناير .. كما سبق أن أشرنا .. فلماذا لايكون لها نصيب مباشر فى الأحداث نفسها ؟

هذا يثور سؤال هام : بمن تنفذ أمريكا .. إذا افترضنا أنها ضالعة فى الحريق ؟

ومرة أخرى يبدو أن معلومات الكثيرين عن إمكانيات أمريكا .. فى هذا الصدد .. محدودة جداً .. بل فقيرة .

فمنذ زمن طويل والمخابرات المركزية الأمريكية تعمل ..

وكان لهذه المخابرات مركزاً ورجال وعملاء فى المنطقة فى تلك الفترة ..

بل أن كوبلاند يذكر أن أحد الأسباب الرئيسية التى جعلتهم يركزون نشاطهم فى مصر فى تلك الفترة – فضلا عن تأثير مصر فى البلاد العربية كلها – هو وجود « جهاز تنفيذى ذو كفاءة عالية ودراية واسعة بالدولة المصرية من جملة أفراده كيرميت روزفلت الشهير »[1] ..

وقد سبق ذكر العلاقة الوطيدة بين روزفلت هذا وبين الملك فاروق منذ سنة ١٩٤٢ ..

لكن لنقرأ ماكتبه كوبلاند عنه وعن كفاءته .. لندرك أى نوع من رجال المخابرات الأمريكية كان يلعب فى مصر فى تلك الأيام .. يقول كوبلاند :

---

(١) مايلز كوبلاند : لعبة الأمم : ٦٩ – ٧٠ ص ٨٥

« فى الفترة من ١٩٤٧ – ١٩٤٨ استدعى تشارلز فيركسون الخبير فى التعليم السريع للغات من جامعة هارفارد ليبدأ فصولا دراسية فى اللغة العربية لبعض الدبلوماسيين الشباب ، وكانت نتيجة هذه الفصول أن قارب عدد الدبلوماسيين الأمريكيين المتكلمين باللغة العربية عدد المتكلمين بها من البريطانيين وأربعة أضعاف المتكلمين بها من الروس . وأصدرت وزارة الخارجية أمراً بتعيين كيرميت روزفلت كمنسق لنشاطها السياسى « الخاص » وأرسله إلى بيروت . وكان روزفلت هذا قد أمضى عدة أشهر مع قبائل عربية وكردية وفارسية . وكان يتكلم اللغة العربية والكردية والأزبكية والروسية والفرنسية والأسبانية وبضع لغات أخرى . وخدم فى الماضى فى مراكز أظهرت قدرته الفائقة فى الجمع بين الثقافة الواسعة والتنفيذ الدقيق . وبحلول عام ١٩٥٢ كان رجالنا فى السلك الدبلوماسى فى الشرق الأوسط من خيرة ما بمقدور حكومتنا تقديمه ...

وقد عمل كيرميت روزفلت هذا بعد ذلك كمبعوث خاص للوزير دالاس لتنفيذ مهمات غير عادية كعملية « آجاكس » التى وقعت فى أغسطس ١٩٥٣ عندما قاد (روزفلت) أنصار الشاه فى إيران فى مظاهرات صاخبة ضد الدكتور مصدق ، وتخلص

من حكمه وعاد الشاه من منفاه فى روما إلى عرشه
فى طهران ... »

ويضيف كوبلاند :

وكان تنظيم الثورة السلمية فى مصر ١٩٥١ – ١٩٥٢ أولى
مهمات روزفلت الشهير هذا .... [1]

فالقول بأن أمريكا لم يكن لها دور فى حريق القاهرة .. لأنها لاتملك أدوات تنفذ بها مثل هذا الحريق .. قول لاأساس له ..

ومع ذلك .. فلماذا أيضاً نتصور أنها خططت ونفذت المؤامرة بمفردها..؟

أليس من الممكن أن يكون ذلك حدث –وهو لايزال فرضاً– بالتنسيق مع إنجلترا والملك كذلك؟

طبعاً هذا وارد .. وبشدة . وفى هذه الحالة يرجح أن تكون كل أجهزة هؤلاء وأتباعهم قد عملوا .. أما معاً .. أو وفق خطة متفق عليها فى القمة .. وقام جهاز كل جهة بتنفيذ الجزء المنوط به تنفيذه ..

لكن .. هل من دليل .. أو قرينة .. أوحتى شبهة تجيز اتهام أمريكا .. عدا هذا الكلام العام .. ؟

صحيح أن كل أحداث مابعد الحريق تؤكد أن أمريكا هى المستفيد الأول ..

(١) مايلزكوبلاند – لعبة الأمم ، ص ٦٩ – ٧٠ – ٨٥

فرغم سقوط حكومة الوفد وتوقف العمل الفدائى ودعوة حكومات مابعد ٢٦ يناير إلى طريق المفاوضات .. فان إنجلترا لم تحتفظ بوجودها فى مصر فترة طويلة ..

ورغم انفراد الملك بالسلطة .. وتخلصه من الحركة الوطنية الديمقراطية التى كانت تضيق عليه الخناق .. فان عمره فى الحكم بعد الحريق لم يزد عن ستة أشهر ..

الذى احتل مكاناً ممتازاً فى الفترة التالية للحريق .. ولسنوات أخرى .. هو الولايات المتحدة الأمريكية ..

لكن .. مرة أخرى .. هل من شىء ملموس .

□ □ □

ليس تحت أيدينا سوى واقعة واحدة .. ربما تفيد فى الإجابة على هذا السؤال ..

فلأن أحداً لم يكن منتبهاً بما فيه الكفاية لألاعيب أمريكا .. لم نعثر على أى محاولة لاقتفاء أثرها .. وتركز البحث والاتهام فى بريطانيا .. وحدها ..

ففى فترة حريق القاهرة ظهرت « افيشات » (ملصقات) علقت على الجدران فى منطقة وسط المدينة وفى بعض مداخلها ..

كانت هذه « الأفيشات » تصور مدينة القاهرة تندلع منها السنة اللهيب الحمراء .. وتتركها حطاماً مخرباً .. ومكتوب عليها « الشيوعيون فعلوا هذا .. »،

وقد شاهد هذه الأفيشات « كثيرون .. منهم ، من الذين سجلنا شهاداتهم : عبد الوهاب غنايم ومحمد صدقى وأحمد طه ، وفتحى خليل .. وقال عدد آخر أنهم رأوها فى مناطق : شبرا ، وشارع فؤاد (٢٦ يوليو) ، ومصر القديمة ..

وقال لى صلاح الدين مرتجى - مدير الأمن العام بعد الحريق مباشره - أنه سمع عن هذه « الأفيشات » فى حينه ..

حول هذه « الأفيشات » تثور مسألتان :

□ الأولى ، متى ظهرت .... ؟

فالطبيعى أن تظهر بعد الحوادث .. بل وبعدها بفترة تكفى لأن يكون من أصدروها قد تبينوا من الذى أحرق القاهرة .. أو حتى حددوا من الذى يجب أن تلصق به مسئولية الحريق .. ثم يصمموا حملتهم الدعائية .. وينفذوها ..

وهذا - لو أن الأمور تمت وفق المنطق الطبيعى - كان يستلزم مدة لا تقل عن أسبوع أو عشرة أيام ..

لكن الذى حدث أن البعض شاهدها فعلا بعد أسبوع أو عشرة أيام .. ومن هذا البعض فتحى خليل الصحفى بروز اليوسف حالياً ، والمدرس بمدرسة المعهد العلمى الثانوى للبنين - بفم الخليج - حينئذ .. فقد حدث أن رأى بعض تلاميذه هذه « الأفيشات » فرفعوها من على الحوائط وجمعوا عدداً منها .. وأحرقوها فى فناء المدرسة وسط تجمع كبير من التلاميذ .. تعبيرا عن استنكارهم لمحاولة الصاق جريمة حريق القاهرة بمن لم يرتكبوها .. بينما الفاعل الحقيقى معروف ..

وقد اعتقل فتحى خليل على أثر ذلك .. وظل معتقلا حتى قامت ثورة يوليو وأفرجت عنه بين من أفرجت عنهم من المعتقلين السياسيين ..

وكان فتحى خليل قد أحتفظ بأحد « الأفيشات » التى جاء بها التلاميذ فى مكان مأمون . وبعد الإفراج عنه عرضهما على يوسف حلمى وسعد كامل المشرفين على مجلة « الكاتب » .. فقررا تصويرها بالزنكوغراف ونشرها مع تحقيق كبير كتبه يوسف حلمى يكشف الغرض من هذه « الأفيشات » ...

وقد شاهد نفس « الآفيشات » أشخاص آخرون .. فى وقت سابق على الوقت الذى شاهدها فيه فتحى خليل .. تراوح بين أسبوع .. وأربعة أيام .. بل ويومين فقط من يوم ٢٦ يناير ..

وهذا مؤشر إلى أن أمر هذه « الأفيشات » كان مقرراً بصورة مبدئية .. أى من حيث من الذى يجب أن يوجه إليه الاتهام — بسرعة — فى أى جريمة أن تقع ..

لكن .. هناك شاهدان قررا أنهما شهدا هذه « الأفيشات » فى أوقات ذات مغزى خاص ..

أولهما محمد صدق الصحفى بالجمهورية حالياً ، وكاتب القصة ، وسكرتير نقابة عمال « شملا » سنة ١٩٥٢ ..

فقد قال محمد صدق أنه كان يبيت ليلة ٢٦ يناير (الجمعة / السبت) عند أقارب له فى مصر القديمة .. وأنه أثناء سيره متجهاً إلى عمله ، تحت نفق الملك الصالح ، فوجىء « بأفيشات » ملصقة على حوائط النفق ..

عليها صورة مدينة تحترق .. وألسنة النيران تتصاعد منها .. ومكتوب عليها « الشيوعيون فعلوا هذا » ..

كان ذلك فى الصباح المبكر من يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. الساعة السابعة صباحاً .. ولم يكن أى حريق قد اشتعل فى القاهرة ..

ودهش محمد صدقى لما رآه .. وتساءل بينه وبين نفسه : ترى أية حدث ذلك .. ومتى . .. ولماذا لم نعرف به إذا يهمنا إلى درجة أن يعلن عنه عندنا بهذه الصورة ؟ ...

لكن لأنه كان خالى الذهن من أى شىء محدد .. فقد مط شفتيه ، ومضى ..

وعندما اقترب من المحل (شملا) .. التقى بأحد العمال الذين يعرفونهم .. فحكى له عما راه .. وكانت المفاجأة أن زميله قال له بدوره أنه رأى نفس هذه « الأفيشات » وهو قادم من بيته الآن .. فى شبرا[1] ..

والشاهد الثانى هو عبدالوهاب غنايم الصحفى بالجمهوريه حالياً ، ورئيس تحرير جريدة « صوت الأمة » الوفدية سنة ١٩٥٢ ..

قال هذا الشاهد أنه بينما كان يسير متجهاً من بيته فى شبرا إلى وسط القاهرة .. شاهد عند نفق شبرا « أفيشين » عليها رسم مدينة تحترق .. ومكتوب فوق السنة اللهب « الشيوعيون فعلوا هذا » .. وكان ذلك مساء يوم ٢٥ يناير ..

---

(١) راجع شهادة محمد صدقى –الملاحق .

وقد لفتت « الأفيشات » نظر الشاهد .. واستوقفته ..وأثارت دهشته .. لكنه لم يفهم معنى وجودها فى ذلك الوقت ..

وفى اليوم التالى حدث حريق القاهرة ..

وفى نفس اليوم – يوم ٢٦ يناير – شاهد عبد الوهاب غنايم نسخاً أخرى من ذات « الأفيشات » فى شارع فؤاد .. وعند حديقة الأزبكية ..

عندئذ أدرك الشاهد المعنى من هذه « الأفيشات » .. وهو أن جهة ما كانت تعلم بحدوث الحريق .. قبل اشتعاله . وأن هذه الجهة تريد فى نفس الوقت إلقاء التبعة مقدماً على جهة أخرى هى الشيوعيون فى هذه الحالة[1] ..

وأهمية هاتين الشهادتين – إذا نحن أخذنا بهما ، علماً بأنه لا مبرر بالمرة لاستبعادهما .. فهما لشخصين مختلفين تماماً فى السن ، والعقيدة ، والاتجاه السياسى .. ولكل منهما قيمته التى تجعلنا نعتد بشهادته باطمئنان – أنهما تشيران إلى :

١ – أن حريق القاهرة عملية مرسومة ومدبرة .. من قبل حدوثها .. والإعداد لها تم – بكل تفاصيله ، وبما فيها الحملة الإعلامية – قبل يوم ٢٦ يناير بوقت كاف ..

ونقطة التدبير المسبق للحريق على أى حال ثابتة وعليها عشرات الأدلة .. كما سبق أن بينا ..

---

(٢) راجع شهادة عبد الوهاب غنايم – الملاحق .

ولذلك ، فلن نعول كثيراً على مسألة التوقيت الذى ظهرت فيه هذه « الأفيشات » .. وسنترك هذه المسألة للزمن .. وظهور أدلة إضافية تؤكد أقوال الشاهدين .. رغم أننا نكرر أطمئناننا إليهما ..

٢ — أن النية مبيتة على إلصاق تهمة الحريق بالشيوعيين على وجه التحديد استباقاً للتحقيقات .. ودون أى سند من أى نوع كان .. مما يؤكد أنه اتهام سياسى . . الغرض منه ليس الإدانة القضائية ، وإنما التشهير . . والعزل السياسى ..

□ ونأتى للمسألة الثانية المتعلقة بهذه « الأفيشات » . . وهى : من الذى أصدرها . . أى صممها . . ونفذها . . وقام بتعليقها على الجدران ؟ .

لقد سألت عنها وزير الداخلية يوم الحريق . . والذى ظل بطبيعة الحال مشغولا طول عمره بكل ما يتصل بهذا الحادث لدوره الخاص فيه فؤاد سراج الدين ، فقال أنه لم يرها .. ولم يسمع عنها .. وبالتالى لا يعرف من الذى أصدرها . .

وكذلك قال اللواء مراد الخولى حكمدار العاصمة ..

ونفس الشيء أجاب به محمود البدينى محافظ القاهرة فى تلك الفترة ..

وعندما سألت اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى ، قال أنه سمع بها لأول مرة منى .. وأضاف أنه لا يعرف شيئاً عنها[١] .

---

(١) راجع شهادة فؤاد سراج الدين واللواء مراد الخولى ومحمود البدينى واللواء محمد ابراهيم امام — الملاحق .

وكان هذا يعنى أن جهاز الأمن المصرى (وزارة الداخلية ، ومصلحة الأمن العام ، والحكمدارية ، والمحافظة ، والبوليس السياسى) ليس له علاقة بهذه « الأفيشات » .. وأنها لم تصدر عنه ..

صحيح أن هذا فى حدذاته شيء يدعو للارتياب. إذ كيف تصدر «أفيشات» كبيرة .. ملونة .. تتعلق بحادث من أخطر الحوادث التى شهدها تاريخ مصر المعاصر كله.. وفيها اتهام محدد لاتجاه سياسى موجود فى البلد .. وتعلق على جدران العاصمة قبل أو بعد الحريق .. من وراء ظهر كل أجهزة الأمن ، التى لم تكن عينها تغفل عن أى نشاط فى أى مكان بالقطر .. بل وبدون أن تعلم هذه الأجهزة أصلا بها ..

وهو أمر يثير احتمالا ليس من المفروض استبعاده تماما . . وهو أن تكون هذه الأجهزة — أو بعضها — هى صانعة تلك « الأفيشات » .. أو على الأقل تعرف من هو صانعها.. لكنها فى كلتا الحالتين تنكرها حتى لاتتحمل مسئوليتها .. لعلمها أن ذلك جزء من عملية التضليل . . والتستر على الفاعل الحقيقى باظهار متهمين غير حقيقيين .. وتلفيق الإتهام لهم ..وهو احتمال يضع هذة الأجهزة — أو بعضها — فى دائرة التواطيء ..

ومع ذلك فلنسلم — ما دام ليس تحت أيدينا أى دليل مؤكد للاحتمال المشار إليه سابقاً — بإن جهة أخرى هى التى أصدرت هذه « الأفيشات » .

فمن تكون هذه الجهة ..

أجابنى على هذا السؤال اللواء محمد ابراهيم إمام . . قال : لابد أن تكون جهة صاحبة مصلحة فيما حدث .. تريد أن تبعد الشبهة عن نفسها :.. بالقائها على جهة أخرى .. لتضايل التحقيق ..

كلام معقول ..

لنحاول معرفة هذه الجهة من « البديل » الذى اختارته لنفسها .. والذى يهمها ضربه ..

الملك مثلا ..

أن الملك حدد ضحيته المختارة .. وركز عليها كل جهوده .. وهى حزب مصر الفتاة .. ورئيسه بالذات .. أحمد حسين ..

الانجليز ..

أنهم أيضا حددوا ضحيتهم بشكل لا لبس فيه : الحكومة الوفدية ... وبالذات وزيرى الداخليه والشئون الأجتماعية .. اللذان كانا وراء مقاومة البوليس المصرى . . وانسحاب العمال المصريين من المعسكرات . . و « الجمهور المصرى » الذى رصد رئيس تحريره مكافأة ألف جنيه لمن يقتل الجنرال أرسكين ..

من إذن الذى كان لا يرى خطراً فى العالم كله .. وفى مصر بالتالى .. إلا الخطر الشيوعى .. والذى كان يركز كل عداءة ومؤامراته ضد الشيوعية والشيوعيين ..

إنها أمريكا . .

ولعل هذا هو التفسير الوحيد لما جاء على لسان الدكتور محمد صلاح الدين وزير خارجية مصر فى ذلك الحين .. عندما قال وهو يدلل على أن أمريكا هى المتهم الأول بحرق القاهرة .. « أن أمريكا بادرت إلى إتهام الشيوعيين بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة .. فى محاولة منها لتصفية الحركة الشيوعية بمصر ..

ولم يعرف أنه جرت أى مبادرة لاتهام الشيوعيين .. إلا بهذه «الأفيشات» فضلا عن أن طريقة «الأفيشات» هى طريقة معتمدة ومعتادة بالنسبة للمخابرات المركزية الأمريكية .. يقول مايلزكوبلاند أنهم عندما تدخلوا فى الإنتخابات السورية سنة ١٩٤٧ لجأوا إلى « حملة قامت بها إحدى شركات البترول الأمريكية الحديثة » وذلك بلصق إعلانات ضخمة فى الأماكن العامة تحض السوريين على الأدلاء بأصواتهم واختيار المرشح الذى يريدونه لينعموا بالحرية بعد بضعة قرون من السيطرة الأجنبية . ومما أثار دهشة الشعب السورى أن تلك الدعايات لا تدعو إلى مرشح دون آخر .

الفصل الثالث

الملك .. والأجهزة !

الملك .. من الدفاع للهجوم !

ويجيء دور الملك ..

ماذا كان موقف فاروق من أحداث ٢٦ يناير ؟

حتى الآن لا تزال الآراء متفاوتة فى تحديد مركز الملك فى تلك الأحداث .

فهناك من يرى أنه من غير المعقول أن يقدم الملك على حرق عاصمة ملكه .. أو التواطؤ فى حرقها .. لأنه بذلك يهدد عرشه ..

ويضيف أصحاب هذا الرأى جانبا « عاطفياً » « إنسانياً » يعززون به استنكارهم لاشتراك فاروق فى حرق القاهرة .. فيقولون أن الملك كان مولود له ولى عهد .. ذكر .. بعد سنوات طويلة من الانتظار وخلفة البنات وكان ولى العهد الوليد لم يكمل عشرة أيام من عمره . وكانت أمه (الملكة ناريمان) لا تزال فى سريرها .. فكيف يقدم الملك على حرق البلد فى هذه الظروف .. ألا يخشى أن تمتد النار إلى القصر .. ألا يخشى على زوجته وابنه الرضيع .. ؟

ثم يقولون : كيف يدخل عقلكم أن يلجأ ملك إلى هذا الأسلوب الإجرامى . . مهما كانت الظروف السياسية التى تحيط به . . والنتائج التى يريد تحقيقها .. لا .. لا .. هذا غير معقول[1] !

ويبدو هذا الرأى منطقيا . فنادرة فعلا هى الحالات التى أقدم فيها ملك على حرق عاصمة ملكه . وفيما عدا ما صنعه نيرون بروما لايكاد التاريخ يذكر لنا حادثة جنونية مماثلة ..

وأيضاً يصعب تصور أن يشترك أب فى عمل يمكن أن يخامره التفكير لحظة واحدة فى أن إبنه يؤذى منه ..

لكن .. هناك تحفظان لابد من ذكرهما فى مواجهة هذين الدفعين ..

أولهما ، أنه بالنسبة للملوك ومن إليهم من الحكام الأوتوقراطيين .. خاصة إذا كانوا غرباء عن الشعب الذى يحكمونه كما كان الحال بالنسبة لفاروق .. وإذا كانوا يستندون إلى الاستعمار والقوى المعادية للحركة الوطنية .. هؤلاء الحكام لا يتورعون عن الإتيان بأى عمل ، مهما كان مشينا ، فى سبيل تحقيق مصالحهم الأنانية . لا يقلق ضميرهم لما قد تصيب « الوطن » .. ولا يكترثون بما قد يترتب على ما يفعلون من كوارث تقع على رأس « الأمة » أو « الشعب » . ذلك أن « الوطن » و « الشعب » و « الأمة » وما إلى ذلك من مصطلحات لا تعنى فى قواميسهم سوى شىء واحد هو العرش الذى يجلسون عليه .. والنفوذ الذى يتجه لهم .. والثروة التى يجلبها عليهم .. والتى تكون عادة على حساب الوطن ومن دم الأمة والشعب ..

---

(١) راجع شهادة حسن يوسف — الملاحق .

ولذلك ، فالقول بعدم معقولية أقدام فاروق — أو تواطئه — على حرق عاصمة بلاده .. لمجرد أن هذا عمل فظيع . يصعب تصوره . هو قول قابل للجدل .. والرد ..

فليس ببعيد جدا ذلك الحادث الإجرامى الذى أقدم عليه « شاور » و « ضرغام » — فى أواخر أيام الدولة الأيوبية — عندما قاما بحرق القاهرة .. لأنهما اختلفا فيما بينهما على من أولى بحكمها .. فلما لم يفلحا .. أنتقما منها ومن أهلها .. !

وقريب جداً ما فعله جد فاروق نفسه .. الخديو توفيق .. الذى تواطأ مع الانجليز على تدمير جيش مصر .. وفتح البلاد للأحتلال البريطانى مهدراً استقلال مصر الوطنى .. وجالبا البلاء على شعبها .. !

وكان فاروق نفسه قبيل حريق القاهرة قد أوصل البلاد بالفعل إلى الهاوية .ولم يكن ذلك رأى القوى الوطنية والتقدمية وحدها..ولكنه كان رأى أحزاب الأقليات أيضا (تمثل فى عريضة الباشوات المطالبة بتطهير القصر ووضع حد لمفاسد فاروق ورجاله[1] .

كما كان ذلك رأى الإنجليز .. والأمريكان ..

أما استبعاد أن يقدم الملك على عمل إجرامى غير شرعى لتحقيق أهدافه. بينما هو سيد البلاد .. .. وبيده سلطات واسعة .. وتحت أمره كل أجهزة الدولة الفعالة .. ومن ثم استبعاد اشتراكه فى حرق القاهرة .. فذلك أيضا يفتقد إلى الواقعية فى دراسة سلوك فاروق خلال سنين حكمه الأخيرة ..

فمن الثابت تاريخيا أن فاروق هو المسئول عن اغتيال الشيخ حسن البنا المرشد العام للاخوان المسلمين ..

ومن الثابت تاريخياً أيضا أنه المسئول أيضاً عن محاولتى اغتيال مصطفى

(١) عبد الرحمن الرافعى — مقدمات الثورة ، ص ٢٠٨ .

النحاس (باشا) رئيس الوفد المصرى ورئيس وزرائه .. عندما دفع عملاءه لإطلاق الرصاص من المدافع الرشاشة من سيارة مسرعة على مصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين .. وراح ضحية المحاولة خمسة قتلى من خفراء بيت النحاس . ثم عندما حاول نسف بيت النحاس بتفجير سيارة مليئة بالديناميت ..

ومن الثابت أخيراً أنه المسئول عن اغتيال الضابط الوطنى عبد القادر طه بعد حريق القاهرة[1] ..

هذا كله يعنى أن الملك ليس منزهاً عن اللجوء للجريمة .. لا نظرياً .. ولا عمليا ..

التحفظ الثانى يتعلق بالجانب الإنسانى .. حكاية الوليد الرضيع .. والملكة التى كانت لا تزال فى فراش الوضع .. وخشية الملك بصفته زوج وأب — على أهله ..

إن الذين يقولون ذلك يتغافلون — ويريدون منا أن نغفل — الظروف التى أحاط بها الملك نفسه فى ذلك اليوم .. يوم ٢٦ يناير ..

كان الجيش — بكل قياداته وضباطه — إلى جانبه داخل القصر ..

وكان البوليس يوجد بكثافته أمام أسوار القصر .. ورغم نقصه الشديد فى المدينة كلها !

من أين يخشى الملك أن يأتيه الخطر إذن ؟

---

(١) راجع شهادة محمود البدينى — الملاحق .

من الجماهير الشعبية العزلاء .. التى لا تملك سوى السير فى مظاهرات تهتف بأعلى الأصوات ..

وقد حدث أن اتجهت المظاهرات منذ الصباح إلى ميدان عابدين .. وكانت كلها تهتف مطالبة بالسلاح والثأر مما حدث لجنود بلوكات النظام فى الاسماعيلية .. ولم تحدث أى صدامات بها[1] .

أما فى آخر النهار .. عندما تحركت المظاهرة من دار رئاسة الوزراء واتجهت إلى عابدين .. وكان الحماس قد رفع من حرارة هتافاتها .. فهتف البعض بسقوط الملك .. عندئذ انطلق الرصاص فوراً[2] صحيح أنه أطلق فى الهواء .. لكن بالغزارة والقوة التى أشعرت المتظاهرين أن حياتهم تتعرض لخطر حقيقى .. فتفرقوا فى الحال .. !

وفى هذا ما يؤكد أن الملك فاروق كان يتصور أنه مؤمن تماماً هو وأسرته .. محتاطا لأى تطورات مفاجئة قد تأتى بها أحداث اليوم ..

وهو ما يسقط حجة خشيته من أن تمتد النار إلى سرير زوجته أو مهد ابنـــه . .

على أى حال .. ليس هذا هو المهم ..

المهم : هل كانت لفاروق مصلحة فى أحداث انقلاب سياسى فى البلاد أم لا ؟

□ □ □

---

(١) تحقيق خط سير المظاهرات ، أقوال القائمقام محمود الديب .
(٢) راجع شهادات رفعت الشهاوى ومحمد حلمى عبد الخالق — الملاحق .

بالفعل ، كان الملك فاروق صاحب مصلحة ملحة فى تغير الأوضاع التى أصبحت تسود مصر أواخر عام ١٩٥١ وأوائل عام ١٩٥٢ ..

كان قد ضاق ذرعا بحكومة النحاس ..

فهذه الحكومة جاءت إلى الحكم – أصلا – على غير رغبته .. وهناك رواية تقول أن الانجليز – والأمريكان أيضا – هم الذين ضغطوا عليه لكى يغير الحكم الاستبدادى لأحزاب الأقليات ..

ذلك الحكم الذى كان قد أصبح موضع كراهية الشعب .. وأصبح بذلك أعجز من أن يحقق أى استقرار سياسى أو علاقة ثابتة مع الإنجليز . وأن يمهد لقيام حكم نيابى يستند إلى الأغلبية الشعبية .. أى أن يتيح الفرصة لعودة الوفد حتى يمكن الدخول معه فى مفاوضات لا يرفضها الشعب . وأنه نفذ ذلك فعلا ..

بينما تقول رواية أخرى أن الملك كان قد رسم لأن تؤدى نتائج الانتخابات التى أجرتها وزارة حسين سرى (باشا) فى أواخر سنة ١٩٤٩ إلى عدم حصول أى حزب – بما فى ذلك الوفد – على أغلبية تسمح له بتكوين وزاره ينفرد بتشكيلها .. غير أن الانتخابات خيبت ظنه وجاءت الانتخابات بأغلبية وفدية ساحقة(١) ..

على أى حال ، فى كلتا الحالتين .. فرضت وزارة النحاس على الملك ..

لكن هذه الوزارة جلبت عليه وعلى النظام كله كوارث لم تكن متوقعة :

---

(١) الدكتور محمد حسين هيكل – مذكرات فى السياسة المصرية ، الجزء الثانى (عهد فاروق) القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٣٤٧ – ٣٥٠ .

فعلى الرغم من أنها – فى مجال القضية الوطنية – فاوضت الإنجليز ٠٠ واستطاعت أن تجلس على مائدة المفاوضات تسعة عشر شهرا كاملة ٠٠ وهو ما لم يكن بوسع أى حكومة أخرى أن تفعله ٠٠ إلا أنها لم تلبث أن قطعت المفاوضات ٠٠ وأعلنت القطيعة مع بريطانيا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ ٠٠ والسماح بحرب تحرير وطنية ضد قواتها .

وبذلك انتهت حكومة النحاس إلى عكس ما جىء بها من أجله . فبدلا من أن تحمل الجماهير الشعبية المصرية على قبول معاهدة جديدة تربط مصر بانجلترا .

إذا بها ترضخ للإرادة الشعبية .. وتستجيب لندائها بالتحرر الكامل من الاستعمار البريطانى ..

وكان مطلوباً من وزارة الوفد أن تخفف من الضغط الذى فرضته حكومات الأقليات فى السنوات السابقة .. لتمتص السخط الذى تراكم وتكثف فى صدر الشعب .. بإطلاق الحبل قليلا للجماهير ٠٠ بدلا من أن تنفجر فى ثورة عنيفة تؤدى بالنظام الاستعمارى الإقطاعى الملكى ٠

لكن حكومة الوفد تركت الحبل على الغارب للحركة الشعبية ٠٠ فسمحت بحرية الإجتماع ٠٠ وحرية الصحافة ٠٠ وحرية العمل لكل القوى السياسية ٠٠ فانتعشت الحركة الوطنية واتسع نطاقها ٠٠ وعمق مضمونها ليصبح نضالا حازما ضد الاستعمار والطبقات الرجعية التى تسانده فى الدخل ٠٠

وهكذا ارتفعت شعارات العدالة الاجتماعية ٠٠ وحقوق العمال والفلاحين وأصبحت الاشتراكية مطلبا جماهيريا عريضا .. وتؤدى بالجمهورية

بعد أن انتقد الملك بعنف .. بل ورفعت صوره من الحوائط .. وديست بالأقدام !

وبينما كان المفروض أن الوزارة الوفدية مطالبة بتعديل العلاقة فقط بين مصر والعالم الخارجي بأن تعيد تنظيم العلاقة مع بريطانيا .. بتخفيفها نسبياً مع ربط مصر بأمريكا أكثر تحت ستار الأحلاف المتعددة الأطراف .. أي بزيادة ربط مصر بعجلة المعسكر الامبريالي العالمي .

« إذا بحكومة الوفد تستجيب للحركة الوطنية ، وترفض الدخول في أي أحلاف استعمارية .. وترفض مشاركة الدول الاستعمارية (بالذات أمريكا) في أعمالها العدوانية في العالم كما حدث في الموقف من حرب كوريا بل إذا بها تبدأ العمل على كسر احتكار السلاح .. بالبحث عنه خارج مخازن الجيش البريطاني .. ثم خارج كل دول حلف الأطلنطي التي امتنعت — تحت الضغط الأنجلو أمريكي — عن بيع السلاح لمصر .. وتتفاوض للحصول عليه من تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية .. راسمة بذلك الطريق الذي ستكمل السير فيه بعد ذلك حكومة الثورة برياسة جمال عبد الناصر ..

وإذا بها توطد العلاقات مع الاتحاد السوفيتي والمعسكر الثالث ودول العالم الثالث ..

كل ذلك شكل وضعاً جديداً وخطيراً بالنسبة للملك .. كما بالنسبة للانجليز والأمريكان ..

وطبعاً حاول الملك، كما حاول الإنجليز والأمريكان، إيقاف هذه الموجة الخطرة ..

حاول بكل جهده أن يمنع حكومة النحاس من إلغاء المعاهدة . . وعندما أحس بجدية الحكومة فى السير فى هذا الاتجاه .. أرسل من مصيفه فى أوربا فى صيف ١٩٥١ أمراً إلى كبير أمنائه عبد اللطيف طلعت لكى يتصل برئيس الوزراء ويبلغه بعدم اتخاذ أى إجراءات بشأن إلغاء المعاهدة قبل عودة الملك من الخارج[1] .. .

ولما عاد من الخارج تعمد أن يمتنع عن مقابلة النحاس أياما طويلة .. بغرض إحراجه ودفعه إلى الاستقالة .. وكان متعمداً ذلك مع سبق التخطيط والتدبير .. بأن قال لحيدر (باشا) أنه سيفعل ما فعله .. وحدد له الأيام التى سيؤخر فيها لقاءه بالنحاس . غير أن حيدر نقل ذلك إلى عبد الفتاح حسن ، الذى نقله بدوره إلى النحاس .. فاستعد للمناورة ..

وعندما قابل الملك النحاس كان معداً له استفزازاً آخر .. فقد طلب منه إجراء تعديل وزارى .. يخرج بمقتضاه مصطفى نصرت وزير الحربية الذى كان يتجول فى أوربا على رأس بعثة عسكرية لشراء الأسلحة .. وعبد الفتاح الطويل وزير العدل والقطب الوفدى الكبير .. لكن هذه أيضاً فشلت لأن النحاس كان قد علم بها بنفس الطريقة السابقة .. وصمم على رفض استبعاد الوزيرين .. وفوت المناورة باجراء تعديل جزئى فى الوزارة لا يؤثر فى وضعها[2] ..

واضطر الملك ، إزاء الاجماع الشعبى ، وإجماع مجلس النواب والشيوخ على تأييد إلغاء المعاهدة .. إلى التصديق على مراسيم الإلغاء ..

---

(١) عبد الفتاح حسن ـ « ذكريات سياسية » دار الشعب ـ ديسمبر ١٩٧٤ : ص ٥٥

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٧ .

بعد أن أشار عليه نجيب الهلالى (باشا) بأن يتظاهر بالموافقه حتى يوقع النحاس فى شر أعماله .. متصوراً أن النحاس ما أقدم على الإلغاء إلا لإحراج الملك – أن يبادر إلى المرافعة ووضع النحاس فى مأزق من أقدم على اتخاذ قرار هو غير قادر على تبعاته(١) ..

لكن حركة الأحداث لم تجعل حكومة الوفد تتوقف عن حد إلغاء المعاهدة. استجابت لربقه الشباب الوطنى الذى بادر بالانخراط فى كتائب التحرير المسلحة فعززته بمساندة إيجابية تمثلت فى مده بالمال وبعض الأسلحة والذخائر والسماح لبعض ضباط الجيش والبوليس بالتطوع لتدريب الفدائيين ؛

وكان الملك قد حاول تكميم أفواه الحركة الشعبية .. وتقييد الديمقراطية وبالذات وضع حد للحرية الصحفية التى أصبحت تشكل خطراً يومياً على ذاته التى كانت مصونة لا تمس .. فأرغم الحكومة على تقديم ثلاثة تشريعات لتقييد الصحافة .. حملها عنها النائب الوفدى اسطفان باسيلى .. لكن الحركة الديمقراطية كلها .. وصحفى الوفد أنفسهم .. مارسوا ضغطا مضادا اضطر الحكومة لعدم السير فى هذا الإتجاه .. وانتهى الأمر بسحب اسطفان باسيلى للتشريعات .. وازدادت الصحافة تعبئة للرأى العام ضد النظام وضد الملك ..

ماذا يفعل الملك ؟

لقد استنفد جميع المناورات الممكنة من جانبه ..

وساندته كل أحزاب الأقليات فى محاولة مستميته لإضعاف مركز الحكومة الوفدية ..

---

(١) المصدر السابق : عبد الفتاح حسن « زكريات سياسية » دار الشعب ديسمبر ١٩٧٤ ، ص ٥٨ .

وشنت الصحف التى كانت تنطق باسمه وباسم حلفائه الإنجليز والأمريكان – صحف أخبار اليوم – أشرس حملة صحفية للتشهير بالوفد .. وبرئيسه مصطفى النحاس ..

لكن ذلك كله لم يجدهم شيئاً . لأن مركز الحكومة ازداد قوة بوقوفها على أرض وطنية صلبة .. ولأن الجماهير الشعبية .. والقوى الوطنية والتقدمية كلها وقفت إلى جانبها .. تنقدها وتعارض بعض مواقفها وتصرفاتها .. لكن تناضل ببسالة للمحافظة على استمرارها فى الحكم ..

وهكذا انتقل الملك إلى التآمر ..

وكانت البداية الصريحة لذلك ، تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى (٢٤ ديسمبر ١٩٥١) وعبد الفتاح عمرو مستشاراً بالقصر (٢٥ ديسمبر ١٩٥١) ..

وكان هذه هو التحدى بعينه . لا للوزارة التى فرض عليها رئيس ديوان لا ترضى عنه .. وإنما لمجموع الحركة الوطنية التى كان حافظ عفيفى وعبد الفتاح عمرو يمثلان بفكرهما وتاريخهما اتجاها معاديا تماما لنضالها ..

فحافظ عفيفى ارتبط لفترة طويلة من حياته بانجلترا .. وبعد إلغاء النحاس للمعاهدة كان هو السياسى الوحيد الذى أدلى بتصريح رسمى نشرته « الأهرام » يعلن فيه أنه ضد إلغاء المعاهدة .. وأنه يؤيد دخول مصر فى اتفاقيات الأحلاف مع الدول الغربية[1] !

(١) طارق البشرى ، الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ – ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٠ ، ص ٥١٤ .

أما عبد الفتاح عمرو فكان يعتبر سفيراً لبريطانيا فى مصر .. أكثر منه سفيراً لمصر فى بريطانيا .. لشدة ارتباطه ببريطانيا .

فاذا ما ارتبط تعيين هذين الشخصين فى القصر بما سبق أن ذكرناه من وجود مخطط بريطانى أمريكى .. للتطويح بالحكومة الوفدية خلال أسابيع (وهو ما نشر فى الصحف فى حينه .. وما تحقق فعلا وفى نفس التوقيت !) فانه يشير إشارة مؤكدة إلى تواطئ الملك فى هذا المخطط ..

وهو ما يلقى الشبهات حول الملك فى أحداث ٢٦ يناير ..

□ □ □

لكن البعض يستبعد العلاقة السببية بين التطويح بالوزارة الوفدية .. وبين الاضطرار لأحداث انقلاب سياسى .. بوسائل غير مشروعه وإجرامية ..

فعندما أشرت إلى احتمال أن يكون للملك دور فى حريق القاهرة . . فى مناقشة مع حسن يوسف (باشا) وكيل الديوان الملكى السابق.. ابتدرنى الرجل بسؤال .. قال : ولماذا يقدم الملك على مثل هذا العمل (حريق القاهرة) .

قلت : ليتخلص من حكومة الوفد ..

عاد يسأل : وهل كانت حكومة الوفد تحتاج لكل ذلك..لكى تخرج من الحكم

وأجاب حسن يوسف على سؤاله : إن الأمر لم يكن يحتاج لأكثر من أن ينادينى الملك ويطلب منى إبلاغ النحاس أنه أقاله .. ليجمع النحاس وزاره أوراقهم .. وينتهى الأمر ..

ولما بدا على استنكار ذلك التبسيط الشديد للامور.. قذف وكيل الديوان

الملكى فى وجهى بهذا « السر » الذى لا يعرفه إلا للقليلين .: قال : وما رأيك أن النحاس باشا كان قد تقدم باستقالة الوزارة من تلقاء نفسه .. ودون كل ما تتصوره .

سألته : هل كان ذلك بسبب محاولة الملك لتعديل الوزارة .. بإخراج مصطفى نصرت وعبدالفتاح الطويل .

قال : لا . أن ذلك كان فى الصيف ..

عدت أسأل : هل كانت رد فعل لتعيين حافظ عفيفى .

قال : لا . كانت قبل مجىء حافظ عفيفى . وبالتحديد يوم ٩ ديسمبر ..

سألته : وماسبب الاستقالة إذن .

قال : العجز عن الاستمرار فى تحمل المسئولية ..

وقد سألت فؤاد سراج الدين عن هذه الاستقالة .. فنفاها نفياً قطعياً .

وقال لى عبد الفتاح حسن أنه لم يسمع قط بخبر هذه الاستقالة .. واستنكر احتمال تقديمها .. حتى من جانب النحاس بصورة فردية .. أو شفوية .. أو فى حالة غضب .

ورجعت أحقق الواقعة مرة أخرى مع حسن يوسف . فقال أن الاستقالة لم تكن فى لحظة غضب .. ولم تكن شخصية من جانب النحاس . وإنما حدث أن النحاس استدعانى للقائه فى مجلس الوزراء ، فلما ذهبت إلى هناك وجدت النحاس .. والمجلس يستعد للانعقاد .. وقال لى النحاس : « أننا نقدم استقالتنا .. لأننا لانستطيع أن نعمل ، وبلغ ذلك لجلالة الملك والله يلطف بالبلاد .. »

وأضاف وكيل الديوان السابق أنه رفع الأمر للملك وفعلا .. لكن أمكن تسوية الأمور .. وانتهت الأزمة بدون استقالة الوزارة ..

وعلق حسن يوسف : لو كان الملك يريد طرد للوزارة .. ألم تكن هذه فرصة أمامه .. بدون مؤامرات أوماشابه ذلك .

لكن من الواضح أن الأمور لم تكن بالبساطة التى يصورها وكيل الديوان الملكى السابق .

فمن ناحية ، لم يكن سهلا على الملك أن يقبل حكومة النحاس فى الشهر الأخير من عام ١٩٥١ . بعد ماألغت المعاهدة .. وشرعت فى خوض المعركة ضد الاحتلال البريطانى .. واستقطبت كل العناصر السليمة فى الأمة إلى جانبها .. بما فى ذلك الطبقة العاملة والشباب وخاصة طلاب الجامعات .. وكل المهنيين والمثقفين الوطنيين .. وقطاعات من ضباط الجيش أيضاً ..

فلم تكن إقالة الحكومة الوفدية تعنى فى هذه الظروف أحداث تعديل وزارى .. وإنما توجيه ضربة إلى الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية .. التى كانت حكومة النحاس فى تلك اللحظة هى مركزها .. والحلقة الرئيسية التى تجمعها فى كفاحها ..

ولذلك ، كان طرد الحكومة فى الواقع لايمكن تفسيره إلا باعتباره طعناً لكفاح الشعب ..

وهو أمر لم يكن يجروء على الإقدام عليه .. حتى ذلك الحين .

وهذا هو التفسير الصحيح لعدم قبول الملك لاستقالة النحاس — مع افتراض أن هذه الاستقالة قدمت فعلا ..

كما يفسره أيضاً أن النحاس هو الذى كان يهاجم .. بينما كان الملك فى موقف الدفاع . فحسب رواية حسن يوسف فأن النحاس كان يحتج على مماطلة الملك فى التصديق على بعض المراسيم .. وأعتبر أن الملك بذلك يعرقل عمل الحكومة . أى يعرقل نضالها الوطنى الذى يحظى بتأييد الشعب وقذف فى وجهه بالاستقالة حتى يضيق عليه الخناق .. ويرغمه إما على مسايرة الحكومة .. أو كشف حقيقةموقفه الممالىء للمستعمرين أمام الشعب..

وقد اضطر الملك للانصياع .. فصدق – كما قال لى حسن يوسف – على المراسيم ..

شىء آخر .. فحتى ذلك الوقت – الثلث الأول من ديسمبر – يبدو أن خطة مواجهة الحكومة بعنف .. لم تكن قد اختمرت .. ونسفت بين الملك وأصدقائه (الإنجليز والأمريكان) .. على عكس ماسيحدث بعد ذلك بقليل ..

كما أنه كان فى القصر اتجاه ينصح بأن يبقى الملك على حكومة النحاس .. لاحباً فيها .. وإنما لكى تتحمل نتائج السياسة التى بدأتها .. وكان هذا الاتجاه يمثل حسن يوسف (باشا) ومحمد حيدر (باشا) .. أما عندما عين حافظ عفيفى فقد جاء باتجاه مختلف تماماً .. هو أن تذهب حكومة النحاس إلى الجحيم [1]

وقد قرر حافظ عفيفى ذلك عندما أدلى بشهادته أثناء محاكمة كريم ثابت أمام محكمة الثورة – فقد سألته المحكمة عن العلاقة بين الملك والحكومة الوفدية أثناء توليه رئاسة الديوان الملكى .. فقال أن الملك كان يتعجل التخلص

(١) راجع شهادة حسن يوسف – الملاحق .

من الحكومة .. وأنه – أى حافظ عفيفى – كان ينصحه بألا يفعل ذلك إلا بسبب قوى .. حتى حدث حريق القاهرة ..

والتقطت المحكمة الإجابة .. وراحت تحاصر بأسئلتها الشاهد .. تريد منه أن يحدد ماإذا كان القصر – مادام يبحث عن سبب قوى للتخلص من الحكومة – عمل على إيجاد هذا السبب .. أى صنع هو المؤامرة ..

عندئذ اضطر حافظ عفيفى لأن يسأل : هل تتهمنى المحكمة بحرق القاهرة . فقال رئيسها : لا .. نحن لانتهمك .. ولكن نريد أن نعرف من الذى أحرق القاهرة .

فقال حافظ عفيفى : قيل كلام كثير .. منه أن السفير البولونى كانت له يد فى الحوادث[1] .. !

من كل ذلك نستخلص :

أن الملك كان يريد التخلص من حكومة الوفد .. ليتخلص من كل الوضع الثورى الخطير فى البلاد .. والذى كان يهدد عرشه ونظامه كل لحظة ..

وأنه لم يكن يجرؤ على ذلك حتى الثلث الأول من ديسمبر ١٩٥١ ..

وأنه بمجىء حافظ عفيفى إلى القصر انتقل إلى مرحلة جديدة تماما فى العلاقة بالحكومة وبالحركة الوطنية الشعبية .. هى مرحلة التحدى والهجوم ..

وأنه فى ذلك كان يمشى فى نفس الإطار الذى تمشى فيه المؤامرة

---

(١) « المصرى » يناير ١٩٥٣ .

الاستعمارية الأمريكية البريطانية لتغيير الوضع فى البلاد توطئة لاستعادة النفوذ الاستعمارى فى مصر .. فى فترة لاتتجاوز ثلاثة أسابيع تبدأ بتعيين حافظ عفيفى فى القصر فى ٢٥ ديسمبر .. وهو مانشرته الصحف الاستعمارية . ونقلته عنها الصحف المصرية (الكاتب ، أخبار اليوم كما سبق أن ذكرنا فى فصل سابق) ..

وأنه كان — مع الإنجليز والأمريكان — يتحين السبب القوى الذى يتيح له تنفيذ خطته .. حتى جاء حريق القاهرة .. فكان هو ذلك السبب القوى ..

والسؤال بعد ذلك ، هو : أجاء هذا السبب القوى — حريق القاهرة — بناء على جهد من جانب الملك .. تمثل فى اشتراك فى إعداده .. بالمشاركة بأى دور فى أحداث يوم ٢٦ يناير .. مادام له كل هذه المصلحة فى إيجاده .. أم أنها مجرد « خبطة حظ » هبطت على الملك من السماء .. فجاءته بما يتمنى فى الوقت المحدد لتحقيق أمنيته وأمنية شركائه الإنجليز والأمريكان .. وبالصورة النموذجية التى تمكنه من التطويح بحكومة النحاس .. وضرب كل القوى الوطنية .. فى آن واحد ! .

لن نتعجل الإجابة ..

وإنما سنمضى لنرى كيف كان سلوك الملك يوم الأحداث الرهيبة ...

المآدبة الشريرة !

بينما كانت السنة النار ترتفع من معظم شوارع قلب العاصمة . .

وبينما كانت أعمدة الدخان الأسود الكثيف تلون سماء القاهرة بلونها القاتم المقبض . .

وبينما كانت الضجة والصخب تملأ أجواء البلاد . .

وبينما كان التوتر . . واضطراب الأعصاب . . يسيطران على كل إنسان فى مصر . . فضلا عن كل مسئول عن أمن وسلامة الوطن . .

كان الملك فاروق . . رأس الدولة المصرية . . والقائد الأعلى لقواتها المسلحة . . يقيم «عزومة» فاخرة .. ضيوفها هم أنفسهم ضباط جيش مصر .. وبوليس مصر .. حماة أمنها وسلامتها !

وكان ذلك أمرا غريبا بكل المقاييس .. لا تفسير له إلا أن يكون الملك مجنونا فقد كل إحساس بالمسئولية .. أو أن يكون ضالعا فى مؤامرة حريق القاهرة .. وأن هذه « العزومة » نفسها جزء من المؤامرة !

لكن البعض لا يرى ذلك ، ويبرر هذه « المائدة الملكية » .. بمبررات شتى .. فما هى الاتهامات الموجهة إلى المآدبة .. وما هى ردود المبررين ؟

□ الاتهام الأول : أنه لمن الأمور المثيرة للشك أن تتم هذه المآدبة . . وأن يكون ضيوفها هم رجال البوليس والجيش .. فى نفس اليوم الذى تقع فيه أخطر حوادث ضد أمن وسلامة البلاد .. المسئول عن حفظهما هؤلاء الرجال بالذات .. وأن يكون تواجدهم فيها .. والتزامهم ببروتوكولاتها الصارمة التى تمنعهم من أى حركة إلا بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم — سببا فى اتساع الجريمة واستفحال خطرها ..

رد الذين يطالبوننا بأن نحسن النية فى الملك .. بأن هذه مجرد صدفة .. فهذه المأدبة كانت محددة ومعلن عنها من قبل .وكان روادها أيضا معروفين وهم ضباط الجيش والبوليس وضباط الحاشية الملكية . فضلا عن أنها لم تكن المأدبة الوحيدة التى أقامها الملك فى تلك الفترة بمناسبة ميلاد ولى العهد. فقد سبقتها ثلاث موائد أخرى .. وكانت هى الرابعة ..

وقد راجعت ما نشر عن المآدبة الملكية ، واتضح أن القصر دعا إلى أربع موائد ملكية فعلا ، ونشرت الدعوة فى صحف ١٦ يناير . وكانت : مائدة للاسرة المالكة . وثانية لمجلس الوزراء ورئيس الشيوخ والنواب وكبار رجال القضاء وكبار الموظفين ورجال القصر . وثالثة لشيخ الأزهر وكبار العلماء وكبار رجال القضاء الشرعى وشيوخ المعاهد الدينية . ورابعة لضباط الجيش والبوليس والحاشية العسكرية من مختلف الرتب .

وعلى ذلك فسنساير المبررين للمآدبة فى هذه الحجة ، ونصدق أن المائدة لم تقم خصيصا فى ذلك اليوم مشاركة فى المؤامرة .. وأن اتمامها

كان استمرارا لاجراءات سابقة . . ولم يكن متوقعا أن يحدث ما حدث فى هذا اليوم بالذات . . أى أنها مجرد صدفه !

□ الاتهام الثانى : لماذا تكون المأدبة غداء . . يشغل الحاضرين فيها — وخصوصا وأن الحضور يكون ببدلة التشريفة — طول النهار ؟

لقد حدد للغذاء الساعة الواحدة والربع . وللحضور إلى القصر الملكى الساعة الثانية عشر أو الثانية عشر والربع . أى دخول باب القصر قبل الغذاء بساعة كاملة على الأقل . . فضلا عن الاستعداد للحضور باللبس الرسمى . . بما يقتضيه ذلك كله . .

ثم . . أليس من عجيب الصدف ألا يحدث أول حريق فى أحداث ذلك اليوم — وهو حريق كازينو أوپرا — إلا الساعة ١٢ر٢٧ . . وهو موعد مضمون فيه أن جميع ضباط الجيش والبوليس أصبحوا أسرى داخل القصر الملكى . . بينما المظاهرات تجوب الشوارع منذ السادسة صباحا ؟

ألا يلقى ذلك شبهة على الموعد الذى تحدد للمائدة الملكية فى ذلك اليوم ؟

ويرد المبررون على ذلك ببساطة : أبدا . الملك كان يفضل الغذاء على العشاء . وكل مأدبة كانت غداء . . بما فى ذلك المآدب الأربع الأخيرة بمناسبة ميلاد ولى العهد .

وقد لاحظت أن بيان القصر المنشور فى صحف ١٦ يناير ذكر بالفعل أن المآدب كلها كانت غداء .

وسنصدق المبررين مرة أخرى . . ونعتبر أن هذه كانت صدفة . . وأن كانت صدفة مثيرة !

□ الاتهام الثالث : أن هذه المائدة بالذات - مائدة يوم ٢٦ يناير - هى المائدة التى حدث تغيير فى تاريخ اقامتها . فوفقا لما نشر بالصحف يوم ١٦ يناير ، تقرر ن تكون المآدبة الأولى يوم السبت ١٩ يناير ، والثانية يوم الاثنين ٢١ يناير والثالثة يوم الاربعاء ٢٣ يناير . . والرابعة يوم الخميس ٢٤ يناير . .

وقد تمت جميع الموائد الثلاث فى المواعيد التى تحددت لها . . أما الرابعة . . فتأجلت إلى يوم السبت ٢٦ يناير . .

فلماذا حدث هذا التأجيل . . وهل لا يكشف ذلك عن محاولة التوفيق بين أطراف المؤامرة (الانجليز والأمريكان والملك) . . بحيث يوظف موعد هذه المأدبة بالذات (مأدبة ضباط الجيش والبوليس . . !) لخدمة ما سيتم تنفيذه يوم ٢٦ يناير ؟

وقد يرد المدافعون عن الملك ، بأن جلالته لم يحتمل عزومتين فى يومين متتاليتين . أو بأن القصر طلب فاصلا بين مأدبة يوم ٢٣ والمأدبة التالية لتستعد مطابخه بصورة أفضل . .

وأن كان هناك سببا أكثر أهمية . . ربما كان وراء تأخير موعد المأدبة الرابعة . فمن المعروف أن المدعوين من ضباط الجيش والبوليس كانوا كبار الضباط فقط أولا . . مع ضباط الحاشية الملكية العسكرية من مختلف الرتب . وقد وجهت الدعوات لكبار الضباط بالفعل بالموعد الذى

أعلن فى الصحف . . وهو الخميس ٢٤ يناير . لكن فجأة قرر الملك أن يدعى للمأدبة من الجيش جميع الضباط ، من مختلف ، فيما عدا الضباط النوبتجيون ٠ ٠ ومن البوليس من رتبة صاغ (رائد) فما فوق ٠ ٠ وقد أرسلت أشارات بالدعوات الجديدة قبل يوم ٢٦ يناير بيومين فقط . .

ولذلك ، «سنفوت» حجة تأخير موعد مأدبة الضباط من ٢٤ إلى ٢٦ يناير كان لأسباب فنية أو اجرائية ٠ ٠ وأن ذلك أيضا ليس إلا ٠ ٠ صدفة !

□ الاتهام الرابع : إذا كان توسيع الدعوة للضباط أمر يمكن فهمه بالنسبة للجيش ٠ ٠ فما السر فى توسيع الدعوة بالنسبة لضباط البوليس . . خاصة وأن حالة الأمن كانت قلقة طول شهر يناير ٠ ٠ ؟

وما تفسير دعوة كل قيادات بوليس مصر بكل فروعة : حكمدار بوليس القاهرة ووكلاءوه ومساعدوه فى الفرق ٠ ٠ وقائد المطافى ووكلاؤه ومساعدوه ٠ ٠ وقائد المرور ووكلاؤه ومساعدوه ٠ ٠ وقائد بلوكات النظام ووكلاؤه ومساعدوه ٠ ٠ وكل مأمورى أقسام بولس القاهرة ٠ ٠ بينما لم يكن يحضر الموائد الملكية قبل ذلك أى ضابط بوليس ٠ ٠ إلا للحراسة على باب القصر ٠ ٠

وما تفسير أن تضم مأدبة واحدة ٠ ٠ فى يوم متوتر كهذا ما بين ٥٠٠,٧٠٠ ضابط هم فى الواقع عصب السلطة الفعلية فى البلاد ٠ [1]

---

(١) جاء بأقوال اللواء على نجيب فى محضر التحقيق مع رجال الجيش الذى أجرى بمعرفة النائب العام أن عدد ضباط الجيش الذين حضروا المأدبة كان ٥٠٠ ، بينما قال الفريق عثمان المهدى رئيس هيئة الأركان أن عددهم كان ٧٠٠ .

أن المدافعين عن الملك يردون على هذا الاستفسار ، بأن ذلك فعلا شئ غير طبيعى .. لكن - يقولون - أنها أيضا المرة الأولى التى يولد فيها للملك ولى عهد .. وهو حدث غير عادى .. فلماذا تتصورون أن يكون احتفال الملك به عاديا ! .

وسنبتلع هذه أيضاً - مؤقتاً .

□ الإتهام الخامس : كيف يستمر الملك فى مراسم الاحتفال .. رغم معرفته قبل بدء المأدبة بليلة كاملة بما حدث فى الاسماعيلية من معركة استشهد فيها خمسون من جنود البوليس .. وأسر قرابة الألف .. ثم كيف يستمر مرة أخرى وتذر الأحداث تصل إلى اسماعه من الجماهير الغاضبة فى ميدان عابدين .. بل وبوادر الحرائق تحدث بالفعل .. قبل بدأ المأدبة بحوالى ثلاثة أرباع الساعة .

ألا يعنى ذلك أنه لا يعبأ بشعور الشعب .. وألا يعنى أنه أيضاً قد يكون على علم بكل ما يحدث .. ومصر على المضى فى طريق التآمر دون مداراه حتى لنواياه المعادية للوطن .

هنا يقول المدافعون عن الملك ، بارتياح شديد ، الحقيقة أن الملك قرر بالفعل إلغاء هذه المأدبة لما علم بالحالة فى البلد .. وأصدر أمره بذلك فى الساعة الواحدة إلا الربع . إلا أن كبير التشريفاتية عاد إليه وقال أن الإلغاء أصبح مستحيلا .. لأن الضباط تجمعوا فى القصر .. ولم يعد من اليسير إبلاغهم بالعدول عن « العزومة » .. فاستسلم الملك للامر الواقع .

وعلى الرغم من تحفظنا بالنسبة لمثل هذا « الأمر » وللمرة الخامسة ، سنسلم بسذاجتنا المعتادة - بأن الملك « أراد » إلغاء المأدبة .. ولكنه من باب

الذوق والأدب اضطر لعدم تنفيذ رغبته حتى لا يكسر بخاطر ضباط جيشه وبوليسه . .

□ □ □

طبعاً جميع تبريرات المدافعين عن الملك يمكن مناقشتها ودحضها على الأقل بسؤال بسيط هو : لماذا تحدث كل هذه الصدف فى يوم واحد .. يكون هو نفسه يوم حريق القاهرة .

قالوا بأن مأدبة الضباط كانت محددة الموعد من قبل .. وأنه لم يكن هناك مفر من إتمامها .. لأن الترتيبات كانت قد تمت .. والدعوات وجهت بحيث لم يعد بوسع الملك الالغاء ، « يصور هذه المأدبة كما لو كانت قدراً لا يمكن رده .. »

وهو تبرير سخيف جدا فى مثل هذه الظروف . .

فالملك بالفعل أجل موعد هذه المأدبة يومين . . ليدعو عددا أكبر من الضباط لحضورها . . فاذا كان مثل هذا السبب البسيط أدى إلى تعديل موعدها . . فلماذا لم تؤد أسباب أخرى أكبر وأخطر إلى تعديل آخر فى الموعد .

وليس بالضرورة أن يكون السبب هو وقوع حوادث يوم ٢٦ يناير نفسه . . فبالتأكيد ، وبأى مقياس من المقاييس ، فان مقتل خمسين من جنود البوليس ، وجرح ثمانين آخرين ، وأسر قرابة ألف جندى وضابط على رأسهم قائدهم وهو برتبة لواء . . هو سبب جوهرى . . وخطير . . يجعل أى مسئول فى الدولة التى ينتمى اليها هؤلاء الرجال يغير كل برامجه . . ويكف فورا عن أى مظهر للابتهاج أن لم يبادر إلى اعلان الحداد . .

وقد كانت أمام الملك الفرصة لأن يفكر مساء يوم الجمعة ٢٥ يناير فى الغاء المأدبة أو تأجيلها . . وكان ذلك سيجلب له احترام وتقدير ضباطه المدعوين قبل غيرهم . .

كما كان بوسعه إعلان بيان بذلك فى صحف صباح ٢٦ يناير . . أو بالراديو . . أو باشارات عاجلة . . أو حتى بمجرد وصول الضباط إلى القصر الساعة الثانية عشر . . فلم يكن ذلك ليغض من شأنه . . أو يحرج ضباطه الذين يفترض فيهم أنهم أول من يدرك مثل هذه الأمور . .

أما أن يفكر الملك فى الغاء المأدبة الساعة الواحدة إلا الربع . . بعد أن يكون الطعام الملكى قد وضع على الموائد . . وامتلات ساحة القصر وقاعاته بالضباط المبهورين بفخامة أثاث القصر وتحفه . . والذين نسوا فى هذا الجو أى شئ فى العالم إلا لحظة النعيم التى يعيشونها فى الحضرة الملكية . . فان هذا لايعدو أن يكون مجرد عمل شكلى . . ربما كان لذر الرماد فى العيون . . وليقال فيما بعد أن الملك كان قد قرر الغاء المأدبة . . ولكنه أضطر لسحب قراره . . حتى لا يحرج ضباطه !

الطريف أن الملك «أحس» فى مناسبة أخرى بأن واجبه يقتضيه التظاهر بمجاراة الشعور العام . . فقد طلعت الصحف الصادرة صباح ٧ فبراير ١٩٥٢ ببيان رسمى من القصر يقول :

« أمر حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم بمناسبة الحوادث التى لحقت بالقاهرة أخيراً والقنال من قبل (١) ألا تقام احتفالات فى عيد ميلاد جلالته .

كما أمر حفظه الله أن تصرف جميع المبالغ المقررة لتلك الاحتفالات على الفقراء من منكوبى الحوادث الأخيرة » . .

أى أن الملك كان بامكانه — وواجبه ولو بالتظاهر — أن يتنازل عن بعض مظاهر السرور والابتهاج . . لكن متى يحدث ذلك ؟ . . بعد أن « تخرب » « مالطة » !

. . شىء آخر . .

هل صحيح أن الملك عدل عن الغاء المأدبة حتى لا يحرج الضباط الذين تجمعوا فى القصر . . أم كان هناك سبب آخر . . أهم ؟

لنسمع إلى الملك نفسه وهو يرد على هذا السؤال . .

ففى المأدبة تكلم فاروق . . فماذا جاء « بنطقه الملكى الكريم » ؟

« ضباطى — فكرت اليوم فى الغاء هذه المأدبة بسبب الظروف الطارئة . ولكنى عدلت عن ذلك لما لكم فى نفسى من مكانة ولرغبتى فى أن أتحدث اليكم . ولم أجد مناسبة للاجتماع بكم والتحدث اليكم خيرا من مناسبة مولد أبنى ولى العهد . ويهمنى أن أوجه نظركم واهتمامكم لموضوع تدركون جميعا أهميته وفائدته فى النظام العسكرى وهو موضوع الضبط والربط الذى أود أن تعملوا جاهدين لتقويته والتشبث به . أننى أود أن يعرف كل ضابط واجبه نحو وطننا العزيز ويؤدى هذا الواجب كاملا غير منقوص .

أن البلاد تجتاز مرحلة دقيقة وقد تمر بها مرحلة أشد وأقسى فليذكر كل فرد منكم هذه الحقيقة ليكون مستعدا دائما لآداء واجبه عندما يدعى اليه .

أما ما يحدث اليوم فى البلاد من شغب فلا يفيد منه الا أعداء الوطن . ويجب أن تصدر جميع أعمالنا عن تدبر لاعن ارتجال فلكل شئ وقته ولكل عمل مناسبته . وعندما يطلب من أى ضابط أن يقوم بواجبه فأنا أعرف تماما شعوركم وأعلم أن كل ضابط يدخر جهده للوقت الذى يدعوه فيه داعى الوطن .

وهناك مسألة أخرى هى توافر الوئام، وتبادل المحبة بين جميع الضباط فيكونون قلبا واحدا وصفا واحدا قبلتهم جميعا مجد الوطن وسلامته . .

لقد افصح الملك بنفسه عن سبب تمسكه بالمأدبة . . وهو « رغبته فى التحدث إلى الضباط » . . «وتوجيه انظارهم إلى أهم موضوع يشغل باله فى تلك اللحظة وهو «موضوع الضبط والربط» . . وتعريفهم بواجبهم نحو الوطن « حتى يؤدونه غير منقوص» . .

إذن فقد آثر الملك أن يحتفظ بالضباط عنده . . ويمنعهم من آداء واجب حماية أمن وسلامة البلد . . الذى كان فى خطر حقيقى فى تلك اللحظات . . لكى ينبههم إلى الضبط والربط . . وعدم الاشتراك فى أى عمل سياسى . . لأن لكل ضابط واجبا سوف يؤديه نحو الوطن . أما ماهو هذا الواجب . . ومتى يؤدى أن لم يكن فى تلك الساعة الخطيرة . . فان ذلك ما يكشف حقيقة موقف الملك . .

فاحتراق عاصمة مصر . . وتعريض أمنها . . واقتصادها .. بل وحياة سكانها . . فضلا عن تشويه وجهها أمام العالم كله . . كل ذلك ليس هو الواجب المباشر للضباط الذين يتحدث اليهم الملك .. بما فيهم كل ضباط بوليس مصر !

المهم عند الملك طبعا هو إلا يشترك أى ضابط فى أى عمل سياسى .. وطنى . فهذه هى المسألة التى كانت تشغل بال فاروق .. خاصة بعد ظهور نشاط تنظيم الضباط الأحرار ..

ثم دعوة عاطفية للضباط لأن يوفروا الوئام بينهم وأن يكونوا صفا واحدا وقلبا واحدا . . أى أن يتناسى الضباط الوطنيون التناقض بينهم وبين القيادة الرجعية الفاسدة .. وأن ينصاعوا لأوامرها . .

وأن تكون قبلة الجميع مجد الوطن وسلامته . . أى مجد العرش وسلامته . . لأن مجد مصر وسلامتها كانا معرضين للخطر .. ومن الواضح أنهما لم يكونا قبلة الضباط الذين يستمعون إلى الملك . .

وقد افصح الملك مرة أخرى بعد ذلك عن «مهمة الضباط» الذين كانوا يستضيفهم فى المأدبة . . باعتبارها أحكام قبضته على البلاد . . ومساندة حكمه العرفى الاستبدادى المعادى للحركة الوطنية . . وذلك عندما أصدر نطقا ملكيا كريما آخر اذاعه الفريق عمر فتحى بالراديو يوم ٢٩ يناير . . أى بعد أن نفذت كل المؤامرة . . جاء فيه :

«ضباطى وجنود جيشى ـ أن ما أبديتم من وطنيه صادقة وروح عالية وتفان فى آداء الواجب قد كتب لكم صفحة جديدة من صفحات الفخار التى يزخر بها تاريخ

جيشنا المجيد . وإنى لا سجل لكم ذلك مشيدا بأنكم قد استجبتم لتوجيهاتى وحققتم الأمل المعقود عليكم واستحققتم الثقة الموضوعة فيكم فكسبتم للجيش تقدير الوطن ، أنى لفخور بكم شاكر لكم» . .

ولا يبقى للمدافعين عن الملك إلا حجة أن مأدبة يوم ٢٦ يناير ، كانت المأدبة الرابعة من برنامج الاحتفال بميلاد ولى العهد . . وأنها كانت غداء ككل الموائد السابقة عليها . . أى أنه يسرى عليها ما يسرى على كل البرنامج . . لا تشذ عنه فى شئ . . فلماذا الشك فى هذه المأدبة بالذات ؟

وهو أيضا قول مردود . لأنه ـ أصلا ـ ليس هناك أى سبب يدعونا لأن نحسن الظن فى البرنامج كله .

فأن يولد للملك ولى عهد هذا لا يبرر أنه صار ملكا طيبا ، حلت عقدته بميلاد ابن ذكر له . . فيكف عن التآمر . . والتعاون مع المستعمرين لضرب الحركة الوطنية الديمقراطية فى البلاد . بل أن المنطقى أكثر أن يدعوه ذلك للتشبث بالعرش عن ذى قبل . . والسير فى سبيل مقاومته وزعزعة مكانته إلى آخر الشوط . .

وعلى ذلك عشرات الأدلة القاطعه . . ابتداء من كل المناورات والمؤامرات التى سبق ذكرها . . إلى تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة الجديدة بينما الوزارة الوفدية لا تزال موجودة لم تستقل أو تقل بعد . . ثم سلوكه المتسلط والمستخف بكل شئ فى الفترة التالية للحريق على نحو ما أفاض فيه كل مؤرخى أواخر ايامه . .

ومن هنا فليس من المستبعد احتمال أن يكون كل برنامج الاحتفال

بميلاد ولى العهد ، وهو كله ، منذ الإعلان عنه حتى تمامه ، يقع فى الفترة من ١٦ إلى ٢٦ يناير . . أى عشرة أيام فقط ولا يفصل بين أول مأدبة فيه وآخر مأدبة سوى أسبوع واحد .. وهى مدة تقع بالتأكيد داخل النطاق الزمنى للمؤامرة التى كانت ترسم فى ذلك الوقت . . والتى نفذت فعليا يوم ٢٦ يناير ظهر . .

ليس مستبعدا أبدا أن يكون تحديد أيام الموائد . . واختيار الغذاء بالذات فيها جميعا . . وترتيب المدعوين . . وأعدادهم . . بحيث تأتى مأدبة يوم السبت ٢٦ يناير استمرارا عاديا للأدب سابقة . . وأن لا تنفرد بموعد الغذاء لتتم الجريمة أثناء مدها . . وتبدو هذه مجرد صدفة لا دخل لأحد فيها . . وأن يكون المدعوين فى هذا اليوم وهذا الوقت هم رجال الجيش والبوليس . . فتكتمل الصدفة المثيرة . . ببساطة شديدة .

أى . . أن تكون كل الحكاية جزءا من الخطة . . وأن يكون الملك بذلك شريكا فى العملية . .

أو — مع فرض أن الملك لم يكن شريكا — أن يكون مخططو العملية قد وضعو برنامج احتفالات الملك ضمن مخططهم . . لأن هذا البرنامج فى التحليل النهائى مثل جانبا خطيرا فى عوامل نجاح المؤامرة . . بل إنه من الصحيح تماما القول بأنه بدون هذا الجانب لم يكن ليكتب للمؤامرة أى قسط من النجاح .

□ □ □

مرة أخرى . . سنترك كل ما تقدم جانبا . . وسنعتبر سلوكه العملى وحده هو محك تقييم موقفه فى ذلك اليوم .

فكيف تصرف الملك عمليا .. وما دلالة تصرفه ؟

لقد عرف الملك بما حدث فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير .. ولم يفكر فى تعديل برامجه فى اليوم التالى .. ليكن ..

وعرف أن البلد باتت تغلى .. وأصبحت تتظاهر منذ الصباح الباكر .. وبالتأكيد سمع هتافاتها وهو بالقصر عندما أمتلا بها ميدان عابدين منذ التاسعة صباحا .. ولم يجعله ذلك يغير شيئا من ترتيبات اليوم .. ليكن .

وبالتأكيد بلغه أنه — ولأول مرة فى تاريخ مصر — خرج جنود من بوليس البلاد فى مظاهرة تسير فى الشوارع .. يحملون أسلحتهم فى أيديهم . ولم ير فى ذلك شيئا خطيرا .. ليكن ..

وأبلغ بأن ما يحدث بالبلد صار « شغبا » .. بعد أن بدأت الحرائق .. وفكر فى إلغاء الحفلة .. لكنه عدل عن الالغاء .. لأن الضباط كانوا قد وصلوا .. ليكن ..

حتى هنا كان يمكن أن نمشى مع المدافعين عن الملك .. لا نسىء الظن بكل ما أحاط بتلك المأدبة . . لكن على أن يتصرف الملك فيما تبقى من فرصة بصورة تنم عن أى قدر من الإحساس بالخطر . . والرغبة فى مقاومته .

فماذا فعل الملك ؟

إبتداء من الساعة الوحدة إلا الربع ، عندما قرر إلغاء المأدبة ثم عدل ، وهو الوقت الذى استشعر فيه بأن الموقف خطير لم يفعل الملك أى شىء سوى الاستمرار فى انتظار مراسم المأدبة . . وأضاع بذلك ثلاثة أرباع ساعة .

لم يقدم فيها أى عون للحكومة ». ولو حتى بالأذن لبعض ضباط البوليس الحاضرين بالانصرف لأن حالة الأمن قد تكون فى حاجة إليهم .

فى الساعة الواحدة والربع – وكما هو مقرر فى البرنامج قبل أن تقع أى حوادث – بدأت المراسم :

حضر جلالة الملك إلى القاعة التى تجمع بها الضباط . .

صدحت الموسيقى بالسلام الملكى والجميع وقوف يؤدون التحية للملك

قدم الفريق محمد حيدر بوصفه القائد العام للقوات المسلحة كبار المدعوين من الضباط إلى الملك .. الذى صافحهم واحدا واحدا باليد..وكان عددهم ١٠٤ ضابط .

توجه الضباط إلى المائدة وجلس كل منهم فى مكانه ..

حضر الملك بعد أن جلس الجميع فى أماكنهم ، وكان قد غادر القاعة إلى قاعة أخرى بعد أن سلم على كل كبار الضباط ..

بدأ تناول الغذاء ..

ثم الحلوى ..

ثم مر أحد الشماشرجية يحمل ولى العهد الرضيع .. ويمر به على الموائد . ليراه الضباط .. وكان الملك قد أعلن أنه يهدى ابنه .. أعز ما يملك .. إلى الجيش .. تقديرا منه لجيش مصر ..

وأخيراً ألقى الملك بالنطق الكريم الذى سبق أن أوردناه .. وصفق الضباط بحرارة .

وانتهت المـائدة بنفس الصورة التى كانت مقررة لها . . الساعة الثانية والنصف [1] .

وكأن شيئا لم يحدث — ولا يزال يحدث — فى القاهرة .

ثم بعد كل شىء . . « عرضت عناصر الموقف على جلالته » من حافظ عفيفى وحيدر . . فأذن « بنزول الجيش . . فى الساعة الثالثة إلا الربع [2] » .

كيف يمكن تقييم هذا السلوك من ملك تحترق عاصمة ملكه ؟

ألم يرتكب جريمة حجب السلطة تماما ممثلة فى أجهزة الردع فيها — الجيش والبوليس — وفى وقت كانت فيه البلاد أحوج ما تكون لأن تظهر هذه السلطة كأقوى ما تـكون . . لتواجه الجريمة . . وتمنع استفحالها ؟

ألم يتسبب عمليا ، بالإستمرار فى المأدبة الملكية ، فى شل يد الحكومة شلا كاملا . . بحرمانها من كل قيادات البوليس — ٥٠ ضابطا ، بينهم كل الرئاسات العليا وكل مأمورى أقسام القاهرة — واضعا اياها فى مركز العاجز أمام المخربين ؟

ألم يقف هو نفسه . . وهو ملك البلاد ، موقفاً سلبيا تماماً . . فلم يطلب من الحكومة أو الجيش القيام بعمل ما لمنع الكارثة ؟

ما تفسير ذلك كله ؟

أهو تقصير . . ؟

---

(١) أقوال اللواء وحيد شوقى ، والفريق محمد حيدر ، التحقيق مع رجال الجيش . .

(٢) تقرير النائب .

قد يقول البعض أنه الملك . وأنه وفقا للدستور يملك ولا يحكم . وأن المسئولية هى مسئولية الحكومة ..

لكن هذا الدفع لا يصلح عندما يكون الكلام عن الملك المصرى فى ظل دستور ١٩٢٣ والملك فاروق بشكل خاص ، الذى كان يملك صلاحيات دستورية واسعة ويتجاوزها أيضا بالتدخل فى كل صغيرة وكبيرة .. والذى كان يسيطر بلا منازع على الجيش .. وعلى الأقسام الرئيسية الفعالة فى البوليس . .

إنما السؤال هو : هل أدى موقف الملك يوم ٢٦ يناير إلى مضاعفة الكارثة . . أم لا .

لقد تعرض تقرير النائب العام للمأدبة الملكية . ولام ضباط البوليس الذين مضوا هذا الوقت الخطير من ظهر يوم ٢٦ يناير فى المأدبة .. دون أن يعتذروا — كما فعل الحكمدار — ويقوموا بواجبهم فى صيانة الأمن .. وحملهم مسئولية التقصير فى أداء واجب عملهم لاستمرارهم فى حضور المأدبة حتى نهايتها . .

وكان هذا الموقف من النائب العام مما يصدق عليه المثل الشعبى : «ترك الحمار . . وتشطر على البردعة» . فما كان من المعقول والسليم أن يعد حاضروا المأدبة من الضباط الذين يعتبرون دعوة الملك لهم تشريفا . . وأمرا ساميا .. حتى أن كبارهم عندما خرجوا — كالحكمدار مثلا — لم يجرؤ على أن يصدر أمرا لأى ضابط أو مأمور بالخروج من الحضرة الملكية — وقبل حضور الملك نفسه — لأن ذلك كان يمكن أن يعرضه لعقاب صارم .. نقول ما كان من المعقول والسليم أن يعتبر الضباط

مقصرون . بينما يعتبر الداعي للمأدبة .. والتحكم الوحيد في حضورها والأنصراف منها .. والذي كان على علم بما حدث ويحدث في البلد . . غير مقصر !

على أن السؤال الأهم هو : هل يعتبر الملك ، الذي كان على علم بما يحدث . . ومع ذلك ، حال دون انقاذ البلد . . بل وتعمد تأخير أي عملية انقاذ . . هل يعتبر رغم ذلك . . مجرد مقصر ! ؟

أم أن سلوكه يضعه في مستوى الشريك في المؤامرة .. الضالع في تنفيذها ؟

أن البعض يرى أن الأرجح أن يكون مدبرو ومنفذو حريق القاهرة هم الأنجليز . . أو (الأمريكان) .. أو الإنجليز (والأمريكان) معا . . وأن فاروقا كان خارج دائرة التخطيط والتدبير . .

لكن – يضيف أصحاب هذا الرأي – ربما وجدها الملك فرصة سانحة . . فاستغلها .. للتطويح بحكومة الوفد .. باظهارها في صورة العاجز عن حفظ الأمن ..

هنا .. لابد من سؤال : كيف استطاع الملك أن يظهر الحكومة في صورة العاجز ؟

لا نعتقد أنه استطاع ذلك إلا بحجز ضباط البوليس في قصره من أول النهار حتى الساعة الثالثة على الأقل .. ثم بتأخير نزول الجيش .. بتعطيل ضباطه وقياداته أيضا حتى تلك الساعة في المأدبة . .

وهل يعتبر ذلك .. حتى في هذه الحدود . . شيئاً آخر غير التواطؤ

الفعلى مع مدبرى حريق القاهرة .. وتعطيلا متعمدا لأجهزة الأمن المسئولة عن آداء مهمتها . . ؟

فاذا ما ترتب على حريق القاهرة كل ما أصاب البلد من خراب . . وخسائر مالية .. ونكسة سياسية . . فأى جريمة خطيرة يكون قد ارتكبها فاروق فى ذلك اليوم ؟

وأى تبرير يستطيع أن يبرئه من هذه الجريمة ؟

البوليس السياسي .. يلعب !

على أننا لن نستطيع تقييم دور الملك فى أحداث ٢٦ يناير .. دون أن نلقى الضوء على الأدوار التى لعبتها السلطة التى كانت تخضع مباشرة لنفوذ الملك .. وهى : البوليس ، والجيش ، والنيابة ، وقطاع مؤثر من الصحافة..

فماذا كان سلوك كل من هذه الأجهزة إزاء هذا الحدث الخطير ؟

□ □ □

البوليس ..

من المعروف أن وزارة الداخلية كانت محل صراع عنيف بين قوى السلطة القائمة قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . كان للانجليز نفوذ كبير فيها ..وكذلك الملك . أما الحكومة (الوزارة) فأن علاقتها بالداخلية كانت تتوقف على أى الأحزاب هو الذى يشكلها .. ومانوع العلاقة بين هذا الحزب وبين الإنجليز من ناحيه والقصر من ناحية أخرى ..

ولايزال من عاصروا تلك الفترة من حياة مصر يذكرون الاختلاف

الواضح فى وزارة الداخلية خلال فترات حكم أحزاب الأقليات ٠٠وخلال فترات حكم الوفد .

فى فترات حكم أحزاب الأقليات كان الانسجام يبدو بقوة .. حيث تكون السياسة العامة مماثلة للاستعمار البريطانى ٠٠ ويكون الملك متحكماً فى الدولة بصورة مطلقة ٠٠ والعدو الرئيسى للجميع هو الجماهير الشعبية والأحزاب الوطنية ٠٠ ومنها الوفد ٠ فتنطلق أجهزة الداخلية فى عملها المفضل : المراقبة الصارمة ٠٠ والاعتقالات٠٠والتعذيب٠٠والتلفيق الخ ..

ومع الزمن الطويل ٠٠ وطغيان فترات الانقلابات الدستورية ٠٠ وهيمنة الانجليز والملك ٠٠ وأحزاب الأقليات ٠٠ تشكل معظم العاملين فى وزارة الداخلية المصرية ٠٠ وتكونت مفاهيم عن الأمن ٠٠ بوصفه أمن النظام الملكى المتعاون مع الإنجليز ٠٠ فى مواجهة الشعب .

أما عندما كان يجئ الوفد إلى الحكم ٠٠ فان جهاز الدولة كان يصاب بحالة فصام ..

كان هذا الحزب يصل عادة إلى الحكم رغم أنف الملك والإنجليز ٠٠ وحتى لو جاءوا هم به – كما حدث فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠٠ أو كما حدث فى يناير ١٩٥٠ – فان ذلك كان يتم لأنهم مضطرون إلى ذلك ٠

وكان الوفد يجيء نتيجة للانتخابات ٠٠ وبوصفه ممثلاللأغلبيةالساحقة من الناخبين . ولذلك فكان مجيئه دائماً مرتبطاً بإطلاق حركة الجماهير وازدهار الديمقراطية ٠٠

وفى الجو الذى يسود البلاد فى ظل حكم الوفد ٠٠ لم يكن لسياسة الاعتقال ٠٠ والملاحقة ٠٠والرقابة ٠٠ والتعذيب الخ ٠٠ مكان يذكر ٠٠

وبالتالى ، كان دور أجهزة الداخلية - خاصة الأجهزة السياسية - يتقلص بصورة كبيرة .

فضلا عن أن هذا الجو نفسه كان يشكل شيئاً غير مرغوب فيه من جانب الإنجليز والملك .. وبالتالى من جانب الأجهزة التى كانت تحمل نفس وجهة نظرهم لأحوال البلد ..

هذا إلى جانب أن فترات الديمقراطية التى كان يتيحها الوفد كانت تتحول عادة إلى فترات محاكمات لأجهزة الداخلية فى فترات حكم الأقليات المطلق .. ففيها كانت تكشف الجرائم التى ارتكبتها السلطات ضد السياسيين وضد الحريات العامة والشخصية . وقد كانت الفترة الأخيرة التى حكم فيها الوفد من أكثر هذه الفترات التى شهدت نفح جرائم البوليس السياسى فى تعذيب الإخوان المسلمين والشيوعيين (العسكرى الإسود .. وخلافه) وكان ذلك يجعل هذه الأجهزة تطوى صدورها على حقد شديد تجاه هذه الفترات .. وتجاه حكومة الوفد ..

كل ذلك كان يجعل السلطة المصرية فى تلك الفترات فى وضع غير منسجم .. وعادة ماكان الصراع المرير الدائم بين الإنجليز والملك من ناحية .. وبين حكومة الوفد والجماهير من ناحية أخرى .. ينتقل إلى العلاقة بين تلك الحكومة وبين أجهزة وزارة الداخلية التى كانت تعمل فى هذه الحالة كطابور خامس لصالح الإنجليز والملك .. ضد الحكومة .. ووزير الداخلية ..

هذه مقدمة ضرورية لفهم سلوك البوليس - أى الداخلية - إزاء أحداث ٢٦ يناير ..

* * *

كان يفترض أن تكون الأجهزة السياسية بوزارة الداخلية هى الأجهزة البارزة فى ذلك الظرف .. باعتبار أن حريق القاهرة هى أولا وأخيرا جريمة سياسية ..

وكان يوجد فى ذلك الحين جهازان ينطبق عليها هذا الوصف : **القلم « المخصوص » ، « البوليس السياسى »** ..

وكانت مهمة القلم المخصوص كما حددها رئيسه فى أقواله أمام النائب العام – والتى سبقت الإشارة إليها – هى « مقاومة المبادىء الهدامة بالبحث عن الأوكار الشيوعية والخلايا وما تصدره من منشورات ، وكذلك نشاط الهيئات الأخرى كالاشتراكيين وأنصار السلام ونشاط الطلبة الضار بالأمن العام » ..

أما البوليس السياسى فكان مجال نشاطه أوسع من ذلك بكثير .. فقد كان يغطى كل الحياة السياسية فى البلاد : مراقبة كل الأحزاب السياسية فى مصر .. بما فيها الحزب الحاكم نفسه !

وكان هذا الجهازان كما سبق أن قلنا يعملان مباشرة مع القصر .. كما كانا ينسقان بصورة كاملة مع المخابرات البريطانية ..

وكان على رأسها ضابطين من أخطر وأذكى ضباط البوليس المصرى اللواء عمر حسن .. الذى عمل فى القسم المخصوص منذ سنة ١٩٢٩ .. وظل برأسه من سنة ١٩٤٧ حتى يوليو ١٩٥٢ .. واللواء محمد ابراهيم إمام .. الرجل يشهد بكفاءته وتفانيه فى عمله .. أعداءه قبل أصدقائه ..

هذان الرجلان ، وخاصة اللواء إمام ، من المعروف أنهما كانا:

يعرفان عن كل مشتغل بالسياسة فى ذلك الحين مالايعرفه هو عن نفسه .. وكانت عيونهما مفتوحة على كل شق فى مصر من أقصاها إلى أقصاها .. وبصورة أدق طبعاً فى القاهرة .. حيث النشاط السياسى متركز .. وحيث حماية ولى النعم ونظامه هى الهدف الأسمى ..

ماذا كان حال هذين الرجلين •• وجهازيهما الخطيرين •• عندما وقعت جريمة كبرى •• هى من صميم اختصاصهما دون أى أشخاص آخرين ؟

أولهما — اللواء عمر حسن — أعلن أمام النائب العام ؛ يوم ١٢ فبراير ، أنه لم يتوقع حصول شيء فى يوم ٢٦ يناير بالذات •• وبديهى أنه لم يمد المسئولين بأى معلومات عن الحوادث فقد اختفى من الصورة تماماً •• ولم يظهر لقسمه أى أثر إطلاقاً !

وأما الثانى اللواء محمد ابراهيم إمام — فإنه أيضاً لم يقدم أى معلومات إلى وزير الداخلية تكشف عن احتمال حدوث أى شيء .. من جانب أى جهة سياسية .. قبل يوم ٢٦ يناير ..

لكنه عندما أدلى بأقواله أمام النائب العام ، يوم ١٢ فبراير أيضاً — قال أن الوزير (فؤاد سراج الدين) سأله — فى مكتب حافظ عفيفى — عن القائمين بهذا الحريق — فى نفس يوم ٢٦ يناير — فقال له أنهم الاشتراكيون والشيوعيون ..

وقد نفى لى فؤاد سراج الدين هذا الحديث أصلا .. كما نفى أن اللواء إمام اتصل به فى أى وقت من يوم ٢٦ يناير •• لأى سبب من الأسباب •• [1]

---

(١) راجع شهادة فؤاد سراج الدين — الملاحق

كما نفى لى اللواء إمام نفسه أنه كان للشيوعيين أى دور فى حوادث ذلك اليوم — وأن كان بقى على اتهامه للاشتراكيين (١) — مما يشير إلى أن اتهام اللواء إمام لم يكن مبنياً على معلومات محددة .. بقدر ما كان كلاماً ارتجالياً أو شيئا اخر ستتبينه بعد قليل ..

وماذا كان سلوك اللواء إمام يوم الأحداث ذاته ؟

لقد أثارت تصرفات رئيس البوليس السياسى شكوكا كثيرة :

فوزير الداخلية استراب فيه .. وسجل ذلك فى وقائع محددة بأوراق تحقيق النائب العام ، قال :

أنه — اللواء إمام — أصدر أمراً إلى مساعدى الحكمدار ومفتشى البوليس فى صباح يوم الحوادث بعدم تفريق المظاهرات مخالفا بذلك التعليمات الصريحة الواضحة التى أشرت إليها. فقد علمت أن الحكمدار مراد بك الخولى كان قادما حوالى الساعة ١١ صباحا من شارع إبراهيم باشا فرأى مظاهرة تسير والبوليس لا يفرقها فدهش للامر حيث أن التعليمات تقضى بالتفريق فسأل الحكمدار مساعده صادق لمعى بك عن سبب عدم تفريق المظاهرات فى ذلك اليوم كما علمت من المحافظ بالنيابة بعد الحوادث أن عبدالعزيز بك على مفتش فرقة ب أخبره أنه رأى ميدان عابدين ممتلئا بالمظاهرات ولما أراد تفريقهم قيل له أن امام بك أمر

(١) راجع شهادة اللواء محمد ابراهيم إمام - الملاحق

بعدم تفريق المظاهرات . كما قدمت إلى مذكرة من زكريا أفندى راشد عما شاهده من أن حوادث ذلك اليوم تنطق بوضوح بالموقف المزرى المريب الذى اتخذه إمام بك فى ذلك اليوم وإنى أقدم هذه المذكرة لسعادتكم . يضاف إلى ذلك أنه يعلم تماما وشخصيا أنه دائم الاتصال بى مباشرة ليلا ونهاراً بتعليماتى المشددة بمنع المظاهرات وبتفريقها بالقوة ولو استدعى الأمر إطلاق النار فى المليان وقد تنفذ ذلك فعلا فى مظاهرات الطلبة بمدارس عمرو بن العاص وفاروق بالعباسية والحسينية منذ أيام قليلة سابقة ، وأطلق البوليس النار تنفيذاً لهذه التعليمات الصريحة وتوفى إثنان من الطلبة ، وشتان بين تلك المظاهرات وحوادث يوم ٢٦ يناير ومظاهراتها . كما أنه يعرف أن قبل مظاهرات تلك المدارس استدعيته هو شخصيا والحكمدار إلى مكتبى بالوزارة ذات مساء ولمتهما بشدة متناهية لتهاونهما فى تفريق مظاهرات سابقه كانت خطورتها وخطورة الظروف التى وقعت فيها لا تقارن بمظاهرات يوم ٢٦ يناير من حيث الخطورة أو الظروف ، وقد حضر بالصدفة معالى حيدر باشا هذه المقابلة التى تمت بمكتبى ووجه إليهما النصح بضرورة تنفيذ تعليماتى بفض المظاهرات . كما أنه يعرف أيضا أنى بعد هذه المقابلة التى حضرها حيدر باشا استدعيتهماهو والحكمدار وكنت هممت باصدار

أمر بايقافهما عن العمل لسماحهما ببعض المظاهرات ولولا تدخل بدوى خليفة باشا وحسين بك صبحى مدير الأمن العام ورجاؤهما لأصدرت أمر الإيقاف وقد ترتب على غضبى عليهما فى ذلك اليوم أن عقد الحكمدار اجتماع ١٧ يناير ١٩٥٢ وحضره أمام بك وصدرت فيه هذه التعليمات المشددة التى تقضى بتفريق المظاهرات العدائية وغيرها من المظاهرات على اختلاف أنواعها بالقوة دون تفريق بين المظاهرات العدائية وغيرها من المظاهرات ، فمن الغريب أنه رغم هذا كله وبعد أن يعرف بتمرد جنود البلوكات وضابطهم وبعد أن يراهم بعينيه مشتركين فى ميدان عابدين وأمام كازينو أوبرا من الغريب أنه على الأقل بعد أن اتضحت له هذه الظروف الخطيرة لايعدل عن الأمر الذى أصدره فى الصباح فيأمر بفض المظاهرات وإطلاق النار فى المليان ٠ وليس له أن يبدئ بإصدار هذا الأمر أو أن البوليس أطلق ناراً فى المليان بدليل عدم وجود إصابات تذكر من القتلى ٠ يضاف إلى هذا أن الحالة كانت معلنة طوارىء منذ فجر اليوم ، وحقه كوكيل للحكمدار اشترك فى إصدار هذا القرار ٠ وفى إعلان الحالة ج فى ذاته نذير كاف لكل ضابط بوليس باحتمال وقوع خطر ولايمكن الجمع بين السماح للمظاهرات أيا كان نوعها وبين إعلان حالة

الطوارىء فى المدينة ولو جاز له فى أى يوم من الأيام أن يصدر مثل هذا الأمر لما جاز له إصداره فى هذا اليوم بالذات ، عقب حوادث ٢٥ يناير التى جرت بالإسماعيلية ، وفى يوم يعرف هو أن أكثر من خمسين ضابطاً من كبار ضباط البوليس بالقاهرة مدعوون للغذاء على المائدة الملكية ومنهم الحكمدار وجميع وكلائه ومساعديه ومفتشى الفرق وجميع مأمورى الأقسام . يضاف إلى ذلك أيضاً أنه لم يستأذن الحكمدار رئيسه فى إصدار هذا الأمر الذى أصدره وفى مخالفة التعليمات التى أصدرها الحكمدار من قبل بتفريق كل مظاهرة . كما أنه لم يرجع إلى فى هذا الشأن أو إلى مدير الأمن العام أو إلى وكيل الوزارة المختص ولم يتصل بى طوال اليوم على جسامة ماوقع به من أحداث برغم أنه كان دائم الاتصال بى ليلا ونهارا وفى أتفه الأمور .

وأن مخالفته تعليمات الحكمدار أربكته (أى الحكمدار) إذ اعتقد أنه (أى إمام) اتصل بى شخصيا بصدد إباحة المظاهرات ولذلك حاول الحكمدار بعد أن رأى مظاهرات شارع إبراهيم باشا وتوجه إلى المحافظة ليعرف منه سبب إصداره أمرا لإباحة ، ولم يستطع أن يتصل به فى الوقت المناسب .

وقال وزير الداخلية :

وقد أخبرني شقيقي عبد الحميد سراج الدين بأنه علم أن مدير أجنس فورد أخبر الدكتور الفونس عبدالباقي شقيق حرم النائب المحترم موريس دوس بك بأن إمام بك نصحه في صباح يوم ٢٦ يناير بنقل سياراته من المحل حيث ستحصل مظاهرات في هذا اليوم ، وفعلا نقلها كلها والأجنس موجود في شارع عدلي باشا أمام الترف كلوب .

كما أخبرني شقيقي عبدالحميد أيضاً بأن الوجيه منير إلياس خال موريس دوس بك أخبره (أي شقيقي عبدالحميد) بأنه علم من الضابط علي حسين نائب مأمور قسم الجمالية أنه في يوم الحوادث المذكورة أي يوم ٢٦ يناير علم بأن حريقاً نشب في سينما ريفولي فأراد أن يأخذ عساكر البلوكات الموجودين في القسم فرفضوا القيام معه ، فأخذ حوالي ٢٠ عسكري من بوليس مصر كانوا بالقسم ولما لم يجد سيارات لوري أمام القسم انتقل مع العساكر بالترام ووصل إلى سينما ريفولي وأخذ في تفريق المتظاهرين ، ورأى أحد المتظاهرين يحاول قطع خرطوم المطافي وأخذ زميله الضابط الذي انتقل معه ويدعى « برتي » في ضرب هذا الشخص ، وفي هذه اللحظة وصل إمام بك وكيل الحكمدار فطلب منهما ترك المظاهرة والذهاب

معه إلى حديقة الإزبكية فذهبا معه ظنامنهما أنهما سيتلقيان أوامر هامة هناك ، ولكنه لم يصدر إليهما أية تعليمات وقد طلبا منه أكثر من مرة أذنلهما بالذهاب إلى مكان المظاهرات ولكنه كان كل مرة يطلب منهما الانتظار ، وأخيرا اضطر إلى تركه والعودة إلى مكان الحوادث . وإنى أسرد هاتين الواقعتين كما سمعتها وسجلتهما فى حينه على علاتها ، وسيظهر تحقيقهما مبلغ صحتهما ..

واختتم فؤاد سراج الدين كلامه عن اللواء إمام قائلا :

« وبالجملة فإن ما سمعته من جميع الموظفين بوزارة الداخلية أو بغيرها ممن شهد الحوادث فى ذلك اليوم ومن غيرهم – يدل على أنهم جميعاً ودون استثناء يقررون أنهم شاهدوا إمام بك فى مناطق مختلفة وكان موقفه سلبياً تماماً . ولعل من أدلة التقصير الخطير هأيضاً أنه وهو رئيس القلم السياسى لحكمدارية بوليس مصر لم يخطر الوزارة مقدماً عن هذه المؤامره التى حبكت ودبرت ونفذت يوم ٢٦ يناير وهذا من صميم عمله كرئيس للقلم السياسى » ...[١]

□ وقال لى اللواء عبد المنعم رشدى (البكباشى عبدالمنعم رشدى مأمور قسم عابدين ، أنه بينما كان يقف فى ساحة قصر عابدين وصل نبأ حريق

---

(١) أقوال فؤاد سراج الدين فى تحقيق النائب العام ص ٢٧ – ٢١ .

كازينو أوبرا .. وكان الأجراء الذى اتخذه اللواء محمد ابراهيم إمام (وكان أكبر رتبه فى المكان وضابط البوليس الوحيد — من مختلف الرتب —) لم يدخل أسوار المأدبة الملكية .. وأصبح أكبر رتبه حره التصرف فى جزء هام من أحداث ذلك اليوم هو أن كلف الصاغ (الرائد) نجيب بسيونى نائب مأمور قسم عابدين بأن يتوجه « بطوله » إلى الأوبرا « ليعرف » ماذا حدث .. وقد توجه بالفعل نجيب بسيونى .. ثم عاد بعد فترة بادياً عليه الذعر .. وقال أن المسألة خطيرة .. النار مشتعلة فى الكازينو .. والناس تمنع المطافى من الإطفاء .. فانتقل إمام بك إلى هناك ..

ويعلق اللواء عبد المنعم رشدى بأن الأمر الذى أصدره اللواء إمام إلى نجيب بسيونى بأن يتوجه وحده للمكان .. بعد أن سمع أن الناس وضعت النار عمداً فى الكازينو .. لا يزال حتى الآن يثير دهشته .. ولا يجد له تفسيراً ...[1]

□ وقال لى اللواء مراد الخولى حكمدار بوليس مصر عندئذ .. أن اللواء محمد إبراهيم إمام أرسل له ورقة فى القصر (وكان فى انتظار المأدبة الملكية) يخبره فيها أنه شب حريق فى كازينو أوبرا .. وأنه عندما طلب الإذن للتوجه إلى مكان الحادث حاول الأميرالاى (العميد) أحمد كامل قائد الحرس الملكى منعه .. وقال له « البركة فى أمام » ..[2]

□ وبعد أن تمكن اللواء إمام وقوة من البوليس أرسلها إليه الحكمدار وبعد أن وصلت فرقة الغازات المسيلة للدموع — من تفريق التجمعات من ميدان الأوبرا .. بادر بالاتصال بحسين صبحي مدير الأمن العام وأعطاه

---

(١) مقابلة شخصية بعزبة « SKOT » بالإسكندرية فى أغسطس ١٩٧٥ .

(٢) مقابلة شخصية — فبراير ١٩٧٥ .

صورة مطمئنة عن الحالة .. توحي بأن كل شيء قد انتهى .. وأبلغ مدير الأمن ذلك للوزير .. فاتصل الوزير بحيدر باشا يطلب إليه تأجيل نزول الجيش ، بعد أن كان قد طلبه ، اعتماداً على هذا التقرير المطمئن .. بينما كانت حوادث التخريب تنتقل إلى مكان آخر ..

□ وذكر العميد محمد حلمي صديق (الملازم أول حينئذ) في شهادته لي أنه عندما وصل اللواء محمد إبراهيم إلى كازينو أوبرا ، اقترح عليه مقاومة المخربين بحزم .. وأن ذلك كان يمكن أن يضع حداً لحادث كازينو أوبرا نفسه فضلا عن أنه كان سيؤثر على سير الحوادث بعد ذلك .. غير إن اللواء إمام لم يستمع له . . وتراخى في مواجهة التخريب . . مما جعله يستفحل .. [1]

□ وقرر أبو الخير نجيب رئيس تحرير الجمهور المصري أنه عندما وصل إلى قرب سينما ريفولي — وكانت عملية تخريبها جارية شاهد اللواء محمد إبراهيم إمام يقف في مكان قريب .. لا يتحرك .. ولا يتدخل .. ولا يفعل شيئاً .. وأنه استمر يراقبه وهو على هذه الحالة قرابة ثلث ساعة[2] ..

□ وقال الدكتور عزيز فهمي في شهادته التي أدلى بها أمام عبد الحميد أبو شنيف أنه رأى قلة من الغوغاء تعتدي بإشعال النار على مرأى من البوليس وأن البوليس السياسي فيما يبدو كان مشجعاً لهم .. وأن ضباط البوليس السياسي كانوا يقفون أمام التيرف كلوب .. وهو يحترق بهدوء ..

---

(١) راجع شهادة العميد محمد حلمي صديق - الملاحق

(٢) راجع شهادة أبو الخير نجيب — الملاحق

وقال أنه أبلغ بذلك عن طريق أحمد أبو الفتح عن محررى المصرى وبينهم مرسى الشافعى ..

□ □ □

ومر يوم ٢٦ يناير بأحداثه ..

ورغم أن اللواء محمد إبراهيم إمام وكل ضباط البوليس السياسى — والقسم المخصوص أيضاً — كانوا منتشرين فى أماكن الحوادث .. فانه لم يقدم أى معلومات عن مرتكبى الحوادث .

وبعد يوم ٢٢ .. مر يوم ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ يناير .. ثم جاء أول فبراير .. ولم يظهر أن البوليس السياسى توصل إلى شيء ..

وفى ٢ فبراير — أى بعد سبعة أيام كاملة — أبلغ البوليس السياسى النيابة أن شاهدين تقدما إليه بمعلومات تفيد أنهما شاهدا أحمد حسين يشترك فى حريق القاهرة ..

وكان هذان الشاهدان هما « أوجين روميللى ومحمد فضل الله السودانى واتضح أن الشاهدين مزوران كما سبق أن بينا .. !

فعاد البوليس السياسى وقدم شاهدين آخرين .. يوم ٥ فبراير ..

ومرة أخرى .. انكشف التلفيق فى شهادة الشاهدين الآخرين !

وفى هذه المرحلة برز الضابط الثانى فى البوليس السياسى : البكباشى محمد الجزار .. الذى راح يدبج التقارير .. ويرتب شهود الزور ..

ويحبك حكاية مؤامرة الحزب الاشتراكى لحرق القاهرة .. وقلب نظام الحكم أيضاً !

وبهذا الجهد الخارق (!) من جانب البوليس السياسى اختلق فاعل وهمى لحريق القاهرة هو أحمد حسين وحزبه .. وسلم لنيابة عبد الحميد أبو شنيف لتتولى المطالبة برقبته على النحو الذى عرضناه بالتفصيل فيما تقدم ..

□ □ □

كان هذا يحدث .. بينما يقوم البوليس السياسى بمهمة أخرى .. مثيرة !

فى يوم ٩ فبراير تقدم شخص مجهول بخطاب « خاص وعائلى » لرفعة على ماهر باشا .. يذكر واقعة خطيرة تتصل بحوادث ٢٦ يناير (سبق ذكر التفاصيل فى الفصل الأول من الباب الثالث) . أحال على ماهر الخطاب على مرتضى المراغى فى نفس اليوم .. الذى أحاله بدوره إلى اللواء محمد إبراهيم إمام مع طلب تحريات .. الذى بدأ بدوره التحريات فى نفس اليوم أيضاً .. يوم ٩ فبراير ١٩٥١ ..

وفى نهاية التحريات ، كتب اللواء إمام تقريره الذى سبق عرضه ..

وكان هذا التقرير واحدا من أروع تقارير التحريات التى كتبت فى تاريخ البوليس المصرى .. فهو دقيق .. وتفصيلى .. ويدل على الإتقان العظيم للأداء . .

وقد وضع التقرير — كما سبق أن أوضحنا — يده على شبكة المخابرات البريطانية .. كان الخيط الأول فيها هو ما ذكره صاحب الخطاب المجهول ..

• لكن ..

لقد استمرت المراقبة التى يقوم بها البوليس السياسى للكشف عن الفاعل الحقيقى فى حريق القاهرة — أو هكذا يفترض — من يوم ٩ فبراير حتى يوم ١٥ مارس .. عندما قدم أول تقرير عن المراقبة .. بخط اللواء محمد إبراهيم إمام ..

ما قيمة ذلك ؟

قيمته ، أنه أثناء ذلك كانت التحقيقات فى حوادث ٢٦ يناير قد قطعت شوطا كبيراً ..

وكانت السلطة — أى الملك — بواسطة البوليس السياسى ، قد ركزت الأنظار نحو فاعل وهمى .. اعتبرته المسئول عن حريق القاهرة .. وهو أحمد حسين وحزبه ..

وكان تقرير النائب العام قد صدر وأذيع فى مؤتمر صحفى يوم ٧ مارس ونشر يوم ٨ مارس فى الصحف .. مركزا بدوره على المسئولية الادارية محملا الحكومة مسئولية الحوادث ..

وهكذا .. وبينما كان البحث والتحرى يصل إلى إحتمال فاعل آخر .. طالما نبهت إليه القوى الوطنية منذ البداية .. وهو الإنجليز وعملاؤهم .. فقد ظل التقرير الخطير طى الكتمان .. حتى تبلور موقف النيابة .. ثم ظهر !

هذه واحدة ..

ثم .. لقد عرض التقرير على وزير الداخلية (المراغى) .. ليأمر مرة أخرى باستمرار التحريات ..

وكأن ما جاء بالتقرير لا يكفى ..

واستمرت التحريات .. شكليا فقط .. لأن التقرير لم يلحق به أى تقارير أخرى ..

ويبدو أنه ظل قابعاً فى الظلام .. حتى قامت الثورة .. وظهر أن الملك سوف يذهب لأننا لاحظنا أن الخطاب المجهول - الذى شبك به التقرير أخذ رقماً .. بتاريخ ٢٦ يوليو ١٩٥٢ ..

وكانت الدنيا أصبحت غير الدنيا ..

لذلك عاد التقرير إلى الإختفاء .. حتى تأشر على ظهره بـ « يضم إلى القضية » وكان ذلك بتاريخ ١١ سبتمبر ١٩٥٢ ..

ثم لم يره أحد .. أو يهتم به أحد .. واعتبر - بما تضمنه من جانب هام فى سر أحداث ٢٦ يناير - فى ذمة التاريخ !

□ □ □

من ذلك نتبين من أن البوليس السياسى :

- لم يعاون الحكومة بتقديم أى معلومات تنبه مقدما إلى ما حدث يوم ٢٦ يناير .. وما كان له أن يفعل !

- أنه ، برئيسه بصفة خاصة ، لعب دوراً خطيراً فى تهيئة الجو

المناسب للجريمة .. ومساعدتها على الاستفحال (تعليمات السماح بالمظاهرات وعدم اتخاذ مواقف حازمة إزاء المخربين .. وشل عناصر البوليس المتاحة عن القيام بعمل مفيد) ..

— تستر على المجرم أو المجرمين بعد الحوادث .. ولم يقدم معلومات طوال أسبوع بعدها .. أو فى أحسن الأحوال، قصر فى القيام بواجب هو من صميم واجباته تقصيراً بالغا ..

«فبرك» الإتهام الملفق لأحمد حسين .. محققا أحد أهداف المؤامرة الخاصة بالملك، وهو الإيقاع بالقوى الوطنية الديمقراطية .. وكان أحمد حسين من بين هذه القوى وأكثر السياسيين والصحفيين فى تلك الفترة تطاولا على ذات الملك «المصونة» ..

فأراد الانتقام منه بتحميله وزر جريمة حريق القاهرة .. وشنقه .. !

— عندما اضطر للبحث وراء خيط يوصل للفاعل الأصلى .. واضطر لتسجيل نتيجة بحثه فى وثيقه .. تعمد أن يخفى هذه الوثيقة عن سلطات التحقيق حتى لا يفتح بابا جديدا للبحث .. ربما يفسد كل خططه .. وخطط السلطة الملكية المرتبطة بالإستعمار .. !

والنيابة . . ؟

لقد اشترك عشرات من وكلاء النيابة ورؤساء النيابات . . في تحقيقات حريق القاهرة . . بقيادة عبد الرحيم غنيم النائب العام ومحمد عبد الله المحامى العام وعبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة . .

وتناولت التحقيقات الحوادث حادثة حادثة . .

كما تناولت من اعتبرتهم النيابة محرضين على الحوادث (أحمد حسين وحزبه) ..

وكذلك جرت تحقيقات مستقلة : مع رجال البوليس لحصر المظاهرات ومعرفة دورها (أجرى بمعرفة محمد صدقى البشبيشى) ، ومع رجال البوليس لتحديد مسئوليتهم ومدى أدائهم لواجبهم (أجرى بمعرفة أحمد فؤاد سرى) ، ومع رجال المطافى لمعرفة كيف حدثت الحرائق والوسائل والمواد التى استخدمت فيها (أجرى بمعرفة أحمد فتحى مرسى) ، ومع

كبار المسئولين فى وزارة الداخلية ، ومع قادة الجيش . . لتحديد المسئولية الإدارية (اجريا بمعرفة النائب العام شخصيا) . .

واستمرت التحقيقات أسابيع عديدة . . وصلت أحيانا إلى مائة يوم كاملة . .

واستجوبت النيابة مئات المتهمين . . واستمعت إلى مئات الشهود . . وإلى كل المسئولين عن الأمن فى البلاد .. وفتشت مئات البيوت . . وأقامت عشرات المواجهات . . والعرض . . الخ . .

فماذا أسفر عنه كل ذلك ؟

☐ لم تستطيع النيابة أن تضع يدها على الفاعل الحقيقى (أو المشترك) الذى كان وراء كل هذه الحوادث . .

وهذه نتيجة ليس لأحد أن يطعن فيها . فكثيرة هى الأحداث التى لا تستطيع سلطات التحقيق الإمساك فيها بالفاعل ..

كما أن تجربة حوادث الحرائق الكبرى التى التهمت المدن والعواصم خلال التاريخ الإنسانى اكتنفها الغموض فى كثير من الحالات . .

ولعل هذه النتيجة التى انتهت اليها النيابة تبدو لنا الآن واقعية جدا . . ننا لا زلنا ، وبعد حوالى ربع قرن من الزمان ، نبحث عن حارقى القاهرة . .

كما أنها أيضا - أى النتيجة السلبية التى انتهت اليها النيابة - تصلح دليلا فى صف ترجيح احتمال أن مخططى ومنفذى حريق القاهرة من اتباع المخابرات الأجنبية . . أولئك الذ لا يتركون فى العادة أثرا وراءهم . .

والذين تكون مستندات ووثائق ادانتهم بعيدة عن أيدى سلطات التحقيق الوطنية . .

وقدمت النيابة متهمين فى بعض الحوادث . . فى قضايا منفصلة . . بينما أخفقت فى معرفة الفاعل فى بعضها الآخر . . فقيدت ضدمجهول . .

وفى الحقيقة فانه لا البوليس ولا النيابة . . ولا دوائر القضاء التى حاكمت المتهمين فى قضايا حريق القاهرة كانوا مقتنعين بأن هؤلاء المتهمين هم الفاعلون الحقيقيون . . لأن هؤلاء لم يكونوا أكثر من ضحايا ، تصادف وجودهم فى أماكن الحوادث . . أو من الذين انساقوا فى ركاب المخربين دون أن يدروا أو يفهموا شيئا . . أو – فى أسوأ الحالات – من الذين ضبطت معهم مسروقات من التى نهبت من المحلات يوم الحوادث . .

واعتبرت النيابة أحمد حسين وخمسة متهمين معه المحرضين على الحوادث . وقدمتهم إلى المحاكمة فى قضية التحريض على حرق القاهرة المعروفة بالقضية رقم ١٤٣ عسكرية عليا لسنة ١٩٥٢ . .

وقد أوضحنا فى الفصل الأول من الباب الثانى من هذا الكتاب إلى أى حد افتقر قرار الإتهام الذى أصدره عبد الحميد أبو شنيف إلى الجدية . . وكيف أنه بنى على تلفيقات سخيفة اصطنعها البوليس السياسى . . فجاء امتدادا لنشاط هذا البوليس . . ومحققا لنفس الأهداف التى أراد الوصول اليها . . وهى التستر على الفاعل الحقيقى واستغلال الحوادث فى ضرب اعداء الملك السياسيين . . بالصاق الجريمة بهم . .

على أن سلوك النيابة فى قضية التحريض لم يكن هو السلوك الوحيد المعيب .

□ □ □

لقد كانت حوادث ٢٦ يناير ذات طبيعة واحدة . . ليس فقط لأنها وقعت فى يوم واحد . . أو فى ظرف واحد ، ولكن لأنها كلها حرائق . . «تمت بطريقة واحدة متشابهة» . . كما قرر التقرير الفنى للمطافىء . .

وهى حوادث مدبرة . . لها فاعل ، وإن لم يكن الأمساك به . .

ماذا كان ينبغى على النيابة أن تفعله . . بعد كل التحقيقات التى أجرتها ؟ أبسط شىء . . أن تقدم للرأى العام تقريرا عاما عن الحوادث . يشرح بالضبط ماذا حدث فى ذلك اليوم . . وكيف تمت الحوادث . . وما هو الأسلوب الذى أتبعه مرتكبوها . . والوسائل والمواد التى استخدمت . .

وأن تقدم بعد ذلك تحليلا للحقائق التى حصلت عليها من التحقيقات . . ودلالتها فى الإشارة إلى الفاعل . .

أن النيابة — لو كانت فعلت ذلك — لكانت أشركت الرأى العام معها فى البحث عن الجناة . . فان لم يحدث ذلك . . لكانت ، على أقل تقدير ساعدت الباحثين فيما بعد على دراسة الحوادث دراسة موضوعية . . مبنية على معلومات رسمية محددة مستخلصة من تحقيقات قانونية لاحجية . .

لكن النيابة لم تفعل ذلك ، وقدمت الحوادث مجزأة فى قضايا مستقلة . . بتقارير أتهام مجزأة . . لا تقدم أى صورة كلية لما حدث فى ذلك اليوم . حتى قضية التحريض التى طالبت فيها برقبة أحمد حسين باعتباره المسئول عن «كل» ما حدث . . لم تقدم النيابة فيها قرار اتهام «كلى» يضم الجوانب المختلفة للاحداث . .

ماذا ترتب على ذلك ؟

ترتب عليه أن ظل ما حدث يوم ٢٦ يناير «غامضا» . .

ولقد التقيت بكل من له صلة بالاحداث . . وبمن عايشها لحظة بلحظة . . وبمن تأثرت حياته كلها بما وقع فى ذلك اليوم . وبديهى أنه هؤلاء حاولوا بشكل تأكيد بلورة تصور متكامل لما حدث . .

يحدث هذا بينما تحقيقات النيابة مليئة بالمعلومات والوقائع الخطيرة . . التى أن كانت تجمعت وأعيد تركيبها وتحليلها . . لقدمت صورة غنية لهذا الحدث الفريد . .

لكن المدهش حقا أننى لم أجد عند واحد منهم أى صورة واضحه للأحداث ولم يتفق واحد منهم مع الآخر فى المعلومات .. ولم تتجاوز رؤية أى منهم الجزء الذى ارتبط به من الأحداث ..

ولذلك ، فاننى اعتقد أن النيابة قصرت – على الأقل ! – تقصيرا بالغا عندما لم تقدم تقريرا عاما شاملا عن حوادث ٢٦ يناير .. لأنها بهذا التصرف فى الواقع ساعدت على طمس معالم الجريمة .. ولم تقدم للمجتمع ما يساعده على اكتشافها فى الوقت المناسب .. وعلى اقتفاء أثرها فيما بعد . .

على أن النيابة بدلا من تقديم هذا التقرير العام الشامل قدمت تقديرا آخر .. كان هو التقرير الرئيسى عن الحوادث .. وهو تقرير النائب العام ..

وقد تركز هذا التقرير على مناقشة وتحديد المسئولية الإدارية فى هذه الأحداث . . غير أن ذلك لم يمنع النائب العام من التمهيد لموضوع التقرير الرئيسى بعجالته عن الحوادث عموما ..

لكن والعجالة – بطبيعة الحال – لم تتح له ليس فقط تقديم أى احاطة بالحوادث ، أو أى تحليل لها ، أو أى مفاتيح للوصول إلى الفاعل . . ولكن حتى مجرد تلخيص يتفق مع النائب فى تحقيقات النيابة نفسها ..

فبعد ديباجة قصيرة ، يعرض التقرير للحوادث : نشأتها – تسلسلها –

خاتمة الكارثة .. فيذكر البيان الذى اذاعته وزارة الداخلية عن ما وقع بمدينة الإسماعيلية ، وما تركه ذلك من أثر فى نفوس الناس .. وأول بوادر لهذا الأثر فى حادث مطار فاروق عندما تجمع عمال وموظفو المطار المصريون حول أربع طائرات بريطانية ؛ وقاطعوها .. وانتقال المسئولين واقناعهم بفض العصيان وتمكين الطائرات من القيام فى سلام . ثم عرض لمظاهرة بلوكات النظام وخروجهم فى السادسة من صباح ٢٦ يناير وهم يهتفون بطلب السلاح متجهين إلى الجيزة للانضمام لزملائهم هناك فلما لم يجدوهم توجهوا للجامعة واختلطوا بالطلبة فى مظاهرة من حوالى ألف شخص انضم اليهم أحد ضباط الجيش ، وبعض جنود الجيش مكرهين ، واستقر الجميع فى رياسة مجلس الوزراء وكان ذلك فى حـوالى الساعة الحادية عشر والنصف ..

ثم يتعرض التقرير للمظاهرات التى سارت (عمال العنابر - طلبة الأزهر ومعهم جنود من بلوكات مصر - طلبة بعض كليات ابراهيم (عين شمس) - ومظاهرات شتى) وكيف أنها كلها تجمعت فى رياسة الوزراء أيضا ، واختلطت بالمظاهرة التى جاءت من الجيزه ..

بعد ذلك يقول التقرير :

«وفى هذه الجموع الصاخبة المتجمعة فى دار الرياسة ألقى وزير الشئون الاجتماعية إذ ذاك خطابا جارى فيه الشعور السائد قصد تهدئة خواطر المتظاهرين ولكن هذا القصد لم يتحقق وما كان ينتظر أن يتحقق فى وسط شعلة الحماسة المتقدمة ..

تركت هذه الجموع دار الرياسة لتنساب فى قلب العاصمة معبأة نفوسهم

ملتهبة مشاعرهم متحللة مناعتهم ضد كل توجية إجرامى يستغلة دعاة السوء فساروا كأنهم مخزن للبارود تحف به أعواد الثقاب – وما لبثت هذه الأعواد أن اشتعلت فدوى الانفجار وكان ذلك فى حوالى ظهر اليوم إذ انهال فريق من المتظاهرين على كازينوا أوبرا بالإتلاف بعد أن أشعلوا النار فيه ..

ثم يذكر السبعمائة محل التى حرقت ودمرت ..

ويختم الفقرة قائلا : «تلكم حوادث العاصمة فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ فى نشأتها وتسلسلها وخاتمها بالكارثة الكبرى» ..

هذه هى الفقرة التى ذكرها النائب العام فى تقريره عن الحوادث .. ولا شىء اخر ، اللهم عندما يخلص من عرض التقرير ، حيث يقول :

إن حوادث ٢٦ يناير قد دلت على أنه كان ينبغى ألا تطغىء تعبئة الشعور القومى على واجب المحافظة على الأمن إلى حد يختل معه التوازن بينهما ..

ومن الفقرة التمهيدية : ، والفقرة الختامية يتضح أن النائب العام :

١ – اعتبر كل حوادث ٢٦ يناير من فعل التعبئة الزائدة للشعور القومى .. أى أنها حوادث أقدم عليها الشعب الغاضب بسبب أحداث يوم ٢٥ يناير وماقبله .. وأنه سمح بها قصور المسئولين عن الأمن عن مواجهتها ..

٢ – أن المظاهرات هى التى أحرقت البلد .. إبتداء من حرق كازينوا أوبرا حتى خاتمة الكارثة ..

٣ ـ أن الجموع أو المظاهرات فعلت ذلك ، لأنها خرجت من دار رياسة الوزراء ـ بعد الاستماع لخطاب عبد الفتاح حسن ـ « معبأة نفوسهم ملتهبة مشاعرهم » .. و .. « متحللة مناعتهم ضد كل توجيه إجرامى يستغله دعاة السوء » .. «فساروا كأنهم مخزن للبارود تحف به أعواد « الثقاب » .. وما لبثت هذه الأعواد أن اشتعلت فدوى الإنفجار ..

وقد سبق أن بيناكيف ناقض تقرير النائب العام نفسه عندما قال أن المظاهرات التى خرجت من دار رياسة الوزراء هى التى أحرقت كازينوا أوبرا ثم بقية الأماكن .. وعندما قال فى موضع اخر أن حريق كازينوا أوبرا وقع فى الساعة ١٢,٢٧ . لأنه فى هذه الساعة نفسها كانت المظاهرات لاتزال فى رياسة الوزراء .. ولم ينته خطاب عبد الفتاح حسن وحوار المتظاهرين معه إلا فى الساعة للثالثة والنصف .. مما ينفى أن هؤلاء المتظاهرين هم الذين أحرقوا كازينوا أوبرا ..

وبالتالى ، فان كل ماجاء بالتقرير عن مخزون البارود الذى انفجر .. يعنى أن هذه الجموع هى التى أحرقت .. لاأساس له .. وباطل بطلاناً مطلقاً من واقع التحقيقات .. ومن واقع عرض التقرير نفسه لحركة المظاهرات ..

أما الشيء الملفت للنظر فهو أن يلجأ النائب العام ـ بعد كل التحقيقات التى تمت ـ إلى استخدام أساليب إنشائية لامعنى لها فى عرض حوادث وقعت فى تاريخ مصر المعاصر كله .. مثل « فساروا ـ المتظاهرين ـ كأنهم مخزن للبارود تحف به أعواد الثقاب .. ومالبثت هذه الأعواد أن اشتعلت فدوى الانفجار » ..

وكان الأجدر بالنائب العام أن يقدم للرأى العام صورة محددة من واقع الوقائع الثابتة فى التحقيقات لما حدث بدلا من استخدام هذه التشبيهات التى لا صلة بينها وبين الحوادث على الإطلاق .. فضلا عن منافاتها للواقع أصلا..

وكان الأجدر بالنائب العام أن يذكر كيف أشعلت الحرائق بالضبط .. ومن الذي اشعلها ..

لكن تقرير النائب العام اكتفى بهذه الصورة البلاغية للحوادث .. وكانت هذه الصورة فى الحقيقة أحد أساليب طمس معالم الجريمة..وإلصاقها بالشعب — والشعور القومى — والتستر على المجرم الحقيقى !

وقد حدث أن أراد عبد الفتاح حسن تصحيح ماجاء بتقرير النائب العام عن ما ترتب على خطابه .. فأرسل بتعقيبا إلى جريدة المصرى، قال فيه :

لقد أوحت الواقعة المذكورة بأن تلك الجموع على أثر انسيابها إلى قلب العاصمة بدأت حوالى الظهر بوضع النار فى كازينو أوبرا ثم توالت بعد ذلك الحوادث الأخرى .

« ولما كنت على يقين من أن جميع الشهود الذين سئلوا فى التحقيق بشأن هذه الواقعة قد أكدوا أننى حضرت لدار الرياسة بعد الساعة الواحدة من مساء اليوم المذكور (فى حين أن حريق كازينو أوبرا وقع قبل ذلك فى الساعة ١٢,٢٧ مساء على النحو الثابت بالتقرير) ، كما أكدوا أن الجموع لم تبدأ فى الانصراف من دار الرياسة إلا بعد وقوع معظم الحوادث التى أشار إليها تقرير النيابة ..

ومن ذلك يتبين أن نقل الواقعة المشار إليها من التحقيقات إلى التقرير

قد شابه غموض أدى إلى ترك أثر لايطابق الحقيقة بشأن الخطاب الذى ألقيته فى اليوم المذكور ونشرته الصحف فى اليوم التالى ..

لكن الرقيب رفض نشر هذا التصحيح .. مما اضطر عبد الفتاح حسن لرفع الأمر إلى القضاء الإدارى بمجلس الدولة الذى صدر حكم (بانعقاد للدوائر مجتمعة برئاسة الدكتور عبدالرازق السنهورى) بالغاء منع النشر لأن المحكمة « لاترى قيام المبرر الحقيقى لمنع تصحيح مانشر من تقرير النائب العام خاصاً بالمدعى فى أمر لاجدال فى أنه يخالف الثابت فى التحقيق بحجة أن النشر إخلال بالأمن ، مع أن مثل هذا الإخلال لا يتأتى من وضع الأمور فى نصابها الصحيح بالوسيلة التى خولها القانون لصاحب الشأن ...

□ □ □

وليس تقديم تقرير عام دقيق عن الحوادث هو الشيء الوحيد الذى أهملته النيابة .. ولكنها أهملت تحقيق وقائع بالغة الأهمية فى البحث عن الفاعل فى حوادث ٢٦ يناير ..

□ يوم ١١ فبراير أدلى الشاهد محمد حمزة بك مدير مكتب القاهرة لشركة الشرق للتأمين بأقواله أمام عبدالحميد أبوشنيف . وجاء بهذه الأقوال فى صفحة ٣٦ من محضر للتحقيق :

> سمعت من أحمد مراد رستم أفندى الموظف بمكتب للسياحة الحكومى بشارع قصر النيل بعمارة بهلر يوم ٢٧ أو ٢٨ أثناء وجودنا معاً فى كافى ريش أنه بعد العيال ماحرقوا شارع ألفى بك جاءت سيارة وجيهة ووقفت أمام لوكاندة شبرد ونزل منها ثلاث أفراد منهم

واحد عامل لابس بنطلون وقميص وفوق القميص جرابات يعتقد أن فيها قنابل محرقة ومنهم أيضاً واحد أفندى أبيض وسمين وقصير أما الثالث فلم يصفه لى . وقال لى الأفندى الأبيض القصير السمين أو الشخصين اللذين كانا معه بحرق لوكاندة شبرد . فتقدم منه الموظف النوبتجي وقال له حرام عليكم تحرقوا هذا المحل وفيه ناس فرد عليه الأفندى السمين إنت عارف إنت بتكلم مين .. أنا محامى .. واعتدى عليه بالضرب وضربه قلما وطلعوا حرقوا ..

ثم أضاف الشاهد :

«فلو بحثتم هذه المسألة لو صلتم إلى نتيجة بالنسبة لحريق محل شبرد »

وواضح أن الواقعة التى رواها الشاهد كانت ذات أهمية بالغة :

□ لأنها تؤكد أنه بينما كانت جماعات الرعاع تجرى هنا وهناك .. كانت هناك مجموعات عمل محدودة (هنا من ثلاثة أفراد فقط) .. لها قائد يوجه ويأمر .. وتتحرك بسيارات وجيهة .. بعيداً عن الضجة الظاهرة ..

□ وتؤكد ماجاء على ألسنة العديد من شهود الرؤية من أن أفراد هذه المجموعات (أو بعضهم) كانوا يرتدون ملابس العمال .. بينما هم ليسوا عمالا فى الحقيقة ..

□ وهى تؤكد أن أفراد هذه المجموعات كانوا يحملون « جرابات » أو « مخالى » بها مواد حارقة .. قد تكون هى المواد الفسفورية (البودرة) .. أو قنابل حارقه ..

فماذا فعلت النيابة بهذه الواقعة ؟

لاشيء . فلم أعثر فى التحقيقات على أى أثر يبين أن النيابة تتبعت الواقعة ، ولو حتى باستدعاء أحمد مراد رسّام الشاهد الأصلى ومناقشته . . . !

☐ بعد الحوادث قدم محمود البدينى محافظ القاهرة بالنيابة تقريراً إلى على ماهر رئيس الوزراء بملاحظاته .. جاء فى ختامه :

« وينبغى فى ختام تقريرى أن أوضح أن تنظيم هذه الاعتداءات وطريقة تنفيذها والمباغتة بهاقد تؤكد أن أن يدا أجنبية يمكن أن تكون قد استعانت ببعض العناصر الهدامة المخربة لإحداث الفتنة » ..

وأحيل التقرير إلى النيابة .. لكن المحقق — أحمد فؤاد سرى — لم يسأل مقدم التقرير عن معلوماته فيما يتعلق « باليد الأجنبية » التى جاء ذكرها بالتقرير ..

أكثر من ذلك ، فان المحقق عندما لخص التقرير فى محضر التحقيق استبعد هذه الفقرة نهائياً [1] .. كما لو كانت تحتوى على شىء تافه لايستحق أى اهتمام ..

☐ أقوال فؤاد سراج فى تحقيق النائب العام تضمنت وقائع محددة .. يشترك فيها أطراف آخرون .. انطوت على اتهامات للواء محمد إبراهيم إمام (سبق ذكرها) بالتفصيل ..

---

(١) التحقيق مع رجال البوليس : أقوال محمود البدينى .

— فقد نسب إليه أنه صاحب الأمر بعدم تفريق المظاهرات ·· مخالفاً الوزير ··

— وأن جميع موظفى الداخلية وغيرها قرروا أنهم شاهدوه — أى اللواء إمام — فى مناطق مختلفة وكان موقفه سلبياً ..

— وأنه حال بين رجال البوليس وبين تأديةواجبهم فى حادث ريفولى :

— وأنه نصح مدير أجانس فورد بنقل سياراته مما يفهم منه أنه قد يكون على علم سابق بما سيحدث ..

وقد حقق النائب العام مع اللواء محمد ابراهيم إمام ·· لكنه لم يتعرض لمعظم هذه الوقائع ·· كمالم يستدع الأشخاص الذين ذكرهم فؤادسراج الدين بالإسم ·· وكأن هذه الوقائع لاتستحق التحقيق !

□ وسأل النائب العام فؤاد سراج الدين عن الذين قد يكونوا دبروا الحوادث فقال :

« حسب منطق الحوادث أستطيع أن أقول أن هذه الحوادث هدف منها إحراج مركز الحكومة الوفدية وحملها على التخلى عن الحكم والذى سستفيد من هذا التخلى هم الإنجليز ...[1]

ثم قال فؤاد سراج الدين :

« كما أنى أقدم لسعادتكم مذكرة قدمت لى من

(١) التحقيق مع رجال الإدارة — أقوال فؤاد سراج الدين .

الأستاذ عبد الوهاب غنايم عن معلومات إن صحت تكون خطيرة تثبت علم الإنجليز بوقوع هذه الحوادث قبل حصولها بعدة أيام . ومع ذلك فانى أفضل أن أسترد هذه المذكرة ليقدمها فى التحقيق الأستاذ عبد الوهاب غنايم بنفسه[1] ..

قيل هذا الكلام بينما يملأ البلد كلها اتهام الحركة الوطنية — والصحف الوطنية كما جاء بروز اليوسف وغيرها — للأنجليز ..

فماذا فعل للنائب العام بهذا الكلام الذى يقال رسمياً من وزير داخلية البلد يوم الحادث .. وسكرتير عام أكبر حزب سياسى بها ..؟

لاشىء أيضاً . فلم يستدع عبدالوهاب غنايم ليسأله .. أو يكلف أحد المحققين بسؤاله .. كما لم يلخص المعلومات التى جاءت بالمذكرة لتكون أمام النيابة — والباحثين فيما بعد — وهو واجب مهنى بحت !

لماذا أهملت النيابة كل هذه الوقائع الخطيرة .. التى ربما كانت غيرت مجرى التحقيق كله .

لأنها كانت تركز على جهدها فى بحث المسئولية الإدارية ..

لكن .. لماذا كل هذا الاهتمام بالمسئولية الإدارية .. بينما ثبوت التقصير بنسبة مائة فى المائة على رجال الإدارة لا ينفى أن جريمة وقعت يجب تحديد معالمها .. وأن مجرما ارتكبها يجب البحث عنه .. وما التقصير

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة — أقوال فؤاد سراج الدين .

فى التحليل النهائى إلا «الجو المواتى» الذى هيأ للجريمة فرصة الاتساع .. وللمجرم فرصة الإفلات ..

فما السر فى ترك الأصل .. والتشبث بالفرع ؟

هنا على وجه التحديد يتضح بجلاء الدور الذى لعبته النيابة « العامة » . . فى حوادث ٢٦ يناير .

لقد كان هدف حريق القاهرة الأساسى هو ضرب النضال الوطنى للشعب المصرى . . بطرد حكومة الوفد التى هيأت لهذا النضال المناخ المناسب للازدهار . .

وكان المطلوب أن تطرد هذه الحكومة ليس بسبب موافقتها الوطنية. . وإنما بسبب بعيد تماما عن هذا كله . . باظهارها فى صورة العاجز عن حفظ الأمن بالبلاد المقصر عن آداء الوظيفة الأساسية للحكومة . .

ولذلك كان لابد من التركيز على مسألة تقصير وزير الداخلية . . رجل الحكومة القوى وسكرتير عام حزبها . . والبوليس الذى يتبع هذا الوزير . .

لكننا سبق أن أوضحنا أن البوليس لم يكن كله خاضعا لوزير الداخلية «الوفدى» «الغريب» على السلطة الاستعمارية الملكية . .

وقد ظهر واضحا كيف أن أقوى جهازين فى وزارة الداخلية ــ القسم المخصوص والبوليس السياسى ــ اتخذا موقفا سلبيا من الأحداث . . أو على الأصح من الحكومة ووزير الداخلية ..

فماذا كان حال بقية قوى الأمن .. ؟

□ منذ السادسة صباحا تمرد جنود بلوكات نظام الاقاليم في العباسية ، ورفضوا الخروج لمهامهم التي كلفوا بها .. وحملوا أسلحتهم وخرجوا في مظاهرة تهتف لأبطال معركة الإسماعيلية وتطالب بالذهاب للقنال لقتال الإنجليز . وكان عدد هؤلاء الجنود يتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ جندي ..

وكان عدد جنود البلوكات في القاهرة يوم ٢٦ يناير ٦٦٠ جنديا .. رفض بقيتهم الخروج من الأقسام .. وأضربوا عن العمل أيضا .. (١)

وبذلك ، ومنذ الصباح المبكر ، أصبحت القاهرة بلا قوات لحفظ الأمن .. لأن قوات بلوكات النظام كانت هي القوات الضاربة الكبيرة الموجودة حينئذ .. تماما كما هو الحال بالنسبة لقوات الأمن المركزي حاليا ..

ولعل هذا — مرة أخرى — يكشف عن أحد أهداف مذبحة الإسماعيلية وهو استفزاز قوات الأمن الرئيسية — بلوكات النظام — ودفعها للقيام برد فعل عنيف .. فيضمن الإنجليز بذلك خروج هذه القوات من مسرح الإحداث في القاهرة .. أو زيادة حدة الحوادث فيها — وهو ما حدث فعلا — لتصبح قوة محايدة تماما عند تنفيذ مؤامرة الحريق ..

لم يبق لحفظ الأمن في المدينة سوى بوليس مصر . وكانت كل قوات هذا البوليس حوالي ٩٠٠ عسكري ، موزعين على أقسام القاهرة .. في خدمات ودوريات وحراسات ثابتة ..

ولم تكن توجد قوات متجمعة سوى الفرسان الراكبة وكان عددهم ٢٠٠ والهجانة وكان عددهم ١٤٠ .

---

(١) تقرير اللواء مراد الخولي لوزير الداخلية يوم ٥ فبراير ٥٢ — بأوراق القضية .

وكانت هذه القوات قليلة جدا ؛ إذا ما أخذنا فى الاعتبار أنها موزعة على مساحة كبيرة .. وأن اجزاء أساسية منها وضعت لحراسة قصر عابدين والمأدبة الملكية .. وأجزاء أخرى كبيرة وضعت فى حى السفارات لحراستها .. وخاصة السفارتين (البريطانية والأمريكية) ..

وكانت قيادات هذه القوات ابتداء من مأمورى الأقسام فما فوق كلها مدعوة فى مأدبة الملك .. لم يتخلف منها سوى اللواء محمد ابراهيم أمام الذى علم بحريق الأوبرا فانتقل إليه ثم اللواء مراد الخولى حكمدار القاهرة الذى أستأذن ولحق به .. وهما أيضاً الشخصان الوحيدان اللذان لم يعودا إلى المائدة .. لأن الآخرين الذين آضطرتهم الآحداث للعمل قبل موعد المأدبة تركوا كل شىء عندما حان الموعد .. ثم أكملوا القيام بمهامهم بعد الغذاء الملكى !

فكيف حدد النائب العام المسئولية الإدارية !

١ ـ قرر النائب العام أنه بالنسبة لبلوكات النظام .. لا يتحمل اليوزباشى عبدالهادى نجم الدين أى مسئولية لأنه لم يحرض على المظاهرة أو يتولى قيادتها .. ولكنه حمل اللواء احمد عبد الهادى مدير عام البوليس مسئولية عدم دراسة حالة جنود البلوكات بعد وصول خبر مذبحة الأسماعيلية .. كما حمل الأميرالاى محمد على قائدهم بالنيابة مسئولية ترك الجنود بالثكنات بدون ضابط نوبتجى والأكتفاء بصول .. لأن ذلك سهل خروجهم فى المظاهرة ..

وكان النائب العام محقا فى ذلك ..

٢ ـ وقرر أن المسئولين عن الأمن فى القاهرة وهم بدوى باشا خليفة

وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام ، ومحمود بك البديني محافظ القاهرة بالنيابة. واللواء مراد الخولى حكمدار البوليس قصروا ٠٠ لأنهم لم يتدارسوا الموقف مساء ٢٥ يناير ٠٠ ولم يضعوا خطة لمواجهة احتمالات اليوم التالى ٠٠ واكتفوا بالحالة ج التى ثبت أنها لم تكن كافية ٠٠

وبرأ حسين صبحى مدير الأمن العام من التقصير لأنه قدم لوزير الداخلية مساء ٢٥ يناير وأثناء انعقاد مجلس الوزراء اقتراحا بعدم استئناف الدراسة يوم ٢٦ يناير ٠٠ .

وكان النائب العام محقا نسبيا فى ذلك أيضاً ٠٠ ونقول نسبيا لأن ما افترض أنه كان يجب أن يحدث كان مجموعة من المسائل الشكلية ٠٠ التى تنعدم قيمتها أمام الحقائق الخمس الآتية :

الأولى : ان أى ترتيبات للأمن لم تكن لتزيد عن حالة الطوارىء (ج)، وعن تعليمات مشددة سبق أن أصدرها وزير الداخلية لكل رجال الأمن بعدم السماح بالمظاهرات وباطلاق الرصاص فى المليان على أى مظاهرة ٠٠ وهى قرارات أصدرها الوزير يوم ١٧ يناير بعد أن هدد بنقل كل من اللواء مراد الخولى الحكمدار واللواء محمد ابراهيم أمام وكيل الحكمدار ورئيس البوليس السياسى ٠٠

الثانية : أن المظاهرات كلها ابتداء من مظاهرات الطلبة من القاهرة وعين شمس والأزهر ٠٠ ومظاهرات العمال من شبرا الخيمة والعنابر ٠٠ كلها لم تشترك فى أى أعمال تخريبية ٠٠ ولم تهدد بأى نسبة الأمن العام يوم ٢٧ يناير ٠٠ وبالتالى فان عدم تعطيل الدراسة لم يكن سبباً فيما حدث ٠٠

الثالثة : أن مدير الأمن اتخذ الاحتياط الذى كان بامكانه اتخاذه بأن

كلف عشرين ضابطا بمراقبة الحالة ·· وزعهم على كل المناطق ·· وفيما عدا ذلك كان جميع الضباط مدعوون فى المأدبة ·· وكانت أى تعليمات أو اجراءات ·· تقتضى حشد كل الضباط — وخاصة القيادات — وكان ذلك يستلزم أن لا يحضر أحد من الخمسين ضابطا من ضباط البوليس المأدبة الملكية ·· وهذا مالم يكن أحد يجرؤ على الآمرين ··

الرابعة : أن ما حدث يوم ٢٦ يناير لم يكن أحداثا وقعت ·· بفعل انفلات شعور الجماهير الغاضبة ·· ولكنها كانت مؤامرة مدبرة ·· نفذت بكفاءه عالية ·· وبتواطىء واضح من جهات تتحكم فى شئون البلاد ·· بما فيها أمنها !

الخامسة : أنه رغم ذلك كله ·· قاوم البوليس — أو بعض اجزائة — فى مناطق معينه ولم يكن جامدا ·· وبالذات فى حادث عمر أفندى وفى حى السفارات ·· وفى حادث بنك باركليز ··

بل أن البوليس وحده هو الذى أطلق النار فى المليان يوم ٢٦ يناير ··

□ □ □

على أن ذلك لم يكن هو المهم ·· وانما المهم اثبات تهمة التقصير على وزير الداخلية نفسه ·· فؤاد سراج الدين ·· رمز الحكومة فى هذا اليوم ··

أخذ النائب العام على وزير الداخلية ثلاثة أمور :

□ الأولى ، أنه بقى بمنزلة لوقت متأخر ·· وأنه لزم مكتبه بعد وصوله

إليه حوالى الساعة ١١ صباحا حتى غادره إلى قصر عابدين الساعة ١٥ر٢ .. ولم ينزل الشارع ليرى الموقف بنفسه ..

وقد برر وزير الداخلية تأخره بأنه كان يستقبل عضوين بمجلس الشيوخ . . وأما ملازمته لمكتبه فكانت لمتابعة الموقف واصدار التعليمات . .

لكننا نعتقد أن وزير الداخلية قصر فعلا فى عدم النزول للشارع . . ليس لأن ذلك لم يجعله يتابع الموقف على الطبيعة كما قال النائب العام . . ولكن لأن ذلك حرمه من فرصة التأثير فى سير الحوادث . . بنزوله . . ودعوة زملائه الوزراء ورجال الحزب لمواجهة التخريب ومنعه . . أى أنه تقصير سياسى أكثر منه تقصير إدارى . .

□ الثانى ، هو إنه «سمح بالمظاهرات السلمية» يوم ٢٦ يناير . .

عرض النائب العام هذا الأمر على النحو التالى :

١ ـ اتصل اللواء محمد إبراهيم أمام وكيل الحكمدار ورئيس البوليس السياسى بحسين صبحى مدير الأمن العام وسأله عن الموقف من المظاهرات اليوم . .

٢ ـ طلب حسين صبحى مهلة ، واتصل بوزير الداخلية يستطلعه الرأى . . فقال الوزير المظاهرات تفض بكل الطرق . . العدائية بالقوة . . والسلمية لا داعى للاصطدام بها . .

٣ ـ أبلغ حسين صبحى ذلك للواء أمام . .

٤ ــ بسؤال الوزير قال أن أمره هو أن كل المظاهرات تفرق بالقوة وتمنع نهائيا . .

ه ــ استخلص النائب العام أن مصدر السماح بالمظاهرات هو واحد من أثنين : أما حسين صبحى وأما وزير الداخلية . .

٦ ــ ثم رجح أنه وزير الداخلية . . لأنه «مما تجب مراعاته عند الترجيح بين هذه الأقوال أن حسين صبحى بك كان أول المقدرين لخطورة الحالة يوم ٢٦ يناير إذ اقترح عدم استئناف الدراسة تفاديا من حصول مظاهرات ومن كان هذا شأنه لا يصرح بالسماح بمظاهرات سلمية من تلقاء نفسه» . .

وابتداء نؤكد مرة أخرى أن موضوع السماح من عدمه ليس له أى قيمة فى تقييم الحوادث . . **لأن هذه المظاهرات كما سبق أن قلنا لم ترتكب أى أعمال تخريب** . لكنه مع ذلك موضوع هام جدا من زاوية أخرى تتعلق بموقف البوليس السياسى ورئيسه . .

فالملاحظ أن رئيس البوليس السياسى الذى كان يعرف الجو الذى تعيشه البلاد فى تلك الليلة . . والذى كان عائدا لتوه من مطار « فاروق » بعد انهاء حادث امتناع العمال المصريين عن تزويد طائرات بريطانية بالوقود . . اللواء محمد ابراهيم أمام يسأل فى هذا اليوم بالذات . . عن الموقف من المظاهرات . . وكيف تواجه .

لماذا . . !؟

لقد كانت لديه تعليمات واضحة وثابتة منذ ١٧ يناير بعدم السماح بأى مظاهرات . . وكان الموقف متوترا . . فأى شىء يمكن أن يتوقعه ؟

إن الإجابة تأتى من وقائع الأحداث . . حيث قرر ضباط عديدون — ذكر بعضهم فؤاد سراج الدين فى أقواله ، وأدلى البعض منهم بشهاداتهم لنا — أن اللواء أمام أمرهم بترك المظاهرات وعدم التعرض لها . . وأدى ذلك إلى زيادة سلبية رجال البوليس وإلى ارتباك الحكمدار نفسه . .

أى أن رئيس البوليس السياسى اتصل بمدير الأمن فقط ليحصل على مبرر يستند اليه فى شل يد البوليس عن أعمال التخريب . .

ولكن ماذا قال مدير الأمن العام اللواء أمام .. وفى أوراق النائب العام ؟

هل صحيح أن مدير الأمن العام سمح على لسان وزير الداخلية — بالمظاهرات السلبية . . كما زعم النائب العام ؟

الحقيقة لا . . فلا مدير الأمن العام . . ولا وزير الداخلية قالا بالسماح بالمظاهرات السلمية ..

لقد سأل النائب العام حسين صبحى عن الموقف من المظاهرات فقال : سألنى أمام بك . . فسألت الوزير .. فقال تفرق بكل الطرق .. وبالنسبة للمظاهرات السلمية لا يصطدم بها .. ثم أكد : ليس عدم الاصطدام بالمظاهرات السلمية يعنى تركها إذا رؤى فيها ما يعرض الأمن للخطر .. لكن تفرق بالحسنى ..

فعاد النائب العام يدقق : لقد بدأت هذه المظاهرات من أول سيرها فى الصباح الباكر حتى ظهر اليوم لا تنحى إلى تخريب ولا اتلاف ولكنها انقلبت بعد ذلك إلى عناصر مخربة ..

فأجاب مدير الأمن العام : لقد صدر الأمر بتفريق أى مظاهرات عندما طلبت الجيش فى حدود الساعة ١١

(التحقيق مع رجال الإدارة — ص ٩٨—٩٩)

ومن هذا يظهر :

— أن مدير الأمن العام لم يقل لرئيس البوليس السياسى أن الوزير يسمح بالمظاهرات السلمية .. ولكنه قال أنه يأمر بتفريقها . . لكن ليس باطلاق النار فى المليان بالضرورة . .

— وأن مدير الأمن اعتبر الساعة ١١ ساعة فاصلة . . عندها أصدر الأمر بتفريق أى مظاهرات . . دون التفرقة بين مظاهرات سلمية وأخرى عدائية . .

وهو يبين أن النائب العام أقدم على مغالطة كبرى عندما خلط بين الأمر «بالسماح» بالمظاهرات . . السلمية وبين الأمر « بطريقة تفريق » هذه المظاهرات بأقل الخسائر . .

كما يبين أن رئيس البوليس السياسى لم يكن ينفذ تعليمات لا الوزير ولا مدير الأمن العام عندما كان يأمر بترك المظاهرات (السلمية وجماعات التخريب أيضا !) قبل الساعة ١١ وبعد الساعة ١١ . . !

والغريب حقا أن يلجأ النائب العام إلى هذه الوسيلة لادانة وزير الداخلية علما بأن أوراق التحقيق الذى أجراه ، هو نفسه فيها تأكيد لكلام فؤاد سراج الدين بخصوص أوامره بالنسبة للمظاهرات . .

□ فقد قال حسين صبحى مدير الأمن العام :

ـ زودت وكيلى تعليمات مشددة باطلاق النار . . وكانت هذه هى تعليمات الوزير . . وأبلغتها لامام .. وكان مفهوما تماما لدى أمام بك فى ذلك الوقت أن المظاهرات العدائية هى المظاهرات التى تشمل هتافات نابية أو تنحى إلى التخريب والاتلاف ..

ـ لما نفذت التعليمات فى الاوبرا أمكن تفريق المظاهرات واستطاعت المطافى تأدية عملها ..

ـ بلغنى حادث ريفولى ، فأبلغت الوزير ، فأصدر أمره بضرب النار فى المليان وابلاغ الحكمدار بذلك .. (وقدم للنائب العام تقريراً من الضباط عبد الحميد فؤاد فيه أمر باطلاق النار) ..

(التحقيق مع رجال الإدارة ـ ص ٩ ـ ١٩)

□ وقال الاميرالاى محمود جبر وكيل الأمن العام :

ـ نبهت إلى وصول المظاهرات (مظاهرة طلبة جامعة فؤاد) قرب رئاسة مجلس الوزراء . .

ـ أمرنى حسين بك صبحى بضرورة القضاء على المظاهرة واستعمال القوة (ولم تكن أى حوادث قد وقعت) . .

(التحقيق مع رجال الإدارة ـ ص ٩ ـ ٩)

□ وقال البكباشى عبد الحميد فؤاد مفتش المباحث الجنائية بالداخلية :

ـ شاهدت أعمال التخريب والنار (فى حادث ريفولى) . .

— أبلغت مدير الأمن العام ، فطلب منى الاتصال باكبر رتبة بوليس. وابلاغه أمر الوزير باطلاق النار فى المليان . .

(التحقيق مع رجال الإدارة — ص ٦٥ — ٦٨)

□ وقال بدوى خليفة وكيل وزارة الداخلية لشئون الأمن العام :

— أخبرت الوزير فى مكتب حافظ باشا عفيفى بحريق بنك باركليز . . فرد بأن الجيش نازل . . وقال قاوموا الاعتداء بضرب الرصاص . .. ابلغت ذلك لمحمود بك البدينى . .

(التحقيق مع رجال الإدارة — ص ٢٠ — ٢٥).

فيم إذن إدانة النائب العام لوزير الداخلية فى موضوع المظاهرات..؟

ولماذا لم يسأل النائب العام رئيس البوليس السياسى : لماذا لم تأمر باطلاق النار بعد الساعة ١١ ؟ . . ولماذا لم تأمر باطلاق النار على المخربين الذين يمارسون الحريق والاتلاف فعلا . . وهى بكل مقياس حالات تظاهر عدائى ؟

لا . . لم يسأل النائب العام فى ذلك . . لأن مهمته كانت إدانة وزير الداخلية بأى طريقة . . ولو بالتحامل الذى لا يقوم على أى أساس . ..

□ أما الأمر الثالث فهو الخاص بنزول الجيش . . وموقف وزير الداخلية من هـذا النزول . . وفيه تصل النيابة إلى الذروة فى التستر والتواطىء . .

الجيش ينزل .. فتزداد النار أشتعالا !

خلص النائب العام من تحقيقه مع المسئولين عن مرفق الأمن بالقاهرة إلى :

ـ أن البوليس لم يكن بامكانه مواجهة الموقف يوم ٢٦ يناير ، بسبب قلة عدد أفراده بالنسبة لأمواج الجماهير الزاخرة ، ولافتقاده للقيادة المنظمة والخطة المرسومة ، ولنقص تسليحه ..

ـ وأن واجب المسئولين كان يقتضيهم استدعاء الجيش من مساء يوم ٢٥ أو ضحى ٢٦ .. وليس بعد خراب البلد ..

ونعى على وزير الداخلية تأخره فى هذا الاستدعاء ..

فما قصة الجيش يوم ٢٦ يناير ..

وماموقف النيابه من الجيش .. ووزير الداخلية .. فى ذلك اليوم ؟

□ □ □

لنسلم بأن وزير الداخلية أخطأ بعدم طلب الجيش مساء يوم ٢٥ يناير ..

علماً بأنه لم يكن هناك من يتصور أن الأمور ستسير كما سارت يوم ٢٦ يناير ..

وقد يقال - وهو مايقال عادة - أن محافظاً - وليس وزير الداخلية - هو محافظ الأسكندرية (أحمد مرتضى المراغى) انتبه لذلك ، وطلب الجيش من مساء ٢٥ .. فنزل الجيش فعلا منذ فجر ٢٦ .. وترتب على ذلك أن لم يحدث بالأسكندرية كما حدث بالقاهرة[1] فكيف لايفعل وزير الداخلية مافعله محافظ ؟ .. وكيف لايتصور الوزير أن تقع بالقاهرة حوادث .. ويتصور المراغى احتمال وقوعها بالأسكندرية الأقل أهمية ؟

ورغم أن ضباط بوليس الأسكندرية لم يكونوا مدعوين للمأدبة الملكية كما هو الحال بالنسبة لضباط بوليس القاهرة - ورغم أنه لم تقع بالفعل أى حوادث بالأسكندرية .. إلا أن الشىء الجدير بالاهتمام هو أنه عندما طلب المحافظ الجيش .. نزل الجيش .. فوراً .. وبدون أخذ ورد .. وبدون إذن من جهات عليا !

فماذا حدث بالقاهرة ؟ .. هل صحيح أن المسئولين عن الأمن فيها لم يطلبوا الجيش فى الوقت المناسب ؟

لا ..

فقد ذكر لى اللواء مراد الخولى أنه قبل يوم ٢٦ يناير بيومين كاملين أراد تعزيز قوات الأمن فى العاصمة .. وتعويض نقص قوات بلوكات النظام التى كانت نقلت إلى مدن القناة .. ولم تكن قوات أخرى حلت

---

(٣) تصريح لمرتضى المراغى - « المصور » : ٢٨ فبراير ١٩٥٣ .

محلها (جاءت القوات التي خرجت في المظاهرة قبل يوم السبت ٢٦ يناير بيوم واحد !) ، فطلب من الفريق عثمان المهدى ورئيس أركان حرب القوات المسلحة ، كما كان يفعل الحكمدار السابق ، أن يرسل أورطة من الجيش لترابط في حديقة الإزبكية .. وتشترك في حفظ الأمن إن لزم الأمر . وأن الفريق المهدى قال له أى قوات ستكون تحت أمره إذا احتاجها فلما قال له الحكمدار أنه يخشى أن أحتاجها ألا يسعفه الوقت ، أجاب رئيس أركان الجيش بأن القوات ستصله بعد طلبها بخمس دقائق فقط .. ولم يرسلها !..[1]

وكان متفقاً بين وزير الداخلية وبين القائد العام للجيش — كما قال لى فؤاد سراج الدين — على نظام للعمل منذ ١٦ أكتوبر ١٩٥١ . بمقتضاه تكون هناك قوات من الجيش في حالة طوارىء باستمرار .. وتكون هذه القوات تحت طلب وزير الداخلية لمواجهة أى أحداث ...[2]

وبناء على ذلك .. وعندما وقعت أحداث ٢٦ يناير .. بادر وزير الداخلية إلى طلب الجيش .. فماذا حدث ؟

يقول فؤاد سراج الدين[3]

« اتصلت بحيدر باشا وشرحت له الحالة حوالى الساعة ١١,٣٠ .. فقال حيدر أنه يرى من المصلحة عدم نزول قوات الجيش منعاً للاحتكاك بينهم وبين الجمهور

(١) مقابلة شخصية مع اللواء مراد الخولى — فبراير ١٩٧٥

(٢) راجع شهادة فؤاد سراج الدين — الملاحق .

(٣) التحقيق مع رجال الإدارة — فؤاد سراج الدين ، ص ٣٧ — ٦١

وحتى لاتتولد الكراهية فى نفوس الشعب نحو الجيش ..
فقلت له إنى مقدر تماماً وجهة نظره ولكنى أمام
حالة تنذر بالخطر .. .. وعلى كل حال فانى لن ألجأ
إلى هذا الطلب إلا عند الضرورة القصوى فوعدنى فى
نهاية الحديث أنه سيصدر أوامر بالاستعداد.. »

كان هذا هو الطلب الأول لنزول الجيش ..

وكان من الممكن أن يستجاب له .. وينزل الجيش قبل وقوع أى حوادث .. ويتحقق ماتمناه النائب العام فى تقريره .. لولا أن حيدر «تمحك» فى مسألة الحيلولة « دون حدوث احتكاك الجيش والجمهور » .. « وحتى لاتتوالد الكراهيه فى نفوس الشعب نحو الجيش » .. وكأن مثل هذه الأمور لم تكن متوقعة عندما وضع نظام الطوارىء فى ١٦ أكتوبر ١٩٥١ !

وقد أنكر حيدر هذا الاتصال من جانب فؤاد سراج الدين .. وطلبه الجيش .. وصدقه النائب العام .. وكذب فؤاد سراج الدين ..

أما نحن فلا نجد أى مبرر لتكذيب فؤاد سراج الدين .. وتصديق الرجل الذى كان كلامه كله عن أحداث ذلك اليوم كذب فى كذب كما سيجىء ..

خاصة وأن حسين صبحى مدير الأمن العام .. والرجل الذى وصفه النائب العام بأنه كان أول من نبه إلى الخطر ، قال فى صفحة ٢٠ من محضر تحقيق النائب العام نفسه :

« الساعة ١١ اتضح أن بعض جنود بلوكات مصر أيضاً
انضموا للمتظاهرين (عدا جنود بلوكات الأقاليم) ..

فدخلت للوزير وطلبت منه استدعاء الجيش . . فاتصل (الوزير) وطلب نزول الجيش . . » . . (١)

ثم يمضى فؤاد سراج الدين :

« وبعد ذلك بنحو ساعة أى حوالى ١٢,٣٠ أخبرنى مدير الأمن العام بأن المتظاهرين أشعلوا النار فى كازينو أوبرا وأنهم يمنعون رجال المطافئ من إطفاء النيران بالقوة ويمزقون خراطيم المياه فأمرته بتبليغ قوات البوليس الموجودة هناك باطلاق النار فى المليان على هؤلاء المتظاهرين الذين يرتكبون هذه الأفعال وعلى أى مظاهرات أو تجمعات أخرى ودون أى تردد ، فقال حضرته أن رجال البوليس يبدون تراخياً فى تنفيذ الأوامر فكلفته بالاتصال بالحكمدار وبوكيله إمام بك وتبليغهما ذلك شخصياً . فخرج من مكتبى لتنفيذ هذا ، واتصلت فى الحال بمعالى حيدر باشا وشرحت له ماتطورت إليه الحالة وطلبت منه نزول قوات الجيش فى الحال للمدينة على اعتبار أن أمر الاستعداد قد صدر لهما من نحو ساعة سابقة بعد محادثتى الأولى معه . . فأبدى لى معاليه اعتراضه على نزول الجيش للاسباب التى سبق أن أشار إليها فى المحادثة الأولى فقلت له أن الحالة خطيرة وأن قوات البوليس محدودة العدد وموزعة على مختلف أنحاء المدينة

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة ــ أقول حسين صبحى ، ص ٩ ــ ١٩ ..

وأن عدداً من البلوكات مشترك فى هذه التجمعات وعلى رأسهم أحد الضباط مما أحدث الاضطراب فى صفوف قوات البوليس .. فقال حيدر باشا أن قوات الجيش الموجودة الآن فى القاهرة من الجنود الجدد الذين التحقوا بخدمة الجيش حديثاً ، كما أن معظم ضباطها من الضباط الشبان .. وأنه بصراحة يخشى إذا نزلت هذه القوات إلى المدينة أن تنضم إلى المتظاهرين وهنا تحل الكارثة الكبرى فقلت له هل أنت واثق من حصول ذلك إذا نزلت هذه القوات إلى المدينه فقال لست واثقاً ولكنى أخشى حدوث ذلك فقط ويجب أن نحتاط لمثل هذا الاحتمال وأنت تعرف الروح الموجودة الآن أمام خطر واقع فعلا ويجب أن نواجهه بكل الوسائل فضلا عن أن عدم نزول الجيش إلى المدينة الآن لن يمنع حدوث ماتخشاه إذا أفلت الزمام وسادت الفوضى فى أنحاء البلد .. وأخيراً قال لى أن نزول الجيش إلى المدينة يتطلب إذن جلالة الملك بذاته وسأطلب هذا الإذن ..

وكان هذا هو الطلب الثانى للجيش ..

ولو كان استجاب لهذا الطلب لكان وضع حد للحوادث بكل تأكيد ..

لكن الجيش لم ينزل .. ليس لأن وزير الداخلية تقاعس عن طلبه .. أو أدخر جهداً فى مناقشة أهمية نزوله ..

وليس لأن قائد الجيش امتنع عن إصدار الأوامر لقواته بالتحرك

بسبب خوفه من مسلك الضباط الشبان ـ رغم ان هذه المخاوف كان لهابعض مايبررها ـ بدليل ان الأوامر قد صدرت بعد هذا ونزل الجيش فعلا ولكن بعد ان حققت المؤامره اهدافها . ويبدو ان السبب الذى قدمه الفريق حيدر إلى فؤاد سراج الدين كان فى المقام الأول لمجرد تبرير موقفه وابعاد تهمة التواطؤ عنه . ولو كان السبب الذى قدمه حيدر بوازع من مخاوف حقيقية تساوره لكان رد سراج الدين عليه كافياً لإقناعه وعدوله عن موقفه، إذ ما معنى ان يتحدث قائد الجيش عن اخطار محتملة بينما النار تشتعل فعلا فى العاصمة ومفروض انها تهدد النظام .. هذا إذا لم يكن النظام ضالعاً فى إشعال النار ومطمئن بالتالى إلى النتائج ..

أما عندما ضغط وزير الداخلية . . وأصر على ضرورة نزول الجيش. . فقد تعلل حيدر بضرورة استئذان الملك . !

لماذا يستأذن الملك شخصيا فى نزول الجيش لحماية عاصمة البلاد من كارثة مدمرة . . واقعة فعلا . . بينما لم يكن هذا الإذن ضروريا عندما طلب المراغى الجيش للنزول فى الإسكندرية التى كان وقوع حوادث بها مجرد احتمال ؟

ثم . . ما قيمة نظام الطوارىء الذى كان موضوعا منذ ١٦ أكتوبر .. أن لم يكن للأسراع بانزال كتيبتى الطوارىء المستعدة فعلا .. بمجرد طلب وزير الداخلية ؟

لم يهتم النائب العام بهذه الأمور .. وواصل تستره على موقف قيادة الجيش .. وتحامله على وزير الداخلية ..

واستند النائب العام فى موقفه هذا على عدول وزير الداخلية فى لحظة

عن طلب الجيش .. واعتبر أنه فوت الفرصة المناسبة بهذا العدول .. وحمله مسئولية تأخير نزول الجيش • • !

فما هي ظروف هذا العدول ؟

مرة أخرى يواصل فؤاد سراج الدين كلامه — أمام النائب العام — مستعرضا تطور الاحداث :

«بعد ذلك بقليل — أى بعد المحاورة المضنية مع حيدر باشا — أخبرنى مدير الأمن العام أن البوليس أطلق النار على المتظاهرين فى ميدان الأوبرا (الحقيقة أن البوليس لم يطلق النار • • وإنما أطلق القنابل المسيلة للدموع فقط • •) وتمكن من فض المظاهرات وتفريق الجموع وأخلى الميدان تماما من الجمهور ومكن المطافىء من مهمتهم من السيطرة على الحالة ويمكن أرجاء نزول الجيش • • كما حضر إلى مكتبى بعده مباشرة بدوى باشا خليفة وأفضى إلى بنفس المعلومات والآراء • • وقال — بدوى خليفة — (أنا مبسوط أن المسألة انتهت دون الاستعانة بالجيش وده أحسن ما يقال أن الداخلية عجزت واستعانة بالجيش) . . »

ماذا كان يمكن لوزير الداخلية وهو يستمع إلى معلومات واضحة تفيد أن الموقف قد تحسن تماما . . وأن البوليس قد سيطر على الحالة .. وأصبح كل شىء على ما يرام • ؟

طبيعى جدا أن يعتبر أن السبب الملح لاستدعاء الجيش لم يعد قائما ..

خصوصا وأنه لم يكن يعرف بطبيعة الحال أن هناك مؤامرة واسعة . . مدبرة . . يجرى تنفيذها . . وليست المسألة مسألة حادث فردى أقدمت عليه جماهير غاضبة . . تم تفريقها — بالرصاص — ولن تجرؤ على معاودة القيام بمثل هذا العمل مرة أخرى . . وخصوصا — أيضا — أن قيادة الجيش ليست راغبة فى إنزاله عمليا . .

وعلى ذلك طلب وزير الداخلية ارجاء نزول الجيش . .

فطلب حيدر لإبلاغه بذلك . . فلم يجده وعلم أنه توجه للقصر (لطلب إذن الملك بنزول الجيش) . . فاتصل بالقصر . . فلم يجد حيدر كذلك . . فاتصل بحافظ عفيفى وإبلغه أنه كان طلب من حيدر نزول الجيش . . لكن الحالة تحسنت ولا مانع من إرجاء النزول الآن . . على أن يبقى استعداد الجيش للنزول فى إى لحظة . . وكان ذلك فى الساعة الواحدة تقريبا . .

وبعد فترة وجيزة اتصل حيدر باشا بفؤاد سراج الدين وأبدى ارتياحه لما بلغه من حافظ عفيفى . . وأكد سراج الدين من جديد أن هذا لا يعنى ألا يكون الجيش مستعدا لمواجهة أى تطورات فى الحالة . .

لكن . . وبمجرد انتهاء هذه المحادثة . . اتصل مدير الأمن بفؤاد سراج الدين :

«وأخطرنى بأن المتظاهرين أشعلوا النار فى سينما ريفولى . . ثم بعد لحظات أخبرنى أنهم أشعلوها أيضا فى سينما مترو وأن رجال البوليس لا يقاومون ، فأيقنت بأن الأمر يسير وفق خطة مرسومة مدبرة وأنه لا مفر

من الاستعانة بالجيش، فاتصلت بالقصر الملكى مرة أخرى وكانت الساعة الواحدة والنصف وطلبت التحدث إلى حيدر باشا فقيل لى أنه فى الحضرة الملكية مع ضباط الجيش والبوليس المدعوين فى ذلك اليوم إلى المائدة الملكية بمناسبة مولد حضرة صاحب السمو الملكى ولى العهد فقلت لمحدثى أن الأمر خطير جدا ولابدمن الاتصال حالا بحيدر باشا وطلبت ابلاغه ذلك بأية وسيلة وأضفت أنى سأبقى على السماعة حتى يحضر حيدر باشا، وظللت نحو خمس دقائق انتظر ثم حضر اللواء وحيد شوقى بك يورد على فى التليفون وقال أنه كان على المائدة الملكية وأن جلالة الملك أمره بأن يردعلى فى التليفون لمعرفةسبب طلبى لحيدر باشا فشرحت لوحيد بك الحالة وتطوراتها وخطورتها وضرورة نزول الجيش فورا إلى المدينةلقمع الحركة وطلبت منه رفع ذلك كله إلى المسامع الملكية الكريمة فوعدنى بذلك كما طلبت من مدير الأمن العام الاستعانة بقوات البوليس الموجودة فى الجيزة مع حكمدارها للذهاب إلى الحرائق الجديدة التى تم الاخطار عنها وللمعاونة على حفظ النظام وقمع الحركة . . وبعد أن اتصل بمديرية الجيزة أفادنى بأن الحكمدار غير موجود وأن وكيل الحكمدار سينتقل مع القوة فورا . . وأخذت الاخطارات لإدارة الأمن العام ترد بعد ذلك عن حدوث بعض حرائق أخرى فى السينمات والمحلات التجارية . . »

وهكذا جاء الطلب الثالث لوزير الداخلية بنزول الجيش . .

فماذا حدث أيضا هذه المرة ؟

ترك وزير الداخلية معلق فى مكتبه ينتظر قرار الملك الذى طلب من وحيد شوقى إبلاغه بكل شىء . .

ومضت ثلاثة أرباع ساعة كاملة منذ تحدث وزير الداخلية مع اللواء وحيد شوقى . . دون أى جواب . .

عندئذ اضطر وزير الداخلية لمغادرة مكتبه (الساعة ١٥ر٢) وتوجه بنفسه إلى القصر لاستطلاع الموقف . . فوصله الساعة ٣٠ر٢ ..

يقول فؤاد سراج الدين :

«وحوالى الساعة ١٥ر٢ غادرت مكتبى فى وزارة الداخلية حيث لم يتصل بى أحد من القصر ولم تصل قوات الجيش إلى المدينة لاستعجل الأمر بنفسى . ووصلت إلى القصر حوالى الساعة ٣٠ر٢ وكان الضباط المدعوون يغادرون القصر وأنا أدخله . . وصعدت مباشرة إلى مكتب حافظ باشا العفيفى رئيس الديوان فوجدته به وسألته عن سبب عدم نزول الجيش وأخذت أشرح له خطورة الحالة .. وفى هذه الأثناء دخل المكتب معالى حيدر باشا وطلبت منهما رفع الأمر إلى جلالة الملك فقام حافظ باشا للتشرف بمقابلة جلالته وبعد قليل استدعى حيدر للتشرف أيضاً بالمقابلة الملكية ثم عاد الاثنان معاً وقال لى أن جلالة الملك أمر بنزول الجيش وكانت الساعة إذ ذاك الثالثة إلا الربع على وجه التحديد .. »

ومن ذلك كله يتضح أن وزير الداخلية لم يتأخر عن طلب الجيش حتى

من قبل وقوع أى حوادث .. وأنه ألح فى هذا الطلب ثلاث مرات وليس مرة واحده .. خلال بضع ساعات قليلة ومشحونة بالتوتر والخطر .. وأنه فى مرتين وجد معارضة صريحة من قائد الجيش (حيدر باشا) .. وفى المرة الثالثة تأخر الرد عليه ساعة كاملة .. ولم يحصل على الموافقة إلا بعد أن جاء إلى القصر .. وانتظر ربع ساعة حتى أذن الملك بنزول الجيش . .

وفى هذه الأثناء .. كانت البلد بالفعل قد خربت..

لكن .. هل خربت البلد .. لأن وزير الداخلية هو الذى تأخر فى طلب الجيش .. أم لأن قيادة الجيش لم تكن تريد إنزاله .. ! ؟

لقد حاول النائب العام أن يلقى الظلال على موقف فؤاد سراج الدين فى هذه المسألة ..

فقال أن حيدر نفى أن وزير الداخلية اتصل به الساعة ١١٫٣٠ .. ولم يعقب على هذا النفى ليترك الإنطباع لدى الرأى العام بأن كلام وزير الداخلية ليس صحيحاً .. رغم أن أوراق التحقيق الذى أجراه هو شخصياً تبين أن حسين صبحى مدير الأمن والرجل الذى أشاد هو نفسه بموقفه وسلوكه فى هذا اليوم صدق على كلام فؤاد سراج الدين ..

ثم عاد فأثبت أن قائد الجيش قرر أن اتصال فؤاد سراج الدين به وطلبه الجيش (للمره الثانية حسب كلام سراج الدين .. وللمرة الأولى حسب كلام حيدر) لم تكن الساعة ١٢٫٣٠ وإنما الساعة الواحدة ..

هذا رغم أن النائب العام واجه فؤاد سراج الدين بهذين النفيين فى التحقيق وسمع منه كلاما محدداً .. [1]

فقد قال له أن حيدر نفى طلبك الأول للجيش (الساعة ١١ —٣٠ر١١) فأجاب سراج الدين : ماقلته هو ما حدث . بدليل أن حيدر ترك مكتبه وتوجه إلى القصر الساعة ٣٠ر١٢ لاستئذان الملك ..

وعاد فقال له أن حيدر أنكر طلب الساعة ٣٠ر١٢ .. فرد عليه بأن ما قاله هو الصحيح .. وأنه لا قيمة لمثل هذا الإنكار ..

فقال النائب العام : قرر حافظ باشا عفيفى أنه تلقى منكم بعد الساعة الواحدة بقليل مكالمة بانه لا ضرورة لا نزال الجيش الآن ..

فأجاب سراج الدين : هذا يؤكد أننى اتصلت بحيدر باشا الساعة ٣٠ر١٢ ، لطلب الجيش وليس الساعة ١ كما يقول حيدر .. إذ فى الساعة ١ طلبت الإرجاء ..

وكلام سراج الدين وردوده حاسمه .. ومع ذلك فقد طلب من النائب العام إجراء مواجهة بينه وبين حيدر وحافظ لكى يروى كل واحد الأحداث أمام الآخر .. لكن النائب العام لم يفعل .. رغم أنه أجرى هذه المواجهة بين سراج الدين ومرؤوسيه (بدوى خليفة وحسين صبحى) لما أحس بأن مثل هذه المواجهات قد تخلخل كلام وزير الداخلية ..

ولام النائب العام وزير الداخلية لأنه طلب ارجاء نزول الجيش الساعة

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

الواحدة : بينما لو أنه كان على علم بما يحدث لعلم أن الجماهير هاجمت فى هذه الساعة نفسها سينما ريفولى .. وهو لوم لا أساس له ، لأنه من البديهى — والحتمى — أن لا يعرف أى مسئول بوقوع حادث فى نفس اللحظة التى يقع فيها هذا الحادث .. خاصة إذا كانت الإمكانيات لا تسمح إلا بأن يبلغ الضابط الموجود فى المكان بالحادث تليفونيا لضابط الاتصال بمديرية الأمن .. ومن هذا إلى مدير الأمن العام .. ثم إلى الوزير .. مما يجعل العلم بالحادث يتأخر عن وقوعه بالضرورة مما لا يقل عن ربع ساعة ..

لكن .. كم كان الوقت الذى طلب فيه وزير الداخلية إرجاء نزول الجيش ..

إنه لا يتجاوز نصف ساعة .. هى المدة ما بين مكالمة لحافظ عفيفى ومكالمته لوحيد شوقى بالقصر ..

وكان المفروض أن نظام الطوارىء موجود .. وبمقتضاه تكون كتيبة من الجيش مستعدة وتنزل للبلد بعد نصف ساعة من الاستدعاء .. والثانية بعد ساعة .. وهكذا

وكان المفروض أن حيدر أبلغ بطلب الجيش .. ونبه باستعداده منذ الساعة ١١٫٣٠ أو ١٢٫٣٠ أو حتى الواحدة (حسب كلامه هو)

وحتى بعد طلب الإرجاء ، فإن حيدر علم بإعادة طلب الجيش من وحيد شوقى بعد أن تحدث هذا مع سراج الدين[١] ..

فإن الحقيقة الثابتة أنه لم يصدر أمر الملك بنزول الجيش إلا الساعة

---

(١) تقرير النائب العام .

الثالثة إلا الربع .. بعد ثلاثة ساعات وربع من أول طلب بنزول الجيش (فى صوره طلب استعداد) .. وبعد ساعتين وربع من ثانى استدعاء .. وبعد ساعة وربع من ثالث استدعاء .. وبعد ساعة من معرفة حيدر بإلحاح وزير الداخلية على وحيد شوقى وطلبه ابلاغ الملك فوراً .. وهى كلها أوقات كان يفترض أن يتم فيها انزال كتيبة الطوارىء للمدينة فعلا ..

لكن .. لقد كان من الضرورى أن يتأخر صدور الأمر بنزول الجيش ..

حتى يكون الوقت .. والحوادث .. كافيين لاثبات عجز الحكومة عن حفظ الأمن ..

وأيضا ، تكون المائدة انتهت .. وشبع الضباط من الغذاء الملكى فتضمن قيادتهم أنها أشبعت بطونهم .. فتستحى عيونهم .. ولا يقدمون على عمل ضد الرجل الذى أكلوا معه « عيش وملح » .

ويكون الملك قد ألقى بوصاياه على ضباطه .. بالمحافظة على الضبط والربط .. والوئام مع قادتهم .. وعدم القيام بأى عمل قبل أن يدعوهم هو إليه .. فيؤدون مهمتهم عند صدور الأمر لهم بالنزول بالصورة التى يستحقون عليها شكر الملك وتقديره ..

هذه هى الأسباب الحقيقية التى أخرت انزال الجيش .. وليس عدم طلب وزير الداخلية ..

□ □ □

ومع ذلك .. فهل نزل الجيش بعد صدور أمر الملك .. فى وقت معقول .. بأى مقياس ؟

حسب أقوال قيادة الجيش نفسها :

– وصلت مكتبي الساعة ٢٫٤٥

– الساعة ٢٫٥٠ اتصل بي حيدر باشا وقال لى أنه أصدر أمر بإنزال الجيش فأصدرت أمرى بتحريك ألف صف وعسكرى .

– أبلغت قائد قسم القاهرة اللواء على نجيب وكلفته بإنشاء رياسة بالأزبكية ..

– تحركت القوات من الساعة ٣٫٢٥ – ١٢٠ عسكرى من البوليس الحربى . .

– الساعة ٤ وصلت كتيبة المدفعية – ٤٠٠ عسكرى مع ضباطهم ..

– الساعة ٤٫٣٠ صدرت تعليماتى لسلاح الفرسان بارسال ٤ سيارات مدرعة للقيادة العامة لحراستها ..

– الساعة ٤٫٣٠ أصدرت لسلاح الإشارة بارسال لاسلكى إلى السفارة الأمريكية ...

– الساعة ٥ بلغ عدد القوات بالأزبكية ١٢٠٠ وتم توزيعهم ..

– الساعه ٥٫٣٠ أبلغت أن القوات أصبحت ١٥٠٠

– الساعة ٩ بلغت القوات ٤٠٠٠

(من أقوال الفريق عثمان المهدى – التحقيق مع رجال الجيش)

– الساعة ٣٫٥ صدر لى الأمر ..

— فى الطريق أصدرت أمرى للبوليس الحربى بحراسة المرافق الهامة .

— الساعة ٣ر٤٠ وصلت حديقة الأزبكية مع البكباشى يوسف العجرودى

— الساعة ٤ وصلت مقدمة القوات من سلاح المدفعية ..

— تم خروج الفرقة (٤٠٠) الساعة ٤,٣٠ ..

— بعد ربع ساعة حضرت قوة الفرسان (٤٠٠)

— بعد ثلث ساعة حضرت قوه سلاح المهندسين (٤٠٠)

— خرج آخر جندى من الحديقة فيما بين الساعة ٥ر٣٠ والساعة ٥ر٤٥

(من أقوال اللواء على نجيب — التحقيق مع رجال الجيش)

هذا ما قاله رئيس أركان حرب الجيش وقائد قسم القاهرة عن مواعيد نزول القوات . . والأعداد التى نزلت فى كل موعد . .

فماذا قال فؤاد سراج الدين استناداً إلى مصادر الداخلية . . فى نفس النقطة . . ؟

«طلب حيدر باشا عثمان المهدى باشا على التليفون وقال له أن جلالة الملك أمر بنزول الجيش وطلب منه اتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ ذلك بأسرع ما يمكن وقال له أنى موجود بجواره وأننى طلبت ذلك فطلبت من حيدر باشا أن يسأله عن المدة التى يستغرقها نزول الجيش فسأله حيدر باشا فأجاب أن الأمر يقتضى أعداد اللوريات والجنود واستدعاء الضباط من منازلهم وقد توجهوا اليها بعد المائدة وأن هذا يستغرق ثلاثة أرباع الساعة على

الأكثر وعلى ذلك فالقوات ستكون في المدينة فى الساعة ٣٠ر٣ . .»

وهنا لابد أن نفتح قوسا ونسأل :

□ لماذا أصدر رئيس الأركان الأمر إلى الضباط – أو سمح لهم – بالتوجه إلى منازلهم . . وهو يعلم بالحالة فى البلد . . وبأن الجيش سينزل إلى المدينة ؟

□ ثم ما هذا الكلام عن أعداد اللوريات والجنود . . كما لو كان لا يوجد نظام للطوارىء . . ؟

هل كان الجيش غير مستعد حتى تلك اللحظة ؟ . . أم أن ذلك كان جزءا من عمليه المماطلة والتأخير المتعمد ؟

لقد سألت عشرة من ضباط الجيش . . فقالوا أن حالة الطوارىء كانت قائمة منذ الصباح . . وليس ساعة صدور الأوامر بنزول الجيش ! . . [1]

بينما قرر اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وقائد القوات التى نزلت أنه « نظرا لتمرد جنود بلوكات النظام نبه منذ الصباح على قوات الطوارىء بالتأهب» . . [2]

ونعود لنكمل كلام فؤاد سراج الدين :

«طلب – عثمان المهدى – تكليف الحكمدار بانتظارها

---

(١) راجع شهادات الضباط – الملاحق .

(٢) التحقيق مع رجال الجيش .

واتفقنا على أن الحكمدار سيكون فى حديقة الأزبكية حيث أنها ستوزع من هناك وقد رجوت حيدر باشا أن يأمر بانزال أكثر ما يمكن من القوات مع السيارات المصفحة فقال أنه اتفق مع عثمان باشا على انزال أكبر قوة ممكنة ولكنه لا يوافق على انزال السيارات المصفحة خشية أن يفسد المتظاهرون اطاراتها الكاوتشوك وتتعطل فى الشوارع . وحدث ونحن فى انتظار نزول القوات أن أخبرنى حيدر باشا بأن عثمان باشا المهدى أصدر أمره إلى ضباط الجيش عقب المائدة الملكية بتجنب المرور أثناء عودتهم بميدان الأوبرا والشوارع المحيطة به حتى لا يحتك بهم المتظاهرون، فقلت لحيدر باشا ليت عثمان المهدى عكس هذا الأمر فلو أن هؤلاء الضباط وهم عدد كبير مروا بسياراتهم فى الجهات المضطربة لكان منظرهم كافيا لقمع هذه الحركة . وكنت عقب محادثة حيدر باشا لعثمان باشا المهدى اخطرت تليفونيا محافظ القاهرة بالنيابة وحكمدار البوليس بما تم الاتفاق عليه وبانتظار هذه القوات فى حديقة الأزبكية وأعداد رجال البوليس الذين سيرافقون هذه القوات أثناء مرورهم فى الشوارع لقمع هذه الفتنة وطلبت من المحافظ أن يخطرنى فى مكتب حافظ باشا عندما تصل قوات الجيش إلى الحديقة . وفى نحو الساعة الرابعة مساء أى بعد مضى نحو نصف ساعة على الموعد الذى حدده عثمان باشا لنزول القوات أتصل بى بمكتب حافظ باشا وبحضوره وحضور حيدر باشا المحافظ بالنيابة

وأخطرنى بأن قوات الجيش لم تصل بعدفطلبت من حيدر باشا الاتصال مرة أخرى بعثمان المهدى باشا للاستفسار منه عن سبب التأخير فاتصل بهوقال عثمان باشا أن القوات تحركت فعلا وبعد ذلك بنحو ربع ساعة اتصل بى المحافظ بالنيابة مرة أخرى منبئا بعدم وصول القوات فأخبرته بما ذكره عثمان باشا من تحركها وبعد ذلك بنحو ربع ساعة أخرى اتصل بى الحكمدار شاكيا من اشتداد الحالة وعدم نزول قوات الجيش فطلبت من حيدر باشا بحضور حافظ باشا الاتصال مرة أخرى بعثمان المهدى باشا فاتصل به وكان ردعثمان المهدى باشا هو نفس الرد السابق . وفى حوالى الساعة الخامسة مساء اتصل بى المحافظ بالنيابة بمكتب حافظ باشا وقال لى أن نحو ١٥٠ جنديا وصلوا إلى الحديقة منذ دقائق وأنهم فى أنتظار باقى القوات . وفى الساعة السادسة اتصلت بالمحافظ بالنيابة بالمكتب المؤقت الذى اتخذه بنادى ضباط البوليس بحديقة الأزبكية وسألته عن القوات التى وصلت إلى تلك اللحظة فقال أنها حوالى ٢٥٠ جندى وأن القوات لم تغادر الحديقة وتوزع على المناطق إلا فى الساعة ٣٠ر٥ مساء . . »

وهكذا يظهر أنه رغم صدور الأمر بنزول الجيش الساعة الثالثة إلا الربع . . ورغم وصول قيادة القوات إلى حديقة الأزبكية الساعة ٤٠ر٣ (حسب أقوال اللواء على نجيب نفسه) . . ووصول مقدمة القوات الساعة ٤ . . فقد ظل الحكمدار والمحافظ بالنيابة . . ووزير الداخلية (من

داخل مكتب رئيس الديوان وبحضور القائد العام للجيش) . . ظلوا «يهاتون» طول اليوم . . يستحثون نزول القوات بأعداد كافية . . ويطلبون سرعة توزيعها على المدينة . . !

لكن النائب العام لم يعجبه كلام وزير الداخلية ومساعديه . . وأصر على الأخذ – فى هذه النقطه – بكلام قادة الجيش ، طبعا . . فقال فى تقريره النهائى :

«أن قوات الجيش أسعفت المدينة فى وقت مناسب بعدد وعدة كافيين . . »

وأنه :

«قد تبين أن الفترة ما بين الساعة الثالثة إذ صدر أمر رئيس هيئة أركان حرب الجيش إلى القوات بالنزول إلى المدينة وما بين الساعة ٥٫٤٥ التى قرر قائد القوات أنه تم توزيع القوات فيها أو السادسة والسادسة والنصف التى قرر الحكمدار أنها هى الوقت التى تم فيها توزيع ألف ومائة جندى – أن هذه الفترة لم تتجاوز المدى المعقول المناسب» . .

يا سبحان الله !

نصف ساعة طلب فيها وزير الداخلية إرجاء نزول الجيش . . مجرد إرجاء . . لأسباب معقولة ، ولم تؤثر على الموقف أى تأثير . لأنه ثبت أن الجيش لم تصدر له أى أوامر بالتحرك ثم عدل عنها . . هذه النصف ساعة

خربت البلد . أما الساعات الطويلة التى ماطلت فيها قيادة الجيش قبل صدور الأمر . . ثم الساعات الطويلة التى أخذها «الاستعداد» . . فهى وقت مناسب ومعقول . . لم تخرب فيه المدينة !

□ □ □

ومع ذلك . .

وعلى فرض أن الجيش نزل «بعدد وعدة كافيين » . . و « فى الوقت المعقول والمناسب » كما قال النائب ..

فماذا فعل هذا الجيش بعد أن نزل ؟

يقول فؤاد سراج الدين :

« .. وحوالى الساعة ٦,٣٠ اتصل بى المحافظ بالنيابة فى مكتب حافظ باشا وبحضور حيدر باشا وقال لى أن قوات الجيش التى نزلت إلى المدينة تمر فى الشوارع أمام المتظاهرين والمتجمعين أمام المحلات فيصفقون لها وأنها لا تطلق النار فى المليان فعجبت لهذا النبأ وذكرته لحيدر باشا وحافظ باشا فاتصل حيدر باشا فى الحال بعثمان باشا تليفونياً وأنهى إليه بما بلغته فقال له عثمان باشا أن قوات الجيش لاتستطيع إطلاق النار فى المليان إلا بأمر كتابى من البوليس وأن هذا الأمر الكتابى لم يصل بعد إلى الجيش ولما قال لى ذلك حيدر باشا ثرت ثورة عنيفة وأخذت منه السماعة وتحدثت إلى عثمان باشا وخاطبته بلهجة شديدة وبصوت عال وقلت له أنك تلقيت أمراً منذ الساعة الثالثة وربع

بانزال قوات الجيش لقمع فتنة خطيرة مدبرة وقد استعجلناك أكثر من مرة فى إنزال القوات لخطورة الحالة فلماذا لم تطلب هذا الأمر الكتابى إذا كان ذلك ضرورياً منذ الساعة الثالثة والربع وانت تعلم انى موجود هنا من وقتها بجوار حافظ باشا مع حيدر باشا فلماذا لم تطلب منه الحصول على هذا الأمر ولماذا لم يطلب اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وقد كان موجوداً فى حديقة الإزبكية منذ الساعه الرابعة مع المحافظ بالنيابة وحكمدار البوليس لاستقبال قوات الجيش .. لماذا لم يطلب على بك نجيب هذا الأمر الكتابى من أحدهما .. ولأى سبب إذن نزل الجيش إلى المدينة إذا لم يكن القصد هو قمع هذه الاضطرابات بكل الوسائل ومنها ضرب النار .. أنك لاتقدر خطورة الحالة وإنى اقول لك بأعلى صوتى أننا امام ثورة منظمة لقلب نظام الحكم وها انا اعطيك امراً بوصفى وزيراً للداخلية ورئيس البوليس بضرب النار فى المليان وأقرر لك ذلك على مسمع من رئيس الديوان والقائد العام للقوات المسلحة وارجو تبليغ ذلك الأمر إلى قواتك فوراً واحملك مسئولية المحافظة على الأمن فى المدينة بصفة تلك رئيس أركان حرب الجيش حيث ان الأمر لم يعد فى استطاعة البوليس وإنى اترك للجيش هذه المهمة كاملة فوعدنى سعادته باصدار التعليمات اللازمة فوراً باطلاق النار فى المليان وأكتفى بهذا الأمر الذى أبلغته إياه فى التليفون وكانت الساعة إذ ذاك السادسة

.... والنصف مساء . وبعد قليل اتصل حيدر باشا بعثمان باشا مرة أخرى بناء على طلب للاستفسار عن عدد القوات التى نزلت وطلبت من حيدر باشا وكانت ثورتى قد هدأت أن يطيب خاطر عثمان باشا باسمى وأن يقول له أنى تشددت معه فى الكلام لأنى أطمح كثيراً فى همته فنقل ذلك حيدر باشا إليه . ولكنى علمت بعد ذلك فى اليوم التالى للحوادث أنه رغم المشادة التليفونية مع عثمان باشا ورغم هذا الأمر الصريح الذى بلغته إياه فى التليفون لم يضرب الجيش النار فى المليان حتى اضطر محافظ القاهرة بالنيابة بعد أن أعيته الحيل فى إقناع القائد الموجود معه فى الحديقة بذلك أن يكتب للقائد أمراً كتابياً باطلاق النار فى المليان بناء على طلب القائد وذلك فى الساعة الثامنة مساء وبعد أن تناقش معه فى صيغة هذا الأمر . ومن العجيب أن القائد وهو على بك نجيب لم يطلب هذا الأمر الكتابى إلا فى الساعة الثامنة مع أنه كان فى الحديقة مع المحافظ والحكمدار منذ الساعة الرابعة تقريباً كما اضطر المحافظ بالنيابة فى الساعة ٧,١٥ مساء إلى توجيه تبليغ كتابى إلى اللواء على نجيب قائد قوة الجيش يطلب منه ذلك أيضاً ، ونص التبليغ هو ما يأتى : « الحالة خطيرة فى المدينة والبلاغات تنهال علينا باحداث حرائق ونهب وسلب . أرجو التكرم باعطاء أوامر صريحة بمنع استمرار هذه الحالة حيث أن الجيش أصبح هو المسئول الآن عن الأمن » .

ويحيل إلى أن طلب على بك نجيب للأمر الكتابى باطلاق النار فى المليان كان بعد وصول هذا التبليغ إليه مع أن الأمر لم يكن يستدعى هذه الفترة الطويلة بين الساعة ٧,١٥ والساعة ٨ مع أنهما موجودين فى مكان واحد .. »

ثم يقول وزير الداخلية :

« وفى نحو الساعة التاسعة مساء اتصلت أثناء جلسة مجلس الوزراء بالمحافظ بالنيابة مرة أخرى وسألته عن مجموع القوات التى وصلت إليه حتى تلك اللحظة فقال أنها حوالى ٥٠٠ أو أكثر قليلا ولكن موقفها من حيث إطلاق النار فى المليان لايزال كما هو من حيث عدم الضرب رغم الأمر الكتابى والأوامر العديدة الشفوية التى صدرت إليهم منا ومن المحافظ ، فاتصلت بمحافظ عفيفى باشا فى القصر وشكوت إليه من أن هذه الحالة مستمرة فقال لى أنه قد بلغه منذ قليل وأنه سيتصل فوراً بحيدر باشا الذى لايزال موجوداً بالقصر الملكى . وقد استمرت الحرائق على ماعلمت تشب حتى الساعة ١١ مساء حيث هدأت الحالة وتوقفت الحرائق الجديدة وأن استمر الإطفاء مع الاشتعال الذى شب منها يوماً ويومين .. »

هذا ماقاله وزير الداخلية ومساعدوه عن موقف الجيش بعد أن نزل . ـ

فماذا قال قادة الجيش ؟

☐ قال اللواء علي نجيب أنه أصدر إلى ضباطه أمراً بضرب النار مباشرة على المخربين والذى يعتدى على الأنفس أو يشعل الحرائق .. أما المتظاهرون فقط فيجب تفريقهم باطلاق الرصاص فى الهواء فان لم يتفرقوا يطلق عليهم الرصاص فى المليان ..[1]

☐ وقال الفريق عثمان المهدى « أنه فى الساعة ٧,٣٠ اتصل بى القائد العام وأبلغت أن الجيش ليس عنده أمر باطلاق النار فعرفته أن الأوامر صدرت باطلاق النار فى حالة الاعتداء على النفس والمخربين والسلب والحريق .. أما المظاهرات فتبعاً للحالة فى حينها ..»[2]

☐ وقال الفريق محمد حيدر : ليس العبرة بالأقوال ولكن العبرة بالأعمال. وأن ماقام به الجيش منذ وصوله والأوامر التى صدرت من القائد إلى ضباطه وجنوده كانت أوامر صريحة طبقاً للتعليمات المكتوبة لديهم من رياسة الجيش وقد ادى الجيش واجبه على اكمل وجه » ..[3]

وكما هى العادة ، اخذ النائب العام بكلام قيادة الجيش ، فأكد فى ختام تقريره :

« ان قوات الجيش لم يتأخر وصولها إلى حديقة الازبكية عن الوقت اللازم ، ولم تقصر فى تلبية ماطلب منها ، وان إليها يعود استتباب الأمن فى المدينة.

و ...

« مما تقدم كله يبين ان قوات الجيش اسعفت المدينة فى

(١) ، (٢) ، (٣) التحقيق مع رجال الجيش .

وقت مناسب بعدد وعدة كافيين لمواجهة الحال ولم
تتوقف عن اداء واجبها كما نسب إليها بغير حق » .

وكما هى العادة ايضاً ، كذب النائب العام وزير الداخلية .. بتكذيب محمود البدينى المحافظ بالنيابة .. الذى قدم معلومات غير صحيحة للوزير ..

واستند النائب العام فى دحض اقوال محمود البدينى إلى انه لم يتحقق من المعلومات التى يقولها :

« فقد سئل المحافظ بالنيابة محمود البدينى بك فأيد
رواية الوزير فيما نقله عنه من تبليغات . ولما سئل عن
مصدر معلوماته التى نقلها إلى الوزير قرر انه لم يتحقق
من ذلك بنفسه وان مصدر علمه بذلك هو السماع »

وانه — البدينى — ابلغ إشارة للداخلية تتضمن معلومات مختلفة عن تلك التى قالها للوزير .. ونص الإشارة هو :

« الساعة ٥٫٣٠ من محمود البدينى بك — الجيش بدا
ضرب النار — الأهالى ردوا — بعض القوات حضرت —
كمل العدد ١٠٠٠ جندى من الجيش »

ولام النائب العام المحافظ بالنيابة بعنف :

« فما كان إذن لمحمود البدينى بك الذى كان يشغل
وظيفة المحافظ بالنيابة وكلف بالبقاء فى الحديقة
للاشراف على الحالة ان يجازف بالقاء معلومات
وبيانات خطيرة ومثيرة رددها الوزير على لسانه وأبلغها

إلى كبار المسئولين فى حين أنه لم يكن متثبتا من صحة
هذه المعلومات وفى حين أنها تخالف معلومات هو
نفسه التى أبلغها إلى وزارة الداخلية »

هل كان النائب العام محقاً عندما صور أن مصدر معلومات الوزير الوحيد كان هو محمود البديني .. وأن مصدر معلومات البديني كان هو « السماع » ؟

وهل كان محقاً عندما قرر أن البديني نفسه قال كلاماً مختلفاً فى الإشارة التليفونية التى أبلغها إلى وزارة الداخلية ؟

لننظر فى تحقيقات النائب العام نفسه .. لنحصل منها على الإجابة .

ونبدأ بالإشارة ..

فى أوراق التحقيق مع رجال الجيش توجد ملحوظة .. تقول أن محمود البديني طلب الإدلاء بأقوال جديدة .. وأنه قال أنه فى الساعة ٤,٤٥ سأل اللواء على نجيب عن عدد القوات التى ستصل .. فقال اللواء على نجيب ألف .. فأبلغ ذلك لفؤاد سراج الدين .. لكنه — فؤاد سراج الدين — لما اتصل بعد ذلك وقال — البديني — له أن الذى وصل فعلا ١٥٠ عسكرى .. غضب ..

وقال البديني أن بدء وصول القوات كان الساعة ٤٫٤٥ ..

ورد على ما جاء بالإشارة بأنه يحتمل أن يكون الذى تلقاها قد فهم خطأ .. أى أنه نفى أنه أبلغ الإشارة بالصيغة التى تمسك بها النائب العام .

ثم نرى حكاية «السماع» . . وانفراد محمود البديني بترديد معلومات مثيرة عن تقصير الجيش . .

ومرة أخرى نرجع لأوراق النائب العام نفسه . . فى محضر التحقيق مع رجال الإدارة . .

□ الساعة ٤٫٤٠ علمنا بنزول قوات من الجيش إلى حديقة الأزبكية لكنها غالبا لم تقم بعمل يمنع الشغب . الساعة ٧٫٣٠ ـــ ٨ حضر أحد الصاغات عن الجيش يستفهم عما إذا كان يصرح بضرب النار أم لا . كان جبر بك موجود فقال أنا أخطرت اللواء (على نجيب) أن يطلق الرصاص تحت مسئوليتى . وذكر لى جبر بك أنه حدث بينه وبين اللواء قائد جنود الجيش خلاف فى هذا الموضوع . . »

(من أقول بدوى خليفة ، ص ٢٠ ـــ ٢٥)

□ «وصل اللواء على نجيب ومعه قوة من البوليس الحربى (٢٠ جندى) الساعة ٤٫٢٥ . الساعة٤٫٤٥وصل ٤ لوريات كبيرة ولوريين صغيرين فيهم ١٥٠ جندى وصف وضباط بدىء فى توزيع القوة فى لوريات على المناطق ومع كل لورى ضابط بوليس للارشاد . وكان خروج أول لورى الساعة ٥٫٥ . الساعة ٥٫١٥ وصلت قوات أخرى ، بلغ المجموع ٢٥٠ جندى . وبلغ عدد القوات التى وصلت أثناء وجودى بالحديقة (حتى الساعة ٧٫٣٠ » ٧٠٠ جندى . . توجهت إلى الداخلية

وأخبرت بدوى خليفة باشا وحسين صبحى بك بما قلته لعلى نجيب بك وهو أن الجيش وزع ولا تزال الحرائق مشتعلة والجمهور يتظاهر . الجنود يطلقون النار فى الهواء والناس تصفق وهذا يظهرنا أمام الرأى العام العالمى بمظهر نأباه . . فقال على نجيب بك حاضر يافندم سنتخذ اللازم لايقاف هذه الحالة . . وأبديت له — لعلى نجيب — استعدادى لتحمل مسئولية الضرب فى المليان إذا تعذر إيقاف الحالة بغير هذه الطريقة . وأخبرت بدوى باشا بما قلته لعلى نجيب الساعة ٧ بأن الحالة كما هى حول الحديقة مما يدل على أنها كذلك فى باقى المدينة وطلبت منه أن يخرج ويمر معى . . فخرج ووجد الحالة كما قلت له . . وعدنا .

وقال أنه سيتخذ اللازم . . أخبرت بدوى باشا بكل ذلك على مسمع من ضابط الاتصال للجيش . . »

(من أقوال الأميرالاى محمود جبر — محضر التحقيق مع رجال الإدارة ، ص ١ — ٩) .

«عدت إلى حديقة الأزبكية الساعة ٤٥ر٤ بعد أن كنت غادرتها الساعة ٥٠ر٣ فوجدت اللواء على بك نجيب وبعض لوريات الجيش . خرجت لانقاذ محل سمعان ثم عدت الساعة ٣٠ر٥ فشاهدت خروج بعض قوات الجيش — شاهدت ١٨٠ جندى و ٥ أو ٦ لوريات . . وربما كانت توجد قوات أخرى . ولا أعرف إذا كانت هذه أول

قوات تخرج . أخبرنى الحكمدار عند عودتى الساعة ٩ أن العدد بلغ ١٠٠٠ .

س — هل علمت بوجود حرائق فى مناطق نزول الجيش ؟

ج — حضر ضابطان من المرافقين لقوات الجيش إلى حديقة الأزبكية (اليوزباشى يوسف حسنى واليوزباشى فاروق كامل) وأبلغانى حوالى الساعة ٨ م أن الحرائق تزايدت فى منطقتهما وأن قوات الجيش هناك لا تطلق النار لعدم وجود أمر لديها بذلك فأحلتهما على الحكمدار وعلى بك نجيب كما سمعت وأنا بالحديقة محادثة تليفونية من مكتب وكيل المحافظة الذى كان به الامير الاى حشمت بك (حكمدار قسم القاهرة — جيش) وهو يتحدث مع أحد ضباطه ويلومه على عدم وجوده ووجود الجنود الذين كانوا معه فى المنطقة المخصصة له ، وفهمت أن هذا كان بناء على شكوى من أحد ضباط البوليس ولا أعرف أسمه وقد أستدعت هذه الشكوى أن قام الأمير الاى حشمت بك للمرور . وكانت وصلتنا تبليغات بوجود حرائق بعد الساعة ٥ر٣٠ .

س — هل لاحظتم على قوات الجيش أثناء مروركم بالمدينة تقصيرا فى مهمتها ؟

ج — كل ما الاحظه أنهم لم يفضوا تجمهر الناس فى الشوارع . .

س — أين لاحظت وجود تجمهرات مخلة بالأمن العام ؟

ج — فى شارع ابراهيم من شبرد حتى قنطرة الدكة وكان ذلك فى الفترة من الساعة السادسة حتى الثامنة . .

س ــ لاحظتها فى أماكن أخرى .

ج ــ فى شارع فؤاد من الأزبكية حتى الاسعاف وشارع الملكة نازيمان من الاسعاف حتى مصلحة التليفونات وفى ميدان العتبة ، ولم ألاحظ أن القوات الموجودة فى أماكن التجمهرات تعمل شيئا لتفريقهم

س ــ متى انفضت هذه التجمهرات .

ج ــ بعد العاشرة مساءا .

(من أقوال اللواء محمد إبراهيم أمام ــ التحقيق مع رجال الإدارة ، ص ٩٢ ــ ٩٧) .

لم يكن محمود البديني وحده إذن الذى قال أن الجيش لم يقم بأى دور فى قمع الفتنة . . وإنما قال نفس الشىء بدوى خليفة وكيل الداخلية لشئون الأمن العام . . والأميرالاى محمود جبر وكيل الأمن العام . . واللواء محمد ابراهيم أمام وكيل الحكمدار ورئيس البوليس السياسى . .

فكيف أهدر النائب العام كل هذه الأقوال التى قيلت فى تحقيق أجراه بنفسه .

ثم . . كيف سمح النائب العام لنفسه بأن يستخف بمصدر معلومات محافظ المدينة . . هذا الرجل الذى لم يكف عن الحركة والعمل طول اليوم (كان ثانى مسئول بعد اللواء أمام يصل إلى الأوبرا ، ثم كان على رأس القوات عند ريفولى ، وأمسك بيده بندقيه جنبا إلى جنب مع محمود جبر فى حادث بنك باركليز وقاوما الاعتداء بالرصاص . . [1]) والذى كان

(١) التحقيق مع رجال الإدارة ــ أقوال الأميرالاى محمود جبر ، ص ١ ــ ٩ .

مركز كل الاتصالات فى حديقة الأزبكية . . كيف سمح النائب العام لنفسه بأن يقول أن مصدر معلومات هذا الرجل هو « السماع » وليس الرؤية المباشرة . .

لقد سأل النائب العام محمود البديني فى التحقيق عن مصدر معلوماته بالنسبة لموقف الجيش . . فأجاب : « التبليغات التليفونية » (١) فكيف أعتبر النائب العام تبليغات الضباط المسئولين للمحافظ . . هى « سماع » لا يعتمد به . .

على أن النائب العام استند فى تكذيب محمود البديني — وبالتالى وزير الداخلية — على أقوال اللواء مراد الخولى حكمدار العاصمة . .

فقد قرر الحكمدار أن القوات التى وصلت الحديقة حتى الساعة ٣٠ر٦ كانت ١١٠٠ وليس ٥٠٠ كما قال البديني . .

وأن هذه القوات وزعت بالفعل على المدينة حتى ذلك الوقت (٣٠ر٦).

وأن اللواء على نجيب أصدر أمرا باطلاق النار فى المليان على المخربين وفى الهواء على المتظاهرين فاذا لم يتفرقوا ففى المليان . . وأنه لم يطلب تصريحا بضرب النار قبل إصدار أمره إلى قواته . .

والواقع أن اللواء مراد الخولى أدلى بمعلوماته فى هذا الموضوع ثلاث مرات . .

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة — أقوال محمود البديني ، ص ٨٤ — ٩١ .

كانت المرة الاولى عندما كتب تقريرا لوزير الداخلية (المراغى)، بتاريخ ٥ فبراير ١٩٥٢ .. وكانت المعلومات التى تضمنها هى :

- وصل اللواء على نجيب حديقة الأزبكية الساعة ٣٠ر٤ .
- بعد ربع ساعة حضرت طلائع القوات - ١٥٠ عسكرى .
- لم يتم توزيع القوات على أنحاء المدينة قبل الساعة السابعة مساء .
- بعض حضرات ضباط الجيش رفضوا الضرب فى المليان .

ثم أدلى اللواء مراد الخولى بأقواله فى التحقيق الذى أجراه مع رجال البوليس أحمد فؤاد سرى .. وكانت المعلومات الخاصة بموضوع الجيش (ص ٩) كالآتى :

- الساعة ٣٠ر٤ وصل اللواء على نجيب
- الساعة ٤٥ر٤ بدأ وصول القوات بوصول ١٥٠ عسكرى .
- بدأ توزيع القوات على المدينة الساعة ٢٠ر٥ .
- الجيش لا يحرك ساكنا ..

وواضح من ذلك أن أقوال الحكمدار كانت مطابقة تقريبا لأقوال المحافظ بالنيابة وبقية رجال الداخلية .. فى تقريره لوزير الداخلية وفى تحقيق فؤاد سرى .

لكنه عدل بعض أقواله فى تحقيق النائب العام ..

على أننا إذا ركزنا على ما فعله الجيش بعد نزوله .. وهى أهم مسألة فى هذه القضية لوجدنا أن الحكمدار قال فى تقريره لوزيره المراغى أن «بعض حضرات ضباط الجيش رفضوا الضرب فى المليان» . . وقال فى التحقيق

الأول أن « الجيش – الذى نزل – لا يحرك ساكنا » . . وهما صيغتان لمعنى واحد هو أن الجيش لم يوقف ما يحدث فى المدينة . أما فى التحقيق الثانى فقال أن اللواء على نجيب أصدر الأمر لضباطه بالضرب فى المليان . . ولم يقل أن هذا الأمر نفذ فعلا فى الشوارع . . وبالتالى فان أقوال الحكمدار ما كان يجب أن تستخدم لدحض كلام رجال الإدارة الآخرين . .

ومع ذلك فلنر بقية أقوال الحكمدار فى أوراق النائب العام . .

فى محضر التحقيق مع رجال الجيش ، سجل النائب العام أن الأميرالاى محمود جبر تقدم للادلاء بأقوال جديدة . . قال أنه مما يؤيد اقوالى السابقة :

«حضر الينا صاغ (رائد) من الجيش اسمه اسماعيل فريد وقال على مسمع من جميع الحاضرين (بحديقة الأزبكية) : بالرغم من وجود رجال الجيش فى المناطق فلا يزال بعض الناس يضعون الحرائق وينهبون المحلات فكلفت اليوزباشى عبد المنعم عتيق بكتابة اسم هـذا الصاغ . .»

وبعد ذلك سجل النائب العام الملحوظة التالية :

« أيد اللواء مراد الخولى الواقعة التى ذكرها الأميرالاى محمود جبر . وقرر (الحكمدار) أنه سمع من الضابط يوسف عبد الحكيم عبد الهادى ، وكان من المرافقين للجيش ، فى اتصال تليفونى أنه عندما وصل

مع قوة الجيش كان بشارع قصر النيل حريقان فتزايدت الحرائق بهذا الشارع وأصبحت عشرة »

ثم سجل النائب العام ملحوظة أخرى طريفة . .

فقد ذكر البكباشي (المقدم) يوسف العجرودى ، حكمدار قسم القاهرة أن قوات الجيش وصلت مبكرة . . بدليل أنه كان يقوم بتوزيعها مع الحكمدار فى ضوء النهار الطبيعى فى حديقة الأزبكيه . .

فرد اللواء مراد الخولى بأن هذا غير صحيح . . لأن المصابيح الكهربائية كانت مضاءة . . والا لما استطاعوا العمل . . !

ولا يبقى فى هذا الموضوع الانقطة أمر ضرب النار . هل صحيح كما صدق النائب العام — أن أمر ضرب النار صدر ونفذ منذ بداية نزول الجيش . . وأن ما قاله وزير الداخلية ومحمود البدينى ومحمود جبر . . كذب ؟

مرة أخرى . . الاجابة من أوراق النائب العام نفسه . .

من أقول الفريق عثمان المهدى رئيس أركان حرب الجيش :

□ «الساعة ٣٠ر٧ م اتصل بى القائد العام وأبلغنى أن الجيش ليس عنده أمر باطلاق النار فعرفته أن الأوامر صدرت باطلاق النار فى حالةالاعتداء على النفس وعلى المخربين وفى حالات السلب والحريق . . أما بالنسبة للمظاهرات فتبعا للحالة فى حينها» .

□ «الساعة ٤٠ر٧ اتصل فؤاد سراج الدين باشا وأبلغني أن الجنود يطلقون النار فى الهواء فأجبته بأنى ساعطى الأوامر اللازمة . وقد اتصلت باللواء على نجيب وسألته عن ذلك فقال سأنظر فى الأمر» ..

□ س : قرر سعادة فؤاد سراج الدين باشا أنه لما ذكر لحيدر باشا أن قوات الجيش التى نزلت إلى المدينة لا تطلق النار فى المليان ، ويصفق لها المتظاهرون .. اتصل حيدر باشا بكم فى الساعة ٣٠ر٦ فقلتم أن قوات الجيش لا تستطيع إطلاق النار فى المليان إلا بأمر كتابى وان فؤاد سراج الدين باشا لما سمع ذلك ثار وأخذ سماعة التليفون واتصل بكم وقال لكم أنكم تلقيتم أمرا بانزال قوات الجيش منذ الثالثة لقمع فتنة خطيرة فلماذا لم تطلبوا هذا الأمر الكتابى مع علمكم بأنه — أى فؤاد سراج الدين باشا — موجود لدى معالى رئيس الديوان ولماذا لم يطلب اللواء على بك نجيب هذا الأمر منذ الساعة الرابعة .. فهل هذا حصل .. ؟

جـ — الحديث الخاص بحيدر باشا حصل . وكان ردى عليه أن قوات الطوارىء التى تنزل لحفظ الأمن لا تضرب النار إذا أخذت تصريح كتابى من حاكم المدينة أو الحكمدار . . »

فيم إذن كان تكذيب النائب العام لكلام المحافظ بالنيابة .. ووزير الداخلية . . وأوراقه نفسها . . وأقوال قادة الجيش تؤكد بصراحة لا لبس فيها أن الأمر بضرب النار كان موضع أخذ ورد . . وأنهم اشترطوا أخذ

تصريح كتابي به . . ولم يطلبوا هذا التصريح الا فى وقت متأخر جدا . . وتحت إلحاح عنيف من وزير الداخلية والمحافظ بالنيابة .. ووكيل الأمن العام ! ؟

ولا يصلح لإثبات أن الجيش «ضرب نار» «تقديم إدارة الجيش ما يثبت استهلاك ذخيرة بكميات كبيرة » . . كما جاء بتقرير النائب العام .. لأنه ثابت يقينا أن رصاص الجيش كان كله فى الهواء .. وأنه لم يقتل ولم يصب شخصا واحدا .. وأن كل قتلى ذلك اليوم وعددهم ٤ (واحدأمام باركليز وواحد عند تقاطع شريف وعدلى وأثنين أمام عمر أفندى) وكل المصابين وعددهم ٣٠ قتلوا وأصيبوا برصاص البوليس الذى اعتبره النائب العام جامدا وسلبيا ولم يقاوم التخريب .. وليس برصاص الجيش الذى قال عنه أنه «لم يتراخ فى اطلاق النار » !

□ □ □

لكن هناك حقائق مادية لا يمكن إنكارها .. وهى أنه اشعلت بالفعل حرائق .. ووقعت حوادث .. بعد نزول الجيش . . وهذا دليل أكيد على أن الجيش لم يخمد الفتنة . . أو يضع حدا للمؤامرة . . .

فكيف تدافع النيابة عن الجيش فى هذه النقطة ؟

لقد اجتهد النائب العام حتى وجد حلا :

أن الحوادث التى وقعت بعد نزول الجيش هى :

١ ـ حريق بنزايون الساعة ٥

٢ ـ حريق محلات فى ميدان محمد على الكبير ومحل بوندى للسلاح بشارع البواكى الساعة ٥ ـ ٦

٣ ــ حريق عمارة الشواربى الساعة ٦

٤ ــ حريق محل شملا الساعة ٦ ــ ٣٠ر٦

٥ ــ محاولة الاعتداء على عمر أفندى الساعة ٣٠ر٦

٦ ــ حريق نادى شل الرياضى بحدائق القبة الساعة ٧

٧ ــ حريق الأوبرج وما يجاوره بشارع الهرم الساعة ٣٠ر٦ ــ ٣٠ر٨

فلماذا لم يمنع الجيش هذه الحوادث .

لسببين (هكذا قال النائب العام) :

أولهما : عدم تعيين ضباط بوليس لمرافقة قوات الجيش بواسطة الحكمدار . .

ثانيهما : البعد عن قلب العاصمة . .

والحرائق ــ والحوادث البعيدة هى حرائق شارع محمد على (العتبة) ونادى شل بحدائق القبة والأوبرج وما يجاوره بشارع الهرم . . والباقى لم يجد الجيش «أدلة» يوصلونه اليها . . فخشى أن «يتوه» . . ففضل البقاء فى الأمان . . داخل حديقة الأزبكية .

وقد أثيرت «الأدلة» هذه من جانب النائب العام وهو يناقش فؤاد سراج الدين . . أثار النائب العام مسئولية ضباط البوليس عن مرافقة الجيش . .

فرد سراج الدين : «عندما طلب عثمان باشا المهدى أن ينتظر بعض ضباط البوليس لمرافقة قوات الجيش طلبت منه أن يحتل الجيش كل طرق

الشوارع الرئيسية فى قلب العاصمة مع إرسال قوات سريعة إلى المرافق العامة ».. (١)

لم تكن مسألة عدم وجود «أدلة» لقوات الجيش إذن بالمسألة التى يجب أن يأخذها النائب العام مأخذ الجد .. ويحتج بها فى عدم قيام الجيش بحماية هذا المربع المحدود جداً من قلب العاصمة ..

لكن النائب العام كان مصمماً ، بأى طريقة ، لأن يعطى الجيش .. وقيادته .. والملك .. صك براءة مطلقة .. بالقيام بأكبر عملية تستر فى أحداث ٢٦ يناير كلها ..

ولعل هذه العملية على وجه التحديد كانت المهمة الرئيسية لتقرير النائب العام .. وليس أى شيء آخر ..

وهو ما كشف عنه أحمد مرتضى المراغى وزير داخلية الملك ، ورجل الإنجليز القوى .. عندما قدم التقرير فى المؤتمر الصحفى الذى تلاه فيه النائب العام .. بقوله :

« إن ماوجه إلى الجيش أو ماأذيع من أن الجيش وقواده لم يقوموا بالواجب المفروض عليهم قد نقضه هذا التقرير وهدم هذا الافتراء .. »

---

(١) التحقيق مع رجال الإدارة - أقوال فؤاد سراج الدين ، ص ١٠٠ - ١١٠ .

أخبـار اليـوم فـى .. « الـخدمة » !

هكذا عملت أجهزة السلطة الملكية على تحقيق أهداف المؤامرة ..

البوليس السياسى تركها تمر .. ثم اجتهد فى تلفيق الجريمة لأعداء الملك السياسيين ..

والنيابة تلقفت التلفيق وقننته .. وأغمضت عينها من كل مايشير إلى الفاعل الحقيقى ..

والجيش امتنع عامداً عن معاونة الحكومة .. وترك البلد تحترق دون أن يحرك ساكناً ..

ثم جاء دور الصحافة لتجمع كل هذه الخيوط فى حملة دعائية تستهدف الرأى العام .. تحاول صياغة معلوماته بما يخدم المتآمرين ..

وكانت الصحافة فى مصر تلك الفترة مستقطبة استقطاباً حاداً بين معسكرى الصراع السياسى الرئيسين : الجبهة الوطنية بكل اجنحتها وتياراتها .. وجبهة الملك والإنجليز .. والأمريكيين الذين كانوا قد اخذوا يحتلون مركز القيادة فى جبهة اعداء الشعب ..

وبينما كان « المصرى » و « روز اليوسف » و « الجمهور المصرى » و « الاشتراكية » و « الكاتب » و « الملايين » و « اللواء الجديد » وغيرها تعبر عن المعسكر الوطنى .. كانت صحف دار « أخبار اليوم » تؤدى وظيفة جهاز الإعلام النشط للمعسكر الآخر .. ومن ثم فقد كان دورها واضحاً فى المؤامرة ..

□ □ □

□ كان الهدف الأساسى من حرق القاهرة هو التطويح بحكومة الوفد .. لا باعتبارها وزارة كما يظن البعض ، ولكن باعتبارها محوراً للحركة الوطنية الديمقراطية فى تلك المرحلة من تاريخ مصر ..

ولذلك أسرع الملك بقرار إقالة الوزارة .. بينما كانت الوزارة التى ستحل محلها (وزارة على باشا ماهر) توشك أن تتم تشكيلها ..

واضطر رئيس الوزراء الجديد لمهادنة الوفد ومجاملة النحاس .. ليضمن تأييد الأغلبية الوفدية فى البرلمان .. وهو ما حدث بالفعل ..

لكن الشعب كان غاضباً للتطويح بحكومة الأغلبية .. لذلك كان لابد من « تبليعه » العملية .. بتصوير الأمر كما لو كان إنقاذ للبلاد .. وإعادة للاستقرار والأمن .. وهو ما حاولت « أخبار اليوم » القيام به .. فأخذت تنشر أخباراً وتعليقات من نوع :

« ولو لم يتصرف جلالة الملك فاروق بهذه السرعة
(باقالة الحكومة النحاسية) لتعالى الصياح فى بريطانيا
بضرورة اتخاذ إجراء بواسطة الحكومة البريطانية ..

لاشك أن مصر وبريطانيا قد أنقذتا من محنة قاسية
في الأسبوع الماضي ...»

من رسالة بقلم « أيوار » – أخبار اليوم ١٩٥٢/٢/٢ .

وكانت أخبار اليوم « بذلك تريد من الرأى العام المصرى أن يحمد الله ويشكر مولاه الذى أنقذ البلد من احتمال احتلالها بواسطة الجيش البريطانى لكنها أيضاً تضطر للافصاح عن تنفس الجبهة المعادية للشعب الصعداء .. إذ تخلصت مصر (أى الملك طبعاً) والإنجليز من محنة استمرار هذه الحكومة اللعينة !

أما بعد ذهاب هذه الحكومة .. فقد أصبح كل شى على مايرام :

واشنطن تعتقد أن حكومة
مصر قابضة على ناصية الحال

« واشنطن لمراسل أخبار اليوم – تدل الأنباء الواردة من مصر على أن الحكومة الجديدة تقبض على الموقف بحزم بعد الاضطرابات التى وقعت أخيراً وأن الحكومة المصرية تعمل بكل مافى وسعها لاستقرار الحالة فى البلاد .

وتقول الأنباء التى تصل إلى الدوائر الدبلوماسية هنا أن الاضطرابات التى وقعت فى مصر أخيراً قد سببت صدمة قاسية لغالبية المصريين ..

ومن المعتقد أن هذه الصدمة التى منى بها المصريون قد بينت بوضوح خطورة العوامل المتطرفة فى البلاد.

(أخبار اليوم — ١٦ فبراير ١٩٥٢)

هكذا .... !

حكومة الموظفين التى لاتستند حتى إلى حزب أقلية هى أداة استقرار البلاد .. لأنها تقبض على الموقف بحزم أى بالأحكام العسكرية والإرهاب وتكميم الأفواه .. أما المصريون (الشعب) فقد صدم صدمة قاسية .. تعلم منها أن التطرف عواقبه وخيمة .. أى أنه — فيما تعتقد أخبار اليوم وواشنطن — لن تعود مرة أخرى إلى المطالبة بجلاء الإنجليز وحمل السلاح ضدهم ..ولن يرفض أحلاف أمريكا .. ولن يهتف بسقوط الملك .. لأن هذا كله تطرف لايجلب إلا الكوارث ..

□ لكن هذا الكلام (إيهام للشعب بأنه أنقذ من كارثة بطرد حكومة الوفد .. ومطالبته بالتخلى عن شعارات الوطنية والديمقراطية باعتبارها شعارات متطرفة) هذا الكلام لن يجد أذانا تسمعه إلا إذا صحبته حملة تشهير مركزة على حكومة الوفد .. وشخصياتها الأساسية .. وبالذات فؤاد سراج الدين ..

وهكذا ، ومنذ أول عدد بعد الحريق، ركزت أخبار اليوم بالكاريكاتير والصورة الفوتوغرافية على مسألة أن فؤاد سراج الدين هو المسئول عن حريق القاهرة . فنشرت صورة كبيرة فى الصفحة الأولى لعمارة عريضة التى اشتراها سراج الدين ووقع عقدها يوم ٢٦ يناير ..

وقد رد فؤاد سراج الدين على هذه القضية بأن توقيع عقد العمارة لم

يستغرق سوى دقيقة واحدة .. وأنه اضطر إلى توقيعه لأن البائع كان على سفر ..

وسواء أكان هذا العقد وقع يوم ٢٦ يناير .. وكان هذا سلوكاً غير مناسب من وزير داخلية بلد تأكلها النار .. أو كان وقع فى يوم الجمعة السابق على الحريق وليس يوم ٢٦ يناير نفسه .. وإنما كتب تاريخ يوم ٢٦ يناير لأن يوم الجمعة أجازة رسمية .. وأن فؤاد سراج الدين لم يذكر ذلك لأنه يحرج موظف الشهر العقارى .. وهى رواية سمعتها من أحد سكرتيرى وزير الداخلية .. وأرجح أنها صحيحة .. فان وزير الداخلية ظل بمكتبه يتابع الموقف .. ولم يتعطل عن تأدية واجبه بسبب شراء العمارة .. ولذلك فان حملة أخبار اليوم .. وتركيزها على هذه الحكاية لم يكن استنكاراً لسلوك وزير الداخلية .. واهتمامه بشراء عمارة فى يوم كهذا .. — أو كالذى سبقه وهو يوم مذبحة الإسماعيلية — وإنما لتغطية حقيقة ما حدث .. والتستر على المجرم الحقيقى ..

وفى ٩ فبراير وسعت أخبار اليوم الحملة على سراج الدين .. فنشرت قصة قالت فيها :

« إجتمع فى دار رفعة النحاس باشا جميع أعضاء الوزارة الوفدية المقالة غداة الإقالة .. وقال النحاس باشا موجهاً الكلام لفؤاد باشا سراج الدين : « كفاية بقى يافؤاد . كتر خيركم » .. ياما قالوا لى كتير على فؤاد وزارتين كبار الداخلية والمالية ومايقدرش عليهم .. فكنت أقول ده محل ثقتى وأنا المسئول برقبتى .. يعنى لما كانوا النهاردة يشنقونى ويطيروا

رقبتى كنت أستاهل .. يالله نذهب إلى القصر نقيد
أسامينا ونشكر الملك اللى اكتفى باقالتنا .. »

كلام واضح ، يبين أن النحاس يعترف بمسئولية الحكومة .. وفؤاد سراج الذى « أغرقها » يحمله أعباء أكبر منه .. وأنهم – الوزارة – تستحق الشنق .. لولا عفو الملك ..

وقد سألت إبراهيم فرج ، وزير البلديات ووزير الخارجية بالنيابة فى وزارة الوفد .. والمعروف بصلته الوثيقة بالنحاس ، عن هذه الحكاية . فأكد أن شيئاً من ذلك لم يحدث إطلاقاً ..!

إزاء هذه الحملة .. نشر « المصرى » فى ٦ فبراير بياناً (يرجح أن كاتبه هو أحمد أبو الفتح) يحذر فيه أخبار اليوم من الإستمرار .. جاء فيه :

(لقد تعودنا دائماً ألا نخوض فى مسألة موضع تحقيق النيابة وتحت نظر القضاء حرصاً على حرمة التحقيق وكرامة الهيئات القضائية ، وهذا هو موقفنا اليوم ، فلسنا نريد أن نعرض لهذه الحوادث فى أية ناحية من نواحيها الجوهرية ولا أن نخوض فى تفاصيلها والمسئولية عنها ، ولكن الذى يؤسفنا حقاً أن نرى بعض الصحف الموتورة من الوفد تهجمت على كرامة التحقيق وحرمته وبادرت فحددت المسئولية فى هذه الحوادث وأخذت تبدى وتعيد فى المسئولين عنها ، واندفعت بشهوة التحامل فوضعت المسئولية كلها على عاتق سعادة فؤاد سراج الدين باشا وكأنه ليس هناك تحقيق

تتولاه النيابة لتحديد المسئولية وتعين المسئولين .
ولسنا ندرى لماذا يجرى التحقيق ولماذا يسهر رجال النيابة ويجهدون أنفسهم مادامت المسئولية تحدد بمثل هذا الاتهام الطائش الذى تلقيه تلك الصحف الموتورة.

إننا نعرف أن سعادة فؤاد سراج الدين باشا فى مكنته أن يخرس هذه الصحف ويقطع ألسنتها الطائشة بالحجة الدامغة ولكنه يسكت إيثاراً لكرامة التحقيق الذى تتولاه النيابة حتى لايكون هناك اتهام بالتأثير فى سير التحقيق » ..

لم تعبأ « أخبار اليوم » بانذار « المصرى » .. فقد كانت « مسنودة » من القصر وحلفائه الاستعماريين .. معبرة عن وجهة نظره .. ولذلك ، لم تلبث أن خرجت ببيان كان هو موضوعها الرئيسى فى عدد ٩ فبراير .. يعبر عن وجهة نظر القصر .. مع « تحابيش » « أخبار اليوم » الشهيرة ..

كتبت أخبار اليوم تحت عنوان « من المسئول عن حرق القاهرة ؟ » :

« أن الشعب يريد أن يعرف من المسئول عن حرق القاهرة

أن المتصلين بفؤاد سراج الدين يزعمون أنه طلب نزول الجيش ولكنه لم يجب إلى طلبه .

ونحن ننشر هذه الحقائق :

١ — حدث فى نحو الساعة التاسعة والنصف صباحاً أن طلب اللواء

مراد الخولى بك حكمدار القاهرة من فؤاد سراج الدين باشا نزول أورطة الجيش للمحافظة على النظام . ولكن وزير الداخلية لم يستجب للطلب .

٢ — يقول التقرير الرسمى لقومندان فرقة مطافى القاهرة أنه تلقى فى الساعة ١٢,٢٧ بلاغاً عن أول حادث وقع فى ميدان ابراهيم باشا وفى الساعة ١٢,٥٦ تلقى بلاغاً بالحادث الثانى الذى وقع فى شارع فؤاد الأول . .

٣ — حدث فى نحو الساعة الأولى بعد الظهر يوم السبت أن اتصل فؤاد سراج الدين باشا بالفريق محمد حيدر باشا القائد العام وطلب منه نزول الجيش للمحافظة على النظام .

٤ — بدأ الفريق محمد حيدر باشا يستعد فوراً لإنزال العدد اللازم من الجنود .

٥ — فى الساعة الواحدة والنصف خاطب فؤاد باشا تليفونياً الدكتور حافظ عفيفى وقال له أنه كوزير للداخلية لايرى داعياً لنزول الجيش لأن البوليس قابض على زمان الحالة تماماً وأنه عدل عن طلب الجيش ..

٦ — فى الحال كتب الدكتور حافظ عفيفى ورقة بخطه إلى الفريق حيدر يبلغه ..

٧ — أصدر حيدر باشا أمراً فى الحال بوقف استعداد نزول الجيش .

٨ — والآن لننظر كيف قال سراج الدين أنه قابض على زمام الحالة .

□ فؤاد سراج الدين كان يشترى عمارة .. والقاهرة تحترق « الساعة الواحدة والنصف كان نيرون باشا يشترى عمارة والقاهرة تحترق »

٩ ـ بعد أن انتهى من شراء العمارة خرج إلى قصر عابدين ووصل إلى مكتب حافظ عفيفى حوالى الساعة ٣٠ر٣ وطلب ضرورة إنزال الجيش لأن الحالة سيئة ..

فاستدعى حافظ عفيفى الفريق حيدر فوراً .

ووصل حيدر فقال له عفيفى الوزير يريد الجيش

وذهب حافظ مع حيدر وقابلا جلالة الملك فوراً

وبعد دقيقتين فقط عادا إلى فؤاد سراج الدين وأبلغاه أن جلالة الملك أمر بنزول الجيش .

ومن مكتب حافظ عفيفى وبحضور فؤاد سراج الدين باشا اتصل حيدر بالفريق عثمان المهدى وطلب منه إنزال أكبر قوة .. .. وأن يكون نزولهم تدريجياً نحو ميدان الأوبرا وقال عثمان المهدى أنه يحتاج لنحو ساعة لإعداد اللوريات والذخيرة والجنود والضباط .

وابتداء من الساعة الرابعة وصل الجيش تدريجياً إلى حديقة الأزبكية وكانت التعليمات بناء على طلب سراج الدين أن تنزل القوه وتبقى تحت أمره حكمدار البوليس ولا تتدخل إلا إذا استنجد بها الحكمدار وأن تأتمر بأوامره فى تنفيذ تعليماته من الضرب فى الهواء أولا ثم فى المليان إذا استدعى الأمر ذلك .

وعندما اتصل فؤاد سراج الدين باشا بالفريق عثمان المهدى قال له :

إضربوا فى الهواء أولا ثم فى المليان ..

فقال الفريق : أريد أمراً كتابياً بهذا

فقال فؤاد باشا أنى أتكلم معك أمام شهود وهم حافظ عفيفى باشا وحيدر باشا واضربوا فى المليان إذا طلب الحكمدار .

١٠ — ولو أن فؤاد باشا لم يعدل عن طلب نزول الجيش فى المرة الأولى لما حدثت الحرائق فى ١٥ محلا وصلت بلاغاتها إلى المطافئ فى الساعة الثانية والنصف ، ولما حدثت الحرائق فى محلين فى شارع فاروق أبلغت عنها المطافئ الساعة ٤٠ر٢ و ٨ محلات بجانب فندق شبرد الساعة ٣٠ر٣ و ٢٤ محلا الساعة ٤ ...

١١ — وماذا كان يفعل رئيس الوزراء فى هذا الوقت ؟

لقد أرسل سيارة من سيارات البوليس بين الساعة ٣٠ر٢ — ٣ ومعها حرس إلى محل باتا لإحضار فيكتور عامل البيديكور ليقلم أظافر قدميه .

١٢ — وبعد ذلك استدعى رفعته مدموازيل آلييت من محل جورج للمانيكير وأرسل لها سيارة أخرى بصحبة ضابط بوليس وقامت بتلميع أظافر رئيس الوزراء والقاهرة تحترق ..

١٣ — المطافى تلقت ٢٨ محلا تحترق الساعة ٥

١٤ — الساعة ٦ تلقت المطافى أنباء حرق ٨ محلات أخرى .

١٥ — وصلت اللوريات تقل جنود الجيش ابتداء من الساعة الرابعة تدريجياً : وكلما ظهر الجنود فى شارع إنقطع فوراً النهب والسلب والحريق وبدأت الحرائق تقل فى قلب القاهرة ولكنها انتقلت الى أطرافها ..

وهكذا قدمت أخبار اليوم صورة مزيفة لأحداث اليوم .. لم يجرؤ الأطراف الأصليون على تقديمها عند الإدلاء بأقوالهم فى التحقيقات :

ـ فاخترعت طلب الحكمدار نزول أورطة من الجيش الساعة التاسعة والنصف صباحا . . ورفض وزير الداخلية للطلب . وهو لم يرد له أى ذكر فى كل تحقيقات النائب العام . . كما لم يذكره لى الحكمدار عندما استمعت إلى شهادته مؤخرا . وإنما ما حدث هو ان الحكمدار طلب أورطة الجيش من رئيس الأركان قبل الاحداث بيومين . . وأن عثمان المهدى قال له عندما تحتاج ستكون عندك الأورطة فى خمس دقائق . .

ـ أكدت انكار حيدر لطلب وزير الداخلية نزول الجيش الساعة ٣٠ر١١ . . وهو ما لم يستطيع النائب العام نفيه قطعيا واكتفى باعتباره طلب باستعداد الجيش وليس بنزوله . . وأضافت على كلام حيدر أنه بدأ يستعد فورا لانزال العدد اللازم من الجنود ، وهو ما لم يحدث . . وما لم يدعه لا حيدر ولا عثمان المهدى . . بدليل أنهما بدءا الاستعداد بعد صدور أمر الملك . . وطلب المهدى ثلاثة أرباع ساعة لهذا الاستعداد كما جاء بتحقيقات النائب العام . . أو ساعة كما جاء بنفس بيان أخبار اليوم .

أدعت أن وزير الداخلية «عدل» عن طلب نزول الجيش الساعة ٣٠ر١ ورتب على هذا العدول المزعوم أن حيدر «أصدر» أمرا فى الحال بوقف استعداد ونزول الجيش . . وكلا الأمرين مختلفين تماما . . فما أبلغه وزير الداخلية لحافظ عفيفى هو «أرجاء» نزول الجيش لتحسن الحالة . . مع استمرار الاستعداد لأى تطورات . . وهـذا ما اثبته النائب العام فى تحقيقاته . . ولم يصدر حيدر أى أمر بوقف الاستعداد « فى الحال » . . لأنه لم يكن هناك أى أمر أصلا بالاستعداد . . لأن حالة الطوارىء كانت موجودة فى الجيش . . ولم يقل حيدر أو غيره فى التحقيقات أنهم أصدروا أمر بالغاء حالة الطوارىء فى الجيش بعد أن أبلغ وزير الداخلية حافظ عفيفى بأن الحالة تحسنت .

— ويبلغ الكذب ذروته عندما يزعم بيان القصر وأخبار اليوم أن سراج الدين هو الذى طلب أن يبقى الجيش تحت أمرة الحكمدار ولا يتدخل إلا إذا استنجد به الحكمدار . . . وأن لا يضرب الرصاص إلا فى الهواء أولا . . وأن فؤاد سراج الدين عندما تحدث مع عثمان المهدى قال له (فى حضور حيدر وعفيفى) أضربوا فى الهواء أولا ثم فى المليان . . .

محاولة مبتذلة جدا لقلب الحقائق رأسا على عقب . . وهو ما سبق أن عرضناه بالتفصيل فى الفقرة السابقة . .

لكن بيان أخبار اليوم — حسب قاعدة أن الكذب ليس له رجلين — أضطر للاعتراف بما اجتهد قادة الجيش . . والنائب العام نفسه بعد ذلك . . لإنكاره . . عندما ذكر الفريق (عثمان المهدى) قال أريد أمرا كتابيا بهذا !

— ثم أكمل بيان أخبار اليوم مهمة الحملة الأساسية . . التى هى جوهر المؤامرة عندما تهجم بصورة مزرية . . وبعيدة عن أى أصول . . على مصطفى النحاس . . بالفاظ وتقولات أسخف من أن يرد عليها .

وقد سألت كامل البنا سكرتير النحاس والذى لازمه يوم ٢٦ يناير بمنزله فقال ان ما كتبة عن النحاس لم يحدث بالمرة .. فضلا عن انه من غير المعقول ان يحدث والنحاس زعيم الأمة ورئيس الوزراء المسئول .. والشيخ الذى كان فى الخامسة والسبعين من عمره .. أنه كذب وافتراء ؟

كانت اخبار اليوم بهذا البيان ملكية اكثر من الملك .

وكانت تتوقع انها فى ظل الرقابة على الصحف الآخرى تستطيع ان تقول ما تشاء . . دون ان تكون لأحد فرصة التصحيح . .

لكن . . فى اليوم التالى لصدور عدد اخبار اليوم . . صدر بيان فؤاد سراج الدين على صفحات « المصرى » . . وهو البيان الذى اشتهر ببيان ١٠ فبراير ، بعد ان بذل احمد ابو الفتح جهدا رائعا لـكى يفلت « المصرى » من الرقابة (١) . .

كذب فؤاد سراج الدين اخبار اليوم . . وقيادة الجيش . . والملك بذكر نفس البيانات التى أدلى بها أمام النائب العام فى اليوم التالى . . يوم ١١ فبراير . .

وأصبح النظام فى مأزق . لقد قدم هو تصويرا للحوادث . . أجتهد أبرع دعاته فى تدبيجه . . بحيث يشوه وجه الحكومة الوفدية ووزير داخليتها . . فاذا بوزير الداخلية المقال يخترق الستار . وينشر المعلومات الحقيقية . . التى تفضح تواطؤ القصر وتقصير الجيش . . وتزييف صحيفة النظام . .

هنا انتقل الصراع إلى مستوى أكثر عنفا . .

فأخذت أخبار اليوم تذيع أسرار التحقيق . . أو ما توهم الرأى العام بأنه أسرار التحقيق .. وتعرضها بصورة توحى بكذب فؤادسراج الدين .. وكان أبرز عمل لها من هذا النوع هو نشر خبر بعنوان ضخم يقول « شهود سراج الدين يكذبون سراج الدين » .. وكان ذلك فى عدد ١٦ فبراير ..

ومرة أخرى لم يسكت سراج الدين ، فنشر فى اليوم التالى بيانا أكثر عنفاً ، جاء فيه :

---

(١) راجع شهادة أحمد ابو الفتح ـ الملاحق

«صدرت فى صباح اليوم — السبت مجلة «أخبار الانجليز » فكانت كعاداتها طافحة بالاكاذيب والمفتريات والدس الحقير بين مختلف الهيئات والسلطات . وشغل شخص فؤاد سراج الدين باشا معظم صفحات هذه المجلة ؛ فصوبت إليه سهام حملتها الطائشة المرتدة إليها وهى فى ذلك كله تلتقى مع سادتها الإنجليز وتعمل بوحيهم وتجهد نفسها فى انجاح سياستهم ، وبما يلازمها من مهاترات حزبية فى قضية الوطن الكبرى . . هذا هو هدف الانجليز الأكبر والأدق فى الوقت الحاضر وهذا هو ما يعمل على تحقيقه صاحبا مجلة «أخبار الانجليز» غير مدخرين جهدا أو مالا ينفقونه فى شكل مكافآت سخية فالجهد لا يكلفهما أكثر من تسويد صفحات مجلتهما بالأكاذيب والدس الحقير . . والمال لا يتعبهما الحصول عليه . .

ولا اكتمهما سرا إذا أبديت لهما سرورى من أن تشغل كل صفحات مجلتهما بالحملة على شخص فهذه أخف على نفسى من أن يترك فيها فراغ يسوده صباحا المجلة — كما فعلا فى مجلتهما آخر ساعة فى عددها الأخير بالدفاع عن الجنرال اكسهام وبالإشادة بمقدرته العسكرية وشجاعته وتاريخه العسكرى المجيد ونضاله العظيم فى جبهة نورماندى وفى معركة دنكرك فى الحرب الأخيرة مع نشر صورة جنابة وصور زوجته وطفليه العزيزين .

نشرت مجلة «أخبار الانجليز» بعنوان كبير وباللون الأحمر (شهود سراج الدين يكذبون سراج الدين) ثم قالب داخل اطار تحت نفس العنوان :

«قال كبار موظفى وزارة الداخلية والمشرفون على الأمن العام الذين استشهد بهم سعادة فؤاد سراج الدين باشا فى بيانه الذى حاول فيه الدفاع عن نفسه (بيان ١٠ فبراير) ، قالوا أنهم كذبوه فى هذه الوقائع التى استشهد بهم على صحتها . وقد واجهتهم النيابة بسعادة فؤاد باشا فأصروا على أقوالهم . ويقول المطلعون أن الأيام المقبلة ستكشف الستار للرأى العام عن حقائق بشعة» . . هذا ما نشرته المجلة بالحرف الواحد . .

وأود – وضعا للأمور فى نصابها – أن أقرر لصاحب المجلة أننى فى بيانى لم أستشهد بأحد من رجال الأمن ، فمن المغالطة المفضوحة أن يقال أننى استشهدت بهم فى بيانى على صحة الوقائع التى تضمنها وأنهم كذبونى فى التحقيق ، ولم يتضمن فى جوهره كما هو معروف أية وقائع أو تفصيلات خاصة برجال الأمن العام أو المشرفين عليه وذلك لسبب بسيط هو أن المجلة المذكورة لم تتعرض فيما نشرته فى عدد السبت ٩ فبراير لهذه الناحية بالذات بل تعرضت لنواح أخرى زيفت الوقائع الخاصة بها وهو ما توليت الرد عليه فى بيانى .

على أنه بقى أن أوجه سؤالا بسيطا هو : كيف عرفا أن رجال الأمن العام كذبونى . . ؟ هل اطلعا على التحقيقات الجارية . ؟ أم أنهما على اتصال برجال الأمن العام الذين يجرى معهم التحقيق الآن ؟

ثم كيف سمح لهما بالتعرض لهذه التحقيقات فسودا صحيفتها بالأخبار الكاذبة عنه وبالصور الكاريكاتيرية التي تؤثر على مجريات التحقيق وتوجه الشهود الذين يسألون فيه اتجاها معينا . . هل أصبحت هذه المجلة حكومية بذاتها لا يحكمها قانون ولا يردها عن غيها أمر ولو كان عسكري ؟[1]

وكان لابد أن يوجه النظام ضربة قاصمة للقوى الوطنية . . بنشر إرهاب واسع في البلاد . . يلجم الحركة الشعبية . . ويخطو بالمخطط الاستعماري الملكي خطوة نحو هدفه البعيد : العودة إلى المفاوضات . . والاحلاف مع بريطانيا وأمريكا . .

كيف عبرت صحيفة النظام عن هذه المرحلة ؟

إلى جانب حملة التشويه والتشهير للحكومة الوفدية . . بدأت عملية التخويف والإرهاب . . بالإيحاء باجراءات عملية ضد العناصر «المشاغبة» . .

وهكذا نشرت «أخبار اليوم» يوم ١٦ فبراير في برواز خبر اليوم المخصص للأخبار الخطيرة . .

«وضع أحد الزعماء غير الحزبيين مذكرة يقترح فيها إصدار تشريع بأمر عسكري بالاستيلاء على أموال الوزراء المسئولين عن حادث حريق القاهرة وأن تخصص هذه المبالغ لتعويض المحال المحروقة . .»

وكتبت في نفس العدد أيضا ، تحت عنوان « أول وزير يحاكم »:

---

(١) «المصري» - ١٧ فبراير ١٩٥٢ .

«جرى بحث فى شأن محاكمة الوزير الذى ثبت أنه أهمل فى المحافظة على الأمن وعرض الأرواح للخطر أو الذى تسبب بسوء سياسته فى أن تخسر ميزانية الدولة عشرات الملايين من الجنيهات .

وقد ثبت من بحوث الفقهاء أن القانون العادى والدستور يجيزان مثل هذه المحاكمة »

وقد اتضح أن نية الملك وحكومته اتجهت لاعتقال الوزراء الذين لعبوا دورا بارزا فى الفترة السابقة على حريق القاهرة . .

فلم يلبث أن صدر قرار باعتقال فؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن ثم أتضح أن هذا الاعتقال تم بناء على طلب السفير البريطانى فى مصر . . لأن أولهما ساعد العمل الفدائى وشجع جنود البوليس المصريين على محاربة الإنجليز . . والثانى كان يخطب منبرا المصريين ضد الإنجليز وكانت خطبه أحد العوامل الهامة فى ترك العمال المصريين العمل فى المعسكرات البريطانية . . (١)

وتولت «أخبار اليوم» زف البشرى . . وعمدت لإخراج الخبر بطريقة «اربط الممسوك يخاف السايب» . . فنشرت فى عدد ٢٢ فبراير :

«حدث بعد منتصف ليلة الاثنين الماضى أن طاف اللواء أحمد طلعت بك حكمدار العاصمة على بيوت الوزراء وراح يوقظهم واحدا واحدا . .

تبينوا أن معالى وزير الداخلية (مرتضى المراغى)

---

(١) نشر خطاب السفير الدكتور محمد أنيس فى كتابه «حريق القاهرة» ، ص٤٩ـــ٥١ .

كلفه أن يبلغ الوزراء صورة الأمر العسكرى باعتقال فؤاد سراج الدين باشا وعبد الفتاح حسن باشا . وقد وافق الوزراء على هذا الأمر العسكرى » .[1]

□ □ □

بعد هذه الخطوة . . كان كل شيء فى مصر يتغير بقوة . . وسرعة..

كان دور أمريكا قدأصبح هو الدور الرئيسى فى صفوف الجبهة المعادية للشعب . .

وكانت أمريكا قد وضعت خطتها التى رسمتها أجهزة مخابراتها بقيادة كيرميت روز فلت موضع التنفيذ العملى . .

وكما سبق أن ذكرنا نقلا عن مايلز كوبلاند (لعبة الأمم) كانت خطة أمريكا تعتمد على بديلين :

□ عملية اصلاح سطحية تخفف من عنف الصراع فى المجتمع المصرى . . تحت شعار التطهير . . مع الابقاء على الملك . . والغاء الديمقراطية السائدة . .

□ عملية اصلاح سطحية تخفف من عنف الصراع فى المجتمع المصرى . . تحت شعار التطهير . . مع ابعاد الملك . . والغاء الديمقراطية السائدة . .

وإيجاد صورة شكلية للديمقراطية . . أى بعمل انقلاب عسكرى . .

---

(١) فى وزارة نجيب الهلالى الأولى .

(٢) مايلز كوبلاند ــ لعبة الأمم ، ص ٨٤ .

وكانت الفترة التى بدأت مع أول مارس ١٩٥٢ هى فترة الانتقال من البديل الأول إلى البديل الثانى . .

فى الفترة السابقة كانوا متفاهمين مع فاروق على أن تجرى عملية التطهير والاصلاح من خلاله هو . .

لكن فاروقا لم يكن قادرا على الاستجابة للاصلاح بعد ما أغرق فى الفساد حتى أذنيه . .

فبدأ الأمريكان يحركون رجالهم ، ويتصلون هم بشخصيات تعمل معهم مباشرة . . وكان من أبرز الشخصيات التى علقوا عليها آمالهم فى تلك الفترة الدكتور أحمد حسين وزير الشئون الاجتماعية الذى أستقال من حكومة الوفد . . ونجيب الهلالى . .

ثم اتصلوا بجمال عبد الناصر للاستفادة من تنظيم الضباط الأحرار فى تنفيذ الشق الثانى من خطتهم . . (١)

لكن الجهاز الذى كشف عن معرفة واسعة بالمخطط الأمريكى . . والذى لعب أخطر الأدوار فى تحويله إلى سياسة مكشوفة (وليست مجرد مؤامرة سرية) .. كان «أخبار اليوم» .

وهكذا عملت «أخبار اليوم» . .

منذ ٩ فبراير بدأت ما سمته بحملة التطهير . . فكتبت :

«أخبار اليوم تبدأ حملة التطهير» .

— ١٠٠٠ جنيه لمن يرشد عن حادث فساد . .

---

(١) مايلز كوبلاند — لعبة الأمم ؛ ص ٨٤ .

— ٥٠٠ جنيه للثانى . .

— ٣٠٠ جنيه للثالث . .

— ٥٠٠ جنيه لخمسة قراء . .

وحددت ألوان الفساد بأنها :

١ — اتجار فى قوت الشعب وتموينه :

٢ — صفقات مالية أو تجارية خسرت فيها الدولة:

٣ — حوادث استغلال نفوذ .

٤ — أموال أو رشاوى دفعت لقضاء حاجات الدولة .

٥ — شراء أو استئجار أو سمسرة أو تلاعب فى الأسواق لمصلحة ذوى النفوذ .

٦ — التلاعب فى أموال الدولة أو انفاق أموال من الدولة فى غير موضعها .

وكان يمكن لمثل هذه الحملة . . بنفس هذه المواصفات : . أن تكون حملة نزيهة . . تبتغى مصلحة الشعب والدولة . . لولا أمرين ارتبطا بها . . وكشفا حقيقة أهدافها . .

فقد حددت الجريدة مدى زمنيا يجب أن تقع فيه الوان الفساد التى تريد فضحها . . وهى :

«الفترة من أول يناير ١٩٥٠ حتى فبراير ١٩٥٢»

أى فترة حكومة الوفد الأخيرة . . فقط .

وهكذا أرادت «أخبار اليوم» أن تصور أن الفترة التى ألغيت فيها المعاهدة . . وحمل شباب مصر السلاح ضد محتلى بلاده بتشجيع من الحكومة . . وازدهرت فيها الحريات الديمقراطية . . ووضعت مصر أقدامها على بداية طريق التحرر الكامل من الاستعمار . . وانتهاج سياسة الحياد الايجابى . . والاقتراب من معسكر السلام والاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتى . . هذه الفترة كلها ليست — من وجهة نظر أخبار اليوم — ومن وراءها — سوى فساد فى فساد .

وكان لابد أن يستنكر هذا الاتجاه العدمى . . حتى من جانب كتاب كانوا طول فترة الوفد . . حربا على حكومته . . مثل إحسان عبد القدوس الذى أضطر لأن يكتب مطالبا بمحاربة الفساد فعلا . . وفى كل مكان . . وليس بتصوير أنه خاص بالوفد وحده .[1]

أما الأمر الثانى ، فكان يتعلق بمفهوم «اخبار اليوم» للتطهير . . والهدف البعيد منه . . عندما كتبت تقول أن :

«القضاء على الفساد هو وحده الطريقة الفعالة لتحرير الشرق الأوسط من الاستعمار والاستغلال والثورات الداخلية» . .

وكانت هذه بالذات هى نفس معالم المخطط الاستعمارى الأمريكى . . التى جاء يرفع رايتها بعد ذلك نجيب الهلالى :

□ اتركوا مسألة التحرير . . وحل القضية الوطنية . . حتى يتم تطهير الجبهة الداخلية من الفساد . . بكل صوره وأشكاله .

---

(١) روز اليوسف — مارس ١٩٥٢ .

□ عندما ننجح فى معركة التطهير . . تصبح مسألة التحرير سهلة وممكنة . .

□ التطهير هو طريقنا للقضاء على الاستعمار فى الشرق الأوسط(!) . . وعلى الاستغلال أيضا . .

□ إننا بالتطهير نضع بديلا للثورات الداخلية . . .

وكانت خطورة هذه السياسة فى تلك الفترة تكمن فى أنها :

١ — دعوة لوأد معركة كفاح للتحرير . . بالسلاح . . بدأها الشعب المصرى بكل فئاته واتجاهاته السياسية الوطنية . . بعد أكثر من سبعين عاما من الاحتلال والسيطرة الاستعمارية . . تيقن الشعب المصرى خلالها أنه لا طريق للتحرير إلا حمل السلاح واستخدام العنف الثورى ضد المحتلين . . (وهو أمر ثبت صوابه فى فترة ١٩٥١ وبعد الثورة أيضا عندما أضطر الضباط الأحرار لاشعال الكفاح المسلح مرة أخرى سنة ١٩٥٤ لإرغام الإنجليز على الجلاء) . .

وهى دعوة مصاحبة لمؤامرة أحرقت فيها عاصمة البلاد ، واطيح بحكومة الأغلبية البرلمانية . . أى مصاحبة لانقلاب دستورى وحشى ضد الحركة الوطنية الديمقراطية . . كبديل لهذا كله . .

٢ — وهى تعليق لآمال الأمة على اوهام كاذبة . . بدعوى اننا عندما نتطهر . . سنتحرر . أما كيف ؟ . ومتى ؟ . وبأى الوسائل ؟ . فهذا كله غير مهم . المهم أن « نصهين » ونؤجل معركة التحرير . . والسلام .

٣ — وهى دعوة لتضليل الشعب بخرافات سخيفة لحل مشاكله الكبرى

التى كانت قد بدأت تتبلور : التحرر . . والاشتراكية . . أو العدالة الاجتماعية فالتطهير سيخلصنا من الاستعمار . . والاستغلال أيضا . . وفى الشرق الأوسط كله .

كل هذا فى ظل الفاروق المعظم . . وحكامه الذين لا يستندون إلى الشعب .

٤ — وهى أخيرا . . بديل الثورات الداخلية . وهذا هو بيت القصيد .

فلقد كانت مصر فى تلك الفترة بالفعل حبلى بالثورة . ثورة التحرير والعدل الإجتماعى . . الذى يستهدف القضاء على نفوذ كبار الرأسماليين والإقطاعيين المرتبطين بالاستعمار . . والذين يمثل الملك فاروق الرمز الرسمى لهم .

وكان استمرار حكومة الوفد . . بكل الظروف التى أحاطت بها . . يفتح الباب أمام هذه الثورة لكى تتحدد معالمها . . وتتجمع قواها . . وتنضج قيادتها . . فتنتقل من التحضير إلى التنفيذ . .

وبعد المؤامرة — مؤامرة الحريق — تلقيت حركة الثورة ضربة عنيفة . . لكنها ظلت موجودة . . ودخلت فى دور الكمون . . تغلى فى صدر الشعب . . تتحين فرصة للانطلاق . .

ومن هنا قدم مطبخ المخابرات المركزية البديل الذى يمتص ثورة الشعب : التطهير . . وروجت له بحماس أخبار اليوم .

ومن يقرأ ما كتبه كوبلاند فى لعبة الأمم . . وما كانت تنشره أخبار اليوم فى هذه الفترة سيذهل للتطابق الكامل بينهما .

□ □ □

ومع حملة التطهير . . كانت تسير حملة أخرى موازية للضغط من أجل تصفية النظام البرلمانى . .

وكانت هذه الحملة أيضا من اختصاص «أخبار اليوم» وحدها من بين كل الصحف المصرية . .

بدأت الحملة بعد انطفاء حريق القاهرة مباشرة . . لكن حرارتها زادت بعد أن نجح الضغط المستمر فى صدور مرسوم تأجيل البرلمان . . عندما نشرت فى ١ مارس — و ٥ مارس أيضا — مانشيتا رئيسيا يقول : «على ماهر يؤجل البرلمان شهرا» . . ثم كتبت فى التعليق — من عندها ! — «قد جرت التقاليد الدستورية فى مصر دائما على حل مجلس النواب بعد تأجيله لمدة شهر» . .

وانتهت الحملة بحل المجلس فعلا فى ٢٤ مارس ١٩٥٢ . .

وسجلت بذلك أخبار اليوم أنه على يديها كان آخر عهد مصر بالنظام البرلمانى !

وكان هذا أحد أهداف الملك . . والإنجليز . . والأمريكان أيضا !

□ □ □

ليس معنى كل ما سبق أن أخبار اليوم تخصصت فى حمل لواء الصراع باسم الملك والإنجليز والأمريكان ضد الوفد وحده . .

لا . . فقد منحت القوى الوطنية الأخرى بعض اهتمامها . .

فبالنسبة لاتهام أحمد حسين ومصر الفتاة — وكانت هذه عملية لحساب الملك شخصيا . . وبصفة خاصة — تطوعت آخر ساعة باستباق التحقيقات والمساهمة فى نشر جو من الريبة حول أحمد حسين . . فكتبت تقول :

«ضبطت ٦٧ ورقة . . بينها ٤ ورقات رأت النيابة فيها خطورة . . وكانت إحداها تحمل توقيع أحمد حسين» . .

و . . «قبض البوليس على ٣٢٠ شخصا للتحقيق معهم . . ثم عرضهم على ١٩٠ شاهدا . . استعرف ٧ من الشهود على أحمد حسين ومن كانا معه» .

وهو كلام البوليس السياسى . . ولم تثبت صحة شيء منه فى التحقيق.

كما تولت «فبركة» اتهام كامل للشيوعيين بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة . . بما سمته «سر نوال التى قادت مظاهرات ٢٦ يناير» . . وما نسبته لمحقق كبير عن أن هذا السر سيكشف الدور الذى لعبه الشيوعيون فى ذلك اليوم . . وهو ما ثبت أنه مختلق بالكامل من جانب أخبار اليوم . . ولا أساس له فى التحقيقات على الإطلاق كما بينا فيما سبق .

وكانت أخبار اليوم فى ذلك بالذات تنفذ تعليمات الأمريكان . . على وجه الخصوص . .

خاتمة

الآن .. قد فرغنا . فما الحكاية .. باختصار ؟

(١)

إن ماحدث فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ لم يكن حادثاً عفوياً .. نشأ من وحى اللحظة التى اشتعل فيها . ولا انفجار لسخط الشعب الذى كان قد تجمع وتكثف فى الصدور ، من آثار التعبئة المستمرة للشعور الوطنى .. أو لجرح هذا الشعور بالاعتداءات المتتالية من جانب المحتلين الإنجليز ..

كما لم يكن تمرداً من جانب الجماهير الفقيرة ، التى ساءت ظروف حياتها ، على الأوضاع الاجتماعية السائدة فى البلاد حينئذ .. وتعبيراً عن استنكار الأغلبية الشعبية للتمايز الطبقى .. وانتقامها من رموزه فى صورة محلات فاخرة وملاه وغيرها ..

إن كل هذه العوامل كان لها وجود قوى فى حياة مصر تلك الحقبة ..

وكل هذه العوامل قد أثرت بلا شك فى تفاقم أحداث ذلك اليوم .. وزادت من اتساعها وخطورتها .. كما ساعدت على « شل » قدرات جهاز الأمن .. وإفلات الفاعل ، بعد حمايته ..

لكنها لم تكن أبداً العامل الرئيسى فى الأحداث . . أو السبب الحقيقى .. والفعلى لها ..

إنما أحداث ذلك اليوم كشفت عن جريمة متعمدة .. دبرت .. وخطط لها .. ونفذت .. بعيداً عن كل هذه العوامل تماماً .. وإن كانت بكل تأكيد قد أخذتها فى اعتبارها .. واستفادت منها ..

(٢)

أن حريق ٢٦ يناير لم يدبره أو ينفذه – بالتالى – الشعب الغاضب.. ولم يكن باستطاعة هذا الشعب .. بمظاهراته .. (ورعاعه) .. وكل أشكال تجمعاته .. أن يفعل ذلك ..

إن هذا لاينفى اشتراك أفراد من الشعب من مختلف المستويات فى أعمال التخريب .. ثم السلب والنهب .. ولكن أفراد الشعب لم يكونوا بحال من الأحوال محرك الحوادث .. ولا الفاعلين الأساسيين فيها ..

وإنما الجريمة مدبرة ومنفذة بواسطة أجهزة ذات خبرة هائلة فى التخريب المنظم والواسع والدقيق .. وفرق تنفيذ تجيد هذا كله .. فضلاً عن مهارة فى التخفى .. وعدم ترك بصمات ..

(٣)

إن حريق القاهرة كان مؤامرة سياسية خطيرة .. لها دوافع هامة .. ونتائج أهم .. وهناك ثلاث نظرات – فى صفوف القوى الوطنية – لطبيعة هذه المؤامرة :

الأولى : أنها مؤامرة استهدفت زعزعة مركز الحكومة .. باظهارها فى صورة العاجز عن حفظ الأمن .. وطردها بهذه الحجة .. لوضع حد لسياستها الوطنية المتجاوبة مع الحركة الشعبية .. وإعطاء فرصة للملك والإنجليز للتحكم من جديد فى الموقف الذى كان قد أخذ يفلت منهما ..

ولاشىء أكثر من ذلك [1]

الثانية : أن حريق القاهرة كان جزءا من خطة كبيرة .. مكونة من ثلاثة أقسام .. هدفها إحداث تغيير شامل فى المسرح السياسى المصرى .. وفى خريطة المنطقة العربية كلها ..

ـ القسم الأول كان زعزعة مركز الملك .. شخصياً . باظهار فساده وانحطاطه ..

وقد تحقق هذا بالمساهمة بدور ما فى عمليتين شهيرتين :

□ إثارة ضجة واسعة حول الأسلحة الفاسدة التى استخدمت فى حرب فلسطين .. تكشف أن الملك لص ومرتش .. وأنه لايتورع عن المتاجرة فى دم جنود وضباط جيشه ..

وقد أتت هذه العملية بنتائجها المرجوة .. فكسبت حملة صحفية ناجحة .. قادها كاتب بارز هو إحسان عبد القدوس.. وجمعت بالفعل مجموعة كبيرة من ضباط الجيش حولها .. وكانت ذات أثر بالغ فى نفوس بقية الضباط ..

□ تحريض قوى سياسية تقليدية وتشجيعها على انتقاد الملك علانية .. وهو أمر لم يسبق حدوثه فى تاريخ مصر . وذلك بدفع عدد من الباشوات من

(١) كانت ، ولاتزال ، هذه هى النظرة السائدة فى الأوساط السياسية المصرية .

أقطاب أحزاب الأقليات بكتابة عريضة وتوقيعها بأسمائهم ، تنتقد بعنف سلوك الملك غير الدستورى .. وفساده (تحت ستار مهاجمة الأشخاص المحيطين به) ومن خلال توجيه انتقادات شديدة للحكومة الوفدية ..

وقد هزت هذه العريضة بلا شك مركز فاروق .. وشجعت عناصر أخرى على العمل ضده ..[1]

---

(١) جاء بهذه المذكرة :

« يا صاحب الجلالة – إن البلاد لتذكر لكم أياما سعيدة كنتم فيها الراعى الصالح والرشيد ، وكانت تحف بحكم أمة تلاقت عند عرشكم آمالها ، والتفت حول شخصكم قلوبها . فما واتتها فرصة إلا دلت فيها على عميق الولاء والوفاء ، وما العهد ببعيد بحادث القصاصين ؛ وقد أنقذكم الله من مخاطرة وهو أرحم الراحمين .

واليوم تجتاز البلاد مرحلة قد تكون من أدق مراحل تاريخها الحديث : ومن أسف أنها كلما اتجهت إلى العرش فى محنتها ، حيل بينه وبينها لا لسبب إلا لأن الأقدار قد أفسحت مكانا فى الحاشية الملكية لاشخاص لا يستحقون هذا الشرف فأساءوا النصح وأساءوا التصرف ، بل أن منهم من حامت حول تصرفاتهم ظلال كثيفة من الشكوك والشبهات هى الآن مدار التحقيق الجنائى الخاص بأسلحة جيشنا الباسل ، حتى ساد الأعتقاد بين الناس أن يد العدالة ستقصر حتما عن تناولهم بحكم مراكزهم ، كما ساد الاعتقاد من قبل أن الحكم لم يعد للدستور ، وأن النظام النيابى قد أضحى حبرا على ورق ، منذ أن عصفت العواصف بمجلس الشيوخ فصدرت مراسيم يونيو ١٩٥٠ التى قضت على حرية الرأى فيه وزيفت تكوين مجلسنا الأعلى ، كما زيفت الانتخابات الأخيرة من قبل تكوين مجلس نوابنا .

ومن المحزن أنه قد ترددت على الألسن والأقلام داخل البلاد وخارجها أنباء عن هذه المساوئ وغيرها من الشائعات الذائعات ، التى لا تتفق مع كرامة البلاد ، حتى أصبحت سمعة الحكم المصرى مضغة فى الأفواه ، وأمست صحافة العالم تصورنا فى صورة شعب مهين ، يسام الضيم فيسكت عليه ، بل ولا يتنبه إليه ، ويساق كما تساق الأنعام ، والله يعلم أن الصدور منطوية على غضب تغلى مراجله ، وما يمسكها إلا بقية من أمل يعتصم به الصابرون .

يا صاحب الجلالة – لقد كان حقا على حكومتكم أن تصارحكم بهذه الحقائق ولكنها درجت فى أكثر من مناسبة على التخلص من مسئوليتها الوزارية ، بدعوى « التوجيهات

ـ وكان القسم الثانى من الخطة ـ كما يرى أصحاب هـذه النظرة

الملكية » وهو ما يخالف روح الدستور ، وصدق الشعور ، ولو أنها فطنت لأدركت أن الملك الدستورى يملك ولا يحكم . كما أنها توهمت أن فى رضاء الحاشية ضمانا لبقائها فى الحكم وسترا لما افتضح من تصرفاتها . وما انغمست فيه سيئاتها ـ وهى لا تزال أشد حرصاً على البقاء فى الحكم وعلى مغانمه منها على نزاهته ـ ولهذا لم نر بدا من أن ننهض بهذا الواجب فنصارحكم بتلك الحقائق ابتغاء وجه الله والوطن ، لا ابتغاء حكم ولا سلطة وبرا بالقسم الذى أديناه أن نكون مخلصين للوطن والملك والدستور وقوانين البلاد ، وما الاخلاص لهذه الشعائر السامية إلا إخلاص الأحرار الذى يوجب علينا التقدم بالنصيحة كلما اقتضاها الحال .

يا صاحب الجلالة ـ أن احتمال الشعب مهما يطل فهو لابد منته إلى حد وأننا لنخشى أن تقوم فى البلاد فتنة لا تصيبن الذين ظلموا وحدهم ، بل تتعرض فيها البلاد إلى إفلاس مالى وسياسى وخلقى فتنتشر فيها المذاهب الهدامة ، بعد أن مهدت لها آفة استغلال الحكم أسوأ تمهيد ..

لهذا كله ، نرجو مخلصين أن تصحح الأوضاع الدستورية تصحيحا شاملا ، وعاجلا ، فترد الأمور إلى نصابها ، وتعالج المساوىء التى تعانيها مصر على أساس وطيد من احترام الدستور ، وطهارة الحكم ، وسيادة القانون ، بعد استبعاد من أساءوا إلى البلاد وسمعتها ، ومن غضوا من قدر مصر وهيبتها ، وفشلوا فشلا سحيقاً فى استكمال حريتها ووحدتها ونهضتها حتى بلغ بهم الفشل أن زلزلزوا قواعد حكمها وأمنها وأصدروا فوق إهدارها القومى ، فاستفحل الغلاء إلى حد لم يسبق له مثيل ، وحرموا الفقير قوته اليومى .

ولا ريب أنه ما من سبيل إلى اطمئنان أية أمة لحاضرها ومستقبلها إلا إذا اطمأنت لاستقامة حكمها ، فيسير الحاكون جميعاً فى طريق الأمانة على اختلاف صورها ، متقين الله فى وطنهم ، ومتقين الوطن فى سرهم وعلنهم .

والله جلت قدرته هو الكفيل بأن يكلأ الوطن برعايته ، فيسير شعب الوادى قدما إلى غايته .

١٨ أكتوبر ١٩٥٠ إمضاءات

إبراهيم عبدالهادى . محمد حسين هيكل . مكرم عبيد . حافظ رمضان . عبد السلام الشاذلى . طه السباعى . مصطفى مرعى . عبد الرحمن الرافعى . ابراهيم دسوقى أباظه . أحمد عبد الغفار . على عبدالرازق . راشوان محفوظ . حامد محمود . نجيب اسكندر . زكى ميخائيل بشارة . السيد سليم .

(عبد الرحمن الرافعى ـ مقدمات الثورة ـ ص ٢٠٨ ـ ٢١٠)

أيضاً – هو حريق القاهرة . . الذى لم يكن الهدف منه زعزعة مركز الملك شخصيا . وإنما ضرب أسس النظام السياسى القائم بكل مؤسساته . . و«ميكانيزم» عمله . . وتصفية منجزاته الإيجابية . . وكشف سلبياته . وذلك بالقضاء على حكومة الأغلبية . . والديمقراطية البرلمانية التى تستند إليها . . والحركة الشعبية وشعاراتها التقدمية المتطلعة إلى التحرر الكامل من النير الاستعمارى بكل أشكاله . . وفتح الطريق للاشتراكية وإبدال ذلك كله بنظام انتقالى معلق فى الهواء . . يستكمل مهمة التصفية التى بدأت مع اشتعال النار فى القاهرة ويمهد لنظام جديد مختلف تماما . .

أما القسم الثالث – من وجهة نظر أصحاب هذه النظرة نفسها – فهو حركة الجيش فى ٢٣ يوليو . . تلك الحركة التى استفيد منها لتكون هى بداية العهد الجديد فى مصر . . وفى العالم العربى . وفيه تلغى الديمقراطية القديمة (البرلمانية) وتضرب جزئيا الأوضاع الطبقية السابقة (الاقطاعية وشبه الاقطاعية) لتحل محلها علاقات رأسمالية أكثر تقدما ومسايرة للعصر . . مع توزيع للارض على الفلاحين . . واعطاء الجماهير بعض الامتيازات . . وتنفيذ صورة من الديمقراطية مناقضة لديمقراطية النظام الحزبى . . وتبعد الجماهير عن الديمقراطية الثورية التى يبشر بها التنظيم الإشتراكى أو الشيوعى للمجتمع . . وفى كل الأحوال يحتفظ النظام الجديد بعلاقات قوية – ربما أقوى من ذى قبل – مع المعسكر الامبريالى . وخاصة أمريكا(١)

والذين يقولون بهذه النظرة لا يربطون ربطا عضويا بين المخطط الأمريكى وبين الشخصيات والنشاطات المحلية التى كان لها بالتأكيد دوافع

---

(١) عبر فتحى رضوان بصورة خاصة عن أصحاب هذه النظرة – راجع شهادته باللاحق .

وطنية خاصة بها . . ولكنهم يقولون بالتقاء الاتجاهين فى نقاط معينة بغض النظر عن الأهداف الاستراتيجية لكل من الأمريكيين والقوى الوطنية والمحلية . .

· بينما ترى النظرة الثالثة أن ما حدث يوم ٢٦ يناير هو «هبة شعبية» . . أو ثورة شعبية على النظام القائم . . مارست فيها الجماهير «العنف الثورى» ضد الأطر التى كانت شرعية فى الماضى ولم تعد كذلك بعد أن فقدت مبررات استمرارها . . بسبب العجز عن حل مشكلات المجتمع ودفع حركته للأمام . .[1]

□ □ □

وفى رأينا أن حريق القاهرة لم يكن بحال من الأحوال لا هبة شعبية ولا ثورة شعبية . فبعد أن أثبتنا أن الحريق كان مؤامرة مدبرة نفذت بواسطة قوى خفية . وأن الجماهير — الرعاع على الأصح — لم تشترك فيه إلا بدور ثانوى . . لا يمكن أن نوافق على أن الثورة الشعبية كانت — فى ذلك اليوم — مجموعة من الأعمال الشريرة . . الفوضوية .. التى لا هدف لها ..

أن الثورة الشعبية . . أو حتى الهيئات التلقائية التى تمهد لها . . تكون تعبيرا عن الخط الأساسى لحركة المجتمع إلى الأمام . . وليس المساهمة فى تدمير المكاسب التى احرزها النضال الثورى . . والانتكاس به . . وتمكين اعدائه من إحكام قبضتهم على زمام الأمور . .

---

(١) ظهرت هذه النظرة عند بعض الأفراد فى الحركة الشيوعية المصرية ونقدت بشدة وقتها.. وعبر عنها موخرا «محمود حسين» فى كتاب الصراع الطبقى فى مصر — من ١٩٤٥ إلى ١٩٧٠ دار الطليعة — بيروت ، ابريل ١٩٧١ .

لكن هذا لا يمنع أن يوم ٢٦ يناير شهد بالفعل هبة ثورية قوية رفعت كل شعارات التقدم ، وتجاوز ما هو قائم إلى آفاق المستقبل . .

وتمثل ذلك بجلاء فى المظاهرات السياسية الضخمة والتى انخرط فيها كل أقسام الشعب : العمال ، الطلاب ، الموظفون ، ورجال البوليس . . وحتى الجيش بشكل رمزى . . هذه المظاهرات التى رفعت شعارات قطع كل علاقة بالمعسكر الاستعمارى ، وتوطيد العلاقة مع المعسكر الاشتراكى . . وهتفت بالكفاح المسلح .. ضد فساد النظام الإجتماعى الاقطاعى الرأسمالى المتخلف . . وبسقوط الملك رمز هذا النظام . .

هذه الهبة الشعبية كانت بالفعل تعبيرا واضحا عن رفض الشعب للاوضاع السائدة ولكل مؤسسات النظام القديم . .

إلا أن الخلط بين هذين الأمرين : الهبة الشعبية الثورية يوم ٢٦ يناير . . وأحداث التخريب التى وقعت يوم ٢٦ يناير . . واعتبارهما «مزيجا واحدا» هو خطأ فادح . . وسقوط فى حبائل الدعاية الاستعمارية . . التى صورت الحريق كما لو كان الاستمرار الطبيعى للمظاهرات الشعبية الغاضبة .. أو «انفجار» غضبة الشعب . .

أن الصحيح هو أن يوم ٢٦ يناير كان يوما مزدوج الشخصية . . فهو يوم هبة شعبية عارمة ، كانت تتويجا للمد الثورى فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . . وهو ، أيضا ، يوم بلوغ الثورة المضادة ذروتها ، باللجوء إلى أبشع صورة للتآمر .. بحرق القاهرة .. وضرب المد الثورى فى الصميم ..

فيوم ٢٦ يناير لم يكن يوما لحركة مضطردة .. انتقلت من مستوى

معين – هو مستوى الغضبة الشعبية بالهتافات – إلى مستوى آخر في نفس الاتجاه وإن كان أعنف – هو مستوى الغضبة الشعبية بالتدمير وإشعال النار . لكنه كان يوما لشيء ونقيضه تماما . الهبة الشعبية الغاضبة . . لكن الواعية .. والمدركة لأهدافها ولوسائل تحقيق تلك الأهداف ، وللمؤامرة المبيتة للقضاء على هذه الهبة وكل النضال الوطني للشعب وللاوضاع والمؤسسات التي تسمح لهذا النضال بالاستمرار . ولا صلة أو علاقة بين هذين النقيضين سوى شيء واحد هو أنهما حدثا في يوم واحد . ؟

وهذه الحقيقة بالذات – حدوث الهبة الشعبيه ، والمؤامرة .. في يوم واحد – هي التي عملت كل الأجهزة – بما فيها النيابة – على طمسها .. وإحاطتها بضباب كثيف نتجت عنه كل التحليلات المضطربة لأحداث ذلك اليوم الفريد.. مع أن أبسط تدقيق في وقائع الحوادث توضح ما نقول .. بجلاء: **فقد كانت المظاهرات السياسية في جانب .. تتجه إلى مجلس الوزراء .. تخاطب الحكومة المسئولة .. وتضغط عليها لتنفيذ مطالبها الثورية .. « السياسية » .. بينما التخريب والحرائق تجرى في جانب آخر .. بلا هتافات .. ولا « غضب » .. ولا قيادات سياسية .. ولا حتى ناس « محترمين » .**

(٤)

يؤكد ما نذهب إليه ثبوت انعدام أى صلة بين حوادث الحريق .. وبين أى من القوى الوطنية أو المحلية .

فبالرغم من الجهد الهائل الذى بذله – ولا يزال يبذله حتى اليوم . – أعداء الشعب المصرى الاستعماريون وأعوانهم لإلصاق الجريمة بالقوى الوطنية . فان هذا الجهد فشل في تحقيق الغاية منه ..

فليس أحمد حسين ومصر الفتاة .. ولا الشيوعيون .. ولا الإخوان

المسلمون .. ولاجمال عبد الناصر والضباط الأحرار ..هم الذين أحرقوا القاهرة .. والحزب الوطني لم تثر حوله أى اتهامات .. وأحزاب الأقليات لم يرد ذكرها ..

فلم يكن أحد من قادة أو أفراد هذه الأحزاب والتنظيمات ضمن المخربين أو على رأسهم .. وإنما كانوا – وبكثرة – هناك بين المتظاهرين وعلى رأسهم .. يقودون العمل السياسى .. وليس المؤامرات .

أن هذا لايعنى أن أيا من أفراد هذه الجماعات ، وعلى سبيل القطع ، لم يشترك فى الحوادث – رغم عدم قيام أى دليل على ذلك أيضاً .. أوأن بعض هذه الجماعات لم «تشمت» لوقوعها .. ذلك كله يمكن أن يكون قد حدث .. لكن المؤكد أن مثل ذلك – إن كان حدث فعلا – ليس إلا حالات فردية .. لاتعبر عن مشاركة هذه التنظيمات السياسية ..فضلا عن تدبيرها لها .

(٥)

ذلك أن مؤامرة مثل مؤامرة حريق القاهرة لايدبرها وينفذها إلا من له مصلحة – فى إشعالها .. ومن يكسب فعليا بعد أن تخبو النيران ..

وقد وضح تماماً أنه بينما أضير الشعب المصرى وكل قواه الوطنية بحريق القاهرة .. فان الذين استفادوا كانوا هم الإنجليز . والأمريكان ، والملك ..

كان أول المستفيدين هم الإنجليز الذين أوقف الحريق الكفاح المسلح ضدهم ..

وكان الملك – مع الإنجليز – ثانى المستفيدين .. لأنه تخلص من حكومة الوفد المشاغبة .. ومن أخطار الحركة الشعبية التى كانت تهدد عرشه تهديدا مباشرا ..

وكان ثالث المستفيدين .. أمريكا ، والتى تخلصت من الوضع الثورى – بضرب الحركة الوطنية وتصفية الديمقراطية القديمة .. وتهيئة المسرح للتغييرات الشاملة ، التى ستلعب فيها دوراً بارزا . ولو إلى حين .

ومن عرض الوقائع فى أحداث حرق القاهرة .. وبحث الأدلة المادية والقرائن والشبهات .. نستطيع تحديد المسئولين عن الجريمة داخل دائرة أصحاب المصحة ..

لكن من الضرورى قبل ذلك التنويه إلى قضية هامة ..

ذلك أن أصحاب المصلحة الذين أشرنا إليهم ليسوا جهات منفصلة تعمل كل منها بمعزل عن الأخرى .. وإنما تربطهم وشائج قوية جدا .. تجعل منهم ، ورغم خصوصية المصالح ، وتناقضها أحياناً ، جبهة واحدة .. ذات تخطيط إستراتيجى مشترك ..

ومن هنا فاننا نعتقد أنه فى تدبير وتنفيذ مؤامرة حرق القاهرة كان كل من الإنجليز والأمريكان والملك فى الصورة بدرجة أو أخرى .. ومن الصعب – بل يكاد يكون منافياً لطبيعة الأمور – استبعاد أى منهم .. حتى لو لم يقم دليل قوى على اشتراكه ..

والذين عاصروا تلك الفترة من تاريخ مصر والعالم ، يعرفون جيدا أنه – باستثناء حالات الصراع المكشوف والمباشر بين هذه القوى – لم

تكن انجلترا تخطط وتنفذ فى أى مكان فى العالم بعيداً عن مشاركة أو علم الولايات المتحدة الأمريكية .. ونفس الشىء بالنسبة لأمريكا مع انجلترا ..

أما الملك فاروق فعلاقاته بكل من الإنجليز والأمريكان كانت وثيقة جدا ؛ خاصة وأن الاتجاه إلى خلعه لم يكن قد وضح بعد فى جداول أعمال الأمريكان ، كما حدث بعد ذلك ، وبالتالى لا يمكن تصور أن ينفذ أولئك أو هؤلاء — معا وكل منهما على حدة — عملية كبيرة لإحداث تغيير سياسى فى البلاد .. دون إشراك الملك ، رجلهما ، والاستفادة بامكانياته وصلاحياته .

فما هى مسئولية كل من هذه القوى ؟

□ من الواضح أن المؤامرة كانت فى الأساس عملية بريطانية تخطيطها تم بصورة رئيسية على يد المخابرات البريطانية .. ونفذها عملاؤها المباشرون.

ولذلك ، ورغم كل عمليات التخفى ، فقد أمكن الإمساك ببريطانيا متلبسة . وبعد ماجاء فيما تقدم حول البنزين الذى استخدم فى الحريق .. والذى كان أهم مادة استخدمت فى ذلك اليوم .. ودور شركة شل التى كانت مركزا قيادياً للمخابرات البريطانية.. وماجاء فى تقرير رئيس البوليس السياسى حول المجموعة الخاصة (سكان المنزل ٤٣ شارع سعيد ومن معهم) ، وصلة هذه المجموعة بالحوادث على النحو الذى جاء بالخطاب المجهول .. وثبت من التحريات صدقها .. يعد ذلك كافياً — وعلى اعتبار أن أى باحث لايطمع فى الحصول على أدلة قاطعة ضد بريطانيا التى كانت كل وثائقها بعيدة عن أى أيد مصرية ، فضلا عن أنه لايجرؤ أى تحقيق قانونى على مسها — لاتهام انجلترا بأنها المتهم الأول فى مؤامرة حرق القاهرة .

□ ومن الوقائع أيضاً يتحدد دور الملك فاروق .. بأنه كان على علم بما سيحدث .. وأن ماسيحدث لايأتى من خارج دائرة قوى أعداء الشعب .. ولذلك فليس هناك مايدعوه للخوف .. بل عليه أن يمضى فى احتفالاته دون أى وجل ..

وهكذا ، تصرف الملك باطمئنان ..

بينما كان دوره المحدد فى العملية هو أن يحول دون منع المؤامرة ، وبالتحديد دون استخدام الجيش مثلا بالتدخل لوقفها ..

وقد كشف سلوك الملك عن كل مايؤكد هذا .. كما تصرفت الأجهزة الخاضعة لنفوذه وبالذات البوليس السياسى والجيش والنيابة بما يحقق نفس النتيجة ..

وعلى ذلك فان الملك شارك إيجابياً فى تنفيذ الجريمة .. بعلم مسبق .. وبامتناع متعمد عن موقفها .. وبطمس معالمها بعد وقوعها .. حتى تضيع تماماً بصمات الجانى ..

وإلى الذين يشكون فى هذا الاستنتاج نوجه السؤال التالى :

إذا كان الملك لاصلة له بالمؤامرة .. ولايعرف مقدماً بوقوعها .. فلماذا اتخذ موقفه الغريب منها .. ولماذا لم يأمر بنزول الجيش فورا ؟.

قد يقول البعض أن الملك كان يخشى من انضمام الجيش للشعب — كما قال حيدر باشا — وأن هذا — فقط — هو الذى « اضطره » لاتخاذ موقفه السلبى ..

لكن .. أليس المنطق أكثر ، أنه لو كان الملك لايعرف شيئاً عما يحدث وبالتالى نظر إلى الحوادث باعتبارها مؤامرة أو شغباً .. أن يدعوه ذلك للخوف على عرشه ونفسه .. فيدفعه لعمل شيء لوقف الخطر ؟

و . . لماذا بذلت أجهزة الدولة الخاضعة له كل هذه المجهودات المضنية فى التلفيق والتستر . . وكافة الأساليب غير المستقيمة . . أليس فى هذا دليلا على التواطؤ .. وسوء النية .. والمصلحة فى اخفاء معالم الجريمة .. وعدم أنكشاف الفاعل ؟

ثم . . أليس ملفتا للنظر حقا أنه برغم كل ما حدث . . أن يستمر الملك فى ممارسة حياته بنفس الاستهتار . . بينما عاصمة بلاده لا يزال الدخان يتصاعد من أنقاضها ؟ (١)

□ أما أمريكا فاننا نعترف ان ما اوردناه بالنسبة لها لا يعدو أن يكون شبهات وليس قرائن مادية قوية . .

ولعل ذلك أيضا يؤكد وجهة نظرنا من أن دور أمريكا كان الأشتراك بالعلم والمباركة .. والمساندة الإعلانية (أفيشات: الشيوعين فعلوا هذا . . وحملة اخبار اليوم أبرز علاماتها) .. والعمل بعد الحريق لتهيئة المسرح للتغيير الشامل . . والاستفادة فى نفس الوقت من النتائج التى ترتبت على

---

(١) روى لى صبرى القاضى المدير بالجمعية التعاونية للبترول حالياً وعضو تنظيم الضباط الاحرار حينئذ أنه بعد اعلان الأحكام العرفية نزل ضمن قوات الطوارىء . . وذات ليلة، ومنع التجول لا يزال جاريا ، رأى أحد جنوده سيارة قادمة فأوقفها . . فطل الرجل الذى كان بداخلها ، واللى كانت تحيط به أمرأتان عاريتان تقريبا ، وقال له بلهجة آمرة : « فيه أيه ياباشجاويش انت وهوه . . أنا الملك» . . وطبعا أهتزت الدنيا . . ومضت السيارة فى طريقها لكن الطريف أن الجنود الذى أوقفوا السيارة كتبوا فى الصباح التالى عريضة لقيادة الجيش يطالبون فيها برتبة «الباشجاويش» لأن كلام الملك لا يرد !

الحريق لوراثة الإنجليز والملك معا . . باعتبارهما أصبحا غير مناسبين لتمثيل المعسكر الاستعمارى فى مصر . . وأنها هى الأصلح .

(٦)

وكيف تصرفت القوى الوطنية ؟

لقد نشطت القوى المعادية فى التخطيط والتنفيذ . . ثم فى اخفاء معالم الجريمة . . فماذا فعلت القوى الوطنية فى مواجهة ذلك كله ؟.

للحقيقة فان بعض القوى الوطنية كانت منتبهه لأن شيئا ما سيحدث . .

هكذا كان النحاس يتوقع كما سبق أن ذكرنا . .

وحذر — فى صورة تهديدات مستمرة — أحمد حسين فى صحفه وخطبه إلى أن البلاد توشك على مواجهة كارثة ..

بينما ألح الشيوعيون بشدة على خطر التآمر .. وحفلت صحفهم بالكثير من التحذيرات للحكومة وللقوى الوطنية الأخرى ..

ثم جاءت المؤامرة فاذا بالجميع يصابون بحالة عجز وشلل يقعدهم عن أى مواجهة

الوفد ، حزب الحكومة ، بكل نفوذه .. وجماهيرية رئيسه .. وأنصاره فى مراكز الدولة الهامة فى كل مكان . . هذا الوفد شلت إرادته تماما . .

مصطفى النحاس رئيس الحكومة وزعيم الأمة لزم منزله ، سواء بسبب المرض وهو ما أعلن . . أو انتظاراً للمعلومات . . ولإجراء اتصالات

مستمرة كما قال لى سكرتيره كامل البنا . . ولم ينزل الشارع . . وكان نزوله وتجمع المواطنين حوله كافيا لتكوين مظاهرة ضخمة تكتسح المتآمرين . . لكنه أدرك أن المؤامرة بدأت . . فاكتفى بأن اعلن بمرارة «عملوها العكاريت» مشيرا للانجليز والملك[1] .. وانتظر حتى جاءه الشباب والنواب الوفديون فى المساء . . فصرخ فيهم «انتم جايين هنا ليه . . أنا مش عاوزكم تقولوا يحيا النحاس .. روحوا قولوا تحيا مصر . . شوفوا بلدكم بتتحرق وأنتم قاعدين» . .[2]

ولم تحرك لجان الوفد فى الاحياء . . أو الشباب الوفدى ساكنا . .

وكان الوفدى الوحيد الذى تحرك بصورة واسعة . . وراح يصرخ ويمنع التخريب بلسانه وبيده هو المرحوم الدكتور عزيز فهمى .. ونجح فى بعض الأحيان ..

أما فؤاد سراج الدين فلم يذكر فى هذا اليوم أنه السكرتير العام لأكبر قوة سياسية فى البلاد . . وإنما ذكر فقط أنه وزير داخلية . . ولأنه كوزير للداخلية لم يكن لديه بوليس يكفى لصد المؤامرة فقد طلب الجيش . .

وكانت هذه هى قمة مأساة الوفد . .

لقد أدرك النحاس .. وسراج الدين ايضا .. أنهما بازاء مؤامرة من فعل الإنجليز .. والملك . .

---

(١) مقابلة شخصية مع كامل البنا ــ نقابة الصحفيين بالقاهرة ــ أغسطس ١٩٧٥ .

(٢) شهادة عبد الوهاب غنايم ــ الملاحق .

لكنهما بدلا من أن يواجها المؤامرة بالقوى الشعبية .. بالنزول إلى الشارع فورا . . واستدعاء قيادات الحزب ـ وما كان أكثرهم . . واقدرهم على حشد الجماهير ـ لجآ إلى المتآمرين . . لرد مؤامراتهم .

وما كان ذلك ليحدث ..

ومرت الساعات .. بعد الساعات .. ومع كل ساعة يظهر بجلاء أن الملك لا يريد إنزال الجيش .. ويريد أن تبلغ المؤامرة غايتها .. لكن قادة الوفد لم يعدلوا عن موقفهم .. وظلوا مصممين على البقاء تحت رحمة الملك .. والمؤامرة ..

□ والإخوان المسلمون .. أكبر قوة منظمة بعد الوفد . . وأكبر قوة لها إمكانيات عسكرية وتنظيمية قبل الوفد .. اكتفوا بمد الشفاه استنكاراً للاساليب غير السليمة للقضاء على الفساد . .

ثم عندما اقترح أحدهم على حسن الهضيبي المرشد العام أن ينزل الإخوان لمنع الحرائق والتخريب .. رفض المرشد الاقتراح . . خشية أن يتخذ ذلك ذريعة لإتهام الإخوان بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة[1] . .

□ والشيوعيون ، أكثر القوى تحذيراً من المؤامرة ، فوجئوا بأن ما حدث أكثر من أى شيء تصوروه . . وأصابهم ذلك بصدمة . . فضلا عن أن قوتهم كانت محدودة ، فلم تنجح محاولاتهم لسحب الجماهير إلى مجلس الوزراء أو السفارة البريطانية . . وضاعت أصواتهم المحذرة من التخريب فى الفضاء . .[2]

---

(١) شهادة فريد عبد الخالق ـ الملاحق .

(٢) شهادة الدكتور فؤاد مرسى ، وفتحى خليل ـ الملاحق .

□ الاشتراكيون الذين كانوا قد أنذروا الحكومة بأنها تقود البلاد نحو كارثة .. تصوروا ان الكارثة التى تنبأوا بها وقعت . واخذتهم الشماتة بالحكومة .. فأخذ رئيسهم أحمد حسين يتصل بكل أعداء الحركة الشعبية على ماهر ومصطفى امين وادجار جلاد .. لكى يرجوا الملك فى الإسراع باقالة حكومة الوفد . وتشكيل حكومة برئاسة على ماهر .

وبديهى أنهم لم تكن بهم رغبة فى رد المصيبة عن الحكومة الوفدية .. فلم يفعلوا شيئاً ..(١)

قوة واحدة كانت أكثر إدراكا للخطر .. واكثر رغبة فى الاقدام على عمل إيجابى لصده .. هى حركة الطبقة العاملة ممثلة فى اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لعمال مصر ..

كانت اللجنة تستعد لعقد المؤتمر التأسيسى للاتحاد فى اليوم التالى (٢٧ يناير) .. وعندما بدأت الحرائق تشتعل أصدرت اللجنة على الفور منشورا يكشف المؤامرة ووزعته وسط الجماهير .. فى الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ٢٦ يناير نفسه ..

وفى نفس الوقت قررت اللجنةالتحضيرية النزول إلى الشارع بمظاهرات عمالية ضخمة من عمال النقل العام وعمال الشركة الشرقية للدخان لتطهير الشوارع من المخربين ..

ولكن لم يتمكن مصدرو القرار للأسف من تنفيذ الجانب العملى من جهد اللجنة التحضيرية ..(٢)

---

(٢) شهادة أحمد حسين ــ الملاحق .

(٣) شهادة أحمد طه ــ وبيان اللجنة التحضيرية لاتحاد العمال ــ الملاحق .

ولعل فى هذا — فى عجز هذه القوى جميعا عن مواجهة التخريب والتآمر . . ما يكفى للرد على اولئك الذين يقولون أن ما حدث يوم ٢٦ يناير كان ثورة شعبية يمكن أن تطيح بالنظام القديم وتحل محله نظاماً اكثر تطورا . . فالواقع أن القوى السياسية التى كانت موجودة لم تكن بمقدورها قيادة ثورة . . بل لم يكن ذلك واردا أصلا فى برامجها وتكتيكاتها كما . لم تكن قد نجحت فى تعويض القصور الذاتى لكل منها بالاتحاد فى جبهة وطنية عريضة تجمع قواها وتبلور فكرتها السياسية . . وتحدد خطة عملها . .

□ □ □

لقد كان الوفد فى اواخر أيامه مجرد حزب للانتخابات . . يتجمع حوله الشعب لما يرمز له من قيادة تاريخية اكثر منه قيادة عملية للنضال الجارى . . ولم يكن بحال من الأحوال يرغب فى العمل خارج اطار الشرعية الدستورية للنظام الاستعمارى الملكى . . لا بقبول معونة من الضباط الوطنيين داخل الجيش لقلب تلك الشرعية وإيجاد الشرعية المتقدمة للقوى الوطنية . . ولا بقبول الاتحاد مع القوى التقدميه لحل الشرعية الثورية للجماهير الشعبية .

ولم يكن خط الإخوان المسلمين واضحا فى شأن ماذا يجب عمله بالنسبة لمستقبل البلاد . . ورغم انهم فى تلك الفترة كانوا قد اعلنوا انفسهم حزبا سياسيا فضلا عن كونهم جماعة دينية . . مما يشير إلى رغبة متزايدة فى الانغماس فى الصراع السياسى . . إلا انهم لم يقدموا برنامج عمل لقيادة الجماهير ضد النظام الاستعمارى الملكى . . ومن أجل بناء مجتمع جديد فى مصر .

ورغم أن اجزاء منهم دخلت فى تحالفات محدودة مع بعض المنظمات الشيوعية . . واتحدوا فى العمل جزئيا مع الشيوعيين والاشتراكيين والحزب

الوطنى . . ومع الوفد والحكومة الوفدية فى الكفاح المسلح ضد الإنجليز إلا أنهم لم يعرف عنهم أنهم تبنوا خطا واضحا فيما يتعلق بتكوين جبهة وطنية حقيقية . .

وبينما كان الاشتراكيون (مصر الفتاة) أكثر الأصوات ارتفاعا فى تلك الفترة . . وكان زعيمهم أحمد حسين مثيرا خطيرا للجماهير ضد النظام والملك خصوصا . . إلا انهم كانوا يخوضون — فى نفس الوقت — معركة ضارية ، مع الوفد .. دون أن يقدموا بديلا ممكنا فى تلك الظروف.

ولا يعنى هذا أن انتقاد الوفد كان خطأ .. فقد كان نقد الحكومة الوفدية .. والضغط عليها من جانب الجماهير الشعبية وقيادتها الثورية ، ذا أثر عظيم على موقف هذه الحكومة . . وكان له وحده الفضل فى إتخاذها معظم مواقفها الوطنية . . لكن المغالاة فى النقد . . والوصول إلى حد المطالبة باسقاط النحاس رغم أن الظروف لم تكن تمكن من خلق أوضاع أكثر تقدما ، ساعد — بغض النظر عن النوايا — اعداء الثورة فى تنفيذ مؤامراتهم . .

بعد ذلك ، فان الحزب الإشتراكى لم يزد عن كونه حزب تهييج وإثارة . . ولكنه لم يكن حزب كادر يستطيع تعبئة الجماهير بصورة دائمة . . وقيادتها فى اتجاه اقتلاع النظام الاستعمارى الملكى. .

ولم يكن الشيوعيون أحسن حالا . . صحيح انهم كانوا — من الناحية النظرية — أوعى القوى السياسية بطبيعة النظام القائم . . وأكثرها كشفا لتناقضاته وسلبياته الأساسية . . فنظرتهم الإشتراكية كانت تقدم تصورا واضحا ومتكاملا للتطور المستقبل للمجتمع المصرى . .

لكنهم حتى ذلك الحين لم يكونوا يضعون فى اعتبارهم قضية الثورة والتغيير الجذرى فى برنامج عملهم المباشر . . ورغم أنهم كانوا يحاولون الدخول فى تحالفات وجبهات مع الوفد وخاصة الطليعة الوفدية (أى الأجنحة اليسارية فى الوفد) . . ومع الأخوان المسلمين . . ومع الاشتراكيين . . ومع الحزب الوطنى . .

وأنهم أقاموا العديد من المنظمات المساعدة لتعبئة الجماهير وتنظيمها .. مثل حركة أنصار السلام . . وأيضاً قطعوا شوطا فى إعادة الوحدة التنظيمية إلى صفوف الحركة النقابية للعمال بأن كونوا اللجنة التحضيرية لاتحاد العمال الذى كان قد حل منذ عام ١٩٢٤ . .

. وأخيرا كان الشيوعيون قد دخلوا بقوة تنظيم الضباط الأحرار وكان هذا اتجاها للاشتراك فى عمل لقلب الأوضاع السائدة بالقوة . .

إلا أن ذلك كله لم يجعل الشيوعيين يحتلون مركز قيادة الثورة وذلك لأنهم لم يتبنوا استراتيجية وتكتيكات الثورة . . وإنما اكتفوا بملاحقة النضال اليومى ببرامج محددة . .

— ٧ —

على أى حال . . لقد كشف حريق القاهرة عن أشياء ذات مغزى هام :

□ كشف أولا عن أن النظام القديم ، النظام الملكى المستند إلى الاستعمار والاقطاع فقد شرعية وجوده . . ولم يعد قادرا على الاحتفاظ بسيادته عن طريق المؤسسات والقوانين التى كانت قائمة . . والتى كان هو خالقها

وكان لجوؤه إلى الجريمة وكل ما صحبها وارتبط بها وتبعها من تصرفات غير مستقيمة ، الصورة الواضحة لهذا الفشل فى الاستمرار . .

□ وكشف ثانيا عن أن قوى الثورة والتقدم لم تكن واعية تماماً بانتهاء عصر النظام القديم . وأنها رغم احساسها بما يدبره من مؤامرات ، هى فى جوهرها محاولة متعسفة منه للبقاء أكثر مما تحتمل حركة المجتمع والتاريخ . . فانها لم تصل بهذا الإحساس إلى درجة إدراك كل المغزى التاريخى للمؤامرات الملكية الاستعمارية . . وبالتالى لم تستعد منذ وقت كاف لرد مؤامرات النظام المترنح إلى صدره . . بالثورة عليه . ومن ثم ظهر عجزها يوم ٢٦ يناير – يوم ذروة الصراع – عن عمل شىء ذى قيمة . . لا بالثورة الكاملة ؟ . ولا برد المؤامرة وإفشالها .

وكشف كلا الأمرين السابقين عن أن البلاد تمر بالفترة التاريخية التى يكون فيها النظام القديم غير قادر على الاستمرار (بالمشروعية) . . وقوى الثورة البديلة غير قادرة على القضاء عليه والاستيلاء على السلطة . .

وكان هذا داعياً لتقدم قوة أخرى . أدركت أن النظام الملكى انتهى . وأنه لاقوة غيرها تستطيع الإجهاز عليه والحلول محله .. وكانت هذه القوة هى الجيش ممثلا فى حركة الضباط الأحرار .. التى أخذت تستعد منذ ذلك الحدث جدياً للاستيلاء على الحكم .. وهو ماتحقق فعلياً فى ٢٣ يوليو ؟؟

□ وكشف هذا السياق للاحداث عن نتيجة أخرى خطيرة . فلقد وجد الجيش نفسه القوة الوحيدة القادرة على إنجاز المهمة التاريخية الملحة .. ورغم أن الجيش ، والضباط الأحرار بالذات ، كانت لهم وشائج قوية

بكافة أقسام الحركة الوطنية .. فضلا عن ارتباطات وثيقة بالأحزاب والجماعات السياسية .. إلا أنه عملياً وجد نفسه يستولى على السلطة وحده .. ولاحظ عجز وقصور هذه الجماعات والأحزاب .. فتشجع بروح الإنفراد والتسلط .. وبنى نظام مابعد ٢٣ يوليو كله على أساس إنكار الأحزاب الوطنية التى كانت قائمة .. ولإدراكه لعجزها ، وجه إليها الضربات عندما قاومت هذا الاتجاه وحاولت التشبث بالحياة ..

صحيح أن وراء هذا الاتجاه للانفراد — بالنسبة لتنظيم الضباط الأحرار كجماعة — وللديكتاتورية والفردية — بالنسبة لمثل هذا التنظيم فى قمة السلطة — إعتبارات كثيرة أخرى ، مثل النزعة العسكرية لرجال الجيش ، والتأثير الأمريكى على حركة التنظيم خاصة فى السنوات الأولى لاستيلائه على الحكم وعدم تجاوب بعض الأحزاب الوطنية (الوفد) مع الأفكار الإصلاحية الأساسية للحركة (الإصلاح الزراعى) وعدم اتخاذ الأحزاب والتنظيمات التقدمية مواقف إيجابية بناءة .. ثم اختلافها فى النظر إلى حركة الضباط .. ثم عدم مواجهتها بالقدر الكافى من النقد والتقويم وبواسطة حركة جماهيرية ذات وزن .. إلا أن العامل الأساسى فى موقف حركة الضباط من الأحزاب كان منبعثاً من حقيقة أنها كشفت عن عجز فى القيام بمهمتها الرئيسية وقت اللزوم ..

□ على أن أخطر ما كشف عنه حريق القاهرة هو اتضاح إلى أى حد يمكن أن تلعب السلبية دوراً خطيراً فى خدمة أعداء الوطن والشعب .

لقد كانت الحرائق تشعل .. والموجودات تدمر .. وتنهب .. وكان ذلك يبدو فظيعاً ووحشيا ..

وكان واضحا للجميع أن من يفعلون ذلك غرباء .. حتى ولو كانوا يتكلمون بلغتنا ويلبسون ملابسنا ..

وكان ملحوظا أنهم لايفعلون شيئا عظيما أو مبررا يمكن أن يتعاطف معه ضمير المواطن .. فضلا عن المواطن الذى يؤذى فى ملكه أو رزقه ..

ومع ذلك فقد كان ذلك كله يجرى على أوسع نطاق .. بينما الجمهور .. الناس .. المواطنون الصالحون .. يقفون مكتوفى الأيدى . . ينظرون بذهول .. يتساءلون داخل أنفسهم ما هذا الذى يحدث .. يمطون الشفاة .. ثم لايفعلون شيئاً .. !

وأقصى ما كان يفعله بعض هؤلاء المواطنين الصالحين ،، أنه عندما كان الخطر يقترب منه مباشرة .. يتقدم « راجيا » المخربين أن يرحموه هو ويحرقوا المحل المجاور ..

كان هذا - مع الأسف الشديد - هو موقف الغالبية الساحقة من أفراد الشعب .. مع أن القليل من العمل .. والأحساس بروح المجتمع .. والشجاعة كان يمكن - وحتى بدون البوليس - أن تحول دون الكثير مما وقع ..

وقد تم بالفعل أن شخصا واحداً هو فكرى اباظة استطاع - بمعرفة بعض السكان والبوابين - أن ينقذ عمارة الايموبيليا من الاحتراق . كما منع الدكتور عزيز فهمى فعلا . . . . بمفرده . . وبدون أى أسلحة أو أدوات .. عددا من الحوادث ..وتمكن عامل فى فندق الكونتنتال (صالح أحمد على) هو وأربعة من زملائه من حماية الفندق فلم يصب بأى أذى . وتمكن ضابط جيش واحد (سيد جاد) من مقاومة تخريب وحرق عمارة الشواربى لمدة طويلة .. لكنه لم يستطع الاستمرار لأنه أصيب .. وغيره وغيره ..

وقد فسر البعض ذلك ، بأن الشعب لم يكن يتعاطف مع المحال

والمنشآت التى تحرق لأنها ترمز للثراء الفاحش للطبقة الحاكمة .. بينما هو يعيش فى فقر وحاجة .

كما فسر البعض الآخر بأنه رد فعل للحالة الغريبة التى صاحبت أحداث اليوم .. فكانت السلبية تعبيراً عن الذهول الذى أصاب الشعب ..

لكن الحقيقة أن ظاهرة السلبية التى كشف عنها حريق القاهرة بعنف .. كانت موجودة من قبل هذا الحدث . ولا تزال موجودة حتى الآن .. وربما بصورة أشد ..

ولعلنا نستخلص من دروس حريق القاهرة أهم درس عندما نقرر أن الشعب الواعى ، الإيجابى ، العارف بأن طريق الصراع والتقدم هو طريق العمل السياسى المنظم .. وأن ما عدا ذلك هو أولا وأخيرا ضده هو .. أن ذلك الشعب هو الضمان الوحيد ضد كل المصائب والمؤامرات .. وأنه لا الجيش ولا البوليس ولا أى قوة تستطيع أن تؤدى مهمة الشعب ..

فهل نعى هذا الدرس . فلا يتكرر أبدا .. حريق القاهرة ؟

الباب الرابع

شهادات ووثائق

الشهـادات

شهادة فؤاد سراج الدين (باشا) (*)

* سكرتير عام حزب الوفد
* وزير الداخلية والمالية فى الوزارة الوفدية الأخيرة ١٩٥٠ - ١٩٥٢

س : فى رأيكم .. من الذى أحرق القاهرة على وجه التحديد ؟

ج : الذى أحرقها هو المستفيد من الحريق .. الإنجليز والملك .

س : ماتفسيركم لمظاهرة بلوكات النظام .. ولدور الضابط عبدالهادى نجم الدين - هل كان ذلك عملا عفوياً للتعبير عن الشعور الوطنى بعد حوادث يوم ٢٥ يناير ؟ أم كان جزءاً من مخطط المؤامرة : يستهدف تحييد البوليس ووضعكم فى حالة عجز عن السيطرة على العاصمة ؟

ج : بالتأكيد كانت هذه المظاهرة للتعبير عن الشعور الوطنى . ويستبعد أن تكون جزءاً من المخطط ، لأنها ضمت ٢٠٠ - ٣٠٠ جندى .. وتظاهر هذا العدد لايؤثر كثيراً فى قوة البوليس ولا يمكن أن يشله .. أى أن موقف البوليس فى ذلك اليوم لم يكن بسبب هذه المظاهرة .. إنما كان بسبب ماحدث فى الإسماعيلية نفسه ، كما أنه لو كانت هذه المظاهرة جزءاً من الخطة لدبرت مظاهرات أخرى من رجال البوليس .. وهذا مالم يحدث . كما أن

(*) خلاصة ثلاث جلسات مناقشة ، فى فبراير - مايو ١٩٧٥ .

هذه المظاهرات لم تسبب قيام المظاهرات العديدة فى ذلك اليوم .. لأن المظاهرات كانت ستحدث بالحتم ..

وبالنسبة للضابط عبدالهادى نجم الدين قيل أنه على علاقة قرابة بأشخاص سعديين .. وأن ذلك وراء تحركه يوم ٢٦ يناير .. لكننى بحثت الموضوع وتبينت أنه لم يكن كذلك :

س : هل توفرت لديك كوزير للداخلية أى معلومات عن اشتراك أى من هذه القوى فى الحريق بأى صورة من الصور :

(ا) الحزب الاشتراكى وأحمد حسين

(ب) الشيوعيون

(ج) الإخوان المسلمون

(د) الشبان المسلمون

(ه) أحزاب الأقليات (السعديين — الدستوريين — الكتلة ..)

ج : لا . وأستبعد أن أى مصرى يكون قد شارك فى تدبير أو تنفيذ هذه المؤامرة . اللهم الرعاع .. وهؤلاء ينساقون وراء قوى أخرى .

س : ولماذا لم تستطع أى من هذه القوى الوطنية أن تواجه هذه المؤامرة .. وتوقفها .. لماذا لم يتحرك حزب الوفد (وليس الحكومة الوفدية) بلجانه وشبابه لصد المؤامرة .. هل بذلت أى محاولات فى هذا الاتجاه ؟

ج : المفاجأة أذهلت الجميع . ولم يكن أحد يتصور أن الأمور ستتطور إلى ما انتهت إليه . فى البداية كان الأمر يبدو كما لو كان حادثاً

ثم ينتهى .. لكنه كان يتطور .. وبسرعة .. بحيث لم تكن لدى أى شخص أو حزب الفرصة للتفكير فى عمل منظم . ثم ماالوسيلة لتجميع قوى الأحزاب والناس فى الشوارع .. لا أحد يستطيع أن يدعو لاجتماع .. ولا أحد يستمع لإذاعة .. كما أنه كانت هناك مسألة أخرى .. فقد كان يدور فى وجدان الناس سؤال ملح : هل هذا جزء من المعركة ضد الإنجليز .. هل هذا يرضى الحكومة ؟ .. كل هذا شل الجميع عن عمل شىء ضد الحريق.

س : ماأقدم عليه الإنجليز يوم ٢٥ يناير كان له مايبرره فى رأيكم ، أم كان عملا استفزازياً منظماً لتهيئة المسرح لأحداث يوم ٢٦ ؟

ج : لم يكن هناك أى مبرر للاستفزاز البريطانى .. إنما قصد الإنجليز وضعنا أمام أحد أمرين : أما أن تستسلم القوة المصرية حسب شروطهم ، فيكون فى ذلك إذلال للوطنية المصرية .. وضربة قاصمة للحركة الفدائية وللحكومة الوفدية .. وأما أن تصمد القوة وتخوض معركة غير متكافئة فيحدث ماحدث . . ويثور الشعور القومى بصورة حادة .. فيكون ذلك الجو الذى تتم فيه المؤامرة ، وتضرب حكومة الشعب .. ثم تصل الحركة الفدائية ..

أى أن الإنجليز خططوا لاحتمالين كلاهما يؤدى إلى نتيجة تخلصهم من المأزق الموجودين فيه ..

وفى ذلك دليل كاف على أن ماحدث يوم ٢٦ يناير من تدبير الإنجليز والجزء الأخير من مخططهم الذى بدأ فى الإسماعيلية.

س : إذن أنتم مع فكرة أن الحريق مدبر بالكامل؟

ج : لاشك أن الحادث مدبر بالكامل ، فوسيلة التنفيذ لم تكن مجرد أفراد ، كانت هناك ٢٠ ـ ٣٠ سيارة تجرى فى الشوارع . استخدمت نخاخات فليت مملوءة بغاز شديد الالتهاب . استخدمت بلط .. مواد فسفورية من الذى لديه كل ذلك ؟

س : قائمة الـ ٣٠٠ معتقل . التى صدرت عقب إعلان الأحكام العرفية مساء ٢٦ يناير ضمت اشتراكيين وشيوعيين وبعض الوفديين .. وكلها عناصر وطنية .. فعلى أى أساس قررت كوزير للداخلية إعتقال هؤلاء بالذات ؟

ج : أنا كوزير للداخلية لابد أن أتخذ إجراءات إحتياطية . ليس بالضرورة أن من شملتهم الاعتقالات أشخاصا مشبوهين فى الحريق .. لكنهم متحركين نشطون .. هؤلاء نتحفظ عليهم حتى يتجلى الموقف . وطبعاً وزير الداخلية يعطى الموافقة الإجمالية لكنه لايتدخل فى تحديد أسماء المعتقلين .

س : ماهى ظروف دعوة ضباط البوليس للمأدبة الملكية على هذا النحو الواسع .. لأول مرة فى تاريخ مصر .

ج : فى البداية كانت الدعوة فى أضيق الحدود . وقد أرسل إلى القصر قائمة المدعوين .. فأبديت ملاحظة ، قلت أن عدد ضباط البوليس المدعوين قليل جداً بالنسبة لضباط الجيش .. وهذا مما يترك أثراً سيئاً فى نفوس ضباط البوليس وضباط الجيش . لكننى فوجئت يوم ٢٦ يناير بأن المدعويين من رتبة صاغ فما فوق .. وفيهم بالطبع كل ماموري القاهرة ..

س : هل استشرت فى ذلك ؟

ج : لا ..

س : هناك من يقول أن الوفد أخطأ خطأ قاتلا عندما أعلن الأحكام العرفية مساء يوم ٢٦ يناير .. فما رأيك ؟

ج : وماذا كنا نفعل ؟ .. حريق يلتهم قلب عاصمة البلاد .. لا أعرف ماذا سيحدث غداً .. الجيش يحتل البلد .. كل هذا ولا أعلن الأحكام العرفية .. وكنا متأكدين أنها ستكون ضدنا نحن بالذات .

س : هل تحب أن تلقى الضوء على دور الملك فى هذه المؤامرة ؟

ج ـ يمكن الرجوع فى ذلك إلى بيانى المنشور فى المصرى وأقوالى بتحقيقات النيابة ففيها كل وجهة نظرى .

س : سؤال سياسى : هل تعتقد أنه لو كانت كل القوى الوطنية الموجودة فى ذلك الحين متحدة فى جبهة قوية .. ألم يكن بالإمكان منع مؤامرة حريق القاهرة ؟ .. أو ردها إلى صدور فاعليها ؟

ج : لا .. حتى لو كانت مثل هذه الجبهة موجودة .. فلم يكن بوسعها منع المؤامرة ..

س : هناك من يتهم الضباط الأحرار بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة ؟

ج : لا أعتقد .. وإن كانت هناك تساؤلات : مثلا ، لماذا لم يعيدوا التحقيق فى هذا الحادث بعد الثورة مباشرة .. ولقد سئلت فى محكمة الثورة عن كل شىء .. إلا حريق القاهرة ..

س : قال مصطفى أمين فى التحقيقات ، وهو يدلى بشهادته عن الحادثة التى دارت بينه وبين أحمد حسين الساعة السادسة يوم ٢٦ يناير .. إن أمامه

خبراً بأن وزير الداخلية (سعادتك) أبلغت أولى الأمر أن الاشتراكيين والشيوعيين هم القائمون بالحادث .. فهل حدث ذلك ؟

ج : غير صحيح بالمرة . أن المشكلة التى ظلت تشغلنى فى هذا اليوم وحتى اجتماع مجلس الوزراء فى المساء هى نزول الجيش واستعجال نزول الجيش . وكانت كل أحاديثى مع حافظ عفيفى وحيدر . فهل أولئك هم أولو الأمر .. ؟ .. إذا كانوا هم المقصودين فأنا لم أتكلم مع أحد منهم فى ذلك .. كما لم أقابل الملك فى ذلك اليوم كما هو معروف ، ولم يكن يشغلنى فى ذلك اليوم تحديد المسئولية .. كان أهم مايشغلنى هو وقف الكارثة ..

س : وجهت اتهامات معينة إلى اللواء محمد ابراهيم إمام واللواء أحمد طلعت واللواء أحمد عبدالهادى .. فماذا كنت تقصد من هذه الاتهامات بالضبط ؟

ج : لقد ذكرت فى التحقيقات ماحدث منهم بالدقة فى ذلك اليوم وللمطلع والباحث أن يستنتج ماالذى يعنيه ماقلته ..

س : هل دعى للمأدبة الملكية ضباط البوليس .. من غير القاهرة ..؟

ج : لا . كلهم من القاهرة .. فقط .

س : قال اللواء إبراهيم إمام فى تحقيق النائب العام أنه أبلغك وأنت فى مكتب حافظ عفيفى بقصر عابدين أن القائمين بالحوادث هم الإشتراكيون والشيوعيون .. فهل حدث ذلك ؟

ج : لا .. لم يحدث قطعاً . ولم يكلمنى إبراهيم إمام فى ذلك اليوم إطلاقاً .. ومنذ بدء الحوادث .. وحتى تركت الوزارة .. وكان هذا شيئاً

غريباً . وملفقاً ، لأنه كان دائم الإتصال بى ، عشرات المرات فى اليوم .. ولأسباب تافهة جداً .. أما فى هذا اليوم فقد قطع الاتصال نهائياً . ثم .. إذا كان رئيس البوليس السياسى يريد إبلاغ وزيره بأن الاشتراكين والشيوعيين هم الذين يحرقون القاهرة . . فلماذا أجل هذا التبليغ إلى هذا الوقت المتأخر .. ولماذا اختار أن يكون التبليغ فى مكتب حافظ عفيفى.. ولماذا لم يبلغ مدير الأمن العام أو وكيل وزارة الداخلية بدوى باشا خليفة .. ؟

س : ظهرت ملصقات عليها صور القاهرة محترقة .. مكتوب عليها « الشيوعيون فعلوا هذا » .. هل رأيتها أو سمعت عنها ؟

ج : لا .

س : لقد أنكر رجال الأمن كلهم صدورها من الداخلية . . فمن تعتقد مصدر وموزع هذه الملصقات؟

ج : لابد أنها جهة صاحبة مصلحة فيما حدث .. وتريد إبعاد الشبهة .. وإلقائها على جهة أخرى ..

س : كشف الاعتقالات الذى صدر فور إعلان الأحكام العرفية .. وشمل ٣٠٠ شخص من الشيوعيين والاشتراكين وحتى بعض الوفديين .. لماذا خلا من أى واحد من الإخوان المسلمين ؟

ج : الكشوف التى تصدر فى مثل هذه الحالة لايكون مقصود بها إلا الاحتياط للمجهول فلا أحد يعرف ماذا سيحدث فى اليوم التالى .وفى العادة البوليس السياسى والأمن العام هما اللذان يقدمان الكشوف . . ولا مجال للفحص .

وبالنسبة للإخوان ، فلم يذكر شيء يمسهم ويستدعي اعتقال أحدمنهم..

س : ولكن لم يكن هناك أيضاً ما يمس الشيوعين ولا الاشتراكيين في ذلك اليوم .. فلماذا اعتقل هؤلاء .. وترك هؤلاء .. ؟

ج : ربما كان ترتيب القائمة بحيث تأتي خالية من أسماء الإخوان .. جزءاً من المخطط .. ومعروف أن القصر كان دائماً يحرص على أنه إذا وجه خدمة للوفد .. أبقى على الإخوان .. وكثيرا ما لجأ للإخوان لضرب النفوذ الشعبي للوفد .. وكانت أبرز تجربة للملك في ذلك هي الإستناد إلى حسن البنا إلى جانب صدقي باشا للقضاء على الوفد سنة ٤٧ .. على أي حال ، المؤكد أنه لم تحدث مراجعة لكشوف الاعتقالات .. فلم يكن الوقت يتسع لذلك .. ولو كنا بقينا في الحكم بعد يوم ٢٦ يناير لكانت أشياء كثيرة تغيرت .. أو بحثت بصورة أفضل .

س : هناك من يقول أن أحمد حسين أحرق القاهرة .. بالإتفاق مع السراي .. كراهية فيكم ؟

ج : لا . أبداً . ولو كان أحمد حسين اشترك في هذه العملية لقلت ذلك . ومن ناحية الملك كان أحمد حسين مكروهاً ومحرماً .. وكان الملك فعلا يريد شنقه لفرط كراهيته له من سلاطة لسانه وهجومه القطيع عليه . أما كراهيته للوفد فهذا رأي سياسي .. وفرق كبير بين الرأي السياسي والجريمة .

س : يعزز أصحاب هذا الرأي رأيهم بأن أحمد حسين لم يتصل يوم ٢٦ يناير بعلي ماهر باشا وإدجار جلاد ومصطفى أمين .. وكلهم أعداء للوفد ومن أشد أنصار السراي .. ؟

ج : فعل ذلك لكراهيته للوفد .. فهو خصم عنيف لنا .. لكن الخصوم شيء وإشعال الحريق شيء آخر .

شهادة عبد الفتاح حسن (باشا) (*)

* وزير الشئون الاجتماعية
* وزير الحربية بالنيابة فى حكومة الوفد سنة ١٩٥٢ .

س : هل كان حريق القاهرة فعلا مدبراً .. أم هو حادث عفوى ؟

ج : فيما أدليت به من احاديث فى وقت مضى .. وفيما كتبته فى الصحف .. أم فيما صدر عنى فى ذكوياتى السياسية التى صدرت فى ديسمبر ١٩٧٤ .. لازلت على الرأى الذى كنت قلته فى شهادتى أمام المحكمة العسكرية العليا .. لم اتحول عنه ..

انى وقد عشت ذلك اليوم .. حيث كنت وزيراً من وزراء الدولة للشئون الإجتماعية ووزيرا للحربية بالنيابة – اسمح لنفسى بأن أؤكد من جديد أن الرأى الذى ذهب إليه استاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى من أن حريق القاهرة كان عملا فجائيا ارتكبة بعض الأفراد .. اسمح لنفسى أن لا اوافق .. لأننا أذا استعرضنا الأحداث السابقة على يوم ٢٦ يناير ، نجد هنالك من الركائز مالا يجوز أن يسقط من الحساب . أولى هذة الركائز أن الانجليز ضاقوا يقينا باقدام وزارة الوفد برئاسة مصطفى النحاس على الغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء اتفاقيتى ١٨٩٩ الخاصتين بالحكم الثنائى فى

(*) مسجلة صوتيا فى فبراير ١٩٧٥ .

السودان .. وتعديل الدستور على وجه وحد شطرى الوادى برضاء الشطرين معا .. لذلك لم يكتموا ضيقهم بما أقدمت عليه وزارة الوفد . وحاولوا بقدر الأمكان أن يتخلصوا منها قبل اقدامها على ما كانوا يتخوفون من حصولة . ونسقوا خطتهم مع الملك السابق فاروق أثناء وجوده فى الخارج فى صيف ١٩٥١ ، ولا أدل على ذلك من أن الملك فاروق أرسل إلى اللطيف طلعت وكان يعمل رئيسا للديوان الملكى بالنيابه ، وهو فى الخارج ، يشير بأن يتقابل عبد اللطيف طلعت مع رئيس الوزراء مصطفى النحاس لينبه بعدم الاقدام على الغاء المعاهدة قبل قدومه .. وقد قام عبد اللطيف بما كلف به . وحدث أنه حين الغيت المعاهدة .. أن قام الشعب بكل طوائفة محبذا موقف الحكومة الذى عبر عن مشاعره .. والذى يطالع صحف تلك الفترة يتبين كيف قام هذا الشعب النبيل الأصيل ، بمختلف طوائفة من رسميين وغير رسميين بمكافحة الاحتلال والعمل على اجلاء الانجليز ..

ضايق الانجليز بترك العمال المصريين لمعسكراتهم .. وقد بلغ عدد العمال الذين تركوها فوق الثمانين ألفا .. وحاول الانجليز أن يجلبوا من شتى البلاد من يسد مكان العمال المصريين .. لكنهم فشلوا ، وكذلك التموين .. منع عن المعسكرات منعا باتا .. فحيل بينهم وبين أن يقتاتوا من أرزاقنا ..

أقول ذلك لـكى تعيش معى أحداث تلك الفترة التى سنفاخر العالم بها .. مهما طال الزمن ..

وأعود إلى السؤال . وأذكر أنه أثناء محاكمة فؤادسراج الدين (باشا) أمام محكمة الثورة سنة ١٩٥٤ .. وكنت أتولى الدفاع .. إننى أثبت أمام

المحكمة أن حريق القاهرة مدبر من جهتين هما الانجليز والملك .. لمأرب مشترك بينهما . أما مأرب الانجليز فهو التخلص من الوزارة الوفدية لسبب لايتصل بعملها الرئيسى وهو الغاء المعاهدة وتوحيد شطرى الوادى. وأنما يكون السبب بعيداً عن ذلك .. تحدث أحداث ليقال أن الحكومة عجزت قدرتها عن مواجهة تلك الأحداث ، ليسوغ للملك باتفاقهم معه واتحادهم فى المأرب أن يقيل الوزارة .. وإذا رجعت إلى جواب الإقالة تجد أن هذا السبب وحده هو الذى انتحل لاقالة حكومة الوفد . أما الملك فكان يسعى أن مخاطر الوقوف فى وجه الانجليز بعد أن تبين له أنهم سيقدمون على احراجها بكافة الوسائل فأراد أن ينجو بنفسه ظنا خاطئا أنه يستطيع أن يحتفظ بعرشه .. وكمال الحال ما يعرفة كل الناس .

إذن القول بأن الحريق لم يكن مدبرا .. قول يتنافى مع الحقائق التى لا يمكن أحد أن يمارى فيها .. وهو أن الانجليز أصحاب المصلحة فى أن يتخلصوا من الحكومة التى أقدمت على أغضابهم بالغاء المعاهدة .. وإلغاء المعاهدة ليس عملا فى ذاته يمكن أن يتوقف الإنسان عنده إلا أنه مزق الوثيقة التى كان يستند إليها الإنجليز فى بقائهم فى أرضنا .. بعد أن سلخنا فى المفاوضات معهم قرابة تسعة عشر شهرا بغير جدوى .. وكان من جراء إلغاء المعاهدة أن أصبحت الاعفاءات التى كانوا يتمتعون بها بلا سند .. فلا التموين .. ولا التسهيلات .. ولا الاعفاءات .

وقدم إلى البرلمان مشروع يؤثم كل من يتعاون مع قوات الاحتلال ، ووافق مجلس النواب على هذا المشروع وأرسل إلى مجلس الشيوخ للموافقة علية .. وجاء حريق القاهرة ليجهز على مثل هذا الاتجاه . وعرض على مجلس الوزراء مشروع قانون يجعل اباحة حمل السلاح هى الأصل

وأن الحظر هو الإستثناء .. وكان الإنجليز يعلمون تماما أن فى حمل المصريين الأسلحة مباحة فى يد كل انسان – فيما عدا من يقتضى صالح الأمن العام حظر حمله عليهم – خطرا عليهم ..

أشفق الإنجليز على أنفسهم من ذلك كله .. وكان الكفاح فى منطقة القنال رائعا .. وسجل كل مصرى بمداد من الفخر مالا ينساه أحد .

كيف يمكن أن يصبر الإنجليز على كل هذا ؟

إذن لابد أمن التخلص من الوزارة الوفدية ..

وكيف التخلص منها .. ؟

بالمؤامرة . وقد قلت أمام محكمة الثورة أنه ليس صدفة أن تحدث مذبحة ١٨٨٢ فى الاسكندرية ظهرا .. وأن يحدث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. ظهرا أيضا !

وليس من قبيل الصدفة فى ١٨٨٢ أن يتراخى من بيدهم فقط الأمن وصيانة النظام إلى أن تتفاقم الحالة فى الاسكندرية .. وقد تراخى الجيش وغير الجيش من المسئولين عن ضبط الأمن وحفظ النظام فى القاهرة فى ٢٦ يناير حتى تفاقمت الحالة .. !

حادث ١٩٥٢ توأم لحادث ١٨٨٢ . التخطيط واحد .. والمخطط واحد .. والهدف واحد . كان الهدف سنة ١٨٨٢ التخلص من الحكومة الوطنية (عرابى) .. وكان الهدف سنة ١٩٥٢ التخلص من الـ الوفدية (النحاس) .

أليس حريق كنيسة السويس فى ٤ يناير ١٩٥٢ علامة ،

لنبلغ وجه الحق فى هذه المسألة ؟ .. لقد أفزعنا تدنيس مقدسات الكنيسة حينئذ .. فهرعت فى ١١ يناير إلى السويس مستطلعا بنفسى الحقيقة على الطبيعة . زرت الكنيسة ، وأنا المسلم المؤمن بدينى ، دمعت عيناى حين وجدت مقدسات الكنيسة على الوجة الذى شاهدت . وقلت أننا نحن المسلمين ونحن الاقباط كل له دينه .. لكننا ورثنا عن ثورة ١٩١٩ ميراثا ينبغى أن نحرص عليه من الناحية الوطنيه والسياسية . وأن أية فتنة تقع بين الاقباط والمسلمين لا تغفر .. لأنها تتيح لعدو الأمة أن يدس بيننا فيفسد نضالنا . وحين عدت من السويس أعلنت فى مجلس الوزراء أن الذين أرتكبوا حريق كنيسة السويس هم « اخوان الحرية » العملاء . وطلبت أن يصدر المجلس قرارا بغلق نوادى جماعة « أخوان الحرية » وايقاف نشاطهم وقد تم ذلك فعلا ..

وقد قلت فى مجلس الوزارء فى ١٢ يناير وأنا أتحدث عن حادث كنيسة السويس أنه « بروفة » لمؤامرة كبرى يدبرها الانجليز وعملاؤهم .. ووقع فى ٢٦ يناير ما وقع ..

وليس من قبيل الصدفة أبداً أن تجرد القاهرة يوم ٢٦ يناير من حفظة الأمن .. المدعوين فى وليمة الملك .. والتى أقتصرت على ضباط بوليس القاهرة وحدها .. حتى تحرق عاصمة البلاد .. ويقال أن الحكومة عجزت عن حفظ الأمن وكأن الملك كان هو الحفيظ على أمنها .

وإذ أقول أن الجهتين — الإنجليز والسراى — تآمرا .. فانى لا أذكر أفرادا .. لأن هؤلاء الأفراد كان من المفروض أن يصل إليهم التحقيق .. وأن يقدمهم للعدالة . لكن كيف كان يمكن أن يأتى ذلك والتحقق جرى فى ظروف معينة .. وأن حريق القاهرة تم لـكى يسود الحكم العرفى والكبت والرقابة والتنكيل بالاشراف وتعليق الذنوب برقبتهم دون الفاعلين الأصليين .

ألم تقرأ الخطاب الذى أرسلة السفير البريطانى لرئيس الوزراء على ماهر .. والذى يكشف عن المكاسب الضخمة التى حققها الانجليز من المؤامرة من المطالبة بالقضاء على الفدائيين إلى اعادة العمال إلى اقتراح اشتراك القوات البريطانية فى حفظ الأمن بمنطقة القنال ؟ هذا الخطاب الذى وردت فيه فقرة يطالب فيها الإنجليز باتخاذ الاجراءات ضدى، للخطبى المهيجة .. وكان ذنبى أنى أحببت وسأظل أحب ماعشت بلادى . ولأننى كنت أمجد العمال المصريين بمنطقة القناة حينما كنت أتحدث إليهم صباح كل جمعة وأقول لهم أنكم ضننتم بسواعدكم على المحتل . وأن علينا أن نكافح الإنجليز بالعمل لابالقول فقد شبعنا كلاما ..

س : هل تلقى نظرة على أحداث اليوم ؟

ج : لقد طفت بانحاء العاصمة فى ذلك اليوم من الصباح الباكر إلى الوقت المتأخر من الليل . فنى الصباح الباكر طفت بالجيزة حيث توجد الجامعة ، وطفت ببعض الأنحاء كميدان عابدين وميدان الأوبرا .. ولم يكن الحريق قد شب بعد . ورأيت تجمعات من الناس على غير المألوف كأنها مهيأة لعمل هى تعلمه .. ومقدمة عليه وشيكا . وذهبت إلى وزارة الداخلية ووصفت لفؤاد سراج الدين ما رأيت .. وأشرت بأنه قد يكون من الصواب أن تنزل الخيالة (السوارى) بعصى رفيعة لاتحمل سلاحا .. حتى يتفادى هذا الزحام .. وأستطيع أن أؤكد أنه رغم ما قيل فى تلك اللحظة بأنه قد صدرت الأوامر من المسؤلين فى وزارة الداخلية بتنفيذ ما أشرت بة إلا أنه لم ينفذ بأى صورة .

ولما كنت فى وزارة الداخلية جاء رسول يقول بأن حريقا شب فى كازينو أوبرا .. فوجدت من واجبى أن أنزل إلى ذلك المكان بنفسى .

ووصلت بمفردى . وكانت الساعة حوالى الواحدة . وجدت الحريق يلتهم الكازينو .. والذين يحاولون اطفاءه . كأنهم يتثاءبون .. وأن عملا جديا لا يحدث .. وأن الناس تريد أن تشاهد شيئا يحدث أو تغييرا يطرأ ..

وعدت إلى وزارة الداخلية ... ورويت ما شاهدته . وإذا برسول يأتى إلى الوزير ويبلغه أن مظاهرة كبرى .. زعموا فى ذلك الوقت أنها من الشيوعيين قادمة إلى رئاسة مجلس الوزاء للالتقاء برئيس الوزراء مصطفى النحاس . وكان مصطفى النحاس فعلا « متوعك » من اليوم السابق .. فتوجهت إلى رياسة مجلس الوزراء وكان بصحبتى أحد الضباط وهو عبد العال السيد .. ومن شرفة غرفة صلاح الشاهد التقيت بالمظاهرة واستمعت إلى المتكلمين . وكان من بين الذين يهتفون ضابط من ضباط الجيش برتبة الملازم أول لم يذكر اسمه .. لكننى علمت بعد ذلك أنه محمود عبد الخالق .. وكان يقول عار علينا أن يكون الجيش للزينة والحفلات .. ويردد الناس من حوله بسقوط حيدر .. وتجاوب المتظاهرون بمثل هذه الهتافات .. واستمعت لهم طويلا .. دون أن أتهم أحداً منهم بشىء . ثم خطبت فيهم ارتجا لا .. وقلت أنه لا حزبية بعد اليوم. وأنه يجب أن نكافح عدونا لأنه ولى عهدالكلام . وقلت لهم صدورنا قبل صدوركم ورقابنا قبل رقابكم .. وحين هتفوا يطالبون الوزارة بقطع العلاقات السياسية مع بريطانيا قلت لهم أن مجلس الوزاء لابد أن ينعقد فى هذا اليوم .. ولابد أن يصدر قرارات حاسمة وتركتهم قرابة الساعه الرابعة مساء .. وتوجهت إلى بيتى فى صحبة الضابط عبد العال السيد الذى تركنى عند باب منزلى عائدا إلى وزارة الداخلية . واتصلت برئيس الوزراء مناشداً اياه أن ينعقد مجلس الوزراء فلما قال أنه مريض قلت

تجتمع فى منزلك . فطلب منى أن أتصل بسكرتير عام مجلس الوزراء للاجتماع فى الساعة السابعة مساء . وقد تم .

ووريت للوزراء ولمصطفى النحاس مشاهداتى منذ الصباح الباكر . وبدا أن الأحداث تحتم إعلان الأحكام العرفية . فقلت . أن نحن أعلنا الأحكام العرفية فاننا نفتل حبلا لاعناقنا . وإذا كان ولابد من إعلان الأحكام العرفية والأحداث فعلا تستأهل اعلانها .. فعلينا أن نرسل مشروع مرسوم الأحكام العرفية للقصر ومعه قرار آخر بقطع العلاقات السياسية مع بريطانيا . فاذا وافق الملك كان بها وإذا رفض اعتزلنا . لكن رؤى أن يكتفى فى هذا اليوم بمرسوم إعلان الأحكام العرفية .. وأن يرجأ قرارقطع العلاقات إلى اليوم التالى حيث موعد اجتماع مجلس الوزراء الطبيعى .. ولكن جاء اليوم التالى ولا اجتماع لمجلس الوزراء .. وإنما اقالة للوزارة .

وقد أريد أن يعلق وزر حريق القاهرة برقبتى . وآية ذلك أنه قيل فى تقرير النائب العام أن خطبتى التى قلتها فى رياسة مجلس الوزراء انسابت بعدها الجماهير إلى قلب العاصمة وأخذت تحرقها . . وكنت بريئا أنا الجماهير التى كانت تسمعنى من هذا الذى أريد الصاقه بنا . لأن الحريق بدأ الساعة ١٢,٢٧ بينما خطابى استغرق حتى الساعة ٤٫٤٥ فكيف يمكن أن يكون خطابى هو المحرض على الحريق .. .

وقد ارسلت تصويبا لذلك إلى جريدة « المصرى » ، فاذا بالرقيب يرفض النشر . فرأيت من واجبى اللجوء لمجلس الدولة لالغاء قرار منع التصويت .. وحددت الجلسة يوم ١٩ مارس .. وإذا بى اعتقل يوم ١٨ مارس حتى يحال بينى وبين مواصلة القضية .. فرفعت دعوى وأنا

بالمعتقل .. المهم أن مجلس الدولة انصفنى بحكم قوى بأنه لاجدال أن ما ورد بتقرير النائب العام عنى يخالف الثابت فى الأوراق .. ومن المدهش أنهم أستدعوا الضابط عبد العال السيد للتحقيق أمام رئيس النيابة أحمد فؤاد سرى .. وظن رئيس النيابة أنه يستطيع أن يجعل عبد العال السيد يشهد بما يفيد الصاق التهمة بى وبالجمهور .. فأبت نفسه وذمته وكرامته أن يزور .. وقال كيف يمكن أن أكذب على الله .. وأنا مثبت قيامى معه .. وعودتى إلى وزارة الداخلية فى « مسير » مدونة فيه الساعة والدقيقة ؟

شهادة الاستاذ محمود البدينى (*)

محافظ القاهرة بالنيابة سنة ١٩٥٢

س : من فى رأيك الذى أحرق القاهرة .. ولماذا ؟

ج : عشت هذه الأحداث كلها .. ولعلى أحدد بشكل خاص أحداث ٢٦ يناير أو بدايتها المباشرة بالغاء المعاهدة فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٥١ . ألغيت المعاهدة .. وبدأت الوزارة الوفدية تعمل بكل جهدها ضد الإنجليز .. سواء فى منطقة القناة التى كان الإنجليز موجودين فيها ، أم فى القاهرة وعواصم الأقاليم . ففى منطقة القناة تكونت الكتائب المصرية ، وتكونت على أساس قومى ، فاشترك فيها السعديون والإخوان المسلمون والمستقلون ورجال الجيش ، وكان لى شرف أننى كنت مكلفاً من وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ووزير الشئون الاجتماعية عبد الفتاح حسن بالقيام بالتنسيق بين هذه الجماعات . وكان ممثلوها يجتمعون بمنزلى هذا مرتين كل أسبوع ، حيث نرتب للمعارك وتزويد الفدائيين بالأسلحة والذخائر والأموال . وأستطيع أن أحدد لك أن الذى كان ينوب عن السعديين هو الأستاذ عبد الحميد صادق المحامى بالقنال ، وعن الإخوان المسلمين المرحوم حسن العشماوى والمهندس حسين كمال الدين والأستاذ المنياوى صاحب المكتبة المعروفة بسيدنا الحسين وكان المرحوم عزيز فهمى يحضر ممثلا للتقدميين ، والأستاذ عبد الوهاب

(*) مسجلة صوتيا فى مايو ١٩٧٥ .

حسنى المحامى عن المستقلين والمرحوم عبد القادر طه والمرحوم مصطفى كمال صدقى عن ضباط الجيش . كانت الاجتماعات تتم للتنسيق . وكنت أقوم بنقل السلاح إليهم -لتسليمه لرجالهم-حيث يكونوا .. ووقتمايطلبون.

وكان رجال الجيش يمدون الفدائيين بالأسلحة والذخائر التى يستطيعون الحصول عليها .. وكنا أيضاً نحن كوزارة نمدهم بالأسلحة عندمالايجدونها بسهولة فى الجيش . وقد حدث فعلا أن احتاجوا للسلاح ، فقمت أنا ، بعد أن استأذنت وزير الداخلية ، بأخذ ٢٠ مدفع برتا وصندوقين ذخيرة من سلاح حرس الوزارة وسلمتها للمرحومين عبد القادر طه ومصطفى كمال صدقى اللذين سلماها بدورهما للفدائيين .

وكنا نضع الأسلحة الذى نجمعها للفدائيين فى مخازن البوليس..وبالذات فى سوارى القاهرة .. وكان اللواء عبدالحميد خيرت قائد السوارى هوالذى يتولى هذا العمل .. ولم يكن أحديعرف بذلك .. وكنت أرسل للواءخيرت الفدائيين فيتسلمون السلاح مباشرة ..

وقد بقى جزء من هذه الأسلحة مخبأ طول الفترة التى أعقبت حريق القاهرة .. ولما جاءت الثورة فى ٢٣ يوليو .. وأعتقلت أنا- بكل أسف- حققوا معى بشأن هذه الأسلحة فى محضر تحقيق تولاه الأستاذ على نور الدين الذى أصبح فيما بعد نائباً عمومياً ..

وكنت أرسل مع الكتائب ضباط بوليس بلبس مدنى . جلاليب . ليعملوا فى خدمتها . وكنا نأمر بأن تكون نقط البوليس فى كل منطقة القناة والشرقية .. مخابىء لأسلحة الفدائيين . حتى إذا ماقام الإنجليز بحملة تفتيش لم يجدوا مع الفدائيين أسلحة ..

وكانت أهداف كتائب الفدائيين التى نشجعها ونساندها متعددة ففضلا عن إقلاق الإنجليز الفعلى بقتل أكبر عدد من أفرادهم .. كان عليها منع التموين عن الإنجليز ومطاردة الموردين الذين يتعاملون مع الإنجليز وتزكية إتجاه العمال المصريين للخروج من المعسكرات البريطانية .. وقد نجحوا فى هذا كله مائة فى المائة .. حتى جعلوا الانجليز فعلا يعانون « المر » ..

وكانت الإذاعة الرسمية الحكومة المصرية تنقل صوراً صوتية من مواقع الفدائيين ..

وقد اشتريت أنا بمبالغ سلمها لى فؤاد سراج الدين سيارات نقل تنقلهم من وإلى أماكن المعارك .. حتى يصعب على الإنجليز العثور عليهم بعد القيام بعملياتهم .. ولنقل الجرحى منهم ..وسلمت هذه السيارات للأستاذ عبد الحميد صادق .. وكان يعمل معه السيد وجيه أباظة وهو من ضباط الثورة .. وكان يشترك مع عبدالحميد صادق فى تسلم الأسلحة من سوارى القاهرة ..

أما كتائب الجامعة بالذات فدورها كان رائداً فى مقاومة الإنجليز .

لكن كان بعض المصريين من المعارضين للحكومة الوفدية يقومون بمظاهرات فى البلد محرضون على أن فؤاد سراج الدين غير جادفى موضوع الفدائيين .. وقد خرجت مظاهرات من الجامعة وتوجهت إلى وزارة الداخلية وقذفت فى حق الملك وفى وزير الداخلية .. وكانت المظاهرة بقيادة رئيس اتحاد كلية الهندسة حينئذ واسمه حسن شعراوى وهو الآن مهندس ضابط برتبة عقيد .. وقد اعتقل.. فلما علمت .. أرسلت له لمقابلة فؤاد سراج الدين . وقد قابله بالفعل .. واتضح له أن ماصور له كان غير صحيح .. وقال له

فؤاد سراج الدين أنه يضع كل إمكانياته تحت تصرف الفدائيين وكتائب الجامعة ..

وكانت المظاهرات تقوم باستمرار فى مصر . لكنها زادت واحتدت بالقاهرة والإسكندرية .. بالذات بعد أن عين الملك حافظ عفيفى رئيساً للديوان وعبد الفتاح عمرو مستشاراً له . وهتفت المظاهرات فى الجامعة بسقوط الملك .. ورفعت صورته وديست بالأقدام . وكنت محافظاً للقاهرة بالنيابة حينئذ .. وكان تقديرى أن المظاهرات هى تعبير عن الشعور الوطنى .. كما أنها تزيد هذا الشعور التهاباً .. وهو أمر مطلوب لدعم الفدائيين وزيادة وزنهم المعنوى والمادى ..

وحدث فى هذه الظروف أنى علمت من عبد القادر طه أن الضباط الأحرار تقديرهم أن الملك بتعيين حافظ عفيفى الموالى للانجليز .. يريد إجهاض الحركة الوطنية .. وأنهم — حتى يفسدوا خطة الملك — قرروا اغتيال حافظ عفيفى فلما أبلغت هذا لفؤاد سراج الدين وعبد الفتاح حسن قالا لى أبداً .. لابد من وقف هذا .. أننا نخوض معركتنا بالرأى .. ولا نوافق على أى مؤامرات .. وبلغ عبدالقادر طه بذلك فوراً . وقابلته واقتنع وأوقفت المسألة لكن كانت يد الخيانة قد عملت .. فتبلغ هذا الكلام عن طريق جاسوس كان يعمل مع عبد القادر طه إلى محمد وصفى رجل الملك .. وأحد أعضاء حرسه الحديدى . وقد قام محمد وصفى بعمل احتياطات تؤدى إلى إفساد العملية إذا حاول أحد اغتيال حافظ عفيفى فعلا .. لكن المحاولة كانت قد عدل عنها ، وإنما عرف أن عبدالقادر طه الذى يعاون فى النشاط الفدائى يريد أن يقتل حافظ عفيفى .. وكان ذلك أحد أسباب اغتيال عبدالقادر طه فيما بعد .. بواسطة رجال الملك فاروق كما ذكر عبد القادر طه بنفسه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة ..

أخرج من هذا أن الكتائب كانت قد ضيقت على الإنجليز بشدة فى كافة أنحاء القنال .. وفى القاهرة ، بدأت الوزارة بطرد الموظفين الإنجليز .. وأعدت قانون عدم التعاون .. وأباحت حمل السلاح قبل أن يصدر به قانون .. وكانت الحكومة تصدر بلاغات يومية عن سير الحوادث .. والكفاح المسلح بيننا وبين الإنجليز .. وكان رؤساء تحرير الصحف يتوجهون يومياً لأخذ هذه البلاغات التى كانت عبارة عن بلاغات عسكرية ..

كل هذا كان يدفع الإنجليز لإيجاد مخرج .. كيف ؟ .. بالخلاص من حكومة الوفد .. كيف مرة أخرى ؟ .. دبروا حادث الفتنة بين المسلمين والمسيحيين بحرق كنيسة السويس .. ولم يؤد إلى ما يريدون . فاتجه التدبير لخلق وضع يعطى للملك فرصة لطرد حكومة الوفد .. بحجة أن الحكومة غير قادرة على حفظ الأمن .

لجأ الإنجليز إلى الملك . وعنده ألف سبب وسبب يجعله راغباً فى التخلص من الحكومة الوفدية . ويثور هنا سؤال .. هل يصل الملك — للتخلص من الوفد — إلى مستوى الإجرام .. والحريق جريمة .. ؟ إننى أقرر أنه نزل إلى مستوى الإجرام ، ولم يكن الاشتراك فى حريق القاهرة هو الجريمة الوحيدة التى ارتكبها الملك .. فقد نزل إلى هذا المستوى قبل حريق القاهرة بالاعتداء على النحاس باشا مرتين .. فى إحداهما جرت محاولة اغتياله هو وفؤاد سراج الدين بإطلاق المدافع الرشاشة من سيارة مسرعة . وقد راح ضحية هذا الحادث خمسة أرواح بريئة لخفراء منزل النحاس .. وفى الثانية حاول الملك التخلص من النحاس بنسف بيته . ونزل الملك إلى مستوى الإجرام فى اغتيال حسن البنا .. وبعد حريق القاهرة اغتال عبد القادر طه .. وكلها حوادث ثابتة .

وهكذا اتفقت رغبة الإنجليز والملك .. على حريق القاهرة .

ارتكبت الجريمة .. واستبعد المجنى عليه تماماً من المسرح .. وهو الوفد والنحاس باشا . فلم يعط فرصة التحقيق فى الأحداث .. ولا حتى الدفاع عن نفسه . وبالنسبة لى وأنا محافظ العاصمة — ولم أكن وفدياً — اقتصر الأمر على أخذ أقوالى فى التحقيق .. ولم آخذ أى فرصة لمباشرة التحقيق أو حتى للافادة بخبرتى كرجل قضى حياته فى المباحث . وجمدت تماماً طول الفترة من ٢٦ يناير حتى ٨ مارس حين صدر قرار النائب العام فأحلت على المعاش قبل سن المعاش بواحد وعشرين سنة .

والمدهش أن النائب العام ارتكز فى قراره بالنسبة لى — وهو ما ترتب عليه إحالتى للمعاش — على نقطة واحدة .. هى أننى انشغلت فى ذلك اليوم لمدة فى انتخابات المجلس الصوفى الأعلى . بينما الواقع أننى عندما عدت لمكتبى بعد محاصرة مظاهرة بلوكات النظام بكل كبار رجال الأمن فى الجيزة وجدت فى انتظارى محمد حسن أمين خاص الملك وإمام الشيمى والأميرالاى محمد يوسف من رجال القسم الخصوصى وبوليس السراى وأخبرنى محمد حسن بأن جلالة الملك مهتم جداً بانتخابات المجلس الصوفى .. وأنه ينتظر نتائجها شخصياً .. وأنه — محمد حسن — موفد لمعرفة هذه النتائج والعودة بها إلى جلالته لكى يطمئن .

وقد كتبت هذا فى تقرير رفعته إلى على ماهر بعد الحوادث بأيام قليلة . وقد عرض هذا التقرير على وكيل النيابة المحقق فؤاد سرى .. لكنه لم يسألنى فيه .. وأهمله . ثم جاء تقرير النائب العام وحاسبنى على اضطرارى للاشراف على انتخابات المجلس الصوفى .. الذى يأمر الملك بإحضار نتائجها فور انتهائها !

طبعاً أنا لم أكن أخشى من حدوث ماحدث .. فلم يكن ذلك متوقعاً. كنت أعرف أنه توجد مظاهرات .. وكانت المظاهرات تسير كل يوم .. وأنا أعلم أنها بالدرجة الأولى مظاهرات معادية للانجليز وتعبر عن الشعور الوطنى للشعب .. ومعادية للملك الذى كان المصريون يحسون أنه ليس معهم .. وكنت أنزل فى كثير من الأحيان وأسير فى المظاهرات .. حتى لاتفلت .. وحتى يمكن السيطرة عليها . وكنا نضطر إلى تفريق المظاهرات عندما تزيد حدة العداء للملك .. حتى لايصبح موقفنا حرجاً .. فيقال أننا نشجع الهجوم عليه .. ونتساهل فى العيب فى الذات الملكية ..

ولم أكن أتصور أن الخيانة مدبرة .. وآتية من السراى . وفى نفس الوقت الذى عجزت فيه كل قيادات البوليس فى العاصمة : جميع مأمورى الأقسام .. جميع مفتشى الفرق .. جميع مساعدى ووكلاء الحكمدار والحكمدار نفسه .. كل قيادات المرور والمطافىء وبلوكات النظام ..

والوحيد الذى لم يدع لمائدة الملك لأنه دعى من قبل .. من جميع المسئولين عن العاصمة كنت أنا . إذن لابد من شغلى أنا الآخر .. بانتخابات المجلس الصوفى !

وقد أرفقت بتقريرى كل الإشارات الخاصة بدعوة كل قيادات البوليس للمائدة الملكية . كما أرفقت به أيضاً الإشارات المتغيرة التى أرسلت لمعسكرات الجيش .. أولا بدعوة كبار الضباط .. ثم بدعوة جميع الضباط من جميع الرتب فيما عدا الضباط النوبتجيين .. فى المناطق القريبة من القاهرة ..

وذكرت فى التقرير أيضاً أن يداً أجنبية وراء حوادث الحريق .. وكنت أطرق الموضوع بحذر .. لأننى كنت أخاف لو أن الموضوع فتح

بشكل واسع أن تزداد شراسة الحملة ضد الفدائيين أكثر .. وحدث فى هذه الظروف أن قبض البوليس السياسى على مجموعة من الفدائيين بأسلحتهم .. وكان يشرف عليهم أو يتصل بهم الصاغ كمال الدين حسين .. ومنهم حسين الناظر الذى أصبح سفيراً الآن . . ولكننى سحبت المحضر وذهبت به إلى فؤاد سراج الدين الذى أشر عليه بأنه هو الذى سلمهم السلاح ..

المهم .. أننى لم أسأل فى موضوع الجهة الأجنبية هذا بالمرة .

كما حدث أن بعض ضباط البوليس الذين كنا أرسلناهم إلى القناة تأخروا عدة أيام .. بعد إقالة الحكومة . ولما عادوا طلبوا للتحقيق .. فجاءونى يسألون ماذا نفعل .. فقلت لهم : قولوا لمن يسألكم أننا كنا فى مهمة سرية . كلفنا بها وزير الداخلية السابق .. وبالفعل قالوا ذلك .. وانتهى الأمر .. لأن الحكومة التى جاءت بعد حريق القاهرة لم يكن من مصلحتها أن تقول أن فؤاد سراج الدين كان يشجع العمل الفدائى بأى صورة.

فاتنى أن أقول على ذكر العمل الفدائى أننا حاولنا فعلا عمل حرب عصابات .. بقدر اجتهادنا . وحاولنا أن تكون المعركة قومية تضم الجميع .. من كل الأحزاب .. حتى ذوى الاتجاه التقدمى . ووضعنا نظاماً للجميع .. وخاصة الإخوان المسلمين .. حتى يطمئنوا . قلنا كل جماعة تشتغل مع رجالها .. من الفدائيين وتجند من تشاء لصفها .. بلا أى تدخل من الحكومة فى خصوصيات عمل كل جماعة . أو حزب .. والحكومة تقدم السلاح وكافة اللوازم لأى عدد من الرجال تتقدم به الجماعة أو الحزب عن طريق ممثليه فى اللجنة . لأنه كان هناك شك دائماً .. فيقال الآن نحن نعمل معاً ضد الإنجليز .. فماذا لو تغير الموقف ؟ .. تنقلب الحكومة .. وتعتقل أفرادنا الذين تكون قد عرفتهم أثناء فترة العمل المسلح ؟ أردنا أن يطمئن الجميع ..

أن الحكومة لن تتلصص أو تتدخل فى شئون أى جهة .. الشرط الوحيد من جانب الحكومة هو استخدام السلاح ضد العدو المشترك .. بصرف النظر عن أى خلاف حزبى أو فكرى ..

واتفقنا على أن نتوج هذا كله باتفاق رسمى يوقع من زعماء الأحزاب والجماعات الممثلة فى اللجنة .. وحدد موعد لتوقيع ذلك الاتفاق بالفعل.. وكان هو نفس يوم ٢٦ يناير !

وأذكر أنه بينما كنا فى حديقة الأزبكية نواجه الحريق .. أن جاءنى المرحوم عبدالقادر طه ليذكرنى بأن هذا هو يوم توقيع إتفاق جبهة الكفاح المسلح .. وطبعاً لم يكن يدرى أن الحريق سيأكل كل شىء .. وكان لايزال عند تصوره السابق من أنه لاتوجد قوة فى الأرض تستطيع أن تطيح بحكومة الوفد بعد كل الأعمال الشعبية والثورية التى قامت بها :

س : متى بالضبط أدركت أن ماحدث هو مؤامرة .: مدبرة ؟

ج : بعد حريق كازينوا أوبرا خيل لى أن المسألة انتهت .. لكن لما حدث حريق ريفولى .. ومابعده أيقنت روح الخيانة .. كانت الحرائق تبدأ والشوارع خالية ..

وأريد أن نستغل حادثة الإسماعيلية على أساس أن يخرج العساكر فى الشوارع فيتجمع الناس حولهم .. فيندس بينهم العملاء ويبدأون الحريق ثم يتحرك الباقى للناس البسطاء .. وهو دليل قاطع على التدبير ..

واستغل الإنجليز والقصر طبعاً غياب قيادات البوليس ..

السفارة البريطانية والسفارة الأمريكية لم يصابا بشىء ..

أخلص من كل ذلك إلى أن كل ماحدث ما كان يمكن أن يحدث بغير اتفاق بين الإنجليز والملك .الإنجليز لأنهم أصحاب المصلحة الأولى .. والملك أيضاً كان صاحب مصلحة .. وكان يمارس الإجرام .. وكان لديه مخزن أو معرض فيه كل أنواع الأسلحة والأدوات التى يمكن استخدامها فى مثل هذه الجريمة .

س : ظهرت ملصقات أو أفيشات مكتوب عليها « الشيوعيون فعلوا هذا » .. هل مرت عليك أو شاهدتها ؟

ج : لا . لكن الأرجح أنه أريد توجيه الأنظار بعيداً عن الفاعل الحقيقى .. بتوزيع الاتهامات فى كل اتجاه .. وحتى عقلا ومنطقاً أنا أبرىء الشيوعيين من هذا إطلاقاً .. لماذا ؟ لأن الشيوعيين فى ذلك الوقت لم تكن لديهم القوة ولا الفاعلية لأن يقوموا بحريق القاهرة .. إلا إذا كان نوع من الناس الذين تظاهروا بأنهم شيوعيون أو دخلاء على الشيوعية .. وأنا أستبعد الإتهام إطلاقاً ..

س : ذكر أحمد أبو الفتح إتهاماً لجمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار .. أنهم هم الذين أحرقوا القاهرة .. فما معلوماتك ؟

ج : أنا فى هذا أقول لا . ومما أذكره تماماً أن الموحوم عبد القادر طه كان متصلا بالضباط الأحرار .. وكان يحضر لى منشورات الضباط الأحرار .. وأعتقد وأتصور أن عدداً كبيراً من الضباط الأحرار هؤلاء كان يشترك فى عمليات الفدائيين وكانوا غاضبين جداً لتعيين حافظ عفيفى وكانوا مقدرين جهود الحكومة فى مقاومة الإنجليز .. ولذلك فأنا استبعد جداً أن يشاركوا فى إجهاض الحركة الفدائية .. لأن أول طلب طلبه السفير

البريطانى من على ماهر بعد الحريق هو محو الكتائب .. بما فيها الكتائب التى كان يعمل معها الضباط أو أى ضباط .. لأننى أعتقد أن أى ضابط – حتى ولو لم يكن من تشكيل الضباط الأحرار – يمارس العمل الفدائى ويعرض حياته للخطر هو ضابط حر .. وطنى .. لذلك أنا أستبعد هذا الاتهام نهائياً ..

س : أحمد أبو الفتح يذكر واقعة متصلة بحسن العشماوى

ج : أنا سمعت هذه الرواية .. وهذا يجعلنى أكثر تأكيداً لما سبق أن قلته .. لكن حسن العشماوى لم يكن خائناً .. لأنه كان يجتمع معنا هنا للتنسيق العمل الفدائى ..

س : أحمد أبو الفتح لايقول أن حسن العشماوى خائن ..

ج : ولا المتصل به أيضاً . وقد ذكرت لك أن عبد القادر طه كان يمثل هؤلاء الضباط الوطنيين فى العمل الفدائى .. فمن أين الخيانة ؟

شهادة اللواء مراد الخولى(*)

* حكمدار بوليس مصر سنة ١٩٥٢

حدث ماحدث فى محافظة الاسماعيلية . . وانتشر الخبر هنا فى مصر فهاج الأهالى وكان يوم جمعة وتوقعت أنه ستحدث مظاهرات وستحدث دوشة فى اليوم التالى فاتصلت باركان حرب الجيش مباشرة المرحوم (عثمان المهدى) وطلت منه كما كان يعمل رسل باشا الحكمدار السابق أن يرسل لى أورطة من أورط الجيش تعسكر فى حديقة الأزبكية حتى إذا احتجت إليها (فى صباح يوم ٢٥) فقال لى أنه مستعد يرسلها فى ظرف خمس دقائق من طلبها قلت له حتحضر من الماظة فى ظرف ٥ دقائق مش معقول ماترسلها بدرى شوية حتى تتمركز وتعرف واجباتها . .

س : كانت الساعة كام .

ج : طلبته عند الظهر الساعة ١٢ ولم يكن قد بدأ الحريق فى اليوم السابق (يوم ٢٥) أى يوم الجمعة . . بعد ذلك السرايا فكرت فى تدبير هذه المؤامرة منتهزة فرصة وجود بلوك النظام فى الاسماعيلية وهياج الأهلى وممكن أن تمهد لحادث حرق القاهرة فما كان منها إلا أن أرسلت إشارات تليفونية للأقسام بدعوة الضباط من رتبة ممباشى فما فوق لحضور حفل (سبوع ابن الملك المولود جديد) وجهت يوم الخميس . . هذه الدعوة ممباشى فما فوق .

(*) مسجلة صوتيا فى فبراير ١٩٧٥ .

س : سمعت أنها من صاغ فما فوق .

ج : ربما .

بعد ذلك رأوا أنهم لو يكتفوا بالحفله بالضباط العظام فقط سيكون الضباط الصغار كثير وسيعملوا على فشل المؤامرة فوصلت إشارة ثانية فى اليوم الثانى أن الدعوة موجهة إلى جميع الرتب من ضباط البوليس لحضور حفلة الغذاء فى سرايا عابدين .

س : الدعوة أولا للضباط العظام .. متى ؟

ج : يوم الأربعاء أو الخميس. ثم جاءت إشارة جديدة لجميع الرتب من الضباط . . فكان مفروض على جميع الضباط أن يحضروا الحفلة .

س : من الذى تلقى الدعوة ؟

ج : الإشار وصلت إلى الأقسام .. وهى تصل أولا إلى المحافظة التى تبلغها إلى الأقسام .

س : أى أنت الذى تلقيت هذه الإشارة .

ج : أيوه . . عامل تليفون المحافظة سجلها وبلغها للأقسام فكان مفروض على جميع الضباط من جميع الرتب يكونوا فى السرايا .. بعد ذلك فى مساء الجمعة حوالى الساعة ١٢ مساء اتصل بى سكرتير السفارة البريطانية وعرفنى أن طائرتين إنجليزيتين فى مطار القاهرة بما فيهما من ركاب انجليز من نساء ورجال وأطفال مهددون بالحرق من عمال المطار إنتقاما من حوادث الاسماعيلية وامتنعوا عن تموين الطائرتين بالبنزين وعزموا على رشهما بالبنزين وحرقهما بما فيهم الركاب فأنا اتصلت بفؤاد سراج

الدين وبلغته هذا الخبر .. وقلت له أن هذا المطار ليس فى حدود القاهرة بل فى حدود وزارة الحربية .. فقال لى أن هذا لا يمنع أن تقوم وتأخذ قوة وتروح تحافظ على الطائرتين وتمنع التعدى عليهم وتموينهم فذهبت أنا ومرتجى بك وكيل الأمن العام ووجدنا عمال المطار فى هياج ومصممين على حرق الطائرتين فأخذنا نهدىء فيهم ونرجوهم تموين الطائرتين فرفضوا .. فطلبنا من الطيارين أن يقوموا إلى أقرب مطار ويحصلوا على التموين منه وبلاش مطار القاهرة وبقينا حتى الساعة الخامسة صباحاً فى محاولة مع عمال المطار لتهدئتهم ومنع حرق الطائرتين .. بعد ذلك كانت الحكومة قد طلبت منى إرسال فرقة الأمن (قوة بلوك النظام) إلى الاسماعيلية التى حدثت لها هذه الحادثة .. فكنت قد طلبت من فؤاد باشا أن هذه القوة لازمة للقاهرة ولايمكن أن استغنى عنها فقال لى . . سأرسل لك ٢٠٠ عسكرى من بلوك نظام الأقاليم يحلوا محلهم . . وفعلا أرسل لى يوم الجمعة .. وما أن بلغ هؤلاء العساكر ما حدث فى الاسماعيلية إلا وقاموا بسلاحهم .. فى مظاهرة متجهين للجامعة المصرية فى الجيزة .. فأنا بلغت بدوى باشا خليفة وكيل الوزارة وكنت موجودا فى المطار وقامت هذه القوة وتمت المظاهرة وذهبوا الجامعة وهيجوها وقامت الجامعة بمظاهرة كبيرة على مصر .. زاد على ذلك عمال القليوبية (شبرا الخيمة) الآخرين قاموا بمظاهرة على القاهرة .. كنا يوم العزومة توجهنا فى الميعاد إلى سرايا عابدين .: وأنا موجود فى سرايا عابدين فى انتظار المأدبة إذا رأيت دخاناً طالعا فى ميدان الأوبرا وورقة صغيرة من وكيلى يبلغنى بوجود حريق فى كازينو بديعة فأنا استأذنت من تيمور باشا كبير التشريفاتية وقلت له إننى سأذهب عشان هناك حريقة فى القاهرة وتسمح لى أن أنزل وتعفونى من العزومة ونزلت وتوجهت إلى مكان الحريق فوجدت أن الحريق

عبارة عن كراسى وطرابيزات فى نصف الميدان وأشعلت فيها النيران وقمنا بالأطفاء .. وأثناء الأطفاء جاء لى بلاغ أن هناك حريقا فى سينما ريفولى فذهب إلى هناك فوجدت «عسكرى» من حرس السرايا ينقل النار من مكان إلى مكان ببدلته الزرقاء الرسمية اخترت أنادى عليه من تحت وأزعق فيه .. لم يسأل عنى .. كان معايا مسدس كنت أقدر أضرب فيه لكن خشيت أن أقتله أو أضربه بتوع الجيش يزعلوا تنتقل الحرب وتبقى بين الجيش والبوليس .. بعد ذلك توالت البلاغات وراء بعض حريق فى الكلوب الإنجليزى .. حريق فى سينما أمام راديو .. اتصلت بفؤاد باشا ووصفت الحالة له فكلم المرحوم حيدر باشا الذى كان قائداً للجيش .. لانزال الجيش وأخذ الملك يراوغ ويسوف ..ومالوش غرض أنه يبعت وقال لضباطه لاتذهبوا مكان الحرائق .. ولفوا وأنتم مروحين من الشارع الخلفى (صلاح سالم) . . وابتدأت الحرائق تشتعل والساعة الخامسة مساء جاءتنى قوة من الجيش لميدان الأزبكية على سيارات مكسرة وبدون بطاريات .. كل ما أكون فرقة منهم وأقوم العربية .. لاتقوم .. تروح قوة الجيش فى شارع فيه حريق .. يصلنى خبر بعدها أنهم بقوا أربع حرائق .. يعنى ما عملوش حاجة .. والتفسير أنهم معلموش .أو لم يهتموا .. بعد ذلك . . انحرق شبرد وشيكوريل .. راديو .. كل هذه الأماكن انحرقت .. كل فترة أكلم فؤاد باشا وأبلغه الجيش لم يحضر .. ومش عاوز الملك يبعت الجيش ولا يعطى أمر للجيش أنه يلحقنا إلا فى الساعة الخامسة مساء وكانت الحرائق عمت القاهرة ..

س : هل الحرائق كانت شديدة جداً .. وكانوا بيحرقوا بأى شيء؟

ج : أيوه كانت شديدة .. كان فيه أدوات مجهزة .. حاجات بيشعلوا فيها .. بودرة ..

س : فيه رأى يقول أن المواطنين العاديين وحتى أن الأولاد بتوع الشوارع هم الذين كانوا يحرقون .. هل يستطيعون عمل هذه الحرائق ؟

ج : لا .. إنما كانوا بيهيصوا .

س : يعني رأى حضرتك أن الذى عمل الحريق .. ناس مجهزين فنيا ؟

ج : ناس مجهزين فنيا ومستعدين لها ..

س : مسكتوا أى أحد .. زى حضرتك أشرت إلى عسكرى من حرس السرايا .. شفت، أى أحد له صفة خاصة .

ج : أنا كان اتصالى بفؤاد باشا وتليفون مستمر ومشغول .

س : قيل أن هناك أشخاصا يحملون بودرة على ظهرهم (أكياس) وماشيين يحرقوا .

ج : ناس على عربات يد يفرق الأدوات .. وعايز أقول أن القوة التى كانت معايا .. كانت قوة ضعيفة عبارة عن عساكر دورية الليل حوالى ٩٠٠ عسكرى من قوة دورية الليل التى كانت سهرانه طوال الليل ومنهوكة القوى ودوريات النهار كانت محجوزة كل واحد معاه عصاية .. وهذه لم تكن كافية لمقاومة ٤ ملايين عدد سكان القاهرة .

س : أصدرت أى أمر باطلاق الرصاص .

ج : لم يكن معانا رصاص .. ولو كان معايا رصاصة واحدة كان قضوا على البوليس كله .. كان الجمهور مساوى للبوليس ٥٠ مرة .. وهذا كان سببا فى اقالتى من الخدمة .. إننى لم أضرب نفساً واحدة .

س : ما الذى يجعلك تقول أن السراى هى التى دبرت لهذا الحادث ؟

ج : كل القرائن كانت تؤيد ذلك .. مثلا لو حصرناهم نجد :

أولا : دعوة جميع الضباط إلى المأدبة وإمتناع الجيش عن إرسال أى قوة لمساعدة البوليس فى حفظ النظام . واشتراك أحد عساكر السراى فى الحريق .

س : هذا عسكرى واحد يمكن يكون عمل كده لواحده ..

ج : كانوا موزعين .. وهوده اللى شفتته أنا .

ثانياً : كراهية الملك للوزارة التى تألفت رغم أنفه ، وكان يعمل على التخلص منها بأى وسيلة .. كل هذه القرائن كانت تدعو إلى أن السراى هى التى دبرت هذا الحريق .

س : والإنجليز .. لم يكن لهم دور فى هذا الحريق ؟

ج : لا .. الإنجليز لم يكن لهم دور أبده .. بدليل أن النادى الإنجليزى حرق وحرق فيه ثلاثة أو أربعة من كبار الإنجليز .

س : إبراهيم باشا فرج قال مؤخرا أن المخابرات الأمريكية هى التى عملت الحريق ده .

ج : المخابرات الأمريكية .. ! ومصلحتها أيه فى كده ..

س : هل تعتقد حضرتك أن الشيوعين اشتركوا فى الحريق ؟

ج : كانوا كلهم ضد الوزارة .. الشيوعين والدستوريين ومصر الفتاة .

س : هل هناك شيوعيون اشتركوا فى الحريق ؟

ج : يجوز .

س : هل أحمد حسين وحزبه ، رأيت منهم أحداً أشترك فى الحريق

ج : أنا لا أعرفهم شخصياً .

س : قيل أيامها أن أحمد حسين اشترك فى الحريق .

ج : نعم . قيل أيامها أن أحمد حسين كان داير بعربية وبيهيج الناس .

س : لكن هل هناك أدلة عندك شخصيا .

ج : لا .. أنا لم يقع نظرى عليه .

س : هل سمعت يومها وليس بعدها .

ج : سمعت يومها .

س : هل هناك أحد من الأخوان المسلمين اشترك .

ج : الأخوان المسلمين اشتركوا فى الحريق .

س : هل تعتقد سيادتك أن هناك أحداً من وزارة الداخلية اشترك فى هذه العملية .:

ج : قيل أن أحد الضباط العظام الذين كانوا معى كان لهم يد فى هذه العملية .. ولا أريد أن أصرح باسمه .

س : هل كان اشتراكه سلبيا أم إيجابياً ؟

ج : كان سلبياً أو كان عنده أمل عندما أطلع أنا يحل محلى .

س : المظاهرة التى قامت من العباسية – بتاع بلوكات الخفر – التى كان على رأسها الضابط عبد الهادى نجم الدين (الله يرحمه) ، هل تعتقد أن عبد الهادى تحرك بدافع وطنى ، أم كان جزءاً من خطة السراى ..

ج : أنا أفتكر أنها كانت ليست بدافع وطنى . . كان محرضا أو مكلفاً ..

س : كان هناك أى دليل على هذه الواقعة .

ج : كان سلوكه ضد الحكومة .

س : كان سلوكه فى المظاهرة أم قبلها أو بعدها ضد الحكومة ؟

ج : سمعنا بعد هذا أنه كان من الضباط الذين كانوا غير مخلصين للحكومة الوفدية ولم يكن وفديا ، وعلمت أنه كان له يد كبيره جداً .

س : هل هناك قرينة واحدة غير عدائه للوفد ؟

ج : سمعت عنه أنه كان ضابطا غير مخلص للوفد ..

س : اخلاصة للوفد ليس قضية ، فعدم اخلاصة للوفد لايثبت أنه كان غير وطنى ، فسراج الدين مثلا قال لى أنه قيل أنه كان على قرابة

بالسعديين وأنه مزقوق ، وأنا لم أصدق هذا الكلام ، ورأيي أن عبد الهادي نجم الدين كان يتحرك بدافع وطني .

وفدي مثلا : ومن هنا فالاحتمالين قائمين ، وأنا أريد قرينة واحدة

ج : هذه القرينة لا يعلمها إلا الله .. إنما ما سمعته عنه أنه لم يكن مواليا للحكومة .

س : الذي أكمل بقية الحرائق ، المتظاهرون أم مجموعات كانت مهمتها هذا الحريق .

ج : أفتكر مجموعات كانت مهمتها القيام بمأمورية الحرائق .

س : كيف كانت تبلغ لسيادتك المعلومات عن هذه الحرائق .

ج : كانت تأتيني معلومات أن هناك حريقا في الجهة الفلانية . فقط .

س : (من كان يحرق) ؟ ألم يبلغك أحد من كان يحرق ؟

ج : لا ، لم يقل أحد .

س : الجمهور اشترك في الحريق ؟

ج : لا لم يشترك في الحريق كله ، كانوا متفرجين ، وكانوا في الوقت نفسه بيساعدوا على إذكاء الحريق ، بمعنى أنهم كانوا المطافي تشتغل في إطفاء الحريق كانوا يقطعوا الخراطيم ..

س : يعني المواطنون لم يكونوا يحرقوا وإنما كانوا متحمسين للحريق ..

ج : كانوا متحمسين ...

س : لماذا ، وكيف تفسر هذا ؟

ج : كانوا يعتقدون أن هذا إنتقام من الانجليز .

س : هل حدث أن أى جهة فى البلد سياسية حاولت إنها تتدخل لمنع الحريق ، أى أحزاب ، أى تنظيمات ؟

ج : أبداً . كانوا كلهم عاوزين الحريق لاضعاف الحكومة الوفدية .

شهادة اللواء محمد ابراهيم إمام(*)

— رئيس البوليس السياسى سنة ١٩٥٢

س — التقطت صورة لضابط فى كازينو أوبرا . .

(١) هل كان ضابط بوليس . . أم جيش ؟

(ب) هل عرف من هو ؟

ج — عرف أنه ضابط جيش . ولكن لأن الصورة التقطت من الخلف فلم يمكن تحديده . وقد ذكر فى التحريات عدد من الضباط . إلا أن التحريات لم تصل إلى نتيجة .

والقصة أنه قيل أن هذا الضابط هو الذى أشعل الحريق فى كازينو أوبرا . . وحدث بعده هرج . . ثم اشترك آخرون فى الحريق . .

س — إذن ما حقيقة أن كازينو أوبرا احترق بسبب مشادة حدثت بين المتظاهرين وبين اثنين من ضباط الجيش كان يحتسيان الخمر مع راقصين . .

ج — لا . . لم يحدث هذا . . إنما البدايه كانت بالهرج الذى حدث . . وما قيل من أن ضابط الجيش هـذا هو الذى بدأ الحريق . . وقد لا يكون هذا أيضاً صحيحاً . . وإنما تصادف وجود هذا الضابط مع بداية الحريق . . لا أستطيع أن اقطع ه

(*) خلاصة جلسه مناقشه فى مايو ١٩٧٥ .

س : هل يشير ذلك إلى أن جهة عسكرية ما هى التى تولت . . أو بدأت الحريق ؟

ج : ربما .

س : هل تعتقد — كما يقال — أن الضباط الأحرار هم هذه الجهة العسكرية ؟

ج : لا استطيع أن اقطع . .

س : هل يحتمل أن يكون هذا الضابط من رجال الملك . . أو مخابرات بريطانيا ؟

ج : الملك ليس له مصلحة فى قيام اضطرابات تهدد عرشه . . ولا الإنجليز . .

س : هل للاخوان المسلمين علاقة بحريق القاهرة ؟

ج : لا أعتقد . ولم تقدنا التحريات إلى ذلك . . كما لم يقبض على أى واحد منهم أثناء الحريق . . أما إذا كان لهم أى دور فى التحريض غير حركى فهذا شيء آخر . .

س : ظهرت أفيشات تقول «الشيوعيون فعلوا هذا» فما معلوماتك عنها ؟

ج : هذه أول مرة أسمع عن هذه الملصقات . . والشيوعيون مستبعدون من العملية . . طبعا ليس هناك شيء مطلق مائة فى المائة . . فربما شاركوا فى الحريق لأثبات انهم قوة أمام الذى يعملون لحسابهم . . لكن لم تثبت تحرياتنا شيئا بالنسبة لهم .

س : إذا كنت أنت لم تسمع بهذه الملصقات . . وبالتالى كل جهاز أمن الدولة — لأنهم يتلقون المعلومات منك — فمن الذى أعد طبع هذه الأفيشات ؟

ج : بالتأكيد ليس أجهزة الدولة . . وبالتأكيد ليسوا للشيوعيين . . ربما تكون جهة أخرى أرادت أن تبعد الشبهة عن نفسها . . أو توجه التهمة لناس معينين . . أو تحرف أنظار البوليس حتى لا يصل إلى الفاعل الحقيقى . .

س : الآن . . وبعد ما يقرب من ربع قرن من حريق القاهرة . . فى رأيك من الذى أحرقها ؟

ج : جرت فى ذلك تحقيقات كثيرة برئاسة رؤساء نيابات . . وقدم أشخاص للمحاكمة بعد أن أدينوا بشهادة الشهود . . وصدرت أحكام . . وفى مقدمة هؤلاء حزب مصر الفتاة وأحمد حسين . .

س : لكن التحقيقات مع أحمد حسين وأعضاء حزبه . . والقضايا . . وبالذات قضية أحمد حسين . . ليست مبنية على حق . . وليس لها سند قوى من الإثبات . .

ج : كيف . . أن النيابة لا تقدم شخصا للمحاكمة إلا بناء على تقرير منها بأنه ارتكب الجريمة فعلا . . كون الأدلة لم تكن كافية . . أو أن الظروف تغيرت فهذا شىء آخر . .

س : هناك رأى يقول أن الأمريكان هم الذى دبروا حريق القاهرة حتى يتخلصوا من الملك ونظامه . . ويحلوا محل الإنجليز فى مصر . . ويقال أيضاً أن العلاقة كانت موجودة بين الأمريكان وتنظيم الضباط الأحرار . . فما رأيك ؟

ج : هذا واضح . فسياسة مستر كافرى فى مصر كانت فعلا قائمة على العمل على الحلول محل الإنجليز . . والعلاقة بينة وبين ضباط الثورة ظهرت من أول يوم . . وكان على صبرى يلتقى بكافرى فى السفارة الأمريكية . .

شهادة اللواء مصطفى رفعت(*)

- (اليوزباشي مصطفى رفعت سنة ١٩٥٢ .
- بطل معركة محافظة الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير
- مدير أمن السويس حالياً

يوم ٢٥ يناير كان يوم جمعة . والإنجليز اختاروا هـذا اليوم حتى لا يوجد ضباط يلتحمون مع عساكرهم . . إذا ما نشبت المعركة . وحتى يسهل عليهم عمل ما يريدون ، ما دامت لا توجد قيادات مع العساكر . .

قبل ٢٥ يناير كانت هناك أحداث كثيرة فى منطقة القنال . ونحن كضباط شرطة لارتباطنا الوثيق بالجماهير انفصلنا عما كان يحدث . كنا نرى أولادا صغارا تهرب من أهاليها وتسافر إلى القنال لتحرق وتضرب فى فى الإنجليز . . العمال الذين لا يملكون إلا قوت اليوم أضربوا عن العمل فى المعسكرات البريطانية رغم المغريات الكثيرة . . طلبة الجامعة وهم يسافرون أفواجاً ويقومون بأعمال بطولية . . ويقدمون التضحيات . .

قبل ذلك أنا كنت فى بعثة بانجلترا سنة ١٩٥١ بكلية هلمون بلندن . . لما سافرت إلى انجلترا عرفت أخبار مصر على حقيقتها . . رأيت آلاف

(*) مسجلة صوتياً فى ابريل ١٩٧٥ .

الجنيهات التى تنفق على موائد القمار فى « نيس » و « كان » . . رأيت صور الملك فاروق وحوله النساء فى أوضاع شاذة . . وكان زملائى من ضباط البوليس الإنجليز – زيادة فى أثارتى – يحضرون الصور الخليعة لكبار رجال مصر . . ويقطعوها من الجرائدويضعوها أمامى على المكتب . لم نكن نستطيع الكلام . . أذكر مرة جاءوا لى بقصاصة عن إصلاح يخت الملك « المحروسة » الذى تكلف نصف مليون جنيه . . ومرة أخرى عندما خسر الملك مبلغا كبيرا فى القمار فأرسل يطلب نقودا من مصر بالتلغراف . ولذلك رجعت من البعثة بمفهومات جديدة تماماً .

فلما عايشت مايحدث فى البلاد وفى منطقة القناة أصبحت الصورة واضحة أمامى .. شباب يضحى .. وتمثيليات تقوم بهاالأحزاب..للحصول على مكاسب خاصة .. وتتاجر بتضحيات الناس ..

وفى إحدى الليالى اجتمعنا صلاح الدسوقى وأحمد الوتيدى وأنا .. وكلنا من سوارى الكلية .. وكانت لناعلاقة بالمرحوم عزيزباشا المصرى.. وكان يجىء يجلس معنا .. وكان أستاذاً فى الوطنية .. المهم قررت أنا وصلاح الدسوقى التطوع للسفر للقتال لتنظيم صفوف المقاومة وتنظيم قوات البوليس التى كانت مبعثرة هناك . وقرأنا الفاتحة ، وقدمنا طلبا لمدير الكلية ، فمدير الكلية حاول أن يثنينا .. المهم عرف الموضوع فى الكلية (علبة البوليس التى عدت مدرساً فيها) .. فسرى حماس قوى فى صفوف الضباط . واتفق على أن نبدأ أناوصلاح الدسوقىوصلاح ذوالفقار الذى انضم لنا . أيامها كان الطريق مقطوعاًبين القاهرة والقنال لأنالإنجليز كانوا قد عزلوا القناة تماماً عن الوادى .. فسافرنا بالطائرة إلىبورسعيد.. ومعنا أسلحة شخصية وكمية قنابل ..

وصلنا الإسماعيلية ، فقوبلنا من القيادات الكبيره أشنع مقابلة ، وقالوا أنتم تبعدوا عن العساكر .. فقلنا نحن قادمون للخدمة والمعاونة .. فقالوا نشكركم وسنهيء لكم خدمات مناسبة وفوجئت أنا وصلاح الدسوقى بسيارة مكروباس وتكليفنا بمصاحبة المرشدين الأجانب الإنجليز حتى نحميهم من هجمات الفدائيين . وذهلنا .. وقلنا فيما بيننا : أنحن قادمون من القاهرة لمهاجمة الإنجليز .. أم لحماية الإنجليز ؟ وعندما عدنا رفضنا القيام بمثل هذه المهمة مرة أخرى . وأصرينا على الانضمام لقوات فرق الأمن .. وهناك بدأنا العمل . واتصل بنا بعض ضباط الجيش الأحرار ومدونا بالقنابل والذخائر .. واتصلنا بمجموعات الفدائيين ..

كانت منطقة القنال منصهرة تماماً فى بوتقه الوطنية من عامل .. لضابط لعسكرى .. وقت أن تنطلق رصاصة من إنجليزى كل البلد تتخذ وضع الاستعداد .. وترد .. إذا كان « عربجى » — وأسف للفظ — يسوق عربته .. وسمع طلقاً .. يترك الحنطور .. ويصوب بندقيته فى اتجاه المكان القادم منه الرصاصة ..

س : هل كنتم تقدمون بعملكم مع الفدائيين بصفة رسمية .. أم فردية ؟

ج : بصفة فردية .

وتوسعنا فى نشاطنا . كنا نهرب للفدائيين عندما نعلم أن الإنجليز سيقومون بحملات تفتيشية .. وندرب .. ونمد الفدائيين بالذخيرة ..

وتحولت المنطقة إلى جحيم بالنسبة للبريطانيين . أذكر أنه جاء أحد كبار الضباط الإنجليز لقضاء أجازة الكاريسماس فى الإسماعيلية .. فقتل

وألقيت جثته فى ترعة الإسماعيلية . وكان الإنجليز دائماً يغلقون الترعة ويخفوها وينتشلون جثث قتلاهم .. وكنا نقول كلما رأيناهم يفعلون ذلك: الجيش الإنجليزى سيصطاد سمكا اليوم .. واشتركنا فى عملية نسف كوبرى سالا ، وكان الإنجليز قد أقاموا على رأس ذلك الكوبرى أكبر محطة لاسلكى .. وقد انفجرت هذه المحطة ودمرت بالكامل . وقد سألنى الإنجليز أثناء الأسر عن هذه العملية بالذات . وقد تمت العملية ظهراً . وكانت المشكلة فى هذه العملية أن لنا جندى مرور مصرى على الكوبرى .. وكنا طبعاً لانريده يموت فى نسف الكوبرى .. فرتبنا أن يحرر هذا العسكرى محضر مخالفة لأى سيارة .. الساعة الثانية ظهراً .. وتشاجر مع السائق مما يجعل مغادرته الكوبرى لتسليم السائق المشاغب للقسم عملية طبيعية .أماوسيلة نسف الكوبرى فكانت عبارة عن اثنين من الفدائيين متنكرين فى هيئة بائعى برتقال كل منهما يسوق عربة يد عليها كوم من البرتقال مخبأ تحته المتفجرات طبعاً .. موقوتة بالساعة والثانية . أخذ أحدهما يبيع للإنجليز .. تشاجر معه الآخر بحجة أن البيع للانجليز خيانة وطنية .. تماسكا .. والإنجليز يضحكون .. ضرب أحدهما الآخر وجرى .. جرى الثانى وراءه لينتقم منه .. وعندما ابتعدا انفجرت العبوات ونسف الكوبرى والمحطة .. وعزلت القيادة البريطانية تماماً عن المدينة (الإسماعيلية) .

والحقيقة نحن كنا نفعل ذلك أيضاً لأن مدينة الإسماعيلية عانت مالم تعانيه أى مدينة فى مصر . على سبيل المثال ، كان الإنجليز يقومون بعملية تفتيش شاملة لشارع بأكمله .. فيلقون بكل السكان فى الشارع ..ويحطمون الأثاث .. وفى الإسماعيلية كانت توجد منطقتان : الحى العربى والحى الأفرنكى . لما ضاقوا بالنشاط الفدائى ، فصلوا المنطقتين عن بعضهما .. وأخلوا الجزء من الحى العربى المواجه للحى الأفرنكى .. وألقو سكان

هذا الجزء جميعاً فى الشارع . لم يراعوا السيدات فأنزلوهن بملابسهن الداخلية .. ولا الأطفال الرضع ولا الحوامل.. وأصبح هؤلاء مشردين.. وإمعاناً فى إذلال المواطنين ، أخذوا كل أجولة الدقيق الموجودة فى المخابز وعملوا منها « متاريس » .. متاريس من الدقيق .. بينما المدينة كلها بدون خبز ..

وفى كل هذه الأحوال كان الناس لايجدون أمامهم سوى المحافظة والبوليس المصرى.. وللحق كان موقف الضباط والجنود رائعاً .. فكانوا يتنازلون عن وجباتهم وبطاطينهم للأهالى .. حتى يستروهم لحين ترحيلهم إلى داخل القطر .. كلاجئين !

كل هذا كان فى النفس .. وكان وراء نشاطنا مع إخواننا الفدائيين .. كما كان وراء سلوكنا يوم ٢٥ يناير بعد ذلك ..

والحقيقة نشاطنا لم يقتصر على الإسماعيلية ، فقد اشتركنا — صلاح الدسوقى وأنا — فى معركة « كفر عبده » بالسويس والتحمنا مع الفدائيين هناك . . وعشنا بطولة الشهيدة « ام صابر » . وفى التل الكبير أيضا . . ولا زلت أذكر ما حدث فى إحدى معارك التل الكبير . بعد هجمة الفدائيين حاول الإنجليز أن يردوا . . فجاءوا بدباباتهم ليعبروا الترعة التى تفصل بين معسكراتهم وبين المدينة . . لكن قبل أن تصل الدبابات إلى الكوبرى تقدم طالب مصرى صغير وفتح الكوبرى . . واستشهد على مفتاح الكوبرى . . بعد أن عطل مرور الهجمة البريطانية وأعطى الفدائيين فرصة أفضل للرد . .

كانت هناك صور رائعة من الفدائيية . . والوطنيه . . والتضحية . .

وجاء يوم ٢٦ يناير . لكن كان قد سبق موقف معين . . أعتقد أنه شجع الإنجليز على مهاجمتنا ، كانت توجد قوات كبيرة من البوليس فى التل الكبير . بقيادة اللواء عبد الرؤوف . . وقد هجم عليهم الإنجليز فاستسلم قائدهم . . ولم يقاوم .. كانت هذه سابقة خطيرة استدعت التحقيق مع اللواء عبد الرؤوف بعد ذلك . . لكنها ربما أعطت أشارة للانجليز لكى يقوموا بعملية ٢٥ يناير . .

يوم ٢٥ ينناير كان يوم جمعة كما سبق أن قلت . كانت قوات البوليس حوالى ٧٠٠ أو ١٠٠٠ عسكرى . موزعة على قسمين معسكر المحافظة ومعسكر المستوصف خلف المحافظة بحوالى مائة متر أما نحن الضباط فكنا مقيمين بلوكاندة قريبة من المحافظة . والتسليح بالنسبة للعساكر كان البندقية « لى انفيلد » ونصف العساكر بالخيرزان فقط . لكن روح العساكر كانت عالية جداً ، ومنفعلين تماما بروح الأهالى حواليهم ، المهم ، جاء فراش اللوكاندة وأيقظنى وكان متعاونا معنا . . يغطينا عندما نغيب عن اللوكاندة أثناء القيام بالعملية . . كان معى باللوكاندة اليوزباش عبد المسيح مرقص واليوزباش مصطفى كمال عشوب والبكباشى حسان أبو السعود . ايقظنا الرجل وقال لنا ألحقوا المدينة احتلها الإنجليز . سالت : ماذا نفعل ؟ قال الجميع ننزل مع عساكرنا فورا . وكالعادة وقرأنا الفاتحة . . حتى الأخ عبد المسيح قرأ معنا . . كانت الساعة الخامسة صباحا . . المنظر مرعب . . المدينة محتلة بالكامل بالدبابات . . الطرق مقطوعة بالسدادات . . جو ارهاب فظيع يسيطر على الموقف .

مشينا نحن جنبا إلى جنب . . أيدينا متشابكة . . وبكل هدوء نرفع سدادة الطريق ونمر . . ثم نعيدها إلى مكانها . . حتى وصلنا إلى المحافظة . .

على باب المحافظة كان أكسهام واقفاً . . سألني إلى أين أنت ذاهب .. قلت إلى المحافظة . . فهنا مقر عملي . قال لكن اليوم جمعة . . أجازة . فقلت له وأنت ماذا جاء بك . . هنا عملي . . لكي ما عملك أنت ؟ قال على العموم الآن موجود قطار سكة حديد . . عليكم أن تلقوا سلاحكم . . وتركبوا القطار .. وتذهبوا إلى القاهرة . قلت أنا لا أتلقى أوامرى منك . لى رئاسات ما أتلقى منها الأوامر . . قال لم استطع الاتصال برئاساتك . قلت له إذن اذهب . قال سأعطيك خمس دقائق ، فاحتديت ، وقلت لم حتى إذا وقفت خمسين سنة . وقال ماذا ستفعل قلت إذا ضربت سأرد . هكذا . . بينما أمامى الدبابات السنتريون التى كنت أرآها لأول مرة . . دبابة خلف دبابة خلف دبابة . . وتركته ودخلت . وجاء الإنجليز بالحونة الذين يتكلمون العربية وبدأوا يطلقون التهديدات .. من الميكروفونات : سلموا . . ستموتون جميعا . . الخ .

تحمس العساكر عندما رأوا وجوهنا . وقالوا كنا متوقعين أن تأتوا . سألناهم : ما رأيكم ؟ . . قالوا أبدا . . لا تسليم . . نخلص كلنا . . ولا نخرج من هنا . ووزعنا أنفسنا وذخيرتنا . . وسكتنا . وبدأ الضرب بالأسلحة الثقيلة . . بوحشية . وبدأ القتلى والجرحى يتساقطون . فى هذه الأثناء جاء عامل التليفون وأبلغنى أن وزارة الداخلية تطلبك . فقلت أنا ؟ . . قال نعم لأنهم لم يجدوا أحدا من الضباط الكبار . . فقالوا نادى الضابط الموجود . كان وزير الداخلية فؤاد سراج الدين باشا هو المتحدث .. قال فيه أيه عندك .. ؟ فوجهت سماعه التليفون ناحية الضرب وقلت له هذا هو الموجود . . قال عندك قتلى . . قلت نعم . قال أين الضباط الكبار قلت لا أعرف . قال ماذا ستفعلون .. قلت لن نسلم أبداً . . وفى هذه

اللحظة سقطت قنبلة على السويتش فقطعت المكالمة وكانت آخر كلمة قالها الوزير : شدوا حيلكم .

وأخذ عدد القتلى والجرحى يتزايد . وحدث أن أصيب جندى بدفعة « بدق » . . وطار ذراعه . . وعندما توجهت لرعايته ، قال لى إذهب أنت إلى واجبك . . شد حيلك . . فقط ولع لى سيجارة .

واضطررت للخروج . وفورا رفعت راية ، وتوقف الضرب وجاء أكسهام وسأل : سنسلم ؟ . . قلت لا . . أنا أطلب الأسعاف للجرحى ، قال لن يحضر أسعاف . . سلم أولا . . قلت لا . . خبط بقدمه الأرض وصرخ سلم اولا . . فقلت له استمر . واتخذت العملية طابع المذبحة . . بينما كانت طائرة تطوف بالمكان وتنادى بالميكروفون تطلب تسليمنا .

خرجت مرة أخرى وكنت قد جرحت فى يدى . توقف الضرب . . ويسألنى أكسهام ماذا ؟ . . قلت : الاسعاف ، قال لا اسعاف . قلت إذن استمر ، ودخلت .

واستمر الضرب حتى حوالى الساعة الرابعة بعد الظهر وبدأت أجزاء من المحافظة تنهار . . والحرائق تشتعل . . ومواسير المياة تدمر . . وكان أصعب شيء أن تمس المياه جروح العساكر المصابين . هنا بدأ الصراخ من الألم . . وثارت الأعصاب . .

وقررت أن أحسم الموقف ، بالخروج والالتحام مع أكسهام .

لكن عندما خرجت فوجئت بضابط آخر أكبر من أكسهام . عندما رآنى خبط رجليه وحيانى تحية عسكرية قوية .. فوجدتنى أحييه بدورى . واتضح أنه الجنرال ماتيوس قائد المنطقة الذى جاء لما طالت المعركة .

وتكلم ، فقال أنت ورجالك قمتم بأكثر من الواجب . وقد شاركت فى معارك كبرى وموقفكم مشرف . . وأنا مستعد لتلبية كل مطالبكم . كنت فى مقابلة سابقة مع أكسهام اتحدث عن مصر ... فقال لى بازدراء انزل هذا الشيء الرث من مكانه مشيرا إلى علم مصر ... فقلت لما تيوس أول طلب لنا أن يبقى علمنا .. وأننا سنخرج فى طابور منظم .. ولن نرفع إيدينا .. ووعد شرف بحسن معاملتنا . فقال موافق على كل الطلبات .. ولا تقل معاملة بشرف .. وانما بكل الشرف .

وحاولت اقناع الجنود . . وبعد جهد وافقوا على الخروج . . ووقفنا فى طابور منظم . . وخرجنا . وكانت المفاجأة أن أصدر القائد الانجليزى أمره بتحية طابور العساكر المصريين ..

ونقلت القوات إلى المعتقل . وجاءت الأسعاف . . ودخل أركان حرب أكسهام لاستلام المحافظة . وعندما دخل غطى وجهه وقال : أى عمل حقير فعلناه .

وانضممت لاخوانى . وأدخلونا فى معتقل نظيف فيه تدفئه .. وابدوا احتراما واضحا لنا . وأكل جيد ..

فى اليوم التالى ظهرا ، اختلف الحال تماما . جاءت اللوارى ونقلتنا إلى معسكر بالصحراء الشرقية ..

وسمعنا فيها بعد أن طلبة كلية البوليس أضربوا فى مساء ٢٥ يناير وكسروا السلاحليك واعتصموا فى حديقة الازبكية .. ثم حدثت فى الصباح مظاهرة بلوكات النظام ..

المهم ، عوملنا معاملة قاسية . . دورات المياه العسكرية الصباح . . ونذهب إليها بحراسة الإنجليز .

وجاء من يدعونى لدفن ضحايا المعركة ، فذهبت لأجد القتلى أكتافهم فى أكتاف بعض . . يملأون حجرتين كبيرتين فى مستشفى . . لم يدفنوا رغم مرور يومين على موتهم . قلت لهم كيف أدفنهم .. أن الدفن عندنا له مراسم دينية محددة لا يمكن أهمالها . ورفضت . وعدت إلى المعتقل على أساس أنهم سيتصلون بالمسئولين فى القاهرة .

وأساءوا معاملتنا أكثر .. حتى أضطررنا للاضراب عن الطعام .. لأن الأكل كان عبارة عن قشر كرنب وبصل والبرتقالة على أربعة .. وعندما جاء الضابط الانجليزى يسألنا قلنا له أننا حصلنا من قائدكم على وعد شرف بحسن معاملتنا .. لكن الوعد لم ينفذ ، فقال لنا : لقد اتصلنا بحكومتكم فى القاهرة لكى تستلمكم .. فرفضت ، وأدهشنا ذلك جداً .

وجاء يوم الأفراج عنا من الأسر ، وضعونا نحن الضباط الباقين — لأن الضباط الكبار كانوا قد أطلق سراحهم فورا — فى لورى مقفول بأوامر من الداخلية . وصلنا وزارة الداخلية لم نجد أحداً فى استقبالنا الوحيد الذى حيانا هو عامل الأسانسير .

ودخلنا مكتب الوزير ، ونظر مرتضى المراغى إلى وقال : أنت مصطفى ؟ .. قلت له أيوه .. قال : على العموم أنا كفيل بالأفكار التى فى دماغك دى أشيلها .. قلت له : أفكار أيه ؟ قال : ماتردش نظر لعشوب وقال له : أنت جاى تقابل وزير الداخلية من غير كاب ؟ فقال عشوب : دى ملابس المعركة .. لم نغيرها ..

خرجنا من عند الوزير .. وورائى قرار باجازة مفتوحة ، طبعا هم متخيلين أن أحنا ناس شيوعين أو سياسيين .. لأن البوليس أو العناصر الطيبة منه . . كان لابد أن يكون لهم لون سياسى معين .. أو منشقين عن النظام ..

وبقيت بالاسكندرية . . حتى جاء لى إبراهيم بغدادى ورفيق أحمد على الضابط بالمظلات .. وقالوا لى الحق أنزل مصر معانا لأن فيه ثورة .. ووصلنا القاهرة .. والتقيت بقيادة الثورة . . فقالوا : أزاى البوليس الذى قام بدور وطنى مجيد لايؤيدنا حتى الآن . وكان ذلك ٢٤ يوليو ..

فنزلت إلى الكلية (البوليس) واجتمعنا أنا وصلاح الدسوقى وأنور العبد وأحمد الوتيدى ويوسف غراب . . وطلبنا من عدد آخر الاشتراك معنا فى اصدار بيان . وكتبت بخط يدى بيان تأييد باسم نادى الضباط البوليس لحركة الجيش . وأذاع أنور السادات بياننا وكان بياننا هو تانى بيان بعد بيان جامعة الاسكندرية .

س : فى اعتقادك ما قام به الانجليز يوم ٢٥ يناير كان طبيعيا . . أم أنه مقصود لاحداث الأثر الذى ظهر يوم ٢٦ ؟

ج : أنا أميل للاثنين . فالسياسة الانجليزية دائما لها أبعاد . لأن منطقة القنال والحركة الفدائية فيها . . الذى كان يغذيها ؟ . . القاهرة . الطلبة . . الشباب .. الإنجليز قصدوا وقف الموجة القادمة من القاهرة للقنال . . بعملية عنيفة حتى تكون رادعة . . وأيضاً أن تحدث بلبلة فى البلد ..

س : بالنسبة لحادث يوم ٢٥ . هناك تقييمان : أحدهما يقول أن فؤاد سراج الدين وإرساله قوت بوليس إلى هذا المكان .. واصداره أوامر لها بالمقاومة .. هو الذى أدى إلى مذبحة رجال البوليس .. وهو قرار أحمق يتحمل مسئوليته فؤاد سراج الدين . ورأى آخر يقول أن سراج الدين لم يكن أمامه سوى ذلك ، لأن الجيش لم يكن تحت تصرفه .. ولأنه لم يكن

يثق فى المنظمات الشعبية بحيث يعتمد بالكامل على فدائيين من الأهالى فلجأ إلى القوة التى تحت يده وهى البوليس . . وخصوصا بعد ضرب الانجليز لكفر عبده واستخفافا منهم بالوطنية المصرية .

ج : كان المفروض أن يتصدى البوليس الانجليز طبعا . . والاتترك الأهالى يقاومون وحدهم .. وهذا طبعا غير معقول .

شهادة اللواء شريف العبد(*)

ـ (البكباشي شريف العبد)
سنة ١٩٥٢ .

ـ ضابط الاتصال بالقوات البريطانية

ـ مدير الجمعية الخيرية حاليا

ـ بعد إلغاء المعاهدة نشط الفدائيون فى منطقة القناة وأخذوا يقومون بهجمات على المعسكرات البريطانية . مما اضطر البريطانيين لسحب العائلات الإنجليزية التى كانت تسكن فى مدينة الإسماعيلية ، لتقيم داخل المعسكرات ، تقاسم الضباط والجنود مساكنهم .

وامتنع التجار المصريون عن التعامل مع البريطانيين ، فيما عدا قلة شاذة ، مما اضطر القوات للبريطانية لاستيراد المواد الغذائية من قبرص والبلاد المجاورة لمصر .. وكانت المواد لاتكفى بطبيعة الحال .. فأضيف على البريطانيين عبء نقص الغذاء ولوازم الحياة .. بعد أن تعرضت حياتهم للخطر على أيدى الفدائيين .. اضطر ياور الجنرال أرسكن إلى أن يخطف قفص الطماطم من إحدى عربات اليد التى كانت أمام محافظة الإسماعيلية .. وتوجه به إلى المعسكر .. لما امتنع العمال ، والخدم والسفرجية عن العمل داخل المعسكرات ومع العائلات البريطانية .. كل ذلك سبب ضيقاً شديداً للبريطانيين .. ونغص حياتهم بصورة حادة ..

(*) مسجلة صوتيا فى أبريل ١٩٧٥ .

وقرر البريطانيون القضاء على النشاط الفدائى الذى لم يعد يحتمل بالنسبة لهم ..

وكان لابد للقضاء على وجود الفدائيين فى منطقة القنال أن يقضى على القوة التى تعاون الفدائيين وتحميهم .. وهى قوة البوليس الموجودة بالإسماعيلية ..

وفى ليلة ٢٥ يناير حاصرت القوات البريطانية قوات البوليس المصرية سواء الموجودة فى المحافظة أو الموجودة فى الثكنات ..

وطلبنى الجنرال آكسهام الساعة الرابعة صباحاً .. فتوجهت لمقابلته بمبنى تابع لشركة القناة وكان معه ضباط أركان حربه .. وأخرج خطاباً تلاه على ، مضمونه أن القوات البريطانية تحاصر قوات البوليس الموجودة بالإسماعيلية .. وطلب منى أن تخرج هذه القوات بعد أن تترك سلاحها فى مقابل ضمان ترحيلها دون أى اعتداء عليها . ولما أبلغته أن هذا الأمر لا يمكن تنفيذه أولا لأننى لست قائداً لهذه القوات ، وثانياً لأننى لو كنت قائداً لها ، وأصدرت مثل هذا الأمر إليها .. فإنها لا يمكن أن تستجيب علاوة على أننى لا يمكن أن أصدر مثل هذا الأمر أيضاً .. فأعطانى الخطاب .. وحدد ساعة الصفر وهى الخامسة صباحاً .. فإذا لم تستسلم فانه سيقوم بإطلاق النيران عليها وهو ماحدث بالفعل . وحملنى مسئولية ونتائج رفض الإنذار ..

وفى الساعة الخامسة بدأ الإنجليز الضرب بالدبابات والمدافع الثقيلة ودافعت قوات البوليس حتى نفدت ذخيرتها .. لكن نظراً لعدم التكافؤ سقط عدد كبير من الجنود المصريين قتلى .. وجرح عدد آخر .. وأسر الباقون ..

س : هل نستطيع التعرف ومن خلال ملاحظتك عن قرب ، على الاستعدادات التى قام بها الإنجليز قبل المعركة .. ؟

ج : الاستعدادات تمت ليلا .. وتحت جنح الظلام .. وتم الحصار بالمدرعات والأسلحة الثقيلة فى سرية تامة .. وفوجئنا بهذه القوات عندما استيقظنا صباحاً .. واتضح أنها كانت تمر وتختبىء فى الأشجار حتى لايلاحظ أحد ..

س : هل سمعت أى تعليق من آكسهام عن المعركة ؟

ج : بعد وقف القتال ذهبت إليه أسأله ماذا سيفعل بالقوات التى أسرها .. خاصة وأنه أخذ بينها عدداً من الجرحى .. فقال لى أن هذه القوات قاتلت ببسالة رغم ضعف تسليحها.. ولذلك فلهامناكل الاحترام.. وسوف نعاملها أفضل معاملة . ثم أضاف أن هذه العملية سوف تغضب الرأى العام الإنجليزى والرأى العام الدولى ، لأن الاعتداء على رجل البوليس ليس بالأمر الهين .

س : متى قال لك آكسهام ذلك .. اليوم والساعة ؟

ج : قال لى فى نفس يوم المعركة .. الساعة الثانية بعد منتصف الليل.. عندما توجهت إليه للافراج عن الأسرى من الضباط والعساكر .. أو السماح للسلطات المصرية بتزويدهم بما يحتاجونه من ملابس وغيرها من الحاجيات الشخصية . وهو مارفضه جميعه الجنرال ارسكين ..

س بماذا تفسر لجوء الإنجليز إلى السرية التامة فى هذه العملية ؟ .. ولماذا المفاجأة فيها ؟

ج : فى تقديرى أنهم عازمون على تنفيذ خطتهم بدون أى تراجع .. ربما لأنهم كانوا قد « زهقوا » من محاولات التهديدوالوعيد .. واستنفدوا كافة الإجراءات التى تكفل لهم الأمان .. فمثلا ، أخلوا المنطقة بين مدخل الإسماعيلية والمحافظة على ترعة الإسماعيلية من جميع السكان حتى يأمنوا الهجمات .. وأرسلوا تهديدات كثيرة . علاوة على قيامهم بتفتيش كل مكان كانوا يظنون أن الفدائيين يختبئون فيه .. حتى المقابر ! فقاموا بعمليتهم بهذه الطريقة ..

س : كيف خفى على الجميع أصوات الدبابات والأسلحة الثقيلة .. فى سكون الليل ؟

ج : الواقع أن القوات البريطانية كانت دائبة الحركة فى المنطقة ليل نهار .. فكانت تنقل قوات باستمرار بين معسكراتها الواقعة بين مدن القناة الثلاث .. ولذلك كانت أصوات الدبابات والأسلحة الثقيلة مما لايلفت النظر باعتباره شيئاً شاذاً ..

س : هناك من يعتقد أن حريق القاهرة دبره البريطانيون ونفذه عملاؤهم .. وأن عملية ٢٥ يناير كانت جزءاً من التدبير .. أو مقدمة المخطط الذى اكتمل تنفيذه يوم ٢٦ يناير .. وأن ماحدث يوم ٢٥ يناير لم يكن ضرورياً أن يتم بالصورةالضخمة التى تم بها .. وإنما قصد الإنجليز القيام بعملية استفزاز عنيفة للشعور الوطنى المصرى وللحكومة المصرية .. حتى يتهيأ الجو فى اليوم التالى لتنفيذ بقية المخطط .. مارأيك من واقع قربك من الإنجليز فى ذلك الوقت ؟

ج : لقد فكرت كثيراً فى تفسير ماحدث فى ذلك اليوم .. ومن المؤكد أن تواجد عدد كبير من ضباط البوليس والمسئولين عن أمن القاهرة بالذات

تبقى القصر يوم ٢٦ .. وأن يتم الحريق فى نفس الوقت .. وأن يسبق هذا اعتداء على رجال البوليس بالذات .. وأن تؤدى الحوادث إلى سقوط الوزارة .. هذه كلها أمور مرتبطة .. ولا يمكن أن تكون منفصلة عن بعضها .. هذا إذا علمنا أن الحرب لم تعد مواجهة عسكرية بين الجيوش فقط .. بل ان عملاء الأعداء ينتشرون فى الدول المعادية ليقوموا بعمليات التخريب وإشعال الحرائق وتكوين جماعات الشغب ليضعفوا الجبهة الوطنية ويؤثروا على السلطة الحاكمة .. وقد تحقق للانجليز مايبغوه نتيجة لحريق القاهرة .. فقد سقطت الحكومة ووصل للسلطة السياسية أشخاص سمحوا للعمال والخدم والتجار بالتعامل مع القوات البريطانية ..

س : هل لاحظت أى بادرة تشير إلى قصد الإنجليز ؟

ج : كما قلت كان قصدهم المباشر القضاء على الفدائيين والحركة الفدائية .. وفى هذا نفسه مافيه بالنسبة لكل الوضع السياسى فى البلد ..

س — هل اختلف سلوك الإنجليز يوم ٢٦ يناير .. عن يوم ٢٥ يناير ؟

ج : فعلا .. يوم ٢٥ بدأ بتوتر شديد .. وانتهى بشعور واضح على الإنجليز بالخزى والعار .. أما يوم ٢٦ ظهراً فقد اختلف الحال .. بدأ الإنجليز يشعرون بالأمان .. وأخذوا يجمعون عملاءهم .. والرعاع .. ويمرون فى مظاهرات صاخبة بين تصفيق العملاء .. كانوا يبدون منتصرين مزهوين .. مرتاحى الأعصاب وبعد ذلك سمحوا للعائلات المصرية أن تعود إلى مساكنها .. التى سبق أن أخلتها منهم القوات البريطانية على طول ترعة الإسماعيلية ..

شهادة الاستاذ رفعت الشهاوى (*)

* عضو الحزب الاشتراكى
سنة ١٩٥٢ .
* عضو المكتب الدائم
للمحامين العرب حالياً

س : هل تروى لنا ماحدث يوم ٢٦ يناير . . وملاحظاتك ؟

ج : الحقيقة أن أحداث ذلك اليوم انتابها الكثير من التشويه ، وتناولها الكثيرون من زوايا مختلفة ، وفى تصورى أن كل الذين تناولو ذلك اليوم ومحاولة نسبة ما حدث فيه إلى الحزب الاشتراكى إنما كانوا مغرضين ، وان اختلفت أغراض كل منهم . وأريد أن أستأذن فى العودة قليلا إلى الوراء قبل أن نصل إلى يوم السبت ٢٦ يناير ١٩٥٢ . ولعلك تذكر أنه قبل ذلك اليوم بفترة طويلة كانت قد قامت فى مصر حركات قوية بعد أن يئس الشعب المصرى من مراوغات البريطانيين فى الجلاء ووجد أن لاسبيل إلى طردهم وإنهاء الاستعمار إلا بوسائل تختلف تماماً عن الوسائل التى إتبعت . كان الإسلوب السائد قبل ذلك – باستثناء فورات طلاب الجامعات – هو المفاوضات .. وتعاقب الوزارات..والأحزاب .. وكل الأمل هو التفاوض مع البريطانيين .. ودائما كانت تنتهى إلى لانتيجة.

(*) مسجلة صوتيا فى مارس ١٩٧٥ .

ولذلك صمم الشعب سنة ٥١ ـ ٥٢ على ألا سبيل لخروج الإنجليز إلا القوة على ذلك قامت معارك الفدائيين ضد الإنجليز فى منطقة القناة وفى هذه الفترة ، أسهم الحزب الاشتراكى أسهاما كبيرا ، وشكل من بين شبابه كتائب انخرط فيها الكثيرون ، وقاموا باعمال ضد الإنجليز فى منطقة القنال. وسلحوا .. وفتحت معسكرات التدريب . وقرر الأستاذ أحمد حسين رئيس الحزب الإنتقال إلى الشرقية وجعل مقره فى الزقازيق للاشراف على المعركة ، وأقام هناك ، وإشترك هو شخصياً فى بعض الطلعات التى كان يقوم بها الفدائيون . واستمرت المعاوك ، وأحدثت أثراً كبيراً ووجه الإنجليز لأول مرة منذ سنة ١٩١٩ بمجموعة شعبية عارمة ، وبالأسلوب الصحيح لطرد المستعمر ولكن لعلك تذكر أيضا طبيعة الحكم والنظام الذى كان قائما فى ذلك الوقت.. كان هناك ملك .. وكانت هناك رجعية .. تستندان كليهما إلى وجود قوات الإحتلال البريطانية : وإن كانوا فى البداية قد استسلموا للموجة الشعبية إلا أنه كان إستسلاما على مضض ، لأنهم كانوا يدركون أنه لو قيد لهذه الحركة أن تنتصر ، وأن تخرج الإنجليز ، فان دعامة بقائهم وحكمهم تكون قد زلزلت وأن لهم أن يرحلوا ، ليحكم الشعب نفسه بنفسه ..

ولذلك ، فقد كانو يتربصون الدوائر بهذه الحركات للإنقضاض والقضاء عليها .. وبدأت فى ذلك الوقت محاولات من الحكومة لاستقطاب هذه العمليات الفدائية ... فرأينا وسمعنا أن سراج الدين وإشاعات تقول أنه يمول ويسلح جماعات من الفدائيين للاشتراك فى المعركة .. ولكن مما يؤسف له أن ذلك لم يستمر .. وقامت الحكومة التى كان هو وزير داخليتها بوضع العراقيل فى مواجهة العمل الفدائى فى منطقة القناة .. مثلا ، محاولة غلق معسكر التدريب الذى كان قد أعده الحزب الاشتراكى بالعباسية ..

محاولة التصدى لجمع السلاح للفدائين .. اعادة الفدائين وهم فى طريقهم إلى إلى الشرقية .. وبدأ العمل الفدائى ينتقل من حالة المد إلى حالة الجزر .. ولذلك ، ولنصل بسرعة إلى أحداث ٢٦ يناير ، أقول أن الأستاذ أحمد حسين عاد من الشرقية صباح يوم ٢٤ يناير .. وأنعقد مجلس إدارة الحزب وناقش أنه لاسبيل لاستمرار العمل الفدائى أزاء مشاغبات وتصدى السلطه المصرية ، تحت ضغط الملك والإنجليز طبعاً ، الا بمواجهة تلك السلطة التى تعرقل العمل الفدائى .. وأن لاسبيل إلى ذلك إلا باسقاط حكومة الوفد التى تصدت لهذا العمل .. والاتيان بحكومة وطنية تتعاون وتكون مؤمنة بهذا العمل . واتخذ ذلك القرار فى مجلس إدارة الحزب .. وعقد على ذلك مؤتمر صحفى فى مساء ٢٤ يناير وفيه أعلن أحمد حسين أنه عاد من الشرقية مرة أخرى ليبدأ معركة حاسمة من أجل إسقاط حكومة الوفد . نتيجة لمواقفها من العمل الفدائى . وكان مقررا ، قبل هذا القرار والمؤتمر الصحفى المفاجىء ، أن يلقى الدكتور راشد البراوى محاضرة فى البيت الأخضر . وقد تم ذلك ، بعد المؤتمر الصحفى . ولعلك تذكر أن البيت الأخضر يقع خلف النادى السعدى . وبعد أن أعلن أحمد حسين رأيه وقراره فى سقوط حكومة الوفد .. خرج بعض الشباب الوفدى فوق النادى السعدى وأطلقوا الرصاص والطوب والحجارة على البيت الأخضر .. وحدثت بعض المناوشات .. وأنتهى الأمر تلك الليلة .. وأذكر — وهذا أمر بالغ الأهمية — أن الأستاذ أحمد حسين كان مصابا بالإنفلونزا حتى أنه كان فى مؤتمره الصحفى بالكاد يعلن رأيه وقراره والأسباب التى جعلته يتخذ هذا القرار . ولم يستطيع أن يحضر محاضرة الدكتور راشد البراوى وإن كان موجودا بمقر الحزب . وفى ذلك اليوم وبعد تبادل إطلاق النار بين الشباب الاشتراكى .. وبعد انتهاء محاضرة الدكتور البراوى ..

أقبلت جحافل الشرطة بأمر من وزير الداخلية سراج الدين وقامت بمحاصرة الحزب والقبض على شبابه كنوع من الارهاب ومصادرة على المطلوب ووأد محاولة الحزب لإسقاط الحكومة . وانتقلت النيابة .. وبدأت تسمع جميع الموجودين بعد أن منع الحضور من الإنصراف . وفتشت مكاتب الحزب . لكن فى الخامسة صباحاً أفرج عن الجميع تقريباً وأنتهى اليوم .. وكان الأستاذ أحمد حسين فى ذلك الوقت وطيلة الليل مستقلياً على إحدى الكنبات فى مقر الحزب لأنه مصاب باعياء شديد .. وفى الخامسة صباحاً سانده بعض أعضاء الحزب وأنا من بينهم حتى ركب سيارة انطلقت به إلى بيته صبيحة الجمعة ٢٥ يناير ..

فى ذلك الوقت ، كان قد تقرر أن نقوم بحملة لاسقاط حكومة الوفد .. وبمظاهرات فى الجريدة .. وقد كنت أنا مسئولا شخصيا عن الاعداد لمظاهرات ضد حكومة الوفد .. .. واتفقت مع بعض إخوتى على ماسنفعله .. وتوجهت إلى جامعة القاهرة حيث عقدنا مؤتمراً كبيراً صباح السبت ٢٦ يناير .. وخرجنا من الجامعة بمظاهرة .. وكان هناك زميل آخر هو الأستاذ أحمد أبو المعاطى مكلفا باخراج مظاهرة من الأزهر . . وخرجنا .. ووصلنا إلى وسط المدينة . وعند ميدان الأبرا التقت المظاهرتان .. وكانت الساعة حوالى العاشرة ، وبالمصادفة وكانت الهتافات معادية لحكومة الوفد ، ومن خلال مسيرة المظاهرة من الجيزة إلى وسط البلد ، كانت المظاهرات قد تضخمت إلى حد بعيد .. وفى هذا الوقت التقينا ببعض جنود بلوكات النظام.. وكانت قد حدثت مذبحة الاسماعيلية يوم الجمعة مما أهاج الخواطر فى ذلك اليوم لدى كل جماهير الشعب . . فحملنا بعض هؤلاء الجنود على أعناق المتظاهرين وأرتفع هتاف الشعب « باعتبار أن هؤلاء الجنود هم بعض أخوة الذين خروا صريعى الشرف فى الإسماعلية . وكان منظر

هؤلاء الجنود وهم فوق أكتاف المتظاهرين والهتافات لهم وبهم مؤثرا على مشاعر الجماهير أيضا فى ذلك اليوم . ثم سارت المظاهرات حتى ميدان التحرير ومن ميدان التحرير إلى شارع القصر العينى ثم إلى رياسة مجلس الوزراء .. وكانت الساعة عندئذ تقترب من الواحدة ..

بينما نحن نقف أمام رياسة مجلس الوزراء ، نهتف بكل ما نستطيع مطالبين بسقوط حكومة الوفد .. وكان مجلس الوزراء مجتمعا فى تلك الأثناء فى بيت النحاس باشا بجاردن سيتى .. فوجئنا بالأستاذ عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية يظهر فى أحدى شرفات الدور الأول بمجلس الوزراء .. ومعه ميكرفون ، وحاول أن يخاطب الجماهير ليستل من نفوسهم هذا الغضب الشديد ، وأن يبرر تصرفات حكومة الوفد .. ووجه عبد الفتاح حسن برفض شديد .. ولم تتح له الفرصة لأن يلقى خطابا كما كان ينتظر .. حتى أنه أزاء هذا الرفض الشديد .. لجأ إلى أسلوب آخر للاستيلاء على المظاهرة .. فصرخ فى الميكروفون : ماذا تظنون.. القنال ومصر ؟ .. صدورنا قبل صدوركم .. ورقابنا قبل رقابكم .. وحاول بهذه الطريقة المزايدة علينا .. فرفعنى أحد الزملاء .. وقفزت فوق حجرة الحرس .. وصرخت فى وجهه للرد على أسلوبه الديماجوجى .. ووجهت إليه عبارات قاسية ، وقلت — وأرجو فى هذه المناسبة أن أقرر أن عبد الفتاح حسن كمحام وكرجل له فى مثل ذلك الموقف فهو لم يكن فى نظرى عبد الفتاح حسن وانما كان مجرد وزير فى حكومة الوفد التى يجب أن تسقط — كفى نصباً .. يكفى أنكم لاتستطيعون أن تقدموا لارقابكم ولاصدوركم .. بل إنكم تأبون حتى أن تنتقلوا من بيوتكم لتجتمعوا فى مقر رئاسة مجلس الوزراء وتجتمعون فى البيت كما لو كان الأمر وليمة .. فى بيت النحاس تجتمعون بينما جنودنا يذبحون فى

الإسماعلية بقراراتكم الخرقاء .. ومصر تظل مستعمرة بفضل سياستكم التى لا تقدم ، وعدم إيمانكم بها ، واستخذائكم للقصر والسلطة .. نحن لسنا مستعدين أن نسمع منك ولا أن نرى وجهك فاغربوا أنت ورئيسك عن الحكم واتركوه لشعب مصر يحكم ويحرر .. وانطلقنا مرة أخرى بالمظاهرة حتى لانعطيه فرصة .. وعند خروجنا أذكر أن بعض الشباب الوفدى كالذى كان يقف بجانبه ، وهبطوا ، وحاولوا أن يركبوا الموجة .. فاعتلى الأخ حافظ شيحا كتف أحد الوفدين ليهتف فى المظاهرة متصورا أن كل من يستطيع أن يرتقع فوق الاكتاف يمكن أن يقود المظاهرة .. وبدأ يردد بعض هتافاتنا من أجل العمل الفدائى ومن أجل العمل الفدائى ومن أجل مصر .. كمقدمة لينقلب بعد ذاك إلى الخط الذى يريد .. ولكننا كنا منتبهين لذلك تماماً .. وأذكر أن أخى وزميلى نصحى عندما رأى حافظ شيحاً يصعد .. أن قفز إليه وأمسك به وأنزله .. وسارت المظاهرة بعد أن طهرناها من الوفديين .. اتجاه ميدان عابدين ..

فاتنى أن أقول أنه عندما هممت بالرد على عبد الفتاح حسن .. إقترب منى أحد شباب الحزب واخبرنى بأن هناك حريقاً فى سينما ريفولى أو كازينو أوبرا .. فلم أهتم .. وقلت له ليس هذا أمرنا .. أن مهمتنا أن نعلنها صرخة داوية تسمع فى جميع أرجاء مصر بضرورة سقوط هذه الحكومة .. ولم يلفت نظرى أن كازينو أو أن سينما ريفولى فيها حريق.. وتصورت للوهلة الأولى ، وتلك حقيقة أقررها أمام الله وأمام التاريخ ، أنه قد يكون ذلك الحريق نتيجة ماس كهربائى وهو أمر يحدث كل يوم.. ولم يطرق إلى ذهنى اطلاقا أن القاهرة كانت فى ذلك الوقت تحترق ..

وانطلقنا إلى ميدان عابدين .. وهناك امتلأ الميدان بالجماهير كاملا ..

وبدأت الهتافات ترتفع .. وبدأت على استحياء تهاجم (الملك فى البداية..
وكان حافظ عفيفى رئيسا للديوان .. فهتفنا « بسقوط عفيفى .. وحافظ عفيفى » .. وكان فى ذلك اليوم كبار رجال القوات المسلحة ورجال الدولة مدعوين فى قصر عابدين على غداء مع الملك .. بمناسبة سبوع أبنه.. فكانت تلك فرصتنا ، أن نسمع كبار رجال القوات المسلحة ، والملك موجود ، رأينا بصراحة .. وبعد ترديد هتاف عفيفى .. صرخت « يسقط الملك » .. وكان ذلك الهتاف بسقوط الملك صراحة يطلق لأول مرة فى ميدان عابدين .. ورددت الجماهير الهتاف كالرعد .. وكان ذلك فى تمام الساعة الثالثة بالضبط .. ولم تمر لحظات حتى رأينا السماء تمطر رصاصا . من أكثر من جهة .. من القصر حيث الحرس الملكى .. ومن مسافة بعيدة حيث قسم عابدين ..

وبدأت الشرطة تعمل . مع أنه ، منذ الصباح .. وحتى تلك اللحظة ، لم يتعرض للمظاهرة أى رجل بوليس .. وتلك ملاحظة هامة أرجو أن أوردها .. وعندما بدأ الرصاص ينهمر .. رلا أكذبك أننا كنا فى حالة شديدة من الاعياء .. بدأت الجماهير تتفرق من ميدان عابدين .. ونزلت أنا من جانب الجدران أتسلل حتى اتفادى الرصاص ، الذى كان يطلق فى الهواء فى الحقيقة .. وما أن اقتربت من شارع عبد العزيز حتى تنبهت إلى أن القاهرة وسماءها ملبدة بالدخان .. وأن لا مواصلات .. ولا ناس .. تسير فى الشوارع .. وكانت تلك أول مرة أرى فيها تلك الحالة ، فسرت من شارع عبد العزيز إلى العتبة .. ومن العتبة إلى شارع فؤاد .. ورأيت لأول مرة الخراب يعم القاهرة .. والحريق .. والمحلات المحطمة .. وانطلقت من شارع فؤاد حتى باب الحديد .. وعندئذ رأيت سيارات الجيش قادمة نحو القاهرة ..

وفى المساء سمعت نبأ أعلان الاحكام العرفية .. و كان ذلك آخر عهدى بالقاهرة لبضعة شهور .. حيث كان مطلوبا القبض على .. فهربت خارج القاهرة ..

وأقرر أيضاً أن هذه المظاهرة التى كنت فيها ، كان فيها ، تقريبا كل شباب الحزب .. لأن جميع شباب الحزب كانوا مكلفين بالانضمام لهذه المظاهرة لنستطيع قيادتها .. ولنحمى بعضنا البعض .. وأزعم أننى كنت أعرف كل شباب الحزب الاشتراكى .. وأذكر أنه لم يتخلف عنها واحد منهم منذ الصباح حتى انفضاضها من ميدان عابدين ..

وأذكر أيضا أننا كنا فى ذلك اليوم حريصين على مداومة الاتصال بمقر الحزب : وبمنزل الأستاذ أحمد حسين .. كنا فرحين بقدرتنا على السيطرة على الشارع .. وأننا استطعنا منذ أن قرر أحمد حسين فى مؤتمره الصحفى اسقاط حكومة الوفد .. وبعد ساعات فقط أن نقود مظاهرة ونسيطر عليها يوما كاملا .. وبهذا الحشد الكبير .. فكنا نخطرهم أولا بأول بما يحدث .. وأذكر أننى اتصلت بالاستاذ أحمد حسين فى منزله على فراش مرضه فى ذلك اليوم أكثر من ثلاث مرات .. وخاصة فى اللحظات التى أعقبت خروج المظاهرة من دار رياسة الوزراء متجهة إلى عابدين .. وحكيت له المناقشة التى دارت بيننا وبين الاستاذ عبد الفتاح حسن .. وانتصارنا وخروجنا .. وأنه كان يرد علينا مستمعا غير معلق .. بسبب المرض .

هذه هى شهادتى عن أحداث اليوم . ولذلك فإن كل ما قيل من تلفيق حول أن أحمد حسين كان يركب سيارة ستروين ويركب إلى جواره شاب يرفع العلم .. ليس إلا خيال مريض .. استطيع أنا شخصيا أن أقطع

بأنه لم يحدث .. لأن الرجل لم يغادر منزله الا فى المساء عندما أدرك بحاسته وقدرته على التحليل بأن الخطة مدبرة لنكون نحن كبش الفداء ليتخلصوا منا ومن الحزب الاشتراكى بهذه المأساة الدامية .. لا من أجل العمل الفدائى فحسب ، ولا من أجل رغبة الحزب فى اسقاط حكومة الوفد فحسب .. ولكن لعلك تذكر أنه قبل ذلك اليوم بحوالى سنتين كان الحزب عن طريق اجتماعاته وصحفة يقود حملة بالغة العنف ضد الملك وضد الإقطاع شخصيا لأول مرة ، فى صراحة وجرأة لم يشهد لها مثيل .. فكان المقصود بتلفيق تلك التهم هو القضاء على هذه الحملة أصلا .. ولقد أثبتت الأيام بعد ذلك أن كل الذين حاولوا أن ينالوا من الحزب الاشتراكى ومن قيادته .. كان الله خير منتقم منهم .. وصدق رسول الله عندما قال أن الله يدافع عن الذين آمنو .. فرغم غياب أحمد حسين فى السجن ستة أشهر .. وتغيير كثير من الهيئات فى محكمة الجنايات والمحكمة العسكرية بقصد الوصول به إلى حبال المشنقة .. قيض له بارادة الله أن يخرج معافى وأن يعود إلى بيته سليما مرفوع الرأس .. وأن كل الذين كانوا مسخرين لتشييعة إلى حبل المشنقة : حسين طنطاوى الذى كان حريصا على أن يحكم وحاولت السراى أن تمد فى سن المعاش للمستشارين من أجل أن يبقى حسين طنطاوى .. وفى هذه اللحظة لا أستطيع الا أن أسجل بكل الاعجاب والتقدير موقف قضاء مصر .. حيث اجتمع قضاة مصر بناديهم فى شبه مظاهرة .. بأعداد غفيرة .. كبارهم وصغارهم .. ليعلنوا أن تلك رشوة .. وأنهم يرفضونها .. لأنهم أدركوا أن المقصود هو بقاء حسين طنطاوى .. وسقط حسين طنطاوى بعد الثورة ميتا — ومعذرة فلا شماته فى الموت — من « القهر » والخوف . أذكر — ولاشماته فى الموت أيضاً — أن رئيس النيابة الذى أجرى التحقيق رحمه الله وغفرله الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف وهو يعوم فى الاسكندرية .. مات غريقا .

س : المظاهرة التى كنت فيها .. هل هى نفسها المظاهرة الرئيسية التى خرجت من جامعة فؤاد ؟

ج : نعم ، هى نفسها ..

س : وليست أى مظاهرة أخرى ..

ج : إطلاقاً . .

س : هل تستطيع أن تتذكر بالضبط الساعة التى تركت فيها المظاهرة الجامعة ..

ج : بالضبط صعب لمرور الزمن .. لكن أذكر أنها كانت العاشرة تقريباً ..

س : أرجو أن تحدد بالقدر الممكن موعد وصولكم إلى ميدان الأوبرا..

ج : أذكر أننا وصلنا حوالى الحادية عشرة .. أو الحادية عشرة والنصف.. ولم يكن هناك أى مظهر من مظاهر الحريق .. ثم انحرفنا ناحية جامع الكخيا .. ثم شارع قصر النيل إلى ميدان التحرير .. ولم نرى أى آثار لا للحريق ولا للدخان . .

س : هل تخلف جزء من المتظاهرين فى شكل مجموعات فى ميدان الأوبرا ؟

ج : لست أتصور .. وأذكر أننا كنا نسير .. ولا أحد كان يتخلف.. بل أن الكثيرين من أفراد الشعب كانوا ينضمون للمظاهرة .. حتى صرنا نملأ شارع قصر النيل طولا وعرضاً ..

س : إلى أى حد اقتربتم من قصر عابدين !

ج : ملأنا كل الميدان .. ابتداء من السور الخارجى للقصر ..

س : ذكرت أن مظاهرتكم وصلت ميدان الأوبرا الساعة ١١–١١,٣٠..
وهو موعد قريب من موعد اشتعال أول حريق فى القاهرة .. فهل تحدد بدقة أكثر الساعة ١١,٣٠ كنتم فى أى مكان بالضبط .. خاصة وأن عبد الفتاح حسن قالى أن لقاءه بهذه المظاهره أمام رئاسة الوزراء بدأ الساعة الواحدة .. وبين الحادية عشرة والنصف .. والواحدة .. وقت طويل ؟

ج : أؤكد لك أننا تركنا ميدان الأوبرا ولم تكن أى حوادث بدأت..
والمظاهرة استغرقت الوقت الطويل بعد ذلك لأنها كانت تتضخم .. وكانت تتوقف عند كل ميدان : فى ميدان مصطفى كامل .. ثم فى ميدان سليمان باشا .. ثم فى ميدان التحرير .. وكل ذلك استغرق وقتاً .. وأؤكد لك على ذمتى أننا غادرنا الأوبرا تماماً دون أن يحدث أى .. شىء .. وأن أول خبر وصلنى على الحوادث كان حوالى الساعة ١,٣٠ .. ونقله لى الزميل طاهر جبر .. الذى قال أنه سمع من بعض الناس أن هناك حريقاً لا يعرف أن كان كازينو أوبرا أو بسينما ريفولى ..

س : بعد أن انفضت المظاهرة .. وتوجهت إلى وسط المدينة ..
ورأيت الحرائق .. هل كانت الشوارع فعلا خالية.. أم كانت مزدحمة..؟

ج : الشوارع فعلا خالية .. كان هناك بعض الناس .. مثلى..يسيرون مذهولين .. كنت أسير مندهشاً لهذا المنظر الذى رأيته .. القاهرة فى صورة يتمزق لها قلب كل إنسان ولا أقول قلب كل مصرى . الشوارع مهجورة .. بعض الواجهات محطمة .. الدخان يملأ السماء ..

س : حتى ذلك الوقت كانت الحرائق مستمرة .. فهل رأيت أحداً يحرق ؟

ج : لا .. لم أر بنفسى ..

س : لم تكن هناك أى علاقة بين الذين يحرقون القاهرة .. وبين المظادرات ؟

ج : أقطع بأن المظاهرة لم يقذف منها حجر .. ولم يحاول واحد أن يخرج منها ويخرب .

س : كنتم قوة فى الشارع فى ذلك اليوم .. هل حاولتم وقف الجريمة ؟

ج : إننا لم نلحظ الذى حدث .. ولو راجعت المناطق التى تم فيها الحريق .. لوجدت أنها مناطق تركتها المظاهرة منذ فترة طويلة ..

س : فى رأيك ، بعد كل هذا الزمن ، من الذى أحرق القاهرة ؟

ج : أنا كمحام لا أستطيع أن ألقى الاتهام جزافاً .. بغير دليل قطعى .. لكن فى تصورى أن صاحب المصلحة الأول فيما حدث هو الملك والإنجليز .. وفى تصورى أنهما كانا وراء ما حدث .. والدليل على ذلك أن الحكومة نفسها كانت ضحية للحريق .. فما كادت السراى تخدع الساذج وزير الداخلية ليقنع رئيسه باعلان الأحكام العرفية .. حتى أقيلت حكومة الوفد .. ثم اتهم الحزب الاشتراكى ..

س : خلال سير القضية .. ألم تستطيعوا الحصول على أى قرائن تعزز هذا الذى تقول ؟

ج : التحقيقات كانت تسير بشكل معين .. بواسطة النيابة التى كانت تأتمر بأوامر السراى مباشرة .. للاخذ بتلابيب أحمد حسين وصحبه .. فلم تكن القضية تحقق تحقيقاً بقصد الوصول إلى الحقيقة حتى يستشف منها أى شىء .. ولكنها كانت تسير فى اتجاه الوصول وبأسرع ما يمكن بأحمد حسين إلى حبل المشنقة ..

س : هل تتهم أى جماعة سياسية أخرى .. وبالذات الشيوعيين أو الإخوان المسلمين .. أو الشبان المسلمين .. بالاشتراك فى هذا الحريق .. ؟

ج : أنا لا أتصور أن هيئة من هذه الهيئات اشتركت بأى صورة فى هذا الحريق ورغم خلافنا مع هذه الهيئات فى تلك الفترة إلا أننى أربأ بهم ولا أتصور للحظة واحدة أنهم يفعلون .. لأنهم فى نهاية الأمر وطنيون .. ولا يمكن لأى وطنى كائناً من كان أن يقدم على مثل ذلك ..

س : سبب اتهام الحزب الاشتراكى فى نظر البعض هو أنه مهد للحريق .. بالتهجم على الحانات والملاهى ودور السينما .. وأن هذه الأماكن التى أحرقت .. وأنها هى نفسها التى حددها الحزب فى صحفه .. وأنه رسم خريطة الحريق .. ؟

ج : حملة الحزب على البارات والحانات كانت سنة ١٩٣٨..وكانت للحزب وقتها قضية فى هذا الشأن .. وكان هدف الحزب من الحملة العودة بالشباب إلى الدين وإلى حياة الطهارة والنقاء.. ولم نتعرض بعد ذلك للحانات.. أما حملة ١٩٥٠ فكانت مركزة على الإقطاع . وكنا نطالب بمقاطعة الشركات الأجنبية .. لأن الاستعمار هدفه الاستغلال .. وكنا نطالب بعدم دخول الأفلام الأجنبية كعمل اقتصادى للضغط .. ولم نكن نتهجم على دور السينما كدور للسينما فى ذاتها .. وإذا كان الحزب هاجم بعض الأماكن التى أحرقت بعد ذلك ، وإن هذا لايحمل هاجم بعض الأماكن التى أحرقت بعد ذلك ، فان هذا لايحمل الحزب أى مسئولية . لأن مهاجمة هذه الأماكن شىء .. وحرقها شىء آخر مختلف تماماً .. كنا نقاطع دور السينما التى تعرض الأفلام الأجنبية فقط وكانت طريقتنا أن يذهب شباب الحزب ويقف حاملا لافتات تدعو للمقاطعة .. فى أدب . . ونظام .. ولو كان هدفنا التخريب لفعلنا .. لكننا كنا ندعو مواطنينا المصريين إلى موقف معين .. بالإقناع وتعميق الوطنية فى نفوسهم ..

شهادة الاستاذ محمد حلمى عبد الخالق(*)

ـ الملازم أول حلمى عبد الخالق سنة ١٩٥٢ .

ـ صاحب مكتب لأعمال النقل حاليا

س : ما علاقتك .. ومعلوماتك .. عن يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ؟

ج : انضممت إلى تنظيم الضباط الأحرار فى تلك الفترة .. ولا أذكر بالضبط التاريخ .. لكن أذكر الأحداث التى جعلتنى أنضم . تصادف وجود عملية انتخابات نادى الضباط ، وكان مفروضاً أن يختار عدد من الضباط تمثل نسبة عدد الضباط فى كل سلاح . كنت وقتها ملازم أول ، وأختارونى لاكون واحدا من ممثلى سلاح المدفعية فى الجمعية العمومية . والذى اختارنى هو مصطفى راغب وهو من الضباط الأحرار ، وكان أركان حرب السلاح وكان برتبة صاغ فى ذلك الحين . وكنت مكلفا بعمل فى تدريب الفدائيين من مصطفى راغب ورشاد مهنا . فى انتخابات النادى تحررت أنا من القالب العسكرى ، وتحدثت كما لو كانت توجد ديمقراطية بحق . وكان مدير سلاح المدفعية بايعاز من رئاسة الجيش مرشحا لرياسة نادى الضباط ، فى الوقت الذى كان محمد نجيب مرشحا من المشاة وكان توجيه التنظيم هو انتخاب محمد نجيب . وكان على المدفعية أن تفسد الجو على مديرها حتى تهيىء الفرصة لمرشح الضباط الأحرار . وقمت أنا باعتبارى

(*) مسجلة صوتياً فى أبريل ١٩٧٥ .

أصغر ضابط بعملية المواجهة ، فتحدثت عن الأسباب التى من أجلها يجب على ضباط المدفعية أن ينتخبوا محمد نجيب . وحاول المدير أن يستثير النقطة الضعيفة لدى الضباط فتحدث عن وجوب التفاف المدفعية حول مرشحها .. وتوليت الرد فقلت له أننا لو انتخبناك فإننا سنعزل ، لأن باقى الأسلحة ستنتخب مرشح المشاة ، فانزعج المدير وأمرنى بالجلوس ، وأصدر شبه أمر بأن ننتخب جميعا . . فطلب أخذ الأصوات .. فأحس المدير أنه سيخرج .. فأفسد الاجتماع . بعد ذلك جاء نى كمال الدين حسين وعمل اتصالا بى .. وبدأ النشاط الفعلى لى فى تنظيم الضباط الأحرار . ثم اتصل بى مصطفى راغب وكلفنى بشكل محدد بأن أقوم بتدريب طلبة كلية الهندسة المتطوعين فى صفوف الفدائيين . وكان اختيارى بالذات بسبب سنى الصغير الذى يجعلنى أبدو بين الطلبة كواحد منهم .. ولأننى كنت مدربا على القتال فى المدن (الصاعقة فيما بعد) .. وأيضاً لأننى كنت ملتحقا بمعهد المهندسين الملكيين بلندن وكنت على علاقة باساتذة وكلية الهندسة . وعلى ذلك كان دخولى وخروجى من كلية الهندسة لايثير أى شبهات .

ومارست عملى كمدرب للطلبة ، مع القيام بتوعية وطنية بينهم . وكنت أقوم بمغامرات لا يقدم عليها إلا شاب صغير السن ، فكنت أتواعد مع الطلبة بعد الظهر وأقابلهم فى مصر الجديدة بسيارة الجيش وأنقلهم إلى ألماظه حيث ميدان ضرب النار وأسرق الذخيرة والقنابل بمعرفة زميل أسمه محيى يعمل حالياً بالإذاعة ،وندرب الطلبة تدريباً عملياً . . وكان عدد من صف الضباط يساعدون فى هذا كله . ثم أعيد الطلبه بسيارة الجيش إلى المكان الذى أخذتهم منه .

يوم ٢٦ يناير توجهت فى الصباح إلى كلية الهندسة ، فوجدت الطلبة

مضربين وخارجين . . فمشيت مع المظاهرة . طبعاً كان مستحيلا أن أتصرف في هذه اللحظة تصرفاً غير لائق . . فأظل أتحدث مع الطلبة فى الأيام السابقة بنبرة وطنية وثورية . . ثم أهرب ساعة الجد ، لا من الطلبة . . ولا من إحاسيسى الخاصة والتى لاتختلف عن أحاسيسهم . مشيت مع الطلبة . . وعلى كوبرى قصر النيل تقريباً ارتفع الحماس ، فحملنى الطلبة على أكتافهم باعتبارى الضابط الوحيد فى المظاهرة كان أمامى واحدة من أثنتين : أما أن « أرفض » . . وأصرخ .. وأقول نزلونى مش لاعب. وأما أجارى شعور الطلبة وأنطق بما فى قلبى . . وليحدث مايحدث . وهذا ماحدث فعلا . فتهفت بسقوط الانجليز وسقوط الحكومة . . وركزت على هتافات تشير إلى مسئولية القائمين على الحكم عن أضعاف الجيش المصرى ، وأن الجيوش فى العالم كله للحرب والدفاع عن الأوطان وليست للاستعراضات و« المحمل » . .

واتجهت المظاهرة إلى رياسة مجلس الوزراء ، وهناك تقدم طلبة حربيون . وفديون وأخوان ويساريون الخ . . وكل منهم . يقول كلمة لاشعال حماس المتظاهرين .. وتقدمت أنا وقلت أن ماحدث يوم ٢٥ هو جرح وطنى عميق ، وأن على الجميع أن يتحدثوا لطرد الإنجليز . وزادت كلمتى من حماس المتظاهرين وسكت الجميع والتفوا حول كلمتى . وجاء عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية والقى خطبة حماسية فرد الطلبة قائلين : نحن معتصمون هنا حتى تتخذ الحكومة اجراءات حاسمة ضد الإنجليز . فقال أنه اتصل برفعة النحاس باشا وأن رئيس الوزواء وعد ببحث هذا فى أول اجتماع لمجلس الوزراء . . فقلت : فليكن الاجتماع اليوم وليكن اجتماعاً غير عادى . . وإلا فمتى يكون الاجتماع غير عادى ، ونحن معتصمون هنا حتى يجتمع المجلس ويتخذ القرارات . فقال أنه سيبلغ ذلك

للرئيس.. وتركنا وذهب ، وقررنا الانتظار فى رياسة مجلس الوزراء حتى يرد علينا عبد الفتاح حسن .

واقترحت أنا على المتظاهرين أن نتوجه إلى عابدين ـ حيث الملك ومدعويه موجودين فى القصر ـ لنسمعه ونسمعهم صوت الشعب . . بدلا من الانتظار فى رياسة مجلس الوزراء . . ثم نعود مرة أخرى . وتوجهنا بالفعل إلى ميدان عابدين . . وفى هذه اللحظة فقط سمعنا أن هناك عمليات شغب وحريق.. وكانت الساعة حوالى الثالثة والنصف أو الرابعة .. عندئذ قلت للمتظاهرين : أقتراح ان تنفض المظاهرة الآن . . حتى لا ينسب لنا مسئولية ما يحدث فى البلد . . وأثناء ذلك كان الرصاص قد أطلق . . وأن كان فى الهواء . وانفضت المظاهرة بالفعل .

س : لما توجهت للجامعة يوم ٢٦ يناير ، وإنضممت للمظاهرة . . فعلت ذلك بدافع وقرار شخصى بحت . . أم كان لديك توجيه من تنظيم الضباط الأحرار بذلك ؟

ج : كما قلت ، هذا كان خط سيرى اليومى . . فلما وجدت المظاهرة تطور موقفى تلقائيا . . بدون أى توجيه أو قرار من التنظيم . .

س : هل تواجد فى مظاهرات ذلك اليوم . . سواء المظاهرة التى كنت أنت فيها أو أى مظاهرة أخرى . . أى فرد من أفراد تنظيم الضباط الأحرار ؟

ج : أنا لم أر فى المظاهرة التى كنت فيها أى واحد من الضباط الأحرار .. لكن فى التحقيق فيما بعد حاولوا ينسبوا إلى تهمة حرق كازينو أوبرا . . وعرضوا على صورة ضابط ملتقطة من الخلف . . وأنقذنى من هذا الاتهام أن هذا

الضابط كانت رتبته يوزباشى (نقيب) وأنا كنت ملازم أول ، ونجومه كانت نحاس بينما نجومى كانت قماش . . وكانت قد التقطت لى صورة بهذا الزى فى نفس وقت المظاهرة . . الا أنه لم يكن معروفاً أن كان هذا الضابط ضابط بوليس أو ضابط جيش . . لأن الصورة من الخلف لا توضح ذلك . .

س : هل كانت صورة هذا الضابط هى الصورة الوحيدة التى عرضت عليك . . أم عرضت عليك صور أخرى لضباط آخرين . .

ج : هى الصورة الوحيدة .

س : فى أى يوم عرضت عليك . . ومن الذى عرضها ؟

ج : عرضها على رئيس النيابة ولا أذكر اسمه . . ولا اذكر اليوم . .

س : بعد ذلك . . هل سمعت عن وجود أى ضابط من الضباط الأحرار فى الشارع فى فترة النهار . . قبل نزول الجيش فى المساء ؟

ج : لا . لم أسمع أن أى واحد من الضباط الأحرار كان فى الشارع فى نهار ٢٦ يناير .

س : بعد أن انفضت المظاهرة فى عابدين . . ماذا حدث ؟

ج : توجهت إلى الماظه ، وأبلغت مصطفى راغب بما حدث . . وابلغت بحدوث حريق فى القاهرة شاهدت بعضه وأنا راجع .. وسألت ما التصرف؟ مصطفى راغب اتصل برشاد مهنا وكان رئيس اركان سلاح المدفعية فى ذلك الوقت ، فاستدعانى رشاد مهنا وسألنى ماذا حدث بالضبط ؟ . . فرويت

له الأحداث . . فقال لى : ولماذا فعلت ذلك ؟ . . ثم قال على أى حال أنت أبننا ولا بد أن نحميك . وعينى أركان حرب الطوارئ مع القوات التى ستنزل المدينة . . حتى لا أكتشف ويقبض على . وفعلا توجهت مع القوات إلى الأزبكية .

س : يفهم من ذلك أن رشاد مهنا وجه إليك اللوم على عملك فى ذلك اليوم ؟ ثم . . هل أجرى معك تحقيق بواسطة التنظيم ، اعتبار أن ماقمت به يكشف التنظيم ؟

ج : لا . . لم يجر معى أى توجيه . ولم يكن كلام رشاد مهنا لوما . . إنما كان اقرب إلى كلام الأب عندما يحنو على ابنه . . ويحميه .. وعندما تعرضت لأزمة بعد ذلك وقف التنظيم إلى جانبى وكان يرسل لى مرتبى مما يجمع من الزملاء ويرسلها للبيت . . وأكلى كان يدفعه التنظيم للميس .

س : من الذى كان يتولى توصيل هذه المساعدات لك وللبيت ؟

ج : أبو الفضل الجيزاوى . . وأمين شاكر . .

س : كيف ومتى وأين قبض عليك . . وكيف خرجت ؟

ج : ظل البوليس السياسى فترة يبحث عن الضباط الذى كان بين المتظاهرين . . لكنه لم يستطع التعرف على عرفوا أنه ضابط مهندس : لأنهم عرفوا انى بدأت مع طلبة الهندسة .. وكذلك من الكتب فى يدى .. وأعتقلوا بالفعل أثنين أو ثلاثة ضباط آخرين . . لم يجدوا فيهم الشخص المطلوب . ثم وشى بى ضابط أسمه على صفوت كان ماسك حراسة على مجلس الوزاء وفى مرة من المرات مررت عليه ، فرآنى المخبرون الذين

كانوا يراقبون المكان فسألوه عنى فقال لهم أننى فلان الذى كان فى المظاهرة فبلغوا رياسة الجيش ، وفى المساء جاءت الشرطة العسكرية وأخذونى وكان ذلك يوم ١ أو ٢ فبراير ، وأودعونى فى سلاح الفرسان وأوقفونى فى ميس مدرسه الفرسان . . وبدأ التحقيق بعد ذلك بحوالى ١٠ أو ١٥ يوما . . ولما بدأ التحقيق نقلونى إلى السجن . الحربى وسار التحقيق العسكرى مع تحقيق النيابة جنبا لجنب . فى تحقيق النيابة كان التركيز على نسبة حريق كازينو أوبرا لى . وكان دفاعى هو ما سبق أن ذكرته فى خصوص صورة الضابط . . ولم يكن الاتهام فى الواقع واقفا على قدميه . وبالنسبة للتحقيق العسكرى نسبوا الى العيب فى الذات الملكية ، والسلوك المعيب بمقام الضباط الخ . . وبعد أنتهاء فترة التحقيق نقلونى إلى ميس سلاح الأشلرة الذى أصبح بيت جمال عبد الناصر بعد الثورة ، كان المجلس العسكرى قد أصدر قرارا عسكريا بأخراجى من الجيش وسلمونى ورقة الادعاء وكان ذلك قبل ٢٣ يوليو بايام قليلة . وليلة الثورة نفسها ، وأنا خرجت بحجة مقابلة الاستاذ عبد المجيد نافع المحامى الذى كان يدافع عنى . . وقد لاحظ الأستاذ عبد المجيد أن لهجتى كانت مختلفة فى هذا اليوم . . فكنت متفائلا . . لاأهتم بالقضية فنى صباح ٢٢ يوليو زارنى جمال الليثى وكان دفعتى وقال لى أن التنظم سيقوم بعمل ، الليلة . . وانتظر تعليمات . وبعد أن عدت من عند الأستاذ نافع أنا وحارسى الضابط حامد السيد حامد . . ودخلنا غرفة النوم . . رن جرس التليفون وكان المتحدث هو مصطفى راغب ، يطلبه حضورنا إليه . غمزنى مصطفى راغب وأمرنى بالجلوس ، ثم قال له حامد هل الطبنجة التى معك فيها ذخيرة . . قال نعم . . قال ماضى عليها فى العهدة . . قال نعم . . قال أرنى . . وتظاهر بالتفتيش على الطبنجة والذخيرة . . وأخذها منه . . وسلمها لى وقال : أعتقله . . حتى تستطيع أن تقوم بدورك

فى عملية االيلة . . فقلت له لا .. أنا أعتقد أنه ضابط وطنى وسيتعاون معا . فى البداية ظن حامد أن المسألة « هزار » . . لكنه ذهل عندما وجد مصطفى راغبه جادا .. ثم عندما شرحت له الموقف وخبرته بين الانضمام لنا أو الاعتقال ففضل الانضمام ..

وشرعنا فى تنفيذ الثورة . دخلنا إلمخيمات وأخذنا نوقظ بعض ضباط الصف – وليس الكل – ممن نتوسم فيهم الوطنية والخلق والرجولة . . واحدا واحدا .. وطلبنا منهم أن يجمعوا جنودهم بهدوء .. وكونا سريتين ودخلنا السلاحليك وسلمناهم الأسلحة والذخيرة وخرجنا إلى طريق الماظة .. حامد السيد حامد كلف بقفل طريق الماظة . . وأنا قابلت كمال الدين حسين فى مدخل سلاح المدفعية وكنا منتظرين مدير سلاح المدفعية حافظ بكرى ، فلما وصل اعتقلناه ، ثم على نجيب (شقيق محمد نجيب ومدير قسم القاهرة) رأمنا جانب الماظة ، وعمل أبو الفضل الجيزواى تليفونجى على سويتش المدفعية ولما سألته رياسة الجيش عن الموقف قال كل شىء هادىء .. فضللهم عما حدث .. وسارت الأمور كما هو معروف فى الأماكن المختلفة ..

س : أى أنك لم تخرج سن الموضوع إلا بقيام الثورة ؟

ج : نعم .

س : نعود إلى يوم ٢٦ يناير . . لما تركت المظاهرة وتوجهت لألماظة .. ماذا شاهدت ؟

ج : كان على أن أصل بسرعة إلى القشلاق ، فلم أر شيئا .. ثم نزلت مع القوات وكانت مهمتى كأركان حرب أن أمر على هذه القوات ..

س : متى وصلتكم أشارة الاستدعاء .. ومتى وصلتم الأزبكية ؟

ج : عندما وصلت أنا كان الاستدعاء موجوداً .. ووصلنا الأزبكية فى المغرب .. وكنت أنا ضمن أول دفعة وصلت الأزبكية .

س : ماذا كان تصرف الجيش بعد نزوله ؟

ج : صدرت أوامر للضباط بضرب النار فى المليان.. وكنت أنا أوزع هذه الأوامر . . لكن الضباط كانوا يرفضون أطلاق الرصاص على مصريين .. وأضطروا بالليل لاطلاق الرصاص فى الهواء ..

س : ما هى ملاحظاتك عن الحوادث أثناء مرورك ؟

ج : عمليات حريق .. وتخريب .. ونهب مفتوح بلا مقاومة تذكر ..

س : وضعتم أيديكم على أى أدوات أو وسائل أو مواد استخدمت فى الحريق ؟

ج : لا .. ولم نكن مكلفين بأى شيء من ذلك . وحتى لو رأينا شيئاً .. لم تكن مهمتنا ضبط أشخاص أو أشياء ..

س : يقال أنه استخدمت فى الحرائق مادة ت . ن . ت .. فما هى هذه المادة وهل كانت تحت أيديكم فى الجيش المصرى ؟

ج : مادة ت . ن . ت مادة مفرقعة . . ولاتستعمل فى الحرائق . . وإنما فى التدمير . . وإذا حدث وأن اشتعلت هذه المادة بأى وسيلة بأنها لا نزيد عن قطعة خشب مشتعلة .. وكانت متوفرة بكثرة فى الجيش فى ذلك الحين . . وكنا نصرفها من مخازن الجيش الإنجليزى . . لأن بريطانيا هى التى كانت تسلح جيشنا ..

س : قبل أنه شاهد عند كازينو أوبرا يوم ٢٦ يناير اثنين من الضباط جمال عبد الناصر وصلاح سالم .. هل سمعت شيئاً عن ذلك ..

ج : لم أسمع شيئاً من ذلك .. لا فى حينه .. ولا بعد ذلك .. قرأت فى بعض الكتب المتنوعة . . على ما أذكر كتاب أحمد أبو الفتح اتهاما من هذا النوع . . وأنا أعتقد أن هذا الكلام غير صحيح ، لسبب بسيط وهو أن أشعال الحرائق بهذا الأسلوب المنظم عملية فى غاية الذكاء ، لأنها فى أماكن متفرقة وفى وقت واحد أو أوقات متقاربة . . لابد أن يقوم بهذه الحرائق عدد كبير . . على الأقل كل حريق سيشعله أثنان أو ثلاثه . . ولابد من وجود أشخاص آخرين لحمايتهم . . وهذا لا يتوفر إلا لجهة منظمة . . أو جهة مخابرات أجنبية . الجيش المصرى فى ذلك الوقت لم تكن إمكانياته تسمح بالقيام بمثل هذه العملية .. والتنظم الوطنى الوحيد الذى كان موجودا بالجيش وهو الضباط الأحرار كان له هدف محدد وقتها .. وكان مكشوفا .. أفراده كلهم معروفون لبعض . . فكان من المحتم ، لو أنه هو الذى دبر العملية ونفذها . . أن يعرف عدد كبير . . وأن يتكلم البعض . . حتى من باب المباهاه .. ولو بعد الثورة ، ونحن لم نسمع أبداً عن أى فرد قام بعمل فى ذلك اليوم .. لا على مستوى القيادة ولا على مستوى الضباط الصغار ..

س : هناك من يقول أن المخابرات المركزية الأمريكية هى التى دبرت حريق القاهرة .. وأنها استخدمت الضباط الأحرار فى التنفيذ .. مارأيك ؟

ج : أنا أميل إلى الاعتقاد بأن المخابرات الأمريكية تدبر هذا العمل وتنفذه .. لكن استخدمت الضباط الأحرار . . أو أى ضباط غير أحرار .. لا .

س : الذين يقولون ذلك يردونه إلى وجود علاقة بين أمريكا وبين قيادة تنظيم الضباط الأحرار منذ قبل الثورة .. وظهرت بعد الثورة .. ومن هنا احتمال استخدام بعض الضباط الأحرار فى التنفيذ ..

ج : هذا الاحتمال غير صحيح .. لسبب بسيط أننا كنا لابد أن نعرف على الأقل فيما بيننا ..

س : أختلفت مع جمال عبد الناصر ؟

ج : اختلفت مع جمال عبد الناصر مرتين .. مرة فى أول الثورة .. ومرة بعد سنة ٦٧ ..

س : ورغم هذا .. تنفى أى شبهة عن شخص جمال عبد الناصر فى الاشتراك فى الحديث .. حسب كلام أحمد أبو الفتح .

ج : برغم هذا الاختلاف .. أن جمال عبد الناصر سجننى متعمدا عشر سنوات أشغال شاقة فى قضية المشير عامر .. وبرغم كل ماحدث لى فى حياتى .. أقول كلمة حق .. ان جمال عبد الناصر لم يكن لا مدبرا ولا منفذا لعملية حريق القاهرة ..

شهادة الاستاذ أحمد حسين (*)

ــ رئيس الحزب الاشتراكى
(مصر الفتاة)

س : أين كنت ، وماذا فعلت يوم ٢٦ يناير .. خاصة وأنت متهم ــ حتى الآن فى نظر البعض ــ بأنك شاركت فى إشعال الحرائق التى وقعت فى ذلك اليوم .. ؟

جـ : فى ذلك اليوم كانت حرارتى مرتفعة وملازم الفراش .. وحضر إلى منزلى اسماعيل عامر مدير الجريدة الذى تولى إحضار العلاج .. وزارنى بعض الأهالى من الذين لاعلاقة لهم بالسياسة مثل الشيخ الجوهرى والسيدة زوجته الذين بقوا معى حتى آخر اليوم . كما اتصل بى أصدقاء كثيرون لما قرأوا فى الصحف أنى معتكف كالشيخ على الغاياتى والأستاذ حافظ محمود وآخرون .. المهم ، بدأت التليفونات ترن . فسمعت عن مظاهرة بلوكات النظام .. وعندما علمت بهذه المظاهرة قلت : عساكر ؟ ..دى تبقى ثورة !

وتوالت أخبار المظاهرات .. ثم الحرائق .

وأحسست أن فى الجو رائحة خطر ، فاتصلت بعلى ماهر فى منزله وقلت له : البلد فى حالة خطيرة ، الحق ياباشا .. قابل الملك .. لازم الوزارة الوفدية تقال .. وانت تؤلف الوزارة الجديدة .. لكى تهدأ البلد . ورويت له ماسمعته ، لأنه لم يكن يعلم بما يحدث .

(*) خلاصة ثلاث جلسات مناقشة فى فبراير ـ مايو ١٩٧٥ .

بعد نصف ساعة اتصل بى على ماهر ، وقال لى أنه لم يجد حافظ عفيفى .. وسألنى عن أخبار جديدة .. فرويت له ما كان قد تجمع لدى من معلومات ..

أدركت أن الموقف يزداد خطورة ، فاتصلت بابراهيم شكرى فى شربين وطلبت منه الحضور إلى القاهرة ليتصرف .. لأننى مريض ..

وكنت قد اتصلت قبل ذلك بإدجار جلاد صاحب جريدة الزمان .. ومصطفى أمين صاحب أخبار اليوم .. وقلت لهما ماقلته لعلى ماهر ..

وفى الساعة الرابعة كان قد أصبح واضحاً أن الخطر شديد جداً .. وأحسست بالخطر يقترب منى .. فقررت الخروج من البيت والاختفاء .

وبالفعل خرجت من بيتى وتوجهت إلى مكان آخر .. حتى سقطت حكومة الوفد ، وتألفت وزارة على ماهر .. ومن الإسكندرية اتصلت بعلى ماهر رئيس الوزراء ، فقال لى إبق كما أنت .. وأعطنى بعض الوقت لأدرس المسألة ..

وبقى الأمر كذلك لمدة شهر تقريباً ، وحتى استقالت وزارة على ماهر وألف نجيب الهلالى الوزارة . فوجدت أن الاستمرار على هذا النحو غير طبيعى ، فقدمت نفسى للنائب العام .. وتوجهت إليه بصحبة مدير الأمن العام صلاح مرتجى قريب اسماعيل عامر .لكن النائب العام رفض «استلامى» وقال : أنا مش عايزك .

لكن جاء اللواء محمد ابراهيم أمام رئيس البوليس السياسى واعتقلنى .

فى كل هذه المدة لم يصدر أمر قبض على من النيابة لا على ذمة قضية

حريق القاهرة . . ولاغيرها . . . لكن لأنه كانت قد صدرت ضدى ثلاثة أحكام حبس مدة كل منها ستة أشهر فى قضايا عيب فى الذات الملكية .. فقد اعتبرتنى النيابة محبوساً .. وخلاص !

وقامت الثورة فى ٢٣ يوليو ، وأصدرت عفواً عن جرائم العيب فى الذات الملكية .. فارتديت ملابسى وحملت حقيبتى وتوجهت إلى باب السجن لأخرج . هنا فقط قالوا لى : متأسفين .. لقد أصدر عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة أمراً بالقبض عليك على ذمة قضية التحريض على حريق القاهرة .

وفيما يتعلق بسير القضية يمكن مراجعة كتابى « قضية التحريض »

س : هناك من يقول أن سير القضية بعد الثورة تحول من محاكمة جنائية .. إلى مجرد قضية سياسية .. وأن الظروف الجديدة جعلتك تحظى بفرصة للافلات من المحاكمة .. سواء بخروجك «بالعفو » .. أو بانقضاء الدعوى لأسباب سياسية بحتة .. لعلاقة الصداقة بينك وبين قادة الثورة .. فما قولك ؟

ج : هذا غير صحيح بالمرة .. المسألة أن الكثيرين لايعرفون التفاصيل . فبعد أن جاءت الثورة مباشرة ، وفى أيام وزارة على ماهر أثيرت المسألة : هل تستمر محاكمة أحمد حسين أم لا ؟ .. لقد كان الشيء الطبيعى أن تنتهى هذه القضية التى كان الجميع يعلمون أنها ملفقة ولا أساس لها .. لكن المدهش أن العكس هو الذى حدث .. فقد قررت الوزارة استمرار المحاكمة واستمرار حبسى . وقد ذكر لى حسين أبو زيد وزير العدل فى هذه الوزارة بعد أن خرج من الوزارة ، وبعد أن خرجت أنا من السجن بالحرف الواحد : أنا لم أعرف عظمة أحمد حسين إلا عندما فوجئت فى مجلس الوزراء بعلى ماهر يقول لنا أن أحمد حسين لابد أن يحاكم .. بناء على تعليمات الإنجليز !

وذهب على ماهر ، وجاءت وزارة محمد نجيب . لكن كان نائب نجيب هو سليمان حافظ الذى كان يتبنى فكرة على ماهر . وقد جاءنى فى المستشفى وحاول أن يثنينى عن الإضراب عن الطعام احتجاجاً على استمرار محاكمتى أمام محكمة عسكرية . وقال لى فى معرض تبريره لبقول الموافقة على ذلك : ألست متأكداً من براءتك .. فلماذا لاتكون هذه البراءة من المحكمة ؟ وقد رددت عليه قائلا : أليس غريباً أن أقبل فى عهد الثورة ماسبق أن رفضته فى عهد الملك ؟ .. هل تطلب منى أن أقف أمام محكمة عسكرية لأن الذين أصبحوا يحكمون البلد أصدقائى ؟.. وطردته تقريباً .

أما عن تعاطف النظام الجديد معى .. فهذا أمر طبيعى . لقد كان الرأى العام كله معى . المحامون ، والصحفيون ، وكل رجال السياسة .. فهل كان ينتظر من مجلس قيادة الثورة الذى جاء ضد الملك والنظام السابق الذى كان يريد رقبتى .. أن يكون ضدى ؟ .. بديهى ألا يحدث مثل ذلك . لقد زارنى أنور السادات ثلاث مرات باسم مجلس قيادة الثورة . وفى إحدى المرات كان موفداً من محمد نجيب لإقناعى بالعدول عن الإضراب. وقد ذكر لى أنه قبل أن يأتى إلى ذهب إلى جمال عبد الناصر وسأله : هل سنفرج عن أحمد حسين أم لا .. حتى أعرف ماسأقوله له . فقال جمال عبد الناصر : سنفرج عنه ..

ومع ذلك ، فقد وضعت عقبات . من ذلك أنه عندما صدر قانون العفو عن الجرائم السياسية ، تعمد سليمان حافظ أن يستثنى من قانون العفو من تتضمن قرارات اتهامهم المادتين — و — من قانون العقوبات . وهى نفسها الموادالتى تعمد الملك إضافتها إلى قرار اتهامى حتى يتضمن إعدامى .

واقتضانى ذلك الدخول فى معركة قضائية حتى يشملنى العفو ..

س : إذن .. فأنت فى نهاية الأمر خرجت من القضية بالعفو السياسى ..

ج : لا .. لقد دحضت كل الاتهامات.. وصدرت قرارات فى الموضوع تعتبر أحكاماً بالبراءة . وأرجو مراجعة كتاب قضية التحريض ومذكرة دفاعى لمعرفة كل التفاصيل التى تنفى تماماً أننى خرجت بالعفو .

س وشبهة الخروج .. وحتى أن تتخذ المسائل هذا المجرى .. لأن قادة الثورة أصدقاؤك .. ؟

ج : جمال عبد الناصر كان فى مصر الفتاة ، وكان يعتبرنى أستاذه . وأنا مدين له شخصياً بأمرين : بحياتى المادية ، لأنه لولم تقم الثورة لكنت قد أعدمت . وبأنه وضع ندائى « المجد لمصر » موضع التطبيق ونفذ كل أحلامى بغض النظر عن توفيقه أو عدم توفيقه فى هذا التطبيق ، المهم أنه أثبت أننى لم أكن أقول كلاماً فارغاً .

وكذلك أنور السادات . وكثيرون من أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لكن ذلك كما سبق أن قلت لم يمنع السير فى القضية . ولم يمنع أننى خرجت من هذه القضية لسبب واحد فقط هو أننى بالفعل برىء من جريمة حرق القاهرة سواء بالتدبير أو التنفيذ أو التجنيد .

س : ماتقييمك لما حدث يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ ؟

ج : الحقيقة أن البلد كانت فى حالة ثورة . إن ثورة ٢٣ يوليو بدأت فى ذلك اليوم .. وفى رأيى فإن هذا اليوم ينقسم إلى ثلاث مراحل : المرحلة الأولى كانت غضبة الشعب . هذه الغضبة بدأت من الصباح المبكر

حتى حريق كازينو أوبرا .. حيث كان هذا الحادث تفجيراً لغضبة الشعب . ثم كانت المرحلة الثانية فيما بين الساعة الواحدة والساعة الثالثة تقريباً . فى هذه المرحلة تم حرق بعض محلات اللهو ودور السينما ذات الصبغة البريطانية .. وكانت العملية هنا ذات طابع وطنى دينى .. ثم كانت المرحلة الثالثة بعد ذلك .. وفيها حدثت حرائق متنوعة فى منشآت متباينة .

وفى اعتقادى أن الحرائق التى حدثت فى المرحلتين الأولى والثانية كانت تلقائية .. قامت بها الجماهير الغاضبة .. أما المرحلة الثالثة فقد عمل فيها خليط من كل نوع ، متآمرون ولصوص .. الكل حاول أن يصطاد فى الماء العكر .

فى المرحلة الأولى اكتشف الناس أنه لا البوليس ولا المطافىء يريدون عمل أى شىء فشجعهم ذلك على الانتقال للمرحلة الثانية .. أما فى المرحلة الثالثة فقد أدركوا أنه لاوجود للدولة بالمرة .

س : يعنى ذلك أنه لاتدبير فى حريق القاهرة ؟

ج : التدبير يمكن أن ينحصر فى المرحلة الثالثة ..

س : وموقف المسئولين .. والقوى السياسية ؟

ج : كل العناصر فى بادى الأمر كانت ترى مصلحة فى الغضبة .. إلى حد ما . لكن المسائل خرجت عن أى سيطرة .. وأصبحت ضد الجميع . وفى هذا اليوم بالفعل صار الجميع أفراداً .. فقد تحللت كل الأجهزة وكل الجماعات السياسية ..

س : هل كان بوسع أى قوة سياسية فى البلاد أن توقف الحريق .. أو تنقذ البلاد بإسقاط النظام الملكى والاستيلاء على السلطة .. ؟

ج : لا . فالوفد كان حزب الأغلبية ، وكان فى الحكم ، أى فى يده بعض السلطة ، لكنه لم يستطيع أن يفعل شيئاً .. ولم يكن وارد فى برنامجه الاستيلاء على السلطة بطرد الملك .

والحزب الاشتراكى كان عبارة عن مجلة الاشتراكية .. دوى فقط .. وليست لديه قوة مادية ولا كوادر يستطيع بهم القيام بعمل إيجابى كبير . كما لم تكن لدينا فكرة الاستيلاء على السلطة .

والشيوعيون ليس من طبيعتهم الاشتراك فى أى أعمال عنف أو تدبير أو تدمير ولذلك فهم مستبعدون من شبهة الاشتراك فى الحريق .. لكنهم كانوا قليلين .. ولم يكن بوسعهم لا إطفاء الحريق .. ولا الاستيلاء على الحكم ..

أما الإخوان المسلمون فيقال أن بعض محلات الخمور كانوا يحطمونها وهم يهتفون : الله أكبر ولله الحمد . فالقول بأن يهبوا لإطفاء الحريق ليس وارداً .. أما أن يعملوا على إسقاط النظام فهذا مالم يكن وارداً فى نشاطهم .. وبالنسبة للضباط الأحرار كانوا فى مرحلة الدعاية والتحضير .. فلم يكن يمكنهم عمل شىء إيجابى فى ذلك الحين .

س : هل لازلت عند رأيك القديم من أن حريق القاهرة جريمة تمت بالترك ؟ .. وأن مسئولية الترك تقع على الملك ووزير الداخلية فؤاد سراج الدين ؟

ج : نعم .

س : يلاحظ أن اتصالاتك يوم ٢٦ يناير كانت كلها مع شخصيات مناوئة للوفد .. فما تفسير ذلك ؟

ج : أنا لم أكن فى يوم من الأيام وفدياً .. ولا مؤيداً للوفد .. بل كنت أهاجم الوفد . كنا نعتقد أن عدونا الرئيسى هو الانجليز والملك ، وأن الوفد هو الحاجز بيننا وبين هذا العدو الرئيسى .. فكنا نهاجم الوفد حتى يزال هذا الحاجز وتصبح المعركة بين الخصوم المباشرين .

س : لكنك استعنت على الوفد .. بخصمك المباشر نفسه .. على ماهر والملك ورجاله .. فما معنى ذلك ؟

ج : بالنسبة لعلى ماهر فأنا حتى ذلك الحين كنت أحترمه ، وأعتبره رجلا وطنياً ولذلك كان أملى أن يتدخل عند الملك ليحل محل الوفد .. لكن رأيى فى على ماهر تغير بعد ذلك ، لأنه عندما أدلى بشهادته أمام المحكمة قال أننى اتصلت به تليفونياً .. وأنه عاد فاتصل بى ليتأكد من وجودى بمنزلى لأنه شك فى أن أكون خارجه .. طبعاً كان ذلك لإرضاء الملك .. فاحتقرته من يومها .

س : لكنك ركزت هجومك على الوفد وعلى سراج الدين .. وهما من ضحايا المؤامرة .. ؟

ج : كان ذلك موقفنا من الوفد .. ومن سراج الدين بالذات : لكن تبينا فيما بعد أن الوفد كان يخوض معارك كثيرة مع الملك لم نكن نحن نعلم بها .. واتضح أن الكثير مما هاجمناه بسبب فؤاد سراج الدين لم يكن صحيحاً .. ولذلك فقد إعتذرت له علنياً فى إحدى مجلات بيروت .

شهادة الأستاذ ابراهيم يونس(*)

- عضو الحزب الاشتراكى
«مصر الفتاة»
- محرر بالأخبار حاليا

* الذى أحرق القاهرة هم أصحاب المصلحة والذين استفادوا بعد ذلك من أحراقها . ليست الجماهير الشعبية هى التى أحرقت القاهرة وأن كانت بعض العناصر الرديئة ساهمت بعد بداية الحريق .

فمن هم أصحاب المصلحة ؟ . . قبل ذلك أود أن أحدد الخريطة السياسة فى مصر فى ذلك الوقت . الحركة الوطنية كانت فى عصرها الذهبى فلأول مرة فى تاريخ القاهرة بعد ثورة عرابى كان يحمل السلاح علنا فى الشوراع ومعسكرات التدريب فى العباسية وفى كثير من المحافظات . الفدائيون محل عطف الشعب كله . ومن مختلف التنظيمات السياسية الحزب الاشتراكى والأخوان المسلمين والشيوعين بعض الوفديين وشباب آخر لاينضوى تحت أى أحزاب . الحركة الشعبية كانت فى مد ثورى . الحكومة نفسها كانت بشكل أو بأخر تؤيد الفدائيين ، ماعدا بعض العناصر فيها . الصحف تؤيد الفدائيين . القصر نفسه أضطر تحت ضغط الحركة الشعبية لأن يظهر أنه يؤيد الفدائيين ، وأن كان لايؤيد الفدائيين ، حقيقة . حتى الصحافة التى يمكن أن توصف بأنها الصحافة الرجعية أو

(*) مسجلة صوتياً فى مارس ١٩٧٥ .

صحافة الاثارة ، بشكل أو باخر كانت تؤيدالفدائيين . ومصرذاتها المركز الحساس والموقع الخطير كل مايجرى فيها كان له إنعكاسات فكانت الحركة الشعبية ألموجودة فى مصر لها انعكاسات فى البلاد العربية وفى البلاد المختلة الأخرى فى آسيا وأفريقيا . .

كان من الضروى للاستعمار أن يوقف الحركة الثوية الموجودة فى مصر . . والتى كانت تتخذ مظهر خطيرا بالنسبة له فى ذلك الوقت وهوحمل السلاح علنا فى شوارع القاهرة .. فبدأ ببعض المناورات ثم انتهى إلى المؤامرة الكبرى وهى إحراق القاهره .

فى نظرى الذين أحرقوا القاهرة هم أصحاب المصلحة وهم الملك ورجال السراى ، الاستعمارالبريطانىومن يعاونهمن الأجهزةوالجمعيات.. كالبوليس السياسى وكان يرأسه رجل معروف بعلاقته بالاستعمار والقصر وكان يرسل تقاريرة –كماكان معروفاً لكل الدوائر الوطنية – مباشرة إلى السفارة البريطانية وإلى القصر الملكى وهو ابراهيم إمام وكان معه مجموعة من الضباط متعاونة تماماً معه مثل محمد الجزار وتوفيق السعيد . جمعية إخوان الحرية وهى معروفة بولائها التام للاستعمار البريطانى وتكونتأثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان لها ناس ومقربالسيدة زينب.الملكوالاستعمار لم يكن من مصلحتهما أن يحمل الشعب السلاح ، لأن الشعب إذا أخرج الإنجليز فانه سوف يخرج العملاء أيضاً .

والأحداث معروفة ..المقدمات يوم ٢٥ يناير بالاعتداء على محافظة الاسماعيلية فؤاد سراج الدين أصدر قراره التاريخىلرجالالشرطةبالمقاومة. وهذا القرار ينفى فى تقديرى عن الوفد شبهة أنه شارك فى حريقالقاهرة.. الوفد فى ذلك الوقت –ورغم بعض السلبيات –كان مرقفه متقدما جداً ووطنيا جداً . . قاوم البوليس مقاومة باسلة .

فى اليوم التالى بدأت الأحداث بمظاهرة بلوكات النظام .. اتجهوا للجامعة .. خرجت من الجامعة مظاهرة كبرى توجهت إلى رياسة مجلس الوزراء حسب معلوماتى الحريق بدأ بكازينو أوبرا الساعة ١١,٤٥ باشعال النار فى الكراسى ثم واصل الناس الإشعال .. ثم توالت الحرائق .. حتى أعلنت الأحكام العرفية ، وأزيح حزب الوفد .

وقد ثبت بعد ذلك أن بنك باركليز نقل أوراقه قبل الحريق بيومين إلى فرع آخر .. وهذا يوضح أنه توجد معلومات عن تدبير مسبق . المواد التى أحرقت بها القاهرة ، « بودرة » غير موجودة إلا فى مخازن الجيش البريطانى . ولم تكن ميسرة حتى للفدائيين ، مثلا شبرد كان مبنياً بالأحجار البيضاء ، كانت هذه البودرة تذيب الحجر .. وسقط شبرد فى فى زمن قياسى .

س : أين كنت يوم ٢٦ يناير ؟

ج : كنت فى مدينة طنطا مع والدتى المريضة من الساعة ١٠ ص فى عيادة الدكتور أحمد عبدالله حتى الساعة ٥ م . واحنا خارجين التقيت ببعض القادمين من القاهرة فسمعت بعض ماحدث ثم عرفت الباقى من الإذاعة .. وعندما علمت باعلان الأحكام العرفية أدركت المؤامرة ..

س : هل مسك أى أجزاء ترتب على هذه الأحداث ؟

ج : لأننى كنت مساهماً فى حركة الفدائيين بجمع المال والسلاح أدركت أن المؤامرة موجهة لى ولزملائى .. فقررت الهرب . وبالفعل وأنا أهم بمغادرة قريتى .. كانت قوة كبيرة من البوليس تتجه إلى منزلى بحثاً عنى .. لكننى استطعت بمساعدة الفلاحين من الخروج .. وظللت هارباً حتى قامت الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

فى ذلك الوقت اتهم الأستاذ أحمد حسين والحزب الاشتراكى بأنه هو هو الذى أحرق القاهرة ، وكان الأستاذ أحمد حسين مريضاً بمنزله يوم ٢٦ يناير لكنة هرب آخر النهار ، وكتب بياناً وتركه لزملائه بالقاهرة ، وطبع البيان ووصلتنا نسخ منه بالإسكندرية فطبعناه بدورنا ووزعناه بقدر الإمكان ..

س : مامضمون هذا البيان ؟

ج : البيان ينفى فيه الأستاذ أحمد حسين أنه شارك فى حرق القاهرة سواء بالتدبير أو بالفعل .. ويلقى التبعة على آخرين هم الذين مهدوا لحرق القاهرة .

س : لكن « الآخرين » فى البيان غير محددين ؟

ج : أنا لا أذكر بالضبط .. لكننى أريد أن أضيف شيئاً . فأنا كنت أحد كوادر الحزب الاشتراكى ولو كان هناك أى « مهمة خاصة » كنت لابد أن أعرف بها ، ولابد أن يكون لى دور فيها . وعلى الأقل لما سافرت بعيداً عن القاهرة .

س : ماسر الظلال الكثيرة التى أحاطت بالحزب الاشتراكى ؟

ج : هناك واقعة مهمة جداً حدثت يوم ٢٤ يناير .. وهى التى ألقت ظلالا على الحزب الاشتراكى . كان فيه محاضرة يلقيها الدكتور راشد البراوى ، بعد مؤتمر صحفى للاستاذ أحمد حسين طالب فيه باخراج العناصر غير المتعاونة مع الحركة الوطنية من وزارة الوفد وهاجم بعض رجال الحكومة . وجرت مناقشة بين الأستاذ أحمد حسين والصحفيين ، وأذكر أن الأستاذ عبدالمنعم الغزالى إشترك فيها عن مجلة الكاتب لسان حال

أنصار السلام .. ونزل الأستاذ أحمد حسين .. وألقى الدكتور البراوى المحاضرة وعلق عليها الأستاذ أحمد حسين . وفى هذا الوقت تعب الأستاذ أحمد حسين وارتفعت درجة حرارته . حتى أن شباب الحزب حمله لينام على مائدة الاجتماعات الخاصة بمجلس الإدارة فى الدور العلوى، وفى أثناء المؤتمر الصحفى وبعده كان شباب الحزب الاشتراكى يهتف ضد العناصر المهتمة بالتواطؤ فى حكومة الوفد وضد الحكومة بشكل عام . فوجئنا ونحن مجتمعين وكان الاجتماع مؤتمراً عاماً يشترك فيه أشخاص من كل الاتجاهات وليس من الحزب الاشتراكى فقط – بعض شباب الوفد يقتحم علينا مقر الحزب الاشتراكى (البيت الأخضر) وضرب فى الناس الذين يهتفون ضد الوفد . ميليشيا الحزب الاشتراكى حملت السلاح وخرجت إلى الشارع بالمدافع الرشاشة . جرى الشباب الوفدى . بينما أخذ شباب الحزب الاشتراكى يطلق النار فى الهواء فى ظهر النادى السعدى (نادى الوفد) . هذا العمل أزعج الحكومة لأنه قريب من وزارة الداخلية وجريدة المصرى . وبعد دقائق حضرت قوات ضخمة من البوليس وحاصرت المكان بمن فيه ، ووصلت النيابة برئاسة عبدالحميد أبوشنيف ، وبدأت تفتيش مقر الحزب لضبط الأسلحة . لكن الحزب استطاع أن يهرب كثيراً من الأسلحة فى سيارات بعض السيدات من عضواته مثل السيدة بهيجة البكرى وغيرها وانتهى التفتيش وبدأ التحقيق الذى استمر حتى الساعة الثالثة صباحاً مع اعتقال كل الموجودين . ثم قررت النيابة الإفراج عن الجموع . وحمل الأستاذ أحمد حسين إلى منزله ودرجة حرارته ٤٠ . وفى اليوم التالى طبعاً كان مريضا وحسب تقديرى أنه كان لليوم الثالث لايزال مريضاً ..حتى علم أنه سيتهم بحرق القاهرة قرب مساء ٢٦ يناير .. وسيطلق عليه الرصاص بحجة محاولة الهرب .. كما علمنا نحن فى ذلك الوقت .. فغادر بيته وهو مريض .

أعود إلى أحداث ٢٦ يناير . فى المظاهرة التى خرجت من الجامعة كان يوجد عدد من الاشتراكيين . وفى مجلس الوزراء عندما تحدث عبد الفتاح حسن منهم من ناقش الوزير الوفدى وهو الأستاذ رفعت الشهاوى لكننى لم أسمع أن أى عضو فى الحزب الاشتراكى شارك فى حريق القاهرة أو دبر له . . ولا كان ذلك من مبادئنا أو أهدافنا نحن كنا نريد المزيد من الدعم للحركة الفدائية والحركة السياسية ..

س : سمعت أنه كانت توجد بمركز الحزب الخاص بعابدين وهو بنفس المقر الرئيسى للحزب .. « كور » مبتلة بالجاز وزجاجات «مولوتوف» وأشياء من هذا القبيل .. هل تستبعد إستخدام هذه الاشياء يوم حريق القاهرة .. ولو من باب الحماس ؟

ج : أنا لا أعتقد أنه كانت توجد أشياء من هذا النوع . أنا إعرف أنه كانت توجد أسلحة . . وقد استخدمت هذه الأسلحة بالفعل مساء ٢٤ يناير كما ذكرت .. لكن بعد ذلك أبعد السلاح كله وقت التفتيش . . مع وجود أسلحة طبعاً لدى أعضاء الحزب لأن الحزب كان يشارك فى العمل الفدائى ..

س : هل اتهمت أنت شخصيا بحرق القاهرة ؟

ج : نعم « تبين أننى كنت ضمن المتهمين بحرق القاهرة » البوليس السياسى ورجال السراى والقوى المتآمرة كانوا مرتبين الاتهام وموزعينة على الحزب الاشتراكى حسب الحروف الابجدية . حرف الألف مثلا إبراهيم شكرى إبراهيم فؤاد إبراهيم زيدان إبراهيم يونس الخ .. حرف الميم .. كل الأسماء مرتبة .. وفى انتظار القبض على الناس لتوجيه الاتهام..

والشهود معدين . . كله تمام . وفى تقرير الاتهام الأول كنت أنا ضمن المتهمين ستسألنى هل كان هناك تقرير أتهام أول وتقرير أتهام ثان؟ .. نعلم . تقرير الاتهام الأول ، الجزافى ، كانَ يضم جميع العناصر التى لعبت أى دور سياسى فى الفترة السابقة .. وقد وقع هذا القرار فى يدى فعلا ..

س : كيف حصلت عليه ؟

ج : الصديق المرحوم مصطفى سنان ، والذى أصبح محرراً بأخبار اليوم فيما بعد ، كان يعمل كاتباً بنيابة الصحافة وكان له دور مع رؤساء النيابة . ونظراً لأنه كان زميلا لأخى فى مدرسة طنطا للثانوية ، أحضر تقرير الاتهام وأعطاه لأخى وأخى أوصله لى . وظل معى حتى أخذ فى عملية اعتقال بعد الثورة . هذا التقرير كان يعتمد عل شهادة شخص إسمه بسيم السعيد كان فى الحزب الاشتراكى وكان البوليس السياسى متفقا معه على أن يمده بتقارير عن نشاط الحزب ، فلما حصل الحريق جابوه . هو يملى شهادة أملوها هم عليه .. وكانوا يأخذونه إلى باب الحديد ليستقبل أعضاء الحزب القادمين من الأقاليم . . مع الاتفاق على إشارة : كل من يحتضن بسيم يكون من الحزب.. وبمجرد أن يسلم عليه ويبتعد عنه .. يهجم عليه البوليس السياسى ويعتقله .. لكن بسيم هذا استيقظ ضميره بعد ذلك ..وفى إحدى المرات وقف بباب الحديد لحظة .. ثم هرب من البوليس السياسى نفسه .. وظل هارباً حتى قامت الثورة فى يوليو .. واعترف بكل شىء وكتبت للجمهور المصرى قصته تحت عنوان « مذكرات الجاسوس الذى لفق اتهامات حريق القاهرة » ..

لكن هروب بسيم السعيد أفسد على البوليس السياسى قرار الاتهام الأول ، الموجه ضد عدد كبير من أعضاء الحزب الاشتراكى .. فاضطر إلى إصدار قرار الاتهام الثانى ضد الأستاذ أحمد حسين وخمسة آخرين .

شهادة فكرى أباظة (باشا)(*)

– رئيس تحرير المصور
– نقيب الصحفيين
سنة ١٩٥٢ .

س : ما معلوماتك ومشاهداتك يوم ٢٦ يناير ؟

ج : حوالى الساعة ١٢ فى ذلك اليوم ، كنت فى شقتى بعمارة الايموبيليا أنا ووكيل أعمالى القضائية الأستاذ محمد أفندى أبو العزم .. دق الجرس دقا عنيفاً .. ففتحنا الباب فوجدت ١٥ سيدة بملابس البيت .. وحتى بالقمصان .. ومعهن أطفال : فى غاية الفزع .. منهن من تبكى .. منهن من تصرخ .. وخلاصة كلامهن أنه فيه حريق تحت فى العمارة .. وانهن لم يجدن مكاناً يلجأن إليه إلا أنا وشقتى .. بادرت .. بعدماقلت لهم اتفضلوا أقعدوا وما تتحركوش .. وقلت لمحمد أبوالعزم ياللا ننزل فقال ننزل ازاى دى النار وصلت للطابق الثانى من العمارة — وأنا فى الطابق الثامن — فأبوا العزم قال تفوت ازاى من النار . . قلت له نفوت بسرعة لأنه فى الدور الثالث مباشرة توجد الأمبريال كيمست وكلها كيماويات بتاعة حريق ولو وصلت النار لهذه الكيماويات تبقى مصيبة كبيرة .. وأستطعنا أن ننفذ من النار بسرعة البرق .. ونزلت تحت لقيت أكبر مطعم فى القاهرة

(*) مسجلة صوتيا فى مارس ١٩٧٥ .

وهو « الايرميتاج » بداخل عمارة الايموبيليا بيتحرق . . من هؤلاء الأولاد .. فجمعت البوابين الجبناء ونهرتهم وعنفتهم .. وضربت بعضهم.. وجبت شوية من السكان .. وهجمنا على العيال فهربوا .. ووجدنا أن خراطيم الميه .. يظهر أن المطافى بلغت بالحريق .. وانه قد يهدد أيضا شارع قصر النيل والبنك الأهلى وشارع قصر النيل كله متاجر .. قلت لهم واقفين ليه .. قالوا عاملين الأولاد بمنعونا .. قلت لهم اتفضلوا .. نشيل الخراطيم احنا .. النهاية .. استطعنا أن نطفئ الحريق فى الأرميتاج والدكاكين الصغيرة التى بداخل الايموبيليا والتى وصلت إليها النار ، وفى هذه الفرصة قعدت أبحث لعلى أجد حد له قيمة فى هذه الغوغائية اللى بنحرق .. وفروا هاربين جميعهم أولاد من الشارع وأولاد من الطبقة المتواضعة .. وسألنا فى الجهات المجاورة لقيناهم حاطين معدات الحريق أيضاً فى عمارات أخرى .. وفى شارع قصر النيل يستعدون لاحراق بعض المخازن والمحلات الكبرى والبنك الأهلى .. وبعد ذلك واصلت البحث إلى أن بدأوا التحقيق .. والتحقيق كان يتولاه الأستاذ أحمد حلمى وكيل محكمة النقض .. وقال لى أن شهوداً كثيرين قالوا إنك كنت فى المعمة أو فى بعضها اثناء النهار .. قلت له صحيح نحصل .. طيب ماشفتش حد من بتوع مصر الفتاة .. أحمد حسين ولا زملاؤه .. لأ .. أنا أعرف أحمد حسين كل المعرفة ولم أره أبدا – ده قيل انهم مروا أمامك .. ورفعوا راية وبتاع.. قلت ده غير صحيح بالمرة – طيب ماشفتش الأمير عباس حليم وبعض من كانوا معه من العمال .. ماحصلش لم أره – ماشفتش – حد من الاخوان المسلمين.. قلت أنا أعرف كل الإخوان المسلمين .. الناس المعروفين فيهم ما حدش .. كل اللى كانوا هناك أولاد صغيرين .. شبان أو أولاد كبار .. وكلهم من الطبقة المتواضعه كما قلت .. مافيش حد له قيمة أبداً حتى يقال إنه يتولى الزعامة ·· ويتولى اصدار أومر الحريق ·· هذه كل شهادتى فى التحقق ··

واختلفت الأقوال ٠٠ وأنا باعتبر أن هذه القضية ٠٠ قضية الحريق ٠٠ لا تزال غامضة ٠٠ والمؤرخ الذى يريد أن يتحرى الحقيقة سيتعب جداً ٠٠

بعضهم قال الملك فاروق له ضلع فيما حدث حتى يتخلص من الحكومة الوفدية .. وبعضهم قال أن الجيش الذى وصل الساعة ٧ له يد فى الحريق وبعضهم قال أن المخابرات الإنجليزية لها ضلع .. لكن كل هذا لايزال غامضا .. وأنا حاولت مراراً أن أؤرخ هذا الحريق فلم أجد ما أستند إليه بشكل جدى . إنما الذى أعرفه أنه بجوز الأولاد .. الأهالى من نفسهم لقوا هيصة فى ميدان الأوبرا .. فحبوا يحرقوا .. وبعض الهيئات الأخرى استغلت الحريق الذى حدث من غير أن تدبيره ويمكن انشغلت معاهم .. هذه كل معلوماتى عن حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ..

س : هل تبرئتك لأحمد حسين ومصر الفتاة خاصة بالواقعة التى شاهدتها .. أم تنسحب على كل أحداث وحرائق اليوم ؟

ج : أنا أجبت على هذا فى التحقيق وقتها .. وأنا مطمئن كل الإطمئنان إلى أن أحمد حسين وزملاءه لايمكن أن يكون لهم أبداً ضلع فى الحوادث .. وكذلك الإخوان المسلمون .. وأنا الانتلجنس سيرفيس (المخابرات) فأنا ماعرفش .. والتحقيقات التى أجريت لم تصل إلى الجهة المسئولة عن هذا الحريق .. تماما مثل حرب ١٩٤٨ لغاية الآن أسبابها مجهولة .. وحتى قادتها عليهم كلام كثير ده يقول كلام .. وحتى أنا كنت عملت جلسة سرية فى مجلس النواب .. محضر الجلسة السرية .. محضرين .. أخذوا من مجلس النواب .. ولا أثر لهم للآن .. وهذا أثر تاريخى ضائع ..

س : هناك من يتهم جمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار بأنهم هم الذين احرقوا القاهرة .. كما سمعت نفس الاتهام من أشخاص آخرين .. فما رأيك ؟

ج : معلوماتى أن الجيش نزل متأخرا الساعة ٧ .. والحرائق شغالة من الصبح .. ولاأستطيع أن أقدر هذا الإتهام بـ ٢٠ ٪ لأن ماعنديش أبداً أدلة .. ما أظنش .

س : الذين يقولون بهذا لايقولون أن الجيش هو الذى حرق .. إنما جمال عبد الناصر ومجموعة خاصة .. ومنذ وقت مبكر .. ربما من حريق كازينو أوبرا ..

ج : ما استطعش أن أوجه هذه التهمة . أنا جمال عبد الناصر أنت له معى حكاية كان يصح إنى أؤيد هذه النظرية .. لكن لا .. ماظنش أبداً .. والبوليس كان موجود .. فان جمال عبد الناصر ومن معه ودول ناس لهم مكانتهم .. لا أظن أبداً ..

شهادة الاستاذ أبو الخير نجيب(*)

– رئيس تحرير جريدة الجمهور المصرى» سنة ١٩٥٢

س : من الذى أحرق القاهرة حسب مشاهدتك ومعلوماتك ؟

ج : الذى أحرق القاهرة كما شاهدت بعينى ظهر يوم ٢٦ يناير فرق من الشبان يرتدون ملابس تشبه ملابس العمال ، فى أيديهم جرادل يخرجون منها كرات ملتهبة ويلقون بها داخل المنشآت وعليها .. وكانت أول منشأة رأيتها هى دار سينما ريفولى .. وقد رأيت أول مارأيت عندما قدمت من وزارة الخارجية مسرعاً على هدى الدخان الكثيف المتصاعد من هذه المنطقة .. اللواء ابراهيم إمام رئيس البوليس السياسى يقف على الرصيف المقابل للسينما .. وقفة المتفرج الذى لايهمه أى شىء .. وقد تجنبت أن أتحدث إليه حتى أتمكن من رصد تحركاته على الطبيعة دون أن يفطن ثم ركبت سيارتى وبدأت أجوب شارع فؤاد لأتابع عمليات الإحراق المنظمة التى كانت تنتقل من منشأة إلى منشأة بطريقة دقيقة .. لم يتعرض لها أى أحد من رجال البوليس أو المسئولين . وكان هذا مما جعل جماعات الإحراق تؤدى عملها التخريبى فى أمان وهدوء ..

وقد لاحظت أن الجموع بدأت تتجمع لكى تتفرج على عمليات الإحراق ..

* مملاة حرفياً بمعرفته فى مارس ١٩٧٥ م

أن تشترك فيها .. كما لاحظت أن سيارات البوليس المليئة بالجنود تمر بسرعة والجنود يهتفون ضد الإنجليز دون أن يتدخلوا .. بل كانت هتافاتهم تنطوى على التأييد والابتهاج لما كانوا يرونه من عمليات الحريق ..

س : هل كانت توجد فى مكان الحريق الأول الذى رأيته (سينما ريفولى) .. مجموعات كبيرة من الجماهير .. فى صورة مظاهرة ؟

ج : لا .. كانت الأمور تجرى عادية .

س : ماذا تعنى بكلمة عادية ؟

ج : لامظاهرات .. ولاتجمعات .. إنما ناس عاديون يتفرجون على عمليات الإحراق .

س : المتفرجون .. ماذا كان يرتسم على وجوههم ؟

ج : كانوا يتساءلون..مستغربين .. ولما بدأ مرور سيارات البوليس .. وهتاف الجنود ضد الإنجليز .. بدأ المواطنون يشعرون بالارتياح لما يجرى.. لكنه ارتياح مشوب بالقلق ..

س : سيادتك متأكد .. أنه لم تكن فى هذا المكان .. أو الأماكن المحيطة به أى مظاهرات جماعية ؟

ج : لم أر أى مظاهرات .. فى هذا المكان .. فى هذا الوقت ..

س : هل لم تسمع هتافات .. حتى قادمة من بعيد ؟

ج : لا ..

س : بعد ماانتشرت الحرائق .. ألم يتجمع الناس ؟

ج : بدأوا يتجمعون لمجرد الفرجة المتحمسة .. للحريق طبعاً .. وقد حدث أن اشتبه بعضهم فى .. لأننى كنت الوحيد الذى يركب سيارة ويمر بهابهدوء .. فظنونى من عيون السلطة .. فهجموا على سيارتى يريدون تحطيمها والاعتداء على .. ولكن لحسن الحظ عرفنى البعض .. فانقلب الهجوم العدائى إلى تحيز .. وانصرفت ..

س : هل كان هؤلاء الذين تجمعوا حولك .. من الذين يحرقون ؟

ج : لا .. لم يكن أحد منهم ممن يشاركون فى الإحراق .. لأن الآخرين .. الذين كانوا يقومون بالإحراق كانوا مستغرقين تماماً فى مواصلة أعمالهم ..

س : هل لم تكن هناك صلة ملحوظة بين جماعات الإحراق هذه .. وبين الناس الآخرين فى الشارع ؟

ج : لا .. لم تكن تلاحظ أى صلة .. لم يكن بينهم وبين الناس أى اندماج أو اتصال .. وكانوا يؤدون عملهم بسرعة وبدقة .. ونشاط .. ودراية .. كما لو كانوا سبق لهم القيام بمثل هذه الأعمال أكثر من مرة ..

س : هل تحب أن تسجل أى ملاحظة خاصة من مشاهدتك فى تلك اللحظة ؟

ج : لاتزال صورة زعيم البوليس السياسى اللواء ابراهيم إمام ماثلة أمامى وقد مضى أكثر من ٢٣ سنة فقد أدهشنى حقاً ولا زلت أعانى هذه الدهشة حتى الآن .. من وقفته غير المبالية وكأنه رجل وافد على مصر .. لادخل له بما يحدث فيها .. وتفسيرى أنا لسلوك رئيس البوليس السياسى هذا أنه كان راضياً عن هذه الجريمة الخطيرة التى كانت موجهة إلى عاصمة

البلاد ، ورضاه عليها معناه الجلى أن جهاز البوليس كان متآمراً على الحكومة المركزية التى كانت قائمة .. حكومة الوفد ..

س : كيف تابعت أحداث ذلك اليوم ؟

ج : عدت إلى مكتبى .. وبدأت أخبار الحرائق تتوالى .. وعلمت أن نجيب بسيونى نائب قسم عابدين استطاع أن ينقذ عمر افندى من الإحراق باطلاق النار على اثنين قتلهما ..

ثم أخذت الجماهير العادية تتجمع .. وتشترك فى النهب والسلب ..

س : فى رأيك من هى العناصر التى شاركت فى الحريق ؟

ج : كل العناصر التى تخاصم الوفد وتريد التخلص منه .. وفى مقدمتها الاحتلال الانجليزى وبطانة الملك فى القصر وعلى رأسها حافظ عفيفى باشا الذى دبر إسقاط الحكومة الوفدية والذى جاء به لكى يؤدى هذه المهمة .

س : هل توجد أى عناصر أخرى ؟

ج : أحزاب الأقلية ..

س : هل لإخوان الحرية أى دور فى الحريق .. وماهى قصة هذه الجمعية ؟

ج : لم تكشف التحقيقات عن دور هذه الجمعية فى الإحراق .. وقد قمنا نحن « الجمهور المصرى » باحراق المركز الرئيسى لهذه الجمعية وكان يقع فى حى السيدة زينب بالقاهرة واستولينا بواسطة جهاز الغرفة رقم ٨

بالجريدة على جميع المستندات والملفات التى تضم أسماء أعضاء هذه الجمعية التى كانت تتبع المخابرات البريطانية رأساً كما استولينا على الأدوات الكتابية التى كانت تستعمل فى طبع المنشورات التى تروج للاستعمار البريطانى .. وقد احتفظنا بالملفات التى تضم أسماء المنتمين إلى هذه الجماعة حتى قامت الثورة وسلمناها إلى إدارة المخابرات المصرية لكى تحاط علماً بكل عملاء هذه المنظمة الاستعمارية .. أما عدد هؤلاء الأشخاص التى ضمت الملفات أسماءهم فيزيدون على ٣٠ ألف مواطن . وقد حاولت النيابة والبوليس أن تعرف سر هذا الإحراق ومن الذى قام به وجرت معنا تحقيقات بهذا الشأن . لكن الإنجليز كانوا على علم تام بأننا نحن الفاعلين .. وظلت ملفات أعضاء إخوان الحرية عندنا حتى قامت الثورة فسلمها يوسف فكرى المحرر بالجمهورية إلى رجال الثورة .

س : هناك اتهام للضباط الأحرار بأنهم أحرقوا القاهرة ؟

ج : لا أعتقد ذلك . بل أستبعده .. فالذى استفاد أولا وأخيراً من عملية الإحراق لإسقاط حكومة الوفد المناوئة لبريطانيا هم الإنجليز وحدهم وأن مذبحة الإسماعيلية كانت الفصل الثانى فى هذه المأساة .. والفصل الأول مجئ حافظ عفيفى وعبدالفتاح عمرون إلى قصر عابدين من وراء ظهر الحكومة الدستورية المسئولة ..

س : مارأيك فى الشبهات القوية التى وجهت إلى أحمد حسين باعتباره دبر أو شارك فى إحراق القاهرة وأدت إلى تقديمه إلى محكمة الجنايات ؟

ج : الأستاذ أحمد حسين المحامى صديق حميم لى ، وأنا أؤدى هنا شهادتى فى شأنه بكل الأمانة التى أتحملها أمام التاريخ ، فأقول أن أحمد

حسين رجل لا يحارب إلا بالكلام . وأنه انفعالى التصرفات والقرارات شأنه في ذلك شأن كل « الحقوقيين » .

وهذا الموقف الكفاحى الذى ينحصر فى الكلام الحماسى فقط نابع من شعوره هو وأمثاله من الحقوقيين بالمسئوليات الكاملة النابعة من منابع القانون ولا أعنى من هذا الزعيم الخالد الذكر سعد زغلول الذى ركب جواد الثورة كزعيم لها وقادها نحو طريق المسئولية الوطنية وهذا واجب كل زعيم، لكنه اقتصر فى زعامته على مجرد الخطب الحماسية ذات العبارات البلاغية الفصيحة التى تبهر الجماهير وتستثيرها دون أن يقوم بعمل إيجابى كاف ضد الاستعمار والمستعمرين ، فى حين أن الذى أشرف على الجهاز الإرهابى السرى ضد الإنجليز وزعمائهم فى مصر كان رجلاً آخر .. من رجال الوفد.. ممن لم يدرسوا الحقوق ولا المسئوليات القانونية .. وأعنى بهذا الرجل عبد الرحمن فهمى ثم المرحوم محمود فهمى النقراشى والمرحوم الدكتور أحمد ماهر والثلاثة لم يكونوا من رجال القانون .. ولهذا ابتعدوا تماماً عن مجال « الكلام » الفصيح إلى مجال « العمل » الفصيح ..

ومن هنا أعود إلى صديقى أحمد حسين وأقول أنه كان تلمس زمام الزعامة الشعبية لولا خوفه فى اللحظة المواتية من المسئولية . فقد كانت فرصته فى تولى زعامة مصر يوم ٢٦ يناير مواتية تماماً لولا أنه شعر بيد الخوف تضع القيد فى يديه ..

— كيف ؟

— فى ذلك اليوم التزم بيته بحجة المرض . واعتقادى أنه تعمد ذلك خشية الوقوع تحت طائلة الشبهة والمسئولية لما كان يجرى على مسرح عاصمة البلاد ..

س : أفهم من ذلك أنك تبرئ أحمد حسين تماماً من التآمر على إحراق القاهرة لإسقاط وزارة الوفد .. كما كان يتمنى ؟

ج : نعم إننى أبرئ أحمد حسين من هذه التهمة .. التى هو مسئول عن إحاطته بشبهاتها وذلك بما صنعه قبل جريمة إحراق العاصمة من خطب نارية شنها ضد وزارة الوفد ومقالات شديدة وجهت إلى هذه الحكومة .. وحذرته يومئذ من مغبة الإصرار على هذه الحرب الكلامية التى تؤدى إلى تعبئة الجماهير تعبئة ثورية ضد الحكومة الشعبية الدستورية التى إن سقطت فلا يدرى أحد ماذا تكون النتيجة .. ولقد بلغ الاهتمام بمسلكه العنيف أننى تحدثت مع الأستاذ عبد الحميد حسن الوزير الوفدى الذى كانت له صلة مباشرة بحركة الفدائيين فى القتال فى شأن غضب الأستاذ أحمد حسين فقال لى أننى عجزت عن إرضاء أحمد حسين فقد صرفنا له عشرة آلاف جنيه للإنفاق منها على الجماعة التابعة له فى القتال وجاء بعد أقل من شهرين يطلب مزيداً من المال فلما لم نستجب له شن علينا هذه الحملة .. فقلت للأستاذ عبدالفتاح حسن إن إرضاء أحمد حسين من الأمور الضرورية .. مادام ينفق هذه الأموال فى النضال الوطنى .. بعد أيام قليلة من هذا الحديث وقعت كارثة حريق القاهرة .. ثم قبض على أحمد حسين ..

س : ألم تشاهد أحمد حسين .. أو أى شخص له صلة بحزب أحمد حسين .. يشترك فى الحريق ؟

ج : لا .. والذى أعلمه يقيناً أن أحمد حسين التزم بيته فى ذلك اليوم .. والقول بأنه كان يجول الشوارع فى سيارة ستروت .. هو محض خيال ..

س ــ هل لديك أى اتهام للشيوعيين ؟

ج : ليس لدى أى معلومات فى هذا الشأن أكثر مما كنت أسمعه من إشاعات لاتستند إلى دليل .. مثل أن بعض السفارات الشيوعية فى مصر كان لها صلة فى تدبير إحراق القاهرة ..

س : فى النهاية فى تقديرك هل حريق القاهرة حدث عفواً .. أم أنه جريمة مدبرة ؟

ج : هو بلا شك جريمة مدبرة . ومفتاح هذه الجريمة فى تقديرى يتبين من موقف ابراهيم إمام ووقوفه جامداً لايبالى بما كان يجرى أمام عينيه من الإحراق السريع الذى بدأ بسينما ريفولى وامتد على طول شارع فؤاد الأول .. ولا يمكن تعليل تصرفه هذا إلا أنه كان يشرف على تنفيذ مؤامرة هو يعلم بها مسبقاً .. وماجاء إلا لكى يطمئن على تنفيذها .. وعلى ابراهيم إمام أن يبرر موقفه هذا الذى رأيته بعينى رأساً فى هذا اليوم ..

شهادة المستشار أحمد فتحي مرسي (*)

– وكيل النيابة الذى أجرى التحقيق
مع رجال المطافئ فى حوادث
٢٦ يناير .
– مستشار بمحكمة النقض حاليا

س : ....

ج : الذى أذكره عن هذه التحقيقات ، لأنه مضت مدة طويله ، أنه جاء على لسان بعض الشهود أنه استخدمت بعض علب البنزين الذى يستخدم فى الولاعات .. وكان هذا من الأسباب التى أدت إلى سرعة اشتعال النار .. لأنه من الطبيعى أن الإشتعال العادى يستغرق وقتا طويلا .. فكان من الأسباب التى جاءت على لسان الشهود لسرعة اشعال النيران أنه كانت تلقى بعد إشعال النيران علب من البنزين . والذى أذكره أننا عنينا فى التحقيق بتتبع مصادر هذه العلب ، لأن هذا يدل عما إذا كان الحريق مدبراً أم نشأ فى الحال . لأن هذه العلب ، مع كثرة الحرائق ، لابد لجمعها من وقت طويل سابق .. لأن فى محلات بيع السجاير لايوجد فيها سوى أعداد قليلة .. عنينا بهذا الجانب فى الواقع فتبين أنه حصل جمع بعض علب من

(*) مسجلة صوتيا فى يوليو ١٩٧٥ .

البنزين فى وقت سابق .. واستفسرنا كما أذكر من شركة شل التى تنتج هذه العلب .. فقيل أن الإنتاج كان عاديا .. ولم تصرف الشركة علباً أكثر من التى كانت موجودة فى السوق .. والذى أذكره أنه سئلت أغلب المحلات التى أستطعنا سؤالها .. فتبين أن هذه العلب اشتريت فى صباح ذلك اليوم (٢٦ يناير) أو فى اليوم السابق .. وهذا يدل فى الواقع على أنه كان هناك تدبير سابق للحريق .. أما المدبرون ومن دبر الحريق فهذا كان جانباً آخر تولاه غيرى .. وأعتقد أن النائب العام فى ذاك الوقت أشار إليه فى تقريره ..

س : هل لايوجد لديك أى شك فى أن يكون مصدر هذا البنزين هو شركة شل نفسها .. ؟

ج : ربما .. هذا أحتمال جائز .. ولكن الذى حدث أنها أجابت رسميا بأنها لم تصرف أكثر من الكمية المقررة للسوق ..

س : هناك اتجاه واسع لإتهام المخابرات البريطانية بأنها هى التى دبرت حريق القاهرة .. وهناك معلومات مؤكدة تقول أن شركة شل كانت مركزاً رئيسياً للمخابرات البريطانية .. هل ترى أى علاقة بين هذه الأشياء وبعضها ؟

ج : الذى لاشك فيه أن الحريق كان مدبرا .. لأنه من المستحيل أن ينشأ هذا العدد الضخم من الحرائق .. فى ذات الوقت .. وتشتعل القاهرة بأكملها لمجرد اثارة سريعة .. وأعتقد أن التحقيق إنتهى إلى أن الحريق مدبر .. أما من الذى دبر الحريق .. فلا أذكر أن التحقيق وصل إلى شئ من هذا .. مسألة المخابرات البريطانية هناك احتمال أن

تكون قد ساهمت .. وان كان التحقق لم يستطيع أن يصل إلى شئ من هذا ..

س : والعلاقة بين شركة شل والمخابرات البريطانية .. ألا تثير أى شكوك لديك ؟

ج : قطعاً تثير شكوكا .. قطعاً هذه العلاقة تثير كثيرا من الشكوك .. إنما هذه العلاقة لم تكن ظاهرة فى وقت التحقيق ..

س : هل تعتقد أن رد شركة شل عليك ، والذى قالت فيه أنه لايوجد لديها أى مخزون من هذا البنزين منذ يوم ٢٨ ديسمبر ١٩٥١ .. وأنها وزعت كل ما لديها قبل هذا التاريخ على المتعهدين .. وأنها لم تلاحظ أى طلب غير عادى أو زائد على هذا النوع من البنزين .. ألا تعتقد أن فى هذا الرد نفسه نوعاً من التضليل ؟

ج : ربما .. ربما كان هذا صحيحاً .. ولكن لم يظهر ظاهراً فى وقت التحقيقات الصلة بين المخابرات البريطانية وشركة شل .. وكان يمكن أن يبعد هذه الصلة أن كثيرين ممن لقوا مصرعهم فى حوادث ٢٦ يناير كانوا من الإنجليز .. وربما كان هذا يبعد الشبهة وقتها ..

س : استخدمت مواد فوسفورية على هيئة « بودرة » .. ذكر كثير من الشهود أنهم رأوها كما ورد ذكرها فى العديد من تقارير المطافى عن حوادث الحريق .. فهل توصلتم إلى طبيعة هذه المواد .. وما مصدرها؟

ج : أنا لا أذكر الآن المواد الفسفورية وما جاء بشأنها بالتحقيق .. لكن ربما جاء بتقرير المطافى أو تقرير خبراء المفرقعات شيء من

هذا .. إنما لم نصل فى الواقع إلى مصدر هذا المادة .. إنما أغلب التحقق أو أغلب الشهود كانوا يقولون أن الحريق كان يتم نتيجة لالقاء كرة مشتعلة .. أو شئ من هذا .. ثم إلقاء مواد مشتعلة .. جاء على لسان أغلبهم أنها عاب البنزين ..

س : هل أمكنك التوصيل إلى مؤشرات إلى المدبرين .. من واقع تحقيقاتك لكيفية حدوث الحرائق ..

ج : فيما يتعلق بالتدبير أشير إلى عدة أشخاص منهم الأستاذ أحمد حسين ، وقدم بالفعل كما أعتقد إلى المحاكمة .. إنما إعتقادى أنها كانت مجرد شبهات ولا أعتقد أنها إرتفعت إلى مرتبة الاتهام الجدى ..

س : هل قدمت تقريرا شاملا عن الحرائق .. بعد الإنتهاء من التحقيق مع رجال المطافى ؟

ج : نعم . وهذا التقرير موجود فى ملف القضية ..

س : لقد أطلعت على كل ورقة فى الملف .. ولم أجد أثر هذه التقرير ..

ج : ....

شهادة العميد محمد حلمى صديق (*)

- الملازم أول سنة ١٩٥٢ .
- المكلف بحراسة ميدان أوبرا يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .
- مدير التخطيط بمصلحة الدفاع المدنى حاليا ..

المعلومات :

كنت معينا خدمة طوارئ « الحالة جـ » بميدان الأوبرا ومعى عدد ٨ جنود — وجندى دراجة منذ الساعة ٦ر٣٠ صباح يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ — وتواجدت بمكان الخدمة .

منذ الساعة ٩ صباحا بدأت مظاهرات من جماهير الشعب متجهه بشارع إبراهيم باشا ميدان عابدين وهى تهتف هتافات عدائية ضد حيدر والسراى وذلك تعبيرا عن غضبها عما حدث بالإسماعلية يوم ١٩٥٢/١/٢٥ — من معارك بين القوات البريطانية والشرطة المصرية — وكنت والجنود ننفذ التعليمات الدائمة وهى مصاحبة المتظاهرين دون التعرض لهم طالما أن التظاهر سلمى — وقد توالت الحوادث على النحو التالى :

(*) محررة بمعرفته » ومصدق عليها من إدارة العلاقات العامة بوزارة الداخلية فى مايو ١٩٧٥ .

١ - حادث كازينوا أوبرا :

* حوالى الساعة ١٥و١٢ م يوم٢٦/١/١٩٥٢ عادت جموع المتظاهرين من ميدان عابدين بأعداد كبيرة حوالى ٢٥٠٠ متظاهر قادمين من شارع إبراهيم باشا إلى ميدان الأوبرا - واتجهت إلى كازينو أوبرا لتدميره - وقد تصديت والجنود لمقدمة المتظاهرين - ولكنهم أحاطوا بى وحاصرونى والقوة ليمنعونا من الحركة وقد أشرت إلى الشرطى بسيونى وهو شرطى دراجة لم يكن بداخل الحصار وقد فهم الاشارة وتوجه للقسم حيث أثبت مذكرة بذلك فى الساعة ٢٥و١٢ م تقريبا ببند أحوال .

* صعدت جموع المتظاهرين إلى كازينو أوبرا وبدأ التدمير واشتعال الحرائق - وقد حضرت سيارات الأطفاء لمقاومة الحرائق وقد منعها المتظاهرون بتقطيع الخراطيم .

حضر ميدان الأوبرا كل من

السيد اللواء / أمام إبراهيم رئيس القسم السياسى .

السيد الأميرالاى /سيد السيسى مساعد فرقة ب بمحافظة القاهرة :

وكان هناك لوريان يحملان جنودا يقفون بالميدان .

* توجهت إلى الأميرالاى السيد السيسى- وطلبت من سيادته الترخيص لى باستخدام الجنود وأنه مازالت هناك فرصة لإيقاف التدمير والقبض على الأفراد - فطلب منى أن أعرض ذلك على السيد اللواء / أمام إبراهيم ونظر إلى ولم يرد بكلمة - فوقفت دون أن أجد تعليلا لذلك وأنا برتبة ملازم أول وهناك كثيرون من الضباط أكبر رتبة إنتقلت إليهم مسئولية الموقف .

* ترددت الأخبار أن هناك حالة فوضى فى القاهرة وأن المظاهرات امتدت لمناطق مختلفة – وأن هناك حفل غداء بسراى عابدين دعى إليه كبار ضباط الجيش والشرطة وكان من بينهم السيد البكباشى / عبد المنعم رشدى مأمور عابدين – وأنه صدرت إليهم الأوامر بالسير خارج وسط المدينة بسبب المظاهرات – وأن حفل الغداء إنتهى حوالى الساعة ٣٠و٢ م .

٣ – حادث بنك باركليز :

* أعيد توزيع الخدمات – وكلفنى السيد الصاغ نجيب يسيونى نائب المأمور بأن أتولى أنا وزميلى الملازم أول أحمد سليم ومعنا عدد ٦ جنود درجة أولى – لحراسة بنك باركليز .

* فى حولى الساعة ٣,٣٠ م حضرت المظاهرات من إتجاه ميدان مصطفى كامل من حوالى ٣٠٠٠ شخص يحمل أفرادها قطعا من الحديد بهدف تدمير بنك باركيز وقد تعرضت للمظاهرة والقيت فيهم كلمة عن وطنية الشرطة فى مواجهة الإنجليز فى الإسماعلية أمس ٢٥ بناير – وأن الأسلوب الوطنى هوالقتال – وأن التدمير سيدفع عنه تعويضات وسأمنع التدمير بالقوة – وهدأت الجماهير مقتنعة بالمنطق ولكن انشق من وسطها شخص عرفت إسمه فيما بعد اسمه « فؤاد حلمى » – وتظاهربعدم الإقتناع وأنه تركى لايفهم هذا الأسلوب وأنهم مصمممون على تدمير البنك – وكان الموقف حرجا وبدأ التفكك بين المتظاهرين فبعضهم تسلق أسوار البنك وعند ذلك ركزت القوة بجوار السور وأمرت الجنود باطلاق النار للارهاب من البنادق والجرينر بين البنك والمتظاهرين وقد أوقفت بذلك تدمير البنك لمدة من ١٠ – ١٥ دقيقة وقد أصبت برشة فى أذنى اليسرى – وتمكن المتظاهرون من الدخول إلى البنك وأحراقه وحمل المتظاهرون

أحد المصابين واتجهوا نحوى للاعتداء على — وقد أخرجت مسدسى دفاعا عن نفسى ، وقبل الإقتراب منى حضر اليوزباشى مصطفى كرم معاون مباحث القسم ووقف إلى جانبى وحاول منع المتظاهرين — وفى هذه الأونة حضر الصاغ نجيب بسيونى نائب المأمور ومعه لورى به ٣٠ ثلاثون جنديا من ناحية شارع إبراهيم باشا ، وهنا إتجه المتظاهرن لمطاردته وأنصرفوا عنى ، فهرب ومعه الجنود فى أتجاه القسم وقد تبعوه حتى القسم وأحرقوا بعض النوفذ واعتدوا على القسم .

٣ — خدمة أمام السفارة الإنجليزية والأمريكية :

* نزل الجيش فى الساعة ٥ م للمعاونة فى حفظ الأمن — وقد كلفت بالتوجه لحديقة الأزبكية فى الساعة ٥,٣٠ م تقريبا للقاء السيد اللواء على على نجيب قائد قسم القاهرة — وقد كلفت بمراقبة اليوزباشى ذو الفقار ومعنا بعض قوات الجيش لحراسة السفارة الإنجليزية والأمريكية وذلك إبتداء من الساعة ٧ م حتى الصباح — وكان حظر التجول قد فرض حوالى الساعة ٦ م .

وتوالت الخدمات فى الأيام التالية .

٤ — التحقيقات :

(ا) تولى الأستاذ مصطفى الهلباوى وكيل أول نيابة شمال القاهرة التحقيق وقد ثبت بالتحقيق ماسلف بيانه من معلومات — وقد عبر سيادته عن تقديره لما بذلته من جهود وأننى أكاد أكون من الضباط القلائل الذين قاوموا المظاهرات فى يوم ٢٦ يناير — وأن ذلك سيكون موضع ثناء وكان ذلك معروفا بين الأصدقاء وضباط القاهرة .

(ب) حدث لقاء مع أحد ضباط القسم السياسى وأفهمنى الآتى :

« أن جلالة الملك يريد أن يتخلص من الأستاذ أحمد حسين وأعوانه — وأنهم اشتركوا فى حريق القاهرة ٢٦ يناير — وأن هناك شخصا فى سجن قسم السيدة زينب — يمكن أن تراه وهو من حزب مصر الفتاة ويمكنك أن تشهد بأنه إشترك فى حريق بنك باركليز — وأنت الوحيد الذى يمكنك تثبيت التهمة لأنك حارس البنك . ورفضت هذا الحديث وأنه زور لا أقبله » :

(ج) كرر الضابط المشار إليه هذا الطلب مصحوبا بالتهديد بالنقل والجزاء فى حالة الرفض

وتكرر الرفض والإصرار منى إلى حد أن أبلغته أننى سوف أبلغ رئيس النيابة إذا تكرر هذا الطلب .

(د) إستدعيت للسيد رئيس نيابة شمال القاهرة « الأستاذ علام » لعرض بعض المتهمين المقبوض عليهم فى حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقد مررت عليهم ولم أتعرف على أحد — وهنا صاح شخص (يحيا العدل) وعلمت فيما بعد أنه الأستاذ كامل نصحى سكرتير حزب مصر الفتاة — وأنه قد أدخل فى روعه أن الضابط المعين أمام بنك باركليز سيتعرف عليه باعتباره كان ممن أحرقوا البنك وأنه كان بسجن قسم السيدة زينب .

٥ — توقيع الجزاء :

(ا) فوجئت فى أحد أيام شهر مارس ١٩٥٢ وأذكر أنه يوم ١٨ مارس أو ٢١ مارس قرأت الصحف الصباحية « الأخبار » وفوجئت أنه منشور بالجريدة توزيع نياشين على الضباط الذين أجادوا فى حوادث

٢٦ يناير وهى نوط الواجب وجزاء ونقل خارج القاهرة لعدد من الضباط وجاء بينهم إسمى — وقد دهشت لذلك ولكننى أحسست أنه كيد القسم السياسى وأن من شهد وفق رغبتهم نال النياشين .

٦ — توجهت للسيد الأستاذ مصطفى الهلبارى وكيل أول النيابة وأطلعته على الجريدة وذكرت سيادته بحديثه معى نتيجة التحقيق وأين هو التقدير والثناء نتيجة المقاومة وكان صادقاً معى حيث أبلغنى أنه ليس بيده شئ وأن التحقيق أنتقل للاستاذ فؤاد سرى رئيس النيابة الذى وضع تقريره فى السراى وقد أطلعنى على تسويدة تقريره نتيجة الحوادث وتحمل الشكر لجهودى ولا تحمل أى تقصير وأضاف أنه شخصيا كذلك سوف ينقل لأنه قد راعى ضميره القضائى فى التحقيق .

التعليق والإتجاهات :

أولا — آداء الواجب :

قمت بآداء الواجب بأفضل قدرة ممكنة بالنسبة لظروف الحوادث — وكانت ذات أثر فى التصرف على الذين أشتركوا فى حريق بنك باركليز نتيجة الاصابات الطفيفة التى أحدثها الرش من بنادق الجرينو على النحو السابق بيانه .

ثانيا — التمسك بالحق فى وجه أكبر سلطة فى الدولة :

طلب إلى أن أغير الحقيقة وأشهد زوراً على أشخاص أبرياء وقد رفضت رغم أننى أبلغت أنه رغبة جلالة الملك ورغم التهديد .

وإنى أذكر نعمة الله على لتمسكى بالحق حيث جاءت الثورة وألغى

الجزاء وعدت للقاهرة ـ ثم فتحت باب الترشيح لإنتخابات نادى الشرطة وقد رشحنى زملائى فى غيبتى ودفع لى مبلغ الترشيح ونلت أكبر قدر من الأصوات : ١٤٥٢ صوتا من مجموع الضباط : ٢٣٠٠ ضابط ثم كنت عضوا بلجنة التطهير وقد أعطانى الله الفرصة أن أكون ممن يبتون فى مصير من كان سببا فى أضرارى وأشهد الله إننى أمتنعت عن التصويت عندما عرض أسم ضابط القسم السياسى على لجنة التطهير وخرج فى التطهير لمجموعة أسباب ـ أخرى .

ثالثا : إن السرعة الكبيرة فى الفوضى والتدمير – والتنظيم وإستخدام مواد حارقة يشير إلى أن هناك تدبيرا سابقا لهذه الحوادث يعلم الله حقيقتها ولكن حسب فكرى أن أصابع الإنجليز كانت خلف تدبيرها لمجموعة أهداف منها :

(ا) التغطية على حوادث ٢٥ يناير – وما صنعه الإنجليز فى الإسماعيلية .

(ب) الصاق التهم ببعض العناصر الوطنية لإخماد ردود الفعل الوطنية نتيجة لإشتباكات الإسماعيلية والدور البطولى الوطنى للشرطة – ومن بين العناصر الوطنية حزب مصر الفتاة .

وقد تناولت التحقيقات تفصيلات كثيرة – وقد نشر جانب كبير بجريدة البلاغ تحت عنوان « وثيقة البلاغ » فى شهر أكتوبر سنة ١٩٥٢ على ما أذكر – وكان ذلك فى الصفحة الأولى وبالخط العريض يتضمن المعلومات التى أشرت إليها .

شهادة احمد ابو الفتح*

* رئيس تحرير جريدة المصرى ١٩٥٢

* الواقع أن شهادتى مسجلة بجريدة المصرى فى الفترة من الغاء المعاهدة إلى يوم غلقها . إنما بالنسبة للموضوع الذى تحقق فيه ، هى مسجلة إلى أن انتهت وزارة على ماهر الأولى . ونظرا لبعد المسافة فان المعلومات قد تكون مضطربة فى ذهنى . الشيء الذى أستطيع أن أقوله لك أنه عندما نشرنا بيان فؤاد باشا سراج الدين عن حريق القاهرة طلب الملك فاروق قفل جديرة المصرى والح فى ذلك وكان فى غاية العصبية فى كلامه مع رئيس الوزاره على ماهر . ولكن على ماهر رفض رفضاً قطعياً أن يكون هو الذى يغلق الجريدة المصرية الأولى فى الشرق الأوسط ، فألح الملك فى غلقها ثلاثة أشهر فرفض على ماهر ، ثم شهراً .. ثم ١٥ يوما .. ثم انتهى الأمر بتعطيل المصرى ليوم واحد .. هو اليوم التالى لظهور بيان فؤاد باشا .: أكثر من هذا قبل منتصف الليل أبلغت رسمياً أنى أستطيع أصدار المصرى فى نفس اليوم .. لكن المحررين كانوا قد انصرفوا .. فقررنا إعتباره يوم أجازة ..

وقصة بيان فؤاد سراج الدين أنه لما صدر البيان ٢ الذى يلقى المسئولية على وزير داخلية الوفد وقت الحريق بأنه هو المسئول عن استمرارها . . وكان هذا البيان بايعاز من السراى لاتهام حكومة الوفد وخصوصاً فؤاد

* مسجلة صوتيا فى مارس ١٩٧٥ .

سراج الدين بأنه تسبب عن طريق الإهمال ..عقب صدور هذا البيان ذهبت لفؤاد سراج الدين وطلبت منه أن يرد ، فكان رد فؤاد سراج الدين أنني أعرض المصرى وتعرض حياتك لأكبر مخاطر إذا أخذت منى بياناً . ووعد بالتفكير ، ثم وعد بأنه سيصدر بياناً ، ثم إتصل بى وقال أنه لن يصدر بيانات خوفاً على المصرى .. وفى الساعة الثامنة مساء أرسل لى البيان . وكانت الرقابة موجودة .. ونظراً لخطورة الموقف إستدعيت شقيقى المرحوم محمود أبو الفتح وعرضت عليه الأمر فوافق على النشر . ووضبنا الجرنال على أنه جريدة عادية تماما ، عليها موافقة كاملة من الرقيب .. وفى مكان آخر وضبنا البيان فى صفحات أخرى وجاء الرقيب والبوليس فوجدوا أن كل شيء يمشى حسب تعليمات الرقابة . وبمجرد خروج الضباط والعساكر من المطبعة أوقفنا الطبع الذى كان قد بدأ أمام ممثلى الرقابة زيادة فى التموية ، ووضعنا الصفحات التى بها البيان محل صفحات أخرى بالصفحة الأولى وصفحات داخلية ، ولم تتنبه الحكومة لهذا إلا فى الساعة التاسعة صباحاً وكانت جميع الأعداد التى طبعت قد نفدت .. وبها البيان ، أما الكميات التى كنا قد طبعناها تحت نظر الرقابة — وليس بها البيان — فقد أعدمناها .. ولذلك وزع بيان فؤاد سراج الدين فى جميع أنحاء مصر .

وأرجوك أن تراجع مجموعات المصرى ، لأن الصحافة كانت تتمتع بحرية كاملة ، وكانت مملوكة لمؤسسيها ومن يشرفون عليها .. فكانت هناك منافسة شديدة جداً فى نشر الأخبار والخدمة الصحفية .. هذه المنافسة كانت توجب علينا أنه فى حدود المصلحة العامة ننشر كل شيء مالم تكن هناك أمور تقتضى السرية ، مثل عمليات الفدائيين فى أيام مابعد إلغاء المعاهدة ..

والفترة فيما بين الغاء المعاهدة وحريق القاهرة مليئة بصفحات من البطولة النادرة الفذة .. لدرجة أن أولادا صغارا فى سن ١٥ سنة كان عبد الوهاب حسنى وجمال عزام وغيرهما يضطروا لانزالهم من القطار بصعوبة .. لأنهم كانوا يصممون على الذهاب إلى منطقة القنال والانضمام للفدائيين .. وكثيراً ما كانوا يتوارون من هؤلاء المسئولين ويسافروا وينضموا للفدائيين ويشتركون فى ضرب معسكرات الإنجليز ..

وفى الواقع أن معركة القنال لم تكن عملية الوفد وحده .. كانت عملية اشترك فيها جميع الشباب ، وفيها صفحات مطوية كثيرة جداً .. وساهم فيها ناس كثيرون جداً .. والدور الذى قمت أنا به بتجميع الأسلحة وتسليمها إلى عبد الوهاب حسنى وجمال عزام وتوفيق الملط والمشرفين على فرقة من فرق الفدائيين ، لا يمثل إلا جزءاً من العملية .. قد يكون جزءاً كبيراً ، لكن كانت هناك عمليات أخرى يقوم بها ناس آخرون ، يجمعون أسلحة من جهات أخرى .. كانت الحركة أكبر من أن تكون حركة ضرب معينة .. إنما كانت حركة يشترك فيها كل الشباب المصرى .

وكانت الأسلحة بالنسبة لى أنا يحضرها ثروت عكاشه عن طريق الإتفاق مع جمال عبد الناصر وأنور السادات فى هذا الوقت .. وتتجمع فى دار المصرى ، ثم تسلم للفدائيين .

س : فى الجزء السياسى ، هناك من يقول أن فؤاد سراج الدين وحكومة الوفد لم يعدوا فى منطقة القتال إعداداً كافياً .. بحيث أنه لما حدثت معركة الاسماعيلية بين القوات البريطانية ورجال البوليس .. انتهت إلى ما انتهت إليه .. فما رأيك ؟

ج : الغاء المعاهدة جاء نتيجة فشل كل الجهود التى بذلتها حكومة الوفد برئاسة مصطفى النحاس فى سبيل إقناع الإنجليز بتنفيذ الوعد الذى أعطى لمصر – ولو أنه كان وعدا شفوياً – عند اجتماع الكبار فى الهرم: تشرشل وستالين وروز فلت وديجول .. كان هذا الوعد يحدد أنه بمجرد إنتهاء الحرب ، تجلو القوات البريطانية عن مصر . أراد مصطفى النحاس أن يحقق هذا الوعد . . وكان كل دوره فى هذه العملية هو دور المفاوض المتصلب فى سبيل حقوق مصر ، فلما وجد أن الباب مغلق ، وأن الإنجليز غير قابلين أن يفوا بوعدهم .. أضطروا إلى الغاء المعاهدة.. اضطراره إلى الغاء المعاهدة كان عملا وطنياً كبيراً . . ولم يكن ممكناً أبداً أن نخطط لمعركة عسكرية لأن الجيش المصرى كان ضعيفاً جداً فى هذا الوقت .. وكانت بريطانيا محتكرة تسليحه . فكان لابد أن تقوم حركات شعبية .. والحركات الشعبية قامت دون تنظيم .. إنما قامت بالفعل من واقع ثورة نفسية بين الشباب .. فلم يكن من الممكن القول بأننا داخلون مع بريطانيا فى معارك .. وإنما هى عبارة تجسيد لصور امتلأت بها نفوس كل المصريين . الأموال تجمع فى المساجد لشراء الأسلحة . وبطبيعة الحال الحكومة كانت تسلح ، وفؤاد سراج الدين بالذات كان يسلح .. فما تم فى الاسماعيلية لم يكن معركة ، ولم يكن يتصور أن تصل الصفاقة بالإنجليز لأن يخوضوا معركة مع عساكر بلوك النظام بالصورة العنيفة التى تمت .

وماتم من جانب الشباب المصرى . وجنود البوليس المصريين يعتبر مفخرة لمصر ، لأنها تدل على أن عمليات غير منظمة .. وغير مخطط لها من قبل .. ولكنها ثورة شعب بحق . بلا افتعال ، ولا إثارة . .

ولا تدخلات حكومية .. وإنما بإرادة الشعب نفسه ، ولك أن تتصور التفاوت فى التسليح .. ومع ذلك يحقق الشعب أروع النتائج .

ـ هذه الحركة الرائعة فى القناة .. انتهت بحرق القاهرة ، وأنا لا أستطيع أن أقول من الذى أحرق القاهرة ، إنما من الطبيعى أن عملية الحرق تمت لحساب الاستعمار البريطانى . هذا لاشك فيه .

ـ ومن الواضح أن حكومة الوفد تقال فى هذه الفترة . وأنا عارضت فى مجلس النواب ـ وأن لم تسجل معارضتى لأن الجلسة كانت صاخبة مع الأسف ـ فى إعلان الاحكام العرفية .. فلما تمكن نور الدين طراف من إعلان رأية .. سلمت عليه مؤكدا تأييدى لرأيه ..

س : مع كل الإشادة بحركة الكفاح المسلح فى القنال .. هناك من يقول أنه كانت توجد تقصيرات من الحكومة .. وبالذات من فؤاد سراج الدين .. وأنه كان يقيم عقبات فى طريق الفدائيين .. بمنع وصول بعضهم .. واعتقال البعض الآخر .. فما معلوماتك ؟

ج : موقف فؤاد سراج الدين كان من الصعوبة بمكان .. لأنه كان يمكن أن تتخذ القيادة البريطانية الموجودة فى القصاصين من أى خطأ ذريعة لاحتلال القاهرة . فوزير الداخلية كان يسلح العناصر التى يعرف أنها فعلا صادقة فى الكفاح . لكن فى نفس الوقت كان عليه أن يجنب مصر أن تتعرض للاحتلال البريطانى الكامل . والانسان الذى خارج المسئولية ليس كالإنسان الذى يتحمل المسئولية . وهناك فارق كبير بين الأعمال الفدائية والأعمال الفوضوية التى كان يمكن أن تحدث . ولاشك أن الإنجليز فى ذلك الوقت كان لهم أعوان يعملون لحسابهم ، فأعطاء

الأسلحة بغير ضابط ، لأى شخص يطابها .. كان يمكن أن يؤدى بمصر إلى كارثة ، إذا ما استعملت بعض هذه الأسلحة فى غير موضعها .

وقد أدت هذه السياسة ، وعدم أعطاء الإنجليز أى فرصة .. إلى يأس الإنجليز من العثور على ثغرة يفلتون منها من النشاط الفدائى .. فاضطروا إلى حريق القاهرة .

س : فى تقديرك .. هل عملية الاسماعيلية ، أو المذبحة ، كانت لها مبررات .. أم هى استفزازية مقصودة من جانب الانجليز .. ؟

ج : الإنجليز كانوا قد وضعوا بمهارة فى ركن مقفول . وكان أمامهم إما أن يخرجوا .. أولا يخرجوا .. وكان المقصود أنهم كامبراطورية عظمى لايقدمون على حماقة القيام بمواجهة عسكرية مع مجموعة من عساكر البوليس العزل ، والمفروض أنهم مدنيون .. العملية من جانبنا كانت عملية سياسة لاحراج الإنجليز ، ولكشف موقفهم ، وكان الاعتقاد السائد أن الامبراطورية البريطانية لن تقوم بما قامت به . ولكن أقدامهم على المذبحة يدل على مدى الاضطراب الفكرى والعصبى الذى كانوا يعانونه نتيجة العمليات الفدائية وخروج العمال المصريين . وفى رأيى أن ماحدث فى الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير يعتبر مكسبا كبيراً للشعب المصرى البسالة الفائقة التى أثبتها عساكر البوليس وضباطهم .. حتى آخر طلقة . كما أن العملية لم تعط البريطانيين شرف الانتصار .. بل كان محل احتقار واستنكار جميع دول العالم .

س : ندخل فى الحريق نفسه . أنت تؤكد أنه مدبر إذن .. وليس حدثا عفوياً ؟

ج : طبعا أؤكد أنه مدبر . بدليل الوسائل التى استعملت فيه ..

س : ماهى الوسائل التى استعملت فى الحريق ؟

ج : كما قيل كان توجد مواد حارقة توضع فى المحلات ..

س : ما هى هذه المواد ؟

ج : أفضل أن ترجع للمعلومات التى نشرت فى حينه . لكن غير معقول أن الشخص المتظاهر أو محموم يخرج من بيته يحمل مواد حارقة . ولما تحدث الحريق المتوالية من مكان لمكان ، مع انتقاء المواقع .. كل هذا يقطع بوجود تدبير وسبق اصرار .

س : هل تعتقد أن التدبير سابق على يوم ٢٦ يناير .. أم تم فى نفس اليوم .. أم فى مرحلة من مراحل اليوم .. أم من أول حريق ؟

ج : هذا سؤال صعب . أعتقد أن التدبير لابد أن يكون قد تم فى الليلة السابقة . لأنه لا يمكن جمع مايلزم لاشعال كل هذه الحرائق فى كل هذه الأمكنة .. فى لحظة . لابد من ترتيب ووقت ..

س : هل تعتقد أن المدبر هو الإنجليز .. أم جهة أخرى .. ؟ وإذا كان الإنجليز هم المدبرون فأى الوسائل استخدموها فى التنفيذ ؟

ج : أنا حائر فى هذا . فالتحقيقات لم تسفر عن شىء . والمحاكمات جرت للذين حاولوا النهب . ولم يظهر الفاعل أبداً . إنما الظواهر كلهاتدل على أن الإنجليز كانوا وراء الحريق . لأنه كان عملية تحويل للانظار إلى ميدان آخر غير ميدان القنال ، بحيث ينصرف الناس عن قتالهم.. وبطبيعة الحال ، وحتى تنجح عملية التدبير كان لابدأن يكون فى مقدمة الضحايا

وما يمسه الحريق بعض المؤسسات البريطانية .. حتى ينفى التدبير وتبعد الشبهات ..

س : إن هذه النقطة بالذات هي حجة الذين ينفون أن تكون بريطانيا هي مدبرة الحريق .. إذن كيف تدبر حريقاً تكون مؤسساتها ورعاياها هم ضحاياه .. ؟

ج : بالعكس . إن من يدرس أى استعمار فى العالم يجد أنه يفتعل حوادث يدفع هو نفسه بعض الثمن فيها .. ليحقق مكاسب كبرى .

س : هل استخدم الإنجليز إخوان الحرية .. ؟

ج : أنا لا أعرف أى شيء عن إخوان الحرية .. وبالتالى لا أعرف إن كان الإنجليز استخدموهم أم لا .. وحتى بالنسبة للإنجليز أنفسهم .. نحن نقول أنهم وراء الحريق .. على اعتبار المصلحة المتحققة لهم .. لكن لم نتمكن من الحصول على دليل حتى الآن ..

س : ألم تحاولوا أنتم كحزب أن تحققوا الموضوع .. وتبحثوا عن مرتكبيه حتى لكم كحزب ؟

ج : لو تتذكر الظروف التى عاشت فيها مصر .. ومدى المشقة التى كان تجمع بها أى معلومات .. فى ظل حظر التجول والرقابة على الصحف ، ومنع الاتصال بين الناس .. وتوالى الأحداث والوزارات .. كل ذلك لم يتح فرصة جمع حقائق ، خصوصاً بالنسبة لحزب خارج الحكم ومحاصر .

س : هناك من يتهم فؤاد سراج الدين بأنه متواطىء فى الحريق .. ليس فقط بالإهمال .. ولكن برغبة التخلص من عملية الفدائيين والمواجهة الحادة مع الإنجليز ... فما رأيك ؟

ج : لم أسمع بأغرب من هذا الرأى ولا أسخف منه . لأنه لو كان سراج الدين يريد أن يضرب الحركة الفدائية كان باستطاعته أن يراقب خارج القاهرة .. ومناطق المعسكرات البريطانية .. ويقبض على الفدائيين، وكان يمكن أن يتم ذلك بصورة شبه سرية ، بدون داع لأن يحرق القاهرة، ويترتب على ذلك إقالة الوزارة . ثم أن ماضى فؤاد سراج الدين ليس فيه مايدل على الخيانة الذى يصل إلى هذا .. بالعكس أنه تاريخ حافل بالأعمال الوطنية .

س : فى رأيك . هل شارك أى من هذه الجماعات فى الحريق : الإخوان المسلمون ؟

ج : لا أعتقد .

س : أحمد حسين والحزب الاشتراكى ؟

ج : لا أعتقد .

س : الشيوعيون ؟

ج : لا أعتقد .. ولا أى جهة مصرية .

س : هناك اتهام قوى .. وأرجو أن تتجرد فى مناقشته من أى مجاملات .. وهو اتهام منسوب لك أنت شخصياً . بأن جمال عبدالناصر والضباط الأحرار هم الذين أحرقوا القاهرة . هل توضح هذه النقطة ؟

ج : الواقع أنه لم يثبت من الذى أحرق القاهرة . ماأشرت إليه من اتهام لجمال عبدالناصر أو بعض زملائه .. مجرد تخمينات واستنتاجات وجميع مظاهر معينة قد تدل على دلالة معينة .. إنما لايستطيع أى إنسان أن يقطع

بأن فلانا أو فلانا هو المسئول عن حريق القاهرة . الشيء الذى يمكن أن يكون قاطعاً فى هذه الحالة مراجعة جميع الصور التى نشرت عن عمليات الحريق ومحاولة التعريف على الأشخاص ، مع أن الكثيرين ممن اشتركوا فى العمليات اشتركوا مع المدبرين بدون وعى .. متصورين أنها عملية وطنية . فاتهام جمال عبدالناصر واتهام الضباط الأحرار هو فى نظرى – وقد سبق أن أشرت إليه ، متهماً جمال عبدالناصر وليس الضباط الأحرار – إتهام لا يمكن أخذه على سبيل الجزم .. إنما كان بصدد بحث معين تجمعت فيه مظاهر. أوردت المظاهر دون أن أورد الحكم .

س : هل تذكر لى هذه المظاهر ؟

ج : هل أذكر لك شيئاً تكلمت عنه منذ ٢٢ سنة .. ؟

س : أرجو أن تتذكر ..

ج : بعد الفترة الطويلة التى مضت . والحياة القاسيه التى عانيتها مابين فرنسا وسويسرا وبيروت .. لا يمكن أن أذكر الآن هذه المظاهر .. حتى لا أحمل نفسى أكثر مما تحتمل من معلومات ..

س : لقد كتبت أنت ذلك فى كتاب .. فهل يمكن الحصول عليه ؟

ج : لا أعرف .. لأنه غير متوفر .. لكن يجب أن يكون معلوماً أنى كتبت هذا الكتاب سنة ١٩٥٤ ، خصوصاً الأجزاء الأولى منه .. وكتبت الأجزاء السياسية الأخيرة بعد ذلك . الجزء الأول كتبته بعد خروجى من من مصر مباشرة .. كنوع من الدفاع عن الديمقراطية فى مصر وتحليل لما تسير عليه السياسة فى مصر هذه الفترة .

س : أحاول أن أذكر . وأعرض ماسمعتة فى سياق اتهام الضباط الأحرار (١) قيل أنه شوهدت سيارات جيش يوم الحريق (٢) الحنكة التى نفذ بها الحريق تشير إلى أن الذين قاموا به ضباط مدربون (٣) المواد التى استخدمت — المواد الحارقة بالذات (٤) قال لى أحد الأشخاص أنه شاهد جمال سالم وصلاح سالم ضمن مجموعة حريق .. وذكر لى اغتيال عبد الناصر فى المنشية .. فهل هذا قريب مما ورد بكتابك ؟

ج : أولا سيارات الجيش أنا لا أذكر عنها شيئاً . قصة الشخص الذى شاهد جمال وصلاح سالم .. طبعاً هو الذى يستطيع أن يؤكدها أو ينفيها بالإضافة إلى أن أشخاص هؤلاء الناس كانت غير معروفة للناس فى ذلك الحين وحتى بعد الثورة . ومسألة أن المنفذين كانوا منظمين ومدربين .. فإذا تصورنا أن الإنجليز هم الذين دبروا الحريق ، فلا بد أنهم نفذوا بواسطة تنظيم مدرب .. وليس بأى طريقة ..

وأعود إلى مسألة الكتاب . هذا الكتاب أنا أصدرته النسخة الأصلية بالفرنسية ، ويوجد فرق كبير جداً فى هذه الواقعة بالذات .. واقعة حريق القاهرة بين مانشر فى اللغة الفرنسية ومانشر فى اللغة العربية . مانشر باللغة الفرنسية أدق بكثير ومتخذ فيه كل وسائل الحذر .. ومانشر باللغة العربية لم يكن لى إشراف عليه لأنى كنت فى وضع لاأستطيع فيه أن أتصل وأباشر بانتظام .. فكانت العملية أن الناشر يحول بعض الأجزاء إلى إثارة لتأدية عملية سياسية معينة وهى الدفاع عن الديمقراطية .

كل هذه الأسباب نعود إليها ونقول أنه تنظيم — الذى أحرق القاهرة — ولا أقطع فى هذا .. لخدمة إنهاء حالة العمليات الضاغطة سواء عمليات فدائية أو غير فدائية ..

س : هناك من يربط بين تنظيم الضباط الأحرار وبين أمريكا.. وهناك من يقول أنه من المحتمل أن عملية حريق القاهرة كانت عملية لإزاحة حكومة الوفد.. وإزاحة الملك.. ومجيء الضباط الأحرار ويحكموا باسم أمريكا.. هذه وجهة نظر .·. فما رأيك ؟

ج : قد تكون وجهة نظر.. لكن معلوماتى عن علاقة الضباط الأحرار بأمريكا تكاد تكون منعدمة . وأنا كشاهد لاأستطيع إلصاق أى اتهام بأى جهة دون أن أكون متثبتاً من اتهامى بدليل.. قضية الإخوان المسلمين التى أشرت إليها فى سؤال سابق تمت وأنا خارج مصر.. فلم يكن بإمكانى دراستها ودراسة ماقيل أثناءها.. خاصة مايمكن أن يقوله المتهمون للنجاة من الظلم الطاحن الذى كان يقع عليهم..

س : أسجل تقديرى لشهادتك .. وخاصة فى الجزء الخاص بجمال عبدالناصر .. لأنه على الأقل يضع الأمور بشكل موضوعى ولا يتركها للكلام غير المسئول.. وسوف أتقصى جوانب هذه النقطة..

ج : الشيء المهم الذى أحب أن أسجله أن جمال عبدالناصر كان يسلح الفدائيين ويدربهم.. فغير معقول أن يدبر حريق القاهرة وينفذه.. لإنهاء هذه العمليات لأنه كان من الواضح والمؤكد أن هذه العملية (حريق القاهرة) كانت ستقضى على الحركة الفدائية . وأعيد وأكرر أن ماورد فى كتابى عن جمال عبد الناصر كان مجرد تجميع شبهات لاأكثر ولا اقل.. ولو راجعنا النص الفرنسى لوجدنا أن هذا ماقلته.. وأنا كنت فى معركة كبرى هى معركة الديمقراطية ضد الدكتاتورية..لا أكثر ولا أقل..

شهادة الاستاذ خالد محيي الدين(*)

- عضو اللجنة القياديه لتنظيم الضباط الأحرار .
- وعضو مجلس ق. د. ثورة بعد ٢٣ يوليو
- مرشح رئيسا للوزراء في مارس ١٩٥٤.
- استقال من مجلس قيادة الثورة ١٩٥٤ ..
- أصدر جريدة « المساء » سنة ١٩٥٦ .
- أشرف على أخبار اليوم لفتره .
- السكرتير العام للمجلس المصرى للسلام حاليا .

س : هل كان للضباط الأحرار ، باعتبارهم جماعة منظمة ، أي دور في حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير .. خاصة وأن هناك اتهاما لجمال عبد الناصر بالذات في هذا الحريق ؟

ج : أولا بالنسبة لما ذكره الاستاذ أحمد أبو الفتح أن جمال عبد الناصر اجتمع بالضباط الشيوعين .. في حركة الضباط الأحرار لم يكن يوجد شيء اسمه الضباط الشيوعيون .. وكان تنظيم الضباط الأحرار قد رفض رفضا باتا أن يقسم نفسه تقسيما حزبيا .. واشترط على الجميع أن يدخلوه بصفتهم الفردية .. كون ضابط له تفكير شيوعي أو ماركسي هذا شيء

(*) مسجلة صوتيا في جلستين ، فبراير ومايو ١٩٧٥ .

آخر :. لكن لا توجد مجموعة ماركسية أو شيوعية مجموعة الضباط الشيوعيين التى ساعدت الثورة هى المجموعة التى كانت تكتب المنشورات بخطيدها وتقوم بتوزيعها .. وهى المجموعة التى ظلت سرية حتى لاتنكشف وحتى عبد الناصر نفسه لم يكن يعرفها .. أنا كنت المسئول عن هذا .. قلت له سأكون مجموعة سرية من الضباط للمنشورات ولاداعى لأن تعرف اسماءها .. وكان هؤلاء الضباط من أفراد « حدتو » (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) وكانوا موجودين بسلاح الصيانة والفرسان والطيران ..

أحمد أبو الفتح ذكر ثلاثة أسماء فى كتابة : خالد محيى الدين ومجدى حسنين ومحمد أحمد . أولا مجدى حسنين كان فى هذا الوقت لم تكن له أى علاقة بالشيوعيين بل كان يهاجم الشيوعية .. بالعكس كانت ميوله اخوانية ». فقط أن بنى مجدى حسنين مديرية التحرير ورأى فقر الفلاح المصرى »: ولاحظ انه لايوجد بلد فى العالم يساعد البلاد المتخلفة غير البلاد الاشتراكية بدأ يؤمن بحسن العلاقة مع المعسكر الاشتراكى . محمد احمد لايمكن أن يقال عنه أنه يسارى من قريب أو بعيد .. ولايبقى غير أنا ». وفى هذا اليوم أنالم أدخل وسط القاهرة .. كنت فى كلية التجارة تركت الجامعة إلى قشلاق الفرسان حيث وصلت حوالى الساعة ١١ وبقيت فى القشلاق حتى الساعة الواحدة أو الثانية .. عندما ذهبت إلى بيتى ولم أخرج منه الا فى المساء ». ثانى يوم كنت فى الطوارىء فى ثكنات قصر النيل ..

فى هذا اليوم أعلنت الأحكام العرفية وأقيلت حكومة الوفد . ساعتها كنت أجلس ومعى جمال منصور (وكيل وزارة الخارجية حاليا) وضابط قريب للنحاس هو محمد أحمد النحاس .. فطلبنا من محمد النحاس أن

يحمل رساله منا إلى عمه مصطفى النحاس باشا نقول له فيها أن قوات الجيش مستعدة تقف معك وبلغ محمد النحاس الرسالة لعمه ·· وقال له أن الضباط لديهم رغبة فى الوقوف إلى جانبك ، وأنهم يشعرون بأن هناك مؤامرة وأن هذا الحريق مدبر . فما استعدادك .. ونقل محمد النحاس رد عمه إلى جمال منصور .. وفهمنا منه أن النحاس عنده أمل فى تدخل أمريكى يعيد الوفد إلى الحكم .. وقال له لاداعى لدخول الضباط فى السياسة .. وأظهر خوفة ·· ربما احتياطا من احتمال أن يكون هؤلاء الضباط مصيدة له ·· ومدفوعين من الملك ·· لكن يبدو أن قضية أن النحاس يناضل ضد الملك ويأخذ الجيش معه ·· كانت أكبر مما يحتملة ··

كنا أحسسنا أن حريق القاهرة ترتب عليه إعلان الأحكام العرفية وأوقف المد الثورى ·· لم يكن هذا فى مصلحتنا ·· ولذلك حاولنا أن نفعل أى شيء مع النحاس لكنه رفض ·· ومن وقتها فى الواقع صرفنا نظرا عن الأحزاب ··

ويومها عقدنا اجتماعا فى المساء ·· فى بيت حسن ابراهيم .. وفى هذا الاجتماع قال جمال عبد الناصر للجنة القيادية ·· « أنا عملت حاجة ياجماعة » ·· سألناه ·· فقال « أنا أعرف أن عبد المنعم النجار ضابط بالمخابرات المصرية وله صلة بنا ·· قريب للملكة ناريمان » ·· طبعا البلد كانت سايبة ·· الحرائق تشعل ·· البوليس عاجز ·· الملك ليست له سيطرة على الجيش ·· فلو أن الضباط الأحرار كانوا قوة ·· لكانوا نزلوا وأستولوا على البلد ·· لأنه لم تكن توجد سلطة ·· وكوننا لم نفعل هذا يبين للملك أن هذا التنظيم (الضباط الأحرار) لا قيمة له ·· ولا مخاطر ·· ويمكن ضربنا ··

واستمر جمال عبد الناصر يقول أنا دعوت عبد المنعم النجار ومررت

عن طريقة رسالة ليبلغها إلى الملكة التى ستبلغها بدورها للملك .. قلت له : أن الضباط الأحرار - كما فهمت منهم - ضباط وطنيون .. وقد اجتمعوا (ولم نكن اجتمعنا طبعا) ولاحظوا ما فى بلد .. وكان فى امكانهم أن يفعلوا أى شىء .. لكنهم ، حرصا على مصلحة مصر وعلى العرش ولعدم هز مكانتك امام بريطانيا .. وجهنا الضباط للمحافظة على النظام وحماية الوضع » .

وواضح أن رسالة جمال عبد الناصر للملك وصلت فعلا .. وهدأته من ناحية الضباط الأحرار .. فقد أدخلت فى روعه أن الضباط الأحرار ليسوا اعداء له إلى الدرجة التى تدعوه لاستخدام العنف ضدهم ..

واقع الحال أن تنظيم الضباط الأحرار لم يكن من القوه التى تمكنه من أن يشعل حريقا .. ولا ينظم عملا .. وأنما تضاعف بعد ذلك خاصة بعد سقوط على ماهر ومجىء وزارة الهلالى .. وظهر أنها عاجزة .. وأن الحركة الوطنية ضربت .. وبدأت سياسة صرف الانظار بشعارات التطهير وما إلى ذلك .. عندئذ استغلينا نحن الفرصة .. وبدأنا نجند .. ونضاعف عدد الأعضاء .. وحتى يناير كنا تنظيم موجود .. لكن غير فعال .. كنا متصلين بالاحزاب السياسية بالاخوان المسلمين والشيوعيين ومصر الفتاة وحتى بالحرس الحديدى .. وواضح أن هؤلاء جميعا لم يحرقوا القاهرة ..

أما بالنسبة لما ذكرة أحمد أبو الفتح عن المتفجرات فالواقع أن كل الضباط الأحرار الذين كانت تحت أيديهم مخازن ذخيرة كانوا يجردونها باستمرار ويأخذون الوفرات .. أنا مثلا كان عندى مخزن ذخيرة وكان عندى فائض ١٥ صندوقا .. أخذتهم وسلمتهم للفدائيين .. وهذا كان

حالنا جميعا ٠٠ هذه الأسلحة والذخائر كان لابد من نقلها يوم الحريق ٠٠ وفعلا نقلناها إلى سلاح المهمات عند مجدى حسنين ومن هناك وزعت عند الأخوان وعند الشيوعيين ٠٠ كما أضطررنا أيضا لأخفاء ماكينه الرونيو التى كنا نطبع عليها المنشورات ٠٠ فقد خبأناها عند « حدتو » ٠٠ بعد أن كانت عند حمدى عبيد ٠٠ لأننا توقعنا أن يوضع الضباط الأحرار تحت المراقبة ٠٠

من ذلك استخلص أن ضرب الحركة الوطنية لم يفدنا كضباط أحرار وسقوط الحكومة الوفدية لم يكن هدفنا ٠٠ بل لقد حذرنا منه .

أما إلصاق أى مصيبة بالشيوعيين هكذا ..فهو مرض لا شأن لنا به ..

كون أن جمال عبدالناصر نزل ليشاهد مايحدث هذا شيء آخر .. فهو كرجل سياسى يحب أن يرى مايحدث بنفسه ٠٠ أما أن ينزل ليحرق أو بواسطة مجموعة فهذا أمر غير معقول ٠٠ لأن هذا ضد مصلحتنا كضباط أحرار ٠٠ وليس أدل على ذلك من أننا فى ٢٣ يوليو كنا نريد عودة دستور ٢٣ ٠٠ وهذا كان يعنى عودة الوفد للحكم ٠٠ وكان فى مجلس قيادة الثورة إتجاه لهذا ٠٠ وكان جمال عبدالناصر من مؤيديه ..

إذن فالاتهام بلا قرينة . . ولايستند إلى أى نظرة سياسية . .

س : وما رأيك فى سؤال جمال عبد الناصر للاخوان عما إذا كانوا هم القائمين بالحريق . . وعرض المساعدة عليهم ؟

ج : هذه روايتهم . . لكن . . جمال عبد الناصر كان فيه شيء .. كان يريد أن يعرف . . وإلا يكون بعيداً عن الأحداث . . فربما يكون ما يحدث حركة شعبية . . أو ثورة . . أن فهمى لعبد الناصر يجعلنى

اتصور ماجال بخاطره . . لقد سأل نفسه . . ألا يحتمل أن تكون هذه حركة مدبرة للاستيلاء على السلطة ؟ . . إذن من الذى لديه القدرة على مثل هذا ؟ .. الإخوان المسلمون .. لأنهم ناس مدربون ولديهم قدرات وهو كانت له فكرة ثابته هى أن الشيوعيين قوة سياسية ليست للحرب وإنما للدعاية والاقناع والفكر والمنشورات . . لكن العمل الفدائى والعسكرى وما إلى ذالك يختص به الإخوان . . فسأل الإخوان . . لكن الذى يعرف عبد الناصر يعرف كيف يوجه كلامه . . فلو أنه سألهم هل أنتهم الذين يحرقون لأجابوا لا . . وإنما لوسألهم فى صيغة أنه مستعد للمشاركة فسيتلقى منهم الإجابة الصحيحة بدون تحفظ . .

س : هل أجرت الثورة تحقيقا فى حريق القاهرة أم لا ؟

ج : حدث أن جمال عبد الناصر أعلن فى اجتماع المؤتمر المشترك لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء . . أننا فى التحقيق لم نستطع إثبات من الفاعل المدبر لحريق القاهرة . . وهذا يعنى عدم وجود مدبر . . ولكن التحقيق الذى اشرف عليه سليمان حافظ لم يستطع تحديد هذا المدبر . . وقال أنا تقديرى أنه أيا كان المدبر فإنه لم يكن يستطيع أن يفعل ما فعله مالم تكن البلد بالحالة التى كانت عليها يوم ٢٦ يناير . . من وجود ثورة شعبية . . وسخط على الإنجليز . . وعجز من جانب الحكومة . . ولو كانت الحكومة بادرت باعلان قطع العلاقات مع بريطانيا لكانت ألقت ماء بارداً على الموقف . .

س : يقال أنه كانت صلة بين الضباط الأحرار وبين الأمريكان . . ويقال أن أمريكا كان لها دور فى حريق القاهرة . . ويربط القائلون بذلك بين الضباط الأحرار وأمريكا وحريق القاهرة ؟

ج : الصلة بين الضباط الأحرار وبين أمريكا بدأت فى مارس ١٩٥٢ . . وقد شعرت أنا بذلك قبل أن أقرأ كتاب كوبلاند . . من موقف عبد الناصر من الإتجاه اليسارى . . فقد بدأ فى ذلك الوقت يطالبنا بالتخفيف . . فى المنشورات كما بدأ ينتقد التفسير العلمى للتاريخ مع أنه كان يتقبله قبل ذلك ، . وحتى بدأ يكتب المنشورات بنفسه بعد أن كنا نحن نكتبها . . فعل ذلك مرة أومرتين . . وكنت أتصور أنا أن هذا من تأثير جمال سالم عليه . ، فجمال سالم دخل اللجنة القيادية من يناير ١٩٥٢ . . ومن يومها بدأنا نسمع كلاما عن الحكم الديكتاتورى وكلاما عن التفاهم مع أمريكا وعن خطر الشيوعية . . من جمال سالم . . ولاحظت أن جمال عبد الناصر بدأ يسكت . .

من هذا يتضح أن الضباط الأحرار لم تكن لهم أى علاقة بالأمريكان فى الفترة التى حدث فيها الحريق . . وإنما بدأت هذه العلاقة من مارس . .

س : كضابط .. ماذاكانت عليه حالة الجيش يوم ٢٦ يناير ؟

ج : أنا وصلت القشلاق الساعة ١١ صباحا وجدت الضباط يستعدون وحالة الطوارىء معلنة .. ما الذى أخر الجيش إذن .. ؟ هناك احتمالان : إما أن الملك كان يخشى أنه عندما ينزل الجيش ينضم للشعب .. وأما أنه كان يريد أن ترتبك البلد فيأخذ من ذلك مبررا لإعلان الأحكام العرفية ..

وقد أصدرنا نحن منشورا فضحنا فيه عملية التلاعب فى نزول الجيش .. طبعاً كانت هناك جهات لها مصلحة فى الحريق .. لكن الضباط الأحرار كان تفكيرهم كله مع الوفد .. بدليل أن عبد

الناصر أول ما أبعد على ماهر كان يريد عمل انقلاب ضد نجيب الهلالى لإعادة الوفد وإعادة معركة القناة .. ثم فكرنا فى القيام بعملية بعد ذلك فى مايو وكانت الدنيا نامت .. فقلنا نحدد موعداً لحركتنا حتى تنشط .. وقدرنا ان نقوم بحركة فى نوفمبر .. لماذا ؟ .. لأننا سمعنا أن النواب الوفديين ينوون استخدام حقهم الدستوى فى حالتين ، أما أن نجيب الهلالى سيعلن حل البرلمان .. فيترتب على ذلك إجراء إنتخابات فى ظرف شهرين .. فاذا لم يقم بهذا الإجراء فيكون من حق البرلمان القديم أن ينعقد فى أول نوفمبر .. ومن حق النواب دستوريا أن يتوجهوا من البرلمان ويفتحوا الأبواب دون أن يعترضهم أحد .. فاذا اعترضهم أحد يكون هو الذى يخالف الدستور .. وسمعنا أن النواب الوفديين سيفعلون ذلك .. وقررنا أنه فى هذه الحالة تنزل نحن بقوات من الجيش وننضم للنواب الوفديين .. وهذا ليس تفكير قوة كانت تريد ضرب الوفد .

وبعد قيامنا بحركتنا فى ٢٣ يوليو كان فى مجلس قيادة الثورة إتجاه قوى — كان فيه جمال عبد الناصر — يريد عودة الحياة النيابية ..

وحتى عندما أصدر على ماهر بيانا يفهم منه أنه لن تجرى إنتخابات فى مارس .. أصدرنا نحن بيانا ضده ..

صحيح أن هذا تغير بعد ذلك .. لأن الضباط بطبيعتهم لايميلون إلى الحياة النيابية .. لكن هذا شىء آخر .. وأن كنت أنا ظللت عند رأيى وطالبت بعودة الجيش إلى ثكناته ..

شهادة الاستاذ محمد فريد عبدالخالق(*)

– عضو الهيئة التأسيسية ومكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين وسكرتير الهيئتين ..

– المسئول عن الطلبة والخريجين فى الجماعة ..

– مدير عام دار الكتب حاليا

* لاأخفى أن إحساساً بالتردد يخامرنى فى الإدلاء بقول فى هذا الموضوع الشائك لأكثر من اعتبار ، ربما لأن التقادم الذى لحق هذه الأحداث قد يعكس أثره على الذاكرة والمعلومات ، وربما لحساسية جاءتنى من ظروف صعبة تعرضت لها غير مرة للاعتقال والتحقيق والمحاكمة تحت وطأة القهر والتعذيب خلال الخمسينات والستينات وحتى أوائل السبعينات أورثتنى عزوفاً عن الإفضاء والثرثرة . وربما لأن الموضوع ذاته يكتنفه الغموض وأنا أحب لكلمتى أن تصدر دائماً عن رؤية واضحة محددة ، وربما لأن الموضوع من جهة أخرى يمس الغير وهو ماينحرج له ضمير أى مؤرخ يتوخى الدقة والأمانة مخافة الوقوع فى خطأ الاجتهاد أو تورط فى أعمال الظن . وربما كان فى هذه الإشارات مايفتح شهية الصحفى للتحقيق فى مثل هذا الموضوع بالذات لأهميته وغرضه ولكن واضح أن الأمر يختلف بالنسبة لمن يجرى معهم التحقيق وأنا أحدهم .

* محررة بمعرفته ، بعد إجراء اتصالات عديدة بأفراد قياديين آخرين من جماعة الإخوان فى فبراير ١٩٧٥ .

ومع ذلك وتقديراً مني للهدف من إجراء الحوار وهو تحرى وجه الحقيقة فى أمر ذى بال يهم الوطن والتاريخ أن يعرف تفاصيله وأسراره غلبنى على هذا التردد وها أنذا أدلى بدلوى فيه متوخياً الأمانة الواجبة والدقة الممكنة .

□ □ □

١ – ماهى رؤية الإخوان المسلمين لما حدث يوم ٢٦ يناير ؟

(ا) الظروف التى أدت إليها .

(ب) نشوء وتطور الأحداث نفسها .

(ج) النتائج التى ترتبت عليها .

* الذى أملك التحدث عنه الآن هو مجرد رؤية شخصية ، ولك أن تضع فى الاعتبار أنى كنت عندما وقعت هذه الأحداث ، أحد أعضاء الهيئة التأسيسية وعضو مكتب الإرشاد لجماعة الإخوان المسلمين ، أما عن الظروف التى أدت إليها فترجع بالذاكرة إلى الوراء فترة ليست بالقصيرة ، منذ قامت حركة الفدائيين والمقاومة الشعبية فى أوائل الخمسينات ضد قوات الاحتلال البريطانية وفى قلب معسكراتهم بالقنال حيث قام الفدائيون من الإخوان المسلمين بنسف مخازن الذخيرة فى أبى سلطان بفايد ونسف القطار المحمل بالعتاد البريطانى وهو فى طريقه إلى الإسماعيلية وضرب قطع بحرية من الأسطول البريطانى أثناء مرورها بالقنال الذى بات مستحيلا تأمينه ، وامتدت حركة المقاومة إلى الجامعة ونظم الإخوان المسلمون من شبابها معسكرات التدريب بحرمها وأدى طلاب مصر دورهم الوطنى فى حركة الفدائيين . وتعد حركة المقاومة الشعبية صفحات ناصعة فى تاريخ

مصر السياسى كان من ثمرتها إقدام حكومة الوفد على إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ فى أواخر سنة ١٩٥١ ، وتم سحب العمال المصريين من معسكرات الجيش البريطانى ومنع وصول الاقتراب إليهم وبلغت حركة الفدائيين ذروتها واشترك فيها أفراد وهيئات وأحزاب ، ودور الإخوان المسلمين فى ذلك المجال معروف سواء فى القيام بأعمال المقاومة أو التدريب أو الإمداد بالسلاح واستشهد منهم عدد كبير من خيرة أبناء هذه الأمة لتحرير الأرض وجهاداً فى سبيل الله .

وقبيل يوم ٢٦ يناير بيومين ، جاء الإنذار البريطانى موجهاً لحكومة الوفد بايقاف نشاط الفدائيين وإعادة العمال والأقوات ، وفى اليوم التالى هاجمت دبابات الإنجليز قسم شرطة الإسماعيلية ، وأصدر فؤاد سراج الدين وزير الداخلية آنذاك أمراً لبلوك النظام المحاصرين هناك بالمقاومة المسلحة ، وقتل قرابة خمسين منهم فى معركة غير متكافئة وقد آزرهم الإخوان وأمدوهم بالعتاد والذخيرة لأنهم كانوا بلا ذخيرة .

وصدر أثر ذلك أمر لفرقة بلوك النظام التى كان عليها الدور وكان جزء منها معسكر بالجامعة للتحرك فوراً إلى الإسماعيلية بقيادة الضابط عبد الهادى نجم الدين وكانوا قد علموا بما تعرض له زملاؤهم فى مواجهة الانجليز وأسلحتهم وقتل عدد كبير منهم لعدم تكافؤ السلاح والعتاد ولم يكونوا يرغبون فى مواجهة نفس الموقف والمصير ومن ثم نزلوا من عرباتهم أثناء الطريق فى شوارع القاهرة فى حركة تمرد ولم تلبث الحركة أن أخذت صورة العنف وقد اشترك فيها غيرهم ممن شملتهم موجة السخط ونزعة التخريب وجرت عمليات اشعال النار فى القاهرة وتخريبها واستشرى الخطر لأن عساكر الدرجه الأولى الموجودين لحفظ الأمن فى شوارع العاصمة لم

يحركوا ساكنا تضامنا مع زملائهم ، فاندلعت نيران الحرائق في كل مكان وتمادت حركة التخريب بلا تصدى لها من رجال الأمن . وأفلت زمام الموقف من أى قبضة مسئولة .

هكذا فيما أرى بشأنه وتطورت الأحداث نفسها على النحو المعروف بسرعة ومن الملفت أنه فى خلال وقت قصير قد لا يتجاوز الساعتين أو الثلاث كانت الحرائق وأعمال التخريب الغوغائية قد عمت القاهرة كـكل وربما كان هذا موطن تساؤل يستحق التمحيص وتظل معه علامة استفهام كبيرة يمتد معها أصبع اتهام إلى عنصر ما ربما كان وراء ذلك التفسير الظاهرى للامور الذى تسلك الأحداث مسلك العفوية عنصر لعب دورة على مسرح الاحداث بخطة مرسومة وأستغل الظروف القائمة آنذاك من رد الفعل السيء الذى ساد الأمة والهب مشاعرها الوطنيه من جراء اعتداء الدبابات البريطانية الوحشى على عساكر بلوك النظام فى الاسماعيلية وقتل الكثير منهم ، ومن تأثير البلبلة السياسيه التى كانت تسود البلاد ، وخوف الأحزاب وتنازعها على السلطة والمصالح الحزبية ، وعداء القصر للوفد ، ونشاط الحركة الشيوعية فى مصر .

وهذا التساؤل يحتاج إلى نظر وتحليل

ولكن بقى ونحن فى صدد الكلام عن تطور الاحداث نفسها فى ذلك اليوم أن نشير إلى اشتراك بعض الأحزاب أو الجهات فيها وفى استغلالها وتنظيمها واذكائها . للاعراب عن اتجاهاتها وأفكارها سواء نحو انظمة الحكم القائمة أو القصر أو جيش الاحتلال . وقد كان هذا الأمر محل تحقيق ومحاكمة حدثت فيما بعد وأماطت اللثام بصورة ما عن مسئولية محددة لمن اداتهم التحقيق وأدانهم القضاء ولكن بالرجوع إلى أوراق

التحقيق والمحاكمات ودارستها من جديد قد تكشف هذه الدراسة عن شيء له أهمية .

أما النتائج التى ترتبت عليها وتسألنى عن وجهة نظرى بشأنها يمكن اجمالها فى نقاط محددة :

أولا : فقدان هيبة الحكومة وزعزعة الثقة الواجبة فيها لعجزها عن وقف أعمال التخريب التى أساءت إلى البلاد أدبيا وماديا .

ثانياً : إعلان الأحكام العرفية .

ثالثاً : اقالة حكومة الوفد عقب ذلك فورا .

رابعاً : تعميق ظاهرة الاضطراب السياسى فى محيط العمال والطلبة.

خامساً : خلق جو مناسب للفكر اليسارى ورفع شعاراته .

سادساً : التمهيد لحركة ٢٣ يوليو وتغيير نظام الحكم فى المنطقة .

□ □ □

٢ ــ هل حددت الجماعة موقفها من هذه الأحداث.. فى نفس اليوم.. أو فى الأيام التالية .

(ا) هل اجتمع مكتب الارشاد وناقش الموقف واتخذ أى قرارات .

(ب) هل صدر بيان ... أو كلمة مسئولة فى الصحف تعبر عن رأى الجماعة .

* نعم حددت جماعة الأخوان المسلمين موقفها من هذه الأحداث المؤسفة فى نفس اليوم ، حيث اجتمع مكتب الارشاد ليلا وأصدر بيانا نشرته الصحف بحمل استنكار الجماعة لما حدث ويدين هذا الأسلوب الخاطىء للتعبير عن الرأى أو اظهار الشعور الوطنى ويحمل مرتكبيه مسئولية ماحدث ونتائجة .

□ □ □

٣ – على وجه التحديد هل حريق القاهرة كان مدبرا منذ البداية أم أنه حدث عفوا .. ثم استغلته بعض العناصر .. ومن هى أى من الذى أحرق القاهرة .

* هناك فرق بين رصد الشرارة الأولى التى يمكن تصور أنها قد وقعت بتصرفات رعناء من بعض عساكر بلوك النظام المتمردين أو غيرهم .

وبين رصد حركة انتشار هذه الاعمال التخريبية بالسرعة المذهلة التى تمت بها حتى عمت القاهرة من أقصاها إلى أقصاها على مدى ساعتين أو ثلاث ، فقد يمكن تصور العفوية فى الحالة الأولى ولكن من الصعب تصورها كذلك فى الحالة الثانية حتى مع تصور دور من اشترك فى ازكائها وتنظيمها من بعض الأفراد أو الأحزاب ومن هنا يرجع على الظن عندى أنها رغم ظاهر عفويتها للوهلة الأولى أن يكون هناك عنصر مدبر لها منذ البداية وربما يكون هذا العنصر هو الذى غذى فكرة التمرد عند رجال بلوك النظام أنفسهم وأغراهم ونفذ إلى صفوفهم ونفذ مؤامراته تحت مظلتهم .

ولكن من عسى أن يكون هذا العنصر المجهول ؟

من الذى له مصلحة فيما وقع ؟

يخامر المرء ظن فى أنهم اخوان الحرية الذين يعملون لحساب الإنجليز وأن لم يظهر التحقيق ذلك ــ وغير خاف أن أجهزة الأمن آنذاك كانت تتضمن عناصر موالية للانجليز ولعملائهم . ومعروف أن أجهزة الأمن تراخت فى مواجهة الاحداث والتصدى الجدى لها .

كما يدور الظن فى أن القصر كان وراء هذه الأحداث لاحراج حكومة الوفد ، وللعلاقات المتأزمة التى كانت بينه وبين الإنجليز فى هذه الفترة بالذات وغير خاف أن فى اتلاف المتاجر والمحال الأجنبية احراج للانجليز أنفسهم .

وراودنى ظن آخر وربما كان هذا الارجح من الظنون أن العناصر العميلة التى كانت تعمل داخل أجهزة الأمن ، والتى قتلت الشهيد حسن البنا أواخر سنة ١٩٤٨ فى وضح النهار أمام جمعية الشبان المسلمين وتركته دون اسعاف والتى سفكت أرواح الأبرياء من أبناء الجماعة فوق كوبرى عباس هى نفسها التى دبرت هذه الأحداث لحساب الانجليز أيضاً . وربما بعلم القصر .

فقد كان الإنجليز موتورين للغاية مما الحقتهم به حركة الفدائيين المتصاعدة من خسارة فى الأرواح والعتاد، وخسارة استراتيجية للموقع فى القنال .

ومهما يكن من شيء فالإجابة القاطعة عن هذا السؤال الملح لايتأتى إلا بعد ظهور قدر كاف من الوثائق والتحريات قد تتمخض عنها بعض الحقائق فى هذا الموضوع الخطير .

أما عن كون بعض الأحزاب أو الجهات قد استغلت الحرائق وأعمال

التخريب وشاركت فيها بعد قيامها فمما لاخلاف عليه وعلى أية حال لم تكن جماعة الأخوان المسلمين من بينها على الاطلاق ، ولا هى وراء الوراء لتعرف كل ما خفى من أمر هذه الأحداث سواء مدبريها أو مستغليها .

□ □ □

٤ – هناك من يتهم جمال عبد الناصر والضباط الأحرار – أو بعضهم بأنهم الذين أحرقوا العاصمة .. أو – الأقل – شاركوا فى حرقها ويسوقون فى هذا الصدد :

(ا) أن المواد التى استخدمت فى الحرائق لا تتوافر الا فى الجيش .

(ب) نقل عدد من صناديق ت. ن. ن. وجلجنيت إلى منزل المرحوم حسن العشماوى فى نفس يوم ٢٦ يناير مساء .

* سمعت أن من بين الضباط الأحرار من شوهد فى ميدان الأوبرا بالذات يومها ، ولكنى لا أرى ذلك وحده دليلا على دور لهم فى الدبير أو التنظيم لما حدث فى يوم يناير ، فمن الطبيعى أن يخف إليها منهم من يرصد هذه الأحداث البالغة الخطر والدلالة كأصحاب حركة يعدون لها أمرهم ويلزمهم متابعة ما يجرى على أرضها .

وأعلم أن جمال عبد الناصر استنجد يومها بالأخوان المسلمين للتعجيل بنقل ذخيرة وأسلحة من مدرسة التدريب على الأسلحة الصغيرة إلى مكان مأمون توقعا لحركة تفتيش فى وحدات الجيش ، وقد تم ذلك فى نفس اليوم ، ولكن لاأرى فى ذلك دليلا أيضاً ، لأنها كانت الأسلحة والذخيرة الخاصة بالفدائيين وتدريبهم وكان عليهم أن ينقلوها وإلا يكون ضبطها

محل مساءلة قد يترتب عليها عواقب وخيمة بالنسبة لحركة الضباط الأحرار .

وأعلم كذلك أن جمال عبد الناصر سأل من يتصل بهم من الأخوان المسلمين عما إذا كان لهم يد فى هذه الأحداث ، وعرض المساعدة ، وكان الجواب بالنفى ، وهو مالا يصلح كذلك دليلا على شىء . فربما كان من قبيل من يبحث عن الحقيقةالتى لازالت مجهولة .

هذا مبلغ علمى وتصورى للامور ولا أستطيع أن أقطع برأى فيما هو أكثر ولست أتصور أن المادة الحارقة ت. ن. ت كانت مستعملة فى الحرائق ولا هى مما يستلزم ذلك وأن كان لاشك فى أنها متوفرة ضمن ذخيرة الجيش .

أما عن النقل المفاجىءوالسريع للاسلحة والذخيرة الذى بدأ فيما أعلم باتصال مجدى حسنين بجمال عبد الناصر وكلمه فى ضرورة التعجيل بنقل ما لدية منها من مدرسة التدريب إلى خارجها شعورا منه بالخطر الذى قد ينجم عن امتداد يد البحث والتحقيق إليها . وقد تم نقلها بمعرفة بعض الأخوان المسلمين الذين كان يتعاون معهم فى أعمال الفدائيين بالقنال وتدريبهم واستغرق نقلها بضع ساعات فى نفس اليوم بواسطة أربع سيارات وعلى مرتين إلى منزل أحد أفراد الجماعة بالجيزة وليس منزل حسن العشماوى .

وبعد أن هدأت الحالة فى العاصمة نسبيا وكان قد مر قرابة عشرة أيام ، تم نقل هذه الأسلحة والذخيرة فى صناديقها إلى عزبة والد حسن العشماوى . الذى لم يكن على علم بذلك ، ووضعت فى مخابئها التى أعدت حسب

مواصفات جمال عبد الناصر نفسه وأن لم يحضر هو بشخصه ولا غيره وان كان على علم دقيق بكل التفاصيل .

وظلت هذه الصناديق قابعة فى مخبئها حتى سئل بشأنها حسن العشماوى رحمه الله فى تحقيق النيابة إثر أعتقالة فى أوائل يناير ١٩٥٤ منهما باحراز أسلحة بغرض قلب نظام الحكم ، وقد أمتنع حسن العشماوى عن الأدلاء بأقواله إلى المحقق وطلب منه الرجوع إلى جمال عبد الناصر بشأنها ، فكان أن سكت المحقق عن توجيه السؤال مرة أخرى بعدها .

□ □ □

٥ـ ما هو دور كل من الجهات الآتية فى الحريق :

(١) الانجليز .

(ب) الأمريكان .

(جـ) الملك فاروق .

* (١) لاشك أن ضرب الإنجليز للاسماعيلية وحصار دباباتهم لقسم شرطة الاسماعيلية وقتل ٥٠ من رجال الشرطة كان هو نقطة البدء المسئول عما وقع من أحداث مؤسفة فى هذا اليوم الذى أطلق عليه الانجليز فى كتبهم ومقالات الصحف التى تناولوا فيها هذه الأحداث « يوم السبت الأسود » .

ويمكن الرجوع لتفاصيل ماكتب عن هذا اليوم إلى أمثال :

تكلم فيه هذا الصحفى الفرنسى اليهودى الذى كان فى مصر لفترة ، عن حوادث حريق القاهرة ولم يذكر أبدا أن للاخوان يدافيها .

وكذلك يمكن الرجوع إلى ماكتبته الصحف الأجنبية عن الحريق إلى :

فى الفترة المحددة بين سنة ١٩٥٤ – سنة ١٩٥٨ م

وأما عن جماعة أخوان الحرية ودوهم تعرضت له فيما سبق .

(ب) أما عن الأمريكان فلا أعرف لهم دورا فيها ، وأن كنت أعرف أن أصبح المخابرات الأمريكية وتخطيطاتهم فى الساحة العربية لايمكن تجاهله وان توارت أشخاصهم عن خشبة المسرح فى بعض الاحيان وتعذر على المشاهدين رؤية وجودهم أو اقتفاء آثار اقدامهم .

(ج) أما عن الملك فاروق فله دور راجع أن لم يكن فى خلق الأحداث بطريقة مباشرة فى تركها تستفحل على النحو الذى وقع . فلا يمكن أن يغمض أحد عينيه عن دعوته رجال الجيش للغذاء فى السراى يومها على خلاف العادة التى جرت باختيار العشاء موعدا للدعوة فى مختلف مناسباتها . وكانت المناسبة يومها الاحتفال بعيد ميلاد ولى العهد . وثابت أنه لم يصدر للجيش أمر بالتحرك إلا متأخرا ولم يكن للجيش أن يتحرك إلا بأمر من قائده الأعلى وهو الملك فاروق حتى ولو لم يكونوا مدعوين بالقصر وقتها . لعلها كانت لعبة سياسية من الاعيب السراى لاحراج حكومة الوفد والتخلص منها . وذلك ماكشفت عنه الأحداث السياسية بعد ذلك حيث أمر فاروق حكومة الوفد وقد استشرى الأمر أن تعلن الأحكام العرفية . وبعد اعلانها إقالتها وأتخذ من إعلان الأحكام العرفية تبريراً للاقالة أمام

الشعب وفى الوقت نفسه وفر بذلك مظلة واقية لحكومة على ماهر التى تولت الحكم بعد الوفد .

□ □ □

٦ ـ هل يتحمل الوفد .. أو وزير الداخلية فؤاد سراج الدين مسؤلية ما حدث يوم ٢٦ يناير .. وما حدود هذه المسؤلية ؟

* يمكن للرجوع فى ذلك إلى فؤاد سراج الدين نفسه . ومهما يكن من شىء فلا أتصور أن هناك مصلحة للوفد فى حريق القاهرة بل وجوه الضرر بادية . وأما عن مسئولية الحكومة من حيث الضبط والربط وحفظ الأمن وما أدته أو قصرت فيه فمالا استطيع أن أقطع فيه برأى وأن كان تراخى الاجهزة المسئولة شيئاً ملحوظ ولا يمكن اغفاله وتجاهل دلالته .

□ □ □

٧ ـ هناك من يتهم الاخوان المسلمين بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة .. أو على الأقل جزءا من حرائقها .. مثل البارات والمراقص ويستدلون على ذلك بأن بعض الملتحين والذين يهتفون « الله أكبر » شوهدوا فى ذلك اليوم .. فما الرأى فى ذلك ؟

لم أسمع أن احداً اتهم الآخوان المسلمين بحرق القاهرة ولا حتى المشاركة فى أحداث الحريق والتخريب لا من جهة التحقيق ولا خلال المحاكمة ولا من المعلقين عن هذه الأحداث سواء من الصحفيين أو الكتاب الوطنيين أو الأجانب على السواء .

فلا أهداف الجماعة ولا أساليبها ووسائلها ولا ماضيها مما يسوغ ذلك

الظن أو الاتهام . ولو كان هناك أى شبهة لما أفلتهم للتحقيق والمحاكمة من توجيه التهمة إليهم ومحاكمتهم وهو مالم يحدث .

أما عن دعوى مشاهدة بعض الملتحين أو الذين يهتفون « الله أكبر » فى ذلك اليوم فهى دعوى داحضة من أساسها لأن اطلاق اللحية أو مجرد ترديد « الله أكبر » لايصلح أن يحمل أى دليل ضد الجماعة ، فالملتحون من غير الأخوان أكثر من الملتحين من الأخوان أنفسهم والهتاف بالتكبير ما أكثر ماردته حناجر عامة المسلمين بل وحناجر معادية للجماعة عداء عقائديا بقصد التستر والتضليل .

أن منهج الأخوان المسلمين فى الدعوة إلى الاصلاح واعلاء كلمة الله يقوم على التعريف بالاسلام والتربية على أساسه والقدوة الصالحة مؤمنين بأن التغير الخارج لايكون إلا بتغير النفوس من الداخل « أن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » وكذلك لم يكن من وسائلهم ولا أسلوبهم مثل هذه التصرفات حتى ولو كانت تجاه ما ذكرت بخصوص البارات والمراقص . ربما كانت هناك بعض الاحزاب قد عرفت بمثل هذه التصرفات وهذا الاسلوب فى الاصلا ولكن ليس الأخوان على أية حال من بينهم ، ويمكنك الرجوع إلى قضايا ومحاكمات تمت فى الاربعينات قد تكشف لك عن هذه الحقيقة .

□ □ □

٨ — بعد الحريق عزل الوفد ووجهت ضده حملة تشهير كبرى وسحق الشيوعيون واتهم الاشتراكيون (أحمد حسين) فى الحوادث وقدموا للمحاكمة .. بينما لم ينل الأخوان أى نصيب من الضرر .. فما تفسيركم لذلك ؟

* وهل هناك تفسير آخر .

لا أعتقد أنه يوجد غير تفسير واحد بسيط ومنطقى ، هو انهم لم يشتركوا على أى صورة فى هذه الأحداث المؤسفة .

فلم يحدث أن اتهمت حكومة على ماهر الأخوان ، ولكن الاتهامات والمحاكمات تناولت غيرهم ممن أمتدت إليهم المسئولية عما وقع ، وذلك على الرغم من كل محاولات الحكومات السابقة واللاحقة الصاق تهمة الارهاب إليهم . مقاومة الاحتلال نعم . مقاومة الصهيونية نعم . اما الحريق والتخريب فلم يكن يوما من أساليب الجماعة فى العمل السياسى أو الاصلاح الاجتماعى . لقد كان من مهام الأخوان عند قيام حركة ٢٣ يوليو أن عهد إليهم تولى حماية الأجانب ومنشآتهم من أن تتعرض للخطر التزاما منهم بأوامر الدين واحتراما للقانون وسمعة البلاد .

وأذكر أن بعض الأخوان تقدم إلى مرشد الجماعة حسن الهضيبى باقتراح أن يقوم الأخوان المسلمين بالتصدى لهذا التيار ووقف الحريق وأعمال التخريب ولكن المرشد وأن كان رأى ذلك عملا واجبا الا أنه لم يستطع أن يأمر به لفوات الوقت المناسب من جهة وبعداً بالجماعة عن مواطن التهمة من جهة أخرى .

شهادة الأستاذ مجدى حسنين (*)

- كبير المعلمين بمدرسة التدريب على الأسلحة الخفيفة .
- أمين صندوق تنظيم الضباط الأحرار سنة ١٩٥٢ .
- مؤسس مدرية التحرير .
- صاحب مكتب للاستيراد والتصدير حاليا .

عرضنا عليه عريضة إتهام أحمد أبو الفتوح .. فقال :

• لم أتشرف بقراءة كتاب أحمد أبو الفتح وماكتبة عن جمال عبد الناصر حتى هذه اللحظة وقد إندهشت أن الأستاذ أحمد أبوالفتح كان يضعنى من ضمن الضباط الشيوعين أواليساريين .. وحقيقة الأمر أننى إلى هذه اللحظة التى حدث فيها حريق القاهرة كنت معروفا بميولى نحو الإخوان المسلمين ، وليس بميولى فقط .. بل كنت على علاقات وثيقة بالمرحوم حسن البنا .. وكنت أدرب أعداداً كبيرة من الإخوان على قتال الإنجليز فى القنال . وكونت من مدرسة سلاح خدمة الجيش التى كنت كبيراً للمعلمين فيها مركزاً لتدريب الفدائيين ، بعد أن كان تدريب شباب الجامعة داخل الجامعة وفى المدرجات تدريباً نظرياً خفيقاً .. ثم تسلم هذا

(*) مسجله صوتيا فى مايو ١٩٧٥ .

الشباب السلاح ودفعه لمقاتلة الإنجليز عملية خطيرة جداً .. ولا جدوى منها ، لأن الإنجليز كانوا مدربين تدريبا جيداً ولديهم معدات ثقيله وسيارات مدرعة ودبابات ودشم خرسانية .. ولذلك ، رفضت بعد محاضرة أوإثنتين فى كلية التجارة ، الإستمرار بهذه الطريقة ، واتصلت بجماعة الإخوان ، وأمكن الإتفاق على عمل مجاميع ، كل مجموعة من حوالى ثلاثين فردا .. وكنت أخرج من المدرسة بلورى ، والتقطهم من العباسية وألبسهم ملابس جنود .. فيدخلوا المدرسة كما لو كانوا جنوداً حقيقيين .. حيث يتم تدريبهم عملياً وقاسيا .. على كل أنواع الأسلحة .. ومن بين هؤلاء أول الفدائيين الذين إستخدموا القنابل الخارقة للدروع .. بكميات معقولة .. وتصويب جيد جداً . وبعد عدة أسابيع أمكن إنتاج عدة مجموعات طيبة من هذا الشباب ، كان منهم الشهيدان عمر شاهين وأحمد المنيسى عليهما رحمة الله .

كان هذا حتى بداية سنة ١٩٥٢ . وهو يدل على أن علاقتى بالإخوان كانت قوية جدا . فلا يأتى الأستاذ أبو الفتح يقول أننى كنت من الشيوعين أو اليساريين . وأنا لاأقول هذه شتيمة فى الشيوعية أواليسار .. بالعكس.. أنا أحترم كل الناس .. وكل الآراء .. وأن كانت ميولى دينية .. متحررة .. تفهم الحياة والواقع .

يوم ٢٥ يناير صدمنا جداً بما فعله الإنجليز فى الإسماعلية . يوم ٢٥ آخر النهار ، وكنت معروفاً للكثيرين لأن عندى كان يوجد أكبر مركز أسلحة وذخائر للفدائيين .. فقد كان الضباط الأحرار يجمعون مايستطيعون جمعه منها ويحضرونه عندى .. من وزارة الداخلية من طرف الأستاذ فؤاد سراج الدين وزير الداخلية .. وقال إننا .. هم يعنى — نريد

أن نعمل شيئا ضد الإنجليز ردا على مذبحة الإسماعلية .. وكان معه على، ما أذكر الأخ توفيق الملط .. سألتهم عن إمكانيتهم ، فقدموا لنا أسلحة. أكتشفت أنها ليست أسلحة مشاة .. وإنما مما يركب فى الطائرات .. وبدون ذخيرة . فاتصلت بعبد اللطيف بغدادى . فطلبت أشرطة .. فقال أرسل السلاح لأرى ماذا يمكن عمله . فأرسلت له فعلا فى الصباح الباكر يوم ٢٦ يناير . فاتضح أن الأسلحة مسروقة من سلاح الطيران .. وفى الورشة تحفظوا عليها .. وأصبحت مشكلة ! .. وأمكننا أن نأخذ السلاح.. وبدأنا نخطط العملية .. وكان المطلوب بالتحديد مهاجمة معسكر فعين فى بور سعيد (هو مسكر العائلات)[1] .. وكانوا قد أحضروا معهم الخرائط .. فدرسنا طرق الإقتراب منه وإمكانيات إيقاع أكبر خسائر فيه.. كانت الساعة حوالى العاشرة أو العاشرة والنصف عندما بدأنا دراسة الخطة .. وأثناء ذلك مر ثروت عكاشة وكان مسكنه بجوار المدرسة .. وكان ضابطاً ممتازا غزير العلم .. فطلبت منه الإشتراك معنا .. وفعلا إشترك ثروت معنا ..

وأثناء ذلك سمعنا ضجة فى الخارج .. والضباط يقولون : القاهرة. تحرق .. كانت الساعة حوالى الواحدة والنصف .. فخرجنا .. ولاحظنا فعلا تصاعد الدخان . لكن طبعاً لم نتصور حقيقة ما يحدث .. فدخلنا مرة أخرى لنكمل دراسة العملية .. لكن بعد فترة زادت الضجة .. ثم

(١) قال لى الأستاذ عبد الوهاب حسنى المحامى وأحد قادة حركة المقاومة المسلحة فى لقاء تم فى منزل فؤاد سراج الدين ، أن التفكير فى ضرب هذا المعسكر جاء كرد فعل غاضب على مذبحة الإسماعلية .. لكن كان هناك اتجاه يعارض بشدة مهاجمة عائلات الإنجليز باعتبار ذلك عملا غير إنسانى وقد رجح هذا الاتجاه فى النهاية .

بدأت أوامر الطوارئ .. فتركنا العملية .. وبدأ الموقف يتدهور تدهورا خطيراً جداً .. ثم أعلنت الأحكام العرفية .. وأقيلت حكومة الوفد ..

ولا أنسى أبدا أنني توجهت ثاني يوم لاقالة حكومة الوفد إلى كلية أركان حرب حيث جمال عبد الناصر .. وتحدثت بصراحة مع الضباط .. وقلت إلى متى ستظلون ساكتين .. يجب أن نتحرك .. بعد أن أقيلت حكومة الشعب بالمؤامرة التي صنعها الملك بحرق القاهرة .. لدرجة أن جمال عبد الناصر قال لي يامجدي هذا ليس وقت الكلام المفتوح بهذه الطريقة .. وكانت روح الضباط في الواقع ثورية بالفعل .. حتى أن قائد الكلية نفسه اللواء سيف المعز خليفة حضر جزءا من المناقشات .. ولم يعترض أو يتخذ أي موقف ضدي ..

س : هل توضح لنا ماحدث في واقعة نقل الصناديق التي ذكرها أحمد أبو الفتح ؟

ج : ● بدأنا عملية نقل الأسلحة قبل يوم ٢٦ يناير .. لأننا كنا بدأنا نشم رائحة الخطر .. فبدأنا ننقل إلى أماكن أخرى داخل سلاح خدمة الجيش نفسه .. بعد أن أنشأنا خنادق ضخمة جدا .. ووزعنا معظم الموجود .. فلم يكن باقيا إلا كميات بسيطة .. هي إحتياجات الموقف التكتيكي لقوات الجبهة (قنال السويس) .. ويوم ٢٦ يناير حاولنا نخلي خوفا من الأحكام العرفية .. فنقلنا الأجزاء البافية في بعض السيارات مع بعض الإخوان المسلمين .. وأشخاص آخرين .. شيوعيين .. وكانت مدافع ثقيلة وقنابل خارقة للدروع وأشياء من هذا القبيل .. وليس مواد لحرق القاهرة !

ويحزنني أن بعض الناس ، لظروف سياسية ، ولأخطاء وقعت ، أن يتهموا تشكيل الضباط الأحرار بأنه في يوم من الأيام كان يخون مصر أو

يحرق مصر .. نحن عملنا لمصر الكثير .. وسنظل نعمل من أجلها .. ولن نلقى العلم أبدا ، وهناك إخطار حدثت من مغامرين لايقدرون المسئولية السياسية .. وهذا خطأ كبير سببه عدم وجود التشكيل السياسى الذى يحمى البلد من المغامرين . ولكن هذا لايسمح لبعض المتعاملين مع المخابرات الأمريكية بالذات أن يتهجموا على وطنيتنا . وإذا كنا نحن ساكتين حتى الآن لأن أخانا أنور السادات موجود فى الحكم . فإن هذالايجوزأن يغطى دورنا ومسئوليتنا عن وطننا إبتداء من سنة ١٩٣٩ حتى الآن ضد الإحتلال الإحتلال والغبن . ولا يجوزأن يجعل حفنة من المرتزقة الذين تعاملوا مع أعدائنا أن يصبحوا هم قادة الوطنية .. ويتهموننا بالخيانة أيضا .. أليس هذا مضحكا !؟

شهادة الاستاذ احمد حمروش (*)

- أحد الضباط الأحرار
- لعب دورا رئيسيا فى حصار قصر رأس التين يوم تنازل الملك
- كاتب بروز اليوسف حالياً
- مؤلف كتاب قصة ثورة يوليو

س : الضباط الأحرار .. وجمال عبد الناصر بالقات متهمون بأنهم أحرقوا القاهرة .

ج : استبعد تماما مثل هذا الادعاء .. لعدة أسباب :

١ ـ أن حكومة الضباط الأحرار كانت تسعى بأكثر من إتجاه فى حركة الكفاح المسلح فى القنال .. وكان هذا أمرا منبعثا من دوافع وطنية تنمو وتزيد بحرارة النضال الجماهيرى .. فلايعقل بداهة أن ينقض الضباط الأحرار على انتصاراتهم التى كان يشارك فيها رئيسهم المنتخب جمال عبد الناصر . . .

٢ ـ أن حركة الضباط الأحرار .. فوجئت تماما بحرق القاهرة .. واجتمعت الجمعية التأسيسية (أو اللجنة القيادية) فى الأيام التالية مباشرة (٢٧ / ٢٨ يناير) وطالب عبد اللطيف البغدادى مثلا بتدخل القوات

(*) مملاة بمعرفته حرفيا فى مايو ١٩٧٥ .

المسلحة للاستيلاء على النظام .. ولكن جمال عبد الناصر والبقية لم يوافقوا على ذلك .. وقرروا انتظار الفرصة المناسبة لحركة القوات المسلحة .. والأمر الذى دفع عبد اللطيف البغدادى إلى عدم حضور الاجتماعات .. قائلا : عندما تستعدون للحركة فأنا جاهز .. وهذا يؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن يشجع رد فعل لحريق القاهرة .. وبالتالى لايمكن أن يكون هو المخطط لحريق القاهرة ..

٣ ـ أن حركة الضباط الأحرار حتى ذلك الوقت لم تكن قد دخلت بعد فى التفكير فى التحرك للاستيلاء على السلطة .. ويؤكد ذلك ما قاله عبد الناصر للصحفى البريطانى دين مورجان ١٩٦٢ من أن الحركة كان مقررا لها أن تكون سنة ١٩٥٥ .. وأن التفكير فى التحرك جاء نتيجة سباق الزمن مع الملك الذى كان ينوى اصطياد الضباط الأحرار .. ولولا ذلك لما تمت الحركة سنة ١٩٥٢ .. ويؤكد هذه الحقيقة سرعة وتنفيذ الخطة خلال ٧٢ ساعة بعد معرفة محمد نجيب من محمد هاشم بأن أخطاراً تهدد الضباط الأحرار وبتبليغ أحمد أبو الفتح لصهره ثروت عكاشه بنفس المعلومات ..

شهادة الاستاذ احسان عبد القدوس (*)

- رئيس تحرير روز اليوسف ١٩٥٢ .

- رئيس مجلس إدارة الأهرام حالياً .

* فى الواقع أنه بعد أكثر من عشرين سنة لا أستطيع أن أعتمد على مجرد الذكريات .. وأرجو أن ترجع لمجموعة روز اليوسف فى تلك الفترة لأنك منها تستطيع أن تعرف ماذا كنت أرى وماذا كان إتجاهى . والواقع أن أساس تفكيرى فى حادث حريق القاهرة كان هو أننى أسأل نفسى : من هو المستفيد من هذا الحريق ؟ .. وبعد أن تنقلت فى دراساتى وإستنتاجاتى الفكرية عن الأجواء التى كانت محيطة بالبلد .. لا يمكن أن تكون هناك جهة مستفيدة أكثر من الانجليز أنفسهم لأننا كنا أيامها قائمين بحركة كفاح مسلح فى القناة .. كانت المعسكرات الانجليزية تهاجم .. وإستطعنا أن نتعب الانجليز جداً .. وكان من عادة الانجليز أو السياسة الانجليزية فى مصر أنهم فى كل حدث كبير يعملون على أن يثيروا فى البلد مشكلة جديدة أو حدثاً جديداً بحيث يشغلوا الناس عن التوجه ضدهم .. وهذا ثابت فى كل تاريخنا .. وتاريخهم .. فأنا استنتجت أن الأنجليز أرادوا أن يشغلونا عن المعركة فى القناة فتعمدوا أحداث حريق القاهرة.. وطبعاً ، كأى وجود من نوع الوجود البريطانى كان لهم ناس ولهم عملاء .. وفى الوقت نفسه كان ببساطه جداً يمكن

* مسجلة صوتياً فى سبتمبر ١٩٧٥ .

إستغلال السخط الوطنى بأى عملية صغيرة .. فيمكن أن يبدأ شخص واحد بحرق مكان ليندفع الناس وراءه .. تنفيسا عن السخط والضياع الذى كنا نعيشه .. هذا ما جعلنى أركز على أن الذين وراء الحريق هم الانجليز وعملاء الانجليز فى مصر ..

طبعاً أيامها ظهر كلام عن أن « مصر الفتاة » هى التى قامت بالحريق وقيل آخرون وآخرون .. لدرجة أن الضباط الأحرار أنفسهم إتهموا أو نسب إليهم حريق القاهرة .. وهذا ما إستبعده نهائياً .. فأنا استبعد ماقيل عن إشتراك الضباط الأحرار إطلاقاً .. بالعكس ، لقد كان حريق القاهرة مفاجأة للضباط الأحرار كما قالوا فى مذكراتهم بعد ذلك .. لدرجة أنهم قدموا موعد الثورة سنتين .. بسبب إشتعال القاهرة وإشتعال الواضع للسياسى كله .. فوجدوا أنه لا يمكن مواجهة كل ذلك إلا بتقديم موعد الثورة من ١٩٥٥ إلى ١٩٥٢ ..

هذه كانت فكرتى ، ولذلك كنت أكتب انفى إتهام أى تكوين مصرى وأنسب العملية للانجليز وعملاء الانجليز ..

س : وماذا عن دور الملك فاروق ؟

ج : دور الملك فاروق كان دور المستفيد .. لكن لا أعتقد أنه كان متعمداً الحريق .. يجوز أنه فكر فى أن يستفيد من الحريق بعد أن حدث .. أو أن هذا الحريق خفف من بعض الاتجاهات المضادة له .. لكن فى النهاية حريق القاهرة لم يكن فى صالحه .. لأن الحريق ليس فى صالح الحكم .. وكان هو الحاكم .. والحاكم ليس من صالحه إثارة الخلل فى الأمن لهذه الدرجة ..

وما يحدث فى لبنان الآن هو ترديد لحريق القاهرة زمان .. وأنا أعتقد أن الذى يحرق يفعل ذلك بإيعاز من جهات أجنبية .. فاطلاق الحرائق سلاح يستخدم فى كل الثورات .. جهة تحرق وهى المستفيدة .. وجهة ليس من صالحها الحريق تحترق بالحريق ..

فبعد حريق القاهرة حدث ضعف كبير جداً فى الكفاح المسلح .. ولو لم يتم هذا الحريق ·· لكان هذا الكفاح اتسع جداً .. وربما كان غير وجه التاريخ المصرى كله ..

س : حريق القاهوة .. بقدر ما كان مكسباً مؤقتا للانجليز وللملك فإنه فى النهاية كان ضدهم . ولذلك فهناك من يقول أن حريق القاهرة لم يكن مخططا إنجليزياً بقدر ما هو مخطط أمريكى الغرض منه الاطاحة بالانجليز والملك والحلول محلهم .. أو أنه — الحريق — كان جزءاً من مخطط أمريكى ..

ج : لا . . أنا أعتقد أن إدخال أمريكا فى الموضوع هو إفتعال متعمد .. إنما أمريكا لم يكن لها دخل بحرق القاهرة .. فلماذا.. وما الذى تستفيده أمريكا ؟ الانجليز موجودون ؟ ·· أمريكا لاتحتاج لحريق لتخرجهم ·· وإنما تستطيع أن تخرجهم بالتفاوض كما حدث بعد الثورة .. وليست ضد الانجليز ·· ولم تكن توجد عناصر ضد أمريكا فى مصر ·· ولم تكن توجد ثورة ضد أمريكا فى مصر ·· كانت العناصر المعادية للأمريكان محدودة ولا تشكل خطرا عليهم ·· فلا أعتقد أن أمريكا ·· ولا حتى الملك إشتركا فى حريق القاهرة ·· وأنا أركز على الانجليز ·· وهذا كان واضحاً فى روز اليوسف ·· وقد قدمنا وقتها إثباتات كثيرة فى هذا الاتجاه ··

س : ما رأيك فى مسئولية الوفد ومسئولية فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ؟

ج : المسئولية زمان لأن الحكم الديمقراطى كان قد وصل إلى وضع أقرب للفوضوية لم تكن تحدد . قطعاً وزير الداخلية مسئول لأنه وزير الداخلية الذى كان يجب أن يمنع الحريق .. لكنه كان يعيش فى جو منهار إنهياراً كاملا .. والوفد يتحمل كحزب سياسى المسئولية لأنه كان قد وصل إلى الدرجة التى لايستطيع معها منع أى تكوينات .. حتى التكوينات العملية .. وكان أى تكوين حزبى أقوى من الوفد ..

س : تبرىء أحمد حسين من مسئولية الحريق ؟

ج : أحمد حسين كان معروفا عنه التطرف .. وكان يشترك فى الكفاح المسلح بالقناة .. وبهذا إتهم ..

س : مرة أخرى الملك .. قيل أن المأدبة التى إقامها يوم ٢٦ يناير لعبت دوراً خطيراً فى إستشراء الحريق ..

ج : كل هذا يجوز .. لكن الملك كان أعجز من أن يعمل أى تخطيط ووصل لحالة من الإنهيار لدرجة أن الأوضاع حوله كانت تافهة تفاهة غير طبيعة ..

شهادة الاستاذ فتحى رضوان(*)

- رئيس اللجنة التنفيذية العليا للحزب الوطنى سنة ١٩٥٢
- رئيس تحرير «اللواء الجديد»
- وزير الثقافة والإرشاد ١٩٥٢ – ١٩٥٨.

س : من الذى أحرق القاهرة ؟

ج : أقرر أن جرائم الحريق فى التاريخ الانسانى على مختلف الحقب، بقيت من الغاز ومعميات هذا التاريخ . فليس فى وسع أحد أن يجزم بمن أحرق مكتبة الاسكندرية عند الفتح العربى ، فقد أريق حبر غزير فى هذه الخصوصية ولم يخلص الباحثون إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها . وحريق موسكو (١٨١٢) عند غزو نابليون لروسيا فى ذلك العام لايزال أيضاً مجالا للاخذ والرد وقد عنى الكاتب الروسى العظيم تولستوى فى تذييله التاريخى المسهب لروايته الخالده « الحرب والسلام » بايراد جميع وجهات النظر المختلفة فى اتهام جهة معينة بهذا الحريق .. وتبرئة جهة أخرى . ولم ينته هو إلى رأى . كذلك بقيت تهمة حريق الإسكندرية فى ١٨٨١ قبل الاحتلال البريطانى محلا لتقاذف التهم .

ومن هنا سر خفاء الفاعل فى حريق القاهرة ١٩٥٢ ذلك لأن عود ثقاب أو جزء من سيجارة مشتعلة كفيل بأن يحرق مدينة كاملة .

(*) مملاة بمعرفته فى يوليو ١٩٧٥ .

. فاذا أضفنا إلى هذه كثرة المنتفعين بحريق مدينة كبيرة ، فى وقت يعتبر من أشد أوقات التاريخ العالمى ووجه بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.. وانبثاق أربع قوى جديدة لم تكن فى الحسبان .. واختفاء أربع قوى كبيرة كانت تشغل مساحة المسرح الدولى كله ..

ظهرت قوة الاتحاد السوفيتى بكل مايعنيه وجود الاتحاد السوفيتى اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً : ظهرت قوة الوحدة العربية كما لم تتضح وتتكامل فى أى حقبة أو أى عهد بعد انتهاء الحكم العربى الأول الزاهر . ظهرت قوة العالم الثالث بكل إحتمالاته : أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ظهرت قوة كانت موجودة على المسرح بوجه ثم اكتسبت مظهراً جديداً أكثر قوة ألمانيا الجديدة واليابان الجديدة.. ومع هؤلاء جميعاً الصين بمساحاتها الأسطورية وثرواتها البكر ..

والقاهرة قلب هذا العالم إذ تربط الشرق بالغرب وتقع فى المنطقة الشديدة الاقتراب من الاتحاد السوفيتى والتى كانت حكراً للغرب . والتى فاحت منها الرائحة التى تدير رؤوس الأقوياء و الأغنياء — رائحة البترول .

وكان كل شىء يشى بأن قوى التحرر والتطور قد همت بالإنطلاق من مصر .. بعد أن رفعت مصر قضيتها أمام مجلس الأمن فى عهد النقراشى .. ثم ثنت بالغاء المعاهدة فى عهد النحاس .. ثم بالضرب فى الملكية المصرية أقدم ملكيات التاريخ .

فحريق القاهرة جاء فى موعده ليخدم عدداً كبيراً من المجهولين .. ولاتنس إسرائيل والقوى التى كانت تمثلها إسرائيل ، وهى تجمع بين الاستعمار والرأسمالية وكراهية الإسلام وكراهية العرب وكراهية حصول تقدم حضارى فى هذه المنطقة.. باعتبار أنه يكفى فيها بذرة وقليل من

الرى والحرث حتى تنشأ قوة .. كان من صورها دوا: على التى حققت فى أقل من عشرين عاماً مالم تحققه دول أوربا الكبيرة فى خمسين عاماً .. والتى سبقت اليابان .

فاذا أردنا أن نقترب أكثر من الظروف المتصلة بحريق القاهرة وجب أن نذكر أن الإنجليز والأمريكان وبصفة خاصة الأمريكان انتابهم قلق شديد بشأن مستقبل منطقة الشرق العربى .. التى نجحوا فى تزييف إسمها وحملوا أجهزتنا الدعائية على تسميتها بالشرق الأوسط حتى لاتذكر إسم فلسطين ولاتذكر إسم العرب . وكان إنساء إسرائيل إعلاناً صارخاً وصريحاً على هذا القلق .. وقد أحسوا بأن مستقبل القواعد العسكرية غير مضمون.. ومستقبل المحالفات غير موثوق به . ورأوا كيف سقطت قاعدة الجبانية وكيف اشتد طلب المصريين للجلاء عن قاعدة السويس بالغاء المعاهدة ..

وأدركوا أن قواعدهم فى قبرص وعدن والمعدم وهويلس وربما مالطة مصيرها إلى زوال ، فالقاعدة التى لايمكن تصفيتها .. والمعاهدة التى لايمكن إلغاؤها هى القاعدة والمعاهدة التى تتمثل فى شكل دولة . ولذلك كان إنشاء إسرائيل كدولة هو أغلى الأهداف التى استماتت الغرب فى الدفاع عنها .. بريطانيا عندما كانت زعيمة المعسكر الغربى .. وتستميت أمريكا الآن ..

لقد تركت بريطانيا الهند بقرار من مجلس الوزراءلايزيد عن سطرين.. وتركت أمريكا فيتنام والهند الصينية بعد ١٠ سنوات من الحرب و ½ مليون جندى و ٥٠ ألف قتيل ..

أما هذه الشريحة الصحراوية الخالية من البترول ومن احتمالات الحياة (إسرائيل) فهى أغلى من حدقات العيون .. ذلك لأنها القاعدة العسكرية والمحالفة السياسية والواجهة الاقتصادية والعميل فى مجال الجاسوسية والسبيل

إلى استنزاف مواردنا وتفتيت وتبديد طاقتنا .. وقد زاد خوف الغرب كلما وجد أن احتمالات الوحدة العربية تزيد .. احتمالات البترول تتأكد .. اتصالات العرب بالاتحاد السوفيتى تنمو .. قوى العالم الثالث يتضح نفوذها لذلك دبت الحياة فى إسرائيل .. وبدأ نشاطها يكثر .. وتوالت المعارك ..

تلى ذلك الخطوات التالية :

١ — حرب إسرائيل (١٩٤٨) أتيحت قضية الأسلحة الفاسدة ..

٢ — قضية الأسلحة الفاسدة أفضت إلى حملة على الملك ..

٣ — الحملة على الملك شجعت لكى تمهد لعزله ..

ولذلك فان ما تمعت به الصحافة من حرية فى الفترة السابقة على الثورة لم يكن لحساب حرية الصحافة وإنما لحساب التحضير العام المطلوب فى هذه المنطقة .

ولعل بعض الزعماء الوفديين ألقى إليه بخبث أن سيمكن الوفد ميراث الملك وأن زعيم الوفد هو رئيس الجمهورية الطبيعى بحكم أنه زعيم الأغلبية. ولذلك كان من الغريب أن يشتم الملك دون أن تنشط النيابة للتحقيق ..

س : على وجه التجديد .. من مدبر الحريق ؟

ج : مع إعترافى بأن الجو كان مشحونا بالتوتر بعد موقعة ٢٥ يناير بالاسماعيلية ومذبحة رجال البوليس المصريين الأبطال .. فأنا أقطع بأن هذا لم يكن وحده كفيلا بأن يحدث ماحدث يوم ٢٦ يناير .

فالغريب فى هذا الشأن غياب الحكومة غياباً مطلقاً فلم ينزل إلى موطن الحريق ولو على سبيل الفضول ومعرفة مايجرى لا رئيس الوزراء ولاوزير

الداخلية ولا وكيل الداخلية ولا مدير الأمن العام — وأكاد أجزم أنه لوخرج وزير الداخلية وأعوانه وطافوا بالسيارات مع عدد من ضباط البوليس مسلحين بأسلحة بسيطة مع ما يتسر من رجال البوليس العاملين بمكاتبهم وأحس المتظاهرون بأن هناك إحتمال ١٠ ٪ لالقاء القبض عليهم لفروا من وجه الذين يمثلون السلطة .. والسلطة ليست سلاحا .. وإنما هيبة ..

فالأمر عندى قاطع بأنه كان هناك نقيض أحمله ماحدث من اتساع نطاق الحريق وضخامة آثاره ..

فاذا انتقلنا إلى فكرة الحريق .. فليس لدى شبهة فى أنها فكرة مدبرة. وهى مدبرة من أوساط أجنبية بلاشبهة ..

ويجب أن نفرق بين التدبير السابق المدروس لحريق القاهرة .. وبين المشاركة التلقائية والفورية لأسباب انفعالية من جمات لأغراض تعبر عن اتجاهاتهم .

حتى الملك — وأنا لاأبرئه لأنه أنبل من أن يفعل ذلك — بحكم كونه على رأس السلطة يخشى بطريقة غريزية من أحداث الفوضى على هذا النطاق .. ولكن ممكن أن يكون امتنع أيضاً بصورة غريزيةعن تقديم النجدة لحكومة الوفد لكى يورطها ..

س : أشرت إلى أن حريق القاهرة كان ضمن التحضير لمخطط واسع .. فهل تزيد هذه النقطة إيضاحاً ؟

ج : التحضير الذى سبق أن أشرت إليه هو إزالة الملكية ، ذلك أن الأمريكان كانوا فى غاية الفزع من بقاء الملكية ، لرفض الملك اتخاذ الإجراءات التى اتخذها شاه إيران فيما يخص توزيع أملاكه وتحديدالملكية

لا يخفيهم لاعتقادهم بأنهم يعلمون عن أمورنا وخصائص زعمائنا ودخائل حياتهم الشخصية مالانعرفه عن أنفسنا ..لانتظام تجميعم المعلومات وتبويبها وإعداد الملفات مؤيدة بالصور وأشرطة التسجيل .. وحقائق عن حساباتهم في البنوك . ونصيبهم من الاستقرار أو الارتباك المادى هذا مع اطمئنانهم إلى أن القوى الوطنية فى المنطقة بسبب طول العهد الاستعمارى واعتماد العائلات المالكة على النفوذ الأجنبي والاحتماء به فضلا عن شعورهم بأن صلات الاتحاد السوفيتى بالمنطقة لم تتوثق بالقدر الذى يجعله عقبة فى وجه تحركات الغرب ..

كل ذلك دفع الأمريكان للعمل لإلغاء الملكية . وكانوا فى هذه النقطة يختلفون مع الإنجليز .. لأن الإنجليز كانوا أيضاً يريدون التخلص من فاروق لفساده وعدم صلاحيته كواجهة للنظام .. لكنهم لم يكونوا يريدون القضاء على الملكية ذاتها .. لأنهم كانوا يرون فيها نظاماً أفضل للتعامل ولأنهم أيضاً كانوا يرون فى النظام الملكى حاجزاً بينهم وبين الحركة الشعبية . أما الأمريكان فكان تقديرهم أن النظام الملكى كله لم يعد صالحاً .. وأنه لامبرر لاستمراره بفكرة صد الحركة الشعبية والوطنية لاتمثل خطراً حقيقياً بعد ..

وعلى ذلك غذى الأمريكان عمليات زعزعة مركز الملك بالمبالغة فى مسألة الأسلحة الفاسدة .. ثم بتحريض مجموعة من الباشوات على كتابة العريضة الشهيرة ضد مفاسد الملك .. وما كان هؤلاء الباشوات ليجرؤوا على مثل ذلك الأمر مالم يكن هناك قوة تحفزهم وتقوى ظهورهم .. هى الأمريكان ..

ثم كان حريق القاهرة كعملية لهز كل الأوضاع .. والتمهيد عملياً لنظام غير النظام القديم ..

واكتمل المخطط الأمويكى بعد ذلك بشهور .. بطرد الملك فعلا .. ومجيء نظام جمهورى .

س : يفهم من ذلك أن حركة ٢٣ يوليو كانت جزءاً من الخطة الأمريكية للتغيز ؟

ج : لا .. ان هذا لايعنى أن الضباط الأحرار كانوا أدوات للامريكان .. ولكنه يعنى أن الاتجاهين تلاقيا .. الضباط الأحرار يريدون التغيير .. والأمريكان يريدون التغيير .. مع احتفاظ كل من الفريقين بأغراضه الخاصة به .

س : ماذا كانت نظرتكم لحوادث ٢٦ يناير .. والمسجونين على ذمتها .. بعد الثورة ؟

ج . ونحن فى السجن كنا نتلقى أنباء أحكام حسين طنطاوى بالذات بمنتهى السخط .. لأننا كنا نعتقد اعتقاداً جازماً أن هؤلاء الأشخاص حتى لو ثبت يقيناً مشاركتهم فى السلب والنهب وربما أيضاً الحريق .. فلن يكونوا أكثر من الريشة التى تدفع بها الرياح الهائجة وهم الأغلب الأعم من الفقراء التى يعيشون أكثر حياتهم فى الطريق .. والذين وجدوا أمامهم أفخر المحال بما فيها من نفائس .. فوقفوا أمام إغراء لايقاوم .

وزاد من سخطنا انتهاز الحكومة التالية للحريق فرصة هذا الحادث لتصفية حركة المقاومة والبدء فى المفاوضة والعدول عن قطع العلاقات مع بريطانيا .

وقد صدق قول الفقيه الذى كنت أطالع كتاباً له حينئذ بأن الحكام الذين يشعرون فى أعماقهم أن علاقتهم سيئة بالحكومة يستغلون أى حادث

فى إشعار جميع المواطنين بالذنب •• فاجراءات القهر والإظلام وإلزام الناس فى البيوت .. ينتهى بأن يظن الجميع بأن لهم يداً فى الحادث الذى وقع •• والغاية من هذا هو كبح جماح الميول التحريرية عندالشعب ••

ولذلك كان طبيعياً ألا نضيع أى فرصة تلوح لإلغاء الأحكام الصادرة ضد هؤلاء المظلومين ..

وقد استقر الرأى على إطلاق سراحهم على مرحلتين •• المرحلة الأولى تخفيف الأحكام وخصوصاً للاشخاص الذين ثبت أن دورهم كان ثانوياً •• ثم إلغاء الأحكام تماماً •• .

ولم يكن ممكنا إلغاء الأحكام دفعة واحدة باعتبار أنها مسألة متعلقة بالأمن •• وكثيرين من الأجانب كانوا يرون فى أحكام قضية حريق القاهرة مايطمئنهم على أنفسهم ••

ولما أذعت بياناً عن قضية أحمد حسين ونقله إلى سجن الأجانب •• وأن هيئة المحكمة والنيابة غيرت •• أخبرنى اللواء محمد نجيب بعدها بيومين بأن كلا من السفير الأمريكى والبريطانى زاره بصفة خاصة وأبلغاه قلقهما من هذا البيان ••

وكان عدم إثارة جزع الأجانب — أننا أخرجنا من قانون العفو جرائم الحريق ••

شهادة حسن يوسف (باشا)(*)

ـ وكيل الديوان الملكى سنة ١٩٥٢

ـ المشرف على مركز الوثائق والبحوث التاريخية لمصر المعاصرة بمؤسسة الأهرام حاليا .

س : من ، فى تقديركم ، الذى دبر حريق القاهرة .. ومن الذى نفذها ؟ .. هل هو أحد هؤلاء :

(ا) أحمد حسين وحزب مصر الفتاة ..

(ب) الشيوعيون ..

(ج) الإخوان المسلمون ..

(د) جمال عبدالناصر والضباط الأحرار .. ؟

ج : لا أحد من هؤلاء .. ولا أى مصرى .

س : أقوى الاتهامات هو ذلك الموجه إلى الإنجليز ..

ـ باعتبارهم أصحاب المصلحة فى تقييم الموقف .. وبالذات فى موقف الحركة الفدائية .. ومحو كل آثار إلغاء المعاهدة ..

ـ وباعتبارهم المستفيد عملياً من حوادث ٢٦ يناير ..

(*) تسجيل لجلسة مناقشة فى يونيو ١٩٧٥ .

فما تقديركم لصواب أو خطأ هذا الاتهام ؟

ج : إذا كان الإنجليز هم الذين فعلوا ذلك .. فلأى غرض ؟ إن الإنجليز لايعملون شيئاً إلا فى وفق خطة .: فماذا كانت خطتهم ؟ .. القضاء على الوضع الذى قائماً كما تقول .. ؟ فلماذا لم يقدموا على عمل يحقق لهم ذلك .. مثل احتلال القاهرة وفرض شروطهم ؟ .

إن هذا يؤكد أن الإنجليز ليسوا هم الذين دبروا ونفذوا حريق القاهرة .

س : هناك من يقول : بل أمريكا — أو المخابرات الأمريكية — هى التى دبرت الحريق .. لتزعزع الإنجليز .. والملك فاروق .. وتحل بنفوذها محلهم .. فالى أى حد هذا صحيح أو تؤيده الوقائع ؟

ج : ولا أمريكا . فالعلاقات بين أمريكا والملك كانت طيبة، ومن يقرأ كتاب كوبلاند يعرف أن أمريكا فى تلك كانت تعتبر فارقا رجلها فى المنطقة .. وقد حضرت اللقاءات التى كانت تتم بين فاروق والأمريكيين فى تلك الفترة وقد حدث بعد إلغاء المعاهدة أن حاول الإنجليز الضغط على البلد بمنع البترول ومشتقاته عن الوصول من السويس للقاهرة .. وكانوا يهدفون بذلك إلى شل الحركة ووقف المصانع الخ .. فاستنجد النحاس باشا بنا فى القصر .. وعلم الملك فطلب من مستر كافرى السفير الأمريكى التدخل فى الموضوع .. فكلم كافرى ستيفنسون السفير البريطانى وعدل الإنجليز عن منع البترول .. وهذا دليل على أن العلاقة كانت حسنة جداً بين الملك والأمريكان .. صحيح أن الملك خلى بهم بعد ذلك، ولم يظهر بالمظهر اللائق معهم .. مما اضطرهم للعدول عن الاعتماد عليه، والبحث

عن شخص آخر ٠٠ لكن فى فترة الحريق ٠٠ وحتى مارس ١٩٥٢ كانت العلاقات بين أمريكا والملك لاتدعو أمريكا لتدبير شيء ضده ٠٠

س : وبالنسبة للملك فاروق ٠٠

— هناك اتجاه لاعتباره الحلقة الرئيسية فى تدبير الحوادث ٠٠ حتى يتخلص من حكومة الوفد ٠٠

— وهناك اتجاه لاعتباره مجرد متواطيء مع الإنجليز ٠٠ وافق على خطتهم ٠٠ وتركهم ينفذوها ٠٠ واستفاد منها فى تحقيق الغرض السابق — إقالة وزارة النحاس ٠٠ دون أن يكون المدبر الرئيسى ٠٠

— وهناك اتجاه ثالث يرى أن الحوادث دبرت بعيداً عن الملك تماماً ٠٠ بل وضده شخصياً ٠٠ بغرض التخلص منه ٠٠ بواسطة الأمريكان — أو الإنجليز والأمريكان معاً — بعد أن كانا قد قررا أنه لم يعد يصلح حتى لتنفيذ خططهما ٠٠ فما الحقيقة ؟

ج : لاشيء من ذلك كله ٠٠ وبعضه سبق الإجابة عليه ٠٠

أريد أن أسألك سؤالا : هل يعقل من الناحية الإنسانية البحتة أن تكون زوجة الملك واضعة يوم ١٦ يناير ٠٠ ويحرق الملك القاهرة يوم ٢٦ يناير ٠٠ ؟ ألا يخشى أن تمتد النار لتحرق ابنه وزوجته ؟ ٠٠ أليس هذا احتمالا ٠٠ ؟ ثم ٠٠ لماذا كل هذا ؟ ٠٠ لإقالة حكومة الوفد ؟ ٠٠ إن الأمر لم يكن يحتاج لأكثر من أن يناديني الملك ويطلب مني أن أبلغ النحاس إقالته ٠٠ وينتهي كل شيء ٠٠ وفضلا عن ذلك ٠٠ فاليك هذه الواقعة : لقد قدم

النحاس بالفعل استقالته لى يوم ٩ ديسمبر ١٩٥١ •• ولم يكن الأمر يحتاج لمؤامرات وحرائق حتى يقال النحاس ••

س : ولماذا قدم النحاس هذه الاستقالة ؟

ج : لأنه أحس أنه لايستطيع الاستمرار فى تحمل المسئولية ••

س : وماذا حدث بعد تقديم النحاس لاستقالته ؟

ج : صالحناهم (الملك والنحاس) •• وانتهت الأزمة ••

س : ألا يعنى هذا أن النحاس كان غاضباً من شىء •• وليس متهرباً من المسئولية •• وأن هذا مادفعه للاستقالة ؟

ج : لا •• وأسأل فى هذه الواقعة فؤاد باشا سراج الدين ••

س : المأدبة الملكية ، ودعوة ٦٠٠ ضابط ، بينهم كل قيادة الجيش الفعالة ، وكل قيادة بوليس القاهرة بالذات ، ودون سواها ! •• بالعدد الذى حضرها •• وموعدها •• وترتيباتها •• تعتبر قرينة رئيسية على اشتراك الملك وتواطئه •••

فما رأيكم فى الشبهة التى تحيط بهذه المأدبة ؟

ج : أولا هذه المأدبة كانت الرابعة بمناسبة ميلاد ولى العهد •وثانياً، كان الترتيب لها قد تم قبل يوم ٢٦ يناير بوقت غير قليل •• فكان اتمامها شيئاً طبيعياً •• ثم ماقولك فى أن الملك أمر الساعة الواحدة إلا ربعاً بالغائها لما علم باضطراب الحالة فى البلد ••

س : ولماذا إذن لم تلغ ؟

ج : لأن كبير التشريفاتية قال هذا غير ممكن ٠٠ لأن جميع الضباط المدعوين كانوا قد حضروا بالفعل ٠٠ ومن غير اللائق ردهم ٠٠

س : إذن الإنجليز لم يحرقوا القاهرة ٠٠ ولا الأمريكان ٠٠ وإذا كان الملك بريئاً من الحريق أيضاً ٠٠ وإذا كنتم ترون ـ كما قلتم من قبل ـ إنه ليس بين المصريين من دبرَ ونفذ حريق القاهرة ٠٠ فمن إذن المسئول عن هذا الحادث الخطير ؟

ج : المسئول هو حالة التسيب العامة التي كانت تعاني منها البلاد في تلك الفترة .. هل قرأت تقرير النائب العام ؟

س : نعم قرأته ٠٠ وهو يركز على المسئولية الإدارية ٠٠ أي التقصير ٠٠ ويحمل الحكومة الوفدية ؛ وجهاز الأمن ، بالذات ووزير الداخلية فؤاد سراج الدين المسئولية ٠٠ فهل تتفق سعادتك مع هذه النتائج التي توصل إليها النائب العام ٠٠ ؟

ج : اقرأه ثلاث مرات أخرى ٠٠ و ستجد أنه كان رفيقاً بفؤاد باشا ..

س : كيف كانت حالة الملك أثناء احتراق القاهرة ؟

ج : كان متوتراً جداً .. ومذعوراً ..

س : هل لديكم أي معلومات عن جماعة « إخوان الحرية » ؟

ج : لا ..

س : هل لديكم أي وثائق تفيد في إلقاء مزيد من الضوء على أحداث حريق القاهرة ؟

ج : لا ..

شهادة الاستاذ إبراهيم فرج « باشا »(*)

- وزير الشئون البلدية والقروية ، ووزير الخارجية بالنيابة سنة ١٩٥٢ .

س : فى رأيك .. من الذى أحرق القاهرة ؟

ج : الذى أحرق القاهرة جهات عديدة .. المخابرات البريطانية والمخابرات الأمريكية : لكن الأساسى فى العملية هو المخابرات المركزية الأمريكية ..

س : على أساس تقيم هذا الإتهام ؟

ج : على أساس موقف الأمريكان فى ذلك الحين .. فأمريكا كانت هى القوة الرئيسية المحركة للاحداث فى تلك الفترة .. لم تكن راضية عن سياسه حكومة الوفد برئاسة النحاس باشا .. ولذلك قادت كل عمليات الضغط التى مورست على الحكومة .. فهم الذين قادوا عملية الحلف الرباعى وكانو القوة الأساسية فيه وحركوا بقية الدول .. كما بذلوا ضغوطا شديدة علينا لكى نحارب معهم فى كوريا .. لكن النحاس باشا والحكومة رفض .. وقال إحنا لانحارب لصالح أمريكا .. حتى حادث الراهبة

(*) مسجلة صوتيا فى مارس ١٩٧٥ .

أنطون حاولوا إستغلالة فى الضغط علينا .. لكن أهم عمل لهم ضدنا هو المذكرة التى قدموها الخاصة بالدفاع المشترك ..

فجاء بالمذكرة ملحق بها مذكرة خاصة بالسودان .. يزعمون فيها أن السودان ومصر يرتبطان إرطباطاً وثيقا ويجب النظر إليها على هذا الأساس .. ورأت الحكومة المصرية ورأى النحاس باشا رفض هذه المذكرة شكلا وموضوعا .. وجملة وتفصيلا .. شكلا بأن أمر النحاس باشا وزير الخارجية بالا يقابل السفراء الأربعة معا .. وإنما يقابل كل سفير على حدة. ويبلغه رفض الحكومة .. وظهرت النية بوضوح أن لهؤلاء الأمريكان مصلحة كبرى فى الإطاحة بحكومة الشعب ..

س : إذا أنتقلنا إلى أحداث يوم ٢٦ يناير .. هل هناك أى شىء يشير إلى إشتراك الأمريكان أو تدبير الأمريكان فى الحرائق ؟

ج : هذه الحرائق كانت مرتبة من المخابرات المركزية الأمريكية والإنجليزية فلقيت رضا من الملك .. لكن أفلت الزمام .. كانوا لايريدون ألا تصل إلا إلى هذا الحد .. وإنما إلى حد يكفى لاقالة حكومة الوفد لأنها عجزت عن حفظ الأمن .. ربما لم يكن فى النية أن تحرق القاهرة بالطريقة التى حرقت بها .. ولكن أفلت الزمام .. وإنتهت الأمور إلى ما انتهت إليه . هذه الجريمة السياسية النكراء .. أما وقائع الحريق وطريقتها وكيف تمت فهذه مسألة يرجع فيها للتحقيقات وللنائب العمومى الذى أشرف عليها .. وتناقشه الحساب فيما إنتهى إليه من رأى ..

س : مرة أخرى .. هى توجد أى علامة تشير إلى دور المخابرات المركزية الأمريكية من وقائع أحداث اليوم ؟

ج : المخابرات المركزية لاتكشف عن نفسها ‥ إنما أنا كرجل سياسى أستعرض الأحداث التى سبقت ٢٦ يناير وخلالها وبعدها ‥ أقول أن المصلحة الأولى للامريكان ‥ وأن هذه المصلحة هى التى حدت بهم إلى التعاون مع المخابرات الأخرى (الإنجليزية) ليرتبوا هذا الحادث ‥ ويرتكبوا هذه الجريمة .. وهل تتصور أنه عندما تقوم المخابرات .. تترك وراءها دلائل ؟ .. إن لهم وسائل خفية ‥ أنها اخطبوط ‥ ألم تقرأ الكتب المنشورة عنها ؟ ‥ أن عقلى يملى على أن هؤلاء الناس شركاء فى الجريمة ‥

س : هل يمكن الإشارة إلى بعض الأدوات ، سواء من الهيئات أو الأشخاص الذين إستخدمتهم المخابرات البريطانية أو الملك فى حريق القاهرة؟

ج : ربما كانت بالنسبة الملك مواقف سلبية ‥ تكاد تصل إلى درجة الإشتراك الفعلى ‥ كما حدث فى المأدبة ‥ وسكوته وامتناعه عن عن المحافظة على أمن البلد ‥ أنها سلبية ‥ لكنها سلبية تصل إلى حد الإيجابية التى تساهم فى إرتكاب الجريمة ‥

أما القول ، كما قيل فى ذلك الحين ، أن « مصر الفتاة » هى التى أحرقت القاهرة ‥ فإن وطنيتى تربأ بى أن أتهم أى مصرى بالاشتراك فى مثل هذا العمل ‥ إلا إذا كان مأجورا ‥ وفى غيبوبة عقلية أيضاً ‥

س : قيل كلام عن جماعة إخوان الحرية ‥

ح : لقد ذكرتنى ‥ « جماعة إخوان الحرية » شهود « يهوا » وهى جماعة ذات مسحة دينية لكنها على إتصال باليهود ‥ هاتان الجماعتان أستطيع أن أتهمهما وأنا مطمئن بأنها شريكان فى هذه الجريمة ‥

س : هل لديك أى دليل .. ؟

ج : قيل فى حينه أنهم كانوا مندسين بين الجماهير .. كما كانوا مندسين فى منطقة قناة السويس .

س : فى رأيك هل إشتركت أى من هذه الجماعات فى حريق القاهرة ؟ .. الإخوان المسلمون ؟

ج : لا أظن ..

س : الشيوعيون ؟

ج : لا أظن ..

س : بشكل محدد .. أحمد حسين وحزبه ؟

ج : لا أظن رغم ماحدث من قضايا ..

س : الجماعات المعارضة .. أى أحزاب الأقليات ؟

ج : كل هؤلاء كانوا يرغبون فى التخلص من الوفد .. ولا يستعبد الرضا عما حدث .. فقد كان الوفد يقف كالطود يمنع إندفاع الشيوعين إلى اليسار :

س : هناك من يتهم تنظيم الضباط الأحرار وجمال عبد الناصر بأنهم هم الذين دبروا أو نفذوا حريق القاهرة ..

ج : ليس عندى فى هذا دليل أستطيع أن أطمئن إليه ..

س : ولا شبهة ..

ج : لا .. الشبهة جائزة جدا .. لأنهم هم الذين كسبوا المعركة بعد ذلك .

س : بعض الذين يقولون بذلك يستندون إلى تحليل سياسى .. هو مادامت أمريكا كانت تريد الحلول محل الإنجليز .. وكانت تمهد لهذا باجراءات عمليه .. وأنه كانت لها علاقات ما بتنظيم الضباط الأحرار .. وأن الضباط الأحرار عندما جاءوا إلى الحكم فى البداية كانت لهم علاقات وثيقة بأمريكا .. إذن من المحتمل أن يكون هؤلاء الضباط أو بعضهم قد نفذ ذلك لصالح المخابرات الأمريكية ..

ج : بالطريقة التى تعرضها .. لا . أنا أستبعد ذلك .. لأنه يعنى أنهم شاركوا فى مؤامرة .. وأنا أستبعد ذلك على وطنينهم ..

س : المفاجأة أذهلت الجميع .. وكانت النفوس متوترة .. كما أن المسألة تطورت تدريجيا . . وبسرعة . ولم يتصور أحد أن الأمور ستصل إلى ماوصلت إليه ..

س : ذكرت أخبار اليوم أنه فى الإجتماع التالى لاقالة الوزارة .. وجه النحاس باشا إنتقادات شديدة لفؤاد سراج الدين .. وقال له كفاية بقى يافؤاد .. الخ مما يتوافق مع إتهامات أخرى لفؤاد سراج الدين بالتقصير ..

ج : لم يحدث هذا .. غير صحيح .

س : هل كانت لكم – كقيادة للوفد – أى إنتقادات على مسلك فؤاد سراج الدين فى ذلك اليوم ؟

ج : كل منا كان مشغولا .. ولم يحدث تقدير لهذا الحادث ..

س : نعود مرة إلى أخرى إلى البداية .. لماذا كان الأمريكان ملهوفين على وقف المد الشعبي فى ظل حكومه الوفد ... ؟

ج : بوصفى وزيرا فى تلك الحكومة .. ومعاصرا لكل الأحداث لكل الإحداث .. خاصة السياسية .. أقول أن السبب هو أن هذا المد الجماهيرى كان يحمل بين طياته إشتراكية شعبية تنتهى إلى غايات ترضى الشعب وتحقق له الإشتراكية التى يحلم بها .. وترفع من مستواه فى الحياة .. ويقترن بها كفالة الحريات . لم يعجب هذا المد الجماهيرى .. بما حفل به من إتجاهات ديمقراطية وإشتراكية الجماعة الأمريكان .. لأنهم مضروبون بداء وبلاء إسمه الخوف من الشيوعية .. وظنوا أن هذا المد يساعد الشيوعين .. وتأييد هذا الظن فى نظرهم من كثرة ماكان يتحدث به النحاس باشا فى أحاديثه الصحفية وفى محادثاته مع المارشل سليم أثناء المفاوضات .. من نفى كل تهمة عن السوفيت من أن لهم أغرضا خاصة فى الشرق .. وكان يقول بصريح العبارة أن الروس عاكفون على مصالحهم الداخلية لتعمير ما خربته الحرب .. ولا يمكن أن يخطر ببالهم أن ينقلوا نفوذهم إلى الشرق بالطريقة التى يتحدث بها الأمريكان .. ويخشونها .. وفى تاريخ الروس منذ ثورة لينين لم يحدث أنهم تدخلوا عسكريا أبدا .. ونحن الآن يوجد لدينا فعلا نفوذ بريطانى .. فإذا كان الروس يجدون أن هذا النفوذ البريطانى يجب أن يزول ويعملون فى هذا السبيل يكون الذنب ذنب الإنجليز .. نحن نريد أن نستقل وأن تكون علاقتنا بالجميع حسنة .. بل نرغب أن نكون إلى جانب الغريب .. وكان النحاس يريد أن يطمئنهم .. ومع ذلك فلم يكونوا ليطمئنوا .. وفكروا بما كان

يحاولهم .. كان النحاس يحاول أن يثبت فى الأذهان أنه ليس للروس مطامع عندنا .. ولا تخشوا من هذا ولا تدعوا أن الدفاع المشترك أو الجيش الأجنبى فى القنال لحمايتنا من الروس ..

لقد كانوا ضيقين بسياسة حكومة الوفد والمد الشعبى .. وبالذات سياستنا فى الديمقراطية وقوانين العمال وإلغاء السخرة .. الخ .. وكانوا لا يريدون ذلك ..

شهادة الدكتور فؤاد مرسى (*)

- استاذ الاقتصاد سابقا بجامعة الاسكندرية (كلية الحقوق) .
- واحد من أبرز قادة الحركة الشيوعية المصرية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية .
- وزير التموين فى وزارة الدكتور عزيز صدقى .

– عرضنا عليه أسئلتنا . . فأجاب :

* حوادث الحريق ، لابد وأن تثير السؤال الأول الخاص بالظروف التى أدت إلى الحريق . وفى هذا يجب أن نرجع إلى مابعد الحرب العالمية مباشرة ، من اشتعال الحركة الوطنية فى مصر وتجدد مطالبها فى الجلاء والاستقلال السياسى والاقتصادى من الأفكار التى أضافتها الحركة التقدمية خلال الحرب العالمية الثانية وما بعدها إلى الحركة الوطنية المصرية . فالحركة الوطنية المصرية ظلت لسنوات طويلة تعيش على فكرة الجلاء أكثر منها على فكرة التحرر الوطنى الكامل بشقيه السياسى والاقتصادى .

وبعد الحرب اشتعلت الحركة الوطنية المصرية ودخلها العنصر التقدمى فأعطاها مضمونا جديداً هو مضمون التحرر الوطنى الشامل . بهذا المضمون انتقلت الحركة الوطنية انتقالا كيفيامن الوضع الذى تركتها فيه البرجوازية

(*) مسجلة صوتيا ، مارس ١٩٧٥ .

المصرية ، وضع المساومات والمفاوضات للحصول على الجلاء ، إلى وضع الفعل الفعل الإيجابي للجماهير الوطنية من أجل فرض التحرر الوطني .

وبعد الحرب العالمية نحن نعرف أنه في بلاد أخرى كثيرة انتعشت الحركة الوطنية . . فكان انتعاش الحركة الوطنية المصرية جزءاً من حركة شاملة شملت أغلب بلدان المستعمرات وأشباه المستعمرات .

في عام ١٩٤٦ كانت المحاولة الأولى لفرض معاهدة جديدة هي معاهدة صدقي – بيفن . وقد رفضتها الجماهير بحركتها الشعبية في كل المجالات . بعدها انتقلت القضية الوطنية إلى ساحة مجلس الأمن تحددت المطالب في مصر أكثر من ذي قبل . لأنه بنهاية عام ١٩٤٧ ، بدأ المخطط الأمبريالي للمنطقة ككل يتضح أكثر . وذلك بتقرير تقسيم فلسطين ، ودخول الولايات المتحدة للمنطقة لأول مرة ، كخلية للامبريالية القديمة الإنجليزية والفرنسية . في هذا الوقت ادركنا جميعا أن القضية الوطنية المصرية أصبحت موضع تآمر شامل من كل القوى الأمبريالية في العالم بزعامة الأمبريالية الأمريكية .

ولكن كان لا بد من إدراك شيء إضافي إضافيا وهو أن الأمبريالية لا تعمل إلا بالتعاون مع رجعية محلية . ففكرة الرجعية المحلية لم تكن بارزة قبل عام ١٩٤٨ . فقبل عام ٤٨ كان التقدميون المصريون يبرزون أساساً فكرة التحرك الوطني وهي فكرة هامة جدا ومتقدمة ولكن لم تكن هناك محاولة لإبراز الرجعية المحلية كشريك وحليف للأمبريالية العالمية ومن هنا كان التصور للثورة المصرية أنها ثورة وطنية لم توضع آفاقها الآخرى في معادلة الرجعية المحلية ولم تتم باورة الرجعية المحلية .

في النصف الأول من عام ٤٨ تمت عمليات ضخمة لتحريكات جماهيرية

من أجل حقوق اقتصادية ونقابية بلغت قمتها فى حركة اضراب الممرضين فى قصر العينى • من هنا بدأ القاء الضوء على فساد النظام الداخلى ذاته وعلى أن السلطة فى داخل الدولة المصرية -أيضاً بدأت تتعدد وأن هناك عدوا داخليا مثلما هناك عدو خارجى •

فى صيف ٤٨ وفى ١٥ مايو بدأت المعارك الخاصة بفلسطين وانتهت بهزائمهم وكان التحليل المباشر هو التواطؤ بين الرجعية المحلية العربية مثل الملك فاروق وعبد الله وحكام العراق مع الأمبريالية الأمريكية والبريطانية على ضياع فلسطين •

خرج جمهور الوطنيين المصريين من ذلك بدروس بالغة الأهمية ومن أهم هذه الدروس هو خطورة الوجعية المحلية إلى جانب الأمبريالية — العدو الخارجى للبلاد العربية ولمصر . وهكذا يمكن القول بأنه فى عام ٤٨ تبلور الكفاح الوطنى الديمقراطى ضد العدوين فى مصر . وتحدد العدو المحلى فى أنه بقايا الاقطاع وهذا هو المجهود الأساسى الذى قدمته شخصياً بالنسبة للفكر الشيوعى فى مصر . ثم طورت هذه الفكرة فيما بعد وقلت أنه يعمل أيضاً متحالفاً مع القشرة الرفيعة العليا من الرأسمالية المحلية التى وصلت إلى مرحلة الاحتكار وبالتالى أصبحت الرجعية محددة أمامنا بجانب العدو الخارجى : بقايا الاقطاع مع الفئة الرأسمالية العليا فى مصر متحالفين مع الاستعمار العالمى وبالذات أمريكا وبريطانيا ضرب الثورة الوطنية الديمقراطية فى مصر .

وفى سنة ١٩٤٩ كانت مصر تشهد عمليات قمع هائلة من أجل منع أى صوت تقدمى أو حتى صوت وطنى من أن يرتفع ويضع قضايانا أمام الجماهير ولعب السعديون والدستوريون الدور الأساسى فى هذه العملية فى ذلك الوقت .

وظهر للاستعمار العالمى خطورة الأوضاع فى مصر وأنها إذا ماتركت على هذا النحو لابد أن تنتهى بثورة شعبية لاتبقى على شىء . وبدأ التفكير لاحتواء الحركة الوطنية بكافة السبل وكان أهم ما فكر فيه الاستعماريون الإنجليز هو التوصل إلى تقنين علاقتهم بمصر فى صورة معاهدة جديدة بإعتبار أن معاهدة ٣٦ أصبحت معاهدة مرفوضة والثقة فيها منتهية . وكان تفكيرهم أن نظم الاقليات والقمع القائمة ليست قادرة على الوفاء بهذا المطلب حتى نهايته ولذلك فكروا فى عام ١٩٤٩ فى ضرورة إستعادة الوفد كحكومة يتم معها عقد معاهدة جديدة . لذلك طلبوا إجراء إنتخابات جديدة وطلبوا أن تكون حرة لكى تتاح الفرصة للوفد للحصول على الأغلبية . وبالفعل عين حسين سرى رئيساً للوزراء وأجرى الانتخابات وحصل الوفد على الأغلبية فى البرلمان وبمقتضاها دعى الوفد لتولى الحكم من جديد .

وكان حكم الوفد فى نظر الجماهير إنفراجة كبرى . . إنفراجة ديمقراطية وعودة لحزب الأغلبية أما بالنسبة للتقدميين فكان له معانى أكثر من هذا . المعنى الأول أن هذا يمثل وضعاً ديمقراطيا جديداً وسوف يستفيدون منه وتستفيد منه الحركة الشعبية والديمقراطية فى مصر . وهذا صحيح ولكننا أدركنا أيضاً أن الوفد قد عاد فى ظروف سلم فيها للملك . بدليل الحادثة المشهورة عندما تم أول لقاء بين النحاس وبين الملك فقال النحاس أنه له مطلبا وحيدا عند الملك وهو أن يقبل يد الملك . وتوقعنا أيضاً أن الوفد ستكون مهمته الأساسية هى توقيع معاهدة جديدة تقنن الأوضاع الجديدة المطلوب أن تستقر للامبريالية العالمية فى المنطقة وبالذات فى مصر . وبدأت الجماهير تدرك شيئاً فشيئاً هذا الأمر وبدأت تضغط مرة أخرى من أجل إجبار الوفد على إلغاء المعاهدة وليس على المفاوضة

لعمل معاهدة جديدة وكان هذا فرقا كبيراً فالغاء المعاهدة لايعنى أن تحل محلها معاهدة جديدة مع بريطانيا بل لامعاهدة مع بريطانيا ..

وبالفعل دخل الوفد مفاوضات من أجل التوصل إلى معاهدة تنظم الدفاع عن الشرق الأوسط وكان الذى يتولى الجانب الأساسى هنا هو الجنرال « سليم » أركان حرب الجيوش البريطانية وكان كلامه كله « دفاع عن المنطقة فى وجه الشيوعية العالمية وتأمين مصر محلياً » ..

ولم يستطع الوفد قبول شروط بريطانيا وهذه نقطة هامة فضغط الجماهير أفسد المفاوضات وإنتهى بالوفد إلى الاستجابة إلى الجماهير وإلغاء المعاهدة وبدأ الكفاح المسلح فى القناة لطرد الانجليز من مدن القناة .

كان وضعهم فى القناة هو وضع قوات مستعدة لاخماد أى حركة داخلية ولكن الوضع الأساسى لهم إنهم كانوا يشكلون قاعدة خطيرة جداً ضد المنطقة ككل وضد ماسمى بالخطر الشيوعى وقتئذ وهو خطر الاتحاد السوفيتى . . .

وبدأ الكفاح المسلح . وكان الخطر كما هو موجود فى القناة فى صورة القوات الأمبريالية فالخطر موجود أيضاً فى القاهرة فى صورة فاروق وبقايا الاقطاع والنظم الرجعية المتواطئة مع الاستعمار ..

وتصور الوفد أن فى مطلب الغاء المعاهدة إحراجا لفاروق وأنه بالتالى يستطيع أن يتخلص منه فى هذه الحركة فقدم له مشروع قانون الغاء المعاهدة مفاجأة فوافق فاروق على الالغاء وجعل الوفد فى ورطة ، وأصبح فاروق شريكا للوفد فى هذا العمل الوطنى الذى كانت الجماهير تطالب به وبالتالى فأحرج الوفد فلم يعد أمامه سبيل ليزايد على فاروق .

بدأ الكفاح المسلح فى القناة بدون علم الحكومة بشعبية جماهيرية بعضها منظم وبعضها تلقائى . البعض المنظم كان هو الدور الذى لعبه بعض الأخوان المسلمين من الشباب الوطنى وبعض الشيوعيين وبعض الوطنيين .. أى العناصر الوطنية فى الأحزاب . أما الجانب غير المنظم فقد كانت عناصر إندفعت من وحى وطنيتها لتشارك فى المعركة ..

كانت القوات المسلحة ترغب فى المشاركة فى هذا العمل الذى بدأ من أواخر ١٩٥١ وعملت العديد من العناصر الوطنية والحرة التى فى الجيش على المساهمة فى الكفاح المسلح بصورة أو بأخرى ونحن نعلم الدور الذى لعبه العديدمن الضباط الأحرار فى هذا فتولوا تدريب الفدائيين وكانوا يزودونهم بالأسلحة ويرشدونهم إلى معسكرات الانجليز ..

المهم أن بدء الكفاح المسلح كان عملا مفاجئا لحكومة الوفد ولم تستطع حكومة الوفد أن تمنعه ، ووضح أن الملك مثلما فوجىء بقانون الغاء المعاهدة فوقعه لاحراج الحكومة كان يفكر فى عمليات أخرى لاحراج الحكومة فالأحراج كان سياسة متبادلة بين الحكومة والسراى وكان علينا أن نتوقع أنه فى هذا الجو والعدو الأساسى موجود فى القناة ودخل القاهرة بصور شتى . كنا نعلم أن هناك مؤامرات تتربص بالحركة الوطنية وبالذات بحركة الكفاح المسلح فبدأنا نحذر الحكومة الوفدية من هذا كله ..

ونتيجة للدور الملتوى والمزدوج الذى لعبه وزير الداخلية فؤاد سراج الدين بدأنا نركز النيران عليه أيضاً فى هذا الجو الذى كان يجمع بين الاستعماريين والسراى وفاروق وفؤاد سراج الدين شخصياً .. وميزنا بين سراج الدين وبين النحاس وحكومة الوفد ودعونا النحاس إلى التخلص من سراج الدين كوزير للداخلية وأن يتيقظ للمؤمرات التى تحاك للاطاحة بالحكومة الوفدية ..

لقد وقفنا بجوار حكومة الوفد ودعوناها لتصمد وقلنا أن الاطاحة بها جزء من عملية الايقاع بالحركة الوطنية الديمقراطية فى البلاد ..

وكان الدور المزدوج والملتوى لفؤاد سراج الدين أنه كان كوزير لداخلية الحكومية الوفدية مسئول عن ما بعد الغاء المعاهدة فالغاء المعاهدة ليس عملا قانونياً بحيث يتم باصدار القانون والتوقيع عليه وإنما هو عمل وطنى شامل . أذن أصبح وجود القوات البريطانية فى مصر وجود غير شرعى .. ولا بد من اتخاذ موقف من القوات البريطانية .. ولابد من إتخاذ موقف من العاملين من المصريين ولابد من إتخاذ موقف من الفدائيين الذين يهاجمون القاعدة البريطانية الموجوده فى مصر والذين يحاربون الوجود البريطانى المسلح فى المنطقة .

هذا كله كان يجب أن يتم .. ولم يتم . لقد أخذوا إجراء فدعوا المواطنين العاملين مع الجيش الإنجليزى إلى الانسحاب من القاعدة فأنسحب المصريون طواعية ولم يتم ترتيب عمل لهم إلا بطريقة سيئة جداً مهينة .. وفى نفس الوقت لم يتم تأمين حركة الكفاح المسلح وهذا شىء أساسى ...

وتأمين هذه الحركة ليس فقط باتخاذ إجراءات تضع السلاح فى أيدى الفدائيين وتنظيم عملية تعبئة جماهيرية واسعة داخل البلاد وفقاً للمطلب الذى كان ينادى به الشعب كله وشباب الجامعات بالذات وشباب العمال فى المصانع لم يكن يكفى هذا وإنما كان المطلوب أيضاً التيقظ للمؤامرات التى تحاك للاطاحة بالحركة الوطنية المسلحة ككل وللاطاحة بالجو الديموقراطى الموجود فى البلد وللاطاحة بالحكومة الوفدية نفسها . هذا كلة كان يجب التدبير له .. ولم يتم . وإذا كان يتم فانه يتم بضغط الجماهير وبشكل متراخ ناقص ومهلهل بحيث أنه فى نهاية الأمر مهد

الطريق للرجعية أن تتحرك وبدأ الملك يسترد قواه وبدأ أيضرب فى الحكومة الوفدية ويشاكسها مثل تعيين حافظ عفيفى أو عبد الفتاح عمرو وكان الأساس فى ذلك أن الملك يختبر قوته وهل يستطيع أن يأخذ اجراءات ضد حكومة الوفد أم لايستطيع . لكن حكومة الوفد وبالذات الداخلية التى كانت فى يد فؤاد سراج الدين لم تتخذ كل ماكان ينبغى أن تتخذه فى مثل هذا الوضع الخطير ..

ولم يكن هناك شيء يمنع الحكومة الوفدية من اجراء هذا من أول يوم لو دخلت بالغاء المعاهدة ومعها سلسلة الاجراءات اللازمة.. كان كل البرلمان وكل الوطنيين فى البلد قابلوا هذا بالاجماع .. الذى حدث أنها قامت بالغاء المعاهدة تحت ضغط الجماهير لكن مناورة ضد فاروق ، وعلى أمل وتوقع أن فاروق لن يوقعها . فتحدث أزمة يمكن أن تطيح بفاروق وتكسب الحكومة الوفدية لأن الإنجليز فى هذا الوقت كانوا قد تخلوا عن فاروق .. وبدأ هو يشعر بذلك فبدأ يستدعى الأمريكان . الإنجليز كانوا من ٤٧ ، ٤٨ يناقشون قدرة فاروق على الحكم وأتذكر أنا أن هناك مقالا صدر يمكن فى ٤٧ أو ٤٨ فى مجلة « الايكونومست » يتساءل عن هذا . لكن كل تقديرهم أنه مازال لدية بعض القدرة .

ويوم توقيع المعاهدة ، قرر الإنجليز التخلى عن فاروق نهائيا وبدأ فاروق يلجأ للبحث عن سند أمبريالى آخر وهو الأمريكان .. كانت له صلات بالأمريكان قبل ذلك لكن بدأ يعتمد اعتماداً أساسيا ابتداء من هذا التاريخ على الأمريكان .

تداعت الأحداث إلى الوضع الذى رأينا فيه النظام الملكى يتداعى أمام الجماهير . لما ولد ابن فاروق فى يناير ٥٢ المظاهرات كانت فى الشوارع

تهتف ضد فاروق وضد زوجة فاروق وضد إبنه .. ومع ذلك فاروق يتحدى الحكومة ويتخذ إجراءات ليرى إلى أى مدى تستطيع الحكومة أن تقف فى وجهه . لكن الحكومة نفسها كانت تخشى حركة الجماهير وهذا هو المهم وبالتالى لم تتخذ الإجراءات الضرورية لمواجهة كل من الإنجليز وفاروق .

فى هذا الوقت الجماهير كانت فى الشوارع تهتف بالكفاح المسلح . تسليح الجماهير .. تطالب بخلع فاروق .. تطالب بالحرية والديمقراطية لجميع فئات الشعب . حكومة الوفد لم تستطع السير فى هذا الوضع وكانت عاجزة عن السير بالوضع إلى ما يناسب الضرورات الوطنية ولذلك كانت حادثة بلوك النظام دليلا على مدى عجز الحكومة عن إتخاذ إجراء. فالحكومة صدرت قوات بلوك النظام لمواجهة قوات الجيش البريطانى الحديثة فكانت مذبحة يوم ٢٥ يناير ، هذه المذبحة لا يمكن للناس فى مصر أن تسكت عليها وبالتالى من ليلة ٢٥ كانت أنباء المذبحة عند كل المصريين ومن صباح ٢٦ يناير ١٩٥٢ كانت كل الناس تتكلم عن عجز الحكومة الوفدية عن مواجهة الأوضاع وعن تواطؤها مع كل أعداء الحركة الوطنية المصرية. هذا هو الوضع الذى كنا فيه يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ . من هنا نزول بلوكات النظام فى القاهرة ونزول بعض الضباط من البوليس معهم وشباب الجامعة ونزول الجماهير الوطنية فى الشوارع كان أمراً طبيعياً وكان يجب على الجميع أن يتوقعوا . إذا كانت حركة الجماهير فى يوم ٢٦ يناير قد طالبت بالسلاح وبالتوجه إلى القناة فكان وراء هذه الحركة فهم سليم لطبيعة الثورة الوطنية الديمقراطية فى مصر وتحديد سليم لأعدائها وكانت الجماهير عندئذ تضع حكومة الوفد أمام مسئوليتها التاريخية لكنها كانت قد حكمت عليها فى الحقيقة من قبل هذا اليوم بالعجز .. لا أقول بالخيانة لأن الوفد

فى مجموعه كان حزب البراجوازية الوطنية وإن كان قد أسلم قيادته لعناصر عديدة من بقايا الإقطاع وكبار الرأسمالية لكنه كان يمثل فى جمهرته البرجوازية الوطنية بوطنيتها وترددها وبطبيعتها المزدوجة المعروفة .

من هنا فى هذا اليوم الذى بدا للجماهير هو عجز الحكومة وإنها ليست فى المستوى وليست خيانتها وإنما هذا يصل إلى حد التواطؤ الموضوعى مع أعداء الثورة الوطنية الديمقراطية وهم فاروق والإنجليز .

يوم ٢٦ يناير بدأ بمظاهرات وطنية صاخبة واتجهت الجماهير الغاضبة إلى الحكومة تطالبها بالسلاح وبالتوجه إلى القناة . الحكومة فى هذا اليوم لم تواجه الجماهير إلا بالخطب ولم تجد سوى عبد الفتاح حسن لتقديمه للجماهير وكان يمثل عنصراً أكثر تقدما من عناصر كثيرة فى الحكومة الوفدية وكان يستطيع أن يخاطب الجماهير ولكن خطبته يومها كانت دون المستوى الجماهير كانت تريد فعلا لا كلاما ولذلك كان من السهل فى هذا اليوم بدء أى أعمال عنيفة .

الحريق بدأ من الأوبرا بحريق كازينو أوبرا . الحريق بدأ بواسطة فتوة معروف فى حى بولاق إسمه إبراهيم الأبيض تقريبا وكان معروفا أن هذا الفتوة له صلات بالإخوان . بدأ الحريق من هناك جماعات الحريق بدأت تنتشر فى القاهرة بعد ذلك .

لكن نقطة البداية هى كازينو أوبرا لأن المظاهرات زمان كانت تتجمع فى ميدان إبراهيم باشا (ميدان أوبرا) ومنه تتجه أى إتجاهات وأساسا إلى البرلمان أو إلى الحكومة . من هنا كان التجمع الوطنى الأساسى يتم دائما فى ميدان الأوبرا . هذه العملية لم تلبث أن إنتشرت فى القاهرة إنتشارا لا يمكن ألا أن يكون إنتشاراً منظما . الإنتشار المنظم للحريق بدأ من سهولة الحرق

فطبيعة الأدوات التى استعملت كانت تشعل الحريق فى لحظات فى نفس الوقت الإختيارات التى تم بها إشعال الحرائق والأماكن التى تم إختيارها لاشعال الحريق وكانت فى أغلبها أجنبية وجزء كبير منها إنجليزى ولكن لم تلبث أن امتدت أيضاً إلى الأماكن غير الأجنبية وتمت عملية نهب فى نفس الوقت مع الحرائق وأنا لا أعرف الوسائل التى استخدمت وإنما أبنى حكمى كشاهد من الخارج فالحرائق كانت سريعة جدا مما يدل على أن هناك مواد معقدة للاشتعال السريع أى أنه ليس مجرد عود ثقاب أو قليل من الكيروسين أن لم يكن فيها عنصر البدائية والتلقائية مما يدل على أن هناك أدوات ومواد مستخدمة بأعداد وبتدبير سابق ..

حريق القاهرة فى هذا اليوم ظروفة معلومة إبتداء من وجود ضباط الجيش عند الملك للغداء .. تراخى وزير الداخلية فى الوصول حتى إلى مكتبه .. وعدم وجود رئيس الحكومة فى موقع الحكومة لاتخاذ قرارات بمفرده .. وحتى لوكان مريضاً فالمفروض أن يتحرك والقاهرة تحترق ..

وأكتملت المؤامرة التى كان مقدرا لها أن تحرق الكفاح المسلح وتحرق حكومة الوفد .. بنزول الجيش وإعلان الأحكام العرفية .. كثيرون يدينون حكومة الوفد لأنها أعلنت الأحكام العرفية .. هل أى حكومة أخرى كانت موجودة وحدثت نفس الأحداث كانت ستسلك طريقا آخر غير إعلان الأحكام العرفية ؟ ..

تفسيرى أنا أن الوفد ترك نفسه يتردى من مؤامرة إلى مؤامرة تحاك له إلى أن أصبح فى نهاية الأمر أعجز عن أن يرد على المؤامرة التى قصد بها خنقه وقتل حكومته طبعا كان من الضرورى إعلان الأحكام العرفية لمواجهة أوضاع فى غاية الخطورة والشذوذ وهى حرق عاصمة الدولة ..

ولكن كان من المفهوم أنه عقب إعلان الأحكام العرفية كان من المفروض فوراً إقالة حكومة الوفد وبالتالى ترك الوفد نفسه تحت رحمة فاروق ليخنقه ويجهز عليه .

ليس هذا هو المهم فى تقديرى .. المهم أن هذا كان متوقعا منذ اليوم الأول لالغاء المعاهدة كنا نحذر حكومة الوفد من مصيرها فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

س : إذن من الذى أحرق القاهرة . . وهل كان الحريق مدبرا أم عفويا . . أم نصف مدبر ونصف عفوى ؟

ج : طبقاً للتحليل السياسى الذى قدمته أنه كان لا بد من إحباط الحركة الوطنية بعمل كبير . . وأصحاب المصلحة فى أحباط الحركة الوطنية هم فى المقام الأول الاستعماريون الإنجليز والأمريكان . وبعيد عن تحليلنا بالمرة أى دور يمكن أن ينسب للوفد . . بالطبع يمكن أن ينسب للحكومة الوفدية وبالذات لوزير الداخلية الإهمال وهو تواطؤ موضوعى . . لأن الإهمال سهل مهمة الأعداء الأساسيين للحركة الوطنية . . لكن لانستطيع أن نتهم سراج الدين بالاشتراك فى هذا الحدث . .

ويبقى الموقف بين فاروق وبين الاستعماريين الإنجليز والأمريكان .

أما دور فاروق فلا أعتقد أن فاروق قام بدور مباشر فى عملية الحريق إنما اعتقادى أنه كان يلعب للاطاحة بحكومة الدفد . وعندما اندلعت المظاهرات أولا والحرائق ثانياً لا بد أن أنه ابتهج إذ أتت الفرصة السانحة للاطاحة بحكومة الوفد وبالتالى كان يعمل على تأخير نزول الجيش وابقائه كبار الضباط . ضباط الجيش والبوليس عنده فى السراى وإحراج حكومة الوفد أكثر وأكثر حتى يمكن فى نهاية اليوم أن يصدر قراره باقالتها .

س : يبدو انك تقيم فرقا بين الإنجليز والأمريكان وبين فاروق .

ج : طبعاً لأن فاروق عندئذ كان قد تقرر التخلى عنه الإنجليز والأمريكان وكان التدبير يتم من قبل الاثنين وبالذات من قبل الأمريكان لاحلال نظام آخر محله .

س : التى جزء من الشبهة على القلم المخصوص أو سياسى باعتباره إدارة فاروق ما رأيك ؟

ج : القلم المخصوص لم يكن إدارة فاروق وإنما كان تابعاً للإنجليز وكانت التقارير التى يتوصل إليها يرسل أصلها للسفارة البريطانية وصورة منها لفاروق .

س : أريد أن تحدد لى موقف الشيوعيين فى هذا اليوم سواء من حيث دورهم السياسى فى الأحداث . . هل شاركوا فى الحريق أم لا ؟ لماذا لم يحاولوا منع الحريق طالما أنهم ضد التخريب ؟

ج : أولا الشيوعيون كانوا يتوقعون حدوث هذا اليوم وحذروا منه الحكومة وكان تحذيرهم واضحا فى كتابات نزلت كما قلت من قليل مثل (راية الشعب) ومنشورات عديدة من كل التنظيمات الشيوعية المصرية . . وكنا جميعاً نحتضن حكومة الوفد وتقف إلى جانبها ضد مؤامرات السراى ضد الخطر الأكبر من جانب الإنجليز . إذن كنا نتوقع هذا اليوم . . عندما تم اليوم كان الشيوعيون فى الشارع مع الجماهير وهذا منح هذا اليوم طابع سياسيا ناضجا فكانت الشعارات المرفوعة هى الكفاح المسلح . . تسليح الجماهير . . التوجه إلى القناة وإلى جانب هذا كان هناك فضح للنظام الرجعى الاستعمارى الاقطاعى كان فضح لفاروق . . فضح للإنجليز . . بل وصلنا فى هذا اليوم إلى حد المطالبة بالتعاون مع الإتحاد السوفيتى .

فلما بدأ الحريق كان أعمالا متفرقة ومشتعلة وصغيرة هذه الأعمال كان موقف المظاهرات منها رفضها لكن استطيع أن أقول أن الجماهير لم تكن ضد أعمال حرائق تعيب المتاجر والأماكن التابعة للإنجليز الأجانب بل كان هذا يحدث نوعاً من الرضا وهذا كان أمراً طبيعياً زمان بالنسبة لأوضاع الإنجليز الأجانب المسيطرة على السوق المصرية . هذا لا ينفى أنه عندما كانت تندلع بعض الحرائق فى مكان فيه مظاهرة كان الشيوعيون الموجودون يوجهون الجماهير بدلا من حريق هذه الأماكن إلى التوجه لسراى عابدين أو للسفارة البريطانية . . لكن استطيع أن أقول أن أحداث الحريق كانت متفرقة وفى النهاية شكلت حرق القاهرة مما يكشف عن أن حركة الجماهير بعيدة تماما عن الأعمال التى تمت . . وبالنسبة للشيوعيين لا يمكن أن يكونوا قد شاركوا فى هذا اليوم لأن دورهم واضح من قبل هذا اليوم وخلاله . . ولأنهم عارفون بأن أى انتكاسة فى الحركة الوطنية سيكونون فى مقدمة الناس من الضحايا . . وهكذا حدث . . أنه بأعلان الأحكام العرفية فى نهاية يوم ٢٦ يناير بدأت الاعتقالات فى الساعات الأولى من يوم ٢٧ باعتقال الشيوعين والفدائيين والوطنيين فى مقدمة الذين تم اعتقالهم . . فلامجال لأتهام الشيوعيين بالحريق . . .

س : إذن لماذا لم يقوموا بدور إيجابى فى منع الحريق ؟

ج : فى الواقع لانستطيع أن نحمل الشيوعين بأكثر مما كانوايستطيعون فى ذلك اليوم . . فى ذلك اليوم كانت القاهرة كلها فى الشوارع . لانستطيع أن نقول أن المظاهرة كانت مظاهرة فى ميدان الأوبرا ثم انتقلت إلى شارع كذا . . كانت الشوارع كلها ممتلئة بالجماهير وكان توجيه المظاهرات من مكان إلى آخر أمرا عسيرا جداً وبالتالى كانت المهمة فى

منتهى الصعوبة . وهذا دليل آخر على أنّ الذين كانوا يحرقون فرقة مجهزة ومعدة .

بالنسبة للشيوعيين فى ذلك اليوم واجهوا فيما بعد ناسا يقولون كان من الواجب على الشيوعين أن يستولوا على الحكم فى ذلك اليوم وخرجت أفكار تقول أن ذلك اليوم ثورة ويمثل عملية ثورية وبالتالى تمهد لاستيلاء الشيوعيين على الحكم . . طبعاً هذه آراء يسارية مغامرة تتسم بالطفولة وتعجز عن فهم حركة الجماهير ومعنى الثورة . . الثورة ليست انقلابا أو تمردا وليست انتهاز فرصة غياب سلطة الدولة لبعض الوقت . . وإنما الثورة عمل تاريخى كامل له إعداده وجماهيره وطليعته والدور الذى يحسم به والاستيلاء على السلطة وليس مجرد وجود البوليس فى الشارع يتظاهر مع الشعب أو وجود جماهير غفيرة تطالب بعزل فاروق أو بتصفية الإنجليز فهذا يعتبر كافيا لاستيلاء الشيوعيين بالذات على الحكم . . لأن هذه العملية ثورة ضخمة تتناول قوى وطنية عديدة وليست الطبقة العاملة وحدها وقيادات وطنية عديدة وليس الشيوعيون وحدهم . وبالتالى كان أى عمل مغامر فى هذا اليوم يلجأ إلى أن الشيوعيون يستولون على نقطة بوليس ويستولون على السلاح ويبدأون عمل .. كان يعنى إغراق حركة الجماهير فى مذبحة دموية لامثيل لها ليس فقط حرق القاهرة وإنما ذبح الجماهير فى شوارع القاهرة بحركة أفظع من حركة كومسيونة باريس وكان المبرر واضحا ومعطى سلفا لأعداء الشعب .

إحنا فى حوالى عام ١٩٥٠ عندما أتى الوفد ركزنا المعركة على القضية الوطنية وفى هذا الوقت شكل الحزب الإشتراكى المصرى بقيادة أحمد حسين وتشكل الحزب الوطنى الجديد بقيادة فتحى رضوان وكان موجود

الشيوعيين . نحن فى هذا الوقت دعونا لجبهة شعبية كان المقصود بها جبهة وطنية ديمقراطية تضم كافة القوى الديمقراطية والوطنية والتقدمية فى البلاد . بالطبع كان هذا أيضاً مفتوحا لليسار الوفدى أو للطليعة الوفدية التى كانت موجودة ونجحنا عندئذ فى توجيه الدعوة لكافة هذه التنظيمات السياسية ودخلنا فى عملية وحدة العمل مع الحزب الإشتراكى بالذات ودخلنا فى وحدة عمل من اليسار الوفدى وبالنسبة للحزب الوطنى الجديد لم نتوصل لدرجة متقدمة معه . بالنسبة للعناصر الديمقراطية والوطنية التى كانت موجودة وقتها مثل احسان عبدالقدوس على رأس دار روزاليوسف وكانت منبرا من المنابر الوطنية والديمراطية وقتئذ . وكان العمل مشتركا بين إحسان وأعوانه وبين التقدميين المصريين . ودعونا بعد هذا جبهة قيادات تنظيمية وكان دورنا بارزا فى التعاون مع الحزب الإشتراكى .. حزب أحمد حسين . وفى الضغط عليه لتعميق الاتجاهات الإشتراكية والتقدمية بداخله وكان معروفا أن له إتجاهات فاشية من قبل وإن الإتجاه الإشتراكى الجديد كان ممكن أن ينطوى على فاشستية . وبالطبع كان ممكن للوفد أن يلعب الدور الأكبر لو كانت قيادة الوفد قيادة ديمقراطية وطنية منتهية لقضية الشعب لأنه عند ئذ كانت الجبهة الوطنية جاهزة وكنا نجحنا تماما فى تحديد وتصفية أعداء الشعب لكن لم يحدث .

س : ننتقل إلى دور الحزب الإشتراكى وأحمد حسين .. وقيل أن له دورا فى حريق القاهرة فما تقديرك لدوره ؟

ج : ليس له دور فى الحقيقة . لم يشارك فى حريق القاهرة كما أراد فاروق أن تصوره كانت أخطاء أحمد حسين واضحة وكانت بدايات إشتراكية وموقف وطنى . بالطبع كانت هناك مواقف خاطئة من جانب أحمد حسين مثلا فى ذروة المعارك الوطنية كان يقف ويطالب فاروق

بإقالة النحاس وتعيين على ماهر رئيسا للحكومة . . كان ذلك يحدث أولا : إنقسام فى الجبهة التى كان من الممكن أن تتجمع ضد فاروق والإنجليز . ثانياً : كان يعطى أملا فى أن عنصراً مثل على ماهر ليس على رأس حزب وإنما هو من أفراد الأقلية وهو رجل السراى يحكم مصر بينما زعيم الوفد يقال ويترك الحكم بطريقة غير دستورية . مثل هذا الموقف من أحمد حسين كان يتم تشجيعة من قبل مصطفى أمين ودار أخبار اليوم . وهذا موقف سياسى خاطىء جذريا لأنه لا يحدد العدو ولا الحليف ويخطىء فى هذا التحديد وبالتالى يحول التناقضات الثانوية لتناقضات رئيسية والتناقضات الرئيسية لثانوية .

س : هناك تفسير آخر للموقف وهو فى جزء منه أن أحمد حسين كان يرى أن العدو الرئيسى للشعب هو الملك والإنجليز . وأن الوفد يقف عازلا بين الحركة الشعبية وبين الأعداء . وأنه من الواجب تركيز النيران على الوفد وكشفه باعتبار أن هذه ضربة رئيسية وهو ليس العدو الرئيسى للثورة ولكنه الحليف الذى يأخذ الحركة الجماهرية تحت جناحه ومع ذلك يعزلها عملياً عن اتجاهها الطبيعى . طبعاً هناك خطأ فادح اعترف به بنفسه وهو الاتجاه لعلى ماهر .

ج : هذا تفسير ما بعد الأحداث .. واعتقاى أن أحمد حسين كان تحت تأثير من السراى وكان الوسيط هو مصطفى أمين وعلى أمين . كانا يحاولان استخدامه لمصلحة السراى ضد الوفد هذا بوضوح . فبدأ ينزل بفكرة اقالة حكومة الوفد وتعيين حكومة على ماهر . وأذكر أننى كنت حاضراً لمؤتمر من المؤتمرات وكان هو يلقى فيه خطايا .. شىء صعب جداً لا يمكن تبريره .. وهذا الموقف السياسى الذى كان يحاول استخدام

أحمد حسين — ولا أقول إنما مستخدم فعلا — كانت له مواقف جذرية خاطئة وهـذا موقف سياسى منها . . فى يوم ٢٦ يناير . . أحمد حسين بنزعته الزعامية نزل يلف .

س : ولكن كل الوقائع والشهود تنفى ذلك .

ج : الوقائع التى لدينا أنه نزل بعربته يتجول بها فى شوارع القاهرة .

س : هذا ما أشاعته المباحث .

ج : على أية حال أنا لادعم هذا الجانب لأننى أنفى عن أحمد حسين وعن حزبه الاشتراكى أى تهمة فى حريق القاهرة .

س : البعض يعتبر أن كتابات أحمد حسين ضد دون اللهو والسينمات والخمور وهذه النواحى والتركيز عليها كثيراً ساهم فى إعداد خريطة الحريق .

ج : وهو ما يجعل هناك مناخا مواتيا لعملية الحريق .

س : اذن أنت لاتشك فى اشتراك أحمد حسين أو حزبه فى الحريق ؟

ج : اطلاقا .. لقد قمنا فوراً بتوزيع منشور ينفى عنه التهمة وعن حزبه وقلنا أن اعتقال أحمد حسين هو محاولة لإخفاء الفاعل الأصلى .

وقد تم هذا بمجرد القبض على أحمد حسين .. وكتبنا أيضاً سلسلة من المقالات والمنشورات دفاعاً عن أحمد حسين وتضامناً معه حتى فى المحكمة وأتفقنا مع عدد من المحامين للدفاع عنه بل وعملنا حملة من أجله .. لقد وقفنا بجانبه وقوفاً ثابتاً كجزء من محاولة إثبات المؤامرة كلها .

س : والإخوان المسلمون ؟

ج : لا أعتقد أن الإخوان المسلمين شاركوا كتنظيم .. إذا كانت هناك عناصر قد شاركت فهى عناصر منطلقة من مواقفها الذاتية ولكن ليس كتنظيم .

س : وهل ينسحب نفس الشيء على الشبان المسلمين .

ج : نفس الشيء .

س : عناصر وفدية ؟

ج : نفس الشيء .

س : بالنسبة للوفد كان هو حزب الأغلبية والحاكم فى هذا الوقت .. فهو حزب هام كان له قيادات وضباط .. الخ فما تقييمك لوقوفه عاجزاً فى هذا اليوم كحزب وليس كحكومة ..

س : الحرس الحديدى . هل سمعتم أى إشارة لاشتراك الحرس الحديدى باعتباره تنظيما ملكيا فى هذا الحادث .

ج : الحرس الحديدى كان تنظيما سريا عسكريا ارهابيا تابعا للملك وكانت مهمته إرهاب خصوم فاروق فى البلاد ولم يكن المقصود منه القيام بحركات جماهيرية ولا القيام بأعمال عنف وتخريب واسعة النطاق لأن أفراده محدودون من ضباط الجيش الذين يثق فيهم فاروق والذين كانوا على صلة مباشرة به . فتفكيرهم كان أتوقراطياً أرهابياً معادياً لحركة الجماهير وحزب الوفد وقيادته الشيوعية وكانت مهمتهم الأساسية أرهاب خصوم فاروق بما فى ذلك الإغتيال .

س : بالنسبة للضباط الأحرار هناك من يقول أنهم هم الذين أحرقوا القاهرة ؟

ج : لا .. هذا افتراء . تنظيم الضباط الأحرار كان موجوداً وقتها وكان دوره الأساسى هو تدعيم حركة الكفاح المسلح فى القناة وفضح فاروق على رأس النظام الملكى الرجعى فى مصر والوقوف فى وجه الإنجليز وبيان عجز الحكومة وبالتالى لم تكن مهمتهم حرق القاهرة لأن هذا معناه وقف كل هذا المد الوطنى والبدء فى عملية جزر وطنى ديمقراطى يعم البلاد فيها الظلام والقمع ..

شهادة الدكتور محمد عصفور

– عضو هيئة الدفاع عن الأستاذ أحمد حسين فى قضية التحريض على حرق القاهرة .

* يوم ٢٦ يناير ظهرا كنت قد إنتهت من حضور محكمة إستئناف القاهرة . وأنا نازل على السلم وجدت تجمهراً عند سينما ريفولى . وفجأة وجدت عملية تكسير شديدة فى الأبواب الخارجية ، وبعدها بقليل أندلعت النيران فى السينما . وحصل هرج شديد فى المنطقة .. بدأت تجمعات تأتى .. وأتجهت أنا إلى مصر الجديدة حيث كنت أسكن وبعد الظهر نزلت لمكتبى بوسط البلد . كانت المواصلات كلها مقطوعة .. فأخذت تاكسى أنا وبعض الأشخاص . وصلت البلد كانت الساعة الخامسة أو الخامسة والنصف . كانت المظاهرات لاتزال موجودة . والنيران مشتعلة فى أماكن متفرقة على طول الطريق من العباسية إلى البلد .. لكن معظم النيران كانت بشارع فؤاد وشارع رمسيس وخصوصا عمارات الشواربى . مشيت ناحية ميدان الأوبرا لاستطلع الجو .. وكانت الساعة حوالى السادسة أو السادسة والنصف تقريباً كانت المطافى لاتزال تعمل .. لكنها لاتتمكن من أداء مهمتها بسبب محاولات بعض الأشخاص تمزيق الخراطيم .. وقد رأيت بنفسى بعض خراطيم المطافى ممزقة فى

* مسجلة صوتيا فى إبريل ١٩٧٥ .

الشارع .. والتقيت فى هذه اللحظه بالأستاذ عبد العزيز للشوربجى الذى أبلغنى أنه سمع بإعلان الأحكام العرفية ، وذهبت لمكتبى .. لكننى نزلت عندما وجدت نفسى وحيداً به . وقمت بجولة فى شارع قصر النيل فوجدت النيران مشتعلة .. والتقيت عند البنك الأهلى بأحد المستشارين الذين نظروا بعض قضايا حريق القاهرة فيما بعد وهو شفيق بك أحمد وكانت الساعة حوالى السابعه والنصف . وعدت إلى بيتى بتاكسى .. وعندما وصلنا إلى ميدان العتبة سمعنا أعيرة نارية .. وكان الجيش قد نزل .. ووصلت مصر الجديدة .

التجمعات التى كانت موجودة أمام سينما ريفولى كانت تجمعات كبيرة تتراوح بين ٢٠٠ و ٣٠٠ شخص . وأذكر أننى أقتربت حتى وقفت بين الأمريكيين والمحكمة .. وأكاد أقطع أننى رأيت بين الذين يحرقون ويدمرون بعض الأشخاص الذين يلبسون عباءات بيضاء أو ملثمين .. ويكاد يكون طابع المشيخة هو الطابع المميز لهذا التجمهر بالذات .

س : متى لاحظت وجود الجيش فى الشارع ؟

ج : رأيته حوالى السابعة والنصف أو الثامنة .. لكن يجوز أنه كان موجوداً قبل ذلك ..

س : ألم تر غير حريق سينما ريفولى ؟

ج : أنا رأيت بداية حريق ريفولى .. وشاهدت حرائق أخرى..وإن كنت لم أشهد بدايتها ..

س : تعتقد أن الذين حرقوا ريفولى .. كانوا مجموعة صغيرة .. ثم تجمهر العدد الكبير الذى شاهدته .. أم أن الكل أحرق ؟

ج : ماأتصوره أنه كانت توجد عدة مجموعات متناثرة على دور اللهو المختلفة .. ويبدو لى أنة فى كل دار سينما أو دار لهو كبيرة كانت توجد مجموعة كبيرة تتولى عملية الحرق والتحطيم ..

س : هل لاحظت بالنسبة لحريق سينما ريفولى .. وقد حضرت بدايته .. وجود مثل هذه المجموعة ؟

ج : التزاحم الشديد لايسمح برؤية محددة ..

س : هل رأيت التجمهر وهو متجه إلى سينما ريفولى قبل الشروع فى التخريب .. أم رأيته وقد تكون أمام السينما بالفعل .. وعمليات التخريب تتم .. ؟

ج : أنا رأيت التجمهر بعد أن تم فعلا .. إنما بدايته للاسف لم أرها .. وربما لو رأيت البداية لاستطعت تبين ملامح أشخاص ..

س : من مشاهداتك .. وماسمعته .. هل يمكنك تقديم تقرير لكيفية حدوث الحرائق .. ونوعية الناس الذين كانوا يتولون إشعالها ؟

ج : فى تقديرى أن هذا الحريق كان من أخطر الأحداث التى مرت فى تاريخ مصر .. وأثرت فيما بعدها من أحداث . وهى عملية مدبرة .. وعلى مستوى عال جداً .. وقد تكون هناك دول كبرى مشتركة فى هذا التخطيط ولا أستبعد إطلاقاً أن تكون انجلترا وأمريكا مشتركتين فى هذا التدبير . كل منهما حسب الأعوان التابعين لهما فى ذلك الحين . وكان المقصود به الإطاحة بنظام حكم الوفد .. وكان الشىء الوحيد الذى يمكن بواسطته إسقاط حكومة الوفد هو مثل هذا الحريق المدمر ؛ والذى لايمكن بالمرة أن يتم عفواً ، وإنما لابد أن يكون بطريقة منظمة وعن طريق

أناس أخصائيين في الحرائق •• وفي تقديري أنه لابد أن تكون هناك مجموعات سرية منظمة ومدربة على عمليات الحريق هي التي تولته . ولا أتصور أبداً أنها مجرد نزعة شريره ، أو توافق على الإيذاء كما يقولون في القانون •• هي التي أدت إلى مثل هذا الحريق الخطير ..

س : هل تستطيع تقديم أي أسانيد تثبت فكرة التدبير ؟

ج : الأسانيد ليست في حاجة لمن يبحث عنها . نفس الحريق بجسامته وانتشاره الواسع .. وفي التدبير له بطريقة تعجز معها قوات الأمن والمطافي أن تحصره في مكان دليلا كافيا •• أكثر من ذلك أن عمليات الحريق تمت بيد أخصائيين •• وأخصائيين مدربين • لايمكن أبدا أن يكون الحريق بعود كبريت وصفيحة جاز •• إنما لابد استخدمت مواد شديدة الاشتعال •

س : يقال أن حريق القاهرة كله بدأ بحادث عفوي تلقائي هو حريق كازينو أوبرا •• وأنت دخلت في القضية واطلعت على التحقيقات •• هل تعتقد أن حريق كازينو أوبرا كان عفوياً ؟

ج : إذا كنا نذكر التاريخ •• فلا يمكن أن نقول أن حادث المالطي الذي حدث في الإسكندرية قبل ضربها •• كان حادثاً عفوياً • إطلاقاً •• ضرب الإسكندرية رأيته كان بتدبير من الإنجليز •• وأظن العفوية لايمكن تصورها في حريق ضخم كحريق عاصمة بأسرها •• البداية ليست عفوية •• الجائز أن تظهر للناس على أنها عفوية ولكن هذا لايمكن أن يخفي وجه التدبير في الحريق كله •• وليس معقولا أن يبدأ الأمر عفوياً •• ثم يحدث التدبير بهذه السرعة ، والاتساع ••

س : من ملاحظاتك في تتبع القضية •• هل استطعت أن تحصر المواد والأدوات التي استخدمت في الحريق ؟

ج : أنت اطلعت أيضاً ٠٠ وفى تصورى أن أمورا معينة أغفلت تماماً فى التحقيق ٠٠ ولو أن التحقيق أجرى بالدقة التى كان يفترض أن تتم به ٠٠ على أساس أنه حادث غير مدبر ٠٠ ولاعلاقة لأى جهة حكومية به .. لأتخذ التحقيق وجهة أخرى تماماً ٠

س : ما الذى أغفله التحقيق فى رأيك ؟

ج : المواد المستعملة ٠٠ ووسائل النقل التى استخدمت فى نقل المواد شديدة الاشتعال ٠٠ من أين أتى كل ذلك ٠٠ وكيف صرف ؟

س : هل حصرتم أنتم هذه الأشياء ، حتى تستطيعوا توجيه الإتهام لسلطات التحقيق بأنها أغفلت أشياء محددة ؟

ج : فى الواقع نحن كل ما كان يعنينا هو تبرئة شخص كان النظام الملكى يريد رأسه بأى طريقة كانت ، لأنه كان يتصور أن هذا الشخص وراء الحملة لتغيير أسس النظام الاجتماعى ٠٠

س : هناك من يتهم الشيوعيين بأنهم أحرقوا القاهرة ٠٠ مارأيك ؟

ج : أنا لست شيوعياً ٠٠ وإنما من الذين يعتقدون بضرورة إتاحة الفرصة لجميع الآراء للتواجد فى المجتمع ٠٠ والشعب يختار مايريد ٠ ولا أتصور أن هذه هى الطريقة التى يلجأ إليها الشيوعيون ٠٠ ثم لماذا ؟ ٠٠ لكى يسقطوا النظام الملكى ؟ وقوات الاحتلال موجودة ؟ ٠٠ أنا أستبعد هذا ٠٠

س : هناك من يتهم الوفد نفسه بأنه تواطأ بالإهمال .. حتى يتخلص من ضغط القوى الشعبية عليه فى الفترة الأخيرة — مارأيك ؟

ج : هذا أسخف إتهام يمكن أن يوجه للوفد . غير متصور أن يشنق الوفد نفسه بهذه للطريقة .. المسألة مدبرة أساساً ضد الوفد .

س : هناك إتهام أيضاً للاخوان المسلمين بأنهم هم الذين أحرقوا .. ؟

ج : للتاريخ أنا لا أستطيع تأكيد اتهام ضد أحد ، لكن هناك شبهات . وعندما يقال الإخوان المسلمين .. يصح ألا يعنى ذلك كل الإخوان المسلمين .. يصح أن يكون بعض الإخوان المسلمين المتطرفين .. لكن أنا لا أملك دليلا مادياً ..

س : أرجو أن تذكر لى بأمانة الإنسان المسئول .. هل توليت للدفاع عن أحمد حسين باعتبارك محامياً تترافع عن زميل إقتضاك ذلك شرف المهنة .. أم لأحساس شخص أمين بينك وبين نفسك أن أحمد حسين برىء فعلا .. ؟

ج : أؤكد لك أننى لو كنت أشك لحظة فى أن أحمد حسين مشترك فى هذه الجريمة البشعة ماكنت ترددت فى أن أرفض وبشدة الدفاع عنه .. لأننى أعتبر حريق القاهرة أخطر جريمة إرتكبت فى حق الشعب المصرى .

س : هناك من يقول أن أحمد حسين خرج من القضية ليس بحكم براءة فى الموضوع وإنما بحكم إفراج سياسى .. وأنه حوكم فى عهدين فى عهد الملك ثم عهد الثورة ، وأنه فى عهد الثورة كانت له علاقات مع رجال الثورة تسمح «بالتفويت» .. أى أن الثورة أخرجته «تفويتاً» .. فما قولك ؟

ج : كانت الفرصة الأساسية للطريقة التى حوكم بها أحمد حسين قبل يوليو ٥٢ السرعة الشديدة فى إنهاء القضية ، والدور الأساسى الذى قمنا به أنا وزملائى هو أننا كنا نريد أن نفوت على المحكمة هذه الفرصة .. بكثير من الدفاع سواء الإجرائية أو الشكلية .. ثم بالقضية التى رفعتها أنا شخصياً

أمام محكمة القضاء الإدارى بدوائرها المجتمعة طعناً فى قرار الإحالة إلى المحكمة العسكرية نفسه .. كان الغرض الأساسى منه أن أبين أنه لايجوز إطلاقاً أن يحاكم شخص أمام قضاء عسكرى أو محكمة عسكرية نتيجة لإعلان حكم عرفى عن وقائع تمت قبل إعلان هذا الحكم العرفى .. لأن هذا معناه محاكمة إنسان بأثر رجعى أمام محكمة غير مختصة .. كان غرضنا التعطيل ، لأننا كنا ندرك أن الإعدام هو مصير أحمد حسين مع وجود محكمة معرضة ونيابة متعسفة .. ولم تكن هناك أى مجاملة من الثورة لأحمد حسين .. وإلا لجاملة فى التشكيل الوزارى .. وقد أسندت مناصب وزاوية لأحزاب أقل شأناً من الحزب الاشتراكى ..

س – هناك اتهام لجمال عبدالناصر والضباط الأحرار .. أو بعضهم هم الذين أحرقوا القاهرة .. إن لم يكونوا فقط اشتركوا فى الحريق .. مامعلوماتك ؟

ج : عملية التدبير التى تم بها الإحراق غير متصور أن فرداً عادياً يمكن أن يقوم بها .. وإنما لابد أن تكون مجموعة منظمة وفنية هى التى قامت بها . والفن والتخصص لايمكن أن يوجد إلا لدى منظمات قوية .. أومنظمات رسمية . والاتهام الموجه ضد عبدالناصر وبعض الضباط الأحرار أنالاأستطيع أن أنفيه .. وفى نفس الوقت ليس لدى الدليل الذى لاأستطيع أن أقدمه ، وإنما توجد شواهد .. ناس متخصصين .

س : هل تنحصر شبهاتك فى أن الذين قاموا بالحريق ناس مدربون ؟ أم هناك شبهات أخرى ؟

ج : لا .. وإمكانيات أيضاً .. وهى لا توجد فى أى مكان ..

س : إذا كان الضباط هم الذين يملكون الخصائص التى تعتبر ها شبهات.. فقد كانت هناك فى ذلك الوقت مجموعات عديدة تملك نفس الشىء.. مثل المجموعات التى كان يدبرها الإنجليز.. ومجموعة البوليس السياسى التى اغتالت حسن البنا .. وما أطلق عليه الحرس الحديدى .. وإخوان الحرية .. فهل يعتبر الشبهات التى ذكرتها شركة بين هذه المجموعات كلها .. أم تخص مجموعة بالذات بشبهات ؟

ج : لا أستطيع أن أقطع التدبير لا شك تدبير قوى كبرى . كون المجموعات التى اشتركت فى التنفيذ متفاوتة فى الوسائل .. وفى الأغراض .. هذه مسألة أخرى .. ليس هناك ما يمنع ..

س ــ سأعرض عليك الأوصاف القانونية لجريمة حريق القاهرة.. أحمد حسين يعتبرها جريمة « بالترك » .. أى أن الجريمة تمت فى الشارع.. بواسطة أناس لا يحدوهم .. وأن كان الملك بذلك يلقى التبعة على الجماهير.. وأن الملك ووزير الداخلية بعدم عملهم على وقف الجريمة يتحملان المسئولية.. وسماها الجريمة بالترك .

ولما ناقشت الأستاذ عبدالرحيم غنيم النائب العام الذى أشرف على تحقيق الحوادث .. قال أننا نسبناها إلى « التحريض العام » .. و « التحريض الخاص » .. وأن كنا لم تضع أيدينا على الفاعل .. ما رايك ؟

ج : الجريمة ليست جريمة بالترك .. ولا بالتحريض .. أنها مؤامرة، ومؤامرة من أخطر المؤامرات على الشعب وعلى حياته للديمقراطية التى كانت قد بلغت أقصى ذروة لها فى الخمسينات . هى جريمة كبرى تكاد تكون خيانة .. ارتكبها قوى فى السلطة . وخارج السلطة .. وبامكانيات السلطة الضخمة ..

س : هل تتفضل — وأنت من رجال القانون البارزين فى مصر — أن توضح لنا خطورة هاتين النظريتين ؟

ج : خطورة نظرية الجريمة بالترك أنها تغفل تماماً حقائق أساسية فى فهم تاريخ مصر الحديث .. لأن معناها أننا نقول أنها جريمة ارتكبت عن طريق التقصير .. فى حين أنها ارتكبت عن طريق العمد مع الإصرار .. وبمؤامرة مدبرة ومخططة . أما خطورة نظرية التحريض فلان معناها أنها كأى جريمة يمكن التحريض عليها .. كحريق منزل أو قتل فرد .. فى حين أنها جريمة مدبرة ضد حياة شعب بأكمله ..

شهادة الاستاذ صالح عشماوى (*)

ـ عضو مكتب الإرشاد لجماعة
الإخوان المسلمين

ـ رئيس تحرير جريدة « الدعوه ».

س : هل تعتقد أن حوادث ٢٦ يناير صدفة .. أم مدبرة ؟

ج : أنا أعتقد أن هذه الأحداث وقعت بتدبير ولا يمكن أن تكون وقعت عفواً .. لأن طبيعتها وانتشارها فى أوقات قريبة .. والمبانى والأماكن التى شملتها .. والمواد التى استعملت فيها .. كل هذا يدل على أنها كانت نتيجة تدبير .. وتدبير محكم :.

س : هناك اتهام موجه إلى فؤاد سراج الدين بأنه أهمل إلى حد التواطؤ فى ذلك اليوم .. ؟

ج : للانصاف والتاريخ لا أعتقد أن فؤاد باشا سراج الدين وهو سكرتير عام الوفد .. ووزير الداخلية .. ساهم .: أو حتى كان على علم بهذه الأحداث .. وهذه الحركة أو الحوادث كانت موجهة إلى حكومة الوفد التى كان سراج الدين من أبرز عناصرها .

س ، هناك اتهام بأن الأستاذ أحمد حسين وحزبه الاشتراكى هم الذين أحرقوا القاهرة ؟

(*) مسجلة صوتياً فى مارس ١٩٧٥ .

ج : رأيي أن الأستاذ أحمد حسين وحزبه لا يمكن أن يكونا قد قاما بهذه الحركة .. لأسباب منها أن الحركة كانت أكبر من الحزب وإمكانياته . وإنما صاحب المصلحة هو الإنجليز والسراى هم الذين وراءها .. والأستاذ أحمد حسين وجريدته كانا يهاجمان السراى .. فأرادت السراى أن تتخلص من عدوين فى وقت واحد: حكومة الوفد.. والأستاذ أحمد حسين وحزبه..

س : هل تعتقد أن الشيوعيين هم الذين أحرقوا القاهرة أو شاركوا فى ذلك ؟

ج : أيضاً ، ومع اختلاف المبادىء بيننا لأننا على طرفى نقيض ، إلا أننى أستطيع أن أقرر استبعاد الشيوعيين من هذه الحركة .. لأنها كانت ضد المصلحة الوطنية ولأنه كان يوجد تحالف بين الشيوعيين وبين الوفديين .. والحركة كان الهدف منها التخلص من حكومة الوفد والحركة الشعبية .. فضلا عن أنه ليس هناك أى دليل يؤيد اتهام الشيوعيين ..

س : هناك من يقولون أن الإخوان المسلمين اشتركوا فى الحرائق .. ويقسمون الحرائق إلى نوعين . نوع المؤسسات الرأسمالية وهذه أحرقها الاشتراكيون والبارات والخمارات وأماكن اللهو ..وهذه أحرقها الإخوان . فما معلوماتك عن أى دور ولو فردى للاخوان المسلمين ؟

ج : معلوماتى ، وأكاد أجزم وأنا ممن يعلمون بواطن الأمور بالنسبة للاخوان ، أن آخر من يوجه إليه الاتهام فى هذه الحوادث هم الإخوان.. وأما إذا كانت وقعت حوادث لبعض البارات وأماكن اللهو فهذا ليس أسلوب الإخوان ولم يكن فى تكتيكهم .. وإنما كانوا يطالبون بالعودة إلى الإسلام ، فإذا تحقق هذا .. هذه كلها أغراض من مراقص وملاه، وتهتك الخ ماينافى الحكم الإسلامى .. الإخوان كانوا يريدون الدخول فى البيوت.

من أبوابها فاذا وصلوا إلى الحكم استطاعوا أن يقضوا على كل هذه الأغراض .. أما حرق البارات فليس من أسلوبهم أبداً ..

س : هناك اتهام وجه لجمال عبد الناصر ومجموعة من الضباط الأحرار بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة .. فهل توفرت لديكم وقتها أى معلومات بشأن هذا الاتهام ؟ .

ج : مازلت عند فهمى من أن هذه العملية كانت موجهة ضد الحركة الشعبية والحكومة الوفدية وضد كتائب الفدائيين .. وأعتقد أن الضباط الأحرار كحركة إصلاحية لايمكن أن تقوم بهذه الثورة المضادة لتقضى على الحركة الشعبية والكفاح المسلح فى قناة السويس ..

س : ذكر أحمد أبو الفتح أن جمال عبدالناصر أو ضباطاً من طرفه نقلوا صناديق ت.ن.ت وجلجانيت إلى بيت حسن العشماوى .. وكان يشير إلى أن هذه المواد الحارقة والمتفجرات استخدمت فى حريق القاهرة .. فما معلوماتك ؟

ج : الشحنة كانت أسلحة للقتال وليست مواد ناسفة أو حارقة .. ورغم تقديرى للاستاذ أحمد أبو الفتح إلا أنى أعتقد – حسب معلوماتى وكنت فى موقع يسمح لى بالعلم بالنشاط الظاهر وغير الظاهر – أنه مايقال عن تسليم جمال عبدالناصر لأسلحة كان مقصوداً منها مساهمة من الضباط الأحرار فى نشاط كتائب الفدائيين فى قناة السويس ..

س : بعد الحريق لوحظ أنه وجهت ضربة للوفد بالإقالة واعتقال بعض أعضائه وتشويه سمعته .. واعتقل الاشتراكيون وقدموا للمحاكمة .. واعتقل الشيوعيون وبعض العناصر الأخرى .. لكن لم تمس إجراءات

الحكومة التالية للحريق جماعة الإخوان .. وإنما استدعى المرحوم حسن الهضيبي أكثر من مرة للتباحث فى شأن الجبهة القومية التى حاول على ماهر تكوينها .. ويستدل البعض من هذا على أن الإخوان لم يلاقوا التعسفات التى لاقتها الجماعات الأخرى .. ويسألون عن تفسير لهذا .. ؟

ج : تفسيرى لهذا بسيط جداً .. المؤامرة مدبرة من جانب السفارة البريطانية التى تمثل الاحتلال ومن الملك فاروق على رأس السراى .. وهذه هى الجبهة الرجعية التى تحاول القضاء على الحركة الوطنية .. فكونهم لم يعتقلوا الإخوان أو يضطهدوهم فذلك يرجع لسببين : أولا لأنهم متأكدون من أن الإخوان لم يشتركوا فى العملية .. فهم يعرفون الفاعل الحقيقى .. وثانياً ؛ تنفيذ السياسة التقليدية ، فالوفد حركة شعبية .. والإخوان حركة شعبية . والمطلوب ضرب الوفد .. فلابد من الاستعانة بالقوة الشعبية الأخرى فتقربوا من الإخوان ليضربوا بهم الوفد ..

س : اتهمت الإنجليز والقصر — فهل لديك أى دليل ضدهما .. أو ضد أحدهما ؟

ج : يكاد المريب يقول خذونى .. وعندما تحدث جريمة يصير السؤال : من صاحب المصلحة .. ومن تحديد صاحب المصلحة يحدد المتهم ..

س : كان الإخوان المسلمون يرون أن ما يحدث هو مؤامرة ضد النضال الوطنى .. وكانوا قوة كبرى .. فلماذا لم يحاولوا وقف الجريمة ؟

ج : كانت الحوادث مفاجئة للجميع .. وبدأت بسيطة ثم تطورت .. ولم يكن أحد يتصور أن الأمور ستصير إلى ماصارت إليه ..

شهادة الاستاذ أحمد طه أحمد(*)

ـ سكرتير عام اللجنة التحضيرية
لاتحاد العمال سنة ١٩٥٢
ـ عضو مجلس الشعب حالياً

• مؤتمر اتحاد العمال كان مقرراً لانعقاده يوم ٢٧ يناير .

يجب الأخذ فى الاعتبار علاقات القوى التى كانت قائمة حينئذ . فبعد تكوين اللجنة التحضيرية لاتحاد نقابات العمال .. لعبت الطبقة العاملة دوراً بارزاً فى كل الأحداث السياسية التى تلت هذا التكوين .. إلى حد أنه عندما حدد موعد انعقاد المؤتمر .. كان موقف حكومة الوفد واضحاً .. وهو أنها لا تستطيع أن تعطل أو تمنع المؤتمر . حاولت أن تساوم .. أولا بطلب عزل ما يسمون بالحمر .. ورفض الطلب . عرضوا أن يعرفوا مشروعات القرارات التى سيصدرها المؤتمر .. فوافقنا على اطلاعهم عليها .. فوافقوا على إصدارها .. رغم أنه كان من بينها قرار بحق تقرير المصير للشعب السودانى .. وهو ما كان متناقضاً مع الموقف التقليدى للوفد . وطلبت الحكومة أن نسمح لوزير العمل والشئون الاجتماعية ـ عبد الفتاح حسن ـ بأن يلقى كلمة الافتتاح .. مقابل أن تنقل الإذاعة على الهواء مباشرة أعمال المؤتمر ..

(*) مسجلة صوتيا فى فبراير ١٩٧٥ .

فى اليوم السابق لانعقاد المؤتمر .. يوم ٢٦ يناير .. وصلتنا أنباء الحريق ونحن بمصلحة العمل نتفاهم على بقية الترتيبات .. وكانت الوفود قد بدأت فى الوصول للقاهرة ..

كنا متوقعين أى عمل لضرب المؤتمر .. ولهذا جرى مسبقاً تحديد أماكن تجمع بعيداً عن مكان المؤتمر .. وفود بحرى تحدد لهم مكان .. وفود قبلى مكان آخر .. وفود الإسكندرية والقاهرة مكان ثالث .. حتى المؤتمر نفسه أعددنا له مكاناً احتياطياً غير المكان الأصلى المعلن عنه ..

لكننا لم نتصور أبداً أن تأتى محاولة الضرب فى صورة حريق .. لما وصل لنا الخبر .. اتجه جهدنا إلى ناحيتين .. الأولى ، هى فضح هذا العمل وكشفه .. فأعد منشور وطبع .. ووزع فى الساعة الثالثة . من نفس يوم ٢٦ يناير ..

المحاولة الثانية كانت أخذ أحد التجمعات الأساسية : النقل.. أو الشركة الشرقية للدخان .. أو غيرها .. لنضمن خروج قوى عمالية وجماهيرية ضخمة إلى الشارع تكسح كل عمليات التخريب وتطهر الشارع من المخربين ..

وأجرينا الاتصالات ..لكننا فوجئنا بأن هناك أوامر بتخريب الأتوبيسات والتراموايات .. وانصراف العمال .. والشركة الشرقية توقفت عن العمل ..

وهكذا فشلنا فى أن نجد تجمعاً عمالياً يمكن أن ينزل إلى الشارع ..

وانشغلنا .. ليس فقط فى مواجهة الحريق .. وإنما فى مواجهة الآثار التى ستترتب عليه فيما يتصل بالمؤتمر ..

وفى المساء طلبت منا مصلحة العمل ، بناء على طلب الحكومة تأجيل

انعقاد المؤتمر .. لليوم التالى . فرفضنا ، وأصرينا على أن ينعقد المؤتمر فى الموعد الذى حدد له لكن فى نفس الليلة جرت حملة اعتقالات شملت عدداً من القادة النقابيين . وفى اليوم التالى تجمع المندوبون فى أماكن التجمع المحددة لهم .. وفشل البوليس فى تفريقهم .. إلا أن مكان انعقاد المؤتمر نفسه كان قد حوصر ..

وفى اليوم التالى تم اجتماع فى مصلحة العمل حضرته أنا .. لترتيب انعقاد المؤتمر . وبعد خروجى قبض على البوليس السياسى .

وفى الساعة الرابعة أجتمع المندوبون ، واتفقوا على تعديل اسم اللجنة التحضيرية للاتحاد العام للعمال إلى اللجنة التأسيسية .. وقرروا المطالبة بإلغاء الأحكام العرفية ، والإفراج فورا عن النقابيين المعتقلين .

وفى هذا اليوم نفسه .. أو اليوم التالى ظهرت ملصقات فى الشوارع مكتوت عليها « الشيوعيون فعلوا هذا » .. لكن من الواضح أن هذه الملصقات كانت معدة من قبل .. وكانت ضربة شديدة جدا لليمين المنشور الذى خرج فى اليوم السابق .. لأنه جردهم بالكامل من محاولة الصاق تهمة الحريق بالشيوعيين .. حتى أن رجال البوليس السياسى كانوا كلما قبضوا على أحد الشيوعيين يقولون : « أنقذكم ناس أحمد طه » .

ومن المؤسف حقاً أن كل القوى السياسية فى مصر ترددت أمام الحريق .. وكلها لم تسلك مسلكاً نضالياً إزاء هذا الحدث .. باستثناء المبادرة التى جاءت من جانبى الحركة النقابية واللجنة التحضيرية لاتحاد عام نقابات العمال حينئذ ..

ولا أعتقد أن الحرس الحديدى له دور فى تلك الأحداث ، لأننى أعتقد أنه لم يكن يوجد شىء إسمه الحرس الحديدى .. وهذه رواية اختلقتها

« أخبار اليوم » .. وليس مايسمى الحرس الحديدى .. هو الذى قتل عبد القادر طه .. إنما الذى قتله هو مجموعة السراى التى قتلت حسن البنا : أحمد كامل وصفى وآخرون ..

وحجم الحريق كان أكبر من أن تقوم جماعة أخوان الحرية وحدها .. لذلك ، فالأرجح أن أطرافاً عدة شاركت فى العملية ..

س : إذن من فى رأيك هو هذه الأطراف ؟

ج : المخابرات الإنجليزية .. ورجال السراى .. وعناصر من الداخلية به لأن الداخلية فى ذلك الوقت كانت مجال صراع تقليدى بين الملك والإنجليز والحكومة ..

ومما يؤكد أنها مؤامرة مدبرة .. توقيتها محدد .. وأغراضها معروفة أنه تم القبض على بعض اليساريين يوم ٢٦ يناير صباحاً أو ظهراً .. حدث هذا فى الشرقية ، وفى المنصورة . بينما لم يكن يحدث قبل ذلك .. بسبب المظاهرات ، ولم تكن قد وقعت أى حوادث لا فى الشرقية ولا فى المنصورة .. بل ولا فى القاهرة نفسها .. إنما يبدو أن رجال القلم المخصوص كانوا « مستعجلين » فى تنفيذ البرنامج !

شهادة الاستاذ حسن دوح (*)

- زعيم الطلبة الأخوان فى الجامعة من ٤٧ - ١٩٥٢ .
- أحد المجاهدين فى حرب فلسطين .
- محرر بأخبار اليوم حاليا .

س : ماذا حدث بالجامعة صباح ٢٦ يناير ؟

ج : قبل ٢٦ يناير .. وفى مؤتمر عام سمعت صيحة فى الجامعة تطالب : إحرقوا الجامعة .. فاستنكرناها .. وأسكتت فوراً .. ثم حدث أن استدعانى مدير الجامعة الدكتور عبدالوهاب مرور وقال لى أنه بلغه أن هناك مؤامرة لإحراق الجامعة .. فخذوا حذركم .. ويعلم بهذه الواقعة رئيس حرس الجامعة القائمقام مصطفى رجائى .

عملنا احتياطات كاملة .. وحراسة لمدة ٢٤ ساعة حول الجامعة وداخلها ..

ثم جاء يوم ٢٦ يناير .. وكنت قد عقدت مؤتمراً بالجامعة فى الصباح لأنه كان قد نمى إلى علمى أن الملك يفكر فى تغيير وزارى فى مصر وكنا قد علمنا أن الملك يزمع تعيين حيدر رئيساً للوزارة .. أو ابرهيم عبد الهادى .. وكانت سياستى هى التمسك بحكومة الوفد لأنها ألغت المعاهدة . . وهتفنا فى الجامعة بسقوط حيدر .. وحذرنا الملك بشدة أن أى حكومة ستأتى سنسقطها

(*) محرره فى يوليو ١٩٧٥ .

.. وفى هذا الوقت رأيت قوة من البلوكات داخلة من الباب وعلى رأسها ضابط برتبة يوزباشى ..

بهتنا من هذا المنظر غير المألوف .. وتخوفنا .. وشدنا أن هذه بداية خطوات تنفيذية للتغيير الذى يزمع الملك القيام به ..

قد يكون البعض من الطلبة استجاب القوة .. وكنا يوم ١٣ – يناير – يوم جنازة عمر شاهين .. التى احتشد فيها نصف مليون مصرى .. هتفنا ضد الملك بشدة ..

س : ماذا كان موقفك فى المؤتمر عندما دخل رجال البوليس ؟

ج : حاولنا احتواءها .. بحيث لاتخرج عن نطاق الخط الذى كنا نتكلم فيه .. فلا إسقاط حكومة .. ولا الفوضى .. وحذرت بشدة من التظاهر والخروج إلى الشوارع .. لأن قوة البوليس كانت حريصة على إخراج الطلبة فى مظاهرة . .

وارتبت فى الجو الذى أحاط بهذه الظاهرة ..

س : ثم ماذا حدث بعد ذلك ؟

ج : لكن رجال البوليس .. وقليل من الطلبة خرجوا فى مظاهرة محدودة .. ودعوت الطلبة إلى البقاء .. فاستجاب أغلبهم .. وبعد ذلك سافرت إلى الإسكندرية لافتتاح معسكر الجامعة هناك بدعوة من مصطفى عامر مديرها ..

س : متى علمت بحوادث الحريق ؟

ج : بعد المؤتمر عدت إلى القاهرة مع الدكتور رشوان نقيب الأطباء

والدكتور غراب وكانت الساعة ١١,٣٠ م .. وفى الطريق سمعنا أن القاهرة تحترق.. فأحسست بأن المؤامرة نفذت.. وركزت همى فى حماية الجامعة من آثار المؤامرة ..

س : ماالذى سمعته عن الحريق .. وكيف بدأ ؟

ج : ماسمعته أنه كانت عناصر غير معروفة الهوية استغلت اللصوص والفوضويين والنشالين .. وبدأت تقود عملية إحراق منظمة .

س : حريق القاهرة مدبر ·· أم صدفة ؟

ج : مدبر مائة فى المائة ··

س : من المدبر ؟

ج : أولا أمريكا ·· ثم بريطانيا ·· وأداتهم الملك ··

س : ما الأدلة ؟

ج : أمريكا تريد أن ترث انجلترا فى الشرق··وتريد إحداث انقلاب داخلى يحقق لها ذلك··وانجلترا تريد المحافظة على الوضع ·· بعمل تغيير من نوع يخدمها··والملك حريص على عرشه ··

س : اتهم الإخوان المسلمون بأن لهم – ولو بسبب نزعات دينية – دور فى الحوادث ؟

ج : اقطع بأن هذا لايمكن أن يكون بتوجيه من قيادة الجماعة ·· أولا لأن مبادىء الأخوان عامة تنهى عن هذا وترفضه ·· ثانياًقيادةحسن الهضيبى كرجل قاض غير ميال لهذا ··

س : قيل أن جمال عبد الناصر والضباط الأحرار أحرقوا القاهرة ؟

ج : أستبعد هذا لأنى أعرف معظم الضباط الأحرار .

وأعرف نزعتهم الوطنية .. وإلا كانوا استغلوا الحريق وقاموا بعمل يستفيدون فيه من الفوضى التى حدثت ..

س : قيل أن شخصاً يدعى ابراهيم كروم . وهو فتوه من بولاق . هو الذى بدأ التكسير فى كازينوا أوبرا .. ثم تبعه الآخرون .. هكذا سمعت من أشخاص لايعرفون شكل ابراهيم كروم ولامن هو .. لكنهم يعرفون أنه من الإخوان المسلمين .. وهذا يلقى ظلالا عليكم .. ؟

ج : ابراهيم كروم كان على هامش الإخوان . وربما شارك فى تكسير كازينوا أوبرا بدافع من « الجدعنة » أو « الفتوة » .. لكن بالتأكيد ليس بصفته أخاً مسلماً .. وليس بتعليمات من قيادة الجماعة ..

شهادة الاستاذ فتحى خليل(*)

– مدرس الفلسفة سنة ١٩٥٢ .
– مدير تحرير روز اليوسف حالياً .

عام ٥١ وصدر عام ١٩٥٢ كانت قمة مد القوى الوطنية والتقدمية فى مصر :: فى الاتجاه الوطنى بشكل خاص . كان الكفاح المسلح يتصاعد . كنا نحاول بالتدريج أن نطوره .. بدأ بسيطا .. توسع فى حدود . كنا نحاول أن نشرك فيه أوسع القوى الوطنية بغض النظر عن المذاهب والاختلافات الحزبية . كنا مشغولين أيضاً بقضية الحريات العامة .. نركز على أن نضغط على حكومة الوفد لالغاء قانون صدقى مثلا .. وكان الخلاف الوحيد المثار بين القوى السياسية فى ذلك الوقت – أقصد القوى الوطنية – ضرب الملكية أولا أم ضرب الاستعمار .. ولكن هذا خلاف عابر . كل القوى كانت تركز فى حقيقة الأمر على الشارع مطواع جداً فى أيدى القوى الوطنية..أجهزة الدولة يبدو عليها التراخى تحت ضغط جناح وطنى متقدم فى الوفد.. البرلمان أيضاً وطنى..منابر وطنية تؤجج حماس الجماهير فى شكل إبتدائى لجبهة وطنية متحدة واسعة.. الماركسيون أغلب الوقت وأغلب العمل فوق الأرض .. فى هذه الفترة دخلت الساحة منشورات الضباط الأحرار - كانت توزع بأيدى الماركسين على وجه التحديد كنا مرهقين جداً بالعمل..أنا

(*) مسجلة صوتياً فى يونيو ١٩٧٠ .

شخصياً وهذا مهم بالنسبة لحياتى كنت مدرس ثانوى جديد . . عندى أعبائى كمدرس . . أعمل بالسياسة وبالصحافة الثورية . . فى ذلك اليوم عدت من المدرسة مرهقاً .. لم أسمع شيئاً خلال فترة الدراسة حتى الساعة ٢ عما حدث . . عدت إلى غرفتى . . نمت مرهقاً استعداداً للعمل الذى يطول عادة إلى ما بعد الساعة ٢ صباحاً أو ٣ أو ٤ .. بعد قليل سمعت طرقة على الباب .. خرجت . رأيت مجموعة من الماركسيين يعطونى فكرة عن وقائع الحريق .. أولا قالوا أن الحريق مدبر ويتسع اتساع شديد . . فى لحظات . . على السلم . . كنا أتخذنا قرارنا بمقاومة الحريق فى المنطقة المسئولين عنها وهى محافظة الجيزة .. بدأنا بسرعة بالاتصال بكافة الزملاء .. تجمعوا فى أقل من نصف ساعة .. مظاهرة ضخمة بدأت من سوق الأحد بالجيزة .. شعاراتها لتجميع الجماهير كانت (عاشت ذكرى الشهداء) تجمع عدد كبير من الناس .. المظاهرة كانت تربو على الألف أو الألفين. خلال المظاهرة نفسها . رغم أننا كنا مسئولين عن الشعارات والقيادة .. لكن كنا نوزع أنفسنا بسرعة على المرافق الرئيسية الحساسة وخصوصاً المصانع .. وماتوسيان على وجه التحديد كان فى ذهننا .. فخزت الترام البريد .. وهكذا ما استطعنا بسرعة أن نحذوه من المواقع الهامة .. كوبرى عباس .. أوله .. ووسطه .. وآخره .. تصرفنا كمسئولين عن المنطقة بكل ما نستطيع من قوى .. حوالى الساعة ٨½ كنا فى وسط الجيزة .. أذكر فى شارع الفاتح بالتحديد . . كانت المظاهرة تضخمت جداً . . وكانت هناك مظاهرات أخرى لكن المظاهرة التى كنت موجوداً بها كانت المظاهرة الرئيسية . . بدأت نشرة الأخبار وأعلنت الأحكام العرفية . . انفضت المظاهرة على عجل . . اجتمعنا وحددنا ملامح المؤامرة وواضح إنها لوقف الكفاح المسلح ووقف تصاعد الحركة الشعبية وللاطاحة بحكومة

الوفد .. والأحكام العرفية ستنال القوى الوطنية جميعاً بدون استثناء وتوقعنا طرد حكومة النحاس .. لاحظ أننا فى سن بسيطة ٢٠ سنة وخبرتنا السياسية لا تتجاوز السنوات القليلة ٣ أو ٤ سنوات . . كتبت بنفسى منشور بهذا المعنى عنوانه (مؤامرة حريق القاهرة) .. فى منزل أحد الزملاء وكان طالب فى بكالوريوس زراعة بعد أن اشترينا كربون كتبنا ما لا يقل عن ألف نسخة من هذا المنشور وزعت فى نفس الليلة .. استمر عملنا حتى الصباح. وبعد ذلك اعتقد أن الدراسة تعطلت حوالى أسبوع . . وبعد يوم أو اثنين من العودة جاءنى بعض الطلبة فى الصباح ومعهم حوالى ٢٠ مطبوع بالألوان يقترب فى طباعته ونوع ورقه من الملصقات الحكومية لوزارة الصحة أو وزارة الرى . الرسم ركيك ليس بيد فنان .. والخط ليس بيد خطاط بمعنى كلمة خطاط فيه صورة حطام وحريق ومكتوب (الشيوعيون فعلوا هذا) .. هؤلاء الطلبة كانون على وعى بما حدث .. كانوا يعلمون أن الحريق مؤامرة . . هؤلاء الطلبة اقترحوا أن يحرقوا المطبوع فى حوش المدرسة .. لكننى أحتجزت مطبوع أو اثنين وتركتهم يحرقون الباقى وسط تجمع عدد هائل من الطلبة والمدرسين تعبيرا عن استنكارهم .. وأودعت هذا الملصق فى مكان كان فيه أيضاً بعض منشورات الضباط الأحرار .. قبض على فى ٢٨ فبراير فى منطقة القناة .. وأعتقلت . . أفرج عنى بعد قيام الثورة مباشرة . . فى أول اجتماع لمجلة الكاتب عرضت هذا الملصق وكنت أريد أن أكتب مقال .. ولكن يوسف حلمى صمم باعتباره محامى ولأهمية الموضوع صمم أن يكتب بنفسه .. فكتب مقالا تحليلياً عن حريق القاهرة مع صورة هذا الملصق . . التوضيب عمله أبو العينين وممكن هذه أول مرة فى حياته يوضب لأنه كان رسام وممكن تجد فى مجموعة الكاتب إذا عثرت عليها هذا الدليل .

عندما خرجت من المعتقل تذكرت أننا نشرنا خبرا يشير إلى استعداد القوى الرجعية والاستعمارية إلى تدبير مؤامرة والقبض على الوطنيين وتوجيه التهم لهم .. عدت إلى هذا الخبر وجدته . . وأول تحليل كتبته عن ثورة ٢٣ يوليو كان بعنوان (وأنتصر السلام) . . كنت أريد أن أجعله (الشعب الأحمر) رجوعا إلى تعبير من وزير أيامها كانوا يسمونه (ولازير الألوان) .. ولكن اقترح أحد الزملاء ولعله صلاح حافظ أن نجعله وأنتصر السلام .. فى هذه المقال ستجد نص هذا الخبر الذى كتب فى أغسطس فى مجلة الكاتب . . مضمون الخبر أنه نما لعلم الدوائر الوطنية أن القوى الرجعية والاستعمارية تدبر مؤامرة لحرق العاصمة . . أعتقد ذاك — وأنه ستلفق ويتهم فيها القوى الوطنية .

س : هل تبينتم نوعية العناصر التى قامت بالحريق فى ذلك الوقت ؟

ج : لا .. لاتنسى أنه فى تلك الليلة اعتقل عدد كبير من الماركسين .. وأعتقد أنه الجزء الذى كان فى الخارج كان مشغولا بمسائل أخرى غير مسألة التحقيق . . ولكن أنا أعتقد أن الجزء الرئيسى فى ذلك الوقت قام به البوليس السياسى أو جزء منه له ولاء مباشر للسراى أو للاستعمار البريطانى وليس ذالك مستبعدا على الاطلاق .. أيضاً تنظم لإنجليز فى ذلك الوقت وهو تنظيم واسع كان أسمه تنظيم أخوان الحرية . . هذا التنظيم كان كبير العدد وأعتقد أنه لعب دورا . .

س : كان فيه اتهام لاسم أحمد حسين والحزب الاشتراكى . . هل تبينتم فى هذه الفترة هذا الاتهام ؟

ج : الاتهام له أساس . . ذلك أن أسلوب السيد أحمد حسين فى العراك الوطنى أسلوب به مسحة فاشسيته .. وهو رجل كان فى ذلك الوقت تنقصه

الروح العلمية .. وكان فى ذلك الوقت نموذج البرجوازى الصغير الذى يريد أن يصل إلى الحكم .. وكان يعتمد على الوسائل الديماجوجية مثل موضوع البارات .. كيف يكون هناك كفاح مسلح وهناك اماكن للهو فى القاهرة ؟ وكذلك موضوع دور السينما . . ورغم أن شباب الحزب الاشتراكى كان إلى حد كبير ناضج . . وأيضا فى قيادة الحزب مثل إبراهيم شكرى ومحمد أبو تربة ولكن أسلوب أحمد حسين بالذات الذى يعتمد على الغوغائية لعله كان تمهيدا نفسيا وأرضية لما حدث .. ولكن مباشرة . . لا أعتقد ..

س : لوحظ أن الأخوان المسلمين لم يسهموا فى هذا الموضوع من الناحية الرسمية بالمرة .. هل كانت لكم ملاحظات على أى مساهمة للاخوان المسلمين فى الحريق ؟

ج : الأخوان المسلمين حزب كبير وليس سهلا أن يتحرك حركة دون أن يترك وراءه بصمة .. كان له جهاز سرى .. هذا صحيح .. ولكن لو أن لدى السلطة الوفدية معلومات لطرحتها بحكم التنافس الحزبى ..

س : هناك اتهام موجه للضباط الأحرار .. جمال عبد الناصر بأنهم أحرقوا القاهرة .. ما معلوماتك ؟

ج : لأول مرة أسمع منك هذا الحديث . . وهو اتهام فى اعتقادى لا أساس له من الصحة على الأطلاق .. لأن الضباط الأحرار لم تكن لديهم فكرة الحكم فى تلك الأيام . . كانوا يرتبون على أن عام ١٩٥٥ يكون قد تكامل النضج لهم لكى يتحركوا ولم تكن من وسائلهم هذا الأسلوب . . كان لهم برنامج محدد وواضح ووطنى بالإضافة إلى أن قيادة الضباط الأحرار كان فيها ماركسيون ولو طرحت مثل هذه الأفكار لعلمنا فى حينها .. أنا متأكد أنه لم تطرح مجرد الفكرة ولم تخطر ببال . .

س : ينحصر الاتهام حتى الآن فى المخابرات البريطانية والملك فاروق ولكن هناك رأى يقول أن الأمريكان لعبوا دوراً أساسيا . .

ج : لا .. فى ذلك الوقت كان الأمريكان يتحسسون طريقهم .. كانت لهم علاقات قوية ببعض الشخصيات السياسية .. وبالأخوان المسلمين على سبيل المثال . . لهم علاقات ببعض وزراء الوفد . . لكن هى تحركات أولى للولايات المتحدة الأمريكية .. ولكن لا وزن الإنجليز ولا جراءة الإنجليز تستطيع تدبير مثل هذه الأمور .. وأنا أستبعد أن يكون لهم دور . .

شهادة الاستاذ محمد فهمى عبد اللطيف (*)

– المحرر بالمصرى ١٩٥٢ .

– نائب رئيس تحرير الأخبار حاليا .

أخوان الحرية جماعة الفتها الدعاية البريطانية منذ بدأت الحرب العالمية الثانية للدعوة إلى بريطانيا والحلفاء .. فى الأوساط الشعبية ..

ولهذا كان أفراد هذه الجماعة من أنصاف المتعلمين . . ففيها المدرسون وخاصة مدرسو الألزامى .. وفيها من صغار الموظفين ، وبصفة خاصة صغار الموظفين بالمستشفيات (مراكز التجمعات) بهدف أن تكون الدعاية مغلغلة فى الشارع ..

كانت الدعاية البريطانية تعرف تماما أن عواطف الشعب المصرى ليست معها .. وكان الشعب يهلل ويفرح عندما تقع الهزائم لبريطانيا فى أولى الحرب واقعة تحت سلسلة من الهزائم المتلاحقة .

هذه الحالة لم تكن خافية على الدعاية البريطانية .. ولهذا حاولت بأموالها الطائلة أن تخلق تيارا شعبيا مضادا لهذا الاتجاه الواضح ضدها . .

والذى أعرفه أن السفارة البريطانية قد حاولت أن تعتمد فى هذا على الأخوان المسلمين والحقيقة أن الأخوان المسلمين لم يستجيبوا لهذا الاتجاه .. وبذلت السفارة البريطانية لهم كثيرا فى الوعود والأموال والمساعدات ؟ ؟

* مملاة بمعرفته حرفيا فى يوليو ١٩٧٥ .

ولكنها لم تجد إستجابة .. ولهذا عدت إلى العمل ضد الأخوان المسلمين .. وقام حسين سرى وكان رئيساً للوزراء (١٩٤٠ – ١٩٤١) بنقل الشيخ حسن البنا وهو مرشد الاخوان المسلمين ، وكان مدرسا فى نفس الوقت إلى قنا .. مدرساً للخط .. وتتطور الموقف إلى الغاء الإخوان المسلمين .. ولم تعد إلا بعودة الوفد ١٩٤٢ ..

عمد الإنجليز إلى تكوين جمعية إسلامية فى الأوساط الشعبية . : يشرف عليها رجل مستشرق بريطانى كانت له صلات هو جيال دن . . زعم أنه أسلم وتزوج مصرية مسلمة .. واتخذت الجمعية لها دارا بشارع الأزهر ..

من أجل هذا أنشأت السفارة البريطانية اخوان الحرية .. كان يكفى لعضويتها أن يكتب الطالب إسمه وعنوانه .. وكانت لها نشرة .. وهذه النشرة كانت لاتكتب مقالات .. وإنما كانت نشرة تعارف وتتخذ وسيلة حركة ..

وكل يوم يهمها أن تنشر أسماء جديدة للمنضمين للجمعية ..

وكان يهمهم أن يتصيدوا أعضاء من القرى .. خفير .. مأذون .. مدرس إلزامى ..

وكانت الدعاية البريطانية تصرف لهذه الجمعية كميات ضخمة من الورق للنشرة .. وغيرها من المطبوعات .. فى وقت كان الورق فيه شحيحاً جداً .. وأسعاره خيالية .. فكان القائمون على هذه الحركة يبيعون كميات منه .. إلى جانب ما يحصلون عليه من نقود وهدايا من السفارة ..

وكانت هذه الهدايا .. مثلا – محافظ نقود ضخمة .. ومتوسطة ..

مكتوب عليها « مع تحيات حلفائكم الأوفياء » .. وأدوات مكتبية .. وأقلام فاخرة .. بكميات كبيرة ..

والحقيقة أن جهاز إخوان الحرية لم يكن له أثر إيجابى .. وكانت المسألة مسألة منافع مادية ..

والذين بقوا متمسكين بهذا الجهاز هم الذين ينالون هذه المنافع ..

ولما إنتهت الحرب ظل هذا الجهاز (المتنفع) يواصل العمل ويوثق صلاته فى كل مناسبة بالدعاية البريطانية .. وظلو يصدرون نشرتهم كالمعتاد ويأخذون لها الورق ويطبعونها فى مطبعة من مطابع الدرجة الثالثة بشارع محمد على إسمها « مطبعة الحرية » ..

ولما جاءت حكومة الوفد نشطت الجماعة نشاطاً كبيراً وخصوصاً عندما ألغت الحكومة المعاهدة وأعلنت الكفاح ضد القوات البريطانية فى القناة ..

وتركز نشاطهم فى هذه الفترة وصار فى أوجه .. وأعتمدت عليهم السفارة البريطانية إعتماداً كبيراً .. فى إثارة الأحقاد بين المسلمين والأقباط ..

والذى لاشك فيه أنهم قاموا بدور لصالح المخابرات البريطانية أثناء الكفاح فى القنال .. وكان لهم دور فى حريق القاهرة ..

وهذا الدور الأخير يحتاج إلى كشف .. عن وثائق هذه الجماعة .. ومدى صلاتها بالسفارة البريطانية ..

وقد أصدر جمال دن مجلة ثقافية .. وصدر عنها نشرات ثقافية .. وقد عرض على أن شخصيا رئاسة تحريرها مقابل مرتب ١٥٠ جنيها

شهرياً ‥ وأنا لاأزال طالباً فى الكلية ‥ لكننى رفضت فلجأ لأحد الصحفيين فى دار الهلال ‥

وكانت إخوان الحرية تركز فى الشركات التى لها جهاز توزيع واسع ‥ ومتعهدون فى الأقاليم والمدن ‥ وبالذات شركة شل وشركة الشيخ الشريب للشاى وغيرها ‥ فعن طريق موزعى هذه الشركات كانت توزع النشرة ‥ والتعليمات ‥ وتعرف الأخبار ‥

شهادة الاستاذ كمال رفعت(*)

- عضو تنظيم الضباط الأحرار
- كان مسؤلا عن المخابرات فى منطقة القناة بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢
- اشترك فى الوزارة عدة مرات كما تولى أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى.
- أشرف على أخبار اليوم لفترة.
- أحد أصحاب دار القاهره للنشر حاليا.

س : هل سمعت باتهام أحمد أبو الفتح لجمال عبد الناصر بأنه هو الذى أحرق القاهرة - ولماذا لم تردوا على هذا الإتهام كل هذه السنوات ؟

ج : طبعاً قرأت كتاب أحمد أبو الفتح منذ صدوره .. لكننا لم نرد عليه لسبب بسيط هو أننا لم نجد فيه شيئا ملموساً يستحق الرد ..

س : مامعلوماتك عن جهاز المخابرات البريطانية فى مصر ؟

ج : كان الإنجليز يدربون مخربين محترفين لاستخدامهم فى العمليات الخاصة .. بمدرسة « شملان » بلبنان .. كما كانوا يأخذون بعض الأفراد من من مصر ويدربوهم فى قبرص فى قاعدة أسمها « أركيتورى » .. فضلا عن

(*) ملاة بمعرفته فى يوليو ١٩٧٥ .

أن منطقه القنال كانت مغلقة على أسرار كثيرة فيا يتعلق بهذه الأمور ..
وكانت المخابرات البريطانية تحصل على المعلومات عن طريق حفلات الصالونات التى يقيمها أعوانهم المصريون من الرجال والسيدات . . تدعى لها شخصيات معينة .. ويتلقفهم رجال المخابرات .. ليعرفوا منهم مايريدون ..
أما ملفات الحكومة المهمة .. أو دوسيهات المشروعات المختلفة فكانت تؤخذ بواسطة عملائهم ، الذين كانوا كثيرين ومن أصغر إلى أكبر الموظفين ، وتترجم بالكامل فى شركة شل وتقدم للمخابرات لدراستها ثم تقديم التوصيات المناسبة للحكومة البريطانية .. وكان للانجليز مخابرات عسكرية فى القنال ..كما كان لهم مخابرات لوزارة الخارجية بالقاهرة ..

وكان مقر قيادة المخابرات البريطانية فى مصر فى شركة شل . لكن لما إنكشف نقلوه إلى مكتب الشاى الدولى ..

وكانت المخابرات البريطانية تعمل من خلال الجماعات والنوادى التى تنشئها لخدمتها مثل « جمعية اخوان الحرية » التى كان بها جزء كبير مع الأسف من الأزهريين .. ذلك لأنها كانت (المخابرات البريطانية) تعد الخطبة بدقة شديدة بحيث تكون صحيحة تماما من وجهة النظر الدينية .. فقط كانوا يضعون فيها مايريدون إدخاله فى عقول الناس .. دون أن يلاحظ أحد أن بالخطبة شيئاً غير عادى . وقد ضبطنا إحدى هذه الخطب فى مسجد أبو حمص . . كما وصلتنى مؤخراً خطبة من منطقة الخليج وهى من الخطب التى تعدها المخابرات البريطانية (والأمريكية أيضاً) ..

وكانت المخابرات البريطانية فى مصر قسمين ، قسم سياسى يتبع الخارجية ومركزه القاهرة وقسم عسكرى ومركزه الإسماعيلية . وكان يتفرع من هذه الأقسام عدد كبير من الأجهزة النوعية لكن تخضع كلها لجهاز

رئيسي يتبع مباشرة رئاسة مجلس الوزراء البريطاني . . كما كان لها جهاز سكرتارية مركزي يجمع كل التقارير من مختلف الأجهزة . . ينسقها ويبوبها بعد أن يقارن بينها بدقة ، ثم يرسل صورا منها إلى جهات الاختصاص . وكان لجهاز السكرتارية هذا فروع فى السويس وفايد والاسماعيلية وبورسعيد والتل الكبير .. كما كان يتبعه مكتب العلاقات العامة الذى يختص بتسهيل كافة طلبات المتعهدين وحل مشاكلهم .. ويتعامل مع الصحفيين البريطانيين والأجانب . ولم يكن يسمح لأى شخصية بريطانية مهما كان مركزها أن تدلى بأى أحاديث بدون موافقته .. وكان يتبعه قسم يترجم الصحف المصرية والأجنبية ، كما كان يتبعه قسم خاص بالعملاء لصالح الإنجليز .

وكانت كل المؤسسات والشركات البريطانية فى مصر تعمل فى تنسيق تام مع المخابرات البريطانية .. وكان مديروها وكبار موظفيها من رجال المخابرات عادة ..

كما كانت بعض الجمعيات ذات الأسماء المصرية كجمعية اخوان الحرية التى أنشأها المستر فاى ، والاتحاد المصرى البريطانى الذى أنشأه أمين عثمان باشا والذى كان يضم معظم رجالات البلد .. أجهزة تتبع المخابرات البريطانية مباشرة ..

وكان جهاز المخابرات البريطانية فى مصر يضم عناصر غاية فى الخطورة والتأثير مثل مستر بنسون رايل باتريك رئيس قسم الدعاية والأنباء الكاذبة الذى كان يدعى أنه يكره الإنجليز لأنه أيرلندى ، ويتكلم العربية بطلاقة وله مؤلفات عن الدين الإسلامى والنبى محمد ..

وكان يوجد قسم يختص بالأحزاب المصرية ، وكان لكل حزب فرع فى

هذا القسم بـه خبراء بشئون هذا الحزب . كما كانت توجد أقسام خاصة بالجامعات .. والأزهر .. والمصانع والعمال .. والوزارات ومصالح الحكومة والشيوعية .. وحتى لطلاب المدارس الثانوية والصناعية ..

ولم تكن المخابرات البريطانية تتهاون مع من يعارضها أو يعمل ضدها حتى ولو كان من كبار البريطانيين.. ومعروفة جيداً الظروف الغامضة التى قتل فيها سير سيسيل كامبل عميد الجالية البريطانية فى مصر بعد حوادث ٢٦ يناير ١٩٥٢ .. لقد قتلته المخابرات البريطانية لأنه أظهر اشمئزازه وعدم ارتياحه لهذا العمل المشين الذى قامت به المخابرات البريطانية (حريق القاهرة) .. وكان يتكلم كثيراً فى هذا الموضوع .. فاسكتوه إلى الأبد ..

س : حسب خبرتك بالمخابرات البريطانية ونظام عملها .. إذا دبرت مؤامرة أوعملية فى القاهرة هل يحيط أطرافا أخرى بالعملية .. مثل قيادة القوات البريطانية فى قنال السويس ؟

ج : مؤكد أن نظام الأنجليز عموما يقوم على أساس أنه إذا كان لأى جهة صلة بموضوع .. أو إحتمال بأن يكون له دور فى الموضوع فى أى مرحلة من مراحل تنفيذه .. تحاط تلك الجهة — ولو فى مستوى محدود — بما سيحدث وبكل الاحتمالات.. حتى لاتفاجأ ..وحتى تقرر مايمكن أن يكون مطلوب منها.

س : على وجه التحديد .. إذا كانت المخابرات البريطانية هى التى دبرت ونفذت حريق القاهرة .. هل من الضررى أن تعرف القيادة البريطانية فى منطقة القنال بذلك قبل حدوثه ؟

ج : طبعاً . . من ناحية ما دبر كان أصلا لحماية القوات البريطانية لمصر .. ومن ناحية أخرى لأنه كان من المحتمل أن تضطر بريطانيا لتحريك هذه القوات نحو القاهرة فى حالة إذا ماأفلت الزمام .

شهادة الأستاذ توفيق عبده اسماعيل(*)

- (الملازم أول توفيق عبده اسماعيل سنة ١٩٥٢ .
- أحد الضباط الأحرار
- وكيل الوزاره بالمجلس القومى للانتاج والشئون الاقتصادية حاليا.

س : هل نبدأ بمعلوماتك عن « إخوان الحرية » ؟

ج : معلوماتى عن « إخوان الحرية » مصادرها القراءة والاتصالات فى فترة عملى السياسى كأحد الضباط الأحرار .. ومن فترة عملى فى شركة شل.

الإنجليز بعد معاهدة ٣٦ بدأوا يغيرون اتجاههم ، ويوجدون بعض الهيئات ذات الطابع الشعبى التى تستطيع حمايتهم .. وخلق علاقات مع المصريين .. فاتجهوا لتكوين الأندية بالذات .. وأهمها نادى الترف والنادى البريطانى .. وفى الجامعة وفى كلية الآداب بالذات كان يوجد عدد كبير من الأساتذة الإنجليز .. أنشطهم وأكثرهم ذكاء كان أستاذ رئيس قسم الآداب الإنجليزى فى ذلك الوقت إسمه مستر « سكيف » . كان واسع الصداقات.. ومن أصدقاء البروفيسور « سكيف » تكونت جماعة « إخوان الحرية ».. وعمل الإنجليز على دفع أعضاء هذه الجماعة فى المناصب الكبرى للشركات .. وبالذات الشركات التى يعتمد عليها الإنجليز . وبدأ نجم أحدهم وهو

* مسجلة صوتيا فى مارس ١٩٧٥ .

أمين عثمان يصعد بعد بداية الحرب العالمية الثانية .. إلى أن أصبح وزيراً مهماً ثم رئيساً لجهاز المحاسبة حتى قتل .

الشعور المعادى للإنجليز كان موجوداً وحاداً أثناء الحرب .. رغم وجود حزب الوفد فى الحكم .. وكانت بريطانيا تفكر فى الاعتماد على تنظيم جماهيرى هدفه تحسين العلاقات البريطانية المصرية لضمان نوع من التوازن لأن الوفد لم يكن مضمونا بالنسبة للإنجليز .. رغم أنه أتى إلى الحكم فى فبراير ١٩٤٧ بناء على إنذار بريطانى .. فلم يكن الوفد عميلا للانجليز .. وما كان يمكنهم الاعتماد عليه ..

بعد انتهاء الحزب نشطت جماعة إخوان الحرية لتعميق الروابط بين المصريين وبريطانيا .. تحت شعارات تعميق وتأصيل «الحرية»..ودفعت بالعناصر النشطة من أعضائها .. ممن تتوسم فيهم النباهة والكياسة إلى المراكز الرئيسية بالشركات المختلفة .. ومن أهمها شركة شل .. حيث توجد أحسن المرتبات فى مصر .. بخلاف أنها كانت منتشرة فى جميع أنحاء القطر عن طريق وكلائها ومتعهديها ..

وفى سنة ١٩٥١ كانت الجماعة قد أصبح لها كيان .. ووجود .. جريدة تنطق باسمها .. موزعوها هم أنفسهم موزعو البترول التابعين لشركة شل .

وفى ٨ أكتوبر ١٩٥١ ألغيت المعاهدة .. وصدق حرس الإنجليز من أن النحاس باشا ليس بالرجل المأمون الجانب بالنسبة لهم .. لأنه هو نفسه الذى ألغى المعاهدة .

وبدأت القوى الشعبية تخوض الكفاح المسلح ضد الإنجليز .. ومن بينها

الضباط الأحرار الذين توزعوا على فدائيي جميع الهيئات .. فعملت أغلبيتهم مع الوفديين ومجموعة كبيرة منهم مع الإخوان ثم مجموعة أخرى مع الشيوعيين ..

هذا طبعا لم يكن يرضى الإنجليز .. ولا الهيئات الموالية لهم . لكنه كان يخدم الوفد لأنه يكسبه تأييدا شعبيا واسعا .. باعتباره الحزب الحاكم الذى يتيح للشعور الوطنى أن يتدفق ويعبر عن نفسه . ورغم أن الأحزاب المعارضة للوفد كانت تبدى موافقتها على الإتجاه الوطنى ضد قوات الاحتلال ألا أنها كانت غير راضية عن استفادة الوفد من هذا .. وكانت صحافتها بصفة دائمة تقف موقفا فيه إثارة ومحاولة إظهار الحكومة بأنها عاجزة .

إلى أن حدث يوم ٢٥ يناير .. وما ترتب عليه يوم ٢٦ ..

يوم ٢٦ يناير الساعة ١١ أو ١٢ صباحا كنت متوجها مع مجموعة من زملائى لحضور المأدبة الملكية فى قصر عابدين . واضطرينا للنزول من السيارة فى ميدان المحطة لوجود ازدحام .. والسير على الأقدام فى شارع ابراهيم .. حتى قصر عابدين .. ما أذكره أن المظاهرات كانت موجودة.. وعدائية .. حتى وصلنا إلى شارع الساحة .. وقد رأيت بنفسى مجاميع غوغائية تحاول أن تهاجم المحلات .. ورأيت أعلام مصر الفتاة على رأس هذه المجاميع .. ورأيت زعيم الحزب الأستاذ أحمد حسين يقود إحداها .. بهتافات شديدة ومعادية لكل شىء فى مصر .. للانجليز .. والملك .. والوفد .. وخلافه .

توجهنا إلى السراى . وتناولنا الغداء .. وكان كل شى فى القصر هادئا . وكنا معزولين تماما عن أى شىء فى الخارج ، جالسين فى صالة مغلقة ..

وعرض علينا الملك ابنه .. وأهداه للجيش .. وصفقنا تصفيقا حادا .. وبدأنا في الخروج .. وإذا بتنبيهات بأن نأخذ طريقنا عن طريق مقابر الخفير وليس عن طريق وسط البلد .. مع أن العدد الموجود من الضباط كان كبيرا جدا ..

وأثناء الغداء لم نكن نعرف أى شيء عما يحدث بالبلد . وإنما كان الغداء شهيا جدا . ثم مشى الملك بين الموائد .. وخلفه شخص يحمل إبنه .. ثم وقف فى إحدى النواحى وقال أنا أهدى إبنى .. أعز ماأملك لجيش مصر وأنا ورثت هذا البلد عن أجدادى .. ولن أتركها لأى أحد يلعب بها أو يأخذها ..

ثم بدأنا نخرج .. من الباب الجانبى الذى يدخل منه رئيسا الديوان .. وليس من الباب الرئيسى ..

ووصلنا إلى وحداتنا .. وكانت الساعة حوالى الرابعة أو الرابعة والنصف .. فعلمنا أنه أعلنت حالة الطوارىء القصوى فى الجيش . لكننا لم نغادر معسكراتنا قبل الخامسة أو الخامسة والنصف ؟

وعرفت بعد أن نزلت أن الشعب بدأ يتجمع فى الصباح .. البوليس كان موقفه سلبيا .. حكومة الوفد فقدت السيطرة على الموقف .. الملك كان أسعد الناس بما يحدث .. لأنه استمر فى احتفاله رغم علمه بما يحدث .. لأنه كان يبيت لحكومة الوفد .. ويريد التخلص منها .

س : نعود لجماعة « إخوان الحرية » .. مادورها فيما حدث ؟

ج : طبعا الجماعة كانت تعمل وكان لها دور فى الفترة السابقة لحريق القاهرة . كان الإنجليز قد تمكنوا من دفع عناصرها إلى مراكز الإدارة .

الوسطى . ثم قامت الثورة سنة ١٩٥٢ ، بدأت مواجهة مع الإنجليز سنة ١٩٥٣ وبالذات بعد اتفاقية السودان وبداية الدخول فى مفاوضات الجلاء ، والشروع فى ترتيب البيت من الداخل وإعلان الدستور المؤقت فى ٩ فبراير وحاول الإنجليز اللعب فى المفاوضات .. عندئذ لجأت الثورة إلى «قصقصته» الأيدى الخفية التى يمكن أن تلعب دوراً لصالح الإنجليز . فأوقفت نشاطات جماعة « إخوان الحرية » ومن بينها المجلة التى كانت تصدر عنها . وصدر قانون خاص هو قانون تصريحات الأمن للعاملين مع جهات أجنبية وكان المقصود به العاملين بالشركات البريطانية .. وحدد القانون طريقة معينة لتقديم طلبات العاملين فعلا أو الذين ينوون العمل فى هذه الشركات . وانتهت المرحلة الأولى بعدم الموافقة على اسم المرحوم ابراهيم الفوال وكان ذلك قبل حرب ١٩٥٦ .

وجاءت معركة ١٩٥٦ ، وانتهت بوضع الحراسة على المؤسسات البريطانية والفرنسية . وما أذكره جيدا أنه عندما تركت بريطانيا مؤسساتها فى مصر .. كانت عناصر إخوان الحرية أو العناصر الموالية لها هى السيطرة بالفعل على هذه المؤسسات . والكثير منهم أصبحوا رؤساء مجالس إدارات فى العهد الجديد على أساس أن مافات مات بعد حل جماعة إخوان الحرية. لكن حدث أن سجن البعض الآخر . . ووجهت إليه اتهامات لم تثبت مثل يحيى شرارة والدكتور محمود أمين .. اللذين فصلا من عملها ثم أعيدا بقوة القانون لعدم ثبوت الاتهام .

والحقيقة . . مسألة كيف استمر أعضاء هذه الجماعة . . وكيف وصلوا إلى أعلى المراكز فى ظل الحكم الوطنى . . مسألة عجيبة . لكن العلاقة المشجعة أن وصول هذه العناصر للمراكز العليا . »

كان هو نفس الوقت الذى وصل فيه أناس كثيرون من العناصر الماركسية أو اليمينية جداً إلى مراكز مماثلة . وربما كانت هذه محاولة من نظام ٢٣ يوليو لأن ينسى الفترة السابقة ويعتبر المواطنين كلهم سواء .

س : هل لديك أى معلومات عن دور محدد لإخوان الحرية فى حريق القاهرة نفسه ؟

ج : لا أظن . أنا أعتقد أن الإنجليز أشعلوا الموقف .. حتى يتخلصوا من الفدائيين .. وتركوا للعناصر المختلفة .. كل عنصر يحاول أن يستفيد . أهم عنصر استفاد فى هذا ، لفترة زمنية محدودة ، كان الملك فاروق .. لأنه حرم مصطفى النحاس من فرصة السيطرة .. ودفعه هو وحزبه لأن يعلن الأحكام العرفية اعترافا بالعجز . أحزاب الأقلية تحققت لها مصلحة . فى إبعاد النحاس باشا .. وشاركت فى الإعداد لهذا اليوم منذ إلغاء المعاهدة ... بأنها كانت دائماً تضغط ضد النحاس والوفد .. ولم تكن تقدم أى موقف بناء . الشيوعيون أنا لم يكن لى أى علاقة بتنظيماتهم فى هذا الوقت ، إنما أنا لا أستبعد .. لأن وصولهم للحكم فى جميع بلاد العالم تم عن طريق الفوضى ..

س : والضباط الأحرار ؟

ج . لا أعتقد إطلاقاً أنه كانت لهم صلة لأن الضباط الأحرار احتاجوا لحوالى ثلاثة أو أربعة أيام لكى ينظموا أنفسهم بعد حريق القاهرة ... وحصل التفكير فى عمل مظاهرة للملك مثل مظاهرة عرابى .. فلما قدر عدد الضباط الذين يمكن أن يسيروا فى هذه المظاهرة اتضح أنه عدد قليل جداً مما اضطر القيادة لإجراء تعديلات كثيرة فى التنظيم ، لأنه ثبت أن مجموعات عديدة كان نشاطها فى التجنيد محدوداً .. وأكبر تغييرات حدثت

فى سلاح الفرسان .. وترتب على ذلك عزل أفراد من الهيئة العليا للتنظيم .. وأوكلت مهام أكبر لأفراد آخرين ..

كل ذلك أثير عندما طلب جمال عبدالناصر من قيادات التنظيم أن تحدد : كم عدد الضباط الذين يمكن أن يخرجوا معنا فى مظاهرة إلى الملك .. لنقول له ما نريد .

وأعتقد أن هذا تم يوم ٢٩ يناير . لأنه يوم ٢٧ يناير وجدت رغبة بين صفوف الضباط ، وعلى الأقل فى وحدة الدبابات عندنا .. أن نضرب الملك ونقتله .. كرد على عملية إقالة الوفد .

س : هل كان هذا إتجاهاً من القيادة .. أم إقتراحا فرديا ؟

ج : لم يكن إتجاهاً من القيادة .. لسبب بسيط هو أن إرتباطنا بالقيادة كان ارتباطا واهياً .. نتلقى منشورات .. وندفع اشتراكا لا نعرف أين يذهب .. ولا نعرف أسماء ..

س : وما رأيك فى الأشياء المحددة التى ذكرها أحمد أبو الفتح فى إتهام جمال عبدالناصر والضباط الأحرار ، أو بعضهم .. بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة ؟

ج : أعتقد أن ما كتبه أحمد أبو الفتح وهو خارج من مصر فيه كثير من التجنى . لأن حركة الضباط الأحرار حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت للتنظيم الكفء الذى يستطيع أن يدبر أو يشترك فى مثل هذه العملية .. بدليل أن لما أثيرت مسألة المظاهرة العسكرية لم يجد التنظيم العدد الذى يصلح للقيام بمظاهرة ..

س : المظاهرة تحتاج لعدد كبير .. لكن الحريق ربما يكفى لإشعاله خمسة فما رأيك ؟

ج : صحيح .. الحريق فعلا لايحتاج لأكثر من خمسة . لكن الذى دبر لانقلاب عسكرى لايكشف نفسه على هذا النحو قبل شهور من الإنقلاب.. وإنما كأحد الضباط الأحرار لم أكلف بشىء للإشتراك فى الحريق .. ولم يبحث معى إلا عملية المظاهرة .. رداً على اقتراحى باغتيال الملك . وبعدها بيومين قال لنا خالد محيي الدين أننا نفكر فى حل بديل لموضوع المظاهرة فانتظروا شوية .. وكان أن انتظرنا ستة أشهر حتى قامت الثورة..

شهادة الاستاذ عبد الفتاح على أحمد (*)

* اليوزباشى عبد الفتاح على ١٩٥٢ .
* نائب وزير الإدارة المحلية حاليا .

* كنت ضابط عظيم الآلاى الخامس مدرعات (سلاح الفرسان حينئذ) . . برتبة يوزباشى . تلقيت إشارة فى تمام الساعة الخامسة إلا ربعاً بالتحرك بقوات الطوارىء لقمع مظاهرات ، وأن أضع نفسى تحت قيادة المنطقة المركزية (قسم القاهرة) ورئيسه على نجيب . . فى نادى الشرطة بحديقة الأزبكية . تحركت مع قواتى إلى هناك وسلمت نفسى لعلى نجيب وكان معه اللواء أحمد طلعت . أخذت التعليمات . . وقسمت القاهرة إلى مناطق ، لم أكن أعرف أن فى القاهرة حرائق أو أى شىء من هذا . . أول ما شاهدت فى الطريق خمارات فى شارع الملكة نازلى (رمسيس) . . براميل خمرة مرمية . . وزجاجات ويسكى . . تدوسها السيارات . . وصلت لميدان المحطة وكانت الصورة مقلقة . . ثم فى شارع إبراهيم وجدت المحلات محترقة . . ووصلت إلى حديقة الأزبكية وتلقت تعليماتى من اللواء على نجيب .

س : كم كان عدد القوات التى معك ؟

ج : ليس كبيرًا . حوالى ١٥٠ صف وعسكرى. قوات لوارى ولم تكن توجد مدرعات .. لأن المدرعات كانت فى الكيلو ٥١ قرب الربيكى .

(*) مسجلة صوتياً فى مارس ١٩٧٥ .

س — وماذا كانت مهمتك ؟

ج — كلفت باخلاء ميدان الأوبرا من المتظاهرين من أول بنك بركليز حتى شارع فؤاد (٢٦ يوليو) . . والتعليمات كانت تقضى بتفرقة المظاهرات ولو أدى الأمر لإطلاق الرصاص . . وقد نبهت على جنودى بألا يتلقوا أوامر من أحد غيرى .

وألا يعمروا السلاح إلا بأمرى . وزعت قواتى . .

س — وما هى ملاحظاتك ومشاهداتك ؟

ج — وجدت الشعب ساخطا وفى ثورة عارمة . . ومتحفزاً . . بعض المواطنين معهم جرادل بها جاز وكور شراب مبتلة بالجاز والبنزين .. وعروق خشب وسلالم محمولة على الأكتاف . . أجن حديد . . بعضهم تحرش بقواتى . . وهتفوا فى وجهنا « إلى القتال يا جبناء » فخاطبتهم وقلت لهم نحن وطنيون مثلكم . . والجيش وطنى وهم أخوتكم وأبناؤكم . . وبالحسنى استطعت تهدئة خواطرهم . . حتى أن بعضهم حاول أن يحملنى على الأكتاف فقلت لهم لا . . أنتم تضروننى لو فعلتم ذلك . . المهم هو أن نحافظ على بلدنا . . فقالوا وماذا تطلب منا ؟ . . قلت إنصرفوا . بعضهم كان معه بنادق مأخوذة من محل ماراتوس ، وأقنعتهم بتسليمى السلاح . . والانصراف . تم ذلك فى حوالى عشر دقائق ليس أكثر . . وبدون طلقة رصاص واحدة .

ولم نتم طول الليل . . ونفذنا منع التجول . .

طبعاً الصورة كانت فظيعة . الحرائق فى كل مكان . .

(م ٥٧ — حريق القاهرة)

المحلات مكسورة . . البضائع على الأرض . .

س — هل قبضتم على أى شخص ؟

ح — قبضنا على عدد قليل من الذين أصروا على عدم الانصراف . . وسلمناهم للبوليس . . حوالى ٥ أو ٦ . .

س — كانوا من الذين يحرقون . . ؟

ج — نعم . . وقبضنا عليهم ومعهم جرادل وجاز وبنزين . .

س — هل شاهدت معهم أى مادة حارقة . . بودرة مثلا ؟

ح — نعم . لكننا لم نأخذها . كانت مادة ذات لون سنجابى فى صورة بودرة . . وقد شاهدتها عند باركليز بالذات .. وعند ماراتوس.. وجروبى عدلى . . وفى عبد الخالق ثروت . . كانت فى الأرض..

س — هل رأيتها مع أى شخص ؟

ح — طبعاً رأيتها مع أشخاص . . لكن لم نستطع القبض عليهم . . لأنهم جريوا . .

س — كانت لديكم مثل هذه المواد فى الجيش ؟

ح — لا . . .

س — هناك اتهام موجه إلى الضباط الأحرار بأنهم هم الذين أحرقوا القاهرة لكى يستولوا على السلطة . . ما رأيك؟

ح — غير معقول بالمرة . أنا من الضباط الأحرار ولم أكن أدرى أبداً أن هناك تدبيراً لحريق القاهرة . . لأنه لو كان هناك تدبير من التنظيم

لكنا كلفنا بهذا ؟ . وأجزم أن أى ضابط من الضباط الأحرار لم يشترك فى حريق القاهرة من أجل الاستيلاء على السلطة .

س — هناك إتجاه فى البلد مقتنع بهذا . وكاتب كبير هو الأستاذ أحمد أبو الفتح ذكر فى كتاب له أن عبد الناصر هو الذى أحرق القاهرة .؟ أليس من الجائز أن يكون هذا قد تم . . بمجموعة غيركم ؟

ج — كان واجبنا القيام بعمليات فدائية ضد المستعمر . . وكنا نعرض أنفسنا للموت . . هل يعقل أن ننزل ونحرق بلدنا . . من أجل الاستيلاء على السلطة . . ثم إذا كان كذلك . . لماذا لم نستول على السلطة فعلا فى تلك الليلة ؟

س — قال لى حكمدار العاصمة حينئذ أن اللوارى التى نزلت كانت « تعبانة » . . . ولا تسير إلا « بالزقة » . . فهل كان هذا صحيحاً ؟

ج — كانت كل معداتنا الصالحة والضاربة منتشرة على خط القناة . . عند الكيلو ٥١ . . وبقية القوات كانت بسيطة . . وسياراتها سيارات حملة قديمة . . لكن تؤدى مهمة . .

س — قيل أنه لما نزل الجيش كانت الجماهير تصفق له ؟

ج — حصل . .

س — ثار خلاف حول موضوع الإذن الكتابى بضرب النار . . رجال البوليس قالوا إن على نجيب طلبه كشرط للضرب . وعلى نجيب قال أنه أصدر تعلياته بضرب النار بدون إذن من البوليس . . فهل علمت شيئاً عن هذه الواقعة ؟

ـ ـــ حضرت هذه الواقعة فى نادى الشرطة بالأزبكية لما قال اللواءأ حمد طلعت . . للأميرلاى نجيب (اللواء نجيب بعد ذلك) إضرب فى المليان . . فكان رد على نجيب « أعطنى أمراً كتابياً عشان أستعمل الرصاص» . . وأنا أصدرت تعلياتى لجنودى وقلت له يا أفندم أنا ما عنديش أمر كتابى باطلاق الرصاص . . فلن نطلق الرصاص . ـ

شهادة الأستاذ أبو الفضل الجيزاوى المحامى (*)

– اليوزباشى أبو الفضل الجيزاوى سنة ١٩٥٢ .
– عضو تنظيم الضباط الأحرار

كانت أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢ مفاجأة كاملة لنا . قبلها كانت البلد تشتعل بحركة وطنية ، وكان عدد كبير من الشباب ، ومن طلاب الجامعات قد توجه للقناة لكى يواجه القوات البريطانية التى كانت تحتل المنطقة . وكان الحزب الاشتراكى وعلى رأسه الأستاذ أحمد حسين يجمع الفدائيين ويرسلهم إلى القتال . ونحن كضباط أحرار كان علينا واجب فى المعركة . فكنا نتجمع ونرسم خطط تدريب الفدائيين فى معسكراتهم ، فكنا نقوم بتدريبهم فى قشلاقات الجيش بالعباسية ، وكنا نمدهم بالذخيرة والمواد الناسفة. من الوفورات التى كنا ندخرها من ضرب النار . . وكنا نقسم أنفسنا فى خلايا تتولى الاتصال بالفدائيين . كانت البلد كلها تموج بحركة وطنية شاملة وحركة فدائية واسعة للقضاء على الاستعمار البريطانى .

وفى إعتقادى أنه حدث تآمر بين القصر والإنجليز لكى يوقفوا هذا المد الثورى ، وكان سبيلهم إلى هذا هو حريق القاهرة . . حتى يستطيعوا أن يلفتوا الأنظار إلى الداخل ويبعدوها عن المعركة .

وفوجئنا يوم ٢٦ يناير بمظاهرات تخرج . . وحرائق تشتعل . . وفى القشلاق أعلنت حالة الطوارئ . . وأنا كنت فى هذا الوقت أركان حرب مدفعية الفرقة المدرعة . . ووصلت لنا تعليمات بأن نبقى فى هذا القشلاق . .

(*) مسجلة صوتياً فى أبريل ١٩٧٥ .

وكان وصولها الساعة ١١ صباحاً . . لكن أوامر التحرك لم تصل إلا بعد الظهر . وقد تحركنا نحن . . ووصلنا إلى مركز القيادة بحديقة الأزبكية فى فترة الغروب أو بعدها . . وكانت الحرائق كادت أن تنتهى . واندهشنا كيف لم يطلب منا النزول قبل ذلك . . ؟

فى ذلك الوقت كان الحماس الوطنى متأججاً فى نفوسنا . . فكنا ننبه على بعض بأن نقف موقفاً مؤيداً للشعب ، وألا نضرب فى الجماهير بأى حال من الأحوال . .

س — هل كان ذلك توجيهاً من قيادة تنظيم الضباط الأحرار . . فى ذلك اليوم ؟

ج — فى الواقع كان هذا استعداداً تلقائياً لدى الضباط . . فقد كنا جميعاً ملتحمين بالشعب ونمد الفدائيين بالأسلحة والذخائر والديناميت . . وبالنسبة لى كان كمال الدين حسين يحضر صناديق الأسلحة إلى بيتى .. لأسلمها إلى المندوبين الذين يقومون بتوصيلها للفدائيين ..

س — لكن . . ما كان يحدث فى هذا اليوم هو عمل تخريبى . . لا تنطبق عليه فكرة « عدم الضرب فى الجماهير » . . ألم يكن موقفكم بذلك متناقضاً ؟

ج — فى الواقع نحن لم نكن نعرف فى ذلك الحين . . وكنا نتصور أن هناك مؤامرة على الشعب . . وأننا يجب ألا نساهم فى ضرب الشعب . . لم تكن الصورة واضحة لنا . .

س — أين كان موقعك بعد أن نزلت مع القوات . . وما هى مشاهداتك . . وهل وقع فى أيديكم أى شىء استخدم فى الحرائق ؟

ح — كنت فى مركز القيادة بحديقة الأزبكية . . وكان على أن أمر على القوات فى المواقع . . ولم أشاهد إلا حرائق تمت من قبل . . ولم تقع فى يدى أو أشاهد أى أدوات أو مواد من التى استخدمت فى الحرائق . .

س — ما رأيك فى الاتهام الموجه للضباط الأحرار بأنهم حرقوا . . أو اشتركوا فى حريق القاهرة ؟

ح — أؤكد أن الضباط الأحرار لا صلة لهم بهذه الحوادث . لقد كنا نجمع الأسلحة والمواد الناسفة لكن للفدائيين . أذكر أن وجيه أباظه مرة أرسل لغماً كاملا إلى منطقة القناة . . وغيره كثير . .

س — ألم تسمع أى روايات عن حريق القاهرة من ضباط آخرين كانوا تحت قيادتك ؟

ح — بالصدفة منذ أيام كنت مع فؤاد صالح أحد الضباط الأحرار . . وروى لى بعض التفاصيل . . ويمكن عمل لقاء معه . .

س — هل تذكر إذا كانت قد صدرت لكم أوامر بضرب النار أم لا ؟

ح — أوامر بضرب النار مباشرة لا . . لأننا لسنا فى حالة التحام . . الأمر بضرب النار يأتى بصورة محددة . . إنما ننزل كده ع الماشى نضرب نار . . هذا لم يحدث أبداً فى أى حالة طوارئ . .

س — وماذا كان موقفكم أنتم كضباط أحرار من الأحداث ؟

ح — أذكر جيداً أنه حدث استفتاء بيننا على أساس أن هذا أحسن وقت

للقيام بثورة ضد النظام القائم ، خصوصاً وأن الجيش قد احتل البلد فعلا . . والشعور كله ملتهب . . ويمكن أن نسيطر . . وأنا شخصياً كان رأيي إن إحنا ننتهز هذه الفرصة. لكن قيادة الضباط الأحرار أرجأت عملية الثورة إلى فترة لاحقة . .

س — كيف كان شكل الاستفتاء . . ومتى تم بالضبط ؟

ج — كان عن طريق طرح الموضوع . . فى إجتماعات موسعة . . ثم تلقى الردود بعد ذلك بفترة . . وبالنسبة لنا فى المدفعية قام السيد كمال الدين حسين بعمل هذا الاستفتاء . . وقد سألنا : ما رأيكم . . هل الوقت مناسب للاجهاز على الملك والنظام الفاسد . . ونقوم بثورة ؟ . . البعض قال لا . . والبعض قال نعم . . لكن يبدو أن الأغلبية لم تكن مستعدة . وكان ذلك يوم ٢٧ يناير تقريباً . . والأيام التالية له مباشرة .

س — هل يمكن إعتبار هذا الاستفتاء نفسه إشارة إثبات للاتهام القائل بأن الضباط الأحرار أحرقوا القاهرة أو ساهموا فى إحراقها ؟ . حتى تتهيأ لهم الفرصة ويقوموا بعملية الاستيلاء على السلطة ؟ . . أى أليس ذلك يعنى أن النية — ربما الخطة كانت موجودة . . وأن الاستفتاء كان لمعرفة إمكانية تنفيذ الخطة . . وأن عدم استعداد الأغلبية هو الذى أفسد الموضوع ؟

ج — لو أن الضباط الأحرار هم الذين أحرقوا القاهرة . لكانت بقية الخطة — كما تقول — قد نفذت . ولكنا نحن الذين استفدنا من

الموقف . . لكن العكس هو الصحيح . : فلم نستفد . وفوجئنا مفاجأة كاملة بالحريق . .

س – ضمن القوات التى نزلت يوم ٢٦ يناير واضح أنه كان يوجد عدد كبير من الضباط الأحرار . . هل قام أى إتصال بينكم . : أو أى عمل مشترك . . فى هذه الليلة . . أو الأيام التالية طوال فترة الطوارئ ؟

ج – تنظيم الضباط الأحرار منذ سنة ١٩٥٠ إتخذ شكل التشكيلات الموجودة فى الجيش . . قبل سنة ١٩٥٠ كانت توجد تنظيمات سياسية داخل الجيش . . (وحدات عسكرية لكل تنظيم سياسى) .. عبد الناصر كان المحور الذى جمع كل هذه التنظيمات ، وأعاد تشكيلها على أساس علمى . . والجيش عبارة عن أسلحة . . سلاح المدفعية أصبح له تنظيمه الخاص . . وداخل المدفعية توجد أربعة فروع رئيسية : مضادة للطيران ، أنوار كاشفة ، مدفعية سواحل ، مدفعية ميدان . . كل فرع لوحده . ومدفعية الميدان كانت عبارة عن مدفعية الفرق المدرعة ومدفعية المشاه . . أنا مثلا كنت فى مدفعية الفرق المدرعة . . فكنت مسئولا عن التنظيم فى مدفعية الفرق المدرعة . . ولا علاقة لى بأى فرع آخر فى المدفعية.. أى الصلة غير موجودة من الناحية التنظيمية إلا داخل مجموعة الفرع أو القسم من السلاح حسب النظام العسكرى .

وطبيعى كان هناك إحساس مشترك بين الضباط الأحرار جميعاً . .

وأيضاً بين جميع الضباط فى الجيش حتى من غير التنظيم . . لأن الشعور الوطنى كان موجوداً فى هذا الوقت بشكل جاد . . بدليل أنه لما قامت ثورة يوليو بعد ذلك لم يقاومها أو يتأخر عن مساندتها إلا عدد قليل جداً من الضباط . . أما الغالبية فوقفت معها لأنها كانت راغبة فى التغيير . .

س — ما هى مادة الـ ت. ن. ت وما هى كفاءتها واستخداماتها ؟

ج — الـ ت. ن. ت تشكل بصورة مختلفة ، بودرة . . حبيبات . . ألياف . . عجينة كالجيلى . . حسب الاستعمال . وهى مادة مفجرة . .

س — نفترض أنها أستخدمت فى الحريق . . ما الذى تضيفه زيادة على حريق عادى بواسطة مواد أخرى ؟

ج — تؤدى إلى سرعة الانفجار . . مما يزيد من إتساع الحريق . .

شهادة الأستاذ محمد صدقى (*)

- كاتب قصة
- سكرتير نقابة عمال شملا ١٩٥٢
- صحفى بالجمهورية حالياً

كانت هناك أسباب لهذا الحدث . . تعتبر مقدمات له . كان سيعقد المؤتمر التأسيسى لاتحاد نقابات العمال المصرى . والمؤتمر الأول لشعوب الشرق الأوسط الذى كان سيحضره وفود تمثل الحركات الوطنية والشعبية فى الشرق الأوسط . . وأعد بالفعل « صوان » لاستقبال الوفود بميدان المحطة . وكان هذا المؤتمر سينعقد يوم ٢٩ يناير . . بعد إنعقاد مؤتمر إتحاد العمال فى ٢٧ يناير . .

طبعاً كان هناك موقف حكومة الوفد الوطنى بالغاء معاهدة ٣٦ وما ترتب عليه من نشاط فدائى . . والمد الوطنى والشعبى فى البلد كلها . . والنضال من أجل حرية الصحافة . . وتلاحم قطاع من حزب الوفد مع اليسار المصرى والقوى التقدمية . . وكان عزيز فهمى أبرز المعبرين عن هذا التلاحم . .

وحركة السلام كانت قد إتسعت بقيادة يوسف حلمى المحامى ، وضمت عدداً كبيراً من المثقفين والفنانين ورجال الدين وبعض رجال الأحزاب السياسية . . وأصدرت مجلة « الكاتب » التى رأس تحريرها سعد كامل . .

وكانت هناك إنتقادات متزايدة للملك وحاشيته . . بنشر أخبار اليخت المحروسة . . ومقالات « رعاياك يامولاى » لأحمد حسين . .

(*) مسجلة صوتياً فى مارس ١٩٧٥ .

فى مواجهة كل هذا كان لا بد أن يدفع الاستعمار والقوى الرجعية لتنفيذ مخطط تخريبى : . ظهر فى صورة حريق القاهرة .

والواقع كانت هناك شواهد تؤكد أن الإنجليز هم الذين دبروا حريق القاهرة . . فى هذه الفترة كنت أسكن فى حارة « العوايد » خلف بنك باركليز . .

وفى ليلة ٢٦ يناير كنت بايت فى مصر عتيقة عند إبن خالى . . وقبل الحريق بحوالى أسبوعين لاحظت أن البنك أخذ ينقل خزائنه على سيارات نقل كبيرة . . وكذلك مستنداته . . إلى فرع آخر هو فرع الشيكات الحكومية حالياً . . لأن الظروف كانت مشحونة . . وكنت أتوقع الاعتقال فى أى لحظة . . لأننا لم نكن نتصور أن يمر تأسيس أول إتحاد للعمال المصريين . . وأول مؤتمر لشعوب الشرق الأوسط ببساطة . . خاصة وأنه كان قد أعتقل عدد من أنصار السلام واليساريين . . كما صودرت مجلة الكاتب . . فالجو كان ملبداً . :

وفى صباح يوم ٢٦ يناير . . الساعة السابعة توجهت إلى عملى فى محلات شملا بشارع فؤاد . . وبينما كنت أسير تحت كوبرى الملك الصالح لكى أركب الترام المتجه إلى وسط البلد . . وجدت أفيشين ملصقين بجوار بعضهما فى النفق . . فيهما صورة حرائق . . عبارة عن ألسنة لهب باللون الأحمر . . ومكتوب عليهما « الشيوعيون فعلوا هذا » . . ولما كان الأمر يهمنى فقد وقفت وبحلقت فيهما . . وتبينت أن المصور عليهما حريق . . لكن أين ؟ فى بلد آخر . . ؟ . . وواصلت رحلتى . .

س — هل أنت متأكد أنك رأيت هذه الأفيشات يوم السبت ٢٦ يناير . . صباحاً ؟

ح — بالتأكيد . . الساعة ٧ صباحاً . . يوم ٢٦ يناير . وتصادف أنني قابلت أحد الزملاء بالقرب من المحل . . فقلت له أنني رأيت كذا . . فقال لى عجيبة وأنا أيضاً رأيت مثل هذين الأفيشين فى دوران شبرا .. وسألني : هو حصل إيه؟ . . ودخلت المحل ، ومارست عملى المعتاد . . وبعد ساعات جاء من يقول : ألحقوا . . هناك أناس كثيرون يجرون فى الشوارع . . وأيضاً عساكر بوليس . تصورنا أن هناك قوة بوليس متجهة إلى منطقة القنال . . الساعة ١١ تقريباً علمنا أن هناك حريقاً فى كازينو أوبرا . . عندئذ ضربت فى رأسى . . حريق . . ؟ . . إذن هناك شئ مدبر . . الساعة ١١,٣٠ بدأت الصورة تتضح . . فخرجنا وأنزلنا أبواب المحل الصاج . .

ظاهرة نقل المستندات وخزن بنك باركليز . . والأفيشات المكتوب عليها الشيوعيون فعلوا هذا . . ووجود كل ضباط البوليس المهيمنين فى السراى . . الطريقة التكنيكية للحريق نفسها لا تدل على أنه عمل غوغائى . .

إعتقال عناصر تقدمية . . ومطاردة عناصر أخرى . . لإبعاد قوى نشطة عن الميدان . . كان يمكن أن تتصدى للحريق . . كل ذلك يشير إلى تدبير المؤامرة . .

فى اليوم التالى للحريق . . شاهدت صاج أبواب المحلات فيها « شرط » ومن التمزيق بالبلط . . وقال لى زملائى الذين كانوا يتصلون بى أثناء إختفائى .. ويقدمون لى مساعدات لأنى كنت سكرتير النقابة . . أنهم وجدوا بالمحل صناديق سوداء كان بها « بودرة » . .

وأن الذين كانوا يحرقون كانوا ينثرون هذه البودرة ويشعلون عود كبريت فينتشر الحريق بشكل فظيع . »

ولاحظ الزملاء أن العملية لم يكن مقصوداً بها الانتقام من الأجانب . أو من الإنجليز بحجة الرد على ما حدث فى الاسماعيلية . . فلم تحدث محاولات لقتل الأجانب . . أو الاعتداء على أفراد منهم بأى صورة . . إنما كان المقصود هو إشعار العالم بأن البلد فى حالة فوضى شاملة . . وواسعة . . وإظهار الحكومة بمظهر العاجز عن حفظ الأمن والنظام . . والمحافظة على ممتلكات الإجانب . .

س — عندما إقتربت العملية من محل شملا . . ماذا حدث بالضبط . . وماذا فعلتم أنتم ؟

ح — كنا نقف عند الباب بعد أن أنزلنا الصاج على جميع الأبواب » فجأة كسر الباب الجانبى من ناحية سينما كايرو » . وولع . . عرفنا بعد ذلك أن أحد الأشخاص ضرب الباب ببلطة » . جرينا . . إندفع أشخاص كثيرون إلى داخل المحل . . واشتعلت النار . »

س — ما الذى كان يحرق ؟

ح — ناس لابسين عمال . . لكنهم بالتأكيد ليسوا عمالا عاديين . . إنما نوع آخر من الفرق المعدة لهذا العمل . .

س — وماذا حدث بعد ذلك ؟

ح — لاحظنا شيئاً غريباً . الحريق حدث يوم السبت . يوم الأحد كان

أجازة للمحلات الأجنبية . يوم الإثنين وجدنا الإدارة فى شملا — والمحلات الأخرى طبعاً — أبلغت العمال كلهم بأن يتوجهوا إلى مكتب العمل للحصول على إعانة ما بين خمسة وستة جنيهات . . كما صرفت بسرعة مكافآت للعمال من صندوق الادخار وكان ذلك غريباً لأننا كنا نفصل ونقضى مدة طويلة قبل أن نحصل على أى شئ . . وهذا كله له دلالة . فقد نفذت عملية لضرب الحركة الوطنية والشعبية — الحريق — وعندما نجحت كان لا بد من « ترييح الناس حتى لا يشعروا بآثار الكارثة على حياتهم . . فيكون ذلك سبباً فى تحركات جديدة !

شهادة الأستاذ عبد الوهاب غنايم(*)

– رئيس تحرير صوت الأمة عام ١٩٥٢
– محرر بجريدة الجمهورية حالياً .

* حريق ٢٦ يناير أثر تأثيراً كبيراً على الشعب المصرى . وكل واحد من الشعب كان يحاول كمواطن صالح أن يصل للهدف من هذا الحريق . . ولمصلحة من كان هذا الحريق . أنا كصحفى نزلت لأوافى جريدتى بالأخبار . وجدت بشارع ٢٦ يوليو حرائق مشتعلة فى المحال التجارية الكبيرة . ناس بتجرى وناس « تزعق » . . وأعداد كبيرة من الناس يتبادلون الاتفاقات . . ثم يجرون من مكان لآخر . رأيت عند البنك الأهلى قوات من البوليس يرأسها الصاغ نجيب بسيونى نائب المأمور تحاول منع الغوغاء من الوصول للبنك كمكان من الأماكن الحساسة بالنسبة لمصر . رأيت البوليس يحاول منعهم فلم يستطع ، فاضطر لإطلاق النار ، وأصيب عدد من الأشخاص . وبعد أن إنفضت المجموعات التى كانت موجودة ، جاءت الإسعاف ونقلت المصابين إلى المستشفيات .

وانتقلت إلى أماكن أخرى فوجدت فى أول شبرا لافتات مكتوب عليها كلام يتصل بالشيوعية والشيوعيين وشئ من هذا القبيل : ودعوة إلى استمرار الحريق . . لما لاحظت هذه الملاحظة قلت أسجلها . . وسجلتها فعلا فيما كتبت . . لكنها رفعت من الجريدة عن طريق الرقابة . .

واجتمع مجلس الوزراء فى بيت النحاس باشا ، واضطر النحاس باشا أن يطلع من القاعة لأنه كان مريضاً . ويقول للمجتمعين حول بيته : أنتم جايين

(*) مسجلة صوتياً فى فبراير ١٩٧٥ .

هنا ليه ؟ . . عاوزين إيه من هنا ؟ . . روحوا شوفوا الحريق وشوفوا الناس إللى بتحرق مين هى . . واضبطوهم وقدموهم للبوليس : لأن دى عملية خطيرة .. ودول ناس خارجين على القانون وعلى الوطنية ، ومايصحش أبداً يعملوا عمل ز ده فى عهد وزارتى . .

وكانت النتيجة أن الموجودين وكان من ضمنهم حافظ شيحا من أعضاء مجلس النواب . . أخذ بعض الشبان وتفرقوا فى البلد . . لحصر الحرائق ومعرفة أشخاص من الذين قاموا بعملية الحريق . . لتقديم أسمائهم للسلطة المسئولة .

وبعد ذلك خرج فؤاد باشا سراج الدين وذهب إلى قصر عابدين لبحث عدم نزول الجيش حتى ذلك الوقت . . وعاد ثائراً . . ثم توجه إلى مكتبه بوزارة الداخلية . . وذهبنا نحن وراءه . . واستمرت الاتصالات بين وزير الداخلية وبين رجال الأمن من ناحية وبين رجال القصر والجيش من ناحية أخرى . .

وقيل أنه توجد حركة . . فيه ضباط أحرار فى هذا الوقت ربما يكون وضعهم مع الإخوان المسلمين مع مصر الفتاة وجماعة يقال عنهم شيوعيون .. وكان البوليس يطاردهم قبل حريق القاهرة . . كل هؤلاء إنضموا معاً وتكتلوا ضد الحكومة القائمة حتى يسقطوها . .

وهذا ما عرفناه من بعض الذين تحدثوا عن الحريق فى ذلك الوقت . . ومن رؤيانا للحريق وحوادث يوم ٢٦ يناير . .

س — إذن أنت تعتقد أن القوى التى ذكرتها هى التى أحرقت القاهرة . . أم هناك قوى أخرى ؟

ج — ما أعتقده أنها كانت قوى متعاونة مع بعضها . . كان منها الظاهر وما يتحدث عنه الناس . وكان منها الخفى الذى لا يعرف عنه أكثر من أنه يعاون فى الحريق . . .

س — من هو الخفى ؟

ج — على ما أذكر كانوا يقولون مصر الفتاة والشيوعيين .

س — هذا هو الخفى ؟

ج — آه . .

س — ومن الظاهر ؟

ج — الظاهر كان الإخوان المسلمين وبعض الغوغاء . . .

س — هل للملك أو الإنجليز . . أى دور فى العملية ؟

ج — المعروف . . وكان يقال أيضاً فى ذلك الوقت . . أن القصر له ضلع كبير جداً فى هذه العملية بالاشتراك مع الإنجليز . . والإنجليز كان يهمهم إسقاط الوزارة خصوصاً بعد إعلان إلغاء المعاهدة .

س — هل لديك أى دليل يثبت إدانة القصر ؟

ج — الواقع كان لا يمكن إقامة الدليل لأن القصر كان محوطاً بسياج قوى أو سياج حديدى من المنع . .

س — ما هى الوسائل التى استخدمت فى الحريق . . ؟

ج — ما لاحظته أن بعض الحرائق كانت تتم بواسطة « عصيان » ملفوف عليها قماش مبلل بالبنزين أو الجاز ويلقى بها داخل المحلات فتشتعل

النار . والبعض كان يقطع أسلاك التليفونات من ناحية لتعطيل التليفونات ومن ناحية أخرى لإشعال الحريق بواسطة الماس الكهربائى .

س — هل سمعت عن استخدام نوع من « البودرة » فى هذه الحرائق ؟

ج — سمعت عن استخدام بودرة مشتعلة . . لكن لا أستطيع أن أدلى بمعلومات عنها لأنى لم أرها بنفسى . . إنما سمعت عنها من أشخاص آخرين . .

س — هل ضبط فى الحريق . . أو لوحظ أى أشخاص غير مصريين إشتركوا فى الحريق ؟

ج — كان فيه إشاعات أن بعض الأشخاص غير المصريين إشتركوا فى الحريق . .

س — ما هى الإشاعات ؟

ج — قيل : كان فيه أجانب داخلين فى وسطهم بتحريض من الإنجليز . . وأخرى ، إن فيه مشتركين بتحريض من القصر . . ولم يكن ممكناً ضبط أى شخص . . لأن الشوارع كانت ممتلئة . .. ونفس الأماكن التى تحرق كان يخرج منها ناس كثيرون فى وقت واحد . .

س — ما موقف البوليس السياسى . . والقلم المخصص فى ذلك اليوم ؟

ج — من كان ظاهراً منهم . . كان يتظاهر أمام الصحفيين أو أمام المسجلين للحوادث أنه يحارب مرتكبى الحوادث . لكن الحقيقة كانت غير ذلك . . فكان بعضهم يساهم فى إخفاء الفاعلين أو عدم ضبطهم . .

س — هل وقعت أى واقعة من هذا النوع أمامك ؟

ح — أنا كنت « صحفى معروف لهم » . . ولذلك كانوا حريصين على ألا يظهروا أمامى أى شئ قد يكون فيه مسئوليات عليهم . .

س — سمعنا عن « أفيشات » الصقت مرسوم عليها حرائق ومكتوب عليها « الشيوعيون فعلوا هذا » . . هل رأيت هذه الأفيشات ؟

ح — أذكر أننى رأيت أفيشة من هذا النوع عند كوبرى شبرا . .

س — هل تتصور شكلها ؟

ح — أفيشة كبيرة : ومكتوب عليها كتابات . . ورأيت واحدة عند حديقة الأزبكية — فى شارع ٢٦ يوليو . .

س — ماذا كان مكتوباً عليها ؟

ح — مكتوب عليها نفس العبارة التى ذكرتها . .

س — وما شكل الرسم الذى عليها ؟

ح — شعليلة نار فى رأس عصى . . يلقى بها شخص فى كل إتجاه . .

س — هل تذكر متى بالضبط رأيت هذه « الأفيشات » ؟

ح — التى عند كوبرى شبرا رأيتها بالليل حوالى الساعة ٩ مساء

س — يوم . .

ح — يوم ٢٥ يناير على ما أذكر . : ثم رأيتها صباح يوم ٢٦ يناير فى شارع فؤاد بجوار حديقة الأزبكية . .

س — هل أنت متأكد أنك رأيت هذه « الأفيشات » يوم ٢٥ يناير مساء ويوم ٢٦ يناير صباحاً أم يوم ٢٦ مساء و ٢٧ صباحاً ؟

ج — ما أذكره أنها كانت يوم ٢٥ مساء عند كوبرى شبرا . . وعند الأزبكية يوم ٢٦ صباحاً .

س — لماذا أنت متأكد من هذه المواعيد . . أليس من المحتمل أن تكون ذاكرتك غير دقيقة فى حفظ المواعيد . . أو ربما تكون ناسياً ؟ هل هناك شىء محدد يجعلك تذكر هذه التواريخ بالذات ؟

ج — نفس الرؤيا هى التى تذكرنى بالتاريخ . . وتاريخ يومى ٢٥ و ٢٦ يناير معروف جيداً بالنسبة للناس الذين كانوا يبحثون عن الحقيقة من الغرض من حرق القاهرة . . والذى يذكرنى بهذه التواريخ أننى إندهشت جداً عندما شاهدت هذه الأفيشات . . ثم إندهشت أكثر عندما حدث الحريق . .

س — لكن هذا يعنى أن هذه « الأفيشات » كانت تشير إلى حريق . . وأن هذا الحريق لم يحدث بعد . . المنطق يقول أن الأفيشات تعمل بعد أن يتم الحريق . . فأنا أرجو أن أستوثق من أن ذاكرتك لا تخونك فى تحديد يوم ٢٥ مساء ويوم ٢٦ صباحاً . .

ج — المفروض أن وضع هذه الأفيشات كان بتوجيه . . والتوجيه إستمر من بدء التفكير فى العملية وبدء المؤامرة . . إلى أن إنتهت المؤامرة . . والمؤامرات طبعاً منفذوها كانوا يعرفون الهدف من هذا التوجيه . .

س — ومتى نزعت هذه الأفيشات ؟

ج — هذه لا أذكرها . .

س — هل تستدل من هذه الأفيشات على : أن الشيوعيين لأنهم كانوا يعرفون أنهم سيحرقون القاهرة . . هم الذين طبعوها وألصقوها .. أم أن البوليس السياسي هو الذى أعد هذه الأفيشات لكى يلصق تهمة حريق القاهرة بالشيوعيين . . ؟

ج — هذا تحليل لا أجزم به : وما قيل عن الشيوعيين هو كلام تناوله بعض الناس . . لكنني لا أعتقد أن الذين أشعلوا الحريق كان عندهم أى شئ من الوطنية . . ومن المحتمل أن يكون البوليس السياسي أو أى جهة أخرى هى التى عملت هذه الأفيشات لاتهام الشيوعيين فى الحريق . .



الوثائق

بيان المرشد العام للإخوان المسلمين[1]

(حول أحداث ٢٦ يناير ١٩٥٢)

« روعت البلاد لما حدث بالقاهرة أول أمس من أعمال الفوضى والعنف والعبث بالممتلكات وإحراقها . . والإخوان المسلمون يستنكرون هذه الأساليب التى لا يمكن أن تكون وسيلة لتحقيق أهداف الوطن بل هى على التحقيق ضارة بقضيته ، وتفتح باباً خطيراً من أبواب الفتنة يصيب كثيراً من الأبرياء ، وكان الأجدر بمرتكبى هذه الحوادث أن يلجوا باب الجهاد الصادق الذى ولجته الأمة ورأت أنه السبيل الوحيد لإكراه الإنجليز على مغادرة البلاد .

« ويخطئ من يتصور أن احراق حانة أو تدمير ملهى فيه قضاء على أسباب الشر والرذيلة ما دامت القوانين القائمة تبيح قيامها وتنظمه ، وقد حدث من قبل مثل هذا الاعتداء فلم تفد الأمة منه شيئاً ، وأعلن الإخوان أنهم لا يؤمنون بهذا الأسلوب ، وحذروا رجالهم أن يكون لأحدهم به صلة .

« وطريق الإخوان المسلمين هو الجهاد بالوسائل المشروعة لتغيير هذه القوانين وهم لم يدخروا وسعاً منذ قامت دعوتهم فى توجيه المسئولين هذه الوجهة الصالحة وقد أعلنت ذلك فى خطاب لى بمدينة الإسكندرية منذ أسابيع .

« ويخطئ من يظن أن محاربة الإنجليز إقتصادياً ، تكون عن طريق تدمير المتاجر والمؤسسات ، إنما طريق ذلك المقاطعة وحدها وتنظيمها داخلياً ،

---

(١) نشر بجريدة «الدعوة» لسان حال الأخوان المسلمين بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٥٢.

والعمل على منع الاستيراد من الأسواق الإنجليزية ، ومما يساعد على القضاء على الفتنة أن تنفذ الحكومة ما وعدت به من مواجهة الموقف تجاه الإنجليز بما يقتضيه من إصرار وتصميم .

« والله يتولانا جميعاً بالرعاية والهداية والتوفيق . والله أكبر ولله الحمد » .

حسن الهضيبي

المرشد العام للاخوان المسلمين

المنشور الذى أصدره الضباط الأحرار يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢*

الجيش مع الشعب

أيها الضباط ،

إن الخونة المصريين يعتمدون عليكم وعلى جيشكم لتنفيذ أهدافهم وهم يظنونكم أداة طيعة فى أيديهم للبطش بالشعب وإرغامه على قبول ما يكره . .

فليفهم هؤلاء الخونة أن مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانته . . وأن وجود الجيش فى شوارع القاهرة إنما هو لإحباط مؤامرات الخونة التى تهدف إلى التدمير والتخريب . . ولكننا لا نقبل ضرب الشعب . . ولن نطلق رصاصة واحدة على مظاهرة شعبية . . ولن نقبض على الوطنيين المخلصين . يجب أن يفهم الجميع أننا مع الشعب الآن . . ومع الشعب دائماً ولن نستجيب إلا لنداء الوطن أيها الضباط .

إن الوطن فى خطر فتنبهوا للمؤامرات التى تحاك له ولكم .

إلتفوا حول الضباط الأحرار ففى ذلك نصر لكم وللشعب الذى أنتم جزء لا يتجزأ منه .

«الضباط الأحرار»

(*) المنشوران نعيد نشرهما نقلا عن مذكرات كمال رفعت «حرب التحرير الوطنية فى إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وإلغاء إتفاقية ١٩٥٤» إعداء مصطفى طيبة» .

المنشور الذى أصدره الضباط الأحرار أثناء وزارة الهلالى الأولى

إنقلاب جديد

توالت مؤامرات الاستعمار الأنجلو أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال إلى مشاكل داخلية فى القاهرة ، فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات وإلغاء المعاهدة ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعى الاستعمارى وتكوين الكتائب الوطنية ، واشتدت جذوة الوطنية فى البلاد كادت أن تصل مصر إلى حقوقها الكاملة ، دبر الاستعمار وأذنابه إنقلاب ٢٦ يناير الماضى . . وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيراً من على ماهر التسليم كاملا بمطالبهم بقبول واشتغال الأحكام العرفية للتنكيل تنكيلا واسعاً بالشعب .

ولكن خاب رجاؤهم ولم يجبهم على ماهر إلى مطالبهم . . فكان لا بد من إنقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية السابقة وتحويل الحركة إلى الداخل والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار .

وهكذا وصل إلى الحكم بعد تدبير سابق . . وقد جاء الهلالى وأعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وأن مهمتها الرئيسية هى التطهير ، وقد تناسى

أن الفساد الأكبر مصدره الاستعمار ، وأنه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى إلا إذا قضى على أسبابه ومصدره .

إن من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ . . ولكن يجب ألا نتجه لذلك إلا بعد القضاء على الاستعمار .

«الضباط الأحرار»

بيان الحزب الاشتراكى الصادر فى ٢٤ يناير سنة ١٩٥٢

الحزب الاشتراكى يقرر

١ – وجوب إسقاط الحكومة لإنقاذ البلاد مما يوشك أن يحل بها من كوارث على يد هذه الحكومة .

٢ – إنسحاب رئيسه إلى إحدى قرى الريف والكف عن كل نشاط إستنكاراً لمسلك الحكومة وكشفاً لسياستها أمام الشعب .

* * *

يعلن الحزب الاشتراكى أن سياسة الحكومة والتى يسأل عنها فى الدرجة الأولى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية ، توشك أن تعرض الشعب لنكبة مروعة ، وكارثة محققة ، إذ تشيع الفتنة وتطلق الفوضى ، وتهدر دم الشهداء من طليعة الشعب المجاهد وتعرض عدداً كبيراً من المواطنين للمصائب والويلات فى الوقت الذى يثرى فيه فريق آخر على حساب هذه النكبات وسوف تنتهى سياسة الحكومة بعد ذلك كله بعقد إتفاقات مع الإنجليز لتحقيق ما يريدون ، سواء على يد هذه الحكومة بالذات أو على يد من وراء الستار والتى تجرى بعلم الحكومة أو نتيجة سكوتها .

ولذلك فان الحزب الاشتراكى الذى حال حتى الآن دون سقوط هذه الحكومة ، والذى حماها من خصومها وأعدائها وبذل كل ما فى جهده لإقناع الشعب بالإبقاء عليها على الرغم من كل مساوئها ومثالبها تفادياً من قيام حكومة إنقلابية أخرى تكون أشد خطراً منها ، يعلن على رؤوس الأشهاد أن الحكومة الحاضرة تحت قيادة رئيسها الفعلى فؤاد سراج الدين قد وصلت إلى الحد الذى لم يعد هناك خطر يمكن أن يحل بالشعب أكثر مما تنزله هذه الوزارة بالفعل وسياستها الغامضة . المنكودة سواء بالنسبة لكيانه المعنوى

من حيث وحدة الأمة التي تعتز بها منذ فجر الثورة ، وتدعيم الدستور ، وتأكيد سيادة الشعب وصيانة حرياته العامة وخاصة حرية الصحافة ، أو بالنسبة لكيانه المادي الذي يوشك أن ينهار تحت وطأة الغلاء وتدهور مستوى المعيشة ، وتسليط فئة قليلة من المحظوظين وكبار الملاك والرأسماليين على الكثرة الساحقة من أبناء الشعب الكادحين . أو بالنسبة لقضيته الكبرى وهي إجلاء الإنجليز عن أراضيه بدون قيد أو شرط أو معاهدة محالفة من أي نوع كان .

ولذلك فهو يدعو الشعب بالفعل بالعمل على إسقاط هذه الحكومة بما وضعه الدستور تحت يده من وسائل وإمكانيات قانونية مشروعة لإسقاط الحكومات .

ولما كان إمتناع الوزارة عن التنحي عن الحكم برغم إرادة الشعب في هذا الوقت العصيب سيعرض البلد لهزات ونكبات ، وقد يسلمها للفوضى ولما كان رئيس الحزب الزميل أحمد حسين الذي قام بواجبه نحو هذا الشعب وقضاياه على الوجه الأكمل حتى الآن وأشرف على حركة المقاومة بنفسه منذ اليوم الأول حتى هذه الساعة ، ليس ممن يؤمنون بالعنف أو يرحبون بالفتن ، فقد قرر أن ينسحب موقتاً في إحدى قرى الريف النائية إظهاراً لسخطه واستنكاره على سياسة الحكومة من ناحية ، وتحميلا لها وحدها مسئولية ما سوف يقع إذا هي أصرت على رفض الاستجابة إلى الشعب بالتنحي عن الحكم .

والحزب الاشتراكي لم يصل إلى هذا القرار الخطير إلا بعد دراسة عميقة إستعرض فيها جميع الحقائق التي تحيط بموقف البلاد ، مستلهماً المصالح العليا للشعب وحده . وأنه ليضع هذه الحقائق تحت أنظار الجميع ليطمئن الشعب إلى أن الحزب الاشتراكي يقدر مسئوليته تمام التقدير . وهو لم يصل إلى هذا القرار إلا بعد أن أصبح هو السبيل الوحيد لإنقاذ البلاد .

دراسة تحليلية للموقف السياسى والعسكرى
قبل ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢

١ – ماضى الوفد :

* قامت سياسة الوفد منذ إنشائه على قاعدة أساسية وهى السعى للحصول على إستقلال مصر ما استطاع إلى ذلك سبيلا وإذ كان الشعب فى ثورة ضد الإنجليز فقد كان سبيل الوفد للحصول على الاستقلال هو مجاهدة الإنجليز .

ولكن الوفد نكص عن هذه السياسة منذ وقت مبكر حرصاً منه على كراسى الحكم ومغانمه فاستبدل بمجاهدة الإنجليز صداقة الإنجليز ، ولن ينسى التاريخ لسعد زغلول قولته المشهورة : « الإنجليز خصوم شرفاء معقولون » ولن ينسى لخليفته مصطفى النحاس كلمته الأكثر شهرة «وخسرنا المعاهدة وكسبنا صداقة الإنجليز » ولن ينسى له إبرامه بعد ذلك هذه المعاهدة المنكودة التى باسمها يحتل الإنجليز بلادنا الآن ، ويقتلون أبناءنا ، ويدكون مدننا ، وأنه وصفها فى ذلك الوقت بأنها معاهدة الشرف والاستقلال ، واعتبر كل من تجرأ على نقد هذه المعاهدة خائناً للوطن ولعله مما يشرف الحزب الاشتراكى أنه كان على رأس الذين استحقوا هذا الاتهام بالخيانة لمحاربتهم معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وزج برئيسه وأعضائه فى السجن على هذا الأساس، وفى سنة ١٩٤٢ جاء الوفد إلى الحكم على أسنة الحراب الإنجليزية – وبالأحرى دبابات الإنجليز – وفى سنة ١٩٤٩ أقترح الإنجليز عودة الوفد إلى الحكم .

وهكذا أصبحت صداقة الإنجليز هى دعامة الوفد الكبرى وأساس سياسته التى ترتفع به إلى الحكم ، وتبقيه فى كراسى الحكم أطول مدة ممكنة ، ولكى يحجب الوفد ما فى هذا الانقلاب من خيانة الشعب إستبدل بمهمته الأساسية وهى السعى لاستقلال البلاد بمجاهدة الإنجليز . العمل على صياغة أحكام الدستور وتأكيد سيادة الشعب وإطلاق الحريات العامة والعمل على رفاهية الشعب .

فانخدع الشعب طويلا بهذه الأكذوبة العريضة ورضى بالهدف الجديد لساسة الوفد .

* على أن حزب الوفد لم يكن يخلو من حسنة فى تكوينه فى سياسته العامة ، فقد نجح فى تحقيق مشيئة البلاد فى المحافظة على وحدة الشعب المقدسة ، والقضاء على دسيسة المستعمر الأجنبى من تقسيم الشعب إلى غالبية مسلمة وأقلية مسيحية فكان لا يراعى فى تشكيل وزارته أو فى تقليد الوظائف العامة هذه التفرقة المحجمة التى لا سند لها من دستور أو دين والتى كانت من صنع المستعمر تطبيقاً لسياسة « فرق تسد » .

* هذان الطابعان لسياسة الوفد العامة من صيانة أحكام الدستور وتدعيم وحدة الأمة قد حمل الشعب على التسامح مع الوفد إلى حد بعيد فكان يتمسك دائماً باعادته إلى الحكم فى كل إنتخابات عامة أجريت فى حرية ، وذلك على الرغم مما اشتهرت به حكومات الوفد المتعاقبة من فقدان النزاهة فى الحكم وتفشى المحسوبية وإشاعة الفوضى فى أداة الحكم واستغلال النفوذ والإثراء على حساب الشعب والتنكيل بخصومه الحزبيين .

٢ — الحكومة الوفدية :

* وعلى هذا الأساس ، إعاد الشعب الوفد إلى الحكم فى سنة ١٩٥٠

بعد غيبة دامت خمس سنوات كاملة ذاق فيها الشعب الأمرين من حكومات الإنقلاب العرفية ، حيث أهدرت كراماته وحرياته ومقوماته المادية ، فأعاد الوفد إلى الحكم ليعلى من جديد سلطانه وليثبت كرامته ، وليدعم حريته ، ولينقذ الشعب من ويلات الغلاء وتحكم شركات الاحتكار والرأسمالية الغاشمة والإقطاعية الظالمة ، التى تأبى إلا أن تجرد الفلاحين من ثمرة عملهم وكدهم وذلك بتطبيق السياسة الاشتراكية التى زعم الوفد وكتاب الوفد وصحف الوفد وزعماء الوفد أنهم يؤمنون بها . واستيقن الشعب أن حكومة الوفد هذه المرة لن تعود لارتكاب الحماقات التى إعتادت إرتكابها فى حكومتها السابقة وأنه لن تكون محسوبية ، أو إستغلال نفوذ ، أو حزبية ممقوتة ، بعد أن عانى حزب الوفد من هذه المتاعب ما عانى ووضع لحكمه كتاب أسود يسود وجه النهار .

* فما راع الشعب إلا أن يرى حكومة الوفد تتنكر منذ اليوم الأول لتقلدها زمام الحكم لكل الأسس والمبادئ التى طالما جاهد الشعب تحت لواء الوفد من أجلها . . فلم يعد الوزراء فى تصرفاتهم يهدفون إلى مصلحة الشعب أو يستلهمون الشعب . وإنما يستهدفون مصالح أخرى . ويستلهمون مصادر أخرى لا تمت إلى الشعب بسبب . وإن كانت تمت إلى كبار الملاك والإقطاعيين والرأسماليين وأصحاب الشركات بألف سبب وسبب .

* واستهتر الوزراء بارادة الشعب بما لم يسبق له مثيل فى تاريخ البلاد ، فأصبحت الأموال تنفق فى إسراف وفى سفه على التافه من الأمور وعلى الأصهار والمحاسيب والدلاديل وتستقطع من الأعمال النافعة المنتجة حتى أن مشروعاً رئيسياً تسعى البلاد لإنشائه منذ عشرات السنين ، وهو توليد الكهرباء من خزان أسوان قد لقى مصرعه نهائياً على يد هذه الوزارة . وأصبح

إستغلال النفوذ والإثراء على حساب الشعب هو القاعدة والأساس فى الحكم.

* وانتهكت الحريات على أوسع نطاق يطوف بالذهن . فألغيت بجرة قلم ، وحظرت الاجتماعات العامة ، واتهمت كل دعوة إصلاحية بأنها شيوعية أو أنها عيب فى الذات الملكية ، هذه التهمة التى أسرفت الحكومة إسرافاً فاحشاً فى توجيهها إلى خصومها ومعارضيها ولما وقف مجلس الدولة فى وجه هذه التصرفات فحمى الحريات وصان أحكام الدستور تآمرت عليه الحكومة أكثر من مرة حتى نجحت أخيراً فى إلقاء ظل كثيف على حريته وسلطانه وليس وراء ذلك جريمة أبشع من هذه يمكن أن ترتكب ضد الشعب .

* أما الغلاء الذى جاءت الحكومة لإلغائه بجرة قلم ، فقد استشرى بصورة تكاد تخمد أنفاس الشعب ، وتهبط بمستواه إلى الحد الذى لا يتصوره عقل بشرى وذلك كله لأنها جعلت سياستها كما قدمنا خدمة كبار الملاك وأصحاب الشركات ، فحالت دون تحديد الإيجارات الزراعية أو سعر القطن وهو الإجراء الوحيد الذى يخفض الأسعار ، واغترفت من أفقر طبقات الشعب لتغدق على الشركات الاحتكارية والرأسمالية وما حادث رفع أسعار البترول ببعيد فى الوقت الذى استولت فيه إيران على موارد بترولها ، وفى الوقت الذى تعدل فيه الاتفاقيات فى كل بلاد الشرق العربى للاستيلاء على النصيب الأكبر من أرباح شركات البترول إذا بحكومة الوفد التى جاءت لخدمة الشعب ترفع أسعار البترول لتضمن لشركات البترول أرباحها الفاحشة على حساب الشعب المسكين .

وفعلت مثل ذلك فى رفع أسعار السكر والمواصلات وأوشكت أن تفعل ذلك فى الرغيف وهى لا بد فاعلة إذا استمرت فى الحكم فترة أخرى .

والأرقام القياسية لنفقات المعيشة تدمغ هذه الحكومة بما لا فكاك منه وهو أن الشعب قد جاع وتعرى على يديها .

* وقطعت الحكومة عامين كاملين فى مفاوضات سخيفة مع الإنجليز كانت تساقيهم فيها الود وتتحدى مشاعر الشعب باستقبال كبار الإنجليز ووزرائهم وسط مظاهر الحفاوة والتكريم والصداقة الخالصة .

* وأصبح فساد الحكم والطبقة الحاكمة هو حديث العالم ، وأصبحت مصر مضغة فى أفواه العالمين ، واجترأت كل صحف العالم ومحطات إذاعته على مصر بما لم تجترئ به على أى أمة أخرى فى أى عصر من العصور ، وأصبح المصرى ينكس رأسه حيث راح وأنى ذهب لسفاهة هذا النفر من كبرائه وأغنيائه ووزرائه وطريق جمعهم للمال وإنفاقه على الشهوات والملذات الرخيصة .

٣ – إلغاء المعاهدة :

* وكان طبيعياً أن يتصدى الحزب الاشتراكى ، وهو حزب الشعب . لمحاربة الحكومة ومناهضتها فشن عليها فى عامى ١٩٥٠ ، ١٩٥١ حملة شعواء زلزلت الأرض تحت أقدامها . . وقد وقف الشعب كله إلى جوار الحزب الاشتراكى فى جهاده حتى أدركت الوزارة أنها وشيكة السقوط وأنها ستخرج من الحكم مذمومة مدحورة ، فأقدمت على إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ المنكودة على حين غرة وبدون استعداد أو تهيؤ سابق . . وألغتها فى وقت كانت قد حطمت فيه كل حريات الشعب ، وقوضت عناصر حيويته بمطاردة العمال ، ومحاربة الاشتراكية ، والزج برئيسها فى السجن .

* وقد سجل التاريخ أن حكومة الوفد عندما ألغت المعاهدة لم تكن

تقصد من وراء ذلك كله إلا القيام بمناورة حزبية لتسترد بها الأرض التى فقدتها . وأن كل الذى كانت تتمناه أن يبقى هذا الإلغاء حبراً على ورق لا يحدث أى آثار عملية وليس أدل على ذلك من أنه لم يسبق ولم يلحق بأى إجراء عملى لتحقيق هذا الإلغاء .

* ولكن الشعب الحى الواعى ، أسرع إلى تحويل هذه المناورة الحزبية إلى حقيقة واقعة ، فقامت المظاهرات فى مدن القنال واشتبكت مع الإنجليز الذين بلغ بهم الحمق إلى إراقة الدماء فسقط شهداء الشعب مسطرين بدمهم إلغاء المعاهدة الحقيقى وحافرين بأجسادهم الشريفة لأقرار لها بين الشعب المصرى والإنجليز .

وبادر العمال فى المعسكرات الإنجليزية بهجومها وأضرب عمال الموانى على ضفاف القنال عن العمل ، فأصيب الإنجليز بأكبر ضربة أذهلتهم وأطاشت لبهم ، وقوضت قصور الأحلام التى شادوها حول قاعدة قنال السويس الذهبية التى تسند إلى سواعد الشعب المصرى والتى كان يراد اتخاذها قاعدة هجومية ضد روسيا لإغراق الشرق الأوسط وأهله فى طوفان من الدم والخراب والدمار .

* وعلى الرغم من أن الحزب الاشتراكى يعرف تمام المعرفة حقيقة الدوافع التى ألجأت الوزارة إلى الإقدام على هذه الخطة ، وبالرغم من فقدان الحزب الاشتراكى كل ثقة فى أن يتم على يد حكومة يرأسها من الناحية الفعلية فؤاد سراج الدين أى خير لهذا الشعب ، باعتباره من كبار الإقطاعيين الذين لا تهمهم إلا مصالحهم الخاصة ، فان الحزب لم يشأ أن يضع العراقيل فى طريق الوزارة أو أن يشكك فى نواياها وخططها ، بل إنه نسى للحكومة

كل خصومة وكل إيذاء أوقعته به . . . وغلب حسن ظن النية فصدق وعودها وما زعمته من خطط تنتوى تنفيذها ومديدة لمعاونة الحكومة فى جهادها ضد الإنجليز منكراً ذاته ، ومتعرضاً لبعض الإشاعات التى أساءت تفسير موقفه الكريم . .

٤ – نكسة الحكومة الوفدية :

* وانطلق الحزب الاشتراكى (فى هذه الفترة) فى هذا التيار بكل ما وسعه الجهد لمحاربة الإنجليز تاركاً كل الخلافات والخصومات الداخلية جانباً ، بل تاركاً كل مبادئه وكل ما يدعو إليه باعتباره حزباً اشتراكياً إلى حين ، ومكرساً كل جهده فى سبيل ضرب الإنجليز فدعا إلى تأليف الكتائب وأنشأ معسكرات التدريب فى طول البلاد وعرضها واستجاب الشعب لذلك كله إستجابة مباركة وبدأت حركة المقاومة السرية للانجليز تشتد وتقوى . . . . وراح رئيسه يجوب البلاد ويعقد إجتماعات شعبية حاشدة ليؤجج فى الشعب روح المقاومة والاستماتة فى الدفاع عن حريته وكرامته .

* فما راع الحزب الاشتراكى إلا أن يرى الحكومة تقف من نشاط الحزب موقفاً معادياً فبدأت تحول بينه وبين عقد الاجتماعات العامة بحجة أنه يطالب الأغنياء بالمساهمة فى معركة التحرير مع أن الأغنياء يجب أن يتركوا وشأنهم فى ألعابهم وملاهيهم . ثم أصدرت قرارها بوقف كل نشاط للكتائب وإغلاق معسكرات التدريب مدعية أنها ستتولى بنفسها إعداد الكتائب ، ثم حظرت جمع أى إكتتابات لتغذية حركة المقاومة . فأطفأت شعور الشعب المتأجج وعرقلت جهود الصادقين العاملين على طرد الإنجليز .

* وبدأت الحكومة ، أو بالأحرى فؤاد سراج الدين يصادر الجريدة بصورة شائنة لا عهد للبلاد بها من قبل فالصحف تصدر منذ سنوات وسنوات

وهى طافحة بالنقد للحكومات فى مختلف العصور والأوقات ، بل إن الاشتراكية نفسها قد صدرت عامين كاملين وهى تحمل أشد الحملات على الحكومة وعلى سراج الدين ، فلم يجرؤ على مصادرتها سوى مرتين فى هذين العامين ، ذلك لأن المصادرة إجراء عنيف واعتداء على الأموال والدستور وحرية الصحافة المقدسة . ولكن سراج الدين يقرر وقد وجد قاضياً كان رئيساً من قبل لأحدى لجان الوفد يقره على مصادرة الصحف كلما رفع أمرها إليه ، أن يجرب أسلوباً جديداً فى القضاء على الجريدة الاشتراكية والحزب الاشتراكى فصادر الجريدة خمس مرات على التعاقب وهى كفيلة بتحطيم مالية أقوى الصحف والأحزاب .

* لم يشأ الحزب الاشتراكى (حينذاك) أن يسمح للغضب أن يستولى عليه ليصرفه عن المعركة الحقيقية ضد الإنجليز ولذلك فقد اكتفى بايقاف إصدار الجريدة عجزاً عن مواصلتها واحتجاجاً على هذا الأسلوب غير الشريف وإمعاناً فى التجرد للمصلحة العامة إنطلق رئيس الحزب الاشتراكى الزميل أحمد حسين للاقامة بمديرية الشرقية باعتبارها المديرية التى يهددها الإنجليز باحتلالهم وراح يطوف بالقرى وبلدان الشرقية يزكى شعور المقاومة بين الشعب ويستحث الجميع على البذل والتضحية والوقوف فى وجه الغاصب المعتدى . حتى تحولت الشرقية إلى شعلة من نار متقدة من الحماسة البريئة الطاهرة ضد المستعمر الغاشم ليس ينقصها سوى التوجيه والقيادة وبعض التسليح البسيط لكى تعطى الإنجليز درساً لن ينسوه أبد الدهر ولكن كيف إلى ذلك والحكومة تقف هذا الموقف السلبى الممقوت .

٥ ـ سوء حالة الفدائيين :

* ولقد هيأت إقامة رئيس الحزب (حينذاك) فى الشرقية الفرصة

ليقف على أحوال المجاهدين فى منطقة القنال والتل الكبير يأخذ بلبه هذه الروح العالية التى لا مثيل لها فى أى بلد من بلاد العالم فقد جاء الشباب من كل حدب وصوب ليحارب الإنجليز . جاء لايهاب الموت بل يقبل عليه كأنه يزف إلى عروسه، ولقد استطاع رغم ضآلة إمكانياته وسوء أسلحته بل وانعدامها تقريباً أن ينزل بالإنجليز ضربات موجعة ، وانخلعت لها قلوبهم .

* ولكن هذه الروح الفدائية العالية لا يمكن أن تستمر طويلا إذا ظل حال الفدائيين على ما هو عليه من تحالف الجوع والتشريد وقلة الإمكانيات عليهم أن من بين هؤلاء الفدائيين من عاش ويعيش ثمان وأربعين ساعة بقرش صاغ واحد يشترى به رغيفين لأن الحكومة راحت تحذر وتنذر كل من يقدم مالا للكتائب أو تبرعات من أى نوع كان ؟

* وأصبح الفدائيون يحاربون بأسلحة قديمة بالية ، وذخيرة فاسدة يذهبون إلى المعارك الطاحنة ليواجهوا الدبابات والمصفحات وحصون الإنجليز ببنادق لا تطلق ، فاذا أطلقت رصاصة لم تطلق الثانية فاذا كان هؤلاء المجاهدون لا يحصدون حصداً ، بل على العكس من ذلك يقتصون من الإنجليز ويكبدونهم خسائر فادحة فما ذلك إلا لروحهم العالية المنقطعة النظير والتى يقابلها من الناحية الأخرى جبن الإنجليز وفزعهم ، وفوق ذلك رعاية الله التى تظل المجاهدين الأبرار .

* ويقوم الفدائيون بأعمال مجيدة فيرد عليها الإنجليز فى قسوة وعنف على السكان المدنيين وعلى النساء والأطفال ، فيسلطون مدافعهم وطائراتهم على القرى فيحرقونها ويطردوا سكانها منها بعد أن ينكلوا بهم ويقتلوا ويجرحوا منهم العشرات ومع ذلك فتقف الحكومة من ذلك كله موقف

المتفرج الذى لا يعنيه من الأمر شئ وكأن الدماء التى تراق لا تعنى الحكومة فى قليل أو كثير .

* وكان آخر ما ارتكبه الإنجليز من جرائم وحشية وبربرية عدوانهم على التل الكبير واحتلالهم له بعد تشريد أهله وأسر مائة وثلاثين جندياً من رجال البوليس بأسلحتهم وذخائرهم . ولقد ذكرنا من قبل كيف هاجت الحكومة وماجت عندما هدم الإنجليز ستين مسكناً فى كفر عبده بالسويس ولكن دك مدينة التل الكبير كلها وطرد سكانها منها لم يحمل الحكومة على أن تحرك ساكناً .

وقد أعقب التل الكبير إحتلال مدينة الإسماعيلية التى كان قد جلا عنها الإنجليز . وأصبحت منطقة القنال فى عزلة تامة عن باقى أجزاء القطر لا يدخل إليها إلا بتصريح خاص من السفارة البريطانية ومع ذلك فان الحكومة لا تزال تقف موقف المتفرج الذى لا يعنيه من الأمر شئ كما قلنا .

* وعندما مضى الإنجليز فى إرتكاب جرائمهم بهدم كفر عبده فى السويس واحتلالهم له ، إنفجر غضب الشعب ضد الحكومة فأسرعت إلى إتخاذ بعض إجراءات متأخرة كان يجب أن تصدر منذ اليوم الأول لإلغاء المعاهدة لو كانت هناك نية صادقة وكان على رأس هذه الإجراءات التى حاولت الحكومة عن طريقه تهدئة الشعب قرار إباحة حمل السلاح . ولكن هذا القرار لم يكد يصدر ويحدث أثره وهو لا يزال مجرد حبر على ورق فلم تنفذ وعدها حتى الآن رغم توالى المصائب والكوارث على رأس الشعب واعتداء الإنجليز على بلدان مصر وقراها عدواناً تضاءل إلى جواره عدوانهم على كفر عبده .

٦ ـ الضاحك الباكي :

* وبينما تقع كل هذه الكوارث على فريق كبير من شعب مصر ، وتنتهك سيادة مصر هذا الانتهاك ، ويستشهد زهرة شباب مصر عشرات وعشرات تأبى الحكومة إلا أن يظل الشعب فى القاهرة والإسكندرية ، غارقاً فى الملاهى والشهوات . . . فالكباريهات تظل مفتوحة لروادها من العابثين والعشاق ، ودور السينما حتى الإنجليزية منها تكتظ كل يوم بروادها تحت حماية حراب البوليس ، ومحطة الإذاعة مشغولة باذاعة الأغانى اللاهية وحفلات الطرب وإذاعة المساخر الفكاهية .

* ويقف كبراء مصر وأغنياؤها باشواتها وملاكها وأصحاب رءوس الأموال وكبار تجارها ونوابها وشيوخها يقف كل هؤلاء فى معزل عن معركة التحرير فلا تراهم يمدون يداً للمجاهدين ، ولا تراهم يتبرعون لهم بمال بطريقة منظمة ، ولا تراهم يعيشون بين بلدانهم وقراهم وفلاحيهم المهددين . . بل يقفون بدورهم موقف المتفرج ، أو قل موقف المتربص الذى يتربص الدوائر بالمجاهدين والمكافحين .

* بل إن الحكومة (وقتئذ) لا تزال فى علاقات على أصفى ما تكون من الود مع الإنجليز فبالرغم من مطالبة الشعب بقطع العلاقات السياسية والاقتصادية وإبرام معاهدة صداقة وعدم إعتداء مع روسيا ، فان الحكومة لا تلقى بالا لإرادة الشعب . بل إن الخطوة التافهة التى أقدمت عليها وهى سحب سفير مصر من لندن سرعان ما تطورت إلى علاقة أشد توثيقاً ، فقد انتدب هذا السفير ليكون مستشاراً للملك السابق وبهذه الصفة الجديدة راح يتصل كل يوم بالسفير البريطانى وغيره دون أن يعلم الشعب ، ولا تقول وزارة الخارجية ، شيئاً عن هذه الاتصالات .

* وقد وافقت الحكومة القائمة فى ذلك الوقت على تعيين حافظ عفيفى رئيساً للديوان الملكى مع اشتهاره بأن له آراء سياسية تخالف الآراء التى أجمع عليها الشعب وهى رفض كل معاهدة أو تحالف مع الإنجليز أو الأمريكان وقد راح حافظ عفيفى يبشر بسياسته وأنه مصر على آرائه التى نادى بها ، وأنه مؤمن أشد الإيمان بوجوب التحالف مع إنجلترا وأمريكا فى نهاية الأمر إتقاء لخطر الشيوعية المزعوم .

* وكانت السفن الإنجليزية تدخل إلى الإسكندرية فتستقبل بالتحية والترحاب لتنقل من مصر قطنها هذه المادة الأولية الثمينة وتنقل الأرز والبيض وكل ما يحتاجه الشعب لغذائه ، وتقدم لنا بدلا منه الويسكى ولعب الأطفال وأدوات الزينة .

وفى الوقت الذى يعذب فيه الإنجليز من يقع فى أيديهم من أسرى المجاهدين المصريين ثم يقتلونهم رمياً بالرصاص ويمثلون بجثثهم ويرمونها للكلاب ، يعيش ثلاثون ألف إنجليزى تحت رعاية الحكومة وحمايتها ، بل وفى ظل كرمها وترفيهها .

بل إن وزير الداخلية فؤاد سراج الدين ، لا يرى حرجاً فى أن يرسل إبنته وزوجها وثلاثة من الخدم إلى إنجلترا للاقامة بها ، وليس ذلك كله فعل أقوام يتصورون أنفسهم فى حالة حرب مع الإنجليز أو مجرد حالة خصام وإنما هو فعل أقوام يرون أن خاتمة المطاف ستكون فى النهاية هى الاتفاق مع الإنجليز والبقاء فى تلك السياسة الأنجلو أمريكية .

٧ — أهى مؤامرة على الشعب :

* كان الحزب الاشتراكى (فى هذا الوقت) يلمس هذه الحقائق

الخطيرة ، ولكنه أبى إلا أن يغلب جانب الحكمة . وأن يمضى فى مكافحة الإنجليز حتى النهاية حتى استنفد آخر سلاح كان فى حوزته ، فأراد أن يعاود إصدار جريدته بعد توقفها ليتمكن بواسطتها من إرسال مدد جديد إلى الميدان وأن ينفخ فى روح المقاومة ، ويشد أزر المجاهدين ويحمى ظهورهم ويطالب أفراد الشعب بأن يؤدوا جميعاً واجبهم فى معركة التحرير ولا يكتفوا بالوقوف موقف المتفرج ، أو الذى لا يملك سوى الدعوات الصالحة .

ولكن الحكومة أو بالأحرى فؤاد سراج الدين الذى إنتوى شراً بالجريدة إنتظر حتى كمل طبع الكمية الضخمة التى أعدت للتوزيع ، ثم استولى عليها بأكملها ورفع أمرها إلى حضرة قاضى المصادرات الأستاذ أحمد قوشة رئيس محكمة مصر فأقره على إجرائه كما هى العادة التى أصبحت متبعة فى هذا العصر الذهبى للحريات العامة .

* وأمام هذه الصدمة الجديدة ، التى لم ينفع الحزب فيها أنه قد كرس كل جهوده لمحاربة الإنجليز فى صدق وتضحية ، بدأ الشك يداخل الحزب أن كل هذا الذى يجرى ويقع من الحكومة ووزير الداخلية ما هو إلا مؤامرة يراد منها فناء العناصر الصالحة من هذا الشعب فى الدرجة الأولى للتخلص منها. فقد سلب المجاهدون الصادقون كل أنواع الحريات إلا حرية واحدة هى حريتهم فى أن يموتوا ويستشهدوا أما ما عدا هذه الحرية فلا حق لهم فى أن يجتمعوا ، لا حق لهم فى أن يستمدوا العون على مواصلة القتال لا حق لهم فى جمع المال ليستعينوا به ، لا حق لهم فى حمل السلاح إلا خلسة ، لا حق لهم إلا أن يذهبوا إلى مقاتلة الإنجليز بأيديهم المجردة من كل سلاح ، أو التى تحمل سلاحاً خيراً منه التجرد لكى يموتوا وتتخلص منهم البلاد .

* وتشجيع الحكومة للمجاهدين على الاشتباك بالإنجليز بكافة الطريق

والأساليب فى الوقت الذى تترك فيه المدن والقرى مفتوحة ومجردة من كل دفاع ، إنما يراد به هدم القرى والمدن واحتلالها ، كما هو حادث وما يستتبع ذلك من تشريد مئات الألوف من سكان البلاد الذين يهيمون على وجوههم ينشرون الخوف والفزع من أن يكون مصير الآخرين كمصيرهم . فلا يلبث الشعب الأعزل الذى لا يجد من حكومته الحماية ، بل ولا مجرد المعونة . . لا يلبث ضعاف النفوس من هذا الشعب أن يرتفع صوتهم مطالبين بوضع حد لهذه المقاومة ، والاتفاق مع الإنجليز بأى ثمن .

* هذه هى المؤامرة التى يستدرج الشعب للوقوع فيها بواسطة التصرفات المشوشة الهزيلة التى تقوم بها الحكومة من خلال وزير داخليتها العام . .

وذلك كله لتحطيم قوى الشعب الناهضة ، واستفراغ ما عنده من جهد ، وحيوية ، وسلاح ليتسنى للاقطاعيين والرأسماليين ولكبار الملاك استمرار سيطرتهم على هذا الشعب واستغلاله وحكمه بالحديد والنار .

* وأن هذه المظاهرات التى أصبحت تغمر مصر ، وبعض حركات العنف التى تتطور يوماً بعد يوم ليست سوى النتيجة الطبيعية لإحساس الشعب بغريزته ما يدبر له ويحاك ، فان الشعب لا يفهم كيف يمكن أن يكون فى القنال وفى مديرية الشرقية قتال واستشهاد ، وفى القاهرة والإسكندرية لهو ولعب وحفلات وأعراس ، ومآدب وغزل مع الإنجليز من وراء الستار ، بل وأمام الستار .

* لا يفهم الشعب كيف يوفق بين حكومة أصبحت تعيش على جهاد المجاهدين من الفدائيين ، فليس هناك ما يشغل الشعب ويملأ فراغ حياته وبالتالى يثبت أقدام الحكومة إلا ما تنشره الصحف عن أفعال الأبطال

المجاهدين وتنكيلهم بالإنجليز ، واستشهادهم فى ميدان الجهاد ومع ذلك فان هذه الحكومة المنكودة لا تمد يداً لنجدة هؤلاء الفدائيين ولا تعاونهم بالمال أو السلاح .

ومن هنا تبلبلت الأفكار . واضطربت النفوس وأدرك الشعب بغريزته التى لا تخطئ أن فى الجو مؤامرة تحاك له وأنه يوشك أن يطعن من الخلف ، بل هو قد طعن ويطعن الآن وليس ببقية إلا قوة بنيته وفرط حيويته ، وهذا هو تفسير هذه المظاهرات .

• بل إن هذه الفتنة التى أوشكت أن تستطير بين المسلمين والأقباط فتصرفنا عن الجهاد ضد الإنجليز لتغرق فى خلافات داخلية مذهبية ، ليست سوى طرف من هذه المؤامرة التى تحاك على تفتيت قوى الشعب ووحدته .

فان حادث السويس ما كان يمكن أن يقع لو استعمل البوليس والرجال المسئولون الحزم والعزم ، بل إنه بعد أن وقع كان يمكن تلافى آثاره ، لو ضرب بشدة على يد كل من تسبب فيه . . بل إن مجرد نشر الحقائق عن هذا الحادث كما وقعت كانت كفيلة بمحو آثاره السيئة ، ولكن شيئاً من ذلك كله لم يحدث لأن سياسة الحكومة ترمى إلى توهين قوة الشعب تمهيداً للاتفاق مع الإنجليز بأى ثمن ، ولدى الحزب من المعلومات والتصريحات التى سمعها من وزراء مسئولين ما يؤكد أن سياسة وزير الداخلية تهدف إلى هذه الفتنة .

٨ – الحزب الاشتراكى :

• ولما كان الحزب الاشتراكى (فى هذا الوقت) يعتبر نفسه هو الأمين على مصالح الشعب فانه لا يسعه وقد استبانت له هذه الحقائق الدامغة إلا أن

يبادر باعلانها على الشعب ليحذره وينذره ويكشف موقف الحكومة وسياسة وزير الداخلية ، الذى يتهمه الحزب الاشتراكى علناً وعلى رءوس الأشهاد بالتآمر على الشعب وعلى وحدته ومستقبله .

« أعلن الحزب الاشتراكى (فى هذا الوقت) أن استمرار هذه الحكومة فى الحكم سيكون مصدراً لكوارث ونكبات تحل بالشعب المصرى ، وسيكون مبعثاً للفوضى والفتن ووقوع جرائم تشيب لهولها الولدان ، ولذلك فقد أصبح سقوطها حالا هو السبيل الوحيد لإنقاذ البلاد .

٩ — إنسحاب الزميل أحمد حسين :

« ولما كان رئيس الحزب (فى ذلك الوقت) الزميل أحمد حسين الذى قام بواجبه كاملا وأشرف على حركة المقاومة منذ يومها الأول ليس ممن يؤمنون بالعنف أو يرحبون بالفتن قرر أن ينسحب مؤقتاً فى إحدى قرى الريف إظهاراً لسخطه واستنكاره واحتجاجه على سياسة الوزارة ، على أن لا يعود منها إلا بعد سقوطها محملا الوزارة مسئولية ما سوف تتعرض له البلاد من نكبات إذا هى استمرت فى الحكم .

« على أن أحمد حسين إذ ينسحب من الميدان مؤقتاً فهو إنما يقدم على ذلك لكشف الحكومة ، وإظهارها على حقيقتها ولكى يخلى بينها وبين الشعب وليثبت للجميع أنه لا يطمع فى جاه أو شهرة أو منصب وإنما هو خادم من خدام الشعب وهو على استعداد فى كل وقت أن ينزل عند إرادة الشعب وأن يفعل ما يكلفه به الشعب بما فى ذلك تجنيده فى سبيل الدفاع عنه والاستشهاد فى سبيله .

والله أكبر ويحيا الشعب

الحكم بقبول تظلم أحمد حسين وإدراج إسمه ضمن من يشملهم العفو السياسى

(باسم الأمة)

(محكمة جنايات القاهرة)

المشكلة علناً برئاسة حضرة وكيل المحكمة كامل أحمد ثابت .

وحضور حضرتى المستشارين أحمد مختار ومحمد كامل البنهاوى مستشارين بمحكمة إستئناف القاهرة وحضور حسن مهران وكيل النيابة وحضرة أحمد فهد كاتب الجلسة .

فى التظلم رقم ١٨ ، ٢١٨ المرفوع من . . .

١ — الأستاذ أحمد حسين .

٢ — الأستاذ سليمان زخارى .

٣ — محمد جبر حسن .

٤ — ممدوح عبد المقصود .

وهم المتهمون فى القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا . .

وحضر للدفاع عن الثانى الأستاذ مختار قطب المحامى .

وحضر للدفاع عن الثالث والرابع الأستاذ سمير حيدر المحامى . . .

بعد الاطلاع على التظلم المرفوع من المذكورين ومذكرة اللجنة المشكلة

للفصل فى هذه التظلمات المرفوعة إلى النائب العام فى ٤ ١٩٥٢/١١/٢ ، ١٩٥٢/١٢/٦ والمحالة بتاريخ ١٩٥٢/١١/٢٥ ، ١٩٥٢/١٢/٧ على هذه المحكمة للفصل فيه . . . .

وبجلسات ١ ، ٢٢ ، ١٤ ، ٣١ يناير سنة ١٩٥٣ و ٢١ فبراير سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٣/٣/٢٦ و ١٣ ، ١٤ إبريل سنة ١٩٥٣ سمع التظلم كما هو مبين تفصيلا بمحضر الجلسة وتأجل النطق بالحكم لجلسة ٢٧ أبريل سنة ١٩٥٣ وبعد الاطلاع على الأوراق والمداولة قانوناً . . .

بما أن التظلمات قد رفعت من المتظلمين فى الميعاد مستوفية أوضاعها القانونية فهى مقبولة شكلا .

وبما أن موضوع هذه التظلمات كما تبين من الاطلاع على الأوراق وعلى التحقيقات الخاصة بالجناية العسكرية العايا رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ تتلخص فى أن النيابة العمومية إتهمت المتظلمين الأربعة مع آخرين بأنهم فى يوم ٢٦ يناير سنة١٩٥٢إشتركوا فى حوادث حريق المبانى والمحال المسكونة المبينة بقرار الاتهام والتى وقعت فى ذلك اليوم وكان إشتراك الأول فى هذه الحوادث بطريق التحريض والاتفاق بواسطة نشر المقالات المبينة بالقرار ثم قيامه بالطواف فى ميدان الحوادث إبان وقوعها للاشراف على تطورها وتشجيع مرتكبيها بأن مر يركب سيارة يجلس المتظلم الرابع ممدوح عبدالمقصود فوق مقدمتها يحمل علماً وما أن وصلت إلى تجاه محل بار الأنجلو إجيبشيان بشارع شريف وكان الجناة يجرون إتلافه وحرقه وقد أعدوا كومة مشتعلة من الأمتعة وسط الشارع حتى وقفت السيارة ونزل منها المتظلم الثالث محمد جبر حسن وكان معه علم ركزه بجوار الكومة وأماله نحوها واستمر هكذا برهة

ثم إنصرفوا — ثم مر بعد ذلك فى سيارة أوقفها بجوار محل الشركة المصرية البريطانية للسيارات بشارع سليمان باشا حين كان الجناة يجرون تخريبه حرقاً وما أن رأوه حتى صاحوا . . . « الزعيم . . . الزعيم . . . . » ثم مر بشارع الملكة وقت أن كانت النار مشتعلة فى عمارة الشواربى وكان الجمهور يهتف بحياته . . . وكان إشتراك المتظلمين الثالث والرابع بطريق التحريض والاتفاق مع المتظلم الأول فى الحوادث المذكورة فى التهم السابقة بأن صاحباه ، فى طوافه فى ميدان . . . الحوادث . . . على الوجه المتقدم بيانه .

وكان إشتراك المتظلم الثانى الأستاذ سليمان زخارى بطريق التحريض فى إرتكاب الجرائم التى وقعت على بعض المحال المبينة فى قرار إتهام المتظلم الأول ذلك بأن أذن بصفته رئيساً لتحرير جريدتى الشعب الجديد ومصر الفتاة بنشر المقالات المتعلقة بهذه المحال فوقعت الجرائم بناء على هذا التحريض وقدمتهم للمحكمة العسكرية العليا لمحاكمتهم طبقاً للمواد ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ١٧١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٣٦٦ — عقوبات وبالمادتين ٢ ، ٣ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩٢٤ وعندما صدر مرسوم العفو الشامل أثناء نظر القضية قدم المتظلمون هذه التظلمات ولكن النائب العام رفضها على أساس أن التهمة المنسوبة إليهم هى إشتراك فى جرائم الحريق التى وقعت فى ذلك اليوم وهى من الجرائم المستثناة .

وحيث أن المتظلمين الثالث والرابع دفعا « أولا » بعدم دستورية الاستثناءات الواردة فى المرسوم بقانون ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ « وثانياً » بعدم سريان الاستثناءات نصاً على جريمة التحريض على الحريق كما هو الحال فى سريانها على جريمة الحريق نفسها وذكر الحاضر عنهما فى شرح هذا الدفع الأول أن مرسوم قانون العفو الشامل قد صدر فى هذا العهد الجديد من التحرير

الذى يقوم على الحرية والعدالة والمساواة فلا بد إذن من المساواة بين مرتكبى الجرائم والمتهمين فيها ما دامت قد ارتكبت لسبب أو لغرض سياسى دون تفرقة بين جريمة وأخرى ما دام المقصود من التشريع العفو الشامل محو آثار الماضى بسيئاته . . . فاذا جاء المشرع بعد ذلك وخالف المبادئ الأساسية للعهد الجديد وخالف الهدف الذى أوضحته المذكرة التفسيرية لهذا التشريع بنص صريح أو ضمنى فان هذا النص يكون معيباً ويتعين على القاضى عدم تطبيقه — كما ذكر فى بيان الدفع الثانى أن المشروع حين استثنى بعض الجرائم من قانون العفو الشامل نص على موادها بالذات ومنها المواد من ٢٥٢ ، ٢٥٨ ح ولم ينص على المواد ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ج الخاصة بالاشتراك فيها وترتب على ذلك أن المشرع لو رغب فى استثناء الشركاء فى الجريمة لنص على المواد الخاصة بالاشتراك مما يدل على أن المشرع لم يرد أن يشملها الاستثناء من العفو لأن المحرض فى الواقع له باعث يختلف عن باعث الفاعل الأصلى وأنه أبعد ما يكون عن المصلحة الأنانية المباشرة كالفاعل الأصلى . .

وحيث أنه عن الدفع الأول فان المرسوم بقانون العفو الشامل قد صدر بتاريخ ١٦ أكتوبر سنه ١٩٥٢ فى فترة تعطيل البرلمان من الوصى المؤقت على العرش طبقاً للمادة ٤١ من الدستور فلا تشوبه شائبة من الناحية الدستورية والقانون الذى يصدر سليما من هذه الناحية . . . يكون سليما فى كل جزئياته وعلى ذلك لا يمكن الدفع بعدم دستورية بعض ما اشتمل عليه دون البعض الآخر بحجة أنه يخالف الأهداف الأساسية التى هدف إليها المشرع من وضعه للقانون لأن المشرع الذى وضع القانون هو الذى ضمنه بجميع الأحكام التى رآها تتمشى مع الغرض من وضعه . . .

وحيث أنه عن الدفع الثانى فان المشرع عندما نص على استثناء بعض

الجرائم من قانون العفو وأورد مواردها لم يرداعيا للنص على مواد الاشتراك فيها لأن القانون قد سوى فى المادة ٤١ من قانون العقوبات بين عقوبة الفاعل الأصلى وعقوبة الشريك وجرائم الاشتراك حكمها حكم الأفعال الأصلية وليس من المستساغ أن يكون المشرع قد هدف استثناء مرتكبى جرائم معينة هى الجرائم المضرة بأمن الحكومة من جهة الخارج وجرائم القتل والحريق لما رآه من خطورتها وترك من يحرض على هذه الجرائم يتمتع بنتائج العفو مع أن إجرامه لا يقل جسامة ولا خطراً عن الفاعل الأصلى وقد يكون عمله باعتباره المدبر للجريمة أشد خطورة من عمل الفاعل الذى استعمله آلة فى إرتكابها وحيث أنه لذلك يكون الدفعان فى غير محلها ويتعين رفضها .

وحيث أن المتظلمين جميعاً بنوا تظلمهم (أولا) على أن الجريمة المسندة إليهم وهى موضوع القضية رقم ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا جريمة سياسية إستناداً إلى أن حوادث ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كلها سياسية وقعت بسبب ما أهاج عواطف الشعب وألهب مشاعره بسبب عدوان المحتل الأجنبى على رجال البوليس فى منطقة القنال فى اليوم السابق وحمله على فقدان كل وعى وتقدير فاندفع يخرب ويدمر على نطاق واسع لم يفرق فيه بين عدو أو صديق مستدلين على ذلك بما جاء بمرسوم إعلان الأحكام العرفية الذى صدر فى مساء ذلك اليوم وبما أشار إليه تقرير النائب العام السابق من أن حوادث ذلك اليوم إنما كانت بسبب ما وقع فى مساء اليوم السابق من إعتداء الجنود البريطانيين فى منطقة القنال على جنود البوليس المكلفين بصيانة الأمن فى تلك المنطقة إعتداء أدى إلى قتل نحو خمسين منهم وجرح ثمانين .

ثانياً — أنه على فرض صحة ما أنسبته النيابة لهم فان هذه الوقائع فى ذاتها لا يمكن أن تعتبر دليلا على أن ما وقع منهم يعتبر تحريضاً كان هو السبب

فى كل ما وقع من حوادث وأن من سلطة المحكمة باعتبارها محكمة تظلم أن لا تتقيد بوصف النيابة أو تكييفها للوقائع المنسوبة للمتظلمين لتتعرف مدى صحة التهم الموصوفة بالمواد المستثناة . . .

وحيث أن هذه المحكمة جرت فى أحكامها فى قضايا سابقة مماثلة على أن الحوادث — التى وقعت فى ذلك اليوم كان الذى أثارها والباعث الحقيقى على إرتكابها هو سبب سياسى يرجع إلى ما تملك الجماهير من سخط على المحتل الغاشم واعتداائه على الآمنين فى منطقة القنال وطبقت قانون العفو الشامل على كل من يثبت لها أنه ما كان يرضى شهوة فى نفسه أو يرمى عمله إلى مغنم شخصى بل كان يرمى فقط إلى التجمهر أو الإتلاف كمظهر من مظاهر الإستيلاء السياسى — وحيث أنه وقد ثبت أن الجريمة المسندة للمتظلمين إنما وقعت لسبب سياسى فانه يتعين البحث بعد هذا فيما إذا كان من سلطة المحكمة المرفوع لها التظلم أن تتحقق من أن الوصف الذى أعطته النيابة للوقائع الثابتة فى الأوراق يتفق مع التكييف القانونى لها فاذا ما استقر رأى المحكمة على تكييف الواقعة تكييفاً قانونياً سليما بحثت فيما إذا كان هذا الوصف يعتبر من الجرائم المستثناة أم لا .

وحيث أنه متى كان التظلم مرفوعاً عن قضية لم يصدر فيها حكم من محكمة الموضوع يقيد محكمة التظلم سواء بمنطوقه أو بأسبابه أو بالمواد المطبقة فيه لحرازته قوة الشئ المحكوم فيه فان محكمة التظلم وإن كانت لا تملك التدخل فى الموضوع أو التعرض لما إذا كانت الأدلة المقدمة على وقائع الدعوى صحيحة أو غير صحيحة صادقة أم غير صادقة لأن هذا من صميم إختصاص محكمة الموضوع إلا أنه لا شك فى أن سلطتها تمتد إلى تعرف ما إذا كانت هذه الأدلة على علاتها وبفرض صحتها قد تؤدى إلى التهمة المنسوبة للمتهم

أم لا – لأنها وهى صاحبة القول الفصل فى جواز التظلم من عدمه تبعاً لما إذا كانت الجريمة من غير الجرائم المستثناة أم لا فان هذا يستتبع حتما أن يكون لها الولاية فى تقرير ما إذا كانت الوقائع المعروضة والأدلة عليها تؤدى إلى الاتهام المسند إلى المتظلمين أم لا .

وحيث أنه تبين للمحكمة من الاطلاع على التحقيقات التى تمت فى القضية ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ عسكرية عليا أن النيابة تبنى إتهامها للمتظلمين بالتحريض على حوادث الحريق التى وقعت فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ على أساسين الأول مستمد من أقوال الشهود والثانى مستمد من المقالات والخطب التى كان ينشرها المتظلم الأول أو ينشرها له المتظلم الثانى باعتباره رئيساً لتحرير الجرائد التى تنطق بلسان الحزب الاشتراكى المبينة بقرار الاتهام .

وحيث أنه فيما يختص بأقوال الشهود فقد تبين أن الأشخاص الذين أعتمدت النيابة على أقوالهم ضد المتظلمين هم . . . جلال لطفى ووفيق بدر وفكرى تادرس . . . ، وميشيل إسحق جرجس ومحمد محمد الحلو . . . وهم ما يتعين على المحكمة بحث أقوالهم لمعرفة مدى ما تؤدى إليه بغرض صحتها دون تدخل فيها فى كيانها وماهيتها .

ففيما يختص بشهادة جلال لطفى فانه كان قد تقدم ببلاغ لنيابة جنوب القاهرة بتاريخ ١٩٥٢/٢/١٠ ولم يذكر فى هذا البلاغ شيئاً محدداً عن التظلم الأول وكل ما ذكره أن لديه معلومات عن الحوادث وفى يوم ١٩٥٢/٢/١١ الساعة ٢ مساء تقدم الأميرلاى إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى ببلاغ ذكر فيه أنه علم من جلال لطفى أنه شاهد . . المتظلم الأول راكباً سيارة فى شارع سليمان باشا وقت إشتداد المظاهرات والحرائق به وفى اليوم التالى حرر وكيل الأمن العام محضراً أثبت فيه أقواله أنه فى حوالى الساعة ٤,٣٠ بعد

الظهر يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ كان بميدان سليمان باشا وشاهد الجماهير إعتدت بالكسر على محل الفن الفرنسى وفتحوه فعلا وأشعلوا فيه النار ثم رأى جموعاً أخرى عند نادى محمد على قد اقتحمت محل سيارات هيليمان وأشعلت به النار كذلك واستولى بعضهم على خزانته الحديدية وهربوا بها ثم رأى سيارة « جيب » قد وصلت وكان يقودها شخص بجلس المتظلم الأول بجواره وهتفت الجماهير قائلة . . . الزعيم . . . الزعيم أحمد حسين ...

وفيما يختص بشهادة وفيق بدر فانه توجه فى يوم ١٩٥٢/٢/٥ إلى الأميرلاى طه عزت وكيل حكمدار مصر وأخبره أنه رأى أحمد حسين فى ٢٦ يوم يناير سنة ١٩٥٢ يركب سيارة يمر بها فى شارع شريف وكان ملخص أقواله فى التحقيق أنه رأى الجماهير تشعل النار بمحل شالون فنزل من عمارة الأموبيليا التى يسكنها وسار فى شارع شريف فرأى أناساً يحرقون مقهى الأنجلو فى حوالى الساعة ٤,٤٥ وقد أخرجوا بعض أمتعة إلى الشارع وأشعلوا فيها النار ثم رأى سيارة ماركة أخرى (ستروين) قد وصلت وكان فيها المتظلم الأول يجلس إلى جوار السائق وكان المتظلم الرابع يجلس فوق مقدمتها يحمل علماً وعندما اقتربت السيارة من الكومة المشتعلة أوقفها السائق ونزل منها المتظلم الثالث ومعه علم آخر ركز ساريته بجوار الكومة وأماله عليها ثم عاد إلى مكانه فى السيارة وانطلقت بهم وقرر أن المتظلم الأول لم يتفوه بأى كلمة يمكن أن تسمع خارج السيارة مع أنه كان على مقربة منه .

وفيما يختص بأقوال فكرى تادرس إسكندر فانه سئل فى يوم ١٩٥٢/٢/١٥ بناء على محضر محرر بمعرفة القائمقام صديق فريد وكيل مباحث جنوب القاهرة أثبت فيه أنه علم من المذكور أنه رأى سيارة (ستروين) تمر بشارع الملكة فيما بين الساعة ٣,٣٠ والساعة ٤,٣٠ يركب بها حوالى أربعة أشخاص كان

أحدهم يشير بقبضة يده للمتظاهرين وأن المتظلم الأول كان ضمن ركاب هذه السيارة ولما سئل فى التحقيق لم يذكر هذه الواقعة فى أقواله الأولى وإنما ذكرها عندما سئل عنها بالذات وقرر أنه سمع بعض الناس يقولون أن أحمد حسين فى العربة ولكنه لم يره بنفسه .

وشهد مشيل إسحق جرجس أنه رأى السيارة (الستروين) وفيها جملة أشخاص وكان الجمهور يهتف بحياة أحمد حسين . وفيما يختص بمحمد محمد الحلو فقد سئل بناء على محضر محرره الصاغ محمد الجزار بالقسم السياسى فى ١٩٥٢/٢/١٢ الساعة ٨ صباحاً بأن المذكور لديه معلومات عن إتصالات تليفونية حصلت بين الأستاذ أحمد حسين ورجال حزبه فى يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ وقرر فى التحقيق أنه فى يوم الحادث طلب إلى دار الحزب الاشتراكى للكتابة على الآلة الكاتبة كالمعتاد فذهب إلى هناك وتقابل مع سكرتير الحزب ثم حضر بعض الطلبة حوالى الساعة ١٠ صباحاً وأخبروهم عن حصول مظاهرات فى البلد يشترك فيها بعض رجال البوليس وأن هذه المظاهرات إتجهت إلى سراى عابدين وهى فى طريقها إلى مجلس الوزراء ثم حضر سكرتير عام الحزب إبراهيم الزيادى ولما علم بهذا من الطلبة إتصل بالمتظلم الأول تليفونياً ثم إتصل به أحد هؤلاء الطلبة وطلب منه أن ينزل للاشتراك فى هذه المظاهرات إذ يشترك فيها الشعب كله من عمال وطلبة وبوليس وأنه لا يعرف ماذاكان رد المتظلم الأول على هذا .. ثم نزل هو إلى ميدان مصطفى كامل وكانت الساعة ٢,٣٠ فوجد جموعاً من الأهالى تجرى إتلاف بعض المحال الموجودة به وأنه عاد إلى دار الحزب الاشتراكى حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر فوجد به محمد جبر حسن المتظلم الثالث وأن إسماعيل عامر سأله تليفونياً فسمعه يعدد له المحال التى أتلفت ومنها سينما ريفولى ومنها بنك باركليز وغيرها من البارات الموجودة بشارع إبراهيم وسليمان باشا وفؤاد وأنه بعد

أن طاف ورأى الكثير من حوادث ذلك اليوم رجع إلى منزله فى المساء وفى صباح اليوم التالى حوالى الساعة ٨٫٣٠ ص ذهب إلى دار الحزب وقابل المتظلم الثالث محمد جبر حسن ليعرف منه أخبار الحوادث فأخبره أن البوليس يبحث عن المتظلم الأول فاتصلا به فى منزله وأخبراه بذلك وانتهت أقواله على هذا إلا أنه فى اليوم التالى لسؤاله أى يوم ١٩٥٢/٢/١٣ عند استئناف التحقيق تقدم للمحقق بأن لديه معلومات أخرى فسمع أقواله وقرر أنه فاته أن يذكر أنه عندما قابل محمد جبر حسن المتظلم الثالث فى يوم ١٩٥٢/١/٢٧ أخبره أنه ذهب فى يوم ١٩٥٢/١/٢٦ الساعة ٣ م إلى المتظلم الأول فى منزله فعرض عليه أن يرافقه ليرى المحال التى حصل بها الحريق لأنه يريد أن يرى بنك باركليز بصفة خاصة وأنه نزل معه فعلا بسيارة طافا بها ثم عاد إلى منزله .

وحيث أنه ظاهر بجلاء من أقوال هؤلاء الشهود جميعاً أنها على علاتها وبفرض صحتها ألا يمكن أن تؤدى إلى إعتبار المتظلم الأول ومن معه شركاء فى الحوادث التى وقعت ذلك اليوم لا بالاتفاق ولا بالتحريض لأن الاشتراك بهاتين الطريقتين لا بد أن يكون سابقاً على إرتكاب الحوادث وأن يكون هو السبب المباشر لها وأنها ما كانت لتقع إلا نتيجة لها — وأما ظهور المتظلم الأول فى مكان الحوادث بعد وقوعها فانه على حد قول الشهود كما تقدم وعلى فرض صحته لا يمكن أن يستدل منه ولا يؤدى إلى أنها وقعت بناء على إتفاقه وتحريضه ومما يؤكد ذلك أن قرار الاتهام لم يتضمن ذكر فاعلين أصليين إرتكبوا ما ارتكبوا باتفاق المتظلم الأول معهم وتحريضه لهم ومتى كان قرار الاتهام بكل شهوده وملاحظاته قد جاء خالياً من أية إشارة لوجود أى صلة بين المتظلم وبين أى فاعل أصلى ممن إرتكبوا هذه الجرائم فلم يعد هنالك مجال لتطبيق المواد ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ الخاصة بالاشتراك .

وحيث أنه فيما يختص بالاشتراك عن طريق التحريض العام المنصوص عليه فى المادة ١٧١ من قانون العقوبات والمستمد من المقالات التى كان ينشرها المتظلم الأول فى جرائد حزبه فانه يشترط فيه أيضاً أن يكون مباشراً أى يكون هو السبب المباشر لوقوع الجريمة بحيث يكون بينه وبينها ما بين السبب والنتيجة وهذا هو المستفاد من قول النص « إذا ترتب على هذا الإغراء وقوع تلك الجناية أو الجنحة بالفعل » .

ولذا وجب أن يقع التحريض على فعل يعتبره القانون جريمة وأن يصرف المحرض جهده وقصده إلى حمل سامعيه أو قارئى مقالاته ودفعهم إلى هذا الفعل وإما أثارة المشاعر بصورة عامة وإهاجة الشهوات الضارة ضد أشخاص أو طوائف والحملات المدبرة المنظمة الموجهة إلى أعمال الحكومة أو التشكيك فى نواياها . وأما إشاعة القلق والكراهية وعدم الثقة فى النظام الموجود وبث الرغبة بين الجمهور فى التطلع إلى تغيير سياسى فان ذلك كله وإن كان يخلق حالة نفسية خطرة قد تتمخض عن جرائم مختلفة إلا أنه لا سبيل إلى الجزم بنسبة هذه الجرائم إذا وقعت إلى تحريض المحرض ، واعتبارها حتما من نتائجه إذ التحريض بالنسبة لها تحريض غير مباشر لا تجعل صاحبه شريكاً فى جريمة معينة .

وحيث أن ما جاء بمقال « الثورة . . . الثورة . . . » المنشور بتاريخ ١٩٥١/٩/٢٣ ومقال (خلاص أيها المصريون إتعدلت . . .) المنشور بتاريخ ١٩٥١/٩/٢٧ – وقد إعتبرتهما النيابة مع المقالات الأخرى التى نشرتها الجرائد للمتظلم الأول فى الفترة بين ١٩٥١/٧/٢٢ ، ١٩٥١/١٢/٢٣ من أهم عناصر التحريض على حوادث الحريق التى وقعت فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ مع أن هذين المقالين وغيرهما لم يتضمنا شيئاً يعد تحريضاً على

جريمة بعينها أو بالذات جرائم الحريق التى وقعت فى ذلك اليوم — وكل ما يمكن أن يستشف منها إنتقاد من للمحاكمين فى ذلك الحين ووصف صريح للفساد الذى كان يعم البلاد فى عبارات لاذعة قاسية إلا أنها لا تنم عن أن كاتبها كان يقصد ما وقع على وجه التحقيق مما لم يكن فى حسبانه وقت كتابتها أو أن مرتكبى حوادث ذلك اليوم كانوا تحت تأثير ما كتب فيها .

وحيث أنه يتبين مما تقدم أن هذه المقالات التى كتبت فى أوقات وتواريخ متباعدة وعن مواضيع مختلفة إنما تحمل فى مجملها إنتقاداً للسلطات القائمة لا يمكن أن يؤدى إعتبارها تحريضاً مباشراً على ما وقع من حوادث ذلك اليوم .

وحيث أن ما قيل فى هذا الصدد هو نفس ما يقال عن خطاب المتظلم الأول الذى ألقاه بدار الحزب الاشتراكى فى يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٥٢ وهو نفس ما يقال عن الاشتراك المنسوب للمتظلم الثانى عن نشره بعض المقالات باعتباره رئيساً لتحرير جريدتى « الشعب الجديد ، مصر الفتاة » وفضلا عن ذلك فان هذه المحكمة سبق أن حكمت بشمول العفو لهذين المقالين الأولين كما شمل العفو كذلك الحوادث التى ترتبت على الخطاب الذى ألقاه المتظلم الأول بدار حزبه فانمحى بذلك ما يمكن أن يترتب عليها .

وحيث أنه من كل ما تقدم يكون ما وصفت النيابة به ما أسند للمتظلمين من أنهم شركاء فيما وقع من حوادث الحريق فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ لم يكن له ما يبرره ولا يتفق مع المقدمات التى تترتب عليها وبالتالى متى إنتفى الاشتراك فى جرائم الحريق يكون لا محل لاعتبار ما وقع من المتظلمين أمراً قد استثناه مرسوم العفو الشامل .

وحيث أنه ما دام قد تبين بجلاء ما تقدم أن الوقائع كما أثبتها التحقيق لا تؤدى إلى وصف جريمة الاشتراك بأى نوع كان فى تهمة الحريق التى أسندتها النيابة إلى المتظلمين فانه يتعين البحث فيما إذا كانت هذه الوقائع تكون جريمة أخرى كان الغرض من إرتكابها أو السبب الذى أدى إليها سياسياً من عدمه .

وحيث أنه ظاهر من الاطلاع على حكمى هذه المحكمة فى التظلمين ٧ ، ٨ لسنة ١٩٥٢ الصادرين بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٥٣ أن المحكمة قد قبلتهما على أساس أن الغرض من تحرير المقالات التى قام المتظلم الأول بتأليفها إنما كان سياسياً ومن جهة أخرى فان المقالات الأخرى الواردة بتقرير الاتهام فى الدعوى الحالية سواء المنسوب صدورها للمتظلم الأول أو المتظلم الثانى لا تتعدى الغرض الذى من أجله حررت المقالات الأولى أى أن الغرض كان سياسياً وكذلك الخطاب الذى ألقاه المتظلم الأول بصفته رئيساً للحزب الاشتراكى فان الغرض من القائه سياسى بشكل لا يحتاج إلى إيضاح أما الأفعال التى أتاها المتظلمان الأخيران بفرض صحتها من طوافهما مع المتظلم الأول فى ميدان الحوادث فانها لا تكون أى جريمة تقع تحت طائلة قانون العقوبات .

وحيث أنه مما تقدم يتعين قبول التظلمات شكلا وفى الموضوع بادراج أسماء المتظلمين بين من شملهم القانون رقم ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ . . .

فلهذه الأسباب

وبعد الاطلاع على المرسوم بقانون رقم ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية حكمت المحكمة حضورياً . . .

أولا : بقبول التظلمات شكلا .

ثانياً : برفض الدفعين المقدمين من المتظلمين محمد جبر حسن وممدوح عبد المقصود .

ثالثاً : وفى الموضوع بادراج أسماء المتظلمين الأساتذة أحمد حسين وسليمان زخارى ومحمد جبر حسن وممدوح عبد المقصود ضمن من شملهم العفو طبقاً للمرسوم بقانون ٢٤١ لسنة ١٩٥٢ الخاص بالعفو الشامل .

صدر هذا الحكم وتلى علناً بجلسة الإثنين ٢٧ من إبريل سنة ١٩٥٣ .

إمضاء / رئيس المحكمة

إمضاء / كاتب الجلسة

ووافق النائب العام على هذا الحكم بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٥٣ - ١٩٥٣/٥/٢٧ وعدم التقرير بالطعن فيه ، لانعدام المصلحة فى الطعن .

الحكم بالبراءة فى قضية التحريض

(حكم المحكمة العسكرية العليا)

المشكلة بأمر الحاكم العسكرى رقم ٧٤ – ٣٥/١٠٠ الصادر بتاريخ ١٩٥٢/٢/٤ بمقتضى السلطة المخولة له بالمرسوم الصادر فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ باعلان الأحكام العرفية فى البلاد المصرية طبقاً للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الصادر بنظام الأحكام العرفية .

تحت رياسة حضرة الأستاذ يحيى مسعود رئيس المحكمة .

وبحضور حضرتى الأستاذين محمد الديوانى وإسماعيل أبو الفتوح المستشارين بمحكمة استئناف مصر . . . والضابطين العظيمين البكباشى رياض سالم رحاب وعبد الرحمن محمد أمين . . . وبحضور حضرة الأستاذ حسن مهران ممثل النيابة العسكرية العليا وبحضور عبد الحميد سيد محمود ... كاتب الجلسة .

أصدرت الحكم الآتى : –

فى قضية الجناية العسكرية العليا رقم ٥٢٣ لسنة ١٩٥٢ أزبكية ١٤٣ لسنة ١٩٥٢ – عسكرية عليا . . . المتهم . . .

على عبد الحليم هاشم وصناعته مزارع ومقيم بشارع العباسين رقم ١٨ مصر الجديدة

على محمد عبد الرحمن جاد الله ومقيم بمنشية البكرى . . . بشارع أبو السعود البكرى رقم ٢٣ – إتهمتهما النيابة العسكرية العليا بأنهما فى يوم

٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ الموافق ٢٨ ربيع الثانى سنة ١٣٧١ بدائرة مدينة القاهرة.

إشتركا بطريق التحريض والاتفاق فى إرتكاب الجرائم التى وقعت على محال سينما ريفولى والأمريكين بشارع سليمان باشا مما تجتزئ النيابة العامة من أمثالها من المحال الكثيرة التى وقع عليها الاعتداء فى ذلك اليوم فوقعت الجريمة بناء على هذا التحريض وذلك بأن طافا بميدان الحوادث بسيارة عدة مرات ولمدة بضع ساعات مع آخرين يركب أحدهما فوق سيارة حاملا علماً وينفخ فى صفارة بقصد تشجيع مرتكبى الحوادث وإثارة حواسهم على المضى فيها.

وطلبت النيابة العسكرية العليا من المحكمة العسكرية العليا معاقبة المتهمين بالمواد ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ١٧١ ، ٢٥٢ ، ٣٦٦ من قانون العقوبات — والمادتين ٢ ، ٣ من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١٤ والمرسوم الصادر فى ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ باعلان الأحكام العرفية والمرسوم الصادر فى ٢٥ مارس سنة ١٩٥٢ باستمرار الأحكام العرفية والقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ بنظام الأحكام العرفية والقوانين رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٠ ، ٢١ لسنة ١٩٤١ ، ٨١ لسنة ١٩٤٤ المعدلة والأمر العسكرى رقم ١٠ لسنة ١٩٥٢ بتعيين الجرائم التى تحال إلى المحاكم العسكرية وقرار وزير الداخلية الصادر فى ٢ فبراير سنة ١٩٥٢ بشأن القواعد الخاصة بنظام التحقيق والمحاكمة فى القضايا العسكرية.

وبنداء المتهمين حضرا.

وحضر مع على عبد الحليم هاشم حضرة الأستاذ محمد على هاشم المحامى.

وحضر مع على محمد عبد الرحمن جاد الله حضرات الأساتذة محمد عرفة والأستاذ مصطفى جاد الله وفؤاد عبد العزيز عن الأستاذ أحمد على

علوبة . تلى قرار الاتهام وسئل المتهمين عن التهمة فأنكروها ثم سمع من حضر من الشهود وتليت شهادة من لم يحضر .

والنيابة طلبت عقاب المتهمين بمواد الاتهام والدفاع طلب البراءة .

المحكمة

من حيث أن الأدلة التى ساقتها النيابة العمومية على إرتكاب المتهمين على عبد الحليم هاشم وعلى عبد الرحمن جاد الله لما أسند إليهما فى ورقة الاتهام تنحصر بالنسبة إلى أولهما فى شهادة الملازم أول عبد السميع محمود أحمد الضابط بقلم المرور ، وبالنسبة إلى ثانيهما فى شهادة وليم ماركوسيتون وموريس باخور أبو حزيرة والأستاذ محمد هادى إسماعيل ويوسف موسى ليفى .

وحيث أن المتهمين أنكرا فى التحقيقات وأمام المحكمة ما نسب إليهما وأبدى الدفاع عنهما ما دون فى محاضر الجلسات .

وحيث أن شهادة الملازم عبد السميع محمود فى التحقيقات وفى الجلسة تتلخص فى أنه كان فى الخدمة فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ التى وقعت فيه حوادث حريق القاهرة وكانت خدمته فى منطقة شارع فؤاد الأول فى الجزء الذى يبدأ من حديقة الأزبكية وينتهى عند الإسعاف بين شارع إبراهيم باشا وشارع الملكة نازلى حتى ميدان باب الحديد مشتملا شارع عماد الدين وشارع الألفى وفى حوالى الساعة ١,١٥ مساء عند بدء الحريق الذى حدث فى سينما ريفولى شاهد أثناء مروره بموتوسيكله سيارة ستروين سوداء قادمة من إتجاه سينما ريفولى ولم يهتم بها لأنها لم تلفت نظره وبعد نصف ساعة بينما كان يمر فى مفارق شارعى فؤاد الأول وعماد الدين شاهد هذه السيارة خارجة من شارع بستان الدكة إلى شارع فؤاد الأول وكان جالساً على ظهرها شخص

يحمل علماً أخضر : . . وقد وقفت أمام محل بورما فى منحنى الطريق واجتمع حولها جماعة من المتظاهرين فاسترعى ذلك إنتباهه ثم سارت السيارة إلى شارع عماد الدين وبعد ربع ساعة تقريباً رأى السيارة عند محل دلمار واجتمع عليها المتظاهرون وعندئذ تنبه إلى رقم السيارة ولونها وشكلها فأثبت الرقم على خزانة بنزين الموتوسيكل وكان هذا الرقم ١٦٤٤١ ملاكى مصر وقد أدلى إلى رؤسائه بهذه المعلومات وبرقم السيارة عند الاستعلام عن هذه الواقعة وقرر الشاهد عند مناقشته فى أقواله أنه لم يميز الأشخاص الذين كانوا فى السيارة وأنه لم يلحظ إتصالا بين هؤلاء وبين الجماهير التى كانت تتجمع حول السيارة والتى كانت تملأ الشوارع ولم يتبين صلة بين راكبي السيارة وبين الحوادث التى وقعت فى ذلك اليوم .

وحيث أنه على الرغم من اعتراف المتهم على عبدالحليم هاشم فى التحقيقات بملكيته للسيارة الستروين السوداء التى تحمل الرقم ١٦٤٤١ وبالسير بها فى صحبة المتهم على محمد عبد الرحمن جاد الله فى الأماكن التى وقعت فيها الحوادث منذ الصباح حتى الساعة الرابعة مساء غير أنه لا يستشف من شهادة الشاهد أن المتهم المذكور وزميله قد أتيا من الأفعال ما يربط بينهما وبين أية حادثة من الحوادث التى ارتكبت إذ لم ير الشاهد أحداً من ركاب السيارة يتصل بمن فى خارجها كما لم يسمع الشاهد حديثاً أو عبارات تحريض أو إشارات ما ولا يدل وجود شخص فوق السيارة حاملا علماً أخضر على شئ من ذلك أيضاً .

وحيث أن شهادة باقى الشهود الذين سلف ذكرهم وهم وليم ماركسيتون وموريس باخور أبو حزيرة ومحمد هادى إسماعيل ويوسف موسى ليفى تضمنت فى مجموعها أنهم فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ شهدوا حوادث

الاعتداء التى وقعت على المحال الواقعة بميدان سليمان باشا وما حوله وأنهم قبيل الساعة الثالثة مساء رأوا سيارة ستروين سوداء قادمة من ناحية ميدان الإسماعيلية وبها أربعة أشخاص وقد ركب فوقها شخص يحمل علماً وينفخ فى صفارة وقد لاحظ أول هؤلاء الشهود أن الشخص المذكور أشار بيده إشارة قرر فى التحقيقات أنه ترتب عليها إندفاع بعض المتظاهرين الذين كانوا يملأون ميدان سليمان باشا إلى محل جروبى ومحاولتهم إقتحامه والاعتداء عليه وقرر فى الجلسة أنه لم يعرف الغرض من إشارة هذا الشخص وهل قصد بها أن يتجه المتظاهرون إلى محل جروبى أم لا وأن المتظاهرين صفقوا وقد تكرر مجئ السيارة إلى الميدان فى هذه الصورة ثلاث مرات أو أربع خلال فترة وجيزة وقد سمع الشاهد الأستاذ محمد هادى إسماعيل فى اليوم التالى وذكر أنه عرف أن السيارة للمتهم على جاد الله وأنه قد رآه فى داخلها وقت مرورها كما ذكر ذلك أيضاً الشاهد جلال لطفى الذى سئل فى التحقيقات : وقد علم أن هذا الأخير أدلى بهذه المعلومات للدكتور عزيز فهمى الذى أبلغها لجهات التحقيق وهذه الواقعة الخاصة برؤية السيارة وبها المتهم شهد بها الأستاذ محمد هادى إسماعيل نفسه فى التحقيقات وفى الجلسة وقد قرر أنه أخبر وليم ماركوسيتون وموريس أبو حزيرة وجلال لطفى بما رآه ووافقه هؤلاء على هذا القول وذكر الشاهد يوسف موسى ليفى أنه كباقى الشهود على هذه الواقعة رأى السيارة عند مرورها وأنه أدرك بعض أعداد رقمها وأن العددين الموجودين إلى اليسار هما عدداً ١٦ وكان إلى اليمين عدد « ١ » وقد أدلى بذلك للبكباشى محمود شكرى بقلم المرور .

وحيث أن هذه الوقائع التى شهد بها الشهود حسب ما تقدم لا تدل على إرتكاب المتهم على محمد عبد الرحمن جاد الله لما نسب إليه لأنه فضلا عن أن رؤية هذا المتهم فى السيارة غير ثابتة لضعف شهادة محمد هادى إسماعيل

إذ أنه لم يتقدم بمعلوماته إلى هيئات التحقيق بل استدعى لسؤاله فى تحقيق النيابة بناء على ما اتصل بها نقلا عن الشهود الآخرين ثم أن بعضهم فى هذا التحقيق ذكر اسم المتهم على أنه الشخص الذى كان جالساً فوق السيارة يحمل العلم لا من كان داخل السيارة وقائداً لها كما قرر الشاهد نفسه وهذا الخلاف وحده مما يضعف شهادة الشاهد كما أنه مما يضعفها أيضاً أن المتهم قبل استدعاء الشاهد وسماع شهادته كان قد أصبح معروفاً للنيابة وكان قد أعتبر من بين متهمى الحوادث كمحرض على إرتكابها ؛

وحيث أنه عن باقى ما ذكره الشهود عن الأفعال التى شهدوا بوقوعها فان كل ما جاء فى أقوالهم لا يخرج بهذه الأفعال كما ثبت فى شهادتهم إلى حيز الجريمة المعاقب عليها لأن مجرد مرور السيارة فى ميدان سليمان باشا فى وقت وقوع حوادث الاعتداء والحريق التى كانت قد أصبحت فى تلك الساعة من النهار ترتكب على نطاق واسع وينتشر أثرها فى هذه المنطقة من المدينة من متظاهرين تجمعوا فيها من قبل لا يدل على قيام صلة بين الأشخاص الذين كانوا فى السيارة وبين جمهور المتظاهرين أدت إلى وقوع جرائم الاعتداء والحريق على المحال الواقعة فى ميدان سليمان باشا ومنها محل جروبى إذ أن كل ما شهد به الشهود أن شخصاً كان يجلس فوق السيارة حاملا علماً عندما تكرر مرورها فى الميدان وليس هذا الفعل فى ذاته مستغرباً فى يوم الحوادث التى وقعت بالمدينة أثر ما نقل إلى أهلها عن الاعتداء المرير الذى وقع فى هذا اليوم السابق على رجال الحفظ فى مدينة الإسماعيلية على يد القوات المحتلة لمنطقة القنال وما استشعره الأهلون من إثارة فى النفس ومن سخط شديد للتعدى على الحريات وهو ما أدى إلى إنفجار النفوس بعد كبت طويل — ولذا فان مرور مثل السيارة التى رآها الشهود بالصورة التى ذكرها لم يكن إلا أقل مظاهر الشعور الناتجة عن هذا الاستياء العام وهو ليس فى ذاته بفعل يعاقب

عليه ما لم يقترن بأفعال أخرى تدل على التحريض أو على الاعتداء وقد نفى الشهود صدور ما من شأنه أن يدل على ذلك فان ما نسبه واحد من الشهود إلى الشخص الذى كان يحمل العلم فوق سطح السيارة من أنه كان يطلق صفارة قبيل محاولة الاعتداء على محل جروبى الذى ظهر أثره فى أول مرة لم يثبت على وجه يقطع بأن الغرض من إطلاق الصفارة كان حمل المتجمهرين على القيام بهذا الاعتداء فقد شهد الشهود الذين ذكروا هذه الواقعة فى أقوالهم أنهم لم يعرفوا الغرض من الصفير الذى سمعوه كما أنه لا دليل على أن محاولة الاعتداء قد نشأت عنه ولا عن أى عمل آخر صدر من راكبى السيارة بل أنه على الفرض جدلا بأن الشخص الذى كان فوق السيارة قد أتى فعلا من هذا القبيل فانه لا دليل على علم الراكبين فى داخل السيارة بهذه الأفعال سواء من أقوال أو إشارات أم غيرها واشتراكهم فيها إذا كانت قد وقعت من الشخص المذكور ومن ثم فانه على الفرض جدلا بأن المتهم على جاد الله كان القائد للسيارة أو واحداً من بين الراكبين فيها وهى لم تثبت كما سبق البيان فانه لن يكون مسئولا عما قد يكون ارتكبه الشخص الذى كان يركب فوق سطح السيارة والذى لم يكن مرئياً له وهو فى داخلها .

وحيث أنه يتبين مما تقدم أن أقصى ما يمكن القول بثبوته فى حق المتهمين أنهما قد استقلا السيارة المملوكة لأولهما وجاسا خلال شوارع المدينة أثناء وقوع حوادث الحريق والاعتداء وذلك من قبيل المشاهدة شأنهما فى ذلك شأن غيرهما من الراجلين الذين كان يحدوهم الشعور العام بالاستياء أو حب الاستطلاع وقد شاركهما الرغبة فى ذلك شخص رأى أن يحمل علم البلاد وهو راكب فوق سطح السيارة دون غرض معين يدل عليه هذا الفعل أو أى فعل آخر يماثله ولا يعتبر فعلا إجرامياً .

وحيث أن الأفعال التى ثبت وقوعها فى هذه الحالة سواء أكانت السيارة

التي شوهدت هي سيارة المتهم وأنه كان يقودها فعلا ويركب فيها أم كانت سيارة أخرى :

كما لا يستبعد أن يكون هو واقع الأمر لأن دلالة الأرقام التي يقول الشاهد يوسف موسى ليفي أدركها ليست قاطعة فان الأفعال المذكورة لا تكون جريمة التحريض المطلوب مؤاخذة المتهمين عليها لعدم توافر الأركان المكونة للتحريض طبقاً للقواعد العامة .

وحيث أنه يتضح مما سبق جميعه أن التهمة غير ثابتة على المتهمين ويتعين براءتهما مما أسندا لهما طبقاً للمادتين ٣٠٤ ، ٣١٨ من قانون الإجراءات الجنائية .

فلهذه الأسباب

حكمت المحكمة حضورياً ببراءة كل من على عبد الحليم هاشم وعلى محمد عبد الرحمن جاد الله مما أسند إليهما :

صدر هذا الحكم وتلى علناً فى يوم الثلاثاء ٢٦ مايو سنة ١٩٥٣ الموافق ١٣ رمضان سنة ١٣٧٢ .

إمضاء/ سكرتير المحكمة

إمضاء/رئيس المحكمة

يرى المكتب إقرار الحكم . . .

١٩٥٣/٩/٦ .

إمضاء/ مدير مكتب الأحكام العسكرية

المراجع

أولا — ملف قضية حريق القاهرة — المحافظ من ١ إلى ١٥ ، بالمتحف القضائى :

ثانياً — شهادة أبطال الحوادث ، وشهود العيان ، ورجال الإدارة ، ورجال التحقيق ، وممثلى الأحزاب السياسية ، ورؤساء تحرير الصحف .

ثالثاً — الوثائق :

(أ) بيانات منشورة :

١ — بيان المرشد العام للاخوان المسلمين .

٢ — بيان الحزب الاشتراكى الصادر فى يوم ٢٤ يناير ١٩٥٢ :

٣ — منشور الضباط الأحرار يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ .

٤ — منشور الضباط الأحرار أثناء وزارة الهلالى الأولى .

(ب) وثائق لم يسبق نشرها :

١ — بيان اللجنة التحضيرية للاتحاد العام لنقابات عمال مصر الصادر يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ (صورة زنكغرافية)

٢ — تقرير اللواء محمد إبراهيم إمام رئيس البوليس السياسى حول دور المخابرات البريطانية فى أحداث ٢٦ يناير (صورة زنكوغرافية) .

رابعاً — أحكام قضائية :

١ — نص الحكم الصادر من محكمة الجنايات بقبول تظلم أحمد حسين وشموله بالعفو السياسى .

٢ — نص الحكم الصادر من المحكمة العسكرية العليا بالبراءة فى قضية التحريض على حرق القاهرة :

خامساً — الدوريات :

* « المصرى » ، « الأهرام » ، أكتوبر ١٩٥١ — مارس ١٩٥٢ .
* « أخبار اليوم » ، « روز اليوسف » ، « المصور » ، « الدعوة » ، « الجمهور المصرى » « الكاتب » ، « الملايين » ، أكتوبر ١٩٥١ — أكتوبر ١٩٥٢ .
* « الطليعة » ، يناير ١٩٦٥ .

سادساً — الكتب :

* عبد الرحمن الرافعى — « مقدمات ثورة ٢٣ يوليو » ، الطبعة الأولى ١٩٥٧ ، مكتبة النهضة المصرية .
* طارق البشرى — « الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٥٢ الهيئة المصرية العامة للكتاب — ١٩٧٢ .
* الدكتور محمد أنيس — « حريق القاهرة على ضوء وثائق تنشر لأول مرة » ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٢.

* عبد الفتاح حسن — « ذكريات سياسية » ، دار الشعب — ١٩٧٤ .
* أحمد حسين — « قضية التحريض على حرق القاهرة ، مقالات . . تقارير إتهام . . أحكام » — ١٩٥٧ .
* أحمد حسين — « واحترقت القاهرة » ، المطبعة العالمية ١٩٦٨
* حسن دوح — « كفاح الشباب الجامعى على القناة سنة ١٩٥٢ » دار القلم ، الكويت — ١٩٧٣ .
* كمال رفعت — « حرب التحرير الوطنية » ، مذكرات ، إعداد مصطفى طيبة ، دار الكاتب العربى .
* د. محمد حسين هيكل — « مذكرات فى السياسة — عصر فاروق » مطبعة مصر ١٩٥٣
* موسى صبرى — « قصة ملك و ٤ وزارات » ، كتاب اليوم سبتمبر ١٩٧٣ .
* محمد صبيح — « أيام وأيام ١٨٨٢ — ١٩٥٦ » مطبعة العالم العربى ١٩٦٦ .
* محمود حسين — « الصراع الطبقى فى مصر ١٩٤٥ — ١٩٧٠ » ترجمة عباس بزى وأحمد واصل ، دار الطليعة ، بيروت — ١٩٧١ .
* مايلز كويلاند — « لعبة الأمم » ، الطبعة العربية الكاملة ،

ترجمة مروان خير ، الانترناشنال سنتر ،
بيروت ــ ١٩٧٠

* جورج فوشيه — «جمال عبد الناصر فى طريق الثورة» ،
ترجمة نجده هاجر سعيد الغز ، منشورات
المكتب التجارى ، بيروت ــ ١٩٦٠ .

* * *

تقرير

بمراقبة الشقة العليا بالمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد بمصر الجديدة تبين أنه بتاريخ ١٩٥٢/٢/٩ شوهد شخص أجنبي عمره حوالى الخمسين سنة وسيدة أجنبية تقاربه فى العمر ومعها سيدة أخرى أصغر سناً من الأولى وفتاتين صغيرتين بهذا السكن وتبين فيما بعد أن هذا الشخص يدعى جيمس فوخت وله سكن خاص بالدور العلوى من المنزل رقم ٧ شارع مريت بمصر الجديدة وأنه إعتاد الإقامة بالسكن المراقب مع السيدة الأولى التى اتضح أن إسمها مدام بروكس

وهى مسيحية بريطانية ولدت بتركيا فى سنة ١٩١١ وحضرت للقطر المصرى مع والديها فى سنة ١٩١٢ وأقامت بالبلاد حتى سنة ١٩٣١ حيث سافرت إلى إنجلترا وتزوجت وفى سنة ١٩٣٤ عادت للقطر المصرى وزوجها موظف حالياً بوزارة التموين بانجلترا وكانت تقيم بشارع رشيد رقم ٦ بمصر الجديدة ثم أخطرت باقامتها بالمسكن الحالى وذكرت باستمارة الإقامة أن معارفها ١ — أحمد بك فهمى المفتش بالداخلية ٢ — R. withius ١٦٤ شارع البرنس إبراهيم كليوباتره بالأسكندرية ويظهر أن الفتاتين هما إبنتيها وأما السيدة الأصغر سناً فتبين أنها تدعى مس كاترين وهى بريطانية حضرت للقطر المصرى من سنوات وكانت تعمل مربية فى منزل المرحوم مصطفى مشرفة باشا وبعد ذلك فى منزل سعيد بك لطفى وقد نقلت الآن إلى المنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم بمصر الجديدة حيث تقيم طرف السيدة كاسينوف بالدور الأرضى الشقة اليسرى وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٠ تردد المراقب جيمس فوخت على المنزل رقم ٧ شارع مريت ولم يبق بداخله سوى

أدقائق كما تردد على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد سيدة أجنبية ومعها شخص جنبي فى الخمسين من عمره تبين أنهما تقيمان بالمنزل رقم١ شارع إبراهيم بالشقة اليسرى بالدور الأول وتسكنها السيدة مارى مسيرلى وهى إيرانية وزوجها يعمل باحدى الشركات بغمرة . ولم يعرف إسمه كما ترددت أيضاً فى هذا اليوم مس كاترين المقيمة بالمنزل رقم١٩ شارع إبراهيم وكان الجميع مجتمعين بالمنزل المراقب من الساعة ٧ مساء حتى الساعة ٩,١٠ مساء ثم إنصرف كل إلى منزله وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١١ خرجت من المنزل المراقب . الفتاتان الصغيرتان إلى المنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة دقائق وبعد خروجهما قابلتهما السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وركبتا بها وكانت تقودها سيدة أجنبية إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد وبعد أن نزلت الفتاتان منها استأنفت السيارة السيدة مع ثلاثة شبان برهة وجيزة ولم يمكن معرفتهم ثم انصرفت السيارة إلى سيرها حتى شارع الروضة بمصر الجديدة ووقفت أمام المنزل رقم ٥ وتحدثت طريق السويس ومرت بنقطة الحدود بالكيلو ٤ فى إتجاه السويس وقد تبين أن هذه السيارة مقيدة باسم مارجورى كاميل جاش وسكنها رقم ٤ شارع السلطان سليم بمصر الجديدة بالدور الرابع واتضح أنه يقيم بهذا السكن شخص يدعى جورج الحاج وقد اتضح أن السيدة التى تقود هذه السيارة قيدت إسمها فى نقطة الحدود باسم مدام الفريد الحاج وفى حوالى الساعة ٩,٣٠ مساء هذا اليوم خرجت السيدة التى تقيم بالمنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم مس كاترين وتوجهت لسكنها وفى تاريخ ١٩٥٢/٢/١٢ ظهراً حضرت للمنزل السيارة رقم ١١٤٥٢ ملاكى مصر يقودها سائق أسمر اللون وصعدا إلى الشقة المراقبة وبعد عشر دقائق إنصرفت السيارة متجهة إلى المنزل رقم ٨ بشارع دار الشفاء بجاردن ستى وتبين أن هذه السيارة مقيدة بقلم المرور باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية بالشرق الأوسط بجاردن ستى وفى حوالى الساعة ١,٣٠مساء نفس اليوم حضرت السيارة رقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر بقيادة شخص أجنبي صعد

إلى الشقة المراقبة ونزل بعد ثلث ساعة وانصرف بالسيارة إلى شارع عبدالخالق ثروت حيث تركها ودخل المنزل رقم ٣ شارع عبد الحميد سعيد بالدور الأرضى الشقة اليسرى التي اتضح أنها مسكن شخص أرمنى يعمل بالجيش البريطانى بالقنال ويتغيب مدداً عن سكنه تتراوح بين أسبوع وعشرة أيام ويقضى يومين أو ثلاثة بسكنه ويعود لعمله كما تبين أن السيارة ٧٧٤٢ ملاكى مصر مقيدة بالمرور باسم حرانتو كايورالى صاحب سيارات بشارع شريف باشا رقم ١٧ أ بمصر الجديدة ويحمل ترخيص قيادة عمومى مصر رقم ٤٢٧٥ مصر — وقد زار الشخص المراقب الأصلى ومعه السيدة بروكس المس كاترين بالمنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم — وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٣ حضرت السيارة ١١٤٥٢ ملاكى مصر بالمنزل ٤٣ شارع سعيد قيادة السائق النوبى السابق الذكر ومعه شخص أجنبى لم يعرف بعد ومكث بالمنزل حوالى الساعة ونزل مع المراقب الأصلى جيمس فورخت وركب السيارة وانصرف بها ولم يمكن تتبع السيارة .

وفى يوم ١٩٥٢/٢/١٤ تردد جيمس فورخت ومدام بروكس على المنزل رقم ٧ شارع مريت بمصر الجديدة وتبين أنهما يطعمان طيوراً متروكة به والعناية بالحديقة .

وفى يوم ١٩٥٢/٢/١٥ حضرت السيارة ٧٧٤٢ ملاكى مصر السابق ذكرها يقودها نفس الشخص ومكث بالشقة المراقبة بشارع سعيد حوالى ثلث ساعة وخرج معه جيمس فورخت ومدام بروكس وعرج على بنك باركليز بمصر الجديدة ثم إنصرفت السيارة بقائدها متجهة للقاهرة وعاد المراقب والسيدة إلى المنزل بشارع سعيد .

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٦ حضر للمنزل المراقب موتوسيكل رقم ٧٨٢٧ مصر

يقوده شخص مصرى دخل لحظة وعاد منصرفاً بالموتوسيكل وتبين أن الموتوسيكل لشركة كهرباء بمصر الجديدة وعين شمس كما حضرت حوالى الساعة ١١,٣٠ ص سيارة رقم ٣٦٩ ملاكى مصر بها فتيات صغيرات وركب معهن الفتاتان الصغيرتان من المنزل المراقب وتبين أن هذه السيارة مقيدة باسم سعادة عبد المقصود باشا أحمد ٢٤ شارع رمسيس بمصر الجديدة وفى حوالى الساعة ٧,٥٠ مساء نفس اليوم حضرت السيارة ١٣٤٤١ ملاكى إسكندرية بها شخصين أجنبيين فتح أحدهما باب المنزل ٤٣ شارع سعيد بمفتاح كان معه ولم يكن بالمنزل أحد لمغادرة ساكنيه له من قبل ثم إنصرف هذان الشخصان بالسيارة بعد إغلاق الباب وتوجها إلى المنزل رقم ١٤ شارع محمد رمزى بك ودخلاه ولم يمكن معرفة الشقة التى قصداها وبعد ساعة إنصرفت السيارة براكبيها إلى القاهرة ولم يمكن تتبعها وقد تبين أن هذه السيارة مقيدة باسم ماكس زولو من الإسكندرية وسكنه شارع البطالسة رقم ١٠ محرم بك وأنه باعها إلى جرانتيو كابورالى المقيم بشارع شريف باشا ١٧ أ بمصر الجديدة السابق مشاهدته بالسيارة رقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر وقد عاد المراقب جيمس فورخت ومدام بروكس إلى المنزل فى الساعة ٩,٣٠ مساء .

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٧ حوالى الساعة ١١ ص حضرت للمنزل السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة السابق مشاهدتها ومعها سيدتين أجنبيتين ومكثن بالمنزل حوالى الساعة وانصرفن إلى المنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم بمصر الجديدة وفى نفس اليوم ترددت مدام بروكس على المنزل رقم ١ شارع إبراهيم سكن مارى مسيرلى السابق ذكرها .

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٨ الساعة ٩ ص حضرت السيارة رقم ١١٤٥٥ ملاكى مصر ، ٧٧٤٢ ملاكى مصر قيادة السائقين السابق مشاهدتهما

وانصرفت السيارة الأولى بعد دقائق وانصرفت السيارة الثانية وكانت بها سيدة أجنبية مع قائدها وأمام لوكاندة فكتوريا بشارع إبراهيم باشا نزلت السيدة واستأنفت السيارة سيرها إلى جراج وورشة تسنا بشارع شركس حيث تركها قائدها بالورشة وترددت مدام بروكس فى نفس اليوم على المنزل رقم ١ بشارع إبراهيم كما حضرت المس كاترين إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ولما لم تجد أحداً إنصرفت هذا ولم يظهر المراقب جيمس فورخت منذ صباح يوم ١٩٥٢/٢/١٦ وقد ترددت أيضاً مدام بروكس على المنزل رقم ١٧ شارع شريف سكن جرنتينو كابورالى لمدة عشر دقائق . وبتاريخ ١٩٥٢/٢/١٩ حضرت السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة المعروفة وبقيت بالمنزل المراقب بشارع سعيد من الساعة ٩ ص حتى الساعة ٣,٣٠ مساء وخرجت إلى المنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم ؟

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/٢٠ خرجت مدام بروكس وقابلتها السيارة ٧٧٤٢ ملاكى مصر قيادة سائقها الأجنبى فى حوالى الساعة ١١ صباحاً وتحادثا فترة وانصرفت السيارة حتى المنزل رقم ١٧ أ شارع شريف باشا وبعد ثلث ساعة خرج من المنزل وانصرف بالسيارة وتردد على شركة كهرباء مصر الجديدة وعين شمس ثم استأنف السير بعد ذلك إلى القاهرة ووصل إلى جراج شركة كايرو موتور بشارع القصر العينى أمام مستشفى الأنكلستوما وبعد ربع ساعة إنصرف إلى ورشة تستا ببولاق ثم استأنف السير عائداً إلى المنزل رقم ١٧ أ شارع شريف باشا حيث أدخل السيارة بجراج بالحديقة ودخل الشقة بالدور الأرضى وفى الساعة ٩,١٠ مساء نفس اليوم عادت مدام بروكس بالسيارة ٢٣٧٨٠ ملاكى مصر قيادة شخص أجنبى ونزلت منها إلى سكنها وانصرفت السيارة بعد ذلك وتبين أن السيارة الأخيرة مقيدة باسم الفريد يوسف الموظف بشركة النقل والهندسة بشارع الشريفين رقم ٢ بقسم عابدين .

ولم يظهر شئ فى يوم ٢١ ، ١٩٥٢/٢/٢٢ وفى ١٩٥٢/٢/٢٣ خرجت مدام بروكس من سكنها وقابلت السيارة ٧٧٤٢ ملاكى مصر يقودها نفس الشخص الذى شوهد بها من قبل فأوصلها إلى المنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم وهو سكن مس كاترين حتى الساعة ٧ مساء حيث توجهت مدام بروكس إلى مسكنها وانصرفت السيارة ٧٧٤٢ ملاكى مصر إلى المنزل رقم ١٧ أ شارع شريف باشا .

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/٢٤ حوالى الساعة ٤,١٥ مساء توجهت مدام بروكس إلى المنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم ثم المنزل رقم ٧ شارع سعيد واتضح أنها دخلت الشقة رقم ١١ وأنها مسكن شخص إنجليزى مستر تلوك ويشتغل بالسفارة البريطانية وتقيم بهذه الشقة والدته وشقيقته والأخيرة مدرسة باحدى المدارس بشارع كليوباترا وحوالى الساعة ٩,٣٠ مساء عادت مدام بروكس إلى مسكنها بشارع سعيد رقم ٤٣ بالسيارة ١٦٦٤٣ ملاكى مصر يقودها شخص أجنبى وتبين أن هذه السيارة مقيدة باسم المستر سدنى آرثر وليم مفتش بحكومة السودان ويقيم بشارع السلطان سليم رقم ٤ بمصر الجديدة وهو المنزل السابق ذكره أنه سكن جورج الحاج وترددت عليه السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر .

وفى يوم ١٩٥٢/٢/٢٥ خرجت مدام بروكس لقضاء مشتروات ولم يتردد أحد على المنزل حتى الساعة ٤,١٠ مساء إذ حضرت السيارة ١٢٩٥٩ ملاكى مصر وهى جيب مقفولة ومكتوب عليها الخطوط الجوية الملكية البلجيكية وبها ثلاثة رجال أجانب نزل أحدهم وتكلم مع مدام بروكس لخمس دقائق وانصرفوا بالسيارة وفى الساعة ٦ مساء حضرت السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة المعروفة ودخلت المنزل المراقب وبقيت به حتى إنصرفت

حوالى ٨,٣٠ مساء وفى يوم ١٩٥٢/٢/٢٦ لم يتردد أحد على المنزل وفى الساعة ٩,٣٥ مساء عاد المراقب الأصلى جيمس فوخت من غيابه إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ولم يخرج منه حتى الساعة ١٠,٤٥ مساء وبذلك يكون قد تغيب عشرة أيام فى ١٩٥٢/٢/١٦ .

وفى يوم ١٩٥٢/٢/٢٧ الساعة ١٠,٣٠ صباحاً خرج المراقب والسيدة من المنزل وتوجها لقضاء بعض المشتروات وعادا للمنزل بعد أن مرا بالمنزل رقم ٧ شارع مريت لإطعام الطيور التى به :

وبتاريخ ١٩٥٢/٢/٢٨ حضر للمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر حوالى الساعة ١٠,١٥ صباحاً يقودها فى هذه المرة شخص أجنبى ومعه سيدة يرجح أن تكون هى السيدة المعتاد مشاهدتها تقود هذه السيارة وصعدا إلى المنزل وبعد ربع ساعة نزل ومعهما المراقب ومدام بروكس واستقلوا السيارة إلى البنك الأهلى ودخلوا البنك لمدة ثلث ساعة ثم عادوا للمنزل وفى الساعة ١٢,٢٠ مساء خرج قائد السيارة وانصرف بها ومعه السيدة وتردد أيضاً المراقب جيمس فوخت على المنزل رقم ٧ شارع مريت وفى الساعة ٦,٣٥ مساء حضر للمنزل ٤٣ شارع سعيد شخص أجنبى ومعه طفلة صغيرة وانصرف إلى المنزل رقم ٤١ شارع أبو بكر الصديق « المطار سابقاً » وفى الساعة ٨ مساء توجهت مدام بروكس والمراقب جيمس فوخت إلى هذا المنزل بسيارة أجرة وعادا لسكنهما فى الساعة ٩,٣٥ مساء وتبين أن الذى يسكن هذا المنزل بالدور الثالث يدعى مستر فريدريك هيوجل وهو موظف بشركة شل .

وفى يوم ١٩٥٢/٣/١ توجه المراقب إلى المنزل رقم ٧ بشارع مريت

وصعد إلى سكنه وبقى به ربع ساعة ثم غادره واستقل سيارة الأتوبيس إلى القاهرة واختفى عند ميدان باب الحديد ولم يعد للمنزل إلا فى الساعة ٤ مساء وحوالى الساعة ٦ مساء خرج مع السيدة بروكس وتوجه لقضاء بعض المشتروات ودخلت السيدة المنزل رقم ٤٩ بشارع توفيق وكان المراقب ينتظرها أمام باب العمارة الخارجى ولم يمكن معرفة السكن الذى قصدته وبقيت به حوالى نصف ساعة ثم عادا للمنزل .

وفى يوم ١٩٥٢/٣/٢ لم يخرج أحد من المنزل المراقب ولم يتردد عليه أحد.

وسبق أن ذكرنا أن السيارة ١١٤٥٢ ملاكى مصر ترددت على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ثم توجهت للمنزل رقم ٨ شارع دار الشفاء بجارد ستى وقد تبين من التحريات أن المنزل الأخير مؤجر للسفارة البريطانية وكانت تشغله بعض الإدارات البريطانية فالدور الأول كان به مكاتب جمعية إخوان الحرية بعد نقلها من بيت السنارى بالسيدة زينب وباقى الأدوار كان بها مكاتب مخلفات الجيش وقسم الأفلام التابع للسفارة وقسم وزارة الأشغال البريطانية للشرق الأوسط والطيران المدنى البريطانى وورشة نجارة بالبدروم وقد إبتدأ إخلاء هذه العمارة فى يوم ١٩٥٢/٢/١٧ ونقلت الإدارات السابقة إلى المنزل رقم ١٠ شارع الطلمبات بجاردن سيتى ما عدا جمعية إخوان الحرية التى قيل أنها ألغيت ومكاتب مخلفات الجيش فقد نقلت بعضها إلى السفارة وبيع البعض الآخر وقد تبين من مراقبة المنزل رقم ٨ شارع دار الشفا حتى يوم إخلائه أنه تردد عليه السيارات ١١٤٥٢ ملاكى مصر ويقودها السائق النوبى الذى تردد بها على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد وتبين أنه يدعى محمود وأن الذى يركب هذه السيارة هو ميجر كوميرون مدير مكتب المبيعات وكانت هذه السيارة تتردد يومياً تقريباً على هذا المنزل كما ترددت على

المنزل رقم ١٠ شارع الطلمبات عدة مرات بعد يوم ١٩٥٢/٢/٢٦ حتى اليوم ورقم ٧٧٤٢ ملاكى مصر ترددت على المنزل رقم ٨ بشارع دار الشفاء ثلاث مرات منذ بدء المراقبة حتى اليوم وترددت السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر مرة واحدة يوم ١٩٥٢/٢/٢٠ على المنزل رقم ١٠ شارع الطلمبات والأخيرتين سبق ذكرهما لترددهما على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد .

وهذا ما ظهر من المراقبة حتى اليوم

١٩٥٢/٣/٢

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٣ حوالى الساعة ٩,٤٠ صباحاً خرج المراقب ومعه السيدة بروكس وركبا المترو ونزلا بشارع إبراهيم باشا وتوجهت السيدة لشراء بعض الحاجيات وتوجه المراقب إلى أحد المحلات وتحادث بالتليفون مرتين كل مرة حوالى خمس وعشرين دقيقة ثم حضرت له السيدة وعادا للمنزل ثم نزل المراقب حوالى الساعة ١١ ص وتوجه إلى المنزل رقم ٧ شارع مريت وبقى به حتى الساعة ١,٣٠ مساء ولم يتردد أحد على المنزل بعد ذلك فى مدة الغذاء وقد حضرت السيارة ٢٢١٨٠ ملاكى مصر للمنزل فى الساعة ٤,٤٠ مساء وبها سيدتين نزلت إحداهما وصعدت إلى الشقة سكن السيدة بروكس وانصرفت السيارة بالسيدة الأخرى مسرعة ولم يمكننى تتبعها وتبين أن السيارة المذكورة مقيدة باسم حسن عباس رمضان بشارع ريحان رقم ٨ قسم عابدين .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٣ الساعة ٦ مساء حضرت للمنزل المراقب السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة المعتاد رؤيتها ومعها سيدتين أجنبيتين لم يمكن معرفتهما وصعدن جميعاً إلى المنزل وبعد ربع ساعة نزلن وانصرفن

بالسيارة وفى نفس الوقت خرج المراقب جيمس فوخت ومعه السيدة بروكس وتوجه إلى المنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم وبعد عشر دقائق إنصرف وتوجه المراقب إلى المحل الأخضر أسفل المنزل رقم ١١ شارع هارون الرشيد وتحادث بالتليفون لمدة ثلاثة أرباع الساعة وعاد للمنزل ماراً بالمنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة دقائق وأما السيدة بروكس فعادت للمنزل بعد قضاء بعض المشتروات .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٤ الساعة ٨,٥٠ مساء خرج المراقب مع السيدة بروكس ودخل المنزل رقم ١ شارع إبراهيم لمدة عشرة دقائق ثم مكتب البريد واشترى المراقب عرضحال تمغة وعادا للمنزل بعد أن مرا بشارع مريت رقم ٧ وفى الساعة ١٠,٣٠ صباحاً خرج المراقب والسيدة بروكس واستقلا المترو حتى شارع عماد الدين ثم ركبا سيارة أجرة حتى الدقى ودخلا مستشفى عانوس وقبل دخولهما تكلم مع شخص أجنبى المظهر عليه ملابس المرضى فى الطابق العلوى من الجهة اليمنى للمستشفى ومكثا بالداخل حوالى الساعة وعادا للمنزل فى الساعة ١,٢٠ مساء وفى الساعة ٥,٣٠ مساء خرج المراقب جيمس فوخت وتوجه للمنزل رقم ٧ شارع مريت لمدة ربع ساعة ثم غادره لمحل مكوجى وعاد إليه ثانياً وصعد لسكنه ومكث به حوال نصف ساعة ثم غادر المنزل ومعه حقيبة أوراق وتوجه إلى شارع إبراهيم رقم ١٩ وبقى به حتى الساعة ٨ مساء .

وفى الساعة ٦,٣٠ مساء حضرت للمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة ومعها ثلاث سيدات أجانب وفى الساعة ٧,٢٠ مساء غادرن المنزل بالسيارة ونزلت إحدى الراكبات بالمنزل رقم ١٧ ا شارع شريف باشا بمصر الجديدة واستمرت السيارة إلى المنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٥ فى الساعة ٩,٥٠ صباحاً حضرت السيارة ٧٠٥٩- ملاكى مصر وبها ثلاث سيدات أجنبيات وصعدت إحداهن إلى الشقة المراقبة وبعد ربع ساعة نزلت ومعها صاحبة الشقة وانصرفت السيارة إلى المنزل رقم ١ بشارع إبراهيم ودخل الثلاث المنزل وبقيت سيدة واحدة بالسيارة وبعد ربع ساعة نزل الثلاث وركبن السيارة وتوجهن بها إلى محلات الفطائر المنزلية وبقين بها حتى الساعة ١٢,١٠ مساء وانصرفت السيارة بعد ذلك وأوصلن السيدة صاحبة الشقة المراقبة لسكنها وانصرفت السيارة بمن فيها وعند تقاطع شارع توفيق لم يمكن مواصلة المراقبة .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٦ الساعة ٨,٣٠ صباحاً خرجت السيدة بروكس إلى السوق وعادت الساعة ٩,١٠ صباحاً وفى الساعة ١٠ ص حضرت السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وبها قائدتها المعروفة وركب معها جيمس فوخت والسيدة بروكس وتوجهوا إلى الدقى حيث دخلوا مستشفى عانوس وعادوا إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد فى الساعة ١٢,٥٠ مساء وبقيت قائدة السيارة حتى الساعة ٣ مساء وانصرفت إلى المنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم وفى الساعة ٦ مساء خرج جيمس فوخت والسيدة من المنزل وتوجها إلى المنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم وعادا للمنزل الساعة ٩ مساء .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٧ الساعة ١٠,٥٠ ص خرج جيمس فوخت من المنزل وتوجه إلى المنزل رقم ٧ بشارع مريت وانتظر حوالى نصف ساعة ثم إنصرف عائداً إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ولم يتردد أحد على المنزل حتى آخر اليوم .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٨ الساعة ٨,١٥ ص حضر شخص أجنبى عمره حوالى الأربعين طويل القامة ودخل المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد وبعد ثلث ساعة

إنصرف ومر بالمنزل رقم ١٨ شارع سعيد ووقف أمام الشقة سكن يحيى طه المهندس بالدور الأرضى ولم يدخلها ويظهر أنه لم يجد أحداً فانصرف ودخل العمارة رقم ٤٤ شارع الأهرام ولم يعرف أى شقة بالعمارة وبقى بها وفى الساعة ٩,٥٠ صباحاً حضرت للمنزل ٤٣ شارع سعيد السيارة ٧٠٥٩ ملاكى مصر تقودها السيدة المعروفة وصعدت للمنزل وبعد عشر دقائق نزلت ومعها السيدة بروكس وجيمس فوخت وانصرف الثلاثة بالسيارة إلى القاهرة حيث أوقفت السيارة أمام مصلحة التليفونات ودخلت مكتبة الحسابات وبعد ثلث ساعة إنصرفت السيارة بمن فيها وتوجهت إلى محل الصالون الأخضر بشارع قصر النيل حيث بقى فيه الثلاثة مدة نصف ساعة ثم إنصرفت السيارة إلى إدارة الجوازات والجنسية وصعدت قائدة السيارة والسيدة بروكس لكاتب الإدارة وبقى المستر جيمس بالسيارة فى الخارج وبعد ساعة إنصرفوا بالسيارة إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ثم إنصرفت السيارة بقائدتها إلى المنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم وتبين من التحريات أن قائدة السيارة هى زوجة فريد يوسف حاج وهو موظف بشركة النقل والهندسة للسيارات وهى نفسها موظفة بتليفون عموم السفارة البريطانية ولها إبنة تدعى جوزفين موظفة بالسفارة أيضاً ولديها تليفون بالمنزل رقم ٦٣٠٥٤ .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/٩ الساعة ٣ مساء حضرت للمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد السيارة رقم ٢٣٧٨٠ نزلت منها سيدة تحادثت مع السيدة بروكس ثم إنصرفت بالسيارة وكان بها ثلاث سيدات أخريات لم يمكن معرفة شخصيتهن وهذه السيارة مقيدة باسم فريد يوسف حاج وفى الساعة ٥,٣٠ مساء خرجت السيدة بروكس من المنزل وتوجهت إلى المنزل رقم ٧ شارع سعيد الذى تقيم به والدة وشقيقة المستر تلولك وقد سبق ذكره وأما جيمس فوخت فكان يتبعها على بعد خطوات ثم إنحرف إلى شارع مريت وذلك بدون داع ظاهر

حيث لم يدخل منزله الخاص بهذا الشارع ولكنه إستمر فى طريقه حيث دخل المنزل رقم ٧ شارع سعيد وكانت السيدة بروكس قد دخلته منذ دقائق وفى الساعة ٩ مساء عاد الإثنان للمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/١٠ الساعة ١٠,٣٠ صباحاً خرج جيمس فوخت من المنزل رقم ٩٣ شارع سعيد وتوجه إلى شارع مريت رقم ٧ وبقى به حوالى نصف ساعة وعاد للمنزل ٤٣ مرة أخرى ولم يغادره حتى آخر اليوم وفى حوالى الساعة ٤,٣٠ مساء خرج جيمس فوخت ومعه مدام بروكس وركبا ترام المترو بشارع عماد الدين ونزلا ودخلت مدام بروكس محلات داود عدس بعماد الدين فى الطرقة الخلفية للعمارة واستمر جيمس فى السير فى شارع الألفى وانحرف فى شارع جلال وأمام سينما كايرو بالاس وقف برهة وجيزة لمشاهدتها ثم استأنف السير بشارع فؤاد وانحرف يميناً ووقف فترة أمام محلات شملا لمشاهدتها ثم إنصرف وانحرف فى شارع شريف وعند تقاطعه بشارع عدلى وقف لحظة أمام مكتبة ستاندارد ستيشنرى .

وبعد ذلك إنحرف لليمين بالقرب من عمارة إيمبوليا وأخرج من جيبه قصاصة ورق وقلم وأخذ يدون بعض بيانات حتى وصل لأجزخانة حداد أسفل عمارة إيمبوليا وأخذ يتكلم بالتليفون حوالى العشرين دقيقة وانصرف عائداً إلى محطة المترو بعماد الدين حيث قابل مدام بروكس ورجعا سوياً إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/١١ حضرت السيارة رقم ٧٠٥٩ قيادة السيدة الأجنبية وصعدت للشقة المراقبة ومكثت حوالى ربع ساعة وانصرفت بالسيارة. واشترت بعض الحاجيات من شارع عباس وتوجهت للمنزل رقم ٤ شارع السلطان سليم وحوالى الساعة ١٠,٤٥ صباحاً حضرت السيارة ٢٣٧٤٣ ملاكى.

مصر قيادة شخص أجنبي وصعدا إلى الشقة فترة وجيزة وانصرف على الفور ولم يمكن تتبعه لانصرافه مباشرة وبالكشف إتضح أنها لجرانتينو كابورالى بشارع شريف باشا رقم ١١٧ مصر الجديدة وفى حوالى الساعة ١١,١٥ صباحاً خرج جيمس فوخت والسيدة بروكس وركبا المترو حتى شارع عباس حيث إشتريا بعض حاجيات وعادا إلى المنزل بشارع سعيد .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/١٢ حوالى الساعة ١٠ صباحاً حضرت السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر قيادة السيدة المعتادة قيادتها وصعدت إلى الشقة المراقبة حوالى عشر دقائق وانصرفت على الفور وحوالى الساعة ١٠,٣٠ صباحاً خرج الشخص المراقب وتوجه إلى المنزل رقم ٧ شارع مريت ومكث فترة حوالى ثلث ساعة وانصرف عائداً إلى المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد وحوالى الساعة ٧ مساء خرج الشخص المراقب وتوجه إلى المنزل رقم ٧ شارع مريت وانتظر فترة وعاد بالتالى للمنزل شارع سعيد .

وبتاريخ ١٩٥٢/٣/١٣ خرج جيمس فوخت والسيدة بروكس وقضيا بعض الحاجيات فى حوالى الساعة ١١,٥٠ ص وعادا للمنزل .

مقدم من اللواء إمام بك

ونشر فى التحريات وتعرض ،

١٩٥٢/٣/١٥

جيمس فوخت :

بريطانى الجنسية يقال أنه موسيقى ولم يلاحظ أنه يمارس هذه المهنة . عمره حوالى الخمسين ويقيم بالمنزل رقم ٧ شارع مارييت باشا بمصر الجديدة ولكنه قليل التردد عليه واعتاد الإقامة مع السيدة بروكس بالشقة العلوية من المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد

السيدة بروكس : Brooks, winford EithelR.

مسيحية بريطانية الجنسية ولدت بتركيا فى سنة ١٩١١ وحضرت القطر المصرى مع والديها فى سنة ١٩١٣ وأقامت بالبلاد حتى سنة ١٩٣١ ثم سافرت إلى إنجلترا وتزوجت وفى عام ١٩٣٤ عادت للقطر المصرى وما زال زوجها موظفاً بوزارة التموين بانجلترا – وكانت تقيم بشارع رشيد رقم ٦ بمصر الجديدة ومعها فتاتين صغيرتين يظهر أنهما إبنتاها – وقد ذكرت باستمارة الإقامة الخاصة بها أن معارفها هما ١ – أحمد فهمى بك المفتش بالداخلية ٢ – المستر R. withins المقيم بشارع البرنس إبراهيم رقم ١٦٤ بكليوباترا باسكندرية – وتقيم حاليا بشارع سعيد رقم ٤٣ بمصر الجديدة .

مس كاترين :

بريطانية الجنسية حضرت للقطر المصرى منذ سنوات وكانت تعمل مربية للأطفال بمنزل المرحوم مصطفى مشرفه باشا وبعد ذلك بمنزل سعيد بك غنى وأقامت فترة قصيرة طرف مدام بروكس بالمنزل رقم ٤٣ شارع سعيد وتقيم حالياً بالمنزل رقم ١٩ شارع إبراهيم بمصر الجديدة طرف السيدة كاساسينوف بالدور الأرضى الشقة اليسرى .

السيدة مارى سيرلى :

سيدة إيرانية وزوجها يعمل باحدى الشركات بغمرة – وتقيم بشارع إبراهيم رقم ١ بالدور الأول بالشقة اليسرى وقد تردد عليها الأشخاص السابق ذكرهم .

مارجورى كاهيل جاش :

بريطانية الجنسية ومقيمة بشارع السلطان سليم رقم ٤ بمصر الجديدة

بالدور الرابع ومتزوجة من الفريد يوسف حاج الموظف بشركة النقل والهندسة للسيارات — وهذه السيدة موظفة بتليفون عمومى السفارة البريطانية ولها إبنة تدعى جوزفين موظفة بالسفارة نفسها ولديها تلفون نمرة ٥٤ ... . وتستعمل مدام الفريد حاج السيارة رقم ٧٠٥٩ ملاكى مصر وهى سيارة ستروين سوداء وتقودها بنفسها ومقيدة باسمها — وهى دائمة التردد على الأشخاص السابق ذكرهم وخاصة الأول والثانية ، كما شوهدت متوجهة بالسيارة إلى السويس فى ١٩٥٢/٢/١١ .

السيارة ١١٤٥٢ ملاكى مصر :

مقيدة باسم بعثة تصفية المخازن البريطانية بالشرق الأوسط بجاردن سيتى ويقودها سائق نوبى يدعى محمود وترددت على سكان المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد بمصر الجديدة وعلى المنزل رقم ٨ بشارع دار الشفا بجاردن سيتى الذى كانت تستأجره السفارة البريطانية ثم نقلت الإدارات التى به إلى شارع الطلمبات رقم ١٠ بجاردن سيتى فترددت السيارة على المنزل الأخير وكان يركبها أشخاص أجانب منهم الميجر كوميروف .

جرانلينو كابورالى :

صاحب سيارات وسكنه شارع شريف باشا رقم ١٧ ا بمصر الجديدة ويحمل ترخيص قيادة عمومى رقم ٤٢٧٥ مصر — وربما كان مديراً أو صاحباً لجراج وورشة نستا للسيارات بشارع جركس وهذا الشخص تردد مرات على سكان المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد ويمتلك عدة سيارات مقيدة باسمه منها السيارة ٧٤٢، ملاكى مصر ويركبها بنفسه والسيارة ١٣٤٤١ ملاكى إسكندرية إشتراها من المدعى ... رولو المقيم باسكندرية شارع البطالسة رقم ١٠ محرم بك ويؤجرها للسفارة البريطانية — وقد تردد كابورالى على المنزل

رقم ٨ شارع دار الشفا . وتبين أيضاً أن السيارة رقم ٢٣٧٤٣ ملاكى مصر مقيدة باسم كابورالى المذكور

أ . أوهانيان : A. Ohanian

أرمنى ويقيم بالدور الأرضى من المنزل رقم ٣ شارع عبد الحميد سعيد المتفرع من شارع سليمان باشا ويعمل بالجيش البريطانى بالقنال — وقد تردد عليه جرانتينو كابورالى عدة مرات .

السيارة ٢٣٧٨٠ ملاكى مصر :

مقيدة باسم الفريد يوسف الموظف بشركة النقل والهندسة بشارع الشريفين رقم ٢ بعابدين وهو زوج مدام الفريد حاج الموظفة بالسفارة البريطانية وتردد بسيارته على المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد .

السيارة ١٦٦٤٣ ملاكى مصر :

مقيدة باسم مستر سيدنى آرثر وليم المفتش بحكومة السودان ويقيم بشارع السلطان سليم رقم ٤ بمصر الجديدة — تردد على سكان المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد .

المستر تلوك :

بريطانى موظف بالسفارة البريطانية ويقيم بشارع سعيد رقم ٧ الشقة رقم ١١ وتردد على المستر جيمس فوخت والسيدة بروكس .

مستر فردريك هيوجل :

بريطانى موظف بشركة شل ويقيم بالمنزل رقم ٤١ شارع أبو بكر الصديق بالدور الثالث — تردد على سكان المنزل رقم ٤٣ شارع سعيد كما ترددوا عليه مرات .

الفهرس

صفحة

الباب الأول

الحادث

الباب الثانى

من فعلها . . ؟

صفحة

الباب الثالث

أصحاب المصلحة

صفحة

الباب الرابع

شهادات . . ووثائق

الشهادات :

٨٩

صفحة

الشهادات

صفحة

الشهادات :

الوثائق :

* * *

ايداع رقم ١٨٨٤ / ١٩٧٧ دولى رقم ١ — ١٩ — ٧٢١٠ / ٩٧٧

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦

□ **هذا الكتاب :** يكشف أسرار حدث خطير ، ولم يكن ممكنا أن تتم المحاولة بغير منهج من البحث والتحرى يستخدم فى الدراسات المصرية لأول مرة .

□ **كانت الحركة الثورية فى أعلى ذراها :** الطلائع المسلحة تضرب قوات الاحتلال ــ العمال المصريين ينسحبون من قاعدة العدو ــ الجماهير فى كل مكان تزأر ضد الملك والاقطاع والاستعمار .. ثم فجأة ، احترقت القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ . أكلت النيران أكثر من ٧٠٠ موقع تشمل أهم المحال التجارية والفنادق والسينمات والملاهى . وترتبت على ذلك نتائج بالغة الأثر .

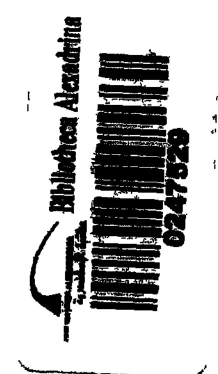
□ **هذا الحدث :** حريق ٢٦ يناير ــ كيف حدث ؟ واذا كان مدبرا فمن المدبر ؟ هذه الأسئلة ظلت بعيدة عن البحث الجاد طوال ربع قرن .. ومن هنا تكمن أهمية كتاب **جمال الشرقاوى** . ولكن التوصل الى الاجابات كان صعبا ، فالجناة أخفوا كل الوثائق والبصمات ، والأوراق الرسمية المتاحة هى أوراق التحقيقات القضائية ، وهى أوراق معيبة فى منهجها ، بل ومشوهة فى مسارها ونتائجها بأمر السلطات السياسية فى تلك الفترة .

□ **شملت قائمة الشهود :** فؤاد سراج الدين ــ عبد الفتاح حسن ــ ابراهيم فرج (الثلاثة من أقطاب حزب الوفد القريبين من أحداث ذلك اليوم) ــ حسن يوسف (وكيل الديوان الملكى) ــ المسئولين الرئيسيين عن أمن القاهرة ــ محمد ابراهيم امام (رئيس البوليس السياسى) ــ أحمد حسين (زعيم الحزب الاشتراكى) ــ عبد الرحيم غنيم (النائب العام) ــ جمال المطيفى وزملائه من المحققين ــ عبده مراد عن التحقيقات العسكرية ــ عددا من الضباط الأحرار من مختلف الرتب ــ ممثلين عن التيارات السياسية (الاشتراكيين ــ الشيوعيين ــ الأخوان المسلمين) ــ بالاضافة الى عديد من شهود العيان .

□ **أن جمال الشرقاوى :** (الصحفى فى جريدة الأخبار) محق حين يعلن ، بعد هذا البحث والتحقيق ، أنه يتقدم بقرار اتهام جديد .. فمن هو المتهم ؟ هل الحزب الاشتراكى ؟ هل الاخوان .. هل الشيوعيون .. هل الضباط الأحرار ؟ أو هل هو السراى ؟ هل هو الانجليز أو الامريكان ؟ الكلمة الآن للمؤلف .

الثمن ٣ جنيه





دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة ـ الفجالة
تليفون ٩٠٥٢٩٦